

إلن ج هوايت إستيت
الصِّراعُ العَظِيمُ
إلن ج. هوايت



الصراع العظيم

Ellen G. White

Information about this Book

Overview

This eBook is provided by the Ellen G. White Estate. It is included in the larger free Online Books collection on the Ellen G. White Estate Web site.

About the Author

Ellen G. White (1827-1915) is considered the most widely translated American author, her works having been published in more than 160 languages. She wrote more than 100,000 pages on a wide variety of spiritual and practical topics. Guided by the Holy Spirit, she exalted Jesus and pointed to the Scriptures as the basis of one's faith.

Further Links

A Brief Biography of Ellen G. White
About the Ellen G. White Estate

End User License Agreement

Further Information

For more information about the author, publishers, or how you can support this service, please contact the Ellen G. White Estate at mail@whiteestate.org. We are thankful for your interest and feedback and wish you God's blessing as you read.

المقدمة

لا ننشر هذا الكتاب، ايها القارئ، ليخبرنا ان في العالم خطيئة وويلاً وشقاء، فاننا نعلم هذا كله علم اليقين . ولا ننشره ليقول لنا ان هنالك عداء مستحكما وصراعاً رهيباً لا هدنة فيه ولا هوادة بين الظلمة والنور، بين الخطيئة والبر، بين الحق والباطل، بين ا لموت والحياة . اننا نعلم هذا في قرارة نفوسنا، ونعلم ايضا اننا شركاء في هذا النضال نقوم بدورنا فيه.

ولكن في بعض الأحيان يداعب نفوسنا الشوق الى معرفة المزيد عن هذا الصراع الهائل : هل بدأ في الزمان أم أزلي هو ؟ ما العناصر التي تدخل في مظاهره المعقدة جداً؟ ما صلت ي به وما مسؤوليتي ؟ لقد وجدت نفسي في هذا العالم من دون اختياري، فهل هذا يعني شرا أم خيرا بالنسبة اليَّ ؟ ما هي المبادئ العظيمة التي تدخل في هذا الصراع، وكم تطول مدته ؟ وماذا تكون نهايته ؟ هل ستغوص هذه الارض، كما يقول لنا بعض العلماء، في أعماق ليل ابدي متجم د مظلم، أم أن أمامها مستقبلاً أفضل يشرق فيه نور الحياة وتنعشه محبة الله الابدية ؟

ثم ان هنالك سؤالا يطرق أبواب قلوبنا قائلا : كيف يمكن أن يؤول الصراع الذي في قلبي، والنضال بين الأنانية المتحكمة والمحبة الدافقة، الى نصرة كاملة حاسمة للخير والصلاح، نصرة أبدية ؟ ماذا يقول كتاب الله ؟ [6]

وما الذي يعلمنا إياه الله عن هذه المشكلة التي لها أهمية أبدية لكل نفس ؟

مثل هذه الأسئلة تواجهنا من كل ناحية وهي تأتينا بكل اصرار من أعماق قلوبنا وتطلب إجابة محددة حاسمة .

لا شك في أن الاله الذي خلق في قلوبنا هذا الحنين الى ما هو افضل، الحنين الى الحق، لن يحرمنا من جواب عن كل ما نحتاج الى معرفته، لأن ” السيد الرب لا يصنع أمراً الا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء “ (عاموس ٣ : ٧)

فلكي ندرك مبادئ هذا الصراع العظيم الأهمية والمعلقة عليه حياة الكون بأسره، علينا أن نطلع عليه في هذا الكتاب لان المؤلفة قد بسطته أمامنا في دروس متماسكة محسوسة ملموسة عظيمة الاثر، تغطي العشرين قرنا الأخيرة.

والكتاب يبدأ بالمشاهد الختامية المحزنة من تاريخ أورشليم، مدينة مختاري الله بعد رفضها رجل جلجثة الذي جاء ليخلص . ثم يسير الكتاب قُدُما على طول طريق الامم، ويرينا الا ضطهادات التي حلَّتْ باولاد الله في القرون الاولى، والارتداد العظيم الذي تبع ذلك في كنيسته، ويقظة العالم التي حققها الاصلاح الذي فيه تتجلى بكل وضوح بعض المبادئ العظيمة لذلك الصراع، والدرس المخيف الذي نتعلمه من رفض فرنسا مبادئ الحق والصواب، وانتعاش الكتب المقدسة وتعظيمها، وتأثيرها الصالح المانح الحياة والخلاص، واليقظة الدينية في الأيام الاخيرة، وفك ختوم ينبوع كلمة الله المتألقة نورًا بما فيها من اعلانات عجيبة للنور والمعرفة لمواجهة الطوفان المهلك لكل ضلالات الظلام.

ان هدف هذا الكتاب، أيها القارئ، هو أن يعين النفس المضطربة للحصول على الحل الصائب لكل هذه المشاكل . لقد كتبته سيدة ذاقت الله ووجدته صالحاً، سيدة تعلمت من شركتها مع الله ودرسها لكلمته أن سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم. [7]

وان النضال الحالي الوشيك الوقوع، بما يتضمنه من مبادئ حيوية، والذي لا يمكن لإنسان أن يلتزم جانب الحياد حياله، قد بسطت مبادئه الحيوية هنا بكل وضوح وقوة.

وفي الختام يخبرنا هذا الكتاب عن النصرة الأبدية المجيدة، نصرة الخير على الشر والحق على الباطل والنور على الظلمة والفرح على الحزن والرجاء على اليأس والمجد على العار والحياة على الموت والمحبة الأبدية الصبور على كل حقد وكراهية.

ولقد كانت الطبعات السابقة لهذا الكتاب واسطة في الاتيان بنفوس كثيرة الى الراعي الأمين . والناشرون يسألون الله ان يجعل هذه الطبعة ذات ثمر وفير لخير النفوس الأبدي.

والمعرب يبتهل اليه تعالى حتى يجعل هذا الكتاب المنقول الى العربية واسطة فعالة في يده لاجتذاب كثيرين من أبناء شرقنا العربي الى ملكوت النعمة والنور حتى ينالوا بالايمان خلاص ابن الله.

الناشرون [8] [9]

كلمة تمهيدية

قبل دخول الخطيئة العالم كان آدم ينعم بوفاق تام مع باريه . ولكن منذ فصل الانسان نفسه عن الله بالعصيان حُرم الجنس البشري من هذا الامتياز السامي . ومع ذلك فعبر طريق تدبير الفداء انفتح لساكني الارض طريق يمكنهم بواسطته أن يستعيدوا صلتهم بالسماء . لقد اتصل الله بالإنسان بروحه وأعطي العالم نورا تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح : " الهيا بما أعلنه الله لمختاريه القدس" (٢ بطرس ١ : ٢١).

وفي غضون الالفين والخمس مئة سنة الاولى من التاريخ البشري لم يظهر للناس وحي مكتوب . وأولئك الذين أوتوا علما من الله ابلغوه الى غيرهم، فسلمه الآباء الى بنيهم مدى أجيال التاريخ المتعاقبة . وقد بدأ اعداد الكلمة المكتوبة في عهد موسى، وجُمعت الاعلانات الموحى بها في كتاب واحد، واستمر اعلان الوحي ألفاً وست مئة سنة، من موسى مؤرخ الخلق والناموس الى يوحنا كاتب اسمى حقائق الانجيل.

والكتاب المقدس يشير الى الله على انه مبدعه ومؤلفه، ومع ذلك فقد سطرته أيدٍ بشرية . ومن خلال الاسلوب الذي به كتب كل سفر من أسفار الكتاب تتبين لنا مميزات الكتبة العديدين . وكل حق معلن فيه " موحى به من الله " (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦) ، ومع ذلك فانه يعبِّر عنه بأقوال الن اس. فلقد أفاض الاله السرمدي بروحه القدوس نوره في أذهان عبيده وقلوبهم، فاعطوا تصورات ورؤى وآيات ورموز ا. وقد عبر أولئك الذين أعلن لهم الحق باحدى هذه الطرق عن أفكارهم بلغة بشرية. [10]

لقد نطق الله نفسه بالوصايا العشر وكتبها بيده . فهي ليست من تأليف انسان بل هي من الله. لكنّ الكتاب المقدس، بحقائقه الالهية المعبر عنها بلغة الناس، يُبرز الاتحاد بين ما هو الهي وما هو بشري . وقد ظهر مثل هذا الاتحاد في طبيعة المسيح الذي كان ابن الله وابن الإنسان . وهكذا يصدق على الكتاب المقدس كما يصدق على المسيح ان " الكلمة صار جسداً وحل بين نا " (يوحنا ١ : ١٤).

ان أسفار الكتاب المقدس التي كتبت في عصور شتى على ايدي رجال يختلفون اختلافا بينا في المقام والعمل والمواهب العقلية والروحية تقدم الينا تنوعاً بيناً في الاسلوب واختلافاً وتنوعاً في طبيعة المواضيع التي تعرض . والكتبة المختلفون يستخدمون اشكالا مختلفة للتعبير . وفي غالب الأحيان نرى الحقيقة الواحدة تُقدَّم بطريقة أخاذة بواسطة كاتب بحيث تختلف عما يقدمه كاتب آخر، واذ يقدم كتَّاب عديدون موضوعاً ما من منظور مختلف يبدو للقارئ السطحي أو العديم الاكتراث أو المتعصب ان هناك تناقضا أو تباينا، في حين ان ا لقارئ المفكر الوقور ذا البصيرة الصافية يرى توافقا وانسجاما .

ان الحق اذ يقدم بواسطة افراد مختلفين يُعرض من وجهات نظر مختلفة . فأحد الكتاب يتأثر تأثرا عظيما بشكل من أشكال الموضوع، فيشدد على ما يتفق مع اختباره أو قوة ادراكه وتقديره، بينما يسلّط كاتب آخر الضوء على ناحية اخرى . فكل كاتب يقدم تحت ارشاد الروح القدس ما انطبع بقوة في ذهنه، فتتلاقى مختلف جوانب الحق عندهم جميعاً في توافق وتناغم كاملين، وتتحد الحقائق الموحى بها في كتاب

كامل هُيِّئ لسد حاجات الناس في كل ظروف الحياة وتجاربها.

ولقد سر الله بان يعلن حقه للع الم بوسائط بشرية، وهو نفسه قد أهَّل بروحه القدوس أناسًا وجعلهم قادرين على الاضطلاع بهذا العمل . وهو الذي أرشد العقل الى اختيار ما يُنطق به وما يُدوّن . لقد استؤمنت على هذا الكنز أوان خزفية، ومع ذلك فهو من السماء . فالشهادة تُبلَّغ بالتعبير [11] الناقص للغة الإنسان، ومع ذلك فهي شهادة الله، وكل ابن مطيع مؤمن من ابناء الله يرى فيها مجد قوة إلهية مملوءاً نعمة وحقاً.

سلم الله الناسَ في كلمته المعرفة اللازمة للخلاص . وينبغي لهم قبول الكتاب المقدس بصفته اعلان ارادته المعصوم والمزود بسلطانه . ان اقوال الله هي مقياس الخلق، وهي معلنة للتعاليم ومحك الاختبار. " كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح " (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ و ١٧) .

ومع ذلك فان حقيقة كون الله قد اعلن مشيئته للناس بواسطة كلمته لا يعني ان حضور الروح القدس الدائم وارشاده ما عادا لازمين . فالحقيقة هي على العكس من ذلك، لان المخلص قد وعد عبيده بان الروح القدس سيوضح ويفسر لهم الكلمة الالهية، ويفيض من نوره على تعاليمها حتى يسهل تطبيقها. وبما ان روح الله القدوس هو الذي اوحى الكتاب المقدس فمن المستحيل أن يكون تعليم الروح القدس مناقضا لتعليم كلمة الله.

لم يُعطَ الروح القدس ولا يمكن ان يُمنح لكي يلغي الكتاب المقدس . فكلمة الله تقرر بكل صراحة ان الكتاب المقدس هو المقياس الذي به يُمتحن ك ل تعليم وكل اختبار . يقول يوحنا الرسول : " لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الارواح هل هي من الله لان انبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم " (١يوحنا ٤ : ١). وأشعياء يعلن قائلا : " الى الشريعة والى الشهادة . ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر " (فذلك لانه ليس فيهم نور) — (اشعياء ٨ : ٢٠).

لقد وقع تعيير عظيم على عمل الروح القدس بسبب اخطاء طائفة من الناس وضلالاتها، اذ ادَّعت ان عندها المعرفة والنور، وصرح أفرادها انه ما عادت بهم حاجة الى ارشاد كلمة الله . انهم ينقادون بانفعالات وانطباعات يعتبرونها في مقام صوت الله في النفس . لكنّ الروح الذي يسيطر عليهم ليس هو روح الله. فالانقياد وراء هذه الانفعالات، الذي يسوقهم الى اهمال كلمة الله، [12] يؤدي حتماً الى البلبلة والاضطراب وخيبة الأمل والهلاك، وهذا يساعد على مناصرة الشرير في نواياه الخبيثة . ولان خدمة الروح القدس ذات أهمية حيوية لكنيسة المسيح فانه من بين مكايد الشيطان أن يحاول عبر ضلالات المتطرفين والمتعصبين إلحاق الاحتقار والازدراء بعمل الروح القدس وجعل شعب الله يهملون نبع القوة، الذي أعده ربنا بنفسه.

واصل الر وح القدس عمله، على وفاق وكلمة الله، طوال مدة زمن البشارة. ففي خلال العصور عندما كانت تعطى اسفار العهدين القديم والجديد لم يكف عن ايصال النور الى أذهان بعض الافراد بمعزل من الإعلانات التي كانت ستجمع في أسفار الوحي الالهي المقدس. والكتاب المقدس نفسه يخبرنا كيف قبل الناس بواسطة الروح القدس الانذار والتوبيخ والمشورة والتعليم في مسائل لا صلة لها باعطاء الكلمة المقدسة. ثم ان هنالك بعض الأنبياء من عصور مختلفة الذين ذكرت اسماؤهم في الكتاب ولكن لا ذكر لأي كلام نطقوا به . وكذلك بعدما ختمت اسفار الكتاب المقدس كان الروح القدس لا يزال دائباً في عمله بإنارة اولاد الله وانذارهم وتعزيتهم.

وعد يسوع تلاميذه قائلا : " واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم " ،" واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ...

ويخبركم بأمور آتية " (يوحنا ١٤ : ٢٦ ؛ ١٦ : ١٣). والكتاب يعلمنا بكل وضوح أن هذه المواعيد، التي ليست قاصرة على عصر الرسل وحده، تتناول كنيسة المسيح في كل العصور. فالمخلص يؤكد لتابعيه قائلا لهم : " ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر" (متى ٢٨ : ٢٠). وبولس يعلن ان هبات الروح واعلاناته اعطيت للكنيسة "لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . الى ان ننتهي جميعنا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله الى انسان كامل الى قياس قامة ملء المسيح" (افسس ٤ : ١٢ و ١٣). [13]

ولقد صلى الرسول لأجل المؤمنين في أفسس قائ لاً: "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح ابو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته مستنيرة عيون اذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ... وما هي عظمة قدرته الفا ئقة نحونا نحن المؤمنين" (افسس ١ : ١٧ — ١٩). ان خدمة روح الله في انارة الاذهان وكشفِ اعماق كلمة الله المقدسة للعقول كانت هي البركة التي طلبها بولس لاجل كنيسة افسس.

وبعد ظهور الروح القدس بصورة عجيبة في يوم الخمسين وعظ بطرس الشعب ان يتوبوا ويعتمدوا على اسم المسيح لغفران الخطايا، ثم قال: "فتقبلوا عطية الروح القدس لان الموعد هو لكم ولاولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب الهنا" (اعمال ٢ : ٣٨ و ٣٩).

وفي صلة مباشرة بمشاهد يوم الله العظيم وعد الرب بلسان يوئيل النبي وقد تمت هذه النبوة (يوئيل ٢ : ٢٨). انه سيعلن الروح القدس على نحو خاص جزئياً عند انسكاب الروح في يوم الخمسين، ولكنها ستتم بطريقة اشمل واكمل عند اعلان نعمة الله التي ستلازم عمل الانجيل النهائي.

سيزيد الصراع الهائل بين الخير والشر هولا واشتدادا حتى الى انقضاء الدهر. ففي كل العصور احتدم غضب الشيط ان ضد كنيسة المسيح . وقد منح الله شعبه فيضاً من نعمته وروحه لتقويتهم في نضالهم ضد قوة الشرير . فعندما كان على رسل المسيح ان يحملوا انجيله الى العالم ويكتبوه ليسلموه الى كل الأجيال اللاحقة أعطوا إنارة خاصة من الروح . ولكن عندما تقترب أيام خلاص الكنيسة ونجاتها النهائىة فالشيطان سيعمل بقوة مضاعفة . انه يأتي "وبه غضب عظيم عالماً ان له زماناً قليلا " (رؤيا ١٢ : ١٢). وهو سيعمل "بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة " (٢ تسالونيكي ٢ :٩). فلمدى ستة آلاف سنة نرى ذلك العقل الجبار الذي كان يحتل اسمى مكانة بين ملائكة الله منصباً على اعمال الخداع والتضليل والاهلاك . وكل أعماق مهارة الشيطان ودهائه المكتسب، وكل ما طوره في قلبه من قسوة في اثناء صراع الدهور هذا سيُعبَّأ كله ضد شعب الله [14] في النضال الاخير . في وقت الخطر هذا على اتباع المسيح ان يقدموا الى العالم الانذار بقرب مجيء الرب ثانية، وسي عد شعب للوقوف أمامه في مجيئه "بلا دنس ولا عيب" (٢ بطرس ٣ : ١٤). ففي ذلك الوقت لن تكون هبة النعمة الالهية والقوة الخاصة اقل لزوماً للكنيسة مما كانت في عصر الرسل.

تقول مؤلفة الكتاب : تكشفت امامي بانارة الروح القدس مشاهد النضال الطويل الامد بين الخير والشر . ومن وقت الى آخر سمح لي ان اشاهد تقدم الصراع وتطوره، في أجيال وعصور مختلفة، بين المسيح ورئيس الحياة خلاصنا، والشيطان سلطان الشر ومبتدع الخطيئة واول من عصى شريعة الله المقدسة . ان عداوة الشيطان للمسيح قد اثيرت ضد اتباع الفادي . ويستطيع المرء ان يتتبع عبر التار يخ العداوة نفسها ضد مبادئ محبة الله ومبادئ الخداع والمخاتلة نفسها التي تجعل الضلالات تبدو كأنها حقيقة فيُستعاض عن شريعة الله بوصايا الناس، حتى لينقاد الناس الى ان يتقوا ويعبدوا المخلوق من دون الخالق . فمن سياسات الشيطان الثابتة مدى العصور محاولاته الهادفة ا لى تشويه صفات الله وجعل الناس يحتضنون تصورات كاذبة عن الخالق، وهكذا ينظرون اليه نظرة الخوف والكراهية بدل المحبة، واجتهاده في جعل الناس يلقون بشريعة الله جانباً اذ يجعلهم يعتبرون انفسهم احراراً من كل التزامتها، واضطهاده مَن يتجرأون على مقاومة اكاذيبه ومخاتلا ته. ويمكن تتبع هذه السياسة في عهود الآباء والانبياء والرسل والشهداء ورجال

الاصلاح.

وفي النضال الاخير العظيم سيسير الشيطان وفق هذه السياسة نفسها، مبديا الروح نفسها وعاملاً للوصول الى تلك الغاية نفسها كما في كل الأجيال السالفة. فالتاريخ يعيد نفسه باستثناء ان النضال المقبل سيكون قويا وعنيفا للغاية، لم يشهده العالم من قبل ولم يكن له به عهد . فمخاتلات الشيطان ستكون اشد خداعا وهجماته اشد عنفاً وقوة، وهو لو استطاع لاضل المختارين (مرقس ١٣ : ٢٢).

واذ كشف روح الله لعقلي حقائق كلمته العظيمة ومشاهد الماضي والمستقبل [15] فقد أُمرت بان أعرِّف الآخرين بما قد اعلن لي، وأن أتتبع تاريخ هذا الصراع في العصور الماضية، وعلى الخصوص لكي اقدمه بحيث يفيض نوراً على المعركة المقبلة الوشيكة الوقوع . وفي متابعة هذا الغرض حاولت ان اختار واجمع معا احداثا في تاريخ الكنيسة بطريقة جعلتني أتتبع كشف الحقائق العظيمة الفاحصة التي اعطيت للعالم في فترات مختلفة والتي أهاجت غضب الشيطان وعداء الكنيسة المحبة للعالم، والتي قد حفظت بواسطة شهادة اولئك الذين: ”لم يحبوا حياتهم حتى الموت“

ويمكننا ان نرى في هذه البيانات رمزا للنضال الذي أمامن ا. فاذ نتأمل فيها في نور كلمة الله وانارة روحه نستطيع ان نرى مكايد الشرير وقد انكشفت، والمخاطر التي يجب ان يتحاشاها اولئك الذين يريدون ان يوجدوا ” بلا لوم “ أمام الرب في مجيئه.

ان الحوادث العظيمة التي امتاز بها تقدم الاصلاح في العصور الماضية هي من صميم التاريخ وهي معلومة جيد اً ومعترف بها في العالم البروتستانتي، وهي حقائق لا يمكن لاحد ان يناقضه ا. ولقد قدمت هذا التاريخ بإيجاز يلائم حجم الكتاب مراعاةً للاختصار المرغوب فيه، فلخصت حقائقه على نحو يتلاءم مع الادراك السديد لتطبيقه ا. وفي بعض الحالات اقتبست اقوال المؤرخ الذي جمع حقائق ك ثيرة معاً ليستخرج باختصار صورة شاملة للموضوع او أوجز التفاصيل بطريقة ملائمة . ولكن في بعض الحالات لم نأتِ على وضع كلامه بين مزدوجين ”“ لان تلك الاقتباسات لم تعطَ بقصد اعتبار الكاتب حجة بل لان بيانه يقدم عرضاً معدا ومؤثرا للموضوع . وقد جرت العادة على ايراد اختبارات وآراء من يضطلعون بعمل الاصلاح في ايامنا على هذا النحو .

ليست الغاية من وضع هذا الكتاب ايراد حقائق جديدة عن الحروب والمناضلات التي تارت في العصور السالفة بقدر ما هي إظهار للحقائق والمبادئ التي لها علاقة بالاحداث المقبلة. ومع ذلك فاذ ننظر الى كل هذه المستندات التاريخية الماضية على أنها جزء من الصراع القائم بين قوات النور وقوات الظلمة [16] نراها تحوي مغزى خاصاً وعبرها يسلط نور على المستقبل ينير طريق المدعوين، على غرار المصلحين القدامى، الى الشهادة ”من اجل كلمة اض ومن اجل شهادة يسوع المسيح“، حتى ولو خاطروا بكل ما يملكونه من حطام هذه الدنيا.

ان غاية هذا الكتاب هي كشف الستار عن الصراع العظيم بين الحق والباطل، وفضح مكايد الشيطان، وعرض وسائل مقاومته بنجاح، وتقديم حل مرضٍ لمشكلة الشر العظيمة، وإفاضة نور على اصل الخطيئة وميلها النهائي بحيث تتضح عدالة الله ور حمته في معاملاته مع خلائقه، ويتوفر البرهان على شريعة الله المقدسة غير المتغيرة . واني بكل حرارة وغيرة اصلي حتى يكون هذا الكتاب واسطة تحرير النفوس من سلطان الظلمة حتى يصيروا اهلاً لأن يكون لهم نصيب في ”شركة ميراث القديسين في النور“ (كولوسي ١ : ١٢) لمجد ذاك الذي قد أحبنا وبذل نفسه لأجلنا

أ . ج. ه. [17] [18] [19] [20] [21]

الفصل الاول ـــ خراب اورشليم

”انك لو علمت انت ايضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الان قد اخفي عن عينيك . فانه ستأتي ايام ويحيط بك اعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة . ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لانك لم تعرفي زمان افتقادك“ (لوقا ١٩؛ ٤٢ ـــ ٤٤).

نظر يسوع الى اورشليم من على قمة جبل الزيتون . كان المنظر المنبسط امامه جميلاً وساكن اً. كان زمن عيد الفصح، وقد اجتمع هناك بنو يعقوب قادمين من كل البلدان لاحياء عيدهم القومي العظيم . ففي وسط الحدائق والكروم والمنحدرات السندسية الخُضر التي نصبت فيها خيام المعيدين ارتفعت التلال المسطحة والقصور الفخمة وحصون عاصمة العبرانيين العظيمة، فبدت ابنة صهيون في عز كبريائها وكأنها تقول؛ ” أنا جالسة ملكه ولن أرى حزناً “. واذ كانت تحس بجمالها كانت تحسب انها آمنة وتتمتع برضى السماء، كما كانت عندما تغنى الملك الشاعر قائلا؛ ”جميل الارتفاع مح كل الارض جبل صهيون... مدينة الملك العظيم “ (مزمور ٤٨ ؛ ٢). وقد بدت لعيون الناظرين مباني الهيكل الفخمة، وسطعت أشعة الشمس الغاربة على جدرانه المرمرية [22] البيض كما تألقت م ن البوابة الذهبية والقبة والبرج . واذ كانت ” كمال الجمال “ بدت كأنها فخر الامة اليهودية . فَمن من بني اسرائيل يشاهد ذلك المنظر ولا تسري في جسمه وقلبه هزة الاعجاب ! ولكن يسوع كانت بقلبه افكار تختلف عن ذلك اختلافاً عظيم اً : ” وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكي عليها “ (لوقا ١٩: ٤١). ففي وسط فرح الجموع وهم يحيونه في دخوله الظافر ويلوحون بسَعَف النخل، وهتافات الفرح تتعالى وتردد التلال صداها، وآلاف الاصوات تنادي به ملكاً غمر نفس فادي العالم حزن مفاجئ غامض . فذاك الذي هوا بن الله ومنتظَر اسرائيل، والذي بقدرته قهر الموت واخرج الموتى من قبورهم، كان غارقاً في دموعه ليس بسبب حزن عادي بل بسبب ألم شديد لم يمكنه كبته.

ولم يكن السيد يبكي على نفسه مع انه كان يعرف جيدا الى أية نهاية مخيفة سينتهي طريقه . كان أمامه بستان جثسيماني، مشهد آلامه الشديدة القادمة. وكذلك كان يرى باب ا لضأن الذي لمدى قرون طويلة كانت تمر منه آلاف قطعان الغنم لتقدَّم ذبائح، والذي كان مزمعاً ان يفتح له عندما يكون ”كشاة تساق الى الذبح“ (اشعياء ٥٣ : ٧). وكانت جلجثة، مكان الصلب، غير بعيدة من ذلك المكان . فعلى الطريق الذي كان المسيح مزمعاً ان يسير فيه لا بد ان يقع رعب ظلمة داجية اذ يجعل نفسه ذبيحة اثم . ولكن تأمله في هذه المشاهد لم يكن هو الذي القى عليه ظلام الحزن في تلك الساعة، ساعة الفرح . فلم يكن تشاؤمه من عذاباته، التي هي فوق طاقة البشر، هو الذي القى ظلاله على نفسه المنكرة لذاتها، بل لقد بكى على الآلاف من اهل اورشليم المقضي عليهم بالهلاك. بكى على عمى اولئك العصاة الذين اتى ليباركهم ويخلصهم.

محبة أب

ان تاريخ حقبة من الزمن تربو على الف عام فيها اغدق الله على شعبه احسانات عظيمة ورعاية ساهرة تمتعت بها تلك الأمة المختارة كان ماثلاً امام عيني يسوع . فقد ك ان هناك جبل المريا حيث اوثق ابن الوعد ليوضع على [23] المذبح ذبيحة طائعة خاضعة — كرمز لذبيحة ابن الله . وهناك تثبَّت لابي المؤمنين عهد البركة والوعد المجيد بمجيء مسيا (تكوين ٢٢ : ٩ و ١٦ — ١٨). وهناك اشتعلت نار الذبيحة صاعدة الى السماء من بيدر ارن ان فمنعت سيف ملاك النقمة عن اهلاك المدينة (١ اخبار ٢١) وهي رمز ينطبق على ذبيحة المخلص وتشفعه في الاثمة . لقد اكرم الله اورشليم من دون مدن الارض كله ا. والرب : "قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له" (مزمور ١٣٢ : ١٣) .ففيها نطق الانبياء القديسون بر سائل انذارهم اجيالاً طويلة . وفيها كان الكهنة يلوّحون بمباخرهم فكانت سحب البخور تصعد امام الله مصحوبة بصلوات القديسين . وفيها كانت دماء الحملان المذبوحة تقدم كل يوم مستبقة مجيء حمل الله . وفيها اعلن الله حضوره في سحابة المجد فوق كرسي الرحمة (غطاء التابوت). وهناك ارتكزت قاعدة السلّم السرية التي تصل الارض بالسماء (تكوين ٢٨: ١٢ ؛ يوحنا ١ : ٥١) وهي تلك السلم التي كان ملائكة الله ينزلون ويصعدون عليها والتي فتحت للعالم الطريق الى قدس الاقداس . فلو كان بنو اسرائيل كأمة قد ظلوا على ولائهم للسماء لك انت اورشليم قد ثبتت الى الدهر كالمدينة المختارة من اله (ارميا ١٧ : ٢١ — ٢٥). لكنّ تاريخ ذلك الشعب الذي قد اغدق الله عليه سيولاً من نعمة واحساناته كان سجلاً للردّة والعصيان . فلقد قاوموا نعمه السماء وانتهكوا امتيازاتهم وازدروا بالفرص السا نحة المتاحة لهم.

ومع ان بني اسرائيل " كانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه" (٢ أخبار ٣٦ : ١٦) فقد ظل يعلن نفسه لهم قائلا: " الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء " (خروج ٣٤ : ٦). وعلى رغم رفضهم المتكرر فقذ ظلت رحمته تدافع عنهم فبمحبة شفوقة تفوق محبة الأب للابن الذي يرعاه "ارسل الرب اله آبائهم اليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لانه شفق على شعبه وعلى مسكنه" [24] (٢ أخبار ٣٦ : ١٥). فلما لم يُجد الاحتجاج ولا التوسل ولا التوبيخ ارسل اليهم اعظ هبات السماء، لا بل سكب كل السماء في تلك الهبة الواحدة.

لقد ارسل ابن الله نفسه لكي يتوسل الى تلك المدينة القاسية القلب . ان المسيح هو الذي اخرج امة العبرانيين من مصر ككرمة جيدة (مزمور ٨٠ : ٨) ويده هي التي طردت الامم من امامه ا. وقد غرسها " على اكمة خصبة " وبرعايته الحارسة احاطها بسياج وارسل عبيده للعناية به ا. وها هو يصرخ قائ لاً: " ماذا يُصنع ايضاً لكرمي وانا لم اصنعه له "؟ ومع انه اذ انتظر من كرمه " ان يصنع عنباً صنع عنباً رديئ اً " (اشعياء ٥ : ١ — ٤) ظل يرجو بلهفة ان يجد فيه ثمراً فاتى بنفسه اليه لعله ينجو من الدمار والهدم . فنقب حول الكرمة وشذبها وبذل لاجلها كل ما في طوقه من اهتمام ورعاية . ولم يكل من بذل الجهود لينقذ هذه الكرمة التي هي غرس يمينه.

خلال ثلاث سنين ظل رب المجد والنور يدخل ويخرج بين شعبه . لقد "جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم ابليس"، "أشفي المنكسري القلوب لانادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر، والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون" (اعمال ١٠ : ٣٨ ؛ لوقا ٤ : ١٨ ؛ متى ١١ : ٥). وقد شملت دعوته الرحيمة كل الطبقات على السواء، وهي التي يقول ا: " تعالوا اليَّ يا جيمع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم" (متى ١١ : ٢٨).

قلوب متحجرة

ومع انهم وضعوا عليه شراً بدل خير وبغضاً بدل حبه (مزمور ١٠٩ : ٥) فقد ظل دائباً في القيام برسالته، ر سالة الرحمة . ولم يطرد ابداً انساناً طلب نعمته. واذ كان يجول من مكان الى آخر لا يجد مبيتاً يأوي اليه، ولما كان نصيبه العار والفقر عاش لكي يخدم حاجات الناس ويخفف ويلاتهم متوسلاً [25] اليهم ان يقبلوا هبة الحياة . فامواج الرحمة التي صد تها تلك القلوب المتحجرة بعيداً عنها عادت اليهم بقوة اشفاق ومحبة لا يمكن التعبير عنهما. لكن أمة اسرائيل ارتدت عن اخلص صديق واعظم معين . وقد ازدروا بتوسلات محبته ورفضوا مشوراته وسخروا من انذاراته.

كانت ساعة الرجاء والغفران موشكة ع لى الانقضاء،وكأس غضب الله المؤجل طويلاً كادت تمتلىء،والغيمة التي ظلت تتجمع مدى اجيال العصيان والتمرد،وقد صارت سوداء جداً تنذر بالويل والثبور ،كانت توشك ان تنفجر على تلك الأمة الآثمة . وذاك الذي كان يستطيع وحده ان يخلصهم من المصير المرعب المحيق بهم احتق ر وأهين ورُفض،ولسوف يُصلب بعد قليل . وحين يعلق المسيح على صليب جلجثة فان يوم اسرائيل كأمة منعم عليها ومباركة من الله سيكون قد انقضى .ان هلاك نفس واحدة هو كارثة تصغر امامها كل ارباح العالم وكنوزه . ولكن اذ نظر المسيح الى اورشليم تمثل امامه هلاك مدينة كبيرة واسعة وأمة برمتها ـــ وهي المدينة نفسها والأمة نفسها التي كانت قبلاً مختارة من الله و كنزه الخاص.

بكى الانبياء بسبب ردة اسرائيل والدمار المخيف الذي حل بهم . وتمنى ارميا لو تكون عيناه ينبوع دموع لكي يبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبه حزناً على اذاً فكم كان عظيماً حزن ذاك (ارميا ٩ : ١ ؛ ١٣ : ١٧). قطيع الرب الذي اخذ اسيراً الذي شملت نظرته النبوية لا سنين فقط بل دهوراً ! لقد رأى الملاك المهلك مجرداً سيفه على تلك المدينة التي ظلت مسكنا للرب حقبة طويلة من الزمن . ومن فوق قمة جبل الزيتون، وهي البقعة نفسها التي احتلها تيطس وجيشه بعد ذلك، نظر السيد عبر الوادي الى ديار الهيكل وأروقته المقدسة فرأى بعينيه المغرورقتين بالدموع منظراً مخيفاً سيحدث في المستقبل، رأى الاسوار محاطة بجيوش الغرباء وسمع وقع اقدام تلك الجيوش المصطفة للحرب،وسمع أصوات الأمهات والاولاد يصرخون في طلب الخبز في داخل اسوار المدينة المحاصرة، [26] ورأى هيكلها المقدس الجميل وقصورها وابراجها وقد اشتعلت فيها النار ولم يبق منها غير الاطلال المحترقة.

مشتتون في كل الارض

واذ تطلع عبر الاجيال رأى الشعب المختار مشتتين في كل البلدان "كحطام سفينة على شاطئ مهجور". رأى في القصاص المؤقت الموشك ان يقع على ابناء تلك المدينة اول جرعة من جرعات كأس الغضب الذي لا بد ان يشربوه حتى الثمالة في الدينونة الاخيرة . وقد نطقت رأفته الالهية ومحبته المشتاقة بهذا القول النائح الحزين:" يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا"! (متى ٢٣ : ٣٧). ايتها الامة المنعم عليها من دون جميع الامم ليتك عرفت زمان افتقادك، وما هو لسلامك ! لقد أبعدت عنك سيف ملاك العدل، ودعوتك الى التوبة و لكن عبث اً.انكم لم ترفضوا او ترذلوا العبيد والانبياء وحدهم بل قدوس اسرائيل فاديكم . فلئن هلكتم فعليكم انتم تقع تبعة هلاككم فلا تلومُنَّ الا انفسكم. " ولا تريدون أن تأتوا اليَّ لتكون لكم حياة " (يوحنا ٥ : ٤٠).

لقد رأى المسيح في اورشليم رمزًا للعالم الذي تقسى في عدم الايمان والتمرد والذي يسرع ليلقي

بنفسه تحت طائلة دينونة الله وانتقامه . ان ويلات الجنس الساقط اذ ضغطت على روحه اغتصبت من بين شفتيه تلك الصرخة المرة. لقد رأى آثار الخطيئة في الشقاء الذي حل بالبشرية والدموع والدماء . جاشت في قلبه عواطف اشفاق عظيم عل ى المحزونين والمتألمين في العالم وتاق الى تخفيف آلام الجميع . ولكن حتى يده لم يمكنها ان تصد تيار ويلات البشرية، اذ قليلون من الناس هم الذين طلبوا العون من مخلصهم الوحيد . لقد كان على استعداد لان يسلِّم للموت نفسه ليجعل الخلاص في متناول ايديهم، لكنّ قليلين هم الذين أتوا اليه لتكون لهم حياة . [27]

جلال السماء يسكب الدموع

جلال السماء يسكب الدموع ! ابن الله السرمدي تنزعج روحه وتنحني نفسه تحت ضغط العذاب والانسحاق ! أدهش هذا المنظر ساكني السماء جميعاً، وهو يرينا مقدار هول الخطيئة وشناعتها، ويسلط الضوء على صعوبة انقاذ المذنبين من عواقب تعديهم شريعة الله . فيسوع اذ تطلَّع عبر اجيال التاريخ اللاحقة الى آخر جيل رأى العالم واقعاً تحت سلطان خداع شبيه بذاك الذي كان سبب خراب اورشليم . لقد كانت خطيئة اسرائيل العظيمة هي رفضهم للمسيح،وخطيئة العالم المسيحي العظمى هي رفضهم لشريعة الله التي هي اساس حكمه في السماء وعلى الارض . فشريعة الرب ستحتقر وترفض . وملايين من الناس المستعبدين للخطيئة والذين هم عبيد الشيطان المحكوم عليهم بالموت الثاني سيرفضون الاصغاء الى كلام الحق في يوم افتقادهم. فيا للعمى الرهيب، ويا للجنون المحير الغريب!

قبل الفصح بيومين، عندما خرج المسيح من الهيكل آخر مرة بعدما شهَّر برياء رؤساء اليهود، خرج مع تلاميذه مرة اخرى الى جبل الزيتون وجلس معهم على منحدر مكسو بالعشب الاخضر يشرف على المدينة . ومرة اخرى نظر الى اسوارها وابراجها وقصورها، ومرة اخرى اتج ه ببصره الى الهيكل المتألق بالمجد والبهاء الذي يخطف الابصار، وكان اكليل جمال على هامة الجبل المقدس.

الهيكل الفخم

قبل ذلك بالف سنة تغنى صاحب المزامير باحسانات الله على اسرائيل اذ جعل مقدسهم مسكناً له فقال: ”كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون“، ”اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبه . وبنى مثل مرتفعات مقدسه“ (مزمور ٧٦ : ٢ ؛ ٧٨ : ٦٨ و ٦٩). لقد بُني الهيكل الاول في أوج نجاح شعب اسرائيل . وقد جمع الملك داود كنوزاً كثيرة جداً ونفائس عظيمة لهذا [28] الغرض، ووضعت رسوم البناء بالهام الهي (١ اخبار ٢٨ : ١٢ و ١٩). ثم أكمل ذلك العمل سليمان، أحكم ملوك اسرائيل . وكان هذا الهيكل افخم بناء شهده العالم. ومع ذلك فقد اعلن الرب على لسان حجي النبي قائلاً عن الهيكل الثاني: ” مجد هذا البيت الاخير يكون اعظم من مجد الاول “، ”أزلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فأم لأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود“ (حجي ٢ : ٩ و ٧).

بعدما اخرب نبوخذنصر الهيكل اعيد بناؤه قبل ميلاد المسيح بحوالي ٥٠٠ سنة، بناه شعب كانوا قد عادوا من سبيهم الطويل الامد ليجدوا بلادهم خربة وتكاد تكون مهجورة . وكان بينهم حينئذ اشياخ طاعنون في السن كا نوا قد رأوا مجد هيكل سليمان فراحوا يبكون عند وضع اساسات الهيكل الثاني اذ

رأوه احقر من البيت الاول وأقل شأن اً. وقد وصف النبي هذا الشعور الذي ساد الشعب بقوة قائلا: ”من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الاول وكيف تنظرونه الان أما هو في أعينكم كلا شيء“؟ (حجي ٢ : ٣؛ عزرا ٣ :١٢). ثم اعطاهم الوعد بان مجد هذا البيت سيكون اعظم من مجد الاول.

لكنّ الهيكل الثاني لم يكن مساوياً للاول في فخامته، كلا ولا تقدَّس بعلامات الحضور الالهي الظاهرة التي امتاز بها الهيكل الاول، ولم يكن هنالك مظهر للقوة الخارقة الفائقة الطبيعة يُميَّز به تكريس الهيكل الثاني . فما ملأت سحابة المجد ذلك المقدس المبني حديثاً، ولا نزلت نار من السماء لتأكل الذبيحة الموضوعة على المذبح، ولا عاد الشكينا يحل بين الكروبين في قدس الاقداس. ثم انه لا التابوت ولا كرسي الرحمة ولا لوحا الشهادة وُجدت في الهيكل. ولم يُسمع صوت آت من السماء معلناً للكهنة السائلين ارادة الرب. [29]

يتمجد بحضور المسيح

حاول اليهود عبثاً مدى قرون طويلة ان يروا في أي شيء تم وعد اه إياهم على لسان حجي. لكنّ الكبرياء وعدم الايمان أعميا اذهانهم حتى لا يفهمو ا معنى كلام النبي . ان الهيكل الثاني لم يُكرم بسحابة مجد الرب بل بالحضور الحي لذاك الذي فيه قد حل ملء اللاهوت جسدياً ـــ الذي كان هو ذات الله ظاهراً في الجسد . لقد اتى ”مشتهى كل الامم“ الى هيكله حقاً عندما كان رجل الناصرة يعلِّم ويشفي في أروقته المقدسة . ففي حضور المسيح، وفي هذا وحده، فاق الهيكل الثاني الاول مجد اً. لكنّ اسرائيل القى بعيداً منه عطية السماء المسداة اليه . فاذ خرج المعلم الوضيع في ذلك اليوم من باب الهيكل الذهبي رحل المجد عن الهيكل الى الابد . ولقد تم من قبل كلام المخلص القائل: ”هوذا بيتكم يترك لكم خراباً“ (متى ٢٣؛ ٣٨).

امتلأ التلاميذ دهشة ورهبة عندما سمعوا المسيح يتنبأ بخراب الهيكل، وكانوا يرغبون في معرفة معنى كلامه كام لاً. ففي مدة تزيد على الاربعين عاماً بذل اليهود بكل سخاء كل ما لديهم من مال وجهد ومهارة في فن العِمارة ليزيدوا من عظ مة الهيكل وبهائه وفخامته . واغدق هيرودس الكبير على الهيكل ثروة الرومان وكنوز اليهود، بل حتى الامبراطور سيد العالم نفسه وهبه الكثير من عطاياه الثمينة . لقد أُتي بكتل هائلة من الرخام الأبيض ذي الحجم الكبير من روما للمساهمة في بناء الهيكل وتزيينه . ووجّه التلامي ذ نظر المسيح معلمهم الى تلك الاحجار الضخمة قائلين له: ”يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الابنية“! (مرقس ١٣ : ١).

”متى يكون هذا“

وجواباً على هذا الكلام نطق يسوع بهذا القول المفزع الخطير قائ لاً: ”الحق اقول لكم لا يترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض“ (متى ٢٤ : ٢). [30]

خلط التلاميذ بين خراب اورشليم وحوادث مجيء المسيح الشخصي في مجد عالمي ليجلس على عرش امبراطورية العالم كله، ويعاقب اليهود غير التائبين، ويخلع عن اعناق الامة نير الرومان . كان الرب قد اخبرهم انه سيأتي ثانية، فلما ذكر احكامه التي سيوقعها على اورشليم اتجهت افكارهم الى ذلك المجيء . فاذ التفوا حول المخلص فوق جبل الزيتون سألوه قائلين: ”قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة

مجيئك وانقضاء الدهر" (متى ٢٤ : ٣).

لقد أُخفي المستقبل عن التلاميذ رحمة بهم . فلو ادركوا ادراكاً شاملاً في ذلك ا لحين تينك الحقيقيتين المخيفتين — أي آلام الفادي وموته، وخراب اورشليم وهيكلهم — لكان قد غمرهم رعب عظيم . لقد استعرض المسيح امامهم ملخصاً للاحداث العظيمة التي ستقع قبل انقضاد الدهر . ولم يفهموا كلامه فهماً كاملاً حينذاك، لكنّ معناه كان سيتضح اذ كان يجب ان يفهم شعب الرب التعليم والتوجيه المتضمَّنَين في كلام المسيح لشدة حاجتهم اليه . وكانت النبوة التي نطق بها يسوع ذات معنى مزدوج، ففي حين كانت ترمز الى خراب اورشليم كانت ايضاً رمزاً لاهوال اليوم الاخير العظيم.

اعلن يسوع تلاميذه المصغين الى حديثه الاحك ام والضربات الموشكة أن تنصب على شعب اسرائيل المرتدين، وعلى الخصوص الانتقام الجزائي الذي سيحيق بهم بسبب رفضهم مسيّا وصلبهم اياه .وستسبق ذلك العمل المخيف والعظيم الأهمية علامات لا تخطئ . وقد تجيء الساعة الرهيبة فجأة وبسرعة عظيمة. وحذر المخلص تابعيه قائلا: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال" (متى ٢٤ : ١٥ و ١٦ ؛ لوقا ٢١ : ٢٠ و ٢١). فعندما تُنصَب اعلام الرومان الوثنيين في الارض المقدسة التي كانت تمتد بضعة اميال خارج اسوار المدينة حينئذ كان على اتباع المسيح ان يهربوا لينجوا بانفسهم . ومتى شوهدت علامة الانذار كان يتحتم على طالبي النجاة الا يتأخروا او يتلكأوا في الهروب. وفي كل بلاد اليهودية كما في اورشليم نفسها كان يتعيّن اطاعة انذار [31] الهروب في الحال . فَمن يتفق وجودُه على الس طح وجب الاينزل ليأخذ من بيته شيئاً ولو كان كنزاً مشتهى غالي الثمن . والذين يعملون في الحقول أو الكروم لا يرجعون لاستعادة ثيابهم التي تركوها في بيوتهم ريثما ينتهون من عملهم في الحقول في حر النهار . يجب الا يترددوا أو يتباطأوا لحظة واحدة لئلا يحيق بهم الهلاك الشامل.

في اثناء ملك هيرودس لم تكن اورشليم مزينة جداً فقط، بل بنيت فيها الابراج والاسوار والحصون التي زادت موقعها مناعة فبدت قوية ومنيعة لا تقهر . ومَن كان ينبئ بخرابها في ذلك الحين كان يُعتبر، كما قد اعتبر نوح من قبل، رجلا مجنوناً مثيراً للفت ن ومختبل العقل . لكنّ المسيح قال: "السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى ٢٤ : ٣٥). فلاجل خطايا اورشليم الكثيرة أرسلت اليها نُذر الغضب، وبسبب اصرارها على عدم الإيمان خُتم على هلاكها فصار امراً محتوماً لا مفر منه.

لقد اعلن الرب على لسان ميخا النبي قائلاً: "اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوِّجون كل مستقيم . الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم . رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالاجرة وانبياؤها يعرفون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين اليس الرب في وسطنا لا يأتي علينا شر" (ميخا ٣ : ٩ — ١١).

هذا الكلام يصف بكل أمانة ودقة سكان اورشليم الفاسدين والابرار في اعين انفسهم . ففي حين كانوا يدَّعون انهم يحفظون وصايا الله وشريعته بكل تدقيق وصرامة كانوا في الحقيقة يتعدون كل مبادئه ا. لقد ابغضوا المسيح لان طهارته وقداسته كشفتا عن اثمهم، واتهموه بانه هو السبب في كل المتاعب والمصائب التي حاقت بهم جزاء لهم على خطاياهم . فمع علمهم واقتناعهم بانه منزه عن الخطيئة اعلنوا ان موته كان امراً لازماً لضمان سلامة الامة . فقد قال رؤساء اليهود: "ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وامتنا" (يوحنا ١١ : ٤٨). فلو ضُحي بالمسيح لأمكن ان يصبحوا امة قوية [32] متحدة من جديد . وأخذوا يتحاجون ثم اجمعوا على العمل بقرار رئيس كهنتهم انه خير لهم ان يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة كلها.

وهكذا نجد ان رؤساء اسرائيل " يبنون صهيون بالدماء واورشليم بالظلم " (ميخا ٣ : ١٠). ومع ذلك

ففي حين قتلوا مخلصهم لانه وبخ خطاياهم فقد جعلهم برهم الذاتي يعتبرون انفسهم شعب الله المختار المنعم عليه وانتظروا انه سينقذهم من اعدائهم . وهنا يستطرد النبي فيقول: "لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وتصير اورشليم خربا وجبل البيت شوامخ وعر" (ميخا ٣ : ١٢).

صبر اللّه

أخَّر الرب يوم حساب المدينة والامة ما يقرب من أربيعن سنة بعدما نطق المسيح بحكم الدينونة عليهم ا. وكان صبر اللّه على رافضي انجيله وقاتلي ابنه عظيماً ومدهشاً جد اً. ان مثل التينة العقيمة كان يمثل معاملة اللّه للامة اليهودية. لقد صدر الامر قائلا: " اقطعها. لماذا تبطل الارض ايضاً " (لوقا ١٣ : ٧). لكنّ رحمة اللّه أمهلتها وقتاً أطول . كان لا يزال يوجد بين اليهود جماعة جهلوا صفات المسيح وعمله . ولم تتح للابناء الفرصة، ولا اعطي لهم النور الذي قد رفضه آباؤهم . وعن طريق كرازة الرسل ورفاقهم قصد الله ان يشرق بنوره عليهم، وان يُسمح لهم بان يروا كيف تمت النبوات ليس فقط في ميلاد المسيح وحياته بل ايضاً في موته وقيامته . ولم تلحق بالابناء دينونة آبائهم، ولكن مع علمهم بكل النور المعطى لآبائهم فاذ رفضوا الم منوح لهم من جديد صاروا شركاء آبائهم في خطاياهم وملأوا مكيال اثمهم.

أمة استفحل شرها

ان صبر الله على اورشليم جعل اصرار الشعب على قساوة قلوبهم يزداد، فببغضهم تلاميذ يسوع وقسوتهم عليهم رفضوا آخر هبات الرحمة . حينئذ رفع الله [33] عنهم يده الحارسة الواقية،ورفع قوته الرادعة للشيطان وملائكته،وبذلك تُركت الامة تحت سيطرة القائد الذي اختارته لنفسه ا.لقد ركل بنوها نعمة المسيح، التي كان يمكنها ان تعينهم على اخضاع اهواء قلوبهم الشريرة، اما الآن فقد انتصرت عليهم تلك الأهواء .وأثار الشيطان أقسى شهوات نفوسهم وأحطه ا. لم يعد الن اس يركنون الى التعقل،اذ لم تبق لهم عقول،بل تحكمت فيهم الاهواء والغضب الاعمى . لقد امسوا كالشياطين في قسوتهم . ففي العائلة وفي الامة وبين اعلى الطبقات وادناها على السواء استشرى الشك والحسد والكراهية والخصام والتمرد وجرائم القتل . ولم يكن يوجد امان في اي مكان. فالاصدقاء والاقرباء كانوا يسلمون بعضهم بعض اً. ولقد ذبح الوالدون اولادهم كما ذبح الاولاد والديهم، ولم يستطع رؤساء اسرائيل ان يضبطوا انفسهم، فلقد جعلتهم انفعالات الغضب الجامحة قوماً طغاة . لقد رحَّب اليهود با لشهادات الكاذبة لإدانة ابن الله البار، والآن ها هي الاتهامات الكاذبة قد جعلت حياتهم تحت رحمة الاقدار وغير مضمونة. انهم بأفعالهم كانوا يقولون: "اعزلوا من امامنا قدوس اسرائيل" (اشعياء ٣٠ : ١١). والآن ها هم يجابون الى طلبهم . فما عاد خوف الله يزعجهم، وصار الشيطان على رأس تلك الامة، وخضعت لسلطانه أعلى السلطات المدنية والدينية.

في بعض الاحيان كان رؤساء الاحزاب المتعادية يتفقون على نهب ضحاياهم التعساء وتعذيبهم، وبعد ذلك كانت قواتهم ترتد بعضها على بعض، فيذبح احدهم الآخر من دون رحمة . بل حتى قدسية الهيكل لم تكن كافية لردعهم عن أعمالهم الوحشية الرهيبة . فقد كان العابدون يسقطون صرعى امام المذبح، وهكذا تنجس المقدس بجثث القتلى . ومع ذلك فان مرتكبي تلك الجرائم الجهنمية، في عماهم وتجديفهم وغطرستهم، اعلنوا على الملأ انهم لا يخشون على اورشليم من الهلاك لأنها مدينة الله الخاصة . ولكي

يثبتوا سلطانهم اعطوا بعضَ الانبياء الكذبة رشوةً ليعلنوا، حتى في الوقت الذي كانت فيه جيوش الرومان تحاصر الهيكل، ان الشعب يجب ان ينتظر خلاص الله . والى النهاية ظلت جماهير [34] كثيرة من الشعب متمسكة بالاعتقاد ان الله العلي سيتدخل ويهزم خصومهم.لكنّ شعب اسرائيل كانوا قد رفضوا حماية الله، والآن فلا يوجد ملجأ يعتصمون به . ما اشقاك يا اورشليم ! انها اذ مزقتها الفتن الداخلية جرت دماء بنيها القتلى في الشوارع ناحراً احدهم الآخر، في حين اسقطت جيوش الاعداء استحكاماتها وقتلت رجال الحرب فيها!

اقوال المسيح تتم

لقد تمت، حرفياً، كل النبوات التي تنبأ بها المسيح عن خراب اورشليم، وتحقق اليهود من صدق انذاره القائل: "بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم" (متى ٧ : ٢)

ولقد ظهرت آيات وعجائب منبئة بالكوارث والهلاك . ففي منتصف الليل اضاء نور غير طبيعي على الهيكل والمذبح . وفي السحاب عند الغروب كانت تُرى صور مركبات ورجال حرب مصطفين للقتال . والكهنة الذين كانوا يخدمون ليلاً في الهيكل ارتعبوا لدى سماع اصوات غامضة، كما ارتجت الارض وسُمعت اصوات كثيرة قائلة: "لنرحل من هنا"، والباب الشرقي الهائل الذي كان ثقيلاً جداً بحيث ان عشرين رجلا كانوا يوصدونه بشق النفس والذي كان مثبتاً بمصاريع ومتاريس قوية مثبتة في الارض الصخرية، انفتح في منتصف الليل بيد غير منظورة (١)

وطوال سبع سنين ظل رجل يذرع شوارع اورشليم صعوداً ونزولاً معلناً الويلات المزمعة ان تنقض على المدينة، ففي النهار والليل كان ينشد بصوت حزين هذه المرثاة قائلا: "صوت من الشرق، ص وت من الغرب، صوت من الرياح الإربع! صوت ضد اورشليم وضد الهيكل ! صوت ضد العريس والعروس ! صوت ضد الشعب كله!" وقد أُلقي بذلك الرجل الغريب الاطوار في السجن وجُلد، ولكن لم تخرج من بين شفتيه كلمة تذمر او شكوى، ولم يرد على الشتائم والإهانات [35] بغير هذا القول: " ويل ويل لاورشليم، وويل ويل لسكانها!" ولم يكفّ ذلك الرجل عن تقديم انذاراته حتى قُتل في الحصار الذي كان قد انبأ به.

نجاة المسيحيين

ولكن لم يهلك احد من المسيحيين عند خراب اورشليم . كان المسيح قد انذر تلاميذه، فكل من آمنوا بكلامه جعلوا يترقبون العلامة الموعود به ا. فلقد قال يسوع: "ومتى رأيتم اورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابه ا. حينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال. والذين في وسطها فليفروا خارجاَ" (لوقا ٢١ : ٢٠ و ٢١). فبعدما حاصر الرومان المدينة بقيادة سستيوس فكوا الحصار على غير انتظار عندما كان كل شيء يبشر بهجوم ناجح . وإذ يئس المحاصَرون من المقاومة الناجحة كانوا على وشك التسليم، فاذا بالقائد الروماني ينسحب على رأس جيشه من دون سبب ظاهر . لكنّ عناية الله الرحيمة كانت تسيِّر الحوادث لخير شعبه . فقد أعطي المسيحيون المنتظرون العلامة الموعود بها، واتيحت الفرصة الآن لكل من يريدون ان يطيعوا انذار المخلص. وقد تسلط الله على الاحداث بحيث لم يمنع اليهود

او الرومان جماعة المسيحيين من الهروب . واذ ارتد القائد سستيوس خرج اليهود من اورشليم يطاردون الجيش الروماني . وعندما التحم الجيشان كانت لدى المسيحيين فرصة لترك المدينة . وفي هذا الوقت لم يكن في الارياف اعداء يعترضون طريق اولئك الهاربين . وفي وقت الحصار اجتمع اليهود في اورشليم لاحياء عيد المظال، وهكذا استطاع المسيحيون، في طول البلاد وعرضها، ان يهربوا، من دون ان يزعجهم احد، الى مكان امين مدينة بيلا في ارض بيرية في عبر الاردن. [36]

يواصلون المقاومة

ان قوات اليهود التي تطارد سستيوس وجيشه هجمت على مؤ خرة ذلك الجيش بوحشية عظيمة بحيث تهددوهم بالفناء التام . وبصعوبة عظيمة امكن الرومان ان يتقهقروا. اما اليهود فقد نجوا بلا خسارة تُذكر، ثم عادوا الى اورشليم منتصرين وهم يحملون غنيمتهم . لكنّ هذا النجاح الظاهري لم يجلب لهم غير الشر، فقد ملأهم ذلك الفوز بروح الاصرار على المقاومة العنيفة للرومان، مما جلب على تلك المدينة المقضي عليها ويلات مروِّعة وسريعة.

عندما استأنف تيطس الحصار حلت باورشليم كوارث هائلة . وقد وقع الحصار على المدينة في ايام عيد الفصح عندما كان ملايين من الشعب مجتمعين داخل اسوارها. غير ان مخازن المؤونة التي كانت في حوزتهم والتي لو حرصوا عليها لكانت تكفيهم عدة سنين، كانت قد اتلفت بسبب حسد رجال الاحزاب المتنازعين وانتقاماتهم المتبادلة . والآن الناس يجوزون في كل اهوال المجاعة المخيفة، فقد بيع مكيال القمح بوزنة من المال . وكانت وخزات الجوع على الناس شديدة بحيث انهم كانوا يقضمون مناطقهم الجلدية ونعالهم وأغطية دروعهم . وكثيرون من الناس كانوا يتسللون الى خارج الاسوار تحت ستار الظلام ليجمعوا النباتات البرية النامية خارج الاسوار، لكنّ كثيرين منهم قُبض عليهم وقتلوا بعد عذابات شديدة، والذين عادوا اغتُصب منهم في غالب الأحيان ما جمعوه بعد تلك المخاطرة العظيمة . ثم ان ذوي السلطان كانوا يوقعون عذابات وحشية رهيبة بالناس الذين عضهم الفقر بنابه لكي يغتصبوا مؤونتهم القليلة التي اخفوها. وكانوا في غالب الأحيان يلجأون الى ضروب القسوة هذه، مع انهم كانوا قوماً شباعى، وكان همهم ان يختزنوا المؤونة للايام اللاحقة.

هلكت آلاف الانفس بالجوع والوباء . وقد بدا كأن المحبة الطبيعية قد انتزعت وتلاشت. فلقد سلب الازواج زوجاتهم والزوجات ازواجهن . وكان الأولاد يختطفون الطعام من أفواه والديهم الطاعنين في السن . والسؤال الذي ألقاه النبي حين [37] قال: ”هل تنسى المرأة رضيعها“ وجد له جواباً في داخل اسوار تلك المدينة المقضي عليها بالهلاك: ”ايادي النساء الحنائن طبخت اولادهن. صاروا طعاماً لهن في سحق بنت شعبي“ (اشعياء ٤٩ : ١٥ ؛ مراثي ٤ : ١٠). وكذلك تم انذار النبوة المعطى قبل ذلك باربعة عشر قرناً وهو الذي يقول: ”المرأة المتنعمة فيك والمترفهة التي لم تجرب ان تضع اسفل قدمها على الارض للتنعم والترفه تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وبنتها ... وبأولادها الذين تلدهم لا نها تأكلهم سراً في عوز كل شيء في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك في ابوابك“ (تثنية ٢٨ : ٥٦ و ٥٧).

هلاك تام

لقد حاول قواد الرومان ان يوقعوا الرعب في قلوب اليهود، وهكذا يجعلونهم يستسلمون . والاسرى الذين قاوموا عندما اسروا جُلدوا وعذبوا وصلبوا امام سور المدينة . وكان مئات من الشعب يقتلون على هذا النحو كل يوم، وظل ذلك العمل المخيف جارياً حتى لقد نصبت صلبان في كل وادي يهوشافاط وفي جلجثة بكثرة عظيمة بحيث غدا السير بين تلك الصلبان متعذراً. فاللعنة التي نطقوا بها امام كرسي ولاية بيلاطس حين قالوا: "دمه علينا وعلى اولادنا" (متى ٢٧ : ٢٥) حلت بهم بطريقة مرعبة جداً.

كان تيطس يرغب كل الرغبة في ان يضع حداً لتلك المشاهد المخيفة، وهكذا ينحّي عن اورشليم كأس الهلاك فلا تشربه حتى الثمالة .وامتلأ قلبه رعباً عندما رأى أكواماً من الجثث في الاودية .وكمن هو ذاهل العقل تطلع من اعلى جبل الزيتون الى الهيكل الفخم الجميل وامر بالا يمس حجر من احجاره .وقبل ان يحاول امتلاك هذا الحصن التمس بحرارة من رؤساء الهيود ألا يجبروه على تدنيس ذلك المقدس بالدماء .فاذا خرجوا للحرب في اي مكان آخر فلن يمس [38] روماني واحد ذلك الهيكل او ينتهك حرمته . ثم ان يوسيفوس نفسه توسل اليهم بكل فصاحة وقوة اقناع ان يستسلموا، وبذلك ينقذون انفسهم ومدينتهم ومعبدهم. لكنّ جوابهم على كل ذلك كان اللعنات المرة . وفيما كان يوسيفوس، وسيطهم البشري الاخير، واقفاً يتوسل اليهم كانوا هم يصوبون اليه سهامهم . لقد رفض اليهود توسلات ابن الله، والآن فها كل الاعتراضات والتوسلات تزيدهم اصراراً على المقاومة الى النهاية . وعبثاً بذل تيطس مساعيه وجهوده لانقاذ الهيكل، فان شخصاً اعظم منه قد اعلن انه لن يُترك فيه حجر على حجر.

هذا، وان عناد رؤساء اليهود الاعمى والجرائم الكريهة التي ارتكبت في داخل اسوار تلك المدينة المحاصرة أثارت رعب الرومان وغضبهم . واخيرًا قرر تيطس الاستيلاء على الهيكل با لهجوم عليه . ومع ذلك فقد عزم انه بقدر الامكان ينبغي ان يُحفظ الهيكل من الدمار . لكنّ اوامره اهملت. فبعدما اوى الى خيمته ليلاً خرج اليهود من الهيكل وهاجموا الجنود في الخارج . وفي اثناء الهجوم القى احد الجنود الرومان جمرة مشتعلة من النار في الهيكل من خلال فتحة، فاشتعلت النار في الحال في كل حجرات الهيكل المبطنة بخشب الارز . فاندفع تيطس الى هناك يتبعه قواده وجنوده وامر بان يطفئوا لهيب النار، لكنّ اوامره اغفلت اذ انّ اولئك الجنود في حُمُوّ غضب هم القوا بشعلات نار في الحجرات المجاورة للهيكل ثم قتلوا بحد السيف اليهود الذين جاءوا ليحتموا فيه . وقد جرت الدماء على درج الهيكل كالماء، وهلك من اليهود آلاف فوق آلاف . وفوق ضجيج المعركة سُمعت اصوات تصيح قائلة "ايخابود" ـــ زال المجد.

مشهد مرعب

يقول ملمان في كتابه المسمى تاريخ اليهود،المجلد السادس عشر: "لقد وجد تيطس انه يستحيل عليه ان يوقف غضب جنوده عند حده، فدخل في [39] صحبة ضباطه وعاين ذلك ا لهيكل المقدس من الداخل . وقد ملأهم جلاله وبهاؤه دهشة، واذ لم تكن النيران قد نفذت الى القدس بذل تيطس آخر جهد لانقاذه، فوثب الى الأمام وأمر جنوده مرة أخرى ان يوقفوا تقدم الحريق . وقد حاول ليبراليس قائد المئة ان يرغم الجنود على الطاعة اذ أبرز قضيب رتبته امامهم، ولكن حتى إحترام الامبراطور سقط أمام حقد الرو مان الشديد على اليهود، مما زاد من هول المعركة، ومن النهم الى السلب والنهب . وقد رأى الجنود كل ما حولهم يتلألأ في بريق الذهب الذي كان يخطف الابصار بلمعانه على ضوء اللهيب المشتعل، فظنوا ان كنوزاً لا تحصى مخبوءة في المقدس. واذ بجندي لم يلحظه احد يدخل ويقذف بمشعل ملتهب من فتحة في الباب،

فاشتعلت فوراً النار في كل البناء . واضطر الجنود ان يتراجعوا امام وهج النار والدخان الذي كاد يعميهم، وهكذا ترك ذلك البناء الفخم الى مصيره.

”كان منظرا مرعباً للرومان، فما عساه يكون لليهود ! كل قمة التل المشرف على المدينة اشتعلت كالبركان . وقد انهارت وتهدمت المباني واحد في اثر الآخر بصوت تحطيم هائل، فابتلعتها الهوة المشتعلة بالنار . والسقوف المصنوعة من خشب الارز كانت تشبه الواحاً من اللهب . والابراج المموهة بالذهب اضاءت في هيئة حراب من النور الاحمر . والابراج المقامة على الأبواب قذفت الى أعلى أعمدة من اللهب والدخان، فأنار ذلك الحريق التلال المجاورة . وكانت توجد جماعات من الناس ملتحفة بالظلام ترقب في جذع عظيم تقدم النار والخراب . وامتلأت الاسوار والمرتفعات بوجوه بعضها شاحب من فرط اليأس، والبعض الآخر جَهِم لعدم جدوى الانتقام. هذا وان صيحات جنود الرومان وهم يروحون ويجيئون، وزعقات الثوار الذين كانتِ تلتهمهم النيران اختلطت بحسيس الحريق وازيز الاخشاب الم حترقة المتساقطة كهزيم الرعد . وقد رددت الجبال صدى نشيج الشعب من فوق المرتفعات . وعلى طول الاسوار كان يُسمع الجؤار والعويل والضوضاء . والناس الذين كانوا موشكين على الموت جوعاً استجمعوا ما تبقى في اجسامهم من قوة ليطلقوا صرخات حزن وعذاب. [40]

”كانت المذبحة التي في الداخل اشد ولاً من المنظر في الخارج . فالرجال والنساء، والكبار والصغار، والثوار والكهنة، والذين كانوا يحاربون والذين كانوا يتوسلون ويسترحمون ... الجميع قتلوا بحد السيف في مذبحة عامة بلا تمييز . وكان عدد القتلى يربو على عدد قاتليهم . وكان على جنود الرومان ان يتسلقوا فوق اكوام جثث القتلى ليقتلوا الاحياء الباقين“ (٢).

وبعد خراب الهيكل سقطت المدينة كلها في ايدي الرومان . وقد هجر رؤساء اليهود الابراج المنيعة فوجدهم تيط س منفردين، فتفرس فيهم في ذهول وأعلن لهم ان الله قد اسلمهم اليه، لان آلات الحصار، مهما بلغت فعاليتها، كانت عاجزة عن دك تلك التحصينات الهائلة . ان المدينة والهيكل قد قُوِّضا كلاهما حتى اساساتهم ا. والارض التي كان ذلك البيت المقدس مقاماً عليها ”تفلح كحقل“ (ارميا ٢٦ : ١٨). وفي الحصار والمذبحة التي تلت ذلك هلك اكثر من مليون نفس من الشعب، والذين بقوا احياء اقتيدوا اسرى او بيعوا عبيداً او سيقوا الى روما ليزينوا موكب احتفال القائد الفاتح،او طرحوا للوحو ش في المدّرجات الرومانية أو تشتتوا وهاموا على وجوههم كجوَّابين لا وطن لهم في كل بلدان العالم.

مدينون للمسيح

ان اليهود هم الذين صنعوا اغلالهم التي كُبلوا بها، وهم الذين ملأوا لانفسهم كأس النقمة . ففي الهلاك الشامل الذي حل بهم كأمة، وفي كل الويلات التي لا حقتهم في شتاتهم، انما كانوا يحصدون العاصفة بعد ان زرعوا الريح بأيديهم . يقول النبي: ”هلاكك منك يا اسرائيل“ (هوشع ١٣ : ٩) ـــ ترجمة سنة ١٨٧٨ ـــ ”لانك قد تعثرت باثمك“ (هوشع ١٤ : ١). ان آلامهم تصوَّر في غالب الاحيان كقصاص وقع عليهم بقضاء الله المباشر . وعلى هذا النحو يحاول المخادع الاعظم ان يخفي عمله . فاليهود اذ رفضوا محبة الله ورحمته في اصرار خرجوا من تحت كنف حماية الله وحراسته، وسُمح [41] للشيطان بان يحكم عليهم كما يشاء . وأعمال القسوة والوحشية التي ارتكبت في خراب اورشليم هي مظ هر من مظاهر قوة الشيطان الانتقامية ضد من يخضعون لسلطانه.

لا يمكننا ان نعرف كم نحن مدينون للمسيح لقاء السلام والحماية اللذين ننعم بهم ا. ان قوة الله الرادعة

هي التي تحول بين الناس وخضوعهم التام لسلطان الشيطان . والعصاة وغي ر الشاكرين لديهم سبب عظيم لشكر الله على رحمته وصبره في حجز قوة الشرير القاسية الخبيثة وضبطه ا. ولكن عندما يتجاوز الناس حدود صبر الله واحتماله فان ذلك الرادع يُزال . ان الله لا يقف من الخاطئ موقف منفذ الحكم ضد العصيان، ولكنه يترك رافضي رحمته لانفسهم ليحصدوا ما قد زرعوه . فكل شعاع من اشعة النور الذي يُرفض، وكل انذار يزدرى به او يهمل، وكل شهوة ينغمس فيها الانسان، وكل مخالفة لشريعة الله انما هي بذرة تُزرع ولا بد لها من حصاد مضمون واكيد . والخاطئ اذ يقاوم رو ح الله بكل اصرار لا بد ان يفقده في النهاية، وحنيئذ لن تكون هنالك قوة لتضبط اهواء النفس الشريرة، ولن يكون هنالك واقٍ من مكايد الشيطان وعداوته . وماخراب اورشليم سوى انذار خطير مخيف لكل من يستخفون بهبات النعمة الالهية وكل من يقاومون توسلات رحمة الله . ولم يُعرف من قبل شهادة حاسمة على كراهية الله للخطيئة وعلى القصاص الاكيد الذي لا بد ان يحل بالمذنب كتلك التي يوفرها خراب اورشليم.

ان نبوة المخلص عن افتقاد الله اورشليم بالدينونة سيكون لها اتمام آخر كان ذلك الخراب رمزاً باهتاً له وضئيلا . ففي القضاء العادل الذي حل بالمدينة المختارة يمكننا ان نرى الدينونة الهائلة التي ستحل بالعالم الذي رفض رحمة الله وداس شريعته . فانباء الشقاء البشري الذي شهدته الارض مدى عصور الجريمة الطويلة مظلمة قاتمة السواد . والقلب يشمئِز ويسأم والعقل يخور لدى التأمل في ذلك . لقد كانت عواقب رفض سلطان السماء وخيمة جداً، لكنّ منظرًا اشد ظلاماً يُعرض أمامنا في اعلانات المستقبل الموحى به ا. ان سجلات الماضي [42] ـــ ذلك الموكب الطويل،موكب الشغب والمعارك والثورات: ”كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء“ (اشعياء ٩ : ٥) ـــ ليست شيئا في مقابل اهوال ذلك اليوم عندما تنسحب قوة روح الله الرادعة بعيداً من الأشرار إنسحاباً كاملاً ولا تعود توقف إنفجار الشهوات البشرية والغضب الشيطاني ! فسيرى العالم حينئذ، اكثر من اي وقت مضى، نتائج حكم الشيطان.

ولكن في ذلك اليوم، وكما كانت الحال عند خراب اورشليم، سينجو شعب الله، كل من يوجد مكتوباً في سفر الحياة وكل من كُتب للحياة (اشعياء ٤ : ٣) لقد اعلن المسيح انه سيأتي ثانية ليجمع عبيده الامناء لنفسه: ”حينئذ تنوح جميع قبائل الارض ويبصرون ابن الانسان آتياً علىسحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من اقصاء السموات الى اقصائه ا“ (متى ٢٤:٣٠ و ٣١). وكل من لا يطيعون الانجيل سيبيدهم الرب بنفخة فمه ويبطلهم بظهور مجيئه (٢ تسالونيكي ٢ : ٨). فكما كانت الح ال مع اسرائيل قديماً نرى ان الاشرار يُهلكون انفسهم ويتعثرون باثمهم. فحياة الخطيئة التي عاشوها جعلتهم في حالة عدم توافق مع الله، وقد انحطت طبائعهم بالشر الى حد ان اعلان مجده سيكون ناراً آكلة لهم.

الرب يحذرنا

اذاً فليحترس الناس لئلا يهم لوا الدرس الذي تحمله اليهم كلمات المسيح. فكما انذر تلاميذه بخراب اورشليم معطياً اياهم علامة عن الخراب المقبل لكي يهربوا، هكذا هو قد أنذر العالم بيوم الهلاك الاخير وأعطى الناس علامة قدوم ذلك الهلاك، حتى يستطيع كل من يريد الهروب ان يهرب من الغضب الآتي . ويسوع يعلن قائلا: ”وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كرب“ (لوقا ٢١ : ٢٥ ؛ متى ٢٤ : ٢٩ ؛ مرقس ١٣ : ٢٤ ـــ ٢٦ ؛ رؤيا ٦ : ١٢ ـــ ١٧). [43] فاولئك الذين يرون نُذر مجيئه

يعلمون: "انه قريب على الابواب" (متى ٢٤ : ٣٥). وهو يحذرنا قائلا: "اسهروا اذاَ" (مرقس ١٣: ٣٣). فالذين ينتبهون الى الانذار لن يُتركوا في الظلام ليدركهم ذلك اليوم على حين غرة. أما لاولئك الذين لا يسهرون فان: "يوم الرب كلص في الليل هك ذا يجيء" (١ تسالونيكي ٥ : ٢ — ٥).

ليس العالم في هذه الايام اكثر استعدادًا لتصديق هذه الرسالة مما كان اليهود مستعدين لقبول انذار المسيح عن اورشليم . وفي اي وقت يجيء يومُ الله سيفاجئ الاثمة الفجار . فاذ تسير الحياة على وتيرة واحدة، وحين يكون الناس منغمسين في لذائذهم واعمالهم وتجارتهم وجمع المال واكتناز الثروة، وحين يمجد القادة الدينيون تقدم العالم وتنوُّره ويهجع الناس في طمأنينة كاذبة حينئذ ينسل الهلاك كلص نصف الليل الذي يسرق البيوت غير المحروسة ويفاجيء المهملين والاثمة "فلا ينجون" (١ تسالونيكي ٥ : ٣). [44]

الفصل الثاني ـــ الاضطهاد في القرون الوسطى

عندما اعلن يسوع لتلاميذه عن مصير اورشليم ومشاهد مجيئه الثاني انبأهم ايضاً باختبار شعبه منذ اليوم الذي فيه يؤخذ من بينهم الى يوم مجيئه ثانية بقوة ومجد كثير لانقاذهم . ومن فوق جبل الزيتون شاهد المخلص العواصف المزمعة ان تهب على الكنيسة الرسولية، واذ اخترق ببصره حجب المستقبل شاهد الاعاصير العنيفة المدمرة التي ستهاجم تابعيه في العصور المقبلة، عصور الظلام والاضطهاد . وفي كلمات مختصرة ذات معنى مخيف أنبأهم بالنصيب الذي سيكيله رؤساء هذا العالم لكنيسة الله (متى ٢٤ : ٩ و ٢١ و ٢٢). فعلى أتباع المسيح ان يسلكوا طريق الاتضاع والعار والألم نفسه الذي سار فيه سيدهم . فالعداوة التي هوجم بها فادي العالم ستهاجم كل من يؤمنون باسمه.

شهد تاريخ الكنيسة الاولى على تأكيد اقوال المخلص واتمامها وصدقه ا. فقوات الارض والجحيم اصطفت ضد المسيح في شخص اتباعه وتلاميذه . لقد سبق للوثنية ان رأتْ انه لو انتصر الانجيل فستزول هياكلها ومذابحها وتدول دولتها، ولذلك استجمعت كل قواتها وحشدت جيوشها لملاشاة المسيحية، واشعلت ضدها نيران الاضطهاد .فجُرد المسيحيون من املاكهم وسُلبت أموالهم من بيو تهم وأوطانهم . لقد صبروا "على مجاهدة آلام كثير" [45] (عبرانيين ١٠ : ٣٢). وقد "تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود ايضاً وحبس" (عبرانيين ١١ : ٣٦)، وكثيرون منهم ختموا شهادتهم بدمهم . فالسادة منهم والعبيد، الاغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء قُتلوا جميعاً من دون رحمة.

هذه الاضطهادات التي بدأت في اثناء حكم نيرون قُبَيل استشهاد بولس ظلت رحاها تدور امدا طويلا، تشتد احيانا وتخف اخرى، وقد ظلت نارها مشتعلة قرون ا. لقد اتهم المسيحيون كذبا بجرائم مخيفة، وأعلن أنهم السبب في كل الكوارث العظيمة، كالمجاعات والأوبئة والزلازل .واذ صاروا هدفا لكراهية الجماهير وإرتيابهم فقد وقف الوشاة مستعدين لتسليم أولئك الأبرياء للموت طمعاً في الربح القبيح والحصول على المال الملوث بالدماء الزكية . وقد حُكم علىهم بأنهم متمردون و ثائرون على حكم الامبراطورية وانهم اعداء الدين وآفات المجتمع . وقد طُرح عدد غفير منهم للوحوش الكاسرة أو أحرقوا أحياء في مدرَّجات الألعاب العامة وساحاتها. وقد صُلب غيرهم، وآخرون ألبسوا جلود وحوش ضارية وطرحوا طرائد للكلاب الوحشي ة. وكان قصاصهم وتعذيبهم فرصة لتسلية الجماهير وإلهائهم كما لو كانوا يحتلفون بعيد من أعيادهم . ولقد اجتمع جماهير غفيرة لكي يمتعوا أنظارهم بتلك المشاهد، وكانوا يستقبلون عذابات اولئك الشهداء بالضحك والتصفيق.

وأنّى ذهب أتباع المسي ح بحثا عن ملجأ يلوذون به كان أعداؤهم يتصيدونهم كما لو كانوا وحوشا ضارية . ولقد اضطروا الى الاختباء في أماكن موحشة منعزلة "معتازين مكروبين مذلين . وهم لم يكن العالم مستحقا لهم . تائهين في براريَّ وجبالٍ ومغايرَ وشقوقِ الارض" (عبرانيين ١١ : ٣٧ و ٣٨). والتجأ الى السراديب آلاف منهم . وقد نُقرت في قلب الارض والصخر دهاليز طويلة تحت التلال خارج مدينة روم ا. وأمتد هذا التيه المظلم المعقد من الممرات مسافة أميال طويلة خارج أسوار المدينة . وفي هذه المعتكفات التي تحت الارض كان تلاميذ المسيح يدفنون موتاهم، وفيها كانوا يجدون مسكنا لهم عندما

كانت تحوم حولهم الشبهات ويُحكم عليهم بالنفي . وعندما يقيم المعطي الحياة اولئك الذين [46] قد جاهدوا الجهاد الحسن فسيخرج من تلك المقابر المظلمة كثيرون ممن قد استشهدوا لأجل المسيح.

ايمان شهود الرب

ظل اولئك الشهود محتفظين بايمانهم طاهرا نقيا تحت أقسى الاضطهادات. ومع أنهم حُرموا من كل اسباب الراحة والعزاء ونُفوا بعيدا من نور الشمس وعاشوا في جوف الارض المظلمة الحبيبة اليهم فانهم لم ينطقوا بكلمة تذمر أو شكوى، بل كانوا يشجعون بعضهم بعضا بكلمات الايمان والصبر والرجاء على احتمال العوز والضيق . أن خسارة كل الخيرات الأرضية لم تجبرهم على أن يجحدوا ايمانهم بالمسيح . فلقد كانت التجارب والاضطهادات خطوات قرَّبتهم من راحتهم وثوابهم.

وكغيرهم من عبيد الله في القديم، كثيرون منهم "عُذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل" (عبرانيين ١١ : ٣٥). هؤلاء ذكروا أقوال سيدهم وهي أنهم حين يضطهدهم الآخرون لأجل المسيح فليفرحوا ويتهللوا لأن أجرهم عظيم في السموات لأن اولئك هكذا طردوا واضطهدوا الأنبياء الذين قبلهم .لقد تهللوا وفرحوا لأنهم حُسبوا مستأهَلين لأن يتألموا من أجل الحق،ومن وسط لهب النيران التي كانت تكوي أجسامهم وتلتهمها كانوا ينشدون أناشيد الانتصار . واذ كانوا يشخصون الى السماء بايمان كانوا يرون المسيح والملائكة يطلون من شرفات مسكن المجد وهم ينظرون اليهم باهتمام عظيم ويثنون على ثباتهم . وقد جاء من عرش الله صوت يقول لهم: "كن أمينا الى الموت فسأعطيك أكليل الحياة" (رؤيا ٢ : ١٠).

ولكن عبثا حاول الشيطان أن يهلك كنيسة المسيح أو يخربها بواسطة العنف. أن الصراع الهائل الذي فيه ضحى تلاميذ يسوع بحياتهم لم يتوقف عندما سقط حاملو الاعلام الامناء اولئك في مواقفهم . بل انتصروا بهزيمتهم. لقد قُتل العاملون في كرم الرب لكنّ عمله ظل سائرا الى الامام بثبات. وقد انتشر الانجيل [47] [48] وزاد عدد معتنقي تعاليمه . وتغلغل في اقاليم لم يتسنَّ حتى لأعلام روما وجيوشها ان تدخلها. أن أحد المسيحيين اذ كان يحاج الحكام الوثنيين الذين عزموا على مواصلة اضطهاد قطيع الرب قال: "يمكنكم أن تدينونا وتعذبونا وتقتلونا... ان ظلمكم لنا هو خير برهان على براءتنا. ولن تجديكم القسوة فتيلا". لقد كانت تلك القسوة قوة أعظم لاقناع الآخرين بتعاليم المسيحيين. ثم عاد ذلك الرجل يقول: "وكلما جززتمونا زاد عددنا. ان دم المسيحيين هو البذار" (٣).

وقد ألقي الوف منهم في السجون ثم قُتلوا، ولكن قام من رمادهم آخرون ليملأوا الفراغ الذي حدث بموتهم . والذين استشهدوا لأجل ايمانهم حُفظوا للمسيح، وقد حسبهم منتصرين . لقد جاهدوا الجهاد الحسن وسيعطَون اكليل المجد عند مجيء المسيح . ومثالهم الحي واستشهادهم كانا شهادة دائمة للحق . وعلى غير انتظار ترك عبيد الشيطان خدمته وانضووا تحت لواء المسيح.

ولهذا دبر الشيطان خططه ليخوض حربا اكثر نجاحا من حربه السابقة ضد حكم الله، بأن نصب رايته في وسط كنيسة المسيح . فاذا أمكن التغرير بأتباع المسيح فانساقوا الى إسخاط الله فحينئذ ستخور قواهم ويخذلهم جلدهم وثباتهم وسيسقطون فرائس سهلة المنال.

والآن فها هو الخصم العظيم يحاول أن يكسب بالحيلة ما أخفق في الحصول عليه بالعنف . فزال الاضطهاد وحلت في مكانه الاغراءات الخطرة،اغراءات النجاح المادي والمجد الباطل . وقد بدأ الوثنيون يقبلون جانبا من الايمان المسيحي، رافضين في الوقت نفسه الحقائق الجوهرية الأخرى . لقد أقروا بأنهم

يقبلون يسوع كابن الله ويؤمنون بموته وقيامته ولكن لم يكن في قلوبهم تبكيت على الخطية ولم يحسوا بحاجتهم الى التوبة او تغيير قلوبهم . واذ أبدو ا بعض التنازلات من جانبهم اقترحوا أن يتنازل المسيحيون عن بعض مبادئهم حتى يقف الجميع متحدين على مستوى واحد هو الايمان بالمسيح. [49]

هنا وقعت المسيحية في خطر مخيف . ان السجن والتعذيب والنار والسيف كانت بركة عظيمة بالمقارنة مع هذ ا. لقد ظل بعض المسيحيين ثابتين، و أعلنوا انهم لا يستطيعون أن يعقدوا صلحا، بينما انحاز آخرون الى جانب التسليم وتحوير بعض مبادئ المسيحية، محتجين بأن هذا سيكون وسيلة لاهتدائهم الكامل . كان ذلك وقتَ كرب شديد لأتباع المسيح الأمناء . لقد بدأ الشيطان يتسلل الى الكنيسة تحت ستار المسيحية الكاذبة، ليف سد ايمان المسيحيين ويحول افكارهم عن كلمة الحق.

اخيرا رضي معظم المسيحيين بأن يخفضوا مبادئهم فاتحدت المسيحية بالوثنية. ومع أن عبدة الأوثان أقروا بأنهم اهتدوا وانضموا الى الكنيسة، فقد ظلوا متعلقين بوثنيتهم، مكتفين بتبديل موضوع عبادتهم بتماثيل للمسيح وحتى للعذراء والقديسين . وإذ أدخلت هذه الخميرة الفاسدة على هذا النحو الى داخل الكنيسة استمرت تعمل عملها الوبيل . ولقد تغلغلت في ايمان الكنيسة وعباداتها العقائد الفاسدة والشعائر الخرافية والطقوس الوثنية . واذ اختلط اتباع المسيح بعبدة الاوثان فسد الدين المسيحي وجُردت الكنيسة من طهارتها وقوتها. ومع ذلك فقد بقي بعضٌ ممن لم ينقادوا وراء تلك الضلالات،وظلوا محتفظين بولائهم لمبدع الحق، فكانوا يعبدون الله وحده.

فريقان في الكنيسة

كان يوجد دائما فريقان بين من أقروا بأنهم اتباع المسيح . ففي حين أن فريقا منهما كان يدرس حياة المخلص ويجتهد في اصلاح نقائصه والتشبه بمثال يسوع، فان الفريق الثاني كان ينبذ الحقائق الواضحة العملية التي تفضح ضلالاتهم. هذا، وأن الكنيسة حتى وهي في أحسن حالاتها لم يكن كل اعضائها من الامناء والاطهار المخلصين . لقد علّم المخلص أن من يتعمدون الا نغماس في الخطية ينبغي الا يُقبلوا في الكينسة، ومع ذلك فقد ضم اليه رجالا مخطئين ومنحهم فوائد تعاليمه ومثاله حتى تكون لديهم فرصة فيها يكتشفون [50] اخطاءهم ويصلحونه ا. فقد كان يوجد خائن بين الاثني عشر . لقد قُبل يهوذا ليس بسبب اخطائه بل ع لى رغمه ا. انضم الى التلاميذ حتى عن طريق تعاليم المسيح ومثاله يتعلم ما هي عناصر الخُلق المسيحي، وهذا يقود الى اكتشاف اخطائه والتوبة عنها وبمعونة النعمة الالهية يطهر نفسه "في طاعة الحق". لكنّ يهوذا لم يسلك في النور الم توفر له بسخاء مشرقا عليه برحمة الله . واذ انغمس في الخطيئة عرَّض نفسه لتجارب الشيطان، وهكذا أصبحت صفاته الشريرة هي السائدة عليه . وقد أسلم عقله وأفكاره لسلطان قوات الظلمة، وغضب عندما وُبِّخ، وهذا قاده الى إرتكاب تلك الخطيئة المخيفة وهي تسليم سيده . وهكذا يفعل كل من يحتضنون الشر، والذين تحت ستار الاعتراف بالتقوى يبغضون من يعكرون سلامهم بإدانتهم حياة الخطيئة التي يعيشونه ا. ومتى سنحت لهم الفرصة فهم يتمثلون بيهوذا فيسلمون اولئك الذين ارادوا أن يوبخوهم لخيرهم.

اصطدم الرسل ببعض من كانوا في الكنيسة يعترفون بالتقوى وفي الوقت نفسه يحتضنون الاثم سر ا. لقد مثّل حنانيا وامرأته سفيرة دور الخونة المخادعين اذ تظاهرا بأنهما يقدمان تقدمة كاملة لله بينما كانا قد ابقيا في ح وزتهما بعض الثمن، بدافع الطمع . وقد كشف روح الحق للرسل عن حقيقة ذينك الكاذبين، وانقذت ضربات الله ودينونته الكنيسة من هذه اللطخة الخبيثة التي شوهت طهارته ا. هذا الدليل الشهير

على روح المسيح المميز في الكنيسة كان مبعث رعب للمرائين وفاعلي الشر . فلم يستطيعوا البقاء مرتبطين بالذين في عاداتهم وميولهم كانوا ممثلين دائمين للمسيح. واذ هجمت التجارب والاضطهادات على تابعيه فالذين كانوا يرغبون في ترك كل شيء لاجل الحق احبوا أن يصيروا تلاميذ له . وهكذا طوال اشتداد الاضطهادات ظلت الكنيسة طاهرة نسبيا. ولكن عندما زال الاضطهاد انضم الى الكنيسة مهتدون جدد ممن كانوا أقل أخلاصا وتقوى . وقد كان الطريق ممهدا والباب مفتوحا أمام الشيطان ليحصل على موضع لقدمه في الكنيسة. [51]

ولكن لا يوجد اتفاق بين رئيس النور ورئيس الظلام، وكذلك لن يكون هنالك اتحاد بين اتباعهما. عندما رضي المسيحيون بأن يرتبطوا بمن كانوا نصف مهتدين من الوثنية بدأوا يسيرون في طريق جعل يبتعد شيئا فشيئا عن الحق . وقد ابتهج الشيطان لكونه قد أفلح في التغرير بعدد كبير من تابعي المسيح . واستخدم قوته في التأثير على هؤلاء، وأوعز اليهم ان يضطهدوا من قد ظلوا على ولائهم لله . ولم يدرك أحد ادراكا كاملا كيف يقاوم الايمان المسيحي الحقيقي إلا اولئك الذين كانوا قبلا حماته، وهؤلاء المسيحيون المرتدون اتحدوا مع رفاقهم الذين كانوا نصف وثنيين في محاربة تعاليم المسيح الجوهرية.

كان على من بقوا أمناء أن يثيروا حربا يائسة لكي يثبتوا ضد المخادعات والرجاسات التي ادخلت الى الكنيسة متخفية تحت الطيالس الكهنوتية . والكتاب المقدس لم يُقبَل على أنه مقياس الايمان وعقيدة الحرية الدينية اطلق عليها اسم الهرطقة، وكان معتنقو هذه العقيدة مكروهين فنُفوا بعيدا.

ضرورة الانفصال

وبعد نضال طويل مرير قرر الامناء القليلون أن يفصلوا انفسهم تماما عن الكنيسة المرتدة اذا رفضت التحرر من البُطل والكذب والوثنية . وقد رأوا أن الانفصال لازم لهم كل اللزوم اذا هم أرادوا اطاعة كلمة الله. ولم يجسروا على التساهل مع الضلالات المهلكة لنفوسهم اذ بذلك يصيرون قدوة تعرِّض للخطر ايمان اولادهم وأحفادهم . وحتى يضمنوا السلام والاتحاد كانوا على استعداد لأن يذعنوا لكل ما لا يتعارض مع ولائهم لله . ولكنهم احسوا ان السلام سيشترى بثمن باهظ جدا اذا التزموا أن يضحوا بمبادئهم. فاذا لم يكن ممكنا ضمان الوحدة بغير تعريض الحق والبر للخطر، اذاً فليكن هنالك اختلاف بل وحرب اذا لزم. [52]

ومن الخير للكنيسة وللعالم أن المبادئ التي قد الهبت تلك النفوس الثابتة وحمستها تنتعش في قلوب الذين كانوا يعترفون بأنهم شعب الله . هنالك عدم مبالاة مفزعة في ما يختص بالعقائد المعتبرة أعمدة يرتكز عليها الايمان المسيحي . وهنالك فكرة تجد رواجاً وتأييداً تقول أن هذه الأمور ليست ذات أهمية حيوية. هذا الانحطاط يشدد أيدي أعوان الشيطان، بحيث أن النظريات الكاذبة والضلالات المهلكة، التي خاطر الامناء في العصور السالفة بحياتهم لمقاومتها والتشهير بها، تنال استحسانا وقبولا لدى آلاف من الناس الذين يدَّعون انهم اتباع المسيح.

كان المسيحيون الاولون شعبا خاصا حقا، وكان تصرفهم الذي بلا لوم وايمانهم الثابت الذي لا يتقلقل توبيخاً مستمراً أزعج سلام الخطاة . ومع انهم كانوا قليلي العدد ولم يكونوا أثرياء ولا احتلوا مراكز سامية او مُنحوا القاب شرف فقد كانوا مبعث رعب لفاعلي الشر انى انتشرت تعاليمهم أو عرف الناس حقيقتهم . لهذا أبغضهم الأشرار كما أبغض قايين الشرير أخاه هابيل . والسبب نفسه الذي لأجله قتل قايين هابيل أخاه هو الذي حمل الذين حاولوا أن يلقوا بعيدا منهم روادع الروح القدس، على قتل شعب الله، ولهذا السبب رفض اليهود المخلِّص وصلبوه ـــ لأن طهارته وقداسة صفاته كانت توبيخاً دائماً لأنانيتهم وفسادهم .

ومنذ أيام المسيح الى اليوم أثار تلاميذه الأمناء عداوة ومقاومة الذين يحبون طرق الخطيئة ويسيرون فيها.

فكيف يمكن اذا أن يُدعى الانجيل رسالة السلام؟ أن أشعياء عندما أنبأ بميلاد مسيا نسب اليه لقب "رئيس السلام". وعندما اعلن الملائكة للرعاة أن المسيح قد وُلد غنوا من فوق سهول بيت لحم قائلين: "المجد لله في الأعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة" (لوقا ٢ : ١٤). يوجد تناقض ظاهري بين هذه الاعلانات النبوية وقول المسيح: "ما جئت لالقي سلاما بل سيفا" (متى ١٠ : ٣٤). و لكن متى فهمنا القولين فهما صحيحا نجد بينهما توافقا تاما. فالانجيل هو رسالة سلام، والمسيحية هي نظام متى قبله الناس وأطاعوه فهو ينشر السلام والانسجام والسعادة في كل ربوع الارض .ان المسيحية تجعل كل من [53] يقبلونها ويعتنقون تعاليمها يتحدون في أخوَّة وثيقة .لقد كانت مهمة يسوع أن يصالح الناس مع الله وكذلك كلا منهم مع الآخرين . لكنّ العالم هو في الغالب تحت سيطرة الشيطان ألد أعداء المسيح . فالانجيل يقدم الى الناس مبادئ الحياة التي تخالف عاداتهم ورغائبهم مخالفة تامة، فيتمردون عليه. وهم يبغضون الطهارة التي تكشف خطاياهم وتدينها، ويضطهدون ويقتلون الذين يلحون عليهم في قبول مطالب الانجيل العادلة المقدسة، فبهذا المعنى — ولان الحقا ئق السامية التي يقدمها الانجيل تسبب العداء والمنازعات — يقال عن الانجيل انه سيف.

ان أعمال العناية الغامضة التي تجعل الابرار يتألمون ويلاقون الاضطهاد على يد الأشرار قد أحدثت كثيرا من الارتباكات لكثيرين من ضعاف الايمان . حتى ان البعض يوشكون أن يطرحوا عنهم الثقة بالله لأنه يسمح لأحط الناس أن ينجحوا، بينما أفاضل الناس واطهارهم يتألمون ويلاقون العذابات من قسوة الأشرار . وهذا السؤال يتردد على ألسنة البعض اذ يقولون : كيف يسمح الله العادل الرحيم الكلي القدرة بهذا الظلم وهذا الاضطهاد؟ سؤال لا شأن لنا به . وقد وفر الله لنا براهين كافية على محبته، فليس لنا ان نشك في صلاحه لكوننا لا ندرك أعمال عنايته. قال المخلص لتلاميذه، وكان قد سبق فرأى الشكوك التي ستراود نفوسهم في أيام التجارب والظلام: "اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم" (يوحنا ١٥: ٢٠). لقد عانى يسوع لأجلنا أكثر مما يستطيع أيٌّ من تابعيه أن يتحمله من قساوة الناس الأشرار . واولئك الذين يُدعون لاحتمال العذابات وآلام الاستشهاد انما يسيرون في أثر خطوات ابن الله الحبيب.

"لا يتباطأ الرب عن وعده" (٢ بطرس ٣ : ٩). انه لا ينسى أولاده ولا يهملهم، ولكنه يسمح للاشرار ان يُظهروا أخلاقهم على حقيقتها، حتى لا ينخدع بهم كل من يرغب في ارادة الله . ثم أن الابرار يُلقى بهم في كور الألم والمشقة [54] ليتطهروا، ويقنع مثالُهم الآخرين بحقيقة الايمان والتقوى، ويدين سلوكُهم الثابت الاشرارَ وغير المؤمنين.

يسمح الله بأن ينجح الاشرار ويُظهروا عداءهم له حتى اذا امتلأ مكيال اثمهم يرى الجميع عدالة الله ورحمته في اهلاكهم هلاكا تاما. على أن يوم انتقامه يسرع، عندما يحصر كل من قد تعدوا شريعته واضطهدوا شعبه جزاء أعمالهم ويُجازى كل عمل من أعمال القسوة والظلم ضد عبيد الله الامناء كما لو كان موجها ضد المسيح نفسه.

وهنالك سؤال آخر أهم من الأول ينبغي ان يثير إهتمام كنائس اليوم . قال بولس الرسول: "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢ تيموثاوس ٣ : ١٢). فلماذا اذاً يبدو أن الاضطهاد قد خدمت ناره؟ السبب الوحيد هو أن الكنيسة قد شاكلت العالم في مُثُله، ولذلك لا يثار عليها أي اضطهاد . ان الديانة الشائعة في أيامنا هذه ليست طاهرة ولا مقدسة كالتي امتاز بها الايمان المسيحي في أيام المسيح ورسله . انما فقط بسبب روح التسامح مع الخطيئة، ولأن حقائق كلمة الله العظيمة تقابل بعدم الاكتراث، ولأن ما في الكنيسة من التقوى الحيوية العملية قدر ضئيل جداً، لهذه الأسباب يبدو وكأن المسيحية مألوفة لدى العالم ورائجة . ولكن متى انتعش ايمان الكنيسة الاولى وقوتها في كنيسة اليوم

فسيتجدد روح الاضطهاد وتشتعل نيرانه مجدداً. [55]

الفصل الثالث ـــ الارتداد

في الرسالة الثانية الى تسالونيكي انبأ بولس الرسول بالارتداد العظيم الذي كان سيأتي نتيجة لتوطيد السلطة البابوية . فقد أعلن أن يوم المسيح لن يأتي "ان لم يأتي الارتداد أولا ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى الهاً أو معبودا حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مظهرا نفسه أنه إله". وفضلا عن ذلك فالرسول يحذر اخوته قائلا: "سر الاثم الآن يعمل" (٢ تسالونيكي ٢ : ٣ و ٤ و ٧). حتى في ذلك التاريخ القديم رأى الضلالات التي ستعد الطريق لنشر البابوية وتطورها وهي تزحف الى داخل الكنيسة.

وشيئا فشيئا نرى "سر الاثم" يتسلل في البداية في صمت وسكون، وبعد ذلك يتقدم علنا عندما حصل على سلطان وقوة وتسلط على عقول الناس وهو يقوم بعمله التجديفي الخادع . وبطريقة لم يكد يحس بها احد شقت العادات الوثنية لنفسها طريقا الى د اخل الكنيسة المسيحية . وكُبح روح التساهل والخنوع بعض الوقت بواسطة الاضطهادات العنيفة التي شنتها الوثنية على المسيحية. ولكن بعد زوال الاضطهاد حين دخلت المسيحية بلاط الملوك وقصورهم ألقت عنها رداء البساطة التي في المسيح ورسله واستعاضت عنه بفخامة الكهنة وا لرؤساء الوثنيين وكبريائهم، كما استعاضت عن مطالب الله بمبادئ الناس وتقاليدهم [56] . ان اهتداء قسطنطين الاسمي الظاهري في اوائل القرن الرابع سبب فرحا عظيما، فدخل العالمُ الكنيسة مرتديا صورة البر . وفي ذلك الوقت تقدم عمل الفساد بسرعة . والوثنية التي بدا كأنها انهزمت ص ارت هي المنتصرة . فلقد سيطرت روحها على الكنيسة اذ اعثرت بتعاليمها وطقوسها وخرافاتها ايمان المعترفين بأنهم اتباع المسيح.

وقد نتج من هذا التواطؤ بين الوثنية والمسيحية أن نضج "انسان الخطيئة" الذي سبقت النبوات فأنبأت بأنه سيقاوم الله ويسعى ليرتفع عليه. فذلك النظام الهائل الجبار، نظام الديانة الكاذبة، هو ذروة قوة الشيطان وقمة محاولاته لاجلاس نفسه على العرش ليحكم على الأرض حسب ارادته.

لقد حاول الشيطان مرة أن يعقد تحالفا مع المسيح . جاء الى ابن الله في برية التجربة، واذا اراه كل ممالك العالم ومجدها عرض عليه ان يدفعها كلها الى يديه اذا اعترف فقط بسيادة سلطان الظلمة . لكنّ المسيح انتهر ذلك المجرب الوقح وارغمه على الانسحاب . غير أن الشيطان يصيب نجاحا أعظم حين يغري الناس بالتجارب ذاته ا. ففي سبيل الظفر بارباح العالم وكراماته انساقت الكنيسة الى أن تطلب رضى عظماء الارض وم عاضدتهم، واذ رفضت المسيح على هذا النحو فقد غُرر بها لكي تقدم ولاءها لنائب الشيطان، اسقف روما.

من بين العقائد الكاثوليكية الرئيسة أن البابا هو الرأس المنظور لكنيسة المسيح الجامعة، وهو مزود سلطاناً فائقاً على الاساقفة والقساوسة في كل انحاء العالم . وأكثر من هذا فقد خُلعت على البابا ألقاب الله نفسه . لقد لُقب ب "الرب الاله البابا" (انظر التذييل). واعلن انه معصوم . وهو يطالب كل الناس بالولاء. ان ما ألحَّ الشيطان في طلبه في برية التجربة لا يزال هو نفسه يطلبه بإلحاح عن طريق كنيسة روما، وجماعات كثيرة من الناس مستعدون لتقديم ولائهم له. [57]

لكنّ اولئك الذين يخافون الله ويوقرونه يقابلون هذا الادعاء المنطوي على التحدي لسلطان السماء مثلما واجه المسيح اغراءات العدو المحتال اذ قال السيد: "للرب الهك تجسد واياه وحده تعبد" (لوقا ٤ : ٨)، ان الله لم يورد ابدا أي اشارة في كلمته الى أنه قد أقام انسان ا ليكون رأس الكنيسة . فعقيدة سيادة البابا تضادُّ مبشارة تعاليم الكتب المقدسة . ولا يمكن أن يسود البابا على كنيسة المسيح الا بطريق الاغتصاب.

لقد أصر الكاثوليك على أن يلصقو ا بالبروتستانتية تهمة الهرطقة وتعمُّد الانفصال عن الكنيسة الحقيقية . لكنّ هذه التهم تنطبق بالحري على الكاثوليك انفسهم. فهم الذين القوا لواء المسيح بعيداً وارتدوا عن "الايمان المسلم مرة للقديسين" (يهوذا ٣).

قوة كلمة الله

عرف الشيطان جيد المعرفة ان الك تب المقدسة تساعد الناس على تمييز مخاتلاته والصمود أمام قوته . فحتى مخلص العالم نفسه صد هجماته بالمكتوب. ففي كل هجوم حمل المسيح ترس الحق الابدي قائلا: "مكتوب". وأمام كل اقتراح من مقترحات الخصم قدم حكمة الكلمة وسلطانه ا. فلكي يظل الشيطان محتفظا بسيادته على الناس ويثبِّت سلطان البابا المغتصب كان لا بد له من أن يبقيهم في حالة الجهل بالكتب المقدسة . أن الكتاب المقدس يعظم الله ويمجده، ويضع الناس المحدودين في وضعهم الصحيح، ولذلك ينبغي اخفاء حقائقه المقدسة وكبته ا. هذا هو المنطق الذي اعتنقته الكنيسة الكاثوليكية. فلقد مُنع الناس من نشر الكتاب طوال مئات السنين، كما حُرِّمت على الناس قراءته أو حيازته في بيوتهم، وقد فسر الكهنة والاساقفة المجردون من المبادئ الخلقية تعاليمه بما يدعم ادعاءاتهم . وهكذا اعترفت الغالبية العظمى في العالم المسيحي بأن البابا هو نائب الله على الارض وله السلطان على الكنيسة والحكومة. [58]

الاستخفاف بسلطة السماء

فاذا استُبعد كاشف الضلالات امكن الشيطانَ أن يعمل ما يشاء . وقد أعلنت النبوات عن البابوية قولَه ا: "ويظن أنه يغير الاوقات والسُّنَّة" (دانيال ٧ : ٢٥). ولم تتباطأ البابوية في محاولة القيام بهذا العمل . فلكي يعطوا المهتدين من الوثنية الى المسيحية شيئا ما كبديل من عبادة الاوثان، داعمين قبولهم المسيحية قبولا اسميا، أدخلت عبادة التماثيل وذخائر القديسين في المسيحية تدريج اً. وقد أقر أخيراً المجمع النيقاوي الثاني (٧٨٧ ب . م.) هذا النظام الوثني نهائي ا. (أنظر التذييل) وحتى يكتمل عمل ذلك الرجس تجرأت روما على حذف الوصية الثانية من شريعة الله التي تنهي عن عبادة الصور، وتقسيم الوصية العاشرة الى أثنتين ليظل عدد الوصايا كما كان.

هذه الروح الاذعانية للوثنية افسحت الطريق لمزيد من الاستخفاف بسلطة السماء. واذ بدأ الشيطان يستخدم قادة الكنيسة غير المكرسين دنس الوصية الرابعة ايضا وعمد الى اغفال يوم السبت القديم الذي باركه الله وقدسه (تكوين ٢ : ٢ و ٣)، ومجَّد وعظم بدلا منه عيد "يوم الشمس الموقر" الذي كان يحتفل به الوثنيون . ولم يحاولوا اجراء هذا التغيير علنا في بادئ الامر . ففي القرون الاولى كان كل المسيحيين يحفظون يوم السبت الحقيقي، وكانوا يغارون على كرامة الله . ولانهم يؤمنون ان شريعة الله ثابتة لا تتغير صانوا قدسية وصاياه بكل غيرة . لكن الشيطان استخدم أعوانه بكل دهاء ليتمموا غرضه . ولكي يتجه

التفات الناس الي يوم الأحد جعلوه عيدا إكراما لقيامة المسيح. وفي ذلك اليوم كانت تقام الخدمات الدينية، الا انه كان معتبرا يوم اللهو والتسليات، وكان يوم السبت لا يزال يحفظ مقدسا.

ولكي يمهد الشيطان الطريق للعمل الذي قصد ان ينجزه قاد اليهود قبل مجيء المسيح إلى أن يحيطوا السبت بأقسى القيود والنواهي الصارمة حتى لقد جعلوا حفظه عبئا ثقيلا . فانتهز فرصة هذا المنظور الخاطئ ليلصق بالسبت [59] الازدراء والاحتقار على اعتبار أنه تشريع يهودي . وفيما ظل المسيحيون عموما يحفظون يوم الاحد كعيد مفرح قادهم الشيطان الى جعل يوم السبت يوم صوم، يوم حزن ووجوم، لكي يبرهنوا على كراهيتهم للدين اليهودي.

منشور الامبراطور قسطنطين

وفي اوائل القرن الرابع اصدر الامبراطور قسطنطين منشورا صار يوم الاحد بموجبه عيدا عاما في كل انحاد الامبراطورية الرومانية (انظر التذييل)، فصار رعاياه الوثنيون يوقرون يوم الشمس هذا كما صار المسيحيون يكرمونه . كان الامبراطور يقصد من وراء سياسته هذه أن يوحِّد بين مصالح الوثنية ومصالح المسيحية المتضاربة. ولقد ألح عليه في ذلك أساقفة الكنيسة الذين ادركوا بدافع الطمع والتعطش الى السيادة والسلطان، انه اذا كان المسيحيون الوثنيون يحفظون اليوم نفسه فهذا يساعد الوثنيين على قبول المسيحية ولو في الظاهر، وهكذا يزداد سلطان الكنيسة ومجده ا. ولكن اذ كان كثيرون من المسيحيين الخائفين الله قد أخذوا بالتدريج يضفون على يوم الاحد بعض القدسية فقد ظلوا يعتبرون يومَ السبت الحقيقي يومَ الرب المقدس، فحفظوه إطاعة للوصية الرابعة.

لم يكن المضل الاكبر قد أكمل عمله، فلقد عزم على ان يحشد كل العالم المسيحي تحت لوائه، ويستخدم سلطانه عبر نائبه البابا المتكبر الذي كان يدَّعي انه نائب المسيح . وقد أتم غرضه من طريق الوثنيين الذين كانوا نصف مهتدين والاساق فة الطامعين والمسيحيين الذين بهرهم مجد العالم . ومن وقت الى آخر كانت تنعقد مجامع مسكونية يلتقي فيها احبار الكنيسة القادمون من كل ربوع العالم . وفي كل مجمع تقريبا كان يوم السبت الذي شرّعه الله تحط كرامته وتنخفض شيئا فشيئا، في حين أن يوم الاحد كان على العكس من ذلك يسمو ويتجمد . وهكذا آل الامر نهائيا الى اعتبار يوم العيد الوثني مكرَّما كتشريع الهي، بينما اعتبر سبت الكتاب المقدس تشريعا يهوديا بائدا وأعلن تحريم حفظه. [60]

لقد أفلح المرتد العظيم في أن يرتفع: "على كل ما يدعى الهاً أو معبوداً" (٢ تسالونيكي ٢ : ٤). تجرأ على تغيير الوصية الوحيدة بين وصايا الشريعة الالهية التي توجه الجنس البشري كله توجيها صحيحا الى الاله الحي الحقيقي. فالوصية الرابعة تعلن لنا ان الله هو خالق السموات والارض، وبذلك يمتاز عن كل الآلهة الكاذبة . ولكي تذكرنا هذه الوصية بعمل الخلق علمتن ا أن اليوم السابع قد قُدس كيوم راحة للانسان . وكان القصد منها جعل الاله الحي نصب عيون الناس وعقولهم على الدوام كأصل الوجود وموضوع العبادة والسجود . ان الشيطان يحاول أن يحول الناس عن ولائهم لله وتقديم الطاعة لشريعته، ولذلك فهو يحول كل جهوده لمحاربة تلك الوصية التي تشير الى الله كالخالق.

يصر البروتستانت الآن على القول إن قيامة المسيح في يوم الاحد جعلته يوم الراحة المقدس للمسيحيين . ولكن يعوزهم الدليل الكتابي . فلا المسيح ولا رسله اعطوا هذا اليوم مثل هذه الكرامة . ان حفظ يوم الاحد كتشريع مسيحي يجد اصله في "سر الاثم" (٢ تسالونيكي ٢ : ٧) الذي كان قد بدأ حتى منذ أيام بولس . فأين ومتى اعترف الرب بابن البابوية هذا ؟ وأي سبب شرعي يمكن اعطاؤه لذلك التغيير

الذي لم يقره الكتاب المقدس؟

في القرن السادس صارت البابوية ثابتة الاركان، وقد ثبت كرسي سلطانها في عاصمة الامبراطورية، وأعلن ان اسقف روما هو رأس الكنيسة كلها، وأفسحت الوثنية المجال للبابوية . لقد اعطى التنينُ الوحش "قدرتَه وعرشه وسلطاناً عظيماً" (رؤيا ١٣ : ٢) (انظر التذييل). أما الآن فقد بدأت الألف والمئتان والستون سنة من الظلم والاضطهاد البابوي المذكورة في نبوات دانيال وسفر الرؤيا (دانيال ٧ : ٢٥ ، رؤيا ١٣ : ٥ — ٧). وقد ارغم المسيحيون على اختيار احد الشرين: إما ان يتنحوا عن نزاهتهم واستقامتهم ويقبلوا الطقوس والعبادة البابوية، واما أن تذوي حياتهم في ظلمات السجون أو يقاسوا آلام الموت على آلات التعذيب أو حرقا بالنار أو قتلا بالسيف حينئذ تحقق كلام يسوع حين [61] قال: "وسوف تسلمون من الوالدين والاخوة والاقرباء والاصدقاء ويقتلون منكم. وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي" (لوقا ٢١ : ١٦ و ١٧). وقد اشتد الاضطهاد على الامناء على نحو لم يسبق له مثيل، فصار العالم ساحة قتال عظيمة. ولمدة مئات السنين وجدت كنيسة المسيح ملاذا لها في العزلة والاختفاء. وهكذا يقول الرائي: "والمرأة هربت الى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي يعولوها هناك ألفا ومئتين وستين يوما" (رؤيا ١٢ : ٦).

حدد بلوغ كنيسة روما ذروة القوة والسلطان بدء العصور المظلمة . ومع تعاظم سلطانها زاد ادلهمام الظلمة . وقد انحرف ايمان الناس عن المسيح، النبع الحقيقي، الى بابا روم ا. وبدلا من الاتكال على ابن الله لاجل غفران الخطايا والخلاص الابدي اتجه الناس الى البابا والك هنة والاساقفة الذين زودهم هو سلطاناً. وقد علموهم ان البابا هو وسيطهم الأرضي، وانه لا يمكن لإنسان الدنُّو من الله الا بوساطته، واكثر من هذا فانه بالنسبة اليهم في مكان الله وينبغي ان يُطاع طاعة كاملة . والانحراف عن أوامره ومطالبه سبب كاف لايقاع المذنبين تحت أقسى العقوبات الجسدية والروحية . وهكذا انحرفت عقول الناس عن الله الى الانسان المعرَّض للخطأ والضلال والقسوة، بل انحرفوا بالحري الى سلطان الظلمة نفسه الذي نفّذ اغراضه واستخدم قوته من خلال الناس الاشرار . لقد تنكرت الخطيئة في ثياب القداسة، فمتى أُغفِلت الكتب ا لمقدسة وأُسدل عليها الظلام وصار الانسان يعتبر نفسه السيد المتسلط فلنا ان ننتظر تفشي الخيانة والخداع والاثم والفساد . واذ سادت القوانين البشرية والتقاليد الباطلة ظهر الفساد الذي يستشري دائما عندما يطرح الانسان شريعة الله جانبا.

ايام خطرة على الكنيسة

كانت تلك الايام خطرة على كنيسة المسيح . وكان حاملو لواء الحق الامناء قليلين حق ا. ومع ان الحق لم يُترك بلا شاهد فلقد بدا في بعض الاحيان كأن الضلالات والخرافات سادت سيادة ماحقة، وكأن الدين الحقيقي قد [62] طرد من الارض . لقد غاب الانجيل عن الانظار، أما طقوس ا لديانة فزادت وتكاثرت فأثقلت كواهل الناس بالأوامر الصارمة.

تعلم الناس ليس فقط ان ينظروا الى البابا كوسيطهم بل ايضا أن يعتمدوا على أعمالهم للتكفير عن خطاياهم . فالسفر الطويل لكي يحج الانسان الى الاراضي المقدسة، والاعمال الت كفيرية، وعبادة الذخائر، وبناء الكنائس والمزارات والمذابح، وتقديم الأموال الطائلة بسخاء للكنيسة، هذه كلها وما شاكلها فُرضت على الناس لتسكين غضب الله أو استجلاب رضاه، كما لو كان الله شبيها بالناس يغضب من التوافه أو يصفح متى قُدمت اليه العطايا او الاعمال التكفيرية.

وعلى رغم تفاقم الرذيلة وسيادته ا حتى بين قادة كنيسة روما فلقد زاد نفوذ هذه وتعاظم . ففي اواخر القرن الثامن ادّعى البابويون انه في العصور الاولى كان لاساقفة كنيسة روما السلطان الروحي نفسه الذي هو لهم الآن . وبقصد تثبيت هذا الادعاء كان لا بد من استخدام بعض الوسائل لتضفي عليه طابع السلطان، و هذا ما أسرع بأقتراحه أبو الاكاذيب . فلقد زوَّر الرهبان بعض الكتابات القديمة، كما اكتشفت بعض احكام المجامع الكنسية التي لم يُسمع بها من قبل مثبتة سيادة البابا الشاملة منذ اقدم العصور . والكنيسة التي رفضت الحق قبلت هذه الاكاذيب بكل نهم وشغف. (انظر التذييل).

الثبات في وجه المقاومة

أما البناة الامناء القليلون الذين كانوا يبنون على الاساس الحقيقي الراسخ (١ كورنثوس ٣ : ١٠ و ١١) فقد تحيروا وارتبكوا وتعطلوا اذ اعاقتهم ركام التعليم الكاذبة عن القيام بعملهم . وعلى غرار البناة الذين كانوا يرفعون أسوار اورشليم في عهد نحميا كان بعضهم موشكين أن يقولو ا: "قد ضعفت قوة الحمالين والتراب كثير ونحن لا نقدر ان نبني السور" (نحميا ٤ : ١٠). لقد انهكتهم المنازعات والكفاح ضد الاضطهاد والخداع والغش والاثم والخيانة وكل العوائق الاخرى التي [63] استطاع الشيطان ابتكارها ليمنع ويعطل تقدمهم . وكثيرون من البنائين الامناء خارت عزائمهم، ولانهم كانوا يَنشدون السلام ويحرصون على صيانة املاكهم وارواحهم ارتدوا عن الاساس الحقيقي . أما الآخرون الذين زادتهم مقاومة اعدائهم شجاعة فوق شجاعتهم فقد اعلنوا قائلين بلا خوف: "لا تخافوهم بل اذكروا السيد العظيم المرهوب" (نحميا ٤ : ١٤) فساروا في عملهم قُدما وكل منهم سيفه على فخذه (افسس ٦ : ١٧).

ان الروح نفسها، روح كراهية الحق ومقاومته، قد اوغرت صدور اعداء الله في كل عصر، وكان مطلوبا من شعب الله ان يُظهروا اليقظة والولاء نفسيهم ا. وينطبق قول المسيح الى تلام يذه الاولين "ما اقوله لكم اقوله للجميع اسهروا" (مرقس ١٣ : ٣٧) على كل اتباعه الى انقضاء الدهر.

وقد بدا كأن الظلمة تزداد حلوكة وهولا، فعمت عبادة الصور، وكان الناس يوقدون أمامها الشموع ويتلون امامها الصلوات، وتفشت أسخف العادات الخرافية كما تحكمت الخرافات ف ي عقول الناس حتى بدا كأن العقل اضاع سلطانه . واذ كان الكهنة والاساقفة انفسهم محبين اللهو والملذات وكانوا شهوانيين فاسدين، كان من المتوقع من الشعب الذي كان يقتدي بهم ويترسم خطاهم ان ينحدر الى عمق اعماق الجهل والرذيلة.

ثم خطت البابوية خطوة اخرى في طريق الادع اء عندما أعلن البابا غريغوريوس السابع في القرن الحادي عشر عصمة كنيسة روما وكمالها، فمن بين المقترحات التي ارتآها وأذاعها قوله بأن الكنيسة لم ولن تخطئ طبقا للكتب المقدسة. الا أن البراهين الكتابية لم تدعم ذلك التصريح . وقد أعلن ذلك البابا المتكبر ايضا أن له ا لسلطان ان يخلع الاباطرة، وان احدا من الناس كائنا من يكون لا يحق له ان يلغي احكامه او يبطلها، اما هو فمن حقه ان يلغي احكام الآخرين (انظر التذييل). [64]

تذلل الامبراطور هنري الرابع

وهنالك مثال مدهش على طغيان هذا المدافع عن العصمة واستبداده في معاملته الشاذة لامبراطور

المانيا هنري الرابع . فاذ جاهر هذا الامبراطور بعدم مبالاته بسلطان البابا حرمه هذا وخلعه عن العرش . واذ ارتعب الامبراطور عندما هجره امراؤه وجعلوا يهددونه بعدما شجعهم حكم البابا على التمرد عليه أحس هنري بضرورة عقد صلح مع روما. فسار في صحبة زوجته الام براطورة وأحد خدامه الامناء عبر جبال الالب في منتصف الشتاء ليتذلل امام البابا، ولما وصل الى القلعة التي كان غريغوريوس فيها اقتيد الى فناء خارجي من دون ان يُسمح لحراسه بمرافقته، وهناك في زمهرير الشتاء القارس وهو عاري الرأس وحافي القدمين في لباس زري لبث ينتظر الاذن من البابا للمثول في حضرته . ولم يتنازل البابا بالعفو عنه الا بعد ثلاثة ايام قضاها الامبراطور صائما معترفا مسترحما. ومع ذلك فإن العفو كان مشروطا بتنفيذ العقوبة قبل أن تعاد اليه سمة الملك ويعود لمزاولة سلطته وحكمه . واذ ازدهى غريغوريوس بهذا الانتصار افت خر بأن من واجبه أن ينزل الملوك عن عظمتهم وكبريائهم.

فما أعظم الفرق المدهش بين كبرياء البابا المتعجرف وغطرسته ووداعة المسيح ولطفه اذ يصور نفسه كمن هو واقف على باب القلب طالباً الإذن حتى يدخل ويمنح الانسان الغفران والسلام، ويعلم تلاميذه قائلا: "من أراد أن يكون فيكم اولا فليكن لكم عبدا" (متى ٢٠ : ٢٧).

وقد شهدت القرون التالية ازدياد الاخطاء والضلالات الخارجة من روما والتي لم ينقطع سيله ا. بل حتى قبل رسوخ قدم البابوية لاقت تعاليم الفلاسفة الوثنيين قبولا من الناس، وكان لها تأثير على الكنيسة . وكثيرون ممن أقروا باهتدائهم الى المسيحية ظلوا متمسكين بعقائد فلسفتهم الوثنية ولم يكتفوا بالاستمرار في دراستها بأنفسهم بل ألحوا على الآخرين بالسير على نهجهم قائلين أن تلك الفلسفة وسيلة لانتشار نفوذهم وبسطه على الوثنيين . وهكذا [65] ادخلت على الايمان المسيحي ضلالات جسيمة . ومن أشهر تلك الضلالات الاعتقاد بالخلود الطبيعي للانسان وبوعيه في الموت . هذه العقيدة الخاطئة كانت هي الاساس الذي بنت عليه روما ضلالة الابتهال الى القديسين وتمجيد مريم العذراء. ومن هذا نبتت ايضا هرطقة العذاب الابدي لمن يموتون في قساوة قلوبهم، تلك الهرطقة التي تسللت الى العقيدة البابوية باكرا.

حينئذ أُعِد الطريق لادخال اختراع جديد من انتاج الوثنية، وقد دعته روما "المطهر" واستخدمته في إرهاب الجماهير الساذجة المتمسكة بالخرافات . هذه البدعة ثبّتت الاعتقاد بوجود مكان لعذاب مَن لا يستحقون الهلاك الأبدي، حتى اذا نالوا ج زاءهم على خطاياهم وتطهروا من نجاستهم قُبلوا في السماء (انظر التذييل).

وكانت الحال تدعو الى اختلاق شيء آخر يمكِّن روما من الاستفادة من مخاوف تابعيها ورذائلهم . وقد وجدت ضالتها في بدعة صكوك الغفران . فكل من رغبوا في الانضواء تحت لواء البابا لشن الحروب بغية توس يع املاكه الزمنية وتأديب اعدائه او استئصال شأفة اولئك الذين تجرأوا على انكار حقه في السيادة الروحية أُعطوا وعدا بالغفران الكامل لخطاياهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وبالعتق من كل الآلام والعقوبات . كما علَّموا الناس ايضا انهم اذ يبذلون من أموالهم للكنيسة يتحررون من الخطيئة وتُعتق أرواح أصدقائهم الموتى المحبوسة في لهيب النار والعقاب . فبهذه الوسائل وأمثالها ملأت روما خزائنها بالاموال الطائلة وساندت الفخامة والتنعم والرذيلة التي أتصف بها اولئك الذين كانوا يدَّعون انهم نواب عن ذاك الذي لم يكن له اين يسند رأسه. (أنظر التذييل).

واستُعيض عن ممارسة فريضة العشاء الرباني، كما جاءت في الكتاب، بالذبيحة الوثنية المدعوة ذبيحة القداس . فلقد أدعى كهنة البابا انهم قادرون بواسطة شعائرهم ومراسمهم العديمة المعنى، على تحويل الخبز والخمر العاديين إلى "جسد المسيح ودمه الفعلي" (٤) نفسه. وبوقاحة تجديفية ادعوا جهارا انهم قادرون على أن يخلقوا الله خالق كل الأشياء . وقد طُلب من [66] المسيحيين، مع التهديد بالموت، أن يجاهروا بهذه الهرطقة الرهيبة المهينة للسماء. وكثيرون ممن رفضوا ذلك ذهبوا طعاماً للهيب النار. (أنظر التذييل).

في القرن الثالث عشر اقيمت أرهب انظمة البابوية : محاكم التفتيش . ولقد كان سلطان الظلمة يعمل مع السلطة البابوية ويسانده ا. ففي مجامعهم السرية سيطر الشيطان وملائكته على عقول الناس الاشرار، بينما وقف في الوسط احد ملائكة الله، وان يكن غير منظور، ليسجل احكامهم الجائرة في سفره المخيف وليكتب تاريخ تلك الاعمال التي كانت أرهب من ان تقع عليها عيون الناس . ان "بابل العظيمة قد سكرت بدماء القديسين". والاجسام الممزقة لملايين من الشهداء كانت تصرخ الى الله لينتقم لهم من ذلك السلطان المرتد.

لقد امست البابوية طاغية العالم المستبد . فالملوك والاباطرة انحنوا خضوعا أمام احكام بابا روم ا. اذ بدا وكأنه يتحكم في مصائر الناس في الزمن الحاضر وفي الابدية. ولمدى مئات السنين قُبلت عقائد كنيسة روما على مدى وسيع بحذافيرها وبكل ثقة . وبكل وقار كان الناس يمارسون طقوسها بوجه عام، وكان الجميع يحفظون اعياده ا. ورجال الكهن وت كانوا مكرمين، وكانت العطايا تُجزل لهم بسخاء لاعالتهم . ولم يحدث قبل ذلك التاريخ ولا بعده أن حصلت كنيسة روما على عظمة أو أبهة أو سلطان أكثر مما حصلت عليه آنئذ.

لكنّ "نور الظهيرة بالنسبة الى البابوية كان ظلام نصف الليل بالنسبة الى العالم" (٥). فالكتب المقدسة كادت تكون مجهولة تماما، ليس فقط من الشعب بل حتى من الكهنة انفسهم . فكما كان الفريسيون قديما هكذا كان هؤلاء الرؤساء البابويون يبغضون النور الذي يفضح خطاياهم . واذ ابعدت شريعة الله التي هي نموذج البر ومقياس الكمال كانوا يمارسون سلطانهم بكل حرية ويجترحون الرذيلة بلا رادع . كما تفشى الاحتيال والجشع والبخل وسادت الخلاعة ولم يعد الناس يتورعون عن ارتكاب كل جريمة في سبيل الوصول الى المراكز العظيمة والحصول على الغنى الجزيل . ولقد مثلت في قصور البابوات والاساقفة احطّ مشاهد الفجور والنجاسة . كما ان بعض البابوات المتربعين على [67] الكرسي البابوي ارتكبوا جرائم مثيرة ومنفرة جدا بحيث ان رؤساء الحكومات حاولوا عزل احبار الكنيسة اذ اعتبروهم وحوشا احط مما يمكن احتمالهم او التغاضي عن جرائمهم . ولقد ظلت اوروبا واقفة جامدة لم تتقدم في العلوم أو الفنون أو المدنية، وهكذا شمل العالمَ المسيحي شللٌ أدبي واخلاقي وثقافي.

ان حالة العالم تحت الحكم البابوي وفّرت صورة مخيفة ومدهشة لاقوال النبي هوشع اذ قال: "قد هلك شعبي من عدم المعرفة . لانك أنت رفضت المعرفة ارفضك انا ... ولانك نسيت شريعة الهك انسى انا أيضا بنيك"، "لا أمانة ولا احسان ولا معرفة الله في الأرض . لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق . يعتنفون ودماء تلحق دماء" (هوشع ٤ : ٦ و ١ و ٢). هذه كانت عواقب اقصاء الناس كلمة الله بعيدا منهم. [68]

الفصل الرابع ـــ الولدنسيون

في وسط الظلام الدامس الذي جثم على الأرض في أثناء الفترة الطويلة التي كانت السيادة فيها للبابوات لم يكن ممكنا ان ينطفئ نور الحق تماما. فلقد كان لله شهود في كل عصر ـــ رجال اعتنقوا الايمان بالمسيح كالوسيط الوحيد بين الله والناس . وتمسكوا بالكتاب المقدس كالقانون الوحيد للحياة، وكانوا يقدسون السبت الحقيقي . ولن تعرف شعوب الأجيال القادمة عظم الدَّين الكبير الذي في اعناقهم تجاه اسلافهم المجاهدين . لقد وُصموا بالهرطقة وكُذِّبت نواياهم وبواعثهم وصودرت كتاباتهم أو احرقت وعاب الاعداء اخلاقهم، ومع ذلك فقد ظلوا راسخين كالطود . ومن جيل الى جيل ظلوا محتفظين بايمانهم في نقاوته كميراث مقدس للأجيال اللاحقة.

ان تاريخ شعب الله في العصور المظلمة التي بدأت منذ صارت السيادة لروما هو سجل حافل بالاحداث ومكتوب في السماء، وان كان أهل العالم لا يعطونه المكانة اللائقة به . وقليلة هي الآثار الدالة على وجودهم اللهم الا في اتهامات مضطهديهم . فلقد كانت سياسة روما تهدف الى محو كل آثار الانشقاق والخروج على عقائدها وقوانينها، فكل ما كانت تعتبره هرطقة عمدت الى ملاشاته سواء أكان مؤلفات أو أناسا. فكلام الشك أو التساؤل في ما يختص بسلطة تعاليم البابا كان كفيلا بأن يضيِّع حق الانسان في الحياة سواء كان من الأغنياء أو الفقراء، العظماء أو الأدنياء . وعمدت روما أيضاً إلى إحراق كل الوثائق التي تثبت قسوتها على المنشقين عليها، فلقد اصدرت المجامع البابوية أوامرها [69] بحرق مثل تلك السجلات . قبل اختراع المطابع كانت الكتب قليلة العدد ونادرة الوجود، وكانت ذات احجام كبيرة بحيث لم يسهل حفظها، ولهذا فلم يكن ما يمنع رجال كنيسة روما من تنفيذ اغراضهم.

لم تُترك كنيسة ضمن حدود سيادة روما تنعم بحرية ضميرها من دون ازعاج. فما ان حصلت البابوية على السلطان حت ى مدت يديها لتسحق كل من رفضوا الاعتراف بسيادتها، وهكذا خضعت الكنائس لسلطانها الواحدة في أثر الاخرى.

في بريطانيا العظمى كانت المسيحية البدائية قد جذَّرت اصولها. فالانجيل الذي قبله البريطانيون في القرون الاولى لم يكن الارتداد الروماني قد افسده . وكانت الاضطهاد ات التي أثارها الاباطرة الوثنيون والتي امتدت حتى الى هذه السواحل النائية هي الهدية الوحيدة التي حصلت عليها الكنائس من عاصمة الامبراطورية. وكثيرون من المسيحيين الذين هربوا من الاضطهاد الواقع عليهم في انجلترا وجدوا لأنفسهم ملاذا في اسكوتلانده، ومن هناك انتقل الحق الى ايرلانده، وفي كل هذه الاقطار قبل الناس الحق بفرح.

عندما غزا السكسون بريطانيا كانت الوثنية سائدة على البلاد . وقد استنكف الغزاة وترفعوا عن أن يتلقوا التعليم من ايدي عبيدهم، فأرغم المسيحيون على التراجع الى الجبال والقفار الموحشة، ومع ذلك فالنور الذ ي احتجب الى حين ظل مشتعلا . وبعد ذلك بقرن من الزمان كان ذلك النور يضيء في اسكوتلانده بلمعان عظيم امتد الى بلدان بعيدة . ومن ايرلانده أتى كولومبا التقي ومعاونوه الذين جمعوا حولهم المؤمنين المشتتين في جزيرة أيونا الموحشة وجعلوها مركز خدماتهم الكرازية . ووجد بين اولئك

الكارزين رجل كان يحفظ السبت الكتابي، وهكذا قَدم هذا الحق الى الناس، فانشئت في أيونا مدرسة خرج منها المرسلون ليس الى اسكوتلانده وانجلترا وحدهما بل أيضا الى المانيا وسويسرا، وحتى الى ايطاليا نفسها. [70]

فرق مدهش

لكنّ روما رنت بنظرها الى بريطانيا وعقدت العزم على اخضاعها لسيادتها. ففي القرن السادس أخذ مرسلوها على عاتقهم أمر هداية السكسون الوثنيين. وقد قوبلوا بكل سرور وترحيب من البرابرة المتكبرين فاستمالوا آلافاً كثيرة منهم الى العقيدة الرومانية. واذ تقدم العمل اصطدم الرؤساء البابويون والمهتدون بالمسيحيين الاصليين، وبدا الفرق مدهشا بين الفريقين: فقد كان المسيحيون قوما بسطاء متواضعين ومتمسكين بمبادئ الكتاب المقدس في اخلاقهم وتعاليمهم وعاداتهم، أما البابويون فقد عرضوا خرافات البابوية وعظمتها وغطرسته ا. وقد أمر مبعوث البابا هذه الكنائس المسيحية أن تعترف بسيادة البابا السامية. وبكل وداعة اجابه البريطانيون قائلين انهم يريدون ان يحبوا جميع الناس، وان البابا ليس مخولا أمر السيادة في الكنيسة، وكذلك فهم لا يبدون له الا الخضوع الذي هو من حق كل تابع للمسيح. فبُذلت عدة محاولات للظفر بولائهم لروما، لكنّ هؤلاء المسيحيين الوضعاء اذ اذهلتهم الكبرياء التي اظهرها مبعوثو روما اجابوا بكل ثبات قائلين انهم لا يعرفون سيدا آخر غير المسيح. وهنا ظهرت روح البابوية على حقيقته ا. فلقد قال ذلك الرئيس البابوي: "اذا كنتم لا تقبلون الاخوة الذين يجيئونكم بالسلام فسيأتيكم الاعداء الذين يحملون اليكم الحرب والدمار. واذا لم تتحدوا معنا في ارشاد السكسون الى طريق الحياة فستتلقون منهم ضربات الموت" (٦). ولم يكن هذا كلاما عديم الجدوى، فلقد استُخدمت الحروب والمؤامرات والخداع والغدر ضد شهود ايمان الانجيل هؤلاء الى ان خربت كنائس بريطانيا أو أرغمت على الخضوع لسلطان البابا.

ولكن بعيدا من سلطان روما كانت توجد على امتداد ا لقرون جماعات من المسيحيين ظلوا تقريبا احرارا من الفساد البابوي. لقد كانوا محاطين بالوثنية وبمرور العصور تأثروا باخطائها، الا انهم ظلوا يعتبرون الكتاب [71] المقدس كالقانون الوحيد للايمان، وتمسكوا بكثير من حقائقه. هؤلاء المسيحيون كانوا يؤمنون بثبات شريعة الله ودوامها، وكانوا يحفظون السبت الذي نصت عليه الوصية الرابعة. والكنائس التي تمسكت بهذا الايمان وهذا السلوك كانت في اواسط افريقيا وبين ارمن آسيا الصغرى.

ايمان الولدنسيين

الولدنسيون كانوا في طليعة من قاوموا اعتداءات السلطة البابوية. ففي البلاد نفسها التي ثبتت فيها البابوية كرسيها لاقت أباطيلها وأكاذيبها ومفاسدها اقسى مقاومة. وقد ظلت كنائس بيدمونت محتفظة باستقلالها عدة قرون، ولكن اخيرا جاء الوقت الذي فيه أصرت روما على اخضاع تلك الكنائس لسلطانه ا. وبعد حروب غير مجدية ضد طغيان روما اعترف رؤساء هذه الكنائس مكرهين بسيادة تلك القوة التي بدا كأن كل العالم يبدي لها ولاءه وهو صاغر. ومع ذلك فقد وُجد بعض من رفض الخضوع للبابا أو للاساقفة. اولئك أصروا عل ى تقديم ولائهم لله وحده والاحتفاظ بنقاوة إيمانهم وبساطته. وقد حدث انفصال. فالذين

ظلوا متمسكين بايمانهم القديم انسحبوا بعيد ا. بعض منهم هجروا وطنهم في جبال الالب ليرفعوا راية الحق في بلدان غريبة، بينما تراجع غيرهم الى الوديان الصغيرة المنعزلة والمعاقل الصخرية في الجبال حيث احتفظوا بحريتهم في عبادة الله.

ان الايمان الذي اعتنقه المسيحيون الولدنسيون وعلَّموا به عدة قرون كان على نقيض التعاليم الكاذبة التي قدمتها روم ا. لقد كانت عقائدهم الدينية مؤسسة على كلمة الله المكتو بة، وهي دستور المسيحية الحقيقي . لكنّ اولئك الفلاحين الوضعاء الذين كانوا يعيشون في معتكفاتهم الخفية، وقد عُزلوا عن العالم وهم دائبون على عملهم اليومي بين قطعانهم وكرومهم، لم يصلوا، من تلقاء انفسهم، الى معرفة الحق الذي هو على نقيض عقائد الكنيسة المرتدة [72] وضلالاتها. ان ايمانهم لم يكن حديث العهد، لكنّ عقيدتهم الدينية كانت هي الارث الذي اخذوه عن آبائهم . لقد حاربوا وناضلوا دفاعا عن ايمان الكنيسة الرسولية : ”الايمان المسلم مرة للقديسين“ (يهوذا ٣). ان كنيسة المسيح الحقيقية حارسة كنوز الحق المودع بين ايدي شعبه ليعطى للع الم كانت هي ”الكنيسة في البرية“، لا السلطة الدينية المتكبرة المتربعة على عرشها في عاصمة العالم.

من بين أهم الاسباب التي ادت الى انفصال الكنيسة الحقيقية عن روما الكراهية التي ابدتها هذه ليوم السبت المنصوص عنه في الكتاب . وكما سبق للانبياء ان تنبأوا فقد طرحت السلطة البابوية الحق على الارض، فديست شريعة الله في الثرى بينما عظّم الناس التقاليد والعادات البشرية ومجدوه ا. والكنائس التي كانت خاضعة لحكم البابا ارغمت من البدء على اكرام يوم الاحد كيوم مقدس. وفي وسط الضلالات والخرافات السائدة ارتبك كثيرون حتى من شعب الله الامناء الى حد انهم مع كونهم قد حفظوا السبت كفوا عن العمل في يوم الاحد ايض ا. لكنّ هذا لم يكن ليرضي الرؤساء البابويين . فقد امروا الشعب لا ان يقدسوا يوم الاحد فقط بل ايضا ان يدنسوا يوم السبت، وبأقسى الالفاظ وأشدها توعدوا من يكرمونه . ولم يتمكن احد من حفظ شر يعة الله في سلام الا بالهروب من تحت سلطان روما.

كان الولدنسيون في طليعة شعوب اوروبا في الحصول على ترجمة الكتاب المقدس (انظر التذييل). فقبل ايام الاصلاح بمئات السنين كانت في حوزتهم نسخ منه مكتوبة بخط اليد وفي لغتهم الوطنية . لقد كان بين ايديهم الحق الالهي ا لنقي لا تشوبه شائبة، وهذا جعلهم هدفا للكراهية والاضطهاد . لقد اعلنوا ان كنيسة روما هي بابل المرتدة الوارد ذكرها في سفر الرؤيا، فتصدوا لمقاومتها ومحاربة مفاسدها مخاطرين في ذلك بحياتهم . وفي حين ان بعضا منهم عرضوا إيمانهم وعقيدتهم للهوان اذ تنازلوا شيئاً فشيئ اً عن مبادئهم المميزة تحت ضغط الاضطهاد الطويل الأمد فان آخرين ثبتوا متمسكين بالحق . [73] وعلى مدى عصور الظلم والارتداد وجد بعض الولدنسيين الذين انكروا على روما سيادتها، ورفضوا عبادة الصور على انها وثنية، وقد حفظوا السبت الحقيقي . وظلوا محتفظين بايمانهم تحت اقسى عو اصف المقاومة . فمع انهم طُعنوا بحراب آل سافوى ولسعتهم نيران البابوية وأحرقتهم فقد ظلوا ثابتين لم يتراجعوا قيد أنملة، بل دافعوا عن كلمة الله وكرامته بلا خوف.

وخلف الحصون العالية في الجبال التي كانت ملاذا للمضطهَدين على مر العصور وجد الولدنسيون مخبأ لهم . في تل ك الاماكن ظل نور الحق متألقا ومضيئا في وسط ظلام العصور الوسطى، ولمدى الف سنة حفظ شهود الحق الايمان القديم نقيا هناك.

الله امدهم بالقوة

لقد أعد الله لشعبه مقدِسا ذا جلال مهيب يتناسب وعظمة الحقائق المسلمة اليهم امانة بين ايديهم . وكانت الجبال في نظر اولئك المطرودين الامناء رمزا لبر الرب وعدله الذي لا يتزعزع ولا يُنقض . وقد وجهوا انظار اولادهم الى المرتفعات الشاهقة من فوقهم في جلال ثابت، وحدثوهم عن ذلك الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران، الذي كلمته راسخة رسوخ الآكام الدهرية . لقد ثبَّت الله الجبال ونطَّقها بالقو ة، ولا يمكن لغير ذراع القدرة اللامتناهية ان تزحزها من أماكنها. وبتلك القوة نفسها ثبَّت شريعته التي هي أساس حكمه في السماء وعلى الارض . يمكن لذراع الانسان ان تمتد الى بني جنسه وتقضي على حياتهم، ولكن لو أمكن تلك الذراع ان تقتلع الجبال من أساساتها وتلقي بها في أعماق البحر لاستطاعت أن تغير وصية واحدة من شريعة الرب او تمحو وعدا واحدا من مواعيده للعاملين بوصاياه والمتممين ارادته . فينبغي لعبيد الله ان يظلوا راسخين كالجبال الثابتة عند اظهار ولائهم لشريعته. [74]

كانت الجبال المحيطة بأوديتهم المنخفضة شاهدا دائما على قدرة الله الخالقة وضمانا لا يخيب ابداً لرعاية الله الحافظة . ولقد تعلم اولئك الغرباء ان يحبوا تلك الرموز الصامتة المنبئة بحضور الله . ولم يصدر عنهم تذمر أو تبرم من الحياة الشاقة التي كانت من نصيبهم، ولم يكونوا يحسون بالوحشة وهم معتزلون وحدهم في تلك الجبال، بل شكرو ا الله الذي هيأ لهم ملجأ يلوذون به هروبا من غضب الناس وقسوتهم، ولقد تهللت قلوبهم لأجل الحرية التي استطاعوا في ظلالها ان يقدموا اليه عبادتهم . وفي غالب الاحيان عندما كان اعداؤهم يتعقبونهم كانوا يجدون في الجبال القوية الراسخة حصنا منيع ا. وبين الصخور العالية ك انوا يتغنون بحمد الله، فما استطاعت جيوش روما أن تُسكت اغاني شكرهم.

اتَّسمت تقوى اتباع المسيح اولئك بالنقاوة والبساطة والغيرة . كانوا يعتبرون مبادئ الحق اجلّ قدرا من البيوت والاراضي والاصدقاء والاقرباء وحتى الحياة نفسها. وبكل غيرة واهتمام حاولوا ان يطبعوا هذ ه المبادئ في قلوب الاحداث والشباب. فمنذ بكور الحداثة كان الصغار يتعلمون الكتب المقدسة ويقدسون مطالب شريعة الله . كانت نسخ الكتاب قليلة ونادرة الوجود، فلذلك كانوا يحفظون غيبا تلك الاقوال الثمينة . وكان كثيرون منهم قادرين على تلاوة فصول كبيرة من العهدين القديم والجديد عن ظهر قلب . وكانت افكارهم عن الله مصحوبة دائما بمنظر الطبيعة الجليل وبركات حياتهم اليومية البسيطة . وقد تعلم الصغار ان ينظروا بشكر الى الله الذي من عنده تنحدر كل النعم والتعزيات.

هذا، وان الآباء مع ما كانوا يضمرونه لاولادهم من رقة ومحبة لم يفرطوا في حبهم لهم الى حد السماح لهم بأن يتعودوا الانغماس في الملذات . ذلك أن الحياة التي أمامهم كانت حياة التجارب والمشقات، وقد تُختم بالاستشهاد، لذا درّبوهم منذ طفولتهم على الصبر والقسوة وضبط النفس، والاعتماد على أنفسهم في العمل والتفكير، فتعلم الابناء منذ الصغر ان يتحملوا المسؤوليات ويتحفظوا في كلامهم، كما تعلموا حكمة الصمت: ذلك لأن كلمة واحدة طائشة [75] [76] تقع على مسامع اعدائهم كانت كفيلة بأن توقع في الخطر ليس قائلها وحده بل مئات من اخوته، لان اعداء الحق كانوا يطاردون كل من يجرؤ على الجهر بأن له الحرية في اختيار العقيدة الدينية التي تروقه، كما تطارد الذئاب قطيعا من الخراف.

لقد ضحى الولدنسيون بالنجاح العالمي وكل أسباب الرفاهية لاجل الحق. وبكل مواظبة وصبر جعلوا يكدون لجمع قوتهم . فكل بقعة تصلح للزرع بين الجبال اصلحت بكل عناية، والوديان وجوانب التلال الاقل خصوبة اصلحت لتجود بثمار وفيرة . وكان الاقتصاد وانكار الذات الصارم جزءا من التهذيب الذي أخذه الابناء عن آبائهم . وقد تعلم الابناء ان الله يقصد ان تكون حياتهم تدريبا دائما، وانه يمكنهم الحصول على ما يحتاجون اليه بالكد والعمل الشخصي، بالحكمة والتبصر والحرص والايمان . وكان نمط العيش هذا يتطلب الكد والمشقة، ولكنه كان مصدر صحة لهم قوّى عزائمهم وعضلاتهم، وهذا هو ما يحتاج اليه الانسان في حالته، حالة السقوط، وهو المدرسة التي اعدها الله لتدريبه وتنمية قواه . ومع تعوُّد الشباب حياة الكد والعمل المضني لم تُغفل تماما الثقافة العقلية . فلقد تعلموا ان كل قواهم هي ملك لله وانه ينبغي لهم

اصلاحها كلها وتحسينها وتنميتها لأجل خدمته.

كارزون غيورون ومضحّون

كانت كنائس الولدنسيين أو الفودوا شبيهة بالكنيسة الرسولية الاولى في طهارتها وبساطتها. فاذ رفضوا سيادة البابا والاساقفة تمسكوا بالكتاب المقدس على أنه السلطة العليا الوحيدة المعصومة من الخطأ. ورعاتهم الذين كانوا يختلفون اختلافا بينا عن كهنة روما المتعجرفين اتبعوا مثال سيدهم الذي "لم يأت ليُخدم بل ليَخدم". كانوا يرعون قطيع الله ويربضونهم في المراعي الخضر ويوردونهم ينابيع المياه الحية اي كلمته المقدسة. فهناك، بعيدا من تماثيل الفخامة البشرية والكبرياء، اجتمع الشعب ليس في كنائس فخمة او كاتدرائيات [77] مهيبة بل تحت ظلال الجبال في وديان الألب. وفي اوقات الخطر كانوا يلجأون الى حصن بين الصخور ليصغوا الى كلام الحق من أفواه خدام المسيح. ولم يكتف الرعاة بالمناداة بالانجيل بل كانوا يزورون المرضى ويعلّمون الاطفال ويُنذرون المخطئين ويدأبون في فض المنازعات وانهاء الخصومات وانماء روح الوفاق والمحبة الاخوية. وفي اوقات السلم كان الشعب يعولونهم بتقدماتهم الطوعية. ولكن كما كانت لبولس حرفة هي صناعة الخيام، كذلك تعلم كل منهم حرفة او مهنة يعول بها نفسه عندما تدعو الضرورة.

ولقد تلقى الشباب تعليمهم على ايدي رعاتهم. فعندما كانوا يدرسون العلوم العامة كان الكتاب المقدس مادة دراستهم الرئيسة. فحفظوا ما ورد في انجيلي متى ويوحنا عن ظهر قلب فضلا عن كثير من الرسائل. ثم انهم كانوا يقضون بعض وقتهم في نسخ الكتاب المقدس. وكانت بعض تلك المخطوطات تحتوي على الكتاب كله، لكنّ البعض الآخر كان يحتوي على مختارات منه فقط. وكان بعض القادرين منهم يضيفون الى تلك المختارات شروحا بسيطة لبعض الآيات. وهكذا ظهرت للملأ كنوز الحق التي كان من قد تعظموا على الله قد اخفوها عن الناس امدا طويلا.

فبصبر عظيم وجهد لا يكل نُسخت الكتب المقدسة احيانا في مغاور الارض السحيقة المظلمة على نور المشاعل، كتبت آية بعد آية واصحاحا بعد اصحاح. وهكذا استمر العمل، وهكذا كانت ارادة الله المعلنة تلمع كالذهب الخالص، وقد زاد من لمعانها ووضوحها وقوتها التجارب التي احتملها اولئك الابرار في سبيلها، ولم يتحقق من ذلك غير الذين قاموا بذلك العمل. وكان ملائكة السماء يعسكرون حول العاملين الامناء.

لقد ألح الشيطان على الكهنة والاساقفة البابويين ان يدفنوا كلمة الحق تحت اكوام الضلالات والهرطقات والخرافات، ولكنها بطريقة عجيبة حُفظت في طهارتها ونقاوتها مدى عصور الظلام كلها. انها لم تكن تحمل طابع انسان بل طابع الله. لقد بذل الناس جهودا لا تكل في اخفاء معاني اقوال الكتاب المقدس [78] الواضحة البسيطة وجعلها تناقض شهادتها. ولكن كما كان الفُلك يسير على وجه المياه ذات الامواج الصاخبة كذلك كلمة الله تنتصر على العواصف التي تتهددها بالهلاك، وتقهرها. وكما توجد في المنجم عروق الذهب والفضة مختبئة تحت سطح الارض، وهكذا على من يريد ان يكتشف كنوزها الثمينة ان يحفر ويحفر الى عمق كبير، كذلك أقوال الله المقدسة حَوَتْ كنوز الحق التي لا تُكشف الا لمن يطلبها بروح الغيرة والتواضع والصلاة. لقد قصد الله ان يكون الكتاب المقدس هو الكتاب الذي ينبغي أن يتعلمه كل بني الانسان في مراحل الطفولة والشباب والرجولة، وأن يدرسوها في كل وقت. ولقد أعطى الناس كلامَه كاعلان عن نفسه، فكل حق جديد يُفهم ويُدرك هو كشف جديد لصفات مبدعه ومعطيه. ان

درس الكلمة الالهية هو الوسيلة التي رسمها الله لتقريب الناس الى خالقهم، وايجاد صلة وثيقة بينه وبينهم، واعطائهم معرفة اوضح وأكمل لارادته. فكلمة الله هي وسيلة التخاطب بين الله والانسان.

الكنز الاعظم

واذ كان الولدنسيون يعتبرون ان مخافة الرب هي رأس الحكمة لم يكونوا يجهلون أهمية الاتصال بالعالم ومعرفة الناس والحياة العملية لتوسيع المدارك وتنشيط الاحاسيس . فأرسل بعض الشباب من مدارسهم في الجبال الى معاهد العلم في مدن فرنسا وايطاليا حيث كان المجال اوسع للتفكير والدرس والملاحظة مما كان في وطنهم في جبال الألب . وقد تعرض اولئك الشباب الذين ارسلوا الى تلك الم عاهد للتجارب، اذ شاهدوا الرذيلة واصطدموا باعوان الشيطان الماكرين الذين الحوا عليهم في قبول اخبث الهرطقات وأخطر المخاتلات . الا ان تهذيبهم الذي كانوا قد تلقوه منذ طفولتهم كان حصنا قويا اعَّدهم لمواجهة كل تلك الامور. [79]

وفي المدارس التي ذهبوا اليها لم يستأمنوا احدا على اسرارهم . وقد أعدت ملابسهم بحيث تخفي اعظم كنوزهم : مخطوطات الكتب المقدسة الثمينة. فهذه المخطوطات، التي كانت ثمرة تعب شهور وسنين، حملوها معهم. وكلما سنحت لهم الفرص من دون ان يثيروا شبهة احد كانوا يضعون بكل حرص وحذر اجز اء منها في طريق اولئك الذين كان يبدو لهم ان قلوبهم مفتوحة لقبول الحق . ان هؤلاء الشبان الولدنسيين تربوا منذ نعومة اظفارهم جاعلين هذه الغاية نصب عيونهم . وقد فهموا عملهم وقاموا به بكل امانة، فاهتدى البعض الى الايمان الحقي قي في معاهد العلم هذه، وفي أحيان كثيرة وجد أن مبادئه قد تسربت الى كل المدرسة، ومع ذلك فان الرؤساء البابويين بكل استجواباتهم الملحفة واسئلتهم المحرجة لم يستطيعوا تتبع هذا التعليم، الذي قالوا عنه انه هرطقة، الى منبعه.

ان روح المسيح هي روح تبشيرية، وأول دافع يعتمل في نفس الانسان المتجدد هو أن يأتي بالآخرين الى المخلص . هذه كانت روح هؤلاء الولدنسيين المسيحيين، فلقد احسوا بأن الله يطلب منهم شيئا اكثر من مجرد حفظ الحق في نقاوته في كنائسهم، و ان عليهم مسؤولية مقدسة هي ان يجعلوا نورهم يشرق على من هم في الظلمة، وبقوة كلمة الله العظيمة حاولوا ان يحطموا قيود العبودية التي فرضتها روما على الناس . وقد تربى خَدَمَة الولدنسيين وتدربوا على ان يكونوا مبشرين، اذا كان يُطـلب من كل من يدخل الخدمة ان يكون له أول كل شيء اختبار المبشر . وكان على كل منهم أن يخدم مدة ثلاث سنين في مركز تبشيري قبل ان يوكل اليه امر رعاية كنيسة في وطنه . فهذه الخدمة التي كانت تتطلب انكار الذات والتضحية حالما يد خلها الخادم كانت تمهيدا مناسبا لحياة الراعي في تلك الاوقات التي محصت نفوس الناس. والشبان الذين رسموا لهذه الوظيفة المقدسة لم يروا امامهم آمالا مشرقة للثراء والمجد العالمي بل حياة الكد والمشقة والخطر، وربما [80] الاستشهاد. وكان او لئك المبشرون يخرجون اثنين اثنين كما ارسل يسوع تلاميذه. وفي العادة، كان يصحب الشاب رجلٌ مسنٌّ محنَّك، وكان الشاب يسير بموجب ارشادات زميله الذي كان مسؤولا عن تدريبه، كما كان يبالي بتعليماته. ولم يكن هذان الزميلان يسيران متلازمين دائما بل كانا في غالب الاحيان يجتمعان معا للصلاة والتشاور، وهكذا كان الواحد منهما يشدد زميله في الايمان.

بيد انهما لو باحا بغرض رسالتهما لكانت هزيمتهما امرا مؤكدا، ولذلك كانا يحرصان على اخفاء شخصيتهم ا. فقد كان كل خادم يحذق حرفة أو مهنة، وكان اولئك المبشرون يتابعون عملهم تحت ستار

الحرفة الزمنية، وكانوا في العادة يختارون ان يكونوا باعة متجولين. "كانوا يحملون اصناف الحرير والجواهر وغيرها من السلع التي لم يكن من السهل شراؤها في تلك الايام الا في الاسواق البعيدة . وكان الناس يرحبون بهم كتجار في الاماكن التي لو عرف الناس فيها انهم مبشرون لكانوا يطردونهم" (٧).
وكانوا طوال الوقت يرفعون قلوبهم في الصلاة الى الله في طلب الحكمة حتى يوفروا للناس كنزا أثمن من الذهب واللآلئ، وكانوا يحملون معهم في السر نسخاً من الكتاب المقدس بين طيات ثيابهم، سواء أكان الكتاب كاملا أم مجتَزَ أ، وكلما عرضت لهم فرصة كانوا يسترعون انتباه زبائنهم الى هذه المخطوطات . وفي غالب الاحيان كانوا يوقظون في نفوس الناس شوقا وحنينا الى قراءة كلمة الله . فكانوا بكل سرور يودعون بعض تلك النسخ بين ايدي من يرغبون في قبولها.

إلقاء البذار الثمين

بدأ عمل هؤلاء المبشرين في السهول والوديان الرابضة عند سفوح جبالهم، ولكنه امتد الى أماكن بعيدة . واذ كانوا يسيرون حفاة في ملابسهم الخشنة التي علاها غبار السفر، كما كانت الحال مع سيدهم، دخلوا المدن العظيمة واخترقوا البلدان البعيدة . وفي كل مكان كانوا يلقون البذار الثمين . وقد [81] اقيمت كنائس في طريقهم، كما شهد دم الشهداء للحق . وسيكشف يوم الرب العظيم عن الحصاد الغني الوفير من النفوس التي جمعت الى المخزن من طريق اتعاب هؤلاء الرجال الامناء وخدماتهم . واذ كانت كلمة الله محتجبة وصامتة راحت تشق لنفسها طريقا في العالم المسيحي وتلاقي قبولا وفرحا في بيوت الناس وقلوبهم.

لم يكن الولدنسيون يعتبرون كلام الله مجرد سجل لمعاملات الله مع الناس في ا لماضي واعلانا لواجبات الحاضر وتبعاته وكفى، بل كانت تلك الاقوال الالهية كشفا واعلانا لمخاطر المستقبل وامجاده . كانوا يعتقدون ان نه اية كل شيء لم تكن بعيدة منهم جد ا. ولما كانوا يدرسون الكتاب المقدس بالصلاة والدموع تأثروا تأثرا عميقا بأقواله الثمينة واقتنعوا بأن واجبهم يقتضيهم ان يعرِّفوا الآخرين بحقائقه المخلصة . لقد وجدوا تدبير الخلاص معلنا في الكتاب بك ل وضوح، كما وجدوا العزاء والسلام والرجاء في الايمان بيسوع . ولان النور اشرق على أفهامهم وابهج قلوبهم تاقوا الى ان يسلطوه على من كانوا جالسين في كورة الظلام، ظلام الضلالات البابوية.

لقد رأوا أن جماهير من الناس باتِّباعهم تعليمات البابا والكهنة كانوا يحاولون عبثا الحصول على الغفران بتعذيب اجسامهم لأجل خطايا نفوسهم . فاذ كانوا قد تعلموا أن يركنوا الى اعمالهم الصالحة لتخصلهم كانوا دائما ينظرون الى ذواتهم، وكانوا يفكرون في حالتهم الخاطئة ويرون انفسهم مستهدفين لغضب الله وعذاب الروح وا لجسد، ومع ذلك لم يجدوا راحة او عزاء . هكذا كان كل انسان حي الضمير مكبَّلا بتعاليم روم ا. ان الوفا من الناس هجروا اقرباءهم واصدقاءهم ليقضوا حياتهم في الاديرة . كانوا يفرضون على انفسهم اصواما طويلة متكررة ويجلدون انفسهم جلدا قاسيا ويتلون صلوات نصف الليل وقداساته وينطرحون على الاحجار الباردة الرطبة ساعات طويلة متعبة في مساكنهم الموحشة ويسافرون سفرا طويلا ليحجوا الى الاماكن المقدسة، وبالاذلال والتكفيرات المختلفة والعذابات المخيفة [82] — بهذه الوسائل وبكثير غيرها حاول الوف الناس أن يحصلوا على السلام لضمائرهم. كان يضغط قلوبَهم الشعورُ بالخطيئة ويلازمهم الخوف من غضب الله وانتقامه، فيتجلدون على احتمال آلامهم النفسية حتى تنهار اخيرا طبيعتهم المجهدة فيوارون الثرى من دون ان يُبهج نفوسَهم شعاعٌ من نور ورجاء.

يوجهون الخطاة الى المسيح

تاق الولدنسيون الى ان يكسروا خبز الحياة لي ناولوه لهذه الانفس الجائعة، وان يكشفوا لهم رسالة السلام في مواعيد الله، ويوجهوا انظارهم وقلوبهم الى المسيح الذي هو رجاؤهم الوحيد في الخلاص . ان العقيدة القائلة بأن الاعمال الصالحة يمكنها ان تكفِّر عن التعدي على شريعة الله اعتبروها هم عقيدة كاذبة. فالاتكال ع لى الاستحقاق البشري يتعارض مع فكرة محبة المسيح غير المحدودة. لقد مات يسوع كذبيحة عن الا نسان لأن جنسنا الساقط عاجز تماما عن عمل ما يمكن ان ينال به حظوة أو قبولا أمام الله . واستحقاقات المخلص المصلوب والمقام هي أساس الايمان المسيحي . فاعتماد النفس على المسيح هو أمر حقيقي، وارتباطها به ينبغي ان يكون وثيقا كارتباط العضو بالجسم والغصن بالكرمة.

جعلت تعاليم البابوات والكهنة الناسً ينظرون الى صفات الله وحتى صفات المسيح كما لو كانت صفات عابسة وكئيبة وكريهة . فلقد صوروا المخلص كمن خلا قلبه من العطف على الانسان في حالت ه الساقطة بحيث أنه كان ينبغي للناس أن يتوسلوا طالبين وساطة الكهنة والقديسين . أما الذين استنارت عقولهم بكلمة الله فقد تاقوا الى ارشاد هذه النفوس الى يسوع كالمخلص المحب الرحيم الذي يقف باسطا ذراعيه داعيا الكل أن يأتوا اليه بأثقال خطاياهم وهمومهم ومتاعبهم . وكانوا يشتاقون الى ازالة كل العوائق والمعطِّلات التي كدَّسها الشيطان حتى لا يرى الناس المواعيد ويأتوا الى الله مباشرة معترفين بخطاياهم ليحصلوا على الغفران والسلام. [83]

مهاجمة مملكة الشيطان

وبكل شوق كان المبشر الولدنسي يكشف للعقول الطالبة المعرفة حقائق الانجيل ا لثمينة. وبكل حذر كان يقدم بعض اجزاء من كلمة الله المقدسة المكتوبة بكل حرص وعناية . وكان مما يبهج قلبه أن يعطي الرجاء للنفس الطالبة الخلاص المضروبة بالخطيئة والتي تنظر إلى الله على انه اله النقمة وحسب الموشك ان يجري عدله . وكثيراً ما كان يكشف للاخوة ع ن المواعيد الثمية التي ترشد الخاطئ الى رجائه الوحيد، وفيما هو يتكلم كانت شفتاه ترتعشان من فرط التأثر وعيناه تدمعان وهو جاث على ركبتيه . وعلى هذا النحو اشرق نور الحق مبددا ظلمات العقول فانقشعت سحب الكآبة حتى اشرقت في القلب شمس البر، وفي اشراقتها البُرء . وفي غالب الاحيان كان يُتلى فصل من الكتاب مرارا وتكرارا اذ كان السامعون يبدون رغبتهم في تكراره كأنما ليستوثقوا من صدق ما قد سمعوه . وكان الناس يرغبون بالاخص في تكرار مثل هذه الاقوال: ”دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة“ (١ يوحنا ١ : ٧). ”وكما رفع موسى الحي ة في البرية هكذا ينبغي ان يُرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من ىؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية“ (يوحنا ٣ : ١٤ و ١٥).

كثيرون من الناس ما كانوا لينخدعوا بادعاءات روم ا. فلقد رأوا بُطل وساطة الناس أو الملائكة لأجل الخاطئ . واذ أشرق النور الحقيقي على عقولهم كانوا يهتفون فرحا قائلين: ”المسيح هو كاهننا ودمه ذبيحتنا ومذبحه كرسي اعترافنا“. وقد ألقوا انفسهم بالتمام على استحقاقات يسوع مرددين هذه الاقوال: ”بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه“ (عبرانيين ١١ : ٦)، ”ليس أسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص“ (أعمال ٤ : ١٢).

كان يقين محبة المخلص شيئا اكبر من ان تستوعبه بعض تلك النفوس المسكينة التي كانت في مهب العاصفة . ولقد كانت الراحة التي حققها ذلك اليقين عظيمة جدا، والنور الذي شعّه باهرا جدا حتى لقد بدا كأن اولئك [84]

الناس قد اختطفوا الى السماء . لقد وضعوا أيديهم بكل ثقة في يد المسيح وثبّتوا أقدامهم على صخر الدهور . انتفى عنهم كل خوف من الموت، بل صاروا الآن يتحرّقون شوقا الى أن يُطرحوا في أعماق السجون او يحرقوا بالنار لو أمكنهم بذلك أن يكرموا اسم فاديهم.

وهكذا أُخرجت كلمة الله وكانت تُقرأ في الاماكن الخفية . وأحيانا كان السامع شخصا واحدا. وأحيانا اخرى كانوا جماعة صغيرة من الناس المشتاقين الى النور والحق . وفي غالب الاحيان كانوا يقضون الليل كله ساهرين يصغون الى كلمة الله . وكانت الدهشة والإعجاب يستوليان على السامعين بحيث ان رسول الرحمة ذاك كان كثيرا ما يضطر الى التوقف عن القراءة حتى تستوعب افهام السامعين معاني بشارة الخلاص . وفي كثير من الاحيان كان بعض اولئك السامعين يسأل قائلا: "هل يقبل الله ذبيحتي حقا، وهل سيبتسم في وجهي؟ هل سيغفر لي؟" فكان يأتيه الجواب من الكتاب قائلا: " تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم" (متى ١١ : ٢٨).

طريق الحق والحياة

لقد تمسكوا بالوعد بايمان، وسُمعت الاستجابة المفرحة تقول: "لن اقوم بالحج الطويل بعد اليوم، ولن اسافر سفرا مضنيا الى المعابد المقدسة، اذ يمكنني الإتيان الى يسوع كما انا بخطيئتي ونجاستي، وهو لن يرذل صلاة التوبة والاسترحام التي أقدمها اليه . "مغفورة لك خطاياك"، حتى خطاياي انا يمكن ان تغفر!"

حينئذ كان يغمر القلبَ فيضٌ من الفرح المقدس ويتعظم اسم يسوع في الشكر والتسبيح . وكان اولئك السعداء المغبوطون يعودون الى بيوتهم لينشروا النور، وعلى قدر استطاعتهم كانوا يسردون اختبارهم الجديد على الآخرين، وانهم قد وجدوا الطريق الحي الحقيقي . وكان يصحب كلام الله فيض من القوة [85] المقدسة العجيبة فيصل الى قلوب الناس المشتاقين الى الحق . لقد كان هو صوت الله فكان يحمل معه قوة اقناع وتبكيت وصلت الى قلوب السامعين.

بعد ذلك كان رسول الحق يسير في طريقه، لكنّ مظهر الوداعة الذي بدا عليه وغيرته واخلاصه وحماسته الشديدة، كل تلك الصفات كانت موضوع تعليقات الناس المتعددة، وفي حالات كثيرة لم يسأله سامعوه من اين أتى ولا الى أين هو ذاهب . ففي البدء غمرتهم الدهشة، وبعد ذلك غمرهم الشكر والفرح الى حد كبير حتى لم يفكروا في أن يسألوه . وعندما الحوا عليه في الذهاب معهم الى بيوتهم كان يجيبهم قائلا أن عليه أن يزور الخراف الضالة عن القطيع . فكانوا يتساءلون قائلين: ألا يمكن أن يكون هذا الانسان ملاكا آتيا من السماء؟

في حالات كثيرة لم يعد الناس يرون رسول الحق مرة اخرى . لقد سار في طريقه الى بلدان اخرى، او لعله كان يقضي ايامه في سجن مظلم، او ربما استشهد ودفنت عظامه في الارض التي كان يسير عليها شاهدا للناس . لكنّ الاقوال التي نطق بها لم تذهب هباء، كلا ولا تلاشت، بل كانت تعمل عملها في قلوب السامعين، وسيكشف يوم الدين عن تلك النتائج المباركة كاملة.

كان المبشرون الولدنسيون دائبين في غزو مملكة الشيطان، فثارت قوات الظلام ونشطت بمزيد من

الحذر . وكان سلطان الشر يراقب كل محاولة تبذل لتقدم رسالة الحق ونجاحها فأثار مخاوف أعوانه . وقد رأى الرؤساء البابويون أن تلك الرسالة شؤم ع ليهم ونذير بالخطر على دعوتهم، وأن ذلك الخطر يجيئهم من اولئك المبشرين المتجولين الفقراء . فلو سُمح لنور الحق ان يضيء من دون عائق أو مانع فلا بد ان يكتسح أمامه سحب الضلال الكثيفة التي اكتنفت الناس، مرشدا عقولهم الى الله وحده، ولا بد أن يؤول الامر الى هدم سيادة روما.

ان مجرد وجود هذا الشعب المتمسك بايمان الكنيسة الاولى كان شهادة دائمة على ارتداد روما، ولذلك فقد أثاروا اقسى العداء والاضطهاد المرير . وان رفضهم التنازل عن الكتب المقدسة والتفريط فيها كان ايضا اساءة لم تستطع [86] روما السكوت عليه ا. ولذلك عولت على ان تمحو اسمهم وذكرهم عن وجه الارض. وحينئذ بدأت أرهب الحملات الصليبية ضد شعب الله في بيوتهم الجبلية . وتعقبهم المخبرون والمحققون، وتكررت مأساة هابيل البار وهو يسقط مجندلا بيد قايين القاتل، مرارا عديدة.

وقد خربت وأتلفت أراضيهم الخصبة مرارا وتكرارا كما اكتسحت مساكنهم وكنائسهم، حتى أنه في الاماكن التي ازدهرت فيها قبلا الحقول والبيوت التي كان يسكنها ذلك الشعب البريء المُجدّ الكدود لم يبق غير الخراب اليباب في البرية القاحلة . فكما يزيد الوحش المفترس ضراوة عندما يلغ في الدماء، كذلك زاد اضطرام غضب البابويين بعد الآلام والخس ائر التي اوقعوها باولئك الضحايا المساكين. وقد طورد كثيرون من اولئك الشهود للحق النقي عبر الجبال واقتنصهم مطاردوهم في الوديان حيث اختبأوا أو حُبسوا في الغابات العظيمة وقمم الجبال.

لم يكن من الممكن تقديم تهمة تمس اخلاق تلك الفئة المحرومة . فحتى اعداؤهم اعلنو ا انهم شعب مسالم هادئ تقي . لكنّ الجريمة العظمى كانت انهم لم يريدوا ان يعبدوا الله حسبما يريد الباب ا. فلأجل هذه الجريمة الواحدة انهالت عليهم كل الوان الاذلال والاهانات والعذابات التي قد تعنّ على بال الناس او الشياطين.

حملة على شهود الرب

وعندما عزمت روما في زمن ما أن تستأصل هذه الطائفة المكروهة أصدر البابا براءة تقضي بادانتهم كهراطقة وأسلمهم للذبح (انظر التذييل). لم تكن التهمة الموجهة اليهم هي التبطُّل أو الخيانة أو الاخلال بالأمن والنظام، بل أشيع عنهم بأنهم يتظاهرون بالتقوى والقداسة، وهذا المظهر يخدع "خراف الحظيرة الحقيقية". لذلك أمر البابا قائلا: "تلك الطائفة الخبيثة الرجسة المطبوعة على [87] الشر، اذا رفض افرادها ان يجحدوا تعاليمهم فينبغي سحقهم كالحيات السامة" (٨). فهل كان هذا العاهل المتعجرف يعرف أنه سيواجه هذا الكلام مرة اخرى، وهل كان يعلم أنه قد سُجل ضده في أسفار السماء، وانه سيجابه بهذا الكلام في يوم الدين؟ لقد قال يسوع: "بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم" (متى ٢٥ : ٤٠).

اوجبت هذه البراءة على كل عضو في الكنيسة ان يشترك في الحملة الصليبية ضد الهراطقة . والذي حفز الناس على هذا العمل القاسي هو انهم "برئت ساحتهم من كل العقوبات الكنسية، العامة منها والخاصة . وكل من اشترك في تلك الحملة اعتق من كل النذور التي أوجبها على نفسه وصار له الحق الشرعي في ملكية أي شيء يكون قد استولى عليه بغير وجه حق، واعطي وعداً بغفران كل خطاياه متى قتل ايًّا من اولئك الهراطقة. وقد الغى ذلك المنشور كل عقد لصالح الولدنسيين، وأمر خدمهم بهجرهم وترك خدمتهم،

ونهى جميع الناس عن تقديم كل مساعدة لهم، واعطى كل الناس سلطانا بالاستيلاء على املاك الولدنسيين“ (٩). هذه الوثيقة تكشف عن الروح الكامنة خلف كل تلك المشاهد . والصوت الذي يُسمع فيه ا ليس هو صوت المسيح بل هو زئير التنين.

ان الرؤساء البابويين رفضوا الامتثال لمقياس شريعة الله العظيم، بل لقد اقاموا ووضعوا قانونا يناسبهم ويتفق ورغباتهم وعزموا على ارغام الناس على الامتثال له لأن هذه هي ارادة روم ا. وقد حدثت أرهب المآسي . وكان الكهنة والبابوات الفاسدون المجدِّفون يقومون بالعمل الذي عينه الشيطان لهم، وما كان للرحمة أن تجد لنفسها سبيلا الى قلوبهم . فالروح نفسها التي صلبت المسيح وقتلت الرسل، والروح نفسها التي حرّكت نيرون المتعطش الى سفك الدماء الزكية ليقضي على الامناء في عهده، كانت دائبة في عمله ا لتبيد من الارض اولئك الذين كانوا احبّاء الله. [88]

ان الاضطهادات التي حلت بهذا الشعب الخائف الله احتملوها قرونا عديدة بصبر وثبات، وتمجد بذلك فاديهم . وعلى رغم الحملات الصليبية التي جُردت عليهم والمذابح الوحشية التي حلت بهم فانهم لم يكفوا عن ارسال مبشريهم ليبذروا بذار الحق الثمين . لقد طوردوا حتى الموت ومع ذلك أروت دماؤهم ذلك البذار المزروع فلم يكف عن الاتيان بثمر . وهكذا شهد الولدنسيون لله قبل ميلاد لوثر بعدة قرون . فاذ تشتتوا في بلدان كثيرة زرعوا بذار الاصلاح الذي بدأ في أيام ويكلف ونما وزاد وتأصل في أيام لوثر، وس يظل هذا العمل متقدما الى الامام الى انقضاء الدهر على ايدي من يرغبون أيضاً في احتمال كل شيء ”من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح“ (رؤيا ١ : ١٩). [89]

الفصل الخامس ــــ جون ويكلف

قبل أيام الاصلاح ك انت توجد نسخ قليلة جدا من الكتاب المقدس في بعض الاحايين، ولكن لم يسمح الله أن تتلاشى كلمته كلياً من الوجود . ولم يكن لحقائق الكتاب أن تظل محجوبة الى الابد عن الانظار . لقد كان يمكنه أن يطلق كلمته من قيودها بالسهو لة نفسها التي يستطيع بها أن يفتح أبواب السجون والمصاريع الحديدية ليطلق عبيده الى رحب الحرية . وفي ممالك أوروبا المختلفة كان روح الله يستطيع أن يحرك الناس للبحث عن الحق كمن ينقبون عن الكنوز . واذ قادتهم العناية الالهية الى الكتب المقدسة جعلوا يدرسونها باهتمام وشغف عظيمين. لقد كانوا مستعدين لقبول النور مهما تكن الكلفة بالنسبة اليهم . ومع انهم لم يروا كل شيء بوضوح فقد استطاعوا ملاحظة حقائق كثيرة كانت قد أخفيت عنهم طويلا . وكرسل موفدين من قبل السماء خرجوا يحطمون اغلال الضلال والخرافات ويَدعون اولئك الذين ظلوا يرسفون في قيود عبوديتهم طويلا لينهضوا مطالبين بحريتهم.

وخارج جماعات الولدنسيين ظلت كلمة الله محصورة لقرون طويلة في نطاق لغات لم يكن متيسِّراً لغير العلماء أن يفهموه ا. ولكن حان الوقت الذي فيه تُرجمت الكتب المقدسة ووزعت على شعوب ممالك مختلفة في لغاتهم [90] الوطنية. كان العالم قد جاز في ظلمة منتصف الليل، وكانت ساعات الظلمة موشكة على الانتهاء، وفي بلدان كثيرة ظهرت بوادر أنوار الفجر الآتي.

في القرن الرابع عشر اشرق "كوكب صبح الاصلاح" في انجلتر ا. كان جون ويكلف هو بشير الاصلاح ليس لانجلترا وحدها بل لكل العالم المسيحي. ان الا حتجاج العظيم الذي سُمح لويكلف ان يقدمه ضد روما لم يكن في الوسع اسكاته ابدا، فكان فاتحة الصراع الذي ادى الى تحرير الافراد والكنائس والامم.

تلقى ويكلف تربية عقلية شاملة عميقة، وبالنسبة اليه كانت مخافة الله رأس الحكمة . واشتهر في الكلية بتقواه الحارة وغيرته ك ما بمواهبه العظيمة الممتازة ولوذعيته السليمة . وفي تعطشه الى العلم طلب التعرف الى كل فروع العلوم، فدرس الفلسفات العلمية وقانون الكنيسة والقانون المدني وعلى الخصوص قوانين بلاده . وظهرت باكرا قيمة هذه التربية وآثارها البعيدة المدى في مستقبل حياته وأعماله التي قام به ا. وقد كان له إلمام كامل بفلسفة عصره النظرية، ما ساعده على الكشف عن اخطائها، كما أهلته دراساته للقانون القومي والكنسي للاشتباك في الصراع العظيم في سبيل الحرية الدينية والمدنية. وعندما استطاع أن يحسن استخدام الاسلحة التي أمكنه الحصول عليها من كلمة الله اكتسب تدريبا عقليا اسكلائيا (سكولاستيكيا) وفهم حيل رجال الفلسفة واللاهوت الاسكلائيين . وقد اكسبته قوة عبقريته واتساع دائرة معارفه وعلمه الكامل احترام اصدقائه واعدائه على السواء . رأى اتباعه بكل رضى واطمئنان ان بطلهم يقف في طليعة جبابرة العقول في أمته . فمُنع اعداؤه من إلحاق الاحتقار بدعوة الاصلاح من خلال التشهير بجهل وضُعف من يناصرها.

ويكلف يعرف الكتاب

واذ كان ويكلف لا يزال في الكلية شرع في دراسة الكتاب المقدس . في تلك العصور القديمة عندما كان الكتاب متاحا باللغات القديمة وحدها كان نوابغ [91] الطلبة فقط قادرين على ان يجدوا الطريق الى نبع الحق الذي كان مغلقا في وجوه الطبقات غير المتعلمة . وهكذا كان الطريق مفتوحا امام عمل ويكلف في المستقبل كرجل من رجال الاصلاح . لقد درس العلماء كلمة الله واكتشفوا تلك الحقيقة العظيمة، الا وهي حقيقة النعمة المجانية، معلنةً فيه ا. وفي تعليمهم نشروا معرفة هذا الحق وارشدوا الآخرين ليلتفتوا الى اقوال الله الحية.

وعندما اتجه انتباه ويكلف الى الكتاب المقدس بدأ في فحصه بالدقة والتعمق نفسيهما اللذين جعلاه يأخذ بناصية العلوم في المدارس .كان قبل ذلك يحس بتوق عظيم لم تستطع دراساته العلمية وتعاليم الكنيسة ان تشبعه . لقد وجد في كلمة الله ضالته التي عبثا بحث عنها طويلا . وجد فيها اعلانا لتدبير الخلاص، ورأى المسيح مقدّما فيها كالشفيع والوسيط الوحيد عن الانسان . فنذر نفسه لخدمة المسيح وعوّل على اعلان الحقائق التي اكتشفها.

وكغيره من الم صلحين الذين اتوا بعده لم يكن ويكلف في بدء عمله يعلم الى أين سينتهي به المطاف . لم يكن يتعمّد مقاومة روما أو مقارعته ا. لكنّ تكريسه نفسه للحق جعل من ألزم الامور بالنسبة اليه أن يحارب الاكاذيب والاباطيل. وكلما زاد اكتشافه واتضحت امامه اخطاء البابوية وضلالاتها زادت غيرته على توفير تعاليم الكتاب المقدس للناس . رأى أن روما قد تخلت عن كلمة الله وأبدلتها بتقاليد الناس وطقوسهم . وأتهم الكهنة بأنهم قد استبعدوا الكتاب المقدس من دون أن يخشى شيئا، وطالب باعادة الكتاب الى الشعب وان يعود للكتاب سلطانه في الكنيسة . لقد كان معلما موهوبا وغيورا، وواعظا فصيحا، وكانت حياته اليومية تطبيقا للحقائق التي بشر به ا. هذا، وان معرفته الكتاب وقوة حججه وطهارة حياته واستقامته وشجاعته العظيمة التي لا تنثني، كل ذلك اكسبه تقد ير الناس عامة وثقتهم . وكثيرون منهم لم يعودوا، اذ ذاك، قانعين بإيمانهم القديم اذ رأوا الاثم متفشياً وسائداً في الكنيسة الرومانية . وبفرح يستحيل اخفاؤه رحبوا بالحقائق التي [92] كشف عنها ويكلف . لكنّ الرؤساء البابويين احتدموا غيظا واشتعل غضبهم عندما اكتشفوا أن هذا المصلح كان يكسب انصارا ونفوذا اكبر منهم

كاشف للاخطاء

كان ويكلف حاد البصيرة نافذ الذكاء في الكشف عن الخطأ والضلال، واذ كان لا يخشى بأس أحد وجَّه ضربات قوية الى كثير من الفضائح التي كانت تبيحها سلطات روم ا. فاذ كان قسيسا للملك وقف موقفا جريئا ضد ابق اء الجزية التي فرضها البابا على ملك الانجليز، وبرهن على أن ادعاء البابا بان له حق السيادة على الحكام المدنيين مناقض للعقل والوحي الالهي . فأثارت مطالب البابا كثيرا من السخط، وكان لتعاليم ويكلف تأثير عظيم في عقول قادة الامة . فاتحد الملك مع النبلاء على انكار ادعاء البابا بأن له سلطة دنيوية وعلى رفض ايفاء الجزية، وهكذا وُجهت الى سيادة البابا في انجلترا ضربة قوية.

وهنالك شر آخر أثار ضده ذلك المصلح حربا عنيفة طويلة الا وهو وضع نظام الرهبان المتسولين . فقد تجمع اولئك الرهبان في انجلترا وهكذا اصابوا عظمة الامة وازدهارها بآفة مخيفة . فلقد أحس ارباب

الصناعة والتعليم ورجال الاخلاق شدة وطأة هذا التأثير الضار . أن حياة الراهب، التي كان يقضيها في البطالة والتسول، لم تكن فقط بالوعة تلتهم ثروات الشعب، لكنها فوق ذلك جعلت الناس يحتقرون العمل النافع . لقد تحطمت حياة الشباب وفسدت. وبسبب تأثير الرهبان أغري كثيرون على دخول الاديرة وتكريس نفوسهم لحياة النسك . وهذا، فضلا عن كونه مضادا لارادة الآباء، اخفي عن علمهم لانه يتعارض مع اوامرهم ورغباتهم . فاحد آباء كنيسة روما الاولين في معرض حثه الشباب على اطاعة مطالب الرهبنة واعتبارها اولى بالطاعة وأهم من التزامهم محبة آبائهم وإطاعتهم أعلن قائلا: "لو انطرح ابوك امامك باكيا ونائحا، ولو كشفت لك امك عن جسدها وثدييها اللذين ارضعاك فكن حريصا على ان تدوسهما بقدميك وتتقدم الى الامام في طريقك [93] الى المسيح". هكذا تقست قلوب الابناء على آبائهم بهذه "الوحشية الفظيعة التي هي أقرب الى ضراوة الذئب وطغيان الطغاة منها الى الروح المسيحية او الرجولة والمروءة"، على حد قول لوثر (٩ — ١). وهكذا ابطل الرؤساء البابويون وصية الله بس بب تقليدهم كما قد فعل الفريسيون قديم ا. وهكذا خربت البيوت وأوحشت، وحُرم الآباء من عشرة بنيهم وبناتهم.

يوجههم الى مصدر الحق

بل حتى طلبة الجامعات انخدعوا بتصويرات الرهبان الكاذبة وغُرر بهم لينضموا الى رهبانياتهم . وقد ندم كثيرون بعد ذلك لانهم خطوا تلك الخطو ة الطائشة اذ اكتشفوا انهم قد اودوا بحياتهم الى اليبوسة والذبول وجلبوا الحزن الى قلوب والديهم . ولكن ما ان امسكت ارجلهم في الفخ حتى غدا من المستحيل عليهم ان يستعيدوا حريتهم . واذ كان كثير من الآباء يخافون من تأثير الرهبان رفضوا ارسال بنيهم الى الجامعات . فكان هنالك نقص ملحوظ في عدد الطلبة الملتحقين بمراكز العلم العظيمة . ونتج من ذلك ان ضعفت المدارس وتفشى الجهل.

وكان البابا قد منح هؤلاء الرهبان السلطان على قبول الاعترافات ومنح الغفران للمعترفين . فصار هذا مبعث شر عظيم . واذ كان الرهبان يحرصون على زيادة ارباحهم كانوا على أتم استعداد لمنح الناس الغفران حتى لجأ اليهم المجرمون من كل نوع، وكان من أثر ذلك أن استفحل شر الرذائل بسرعة هائلة . ولقد تُرك المرضى والفقراء ليتألموا في حين ان العطايا التي كان يجب أن تُسدى اليهم لتفرج ضيقتهم وتخفف آلامهم وضعت في ايدي الرهبان الذين كانوا يطالبون الشعب بالتصدق عليهم . وكانوا يعمدون الى التهديد بفضح من يمتنعون عن تخصيص رهبانياتهم بالعطايا، قائلين عنهم انهم ملحدون . وعلى رغم احتراف الرهبان التسول والفقر ف قد كانت ثرواتهم تتزايد كل يوم كما أن صروحهم الفخمة وموائدهم [94] الحافلة التي كان الترف يبدو فيها ظاهرا للعيان كشفت بالاكثر عن فقر الامة المتزايد. واذ كانوا يقضون وقتهم في الترف والملذات كانوا يرسلون بدلا منهم اناسا جهلة لا يسعهم الا أن يسردوا بعض القصص والاس اطير العجيبة، ويرسلوا النكات بين حين وآخر ليسروا الناس ويجعلوهم اغرارا تماما ليستغل الرهبان سذاجتهم. ومع ذلك فقد ظل الرهبان محتفظين بسيطرتهم على الجموع المتعلقين بالخرافات، وجعلوهم يعتقدون ان كل الواجب الديني المطلوب منهم متضمَّن فقط في اعترافهم بسيادة الب ابا وتمجيد القديسين وتخصيص الرهبان بالعطايا، وأن هذا كافٍ لان يضمن لهم مكانا في السماء.

وعبثا حاول العلماء والاتقياء ان يقوموا ببعض اصلاحات في أخويات الرهبان هذه. ولكن ويكلف ببصيرته الصافية وجَّه ضرباته إلى أصل الشر معلناً أن النظام بجملته كاذب وباطل وينبغ ي ابطاله . وقد استيقظ الشعب ليتباحثوا ويتساءلو ا. فاذ كان الرهبان يجوبون البلاد طولا وعرضا ويبيعون غفرانات البابا

بدأ الناس يشكون في امكانية ابتياع الغفران بالمال، وكانوا يتساءلون ما اذا لم يكن يجب عليهم ان يطلبوا الغفران من الله لا من بابا روما (انظر التذييل). وقد فزع عدد غير قليل من الناس من جشع الرهبان الذين بدا كأن طمعهم لا يعرف الشبع. فقالوا: "ان رهبان روما وكهنتها يلتهموننا كما لو كانوا سرطانا رهيبا. ينبغي ان يحررنا الله وينقذنا والا فمصير الامة الى الهلاك" (١٠). لقد حاول اولئك الرهبان المتسولون اخفاء جشعهم بقولهم انهم انما يتبعون مثال المخلص فأعلنوا ان يسوع وتلاميذه كانوا يعتمدون في أمر إعالتهم على صدقات الشعب. لكنّ هذا الادعاء نشأ عنه ضرر عظيم لهم ولدعوتهم لانه جعل كثيرين يفتشون الكتب المقدسة ليتعلموا الحق لانفسهم. وهي نتيجة لم تكن روما تتوقعها او ترغب فيها. وقد اتجهت عقول الناس الى نبع الحق الذي كانت روما تهدف الى اخفائه.

ثم بدأ ويكلف بكتابة بعض النبذ ضد الرهبان ونشرها، ومع ذلك فهو لم يكن يرغب في أن يشتبك معهم في جدال، لكنه كان يريد بالاكثر ان يوجه افكار الناس الى تعاليم الكتاب و مبدعه. وأعلن أن سلطان الغفران او الحرم لا يملكه البابا بدرجة اعظم من أي كاهن عادي، وانه يجب ألا يحرم انسان حقا ما لم يجلب [95] على نفسه دينونة الله اولا. ولم يكن يجد وسيلة افعل من هذه في محاولة قلب ذلك الصرح الهائل وهدمه، صرح السلطة الروحية والزمنية، الذي اقامه البابا وفيه أسر أرواح ملايين الناس واجسادهم.

ارسال المصلح الى اوروبا

دُعي ويكلف مرة اخرى للدفاع عن التاج البريطاني ضد اعتداءات روما. فاذ كان قد عُين سفيرا لمليكه وبلاده في الاراضي الواطئة قضى عامين يتفاوض مع مندوبي البابا، وفيما هو هناك اتصل برجال الدين في فرنسا وايطاليا واسبانيا، فكانت له فرصة ان ينظر الى الصورة الخلفية للاشياء وان يعرف امورا كثيرة كان يمكن ان تظل خافية على الشعب في انجلترا. تعلم اشياء كثيرة انتفع بها في جهوده التي بذلها فيما بعد. وقد عرف من ممثلي البلاط البابوي هؤلاء الصفة الحقيقية للحكومة البابوية واهدافها. وعاد الى انجلترا ليردد تعاليمه السالفة بأكثر مجاهرة وغيرة معلنا ان الجشع والكبرياء والخداع هي آلهة روما.

وفي معرض كلامه عن البابا وجامعي ضرائبه في احدى النبذ قال: "انهم يستنزفون من بلادنا اقوات الفقراء، وآلافا عديدة من الماركات من خزانة الملك لاجل ذبيحة القداس والامور الروحية التي هي زندقة ملعونة، اذ انها متاجرة بالرتب الكهنوتية، وهذا يجعل العالم المسيحي يرضى بهذه الهرطقة ويتمسك بها. وحقا انه لو كان في بلادنا جبل كبير من أكوام الذهب، ولم يأخذ أحد منه شيئا باستثناء جامع ضرائب الكهنة المتجبر هذا، فبمرور الزمن لن يعود لهذا الذهب وجود، لأنه يأخذ الاموال من بلادنا ولا يعطينا بدلا منها غير لعنة الله على هذه السيمونية التي يحترفها" (١١). [96]

وحالما عاد ويكلف الى انجلترا عينه الملك على ابروشية لترورث. وقد كان هذا تأكيدا على ان الملك، على الاقل، لم يكن مستاء من صراحته في الكلام. وقد ظهر نفوذ ويكلف في تشكيل البلاط وفي صوغ معتقدات الامة.

وسرعان ما انهالت عليه رعود الباب ا. فلقد أرسلت ثلاث براءات بابوية الى انجلترا، الى الجامعة والملك والاساقفة، وفي كل منها يأمر الباب ا باتخاذ الاجراءات السريعة الحاسمة لاسكات ناشر الهرطقة (انظر التذييل). وقبلما وصلت براءات البابا كان الاساقفة، في غيرتهم، قد استدعوا ويكلف لادانته. لكنّ اثنين من أقوى امراء المملكة رافقاه الى المحكمة، كما ان الناس الذين تجمعوا حولها واندفعوا الى داخلها

أوقع وا الرعب في قلوب القضاة فتوقفت اجراءاتهم موقتا وسُمح لويكلف ان يمضي في طريقه بسلام . وبعد ذلك بقليل مات الملك ادوارد الثالث الذي حاول الاساقفة في اثناء شيخوخته ان يثيروه ضد ذلك المصلح، وتولى الحكم ظهير ويكلف ونصيره السابق كنائب عن الملك في حكم المملكة.

الا ان توالي ورود براءات البابا اوجب على انجلترا ان تقوم كلها بعمل حاسم بالقبض على ذلك الهرطوقي وطرحه في السجن، وكان الغرض من تلك الاجراءات ان يُحرق بالنار . وقد بدا مؤكدا ان ويكلف لا بد ان يسقط سريعا فريسة لانتقام روما. لكنّ ذاك الذي كان قد أعلن لاحد القديسين قائلا: "لا تخف ... انا ترس لك" (تكوين ١٥ : ١) مد يده مرة اخرى لحماية خادمه، فجاء الموت لا ليهجم على المصلح بل ليقضي على البابا الذي امر بقتله . فلقد مات البابا غريغوريوس الحادي عشر فتشتت شمل رجال الدين الذين أتوا لمحاكمة ويكلف.

لكنّ عناية الله سيطرت على الاحداث التي جرت بعد ذلك لكي تتيح الفرصة لنمو الاصلاح وازدهاره . فقد تبع موتَ غريغوريوس اختيار أثنين من البابوات متنافسَين. فكان هناك قوتان متناحرتان كل منهما معترف بها انها معصومة، وكل منهما كانت تطالب الناس بالطاعة (انظر التذييل). وكل من هذين البابوين استنجد بالامناء لمعاونته في اثارة الحرب ضد الآخر، وكان يرغم الناس على اطاعة اوامره بالحروم التي كان يقذفها في وجوه خصومه، والوعد بالجزاء الصالح [97] في السماء لانصاره . فكان هذا الحادث من العوامل التي أدت الى اضعاف سلطة البابا الى حد كبير . ولقد بذل الحزبان المتنافسان قصارى جهدهما لمهاجمة احدهما الآخر، فاستراح ويكلف بعض الوقت . كان كل من البابَويْن يرشق الآخر بالحروم والمهاترات، وسالت الدماء كالانهار ليثبت كل من الاثنين حقه، فغمرت الكنيسة سيول من الجرائم والوشايات . وفي اثناء ذلك كان المصلح وهو في معتكفه الهادئ في ابروشية لتروورث يسعى جاهدا الى تحويل انظار الشعب عن ذينك البابوين المتناحرين الى يسوع رئيس السلام.

مهد ذلك الانشقاق الذي حدث، بكل ما نجم عنه من نزاع وفساد، الطريق للاصلاح اذ اعطى الناس فكرة صحيحة عن حقيقة البابوية . وفي احدى النبذ التي نشرها ويكلف وكان موضوعها "انشقاق بين البابوات" طلب من الشعب أن يتأملوا في ما اذا لم يكن هذان البابوان قد نطقا بالصدق حين حكم كل منهما على الآخر بانه ضد المسيح (المسيح الدجال). ثم قال: "ان الله لم يسمح للشيطان ان يملك على كاهن واحد بل أحدث الانقسام بين الاثنين حتى يمكن للشعب باسم المسيح أن ينتصروا على كليهما بسهولة اعظم" (١٢).

بشر ويكلف، كسيده، المساكين . ولم يكتف بنشر النور في مساكنهم المتواضعة في ابروشيته في لتروورث، بل عقد العزم على أن يحمله الى كل انحاء انجلترا. ولكي ينجز هذا العمل نظم هيئة من المبشرين البسطاء الاتقياء الذين كانوا يحبون الحق ويرغبون كل الرغبة في نشره . فخرج هؤلاء الرجال الى كل الاماكن يعلّمون الناس في الاسواق وشوارع المدن العظيمة وفي الارياف، في الدروب والازقة وفي القرى . وكانوا يبحثون عن الاشياخ والمرضى والمساكين ويخبرونهم ببشارة نعمة الله المفرحة. [98]

مرض خطر يهاجم المصلح

وكاستاذ للاهوت في اكسفورد كان ويكلف يبشر بكلمة الله في قاعات الجامعة. وكان بكل امانة يعرض الحق امام طلابه حتى لقد حصل على لقب "دكتور الانجيل". لكنّ اعظم عمل قام به في حياته كان

ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة الانجليزية . وفي احد مؤلفاته الذي عنوانه ”حق الكتاب ومعناه“ عبر عن اعتزامه ان يترجم الكتاب حتى يتسنى لكل رجل في انجلترا ان يقرأ عن أعمال الله العجيبة في لغته التي وُلد فيها.

ولكن فجأة اوقفت اعماله . فمع انه لم يكن قد بلغ الستين من عمره فان عمله المتواصل ودراساته ومهاجمات اعدائه، كل ذلك أثر في صحته وقوته وجعله يشيخ قبل الاوان، ثم هاجمه مرض خطر، فسُرَّ الرهبان لهذا الخبر سرورا بالغا اذ ظنوا انه الآن سيعلن ندامته المرة على الشر الذي صنعه بالكنيسة، وأسرعوا الى حجرته ليصغوا الى اعترافه . فاجتمع حول سرير ذلك الرجل الذي ظن انه في ها “ : دور الاحتضار م مثلون عن الرهبانيات الاربع مع اربعة ضباط مدنيين، فقالوا له نحن نرى لمسات الموت على شفتيك، فينبغي لك ان تندم على اخطائك، وفي اصغى ذلك المصلح الى اقوالهم وهو .” حضرتنا تنكر كل ما قلته للاضرار بن ا صامت، فلما كفوا عن الكلام امر غلامه ان يُرفع في فراشه، فاذ وقفوا منتظرين ان يسمعوا انكاره لتصريحاته الماضية حدَّق ببصره اليهم ثم قال بصوته القوي الثابت الذي طالما ارعبهم: ”لن اموت ولكني سأعيش لاعلن على الملأ مرة اخرى الشرور التي يرتكبها الرهبان“ (١٣)، فخرج الرهبان مهرولين وهم متعجبون وخجلون.

اقوى الاسلحة

وتحقق ما قاله ويكلف، فلقد عاش ليضع في ايدي مواطنيه امضى سلاح ضد روم ا: الكتاب المقدس الذي هو الوسيلة التي عينتها السماء لتحرير الشعب [99] وانارتهم وتبشيرهم . كانت هناك عوائق وعقبات عظيمة وكثيرة، وكان عليه ان يذللها لانجاز هذا العمل . كان ويكلف ينوء تحت ثق ل المرض والضعف، وقد علم انه لم يبق له سوى سنين قليلة يقضيها في العمل والخدمة، ورأى المقاومات التي كان عليه أن يواجهها، ولكنه اذ تشجع بالاستناد الى مواعيد كلمة الله تقدم الى الامام غير خائف بأس احد . وفي ملء نشاط قواه العقلية وثروته العظيمة من الاختبارات ا لناضجة حفظته عناية الله الخاصة واعدته للقيام بهذا العمل الذي كان اعظم اعماله وأمجده ا. فاذ كانت الفتنة والثورات تجتاح العالم المسيحي شرع هذا المصلح في القيام بعمله المختار في ابروشيته في لترورث، غير آبه للعواصف التي كانت تثور في الخارج.

اخيرا اكمل العمل : أول ترجمة انجليزية للكتاب اطلاق ا. ها هي كلمة الله تُقدَّم إلى شعب انجلترا، وما عاد المصلح يخاف الآن السجن أو الموت احتراق ا. لقد وضع بين ايدي الشعب الانجليزي نورا لن يخبو او ينطفئ . فاذ وفَّر الكتاب لمواطنيه عمل لتحطيم قيود الجهل والرذيلة ولتحرير بلاده ورفع شأنها عملا اكبر من كل ما احرزه اذكى الناس من انتصارات باهرة في ساحات القتال.

واذ كان فن الطباعة غير معروف حينذاك لم يكن من الممكن الحصول على عدد كبير من نسخ الكتاب المقدس الا بعد عمل مضن بطيء، وكان اهتمام الشعب بالحصول على الكتاب عظيما بحيث أن كثيرين شرعوا في نسخه عن طيب خاطر . ولكن لم يكن من الميسور ان يلبي الناسخون كل طلبات الشعب فورا. وقد طلب بعض الاثرياء الكتاب المقدس كاملا، بينما حصل آخرون على جزء منه. وفي حالات كثيرة اشتركت جملة عائلات في شراء نسخة واحدة . وهكذا وجدت توراة ويكلف طريقها الى بيوت الشعب.

هذا وان الالتجاء الى عقول الناس ايقظهم من خنوعهم واستسلامهم للعقائد البابوية فقد علّم ويكلف

الشعب حينئذ التعاليم البروتستانتية الممتازة : الخلاص بالايمان بالمسيح والعصمة الكاملة التي اتصفت بها الكتب المقدسة . وكان الكارزون الذين ارسلهم ويكلف يعرضون الكتاب المقدس للشعب، [100] وكذلك بعض مؤلفات المصلح . وقد حالفهم النجاح بحيث ان حوالي نصف شعب انجلترا قبلوا الايمان الجديد.

ساء ظهور الكتاب المقدس وذيوعه سلطات الكنيسة مساءة عظيمة . فقد كان عليهم اذ ذاك ان يواجهوا وسيلة وعاملا اقوى من ويكلف، وهو عامل لا تقوى اسلحتهم على ان تقهره . ولم يكن في انجلترا في ذلك الحين اي قانون يحرِّم اقتناء الكتاب المقدس لانه لم يكن قد نُشر قبل ذلك بلغة الشعب . فسُنَّت مثل تلك القوانين فيما بعد ونُفذت بكل صرامة، ولكن في تلك الاثناء على رغم محاولات الكهنة كانت توجد فرصة لنشر كلمة الله الى حين.

ويكلف يستدعى الى المحاكمة

تآمر الروساء البابويون لإسكات صوت المصلح من جديد، فاستدعي ليحاكم امام ثلاث محاكم، واحدة في أثر الاخرى، لكنّ ذلك كله كان بلا جدوى . ففي البداية قررمجمع الاساقفة ان مؤلفات ويكلف هرطوقية، واذ كسبوا رتشارد الثاني الملك الشاب الى جانبهم حصلوا على مرسوم ملكي يقضي بالسجن على كل من يعتنق تلك العقائد الجديدة المدانة.

واستأنف ويكلف دعواه من ذلك المجمع الى البرلمان، ومن دون خوف اتهم حكومة الكهنة امام مجلس الامة وطالب باصلاح الاضرار والمفاسد الهائلة التي اقرتها الكنيسة وصادقت عليه ا. وبقوة اقناع عظيمة صوَّر لرجال المجلس الاغتصابات والمفاسد التي ارتكبتها السلطات البابوية . فارتبك خصوم ويكلف، اما اصدقاؤه ومعضدوه فقد ارغموا على الخضوع وكان كثيرون ينتظرون بكل ثقة ان المصلح نفسه، وهو في حال الضعف والشيخوخة ووحيد لا صديق له، سينحني صاغرا ام ام السلطة المزدوجة أي سلطة الملك وسلطة الاساقفة . ولكن بدلا من هذا رأى البابويون انفسهم منهزمين . فأمام قوة حجج ويكلف ومقدرته الخطابية العظيمة الغى البرلمان المرسوم القاضي باضطهاد المصلح ومشايعيه، وهكذا اطلق سراحه. [101]

ومرة ثالثة أوتي به ليحاكم، أما هذه المرة فك انت أمام أعلى محكمة اكليريكية في المملكة وقد عزم البابويون ألا يظهروا أي تعاطف مع الهرطقة : فقد ظنوا ان روما لا بد أن تنتصر هنا اخيراً ويُوضع حد نهائي لعمل المصلح . فلو ظفروا بمرادهم فلا بد من إرغام ويكلف على إنكار تعاليمه أو سوقه مباشرة الى المحرقة.

يرفض أن يتراجع

لكنّ ويكلف لم يتراجع ولم يبد خضوعا او استسلاما، بل بكل شجاعة تمسك بتعاليمه وفنَّد اتهامات مضطهديه . فاذ نسي نفسه ومركزه والظروف المحيطة به اوقف سامعيه أمام محكمة الله ووضع مغالطاتهم ومخاتلاتهم في ميزان الحق الازلي . وأحس الحاضرون في المجلس بقوة الرو ح القدس، واستولت على اولئك السامعين هيبة الله، وبدا كأنهم عاجزون عن الخروج من ذلك المكان . لقد اخترقت اقوال المصلح قلوبهم كأنها سهام من جعبة الله . فبقوة تبكيت عظيمة رد تهمة الهرطقة عليهم فصاروا هم

المتهمين وقد سألهم قائلا: "لماذا تجرأتم على نشر ضلالاتكم؟ الأجل الربح اتجرتم بنعمة الله؟".

واخيرا قال: "مَنْ تظنون انكم تحاربون؟ أشيخا فانيا يترنح وهو واقف على حافة القبر؟ كلا فأنتم انما تحاربون الحق، الحق الذي هو أقوى منكم والذي سيقهركم" (١٤). واذ قال هذا خرج من ذلك الاجتماع ولم يحاول احد من خصومه ان يمنعه من الخروج.

أوشك عمل ويكلف أن ينتهي، وراية الحق التي حملها طويلا كان لا بد أن تسقط من يده ولكن كان عليه ان يشهد للإنجيل مرة اخرى. كان لا بد له من أن يعلن الحق من معقل مملكة الضلال نفسه. فلقد أستُدعي ويكلف ليحاكم أمام المحكمة البابوية في روما التي ق د سفكت دم القديسين مدرارا مرارا عديدة، ولم يكن يجهل الخطر المحدق به ومع ذلك فقد كان يرغب في اطاعة ذلك الاخطار لولا ان مرض الفالج المفاجئ الذي اصيب به قد حال بينه [102] وبين القيام بتلك الرحلة. ولكن مع أن صوته لم يُسمع في روما فقد كان يستطيع أن يتكلم بواسطة الرسائل، وهذا ما عقد العزم على عمله. فمن ابروشيته كتب ذلك المصلح رسالة الى البابا، تلك الرسالة التي وان كانت تبدو فيها نغمة الاحترام والروح المسيحية فقد كانت توبيخا جارحا للسدة البابوية على ابهتها وكبريائها.

قال: "انه مما يبهج قلبي حقا أن أجاهر معلنا، لكل انسان، الايمان الذي اعتنقه، وعلى الخصوص أمام أسقف روما، الذي بكل رضى وسرور سيثبتني في هذا الإيمان لكوني اعتقد انه سليم وحقيقي، وان كان خطأ فليصلحه.

"فانا اعتقد اولا ان انجيل المسيح هو شريعة الله الكاملة ... وأعتبر أن أسقف روما من حيث انه نائب المسيح على الارض مرتبط بشريعة الانجيل هذه اكثر من جميع الناس. لان العظمة بين تلاميذ المسيح لا تنحصر في السيادة والكرامات العالمية بل في اتباع المسيح بكل دقة وعن أقرب قرب في حياته وتصرفاته... ان المسيح مدى سني غربته هنا على الارض عاش كأفقر انسان، محتقرا وطارحا عنه كل سلطان وكرامة عالمية...

لا سلام الا في اتِّباع المسيح

"ينبغي لكل انسان أمين الا يتبع البابا نفسه او ايًّا من القديسين الا في الامور التي يكون فيها تابعا للرب يسوع المسيح. لان بطرس وأبني زبدى اذ كانوا يشتاقون الى الحصول على الكرامة العالمية، ما هو على نقيض اتِّباع خطوات المسيح، فقد أخطأوا. ففي تلك الاخطاء لا يصلحون لان يكونوا مُثلا تحتذى...

"ينبغي للبابا أن يترك للسلطات الدنيوية كل سيادة وحكم زمني. ولأجل ذلك عليه ان يرعى بحق اكليروسه كافة وينصحه، لأن هذا ما فعله المسيح وعلى الخصوص بواسطة رسله. ولذلك فان كنت قد اخطأت في [103] أي من هذه الامور فانا بكل تواضع اخضع لكل تأديب،حتى للموت اذ دعت الضرورة.

ولو كنت اسعى وفقا لارادتي او رغبتي الشخصية لتقدمت بكل تأكيد للمثول امام اسقف روما. لكنّ الرب قد افتقدني على عكس ذلك، وعلمني ان اطيع الله بالاحرى لا الناس".

وفي ختام رسالته قال: "لنصل الى الله طالبين منه ان يوقظ البابا واربان السادس، وقد بدأ خدمته، حتى يتبع بكل أمانة هو وكل رجال الاكليروس مثال الرب يسوع المسيح في الحياة والعادات، وحتى يعلموا الشعب، على نحو فعال مجدٍ، أن يتبعوا المسيح هم ايضا في الحياة والعادات" (١٥).

وهكذا قدم ويكلف للبابا وكرادلته وداعة المسيح وتواضعه، مستعرضا لا امامهم فقط بل ايضا امام العالم المسيحي اجمع، الفرق بينهم وبين السيد الذي ادعوا انهم يمثلون.

كان ويكلف يتوقع بكل تأكيد ان يبذل حياته ثمن ولائه لسيده، فلقد اتحد الملك مع البابا والاساقفة على اهلاكه. وبدا اكيدا انه بعد شهور قليلة على الاكثر سيموت احتراقا، لكنّ شجاعته لم تضعف ولا فُلَّت عزيمته . فقد قال لبعض من حوله: "ما لكم تتحدثون عن طلب اكليل الاستشهاد كأنه بعيد؟ انكم اذا بشّرتم بانجيل المسيح على مسامع الاساقفة المتعجرفين فلن يخطئكم الاستشهاد. ما هذا! هل اعيش وأظل صامتا؟ ... كلا مطلق ا! فلتسقط الضربة فأنا منتظر مجيئها" (١٦).

لكنّ عناية الله ظلت تحمي عبده وتحرسه . فذلك الرجل الذي ظل طوال حياته واقفا بشجاعة مدافعا عن الحق، معرَّضا للخطر كل يوم، ما كان ليسقط فريسة اعدائه وكراهيتهم . لم يحاول ويكلف ابدا ان يحمي نفسه لكنّ الرب كان حاميا له وحارسا، والآن عندما أحس الاعداء انهم قد تمكنوا من فريستهم فقد [104] رفعته يد الله بعيدا من متناول ايديهم . فاذ كان في كنيسته في لتروورث مزمعا ان يقدم الى الشعب المائدة المقدسة سقط على الارض اذ هاجمه مرض الفالج . وبعد وقت قصير اسلم الروح.

لقد عين الله لويكلف عمله، ووضع في فمه كلام الحق، وأقام حوله حارسا حتى يصل هذا الكلام الى مسامع الشعب . وطالت أيامه، وطالت سنوات التعب والكدح، الى أن وُضع أساس الاصلاح العظيم.

خرج ويكلف من غمرة عصور الظلام . ولم يكن احد قد سبقه حتى ينسج نظ ام الاصلاح الذي قام به على منواله . فاذ أقيم كيوحنا المعمدان ليتمم وينجز رسالة خاصة، كان بشير عهد جديد . ومع ذلك فقد كان يوجد في نظام الحق الذي قدمه وحدة وكمال لم يتفوق عليه فيهما المصلحون الذين أتوا بعده، وبعضهم لم يصلو ا الى مستواه حتى بعده بمئة سنة . لقد كان الاساس الذي وضعه متسعاً وعميقاً كما كانت البُنية ثابتة وحقيقية حتى لم يكن هنالك ما يدعو إلى أن يعيد من جاؤوا بعده إقامتها من جديد.

فيض من البركات

تلك الحركة العظيمة التي بدأها ويكلف، والتي كانت مزمعة ان تطلق العقول والضمائر من أسرها وتحرر الامم التي ظلت امدا طويلا موثقة الى مركبة روما الظافرة، بدأت ونبعت من الكتاب المقدس . ففي الكتاب كان نبع نهر البركة الذي فاض كماء الحياة وسال مدى الاجيال منذ القرن الرابع عشر . لقد قبل ويكلف الكتب المقدسة بايمان ثابت كالاعلان الموحى به عن ارادة الله والقانون الكافي للايمان والاعمال . كان قد تعلم ان يعتبر كنيسة روما السلطة الالهية المعصومة وان يقبل، بوقار، التعاليم والعادات المصطلح عليها مدى الف سنة، لكنه ترك ذلك كله ليصغي الى ما تقوله كلمة الله المقدسة . هذه هي السلطة التي [105] ألح على الشعب ان يعترف به ا. فبدلا من كون الكنيسة تتكلم على لسان البابا اعلن ان السلطة الحقيقية الوحيدة هي صوت الله متكلما في كتابه . وهو لم يُعَلِّم ان الكتاب المقدس هو الاعلان الكامل لارادة الله وحسب، بل قال أيضا ان الروح القدس هو المفسر الوحيد للكلمة الالهية، وان كل من يدرس تعاليم الكتاب سيعرف واجبه بنفسه ولنفسه . وهكذا حوَّل افكار الناس من البابا وكنيسة روما الى كلمة الله.

لقد كان ويكلف احد اعاظم رجال الاصلاح . ففي اتساع ذهنه وسمو تفكيره، وفي عزمه الثابت على حفظ الحق وجرأته في الدفاع عنه لم يكن يباريه غير القليلين ممن اتوا بعده . ان طهارة الحياة، والنشاط الذي لا يكل في الدرس والكد، والنزاهة التي لا غبار عليها، والمحبة المسيحية والا مانة في الخدمة كانت هي الصفات التي امتاز بها اول المصلحين، وهذا كله على رغم الظلام العقلي والفساد الاخلاقي الذي

استشرى في عصره.

ان صفات ويكلف هي شهادة لقوة كلمة الله المهذِّبة والمغيِّرة . فالكتاب المقدس هو الذي صاغه ووسم شخصيته المحببَّة . والسعي الى فهم ح قائق الوحي الالهي يضفي على قوى النفس نشاطا وقوة وهو يوسع الذهن ويشحذ المدارك وينضج التمييز . ودراسة الكتاب تسمو بالافكار والمشاعر والمُثُل اكثر من اي دراسة اخرى، وتُكسب المرء ثبات القصد والصبر والشجاعة والجلد، وتطهِّر الخُلُق، وتقدس النفس . دراسة كتاب الله بروح الغيرة والوقار اذ تقرب بين عقل التلميذ وفكر الله غير المحدود تمنح العالم رجالا أقوى وأنشط عقولا وذوي مبادئ انبل من كل ما قد نتج من اعظم تعليم قد تتضمنه الفلسفة البشرية . يقول صاحب المزامير "فتح كلامك ينير يعقِّل الجهال" (مزمور ١١٩ : ١٣٠).

ظلت تعاليم ويك لف تنتشر بعض الوقت . وأتباعه الذين لُقبوا بالويكلفيين واللولارديين لم يكتفوا بالتجول في انحاء انجلترا بل تشتتوا في بلدان اخرى، حاملين معرفة الانجيل . أما الان وقد أُخذ منهم قائدهم فقد خدموا بغيرة اعظم مما فعلوا من قبل، فتقاطرت جماهير الناس تستمع الى تعاليمهم . وبعض النبلاء [106] وحتى الملكة نفسها كانوا ضمن المهتدين . وفي كثير من الاماكن كان هنالك إصلاح ملحوظ في عادات الناس، وحتى الرسوم والرموز الوثنية البابوية أزيلت من الكنائس. ولكن سرعان ما هبت عاصفة الاضطهاد القاسية على اولئك الذين تجرأوا على قبول الكتاب المقدس مرش دا لهم . فاذ كان ملوك الانجليز يتوقون الى توطيد سلطانهم بالحصول على معاضدة روما لم يترددوا في التضحية بأولئك المصلحين. ولأول مرة في تاريخ انجلترا تقرر حرق تلاميذ الانجيل بالنار . وقد جاء استشهاد في اثر آخر . فالمحامون عن الحق الذين نُفوا او عذبوا لم يسعهم الا ان يسكبوا صرخاتهم في اذني رب الجنود . واذ طوردوا كاعداء للكنيسة وخونة ضد المملكة كانوا يبشرون في الاماكن الخفية وعلى قدر الإمكان كانوا يلجأون الى بيوت الفقراء الوضيعة، وكثيراً ما كانوا يلجأون الى المغاور والكهوف في بطون الجبال.

ولكن على الرغم من هول الاضط هاد فقد رُفع احتجاج هادىء مقدس غيور صبور ضد الفساد المتفشي في الايمان والعقيدة الدينية مدى قرون طويلة . ان المسيحيين الذين عاشوا في تلك العصور القديمة كانوا يعرفون جزءا من الحق، ومع هذا فقد تعلموا أن يحبوا كلمة الله ويطيعوها، وبكل صبر احتملوا الآلام في سبيلها. ومثل التلاميذ في العصر الرسولي ضحى كثيرون منهم باملاكهم واموالهم في سبيل دعوة المسيح . والذين منهم سُمح لهم بالسكنى في بيوتهم آووا معهم بكل سرور اخوتهم المنفيين . ولكن عندما طُردوا هم ايضا قبلوا بكل فرح ان يكونوا شريدين . نعم، ان آلافا منهم اذ ارعبهم اهتي اج مضطهديهم اشتروا حريتهم بتضحية ايمانهم فأطلق سراحهم من السجون والبسوا مسوح التائبين ليعلنوا على الملأ انكارهم للايمان . لكنّ عدد الذين حملوا مشعل الشهادة في السجون المظلمة في معاقل اللولارد لم يكن قليلا . وكان بينهم جماعة من النبلا ء من اصل عريق، كما كان بينهم ايضا ا لفقراء والوضعاء. وفي وسط العذاب، والنيران تلتهم اجسامهم، كانوا متهللين لانهم قد حُسبوا اهلا لان يعرفوا "شركة آلامه". [107]

لقد اخفق البابويون في تنفيذ ارادتهم مع ويكلف في حياته، ولم يشفوا غليلهم منه حتى عندما كان جثمانه راقدا مستريحا وساكنا في قبره . فبناء على مرسوم اصدره مجمع كونستانس بعد موت ويكلف بأكثر من أربعين عاما نُبش قبره واحرقت عظامه على ملأ من الناس، والقي برماده في نهر قريب . وقد قال كاتب قديم: "ان هذا النهر قد حمل رماده الى نهر الافون، ونهر الاف ون حمله الى نهر السفرن وحمله السفرن الى البحار الضيقة وهذه بدورها حملته الى الاوقيانوس العظيم . وهكذا كان رماد ويكلف رمزا لتعاليمه التي هي الآن منتشرة في كل العالم" (١٧). ولم يكن اعداؤه يفهمون مغزى فعلتهم الخبيثة.

وبواسطة مؤلفات ويكلف نبذ جون هس من بوهيميا كثيرا من الضلالات البابوية، وشرع في عمل الاصلاح . وهكذا ففي هذين البلدين المتباعدين المنفصلين القي بذار الحق . ومن بوهيميا امتد الاصلاح

الى بلدان اخرى . واتجهت افكار الناس الى كلمة الله التي كانت قد نُسيت وأهملت طويلا . أن يدا الهية كانت تعد الطريق للاصلاح العظيم. [108]

الفصل السادس ـــ هس و جيروم

كان الانجيل قد غرس في بوهيميا وتأصلت جذوره منذ القرن التاسع . وقد تُرجم الكتاب المقدس، وكانت العبادة الجهارية تقام بلغة الشعب . ولكن بقدر ما زاد سلطان البابا حجبت كلمة الله . ان غريغوريوس السابع الذي آلى على نفسه أن يذل كبرياء الم لوك كان يصر على استعباد الشعب ايضا، وتبعا لذلك اصدر امرا يحرم فيه اقامة العبادة الجهارية باللغة البوهيمية، كما أعلن البابا قائلا: "لقد سر الكلي القدرة بأن تقام عبادته بلسان غير مفهوم، فان شرورا وهرطقات كثيرة قد ظهرت لعدم مراعاة هذا القانون" (١٨). وهكذا قرر ت روما أن تطفىء نور كلمة الله وان يظل الشعب سجينا في الظلام . لكنّ السماء أعدت وسائل أخرى لحفظ الكنيسة. ان كثيرين من الولدنسيين والالبيجنسيين اذ طردوا من أوطانهم بسبب الاضطهاد الذي وقع في فرنسا وايطاليا أتوا الى بوهيمي ا. ومع أنهم لم يكونوا يجسرون على التبشي ر بالكلمة جهارا كانوا يكدون بكل غيرة في الخفاء . وهكذا حفظ الايمان الحقيقي من جيل الى جيل.

قبل أيام هس كان يوجد في بوهيميا رجال قاموا جهارا يوبخون الفساد الذي تفشى في الكنيسة والخلاعة التي عمت بين الناس، فأثار عملهم اهتمام الشعب في كل مكان . وثارت مخاوف الك هنة، فوقع الاضطهاد على تلاميذ [109] الانجيل. واذ طرد هؤلاء الناس ليعبدوا الله في الغابات والجبال طاردهم الجنود وقتلوا كثيرين منهم . وبعد وقت صدر قرار يقضي بحرق كل من يرتد عن العبادة كما قد رسمتها كنيسة روم ا. ولكن فيما كان المسيحيون يسلمون أرواحهم كانوا ينظرون الى الأمام عندما تنتصر دعوتهم . وان واحدا ممن علمَّوا "ان الخلاص هو بالايمان بالمخلص المصلوب وحده" أعلن قبلما أسلم روحه قائلا: "ان اعداء الحق الغاضبين علينا منتصرون علينا الآن، ولكن هذه النصرة لن تدوم، فسيقوم واحد من بين عامة الشعب، بلا سيف او سلطان ،لن يس تطيعوا الانتصار عليه" (١٩)، وكان عصر لوثر لا يزال بعيدا جدا، لكنّ واحدا كان قد بدأ ينهض، وكانت شهادته ضد روما مزمعة ان تثير الشعوب.

كان جون هس متواضع الأصل، عاش يتيما منذ صباه في كنف أمه التقية التي تعتبر التهذيب ومخافة الله أعظم قيمة من كل الاملاك واجتهدت في احراز هذا الإِرث لأبنه ا. وتعلم هس في احدى مدارس الاقاليم، ثم التحق بجامعة براغ بعدما حصل على منحة مدرسية من أهل الخير . وصحبته أمه في السفر الى براغ، وكانت أرملة فقيرة . وعندما اقتربا من المدينة العظيمة جثت بجوار ذلك الشاب اليتيم وطلبت من الآب السماوي أن يباركه . ولم تكن تلك الام تعلم كيف ستجاب صلاتها.

في الجامعة امتاز هس على اقرانه بمثابرته على الدرس ونجاحه السريع المتواصل، بينما اكسبه سلوكه اللطيف الجذاب وحياته المثالية احترام الجميع . وقد كان تابعا مخلصا لكنيسة روما وباحثا مجدا في طلب البركات الروحية التي كانت الكنيسة تدعي منحها للناس . وفي مناسبة اليوبيل تقدم من كرسي الاعتراف، ووهب كل النقود القليلة التي كان يحتفظ بها، وانضم الى الموكب حتى يكون له نصيب في الغفران الموعود به . وبعد إنهاء دراسته في الكلية دخل سلك الكهنوت وبسرعة هائلة بلغ درجة الكردينالية، وسرعان ما اتصل ببلاط الملك. وصار استاذا ثم عميدا للجامعة التي كان قد تلقى علومه فيها، وفي سنوات قليلة صار ذلك الطالب الذي كان يتلقى احسانات أهل الخير فخر بلاده واشتهر اسمه في

أوروبا كلها. [110]

عمل الاصلاح يبتدئ

لكنّ هس بدأ عمل الإصلاح في حقل آخر، ف بعد سنوات قليلة من سيامته كاهناً أقيم واعظاً على كنيسة بيت لحم . وكان مؤسس هذه الكنيسة يؤيد موضوع الكرازة بالكتاب بلغة الشعب ويعتبره من أهم الأمور . وعلى رغم مقاومة روما لهذا الاجراء لم يتوقف التبشير في بوهيميا تمام ا. لكنّ الجهل بالكتاب المقدس كان فظيعا فتفش ت الرذيلة تبعا لذلك بين كل الطبقات . وقد فضح هس هذه الشرور بلا رحمة مستشهدا بكلمة الله لتعزيز مبادئ الحق والطهارة التي طبعها وغرسها في الأذهان.

وان جيروم، أحد مواطني براغ الذي ارتبط بهس بعد ذلك اوثق ارتباط، كان قد أحضر معه مؤلفات ويكلف عند عودته من أنجلتر ا. وكانت ملكة انجلترا التي اعتنقت تعاليم ويكلف أميرة بوهيمية، وبفضل نفوذها انتشرت كتب ذلك المصلح وتداولتها الأيدي في وطنه ا. وقد قرأ هس هذه الكتب بشغف واهتمام عظيمين واقتنع بأن مؤلفهما مسيحي مخلص، ومال الى قبول الاصلاحات التي دافع عنه ا. كان هس قد بد أ السير في طريق من شأنه أن يباعد بينه وبين روما، وان كان هو لم يعرف ذلك.

صورتان تؤثران في هس

قرابة ذلك الوقت وصل الى براغ من انجلترا اثنان من الغرباء من أرباب العلم، كانا قد حصلا على النور وأتيا الى هذه البلاد القاصية لينشراه فيه ا. واذ بدآ بهجوم عل ني على سيادة البابا أسكتتهما السلطات سريع ا. ولكن اذ كانا لا يريدان ان يتنحيا عن غرضهما لجآ الى اجراءات أخرى . فبصفتهما فنانين رسما في ساحة واسعة مكشوفة لجماهير الناس صورتين، أولاهما تمثل دخول المسيح الى أورشليم "وديعا راكبا على [111] أتان و جحش ابن أتان" (متى ٢١ : ٥). ويتبعه تلاميذه وقد بليت ثيابهم من طول السفر، وهم يسيرون حفاة . أما الصورة الثانية فقد رسما فيها الموكب البابوي وقد ارتدى البابا أفخر الثياب وأبهى الحلل وعلى رأسه الاكليل المثلث، وامتطى جوادا عليه زينة فخمة، وكان يتقدم ه ضاربو الأبواق ويتبعه الكرادلة والاساقفة في حللهم البهية.

كانت هذه عظة استرعت انتباه الناس من كل الطبقات . وقد أتى جماهير الناس لمشاهدة تينك الصورتين، ولم يخفَ مغزاهما على أحد . وتأثر كثيرون اذ رأوا الفرق الشاسع بين وداعة المسيح وتنازله مع أنه هو السيد، وكب رياء البابا وغطرسته مع أنه يعترف بأنه عبده وخادمه . فحدث كثير من الشغب في براغ . وبعد وقت وجد ذانك الغريبان أنه ينبغي لهما ان يرحلا حرصا على سلامتهم ا. لكنّ الدرس الذي علماه للشعب لم يُنسَ أبد ا. لقد أحدثت الصورتان تأثيرا عظيما في نفس هس، وذلك قاده الى دراسة أكمل للكتاب ولمؤلفات ويكلف . ومع انه لم يكن الى ذلك الحين متأهبا لقبول الاصلاحات التي دافع عنها ويكلف فقد رأى بوضوح أكثر حقيقة البابوية عن كثب، وبغيرة عظيمة شهَّر بكبرياء السلطة الكنسية وطموحها وفسادها.

ومن بوهيميا امتد النور الى ألمانيا، لأن الاضطراب الذي ح دث في جامعة براغ سبّب انسحاب مئات من الطلبة الالمان . وكان كثيرون منهم قد تلقوا من هس معرفتهم الاولى بالكتاب المقدس، فعند عودتهم

بشروا بالانجيل في وطنهم.

وصلت أنباء العمل في براغ الى روما، وسرعان ما استُدعي هس ليمثل أمام الباب ا. فلو أطاع لكان قد عرض نفسه لموت مؤكد . فلقد اتحد ملك بوهيميا وملكتها مع رجال الجامعة وبعض النبلاء والضباط في تقديم التماس الى البابا حتى يسمح ببقاء هس في براغ وأن تستجوبه روما بواسطة مندوب بابوي . ولكن بدلا من أن يجيبهم البابا الى هذا الطلب شرع في محاكمة هس وادانته، وأعلن أن مدينة براغ قد وقعت تحت الحرم البابوي. [112]

اهتياج في مدينة براغ

في ذلك العصر كان اصدار حكم كهذا كفيلا بأن ينشر الذعر الشامل، والاحتفالات التي تصحب هذا الحكم كانت تثير الرعب في قلوب الشعب الذي كان ينظر الى البابا كنائب لله نفسه وفي يده مفاتيح السماء والجحيم وله السلطان على أن يستنزل الاحكام الزمنية والروحية . وكان الناس يعتقدون أن أبواب السماء تغلق في وجه كل اقليم يقع عليه هذا الحرم، وأنه اذا لم يرض البابا برفع هذا الحكم فان أرواح الموتى تنفى بعيدا من مواطن السعادة . وكعلامة لهذه الكارثة المخيفة أوقفت كل الخدمات الدينية، فأقفلت الكنائس وكان يحتفل بمراسم الزواج في ساحة الكنيسة، ولم يكن يُسمح بدفن الموتى في المدافن المكرَّسة بل كانوا يوارون الثرى، من دون اقامة طقوس الدفّن، في الخنادق أو الحقول . وهكذا بهذه الاجراءات التي تؤثر في التصورات حاولت روما أن تتحكم في ضمائر الشعب.

عم الشغب مدنية براغ وشهَّرت جماعة كبيرة من الناس بهس كسبب لكل الكوارث وطالبوا بتسليمه لغضب روم ا. فلكي يسكّن المصلح العاصفة إنسحب مؤقتاً الى مسقط رأسه وكتب إلى أصدقائه الذين تركهم في براغ يقول: ”اني اذا كنت ق د انسحبت من وسطكم فذلك اطاعة لوصية المسيح واحتذاء لمثاله حتى اعفي ضعفاء العقول من أن يجلبوا على أنفسهم دينونة أبدية، وحتى لا أكون سببا في وقوع حزن أو اضطهاد على الاتقياء . واعتكفت أيضا خوفا من أن يظل الكهنة العديمو التقوى يحرِّمون الكرازة بكلمة الله بينكم و قتا أطول، ولكني لم أترككم لكي أنكر الحق الالهي الذي لأجله أنا مستعد بمعونة الله لأن أموت“ (٢٠). ولم يكف هس عن مواصلة كفاحه بل سافر مخترقا البلاد المجاورة معلِّما الجماهير المتعطشة . وهكذا كانت الاجراءات التي اتخذها البابا لقمع الانجيل سببا في نشره الى مدى أبعد، ”لأننا لا نستطيع شيئا ضد الحق بل لأجل الحق“ (٢ كورنثوس ١٣ : ٨). [113]

”في هذا الدور من حياة هس كان يبدو أن عقله قد صار مسرحا لكفاح مرير. فمع أن الكنيسة كانت تحاول أن تدمر حياته بصواعقها فهو لم يرفض سلطانها أو يجحده . كان لا يزال يعتبر الكنيسة البابوية عروس المسيح، والبابا ممثلا لها ونائبا عنه . انما الذي كان هس يحاربه هو سوء استخدام السلطلة لا المبدأ نفسه . وهذا أثار صراعا مخيفا بين اقتناع عقله ومطالب ضميره، فاذا كانت السلطة عادلة ومعصومة كما كان يعتقد فكيف حدث أنه أحس باضطراره الى عصيانها؟ وقد رأى أن إطاعتها خطية، فكيف تنتهي الطاعة للكنيسة المعصومة الى تلك النهاية؟ تلك كانت المشكلة التي استعصى عليه حلها، وذلك هو الشك الذي عذبه ساعة في أثر ساعة . وأقرب الحلول التي خطرت له هو أن ما حدث قديما في أيام المخلص يحدث هو نفسه الآن مرة أخرى، وهو أن كهنة الكنيسة غدوا اناسا اشرارا يستخدمون سلطاتهم المشروعة في أغراض غير مشروعة. هذا قاده الى أن يتخذ لارشاده وارشاد من يبشرهم المبدأ المقرر وهو أن وصايا الكت اب التي نقلت عن طريق الفهم هي التي ينبغي أن تسود على الضمير وتتحكم

فيه، وبمعنى آخر أن الله الذي يتكلم في الكتاب، لا الكنيسة التي تتكلم بواسطة الكهنة، هو المرشد الذي لا يخطئ" (٢١).

جيروم ينضم الى هس

فلما خفت شدة الاهتياج في براغ بعد وقت عاد هس الى كنيسته المسماة بيت لحم ليواصل الكرازة بكلمة الله بغيرة وشجاعة عظيمتين . كان اعداؤه نشيطين وأقوياء، لكنّ الملكة وكثيرين من النبلاء وقفوا الى جانبه . وكثيرون اذ قارنوا بين تعاليمه النقية المثقفة المنعشة وحياته المقدسة من جهة،والمبادئ ا لمنحطة الحقيرة التي كان ينشرها البابويون، والجشع والدعارة والفجور التي كانوا يرتكبونها من جهة اخرى، اعتبروا الانحياز اليه شرفا عظيما. [114]

كان هس قد وقف وحده في عمله وكفاحه حتى ذلك الحين، غير أن جيروم، الذي كان قد اعتنق تعاليم ويكلف وهو في انجلترا، انضم اليه في عمل الاصلاح. واتحد الاثنان بعد ذلك في حياتهما، ولم يفترقا في موتهم ا. كان جيروم متألق الذكاء ذا فصاحة وعلم غزير، وقد احرز نصيبا كبيرا في تلك المواهب التي تظفر برضى الشعب واستحسانه، لكن هس كان متفوقا عليه في الصفات التي تحدد قوة الخلق الحقيقية، فكانت افكاره الهادئة ورأيه الصائب رادعا لروح جيروم المتحفزة الوثابة، وهذا الاخير عرف بتواضع حقيقي قدر هس وخضع لمشوراته، وبفضل جهودهما المتحدة انتشر الاصلاح بسرعة عظيمة.

لقد جعل الله نوراً عظيماً يشرق على عقلي هذين الرجلين المختارين، فكشف لهما الشيء الكثير من ضلا لات روما، ولكنهما لم يحصلا على كل النور الذي كان مزمعا أن يعطى للعالم . كان الله عن طريق خادميه هذين يخرج الشعب من ظلمات البابوية، ولكن كان لا بد لهما من مواجهة عقبات ومعطلات كثيرة وعظيمة، وقد قادهما الله خطوة فخطوة على ق در احتمالهما. انهما لم يكونا مستعدين لقبول كل النور دفعة واحدة . فلو قدم اليهما النور في ملء قوته مثل نور الشمس في وقت الظهيرة الى قوم عاشوا طويلا في الظلام، فلربما كانا يرتدان راجعين . ولذلك كشف الله النور لهذين القائدين ق ليلا قليلا بمقدار ما يستطيع الشعب تقبله . ومن جيل الى جيل كان على العاملين الآخرين أن يسيروا متتبعين هذا الطريق وأن يقودوا الشعب الى الأمام في طريق الاصلاح.

ظل الانشقاق متفشيا في الكنيسة . فكان هنالك ثلاثة باباوات يتنازعون السيادة، وامتلأت ربوع العالم المسيحي بالجرائم والشغب تبعا لتلك المشاغبات والمنازعات . واذ لم يكتف كل منهم بقذف الحرم في وجه الآخرين لجأ الى الأسلحة المادية، فبُذل المال لشراء الأسلحة وحشد الجيوش . وكان الثلاثة يحتاجون الى المال بطبيعة الحال، فلكي يحصلوا عليه عُرضت هبات الكنيسة ووظائفها وبركاتها للبيع (انظر التذييل). وتمثل الكهنة برؤسائهم فلجأوا الى السيمونية والحرب لاذلال منافسيهم وتقوية سلطانهم هم . أما هس فكان [115] كل يوم يزيد بسالة ويرعد بكلامه ضد الرجاسات التي كانت الكنيسة تغضي عنها وتتساهل معها باسم الدين، وكان الناس يتهمون قادة كنيسة روم ا جهارا بأنهم علة كل الشقاء الذي غمر العالم المسيحي.

ومرة أخرى بدا كأن مدينة براغ على وشك الاشتباك في حرب دامية . وكما كانت الحال في العصور القديمة أتهم خادم الرب بأنه "مكدر اسرائيل" (١ ملوك ١٨ : ١٧). ومرة أخرى وقعت المدينة تحت ا لحرم البابوي فانسحب هس راجعا الى قريته . وانتهت شهادته الأمينة التي كان يؤديها في كنيسته المسماة بيت لحم، وكان عليه أن يتكلم في مجال أوسع لكل العالم المسيحي قبل أن يبذل حياته كشاهد للحق.

ولأجل معالجة المساوئ والشرور التي أذهلت أوروبا وأربكتها استدعي مجمع عام للانعقاد في

كونستانس . وقد دُعي المجلس بناء على رغبة الامبراطور سجسموند بواسطة أحد الباباوات الثلاثة المتنافسين هو يوحنا الثالث والعشرون. لكنّ هذا البابا المدعو يوحنا لم يكن في الحقيقة يرحِّب باستدعاء المجلس لأن أخلاقه وسياسته لم تكن تحتمل الفحص والامتحان حتى على أيدي الأساقفة الذين كانوا متهاونين في تصرفاتهم الأخلاقية كأعضاء الكنائس في تلك الايام . ومع ذلك فهو لم يكن يجرؤ على مقاومة ارادة سجسموند (انظر التذييل).

وكان من أهم الأغراض التي كان على المجمع انجازها معالجة الانشقاق الحادث في الكنيسة واستئصال الهرطقة. ولأجل هذا دعي البابوان الآخران المتنازعان للمثول أمام المجمع، وكذلك المروّج الأكبر للآراء الجديدة أي جون هس. أما ذانك البابوان فاذ كانا يحرصان على سلامتهما لم يذهبا بنفسهما بل أنابا عنهما ممثلين موفدين من قبلهم ا. وأما البابا يوحنا الذي كان حسب الظ اهر هو الداعي الي ذلك الاجتماع فقد حضر لكنّ الهواجس كانت تساوره اذ كان يشك في نيات الامبراطور ويخشى ان يخلعه ويحاسبه على الرذائل التي جلبت العار على تاجه البابوي وعلى كل الجرائم التي ارتكبها للوصول الى ذلك [116] المركز. ومع ذلك فقد دخل مدينة كونستانس بأبهة عظيمة يحف به رجال الإكليروس من أعلى الرتب ويتبعه جمع كبير من الندماء . وخرج كل رجال الاكليروس في المدينة ورؤساؤها وجمع غفير من المواطنين للترحيب به . وكانت فوق رأسه مظلة من ذهب يحملها أربعة من عظماء الحكام. وقد ح مل القربان المقدس أمامه، كما حضر الكرادلة والنبلاء في حللهم البهية في عرض مهيب.

وفي أثناء ذلك كان هنالك مسافر آخر يقترب من مدينة كونستانس . كان هس يحس بالمخاطر التي تتهدده وقد ودع اصدقاءه كما لو أنه لن يلتقيهم مرة أخرى، وسار في رحلته وهو شاعر بأن نهايته ستكون الموت حرقا بالنار . وعلى الرغم من أنه كان قد حصل على صك الأمان من ملك بوهيميا كما حصل على صك آخر من الامبراطور سجسموند فقد عمل ترتيبه على أنه قد يموت.

تساهل من جانب الملك

وفي رسالة بعث بها الى أصدقائه في براغ قال: ”يا اخوتي ... اني مسافر وبيدي صك أمان من الملك لمواجهة اعدائي الكثرين القتلة ... ولكني واثق ثقة كاملة بالله القدير وبمخلصي، وأنا أثق بأنه سيصغي الى صلواتكم الحارة وأنه سيسكب حكمته في فمي حتى أقاومهم، وأنه سيمنحني روحه القدوس ليحصِّنني بحقه حتى استطيع أن أجابه بكل شجاعة التجارب وا لسجن، بل الموت القاسي ان لزم الامر . لقد تألم يسوع المسيح لأجل احبائه فهل نستغرب أنه قد ترك لنا مثالاحتى نحتمل بصبر كل شيء لأجل خلاصنا، انه الله ونحن خلائقه، وهو الرب ونحن عبيده، وهو سيد العالم أما نحن فبشر محتقرون، ومع ذلك فقد تألم ! فلماذا اذاً لا نتألم نحن ، لا سيما ان الآلام هي لتطهيرنا؟ فيا احبائي، اذا كان موتي يؤول الى مجده فصلوا حتى يجيْءَ سريعا وحتى احتمل كل البلايا بصبر وثبات . أما اذا كان من الأفضل أن أعود اليكم فصلوا حتى أعود من دون أن أتلوث، أي حتى لا أكتم حرفا واحدا من حق الانجيل وحتى أترك لاخوتي [117] [118] مثالا فاضلا نبيلا يتبعونه . وهكذا فمن المرجح أنكم لن تروا وجهي في براغ بعد الآن، أما اذا تعطّلت ارادة الله القدير باعادتي اليكم فلنسر قدما في عملنا ونحن أثبت قلبا في معرفة شريعته ومحبتها“ (٢٢).

وفي رسالة أخرى أرسلها الى كاهن كان قد صار تلمي ذا للانجيل تكلم هس باتضاع عميق عن أخطائه متهما نفسه بأنه ”كان يحس بالسرور عندما يرتدي الملابس الفاخرة، وانه كان يقتل الساعات في ممارسات تافهة“. ثم أضاف الى ما سبق هذه التحذيرات المؤثرة: ”ليت مجد الله وخلاص النفوس “ :

يشغلان عقلك وليس امتلاك هبات الناس أو الاملاك أو العقارات . حاذر من تزيين بيتك أكثر من تزيين نفسك، وفوق كل شيء وجِّه كل اهتمامك وعنايتك الى البناء الروحي . كن تقيا ومتواضعا مع الفقراء ولا تنفق أموالك في الاكل والشرب واقامة الولائم . فاذا لم تصلح حياتك وتكف عن الافراط في تمتعاتك فأنا اخشى انك ستقع تحت طائلة التأديب القاسي كما هو الحال معي ... أنت تعرف عقيدتي لأنك منذ طفولتك تلقيت تعاليمي، ولذلك فلا جدوى في أن اكتب لك أكثر من هذا. ولكني اناشدك برحمة الرب الا تتمثل بي في أي من الأباطيل التي رأيتني أسقط فيه ا". وعلى غلاف الرسالة أضاف قائلا: "أناشدك يا صديقي الا تفضّ هذه الرسالة حتى يتأكد لك بما لا يحتمل الشك أنني قد مُت" (٢٣).

القبض على المصلح

وفي أثناء الرحلة رأى هس دلائل على انتشار تعاليمه في كل مكان وقبول الناس دعوته قبولا حسنا، فقد تجمهر الناس لمقابلته، وفي بعض المدن كان الحكام يتبعونه في الشوارع.

عند وصول هس الى كونستانس مُنح حرية كاملة . وأُضيف الى صك الامان الممنوح له من الامبراطور تأكيد شخصي بحراسة البابا له . ولكن على رغم ذلك فكل تلك العهود والتأكيدات المقدسة المتكررة قد انتُهكت ونقضت اذ اعتقل بعد وقت قصير بأمر البابا والكرادلة وألقي به في جب كريه ا لرائحة. وبعد ذلك نُقل [119] الى قلعة منيعة عبر الرين وحُفظ اسيرا فيه ا. أما البابا الذي لم يستفد من غدره فقد ألقي به هو نفسه بعد ذلك بوقت قصير في السجن ذاته (٢٤) بعدما تأكد للمجمع أنه قد ارتكب أحط الجرائم، فضلاً عن القتل والسيمونية والزنا، "خطايا ذكرها أيضا قبيح"، على حد قول المجمع . وأخيرا جُرد من تاج البابوية وطرح في السجن. والبابوان الآخران المتنافسان خُلعا، واختير بابا جديد.

ومع أن البابا نفسه كان مرتكبا جرائم اعظم من تلك التي أتهم بها هس الكهنة وبسببها طالب بالاصلاح، فان المجمع عينه الذي جرد البابا من رتبته تقد م ليسحق المصلح . ولقد أثار خبر اعتقال هس سخطا عظيما في بوهيميا، فقدم بعض الأمراء الأقوياء احتجاجات شديدة ضد هذا الاعتداء . والامبراطور الذي كان يرفض السماح بانتهاك صك الامان قاوم الاجراءات التي اتخذت ضد هس . لكنّ اعداء المصلح كانوا خبثاء وأصرو ا على تنفيذ أغراضهم . وقد لجأوا الى تعصب الامبراطور ومخاوفه وغيرته على الكنيسة . وقدموا حججا مطولة يبرهنون بها أن "الايمان ينبغي الا يُحفظ لدى الهراطقة أو من يشتبه بأنهم هراطقة حتى ولو كانت في أيديهم صكوك أمان من الامبراطور أو الملوك" (٢٥). وهكذا انتصروا.

ومع أن هس كان في منتهى الاعياء والضعف من أثر المرض الذي أصابه في السجن — لأن الهواء الرطب المتعفن والأبخرة الكريهة التي كانت تنبعث من سجنه المحتبس الهواء أصابته بحمى كادت تقضي على حياته — فقد أتى به أخيرا ليمثل أمام المجلس . فوقف موثقا بالأصفاد الثقيلة في حضرة الامبراطور الذي كان قد تعهد بحمايته . وفي أثناء المحاكمة الطويلة ظل متمسكا بايمانه بكل قوة وثبات . وأمام أحبار الكنيسة ورجال الدولة المجتمعين نطق باحتجاج مقدس أمين ضد فساد رجال الكهنوت . وعندما طُلب منه أن يختار بين أن ينكر عقائده أو يُحكم عليه بالموت فقد قبل أن يموت شهيدا. [120]

نعمة الله تسنده

وقد سندته نعمة الله . ففي خلال أسابيع الآلام التي مرت قبل الحكم النهائي عليه امتلأت نفسه بسلام السماء . فكتب الى أحد أصدقائه يقول: "اني أكتب هذه الرسالة من سجني وأنا موثق اليدين أتوقع حكم الموت عل ي غد ا... فعندما نجتمع معا مرة أخرى بمساعدة يسوع في حياة الخلود حيث السلام المفرح السعيد فستعلم كم كان الرب رحيما حيالي، وكيف سندني بقوته العظيمة في وسط تجاربي وآلامي" (٢٦).

يأبى أن يتراجع

وفي ظلام سجنه رأى بعين الايمان نصرة الايمان الحقيقي. واذ عاد بأفكاره وأحلامه الى الكنيسة في براغ حيث كرز بالانجيل رأى البابا وأساقفته وقد محوا صور المسيح وطمسوا معالمها التي كان هو قد رسمها على الجدران. "وقد أزعجته هذه الرؤيا وأفزعته. ولكنه رأى في اليوم التالي كثيرين من الرسام ين عاكفين على اعادة رسم تلك الصور. وقد زاد عددها واشتد لمعان الوانها . وعندما انتهى أولئك الفنانون من رسم تلك الصور وقد احتشد حولهم جمع كثير صاحوا قائلين : ليأتِ الآن البابوات والأساقفة، انهم مهما جاهدوا لن يستطيعوا أن يطمسو ا هذه الصور بعد الآن" وقال ذلك المصلح وهو يقص حلمه: "اني متأكد من هذا أن صورة المسيح لن تطمس ابدا . لقد كانوا يتمنون ملاشاتها، لكنّها ستُرسم من جديد في كل القلوب بواسطة مبشرين أفضل مني" (٢٧).

أوقف هس أمام المجمع للمرة الأخيرة، وكان الاجتماع حافلا بشخصيات شهيرة. كان هناك الامبراطور وأمراء الامبراطورية والكرادلة والأساقفة والكهنة، وجمع غفير من الناس الذين أتوا لمشاهدة أحداث ذلك اليوم، وكان كثيرون من [121] أنحاء بلدان العالم المسيحي قد اجتمعوا ليكونوا شهودا على أول ضحية عظيمة في الصراع الطويل الذي كان سيتقرر فيه مبدأ حرية الضمير وحرية العبادة.

واذ كان هس قد استُدعي ليدلي بقراره النهائي أعلن أنه يرفض انكار تعاليمه. وثبَّت نظره الثاقب على الملك الذي انتهك على نحو مشين عهده له وأعلن قائلا: "لقد عزمت بمحض اختياري أن أمثل أمام المجلس تحت حماية الملك الحاضر هنا الان وبناء على وعده لي بالأمان" (٢٨)، فاحمر وجه سجسموند خجلا عندما اتجهت اليه انظار كل الحاضرين.

وبعد النطق بالحكم بدأت اجراءات تجريده من رتبته الكهنوتية . وقد ألبس الأساقفة اسيرهم الزي الكهنوتي، فقال معلق ا: "ان ربنا يسوع المسيح ألبس رداء أبيض بقصد اهانته عندما أمر هيرودس بأخذه الى بيلاطس" (٢٩). وعندما أمر مرة أخرى بأن يتراجع عن تعاليمه التفت الى الشعب ثم أجاب قائلا: "اذاً بأي وجه أشاهد السموات؟ وكيف أنظر الى جموع الناس الذين قد بشرتهم بالانجيل الطاهر؟ كلا فأنا أقدر خلاصهم أكثر م ما أقدر هذا الجسد الفاني المحكوم عليه بالموت". وقد جُرد من ملابسه الكهنوتية قطعة بعد أخرى، وكلما قام أسقف بدوره في الاحتفال كان ينطق على هس باللعنة . وأخيرا وضعوا على رأسه اكليلا من الورق هرمي الشكل رُسمت عليه صور مخيفة للابالسة وقد كُتبت عليه كلمة "كبير ا لهراطقة" في مكان ظاهر فوق جبينه . فقال هس: "انني بفرح عظيم ألبس اكليل العار هذا لأجلك يا يسوع، أنت الذي من أجلي قد أُلبست اكليلا من الشوك".

بعد ذلك وقف الأساقفة روحه للشيطان . أما جون هس فرفع عينيه نحو السماء وقال: "أما أنا ففي يديك استودع روحي أيها الرب يسوع لأنك قد فديتني" (٣٠). [122]

يموت على آلة الاعدام

ثم أسلم الى أيدي السلطات المدنية فاقتادوه الى مكان الاعدام وتبعه موكب عظيم، مئات من الرجال المسلحين، والكهنة والأساقفة في حللهم الغالية الثمن، وسكان مدينة كونستانس . وعندما اوُثِق الى آلة الاعدام وكان كل شيء معَدا لإشعال النار انذر ذلك الشهيد مرة أخيرة لينقذ نفسه بانكار ضلالاته وجحدها. فقال هس: "أيَّ ضلالات أجحدها أو أرفضها؟ أنا أعلم أني لم أخطئ في شيء ولا ارتكبت جرم ا. اني أُشهد الله على أن كل ما كتبته وما كرزت به كان القصد منه إنقاذ النفوس من الخطيئة والهلا ك. ولذلك فاني بكل سرور أثبت بدمي ما قد كتبته وبشرت به" (٣١). وعندما أضرمت النار من حوله أبتدأ يترنم قائلا: "يا يسوع ابن داود ارحمني". وظل يفعل ذلك الى أن أسكت صوته الى الأبد.

ادهشت هذه البطولة وقوة الاحتمال اعداءه أنفسهم فقال أحد البابويين الغيور ين وهو يصف استشهاد هس ثم استشهاد جيروم الذي مات بعد ذلك بقليل: "احتمل كلاهما بعزم راسخ وعقل ثابت دنو ساعتهما الأخيرة . لقد استعدا للذهاب الى النيران كما لو كانا ذاهبين الى وليمة عرس . ولم ينطقا بما يعبر عن الألم . وعندما اندلعت السنة اللهيب وامتدت نحوهما بدآ يترنمان ويسبحان ولم تستطع النار المتوهجة أن توقفهما عن التسبيح" (٣٢).

بعدما احترق جسد هس كله جُمع رماده والتراب الذي كان تحته وألقي به في نهر الرين وهكذا حُملت بقاياه الى الاقيانوس . وعبثا تصور مضطهدوه أنه م قد استأصلوا المبادئ التي كرز به ا. ولم يكونوا يتصورون أن ذلك الرماد الذي ألقوا به في البحر في ذلك اليوم كان مزمعا أن يكون كبذار يزرع في كل ممالك الأرض، وفي بلدان لم تُكتشف بعد، وسيأتي بثمر كثير في قيام شهود كثيرين للحق . كان لذلك الصوت الذي رن في جوانب مجم ع كونستانس صدى سيسمع في كل [123] العصور اللاحقة . نعم ان هس قد مات وزال من الوجود، لكنّ الحقائق التي مات في سبيل اثباتها لا يمكن ان تندثر . ان مثال الايمان والجلد الذي أبداه كان من شأنه أن يشجع جماهير من الناس على الثبات في جانب الحق في مواجهة العذاب و الموت. لقد برهن اعدام هس على قسوة روما وغدره ا. إن أعداء هس بعملهم هذا إنما كانوا يناصرون ويروجون الحق الذي عبثاً حاولوا ملاشاته، وان كانوا لا يدرون.

جيروم يصل الى كونستانس

ومع ذلك فقد كانت ستقام آلة التعذيب مرة أخرى في كونستانس، ودم شاهد آخر كان و شيكا أن يراق لأجل الحق . ان جيروم وهو يودع هس عند رحيله للمثول أمام المجمع جعل يحثه على الشجاعة والثبات معلنا له أنه اذا وقع في أي خطر فسيهب لنجدته، فحالما علم أن صديقه المصلح قد طُرح في السجن تأهب ذلك التلميذ الأمين في الحال لانجاز وعده . ومن دون أن يحصل على صك أمان بدأ رحلته الى كونستانس ومعه رفيق واحد . ولدى وصوله الى هناك اقتنع بأنه انما قد عرض نفسه للخطر من دون أن يتمكن من عمل شيء لانقاذ هس . فهرب من المدينة . ولكن فيما كان عائدا الى وطنه قُبض عليه وأعيد مكبلا بالقيود وتحت حراسة فرقة من الجنود . وعندما وقف أمام المجمع أول مرة كانت اجابته على التهم الموجهة ضده تقابل بصرخات قائلة: "أطرحوه في النار، ألقوا به في اللهيب!" (٣٣). وقد طُرح في سجن مظلم وأوثق بالقيود، وكان في وضع سبَّب له آلاما مبرحة، وكان طعامه الخبز والماء . وبعد بضعة شهور سبَّبت له

آلام السجن مرضا كاد يقض ي عليه، فاذ خاف أعداؤه ان يفلت منهم عاملوه بقسوة أقل مع أنه ظل سجينا عاما كاملا. [124]

جيروم يمثل أمام المجمع

كانت لموت هس نتائج غير ما كان يرجوه البابويون . فنقض صك الامان أثار عاصفة شديدة من السخط، لذلك ارتأى المجمع أنه بدلا من حرق جيروم يستحسن ارغامه على التراجع ان كان ذلك في الامكان . فأتي به أمام المجلس وعُرض عليه ان يختار إما أن ينكر تعاليمه وايمانه واما أن يحرق بالنار . ان موت جيروم عند بدء إلقائه في السجن كان يمكن أن يكون رحمة بالمقارنة مع العذابات الهائلة التي احتملها، أما الآن، وقد أضعفه المرض والآلا م التي قاساها في السجن وعذاب الجزع والقلق وهو بعيد من اصدقائه وانهيار قواه بعد موت هس، فقد خارت قوة احتماله وخذله جلده فرضي بالخضوع للمجمع . وتعهد بأن يتمسك بالعقيدة الكاثوليكية وقبل قرار المجمع الذي أدان تعاليم ويكلف وهس، باستثناء "الحقائق المقدسة" التي علّما بها (٣٤).

وبهذه الوسيلة حاول جيروم اسكات ضميره والنجاة من حكم الموت . لكنه اذ كان منفردا في سجنه اتضح له جسامة ما فعل . تذكر شجاعة هس وولاءه، وعلى نقيض ذلك تأمل في تنكره للحق ولمعلمه الالهي الذي كان قد تعهد خدمته والذي إحتمل لأجله موت الصليب . كان قبل تراجعه يجد العزاء في وسط آلامه اذ كان واثقا من رضى الله، أما الآن فقد تعذبت نفسه من فرط الندم وصارت نهبا للشكوك . وعرف أنه لا بد له من أن يتراجع وينكر أشياء كثيرة قبل أن يتصالح مع روما. والطريق الذي بدأ يسير فيه كان ينتهي حتما الى الارتداد التام . ولذلك فقد عزم على أمر وهو أنه ينبغي له ألا ينكر سيده لكي ينجو من آلام قصيرة الامد.

وسرعان ما أُتي به ثانية ليمثل أمام المجمع . فلم يكن خضوعه كافيا لاقناع قضاته. وتعطشهم لسفك الدم الذي قد أهاجه موت هس ألح في طلب ضحايا جديدة. ولم يكن متاحا الابقاء على حياة جيروم الا باست سلام الحق من غير [125] تحفظ. ولكنه كان قد عقد العزم على المجاهرة بايمانه واتباع مثال أخيه الشهيد ولو طرح في النار.

وقد تبرأ من انكاره السابق، وكإنسان مائت طلب بكل خشوع فرصة يقدم فيها دفاعه . واذ كان الاساقفة يخافون تأثير أقواله أصروا على أنه يجب إما أن يصادق على صحة التهم الموجهة اليه واما ان ينكرها. فاحتج جيروم على تلك القسوة وذلك الظلم قائلا: "لقد ابقيتموني سجينا ٣٤٠ يوما في سجن رهيب. وكنت محاطا بالاقذار والوخامة والروائح الكريهة . وكنت في عوز الى كل شيء، ثم توقفونني امامكم وتميلون آذانكم لسماع أقوال اعدائي القس اة ثم وترفضون سماع أقوالي ... فاذا كنتم حقا رجالا حكماء وانوار العالم فاحترسوا لئلا تأثموا في حق العدالة . أما أنا فلست الا إنسانا ضعيفا، وحياتي ليست بذات أهمية، وعندما أحذركم من النطق بحكم جائر فاني أراعي مصلحتكم أكثر مما أراعي مصلحتي" (٣٥).

أخيرا أجيب الى ط لبه، وأمام القضاة جثا جيروم وصلى طالبا من روح الله أن يضبط أفكاره وأقواله حتى لا يتكلم كلاما مناقضا للحق أو غير جدير بكرامة سيده . وقد تم له وعد الرب للتلاميذ الاولين اذ قال لهم يسوع: "وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي ... فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تت كلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (متى ١٠ :

١٨ ـــ ٢٠).

دفاعه الجريء

أثار كلام جيروم الدهشة والاعجاب حتى في نفوس أعدائه . لقد ظل عاما كاملا محبوسا في سجن مظلم وهو عاجز عن أن يقرأ أو حتى يرى شيئا، عرضة لآلام جسمية مبرحة وجزع عقلي . ومع ذلك فقد قدم حججه بوضوح وقوة عظيمين كما لو كان اشبعها درس ا. ووجَّه افكار سامعيه الى الصف الطويل من الرجال القديسين الذين دانهم قضاة ظالمون . ففي كل جيل تقريبا وجد أناس [126] كانوا يحاولون أن يرفعوا من شأن أمتهم ومع ذلك فقد عُيروا وطُردوا، ولكن بعد ذلك بزمن طويل اتضح أنهم جديرون بالكرامة . والمسيح نفسه حُكم عليه كفاعل شر أمام محكمة ظالمة.

ان جيروم عندما تخاذل من قبل بدا كأنه صادق على عدالة الحكم بادانة هس، أما الآن فقد جاهر بأنه نادم على ما قال وشهد ببراءة ذلك الشهيد وقداسته فقال: ”لقد عرفته منذ طفولته . وقد كان رجلا فاضلا وعادلا وقديسا، وحُكم عليه بالموت على رغم براءته ... وأنا أيضا مستعد للموت ولن انكص أو أنكمش أمام العذابات التي قد أعدها لي أعدائي وشهود الزور الذين سيقدمون حسابا يوما ما عن ادعاءاتهم أمام الله العظيم الذي لا يمكن أن يُخدع“ (٣٦).

وجعل جيروم يلوم نفسه على انكاره الحق، فاستأنف كلامه قائلا: ”من بين كل الخطايا التي قد أرتكبتها منذ شبابي لا توجد خطية تضغط بثقلها على وجداني وتسبب لي ندامة أليمة كهذه الخطيئة التي ارتكبتها في هذا المكان المشؤوم عندما وافقت على الحكم الجائر ضد ويلكف وجون هس، الشهيد القديس معلمي وصديقي . نعم! اني أعترف من أعماق قلبي وأعلن برعب عظيم أنني قد جبنت جبنا مشينا عندما حكمت ظلما على تعاليمهما مدفوعا بدافع الخوف من الموت . لأجل ذلك أنا أتوسل ... الى الله القدير أن يتعطف عليَّ ويغفر خطاياي وعلى الخص وص هذه الخطيئة التي هي أفظعها جميع ا. “ثم أشار الى قضاته وقال لهم بكل ثبات: ”لقد حكمتم على ويكلف وعلى جون هس لا لانهما زعزعا عقيدة الكنيسة بل لأنهما وصما بوصمة العار الفضائح التي ارتكبها رجال الاكليروس: ترفعهم وتنعمهم وكبرياءهم وكل رذائل الاساقفة والكهنة . فما أكَّداه من الحقائق التي لا تنقض أجاريهما فيه وأعلن ما قد أعلناه“.

قوطعت أقواله، وأرتجف الأساقفة من شدة الحنق والسخط وصاحوا قائلين: ”ما حاجتنا بعد كل هذا الى برهان جديد؟ ها نحن نرى بعيوننا أشد الهراطقة عنادا ماثلا أمامنا؟“ [127]

فاذ لم تكن تلك العاصفة لتؤثر ف يه صاح جيروم قائلا: ”ماذا! أتظنون أنني أخاف الموت؟ لقد حبستموني سنة كاملة في سجن مخيف هو أرهب من الموت نفسه . ولقد قسوتم في معاملتي اكثر مما لو كنت تركيا أو يهوديا أو وثنيا. ولقد بلي لحمي بالمعنى الحرفي وتساقط عن عظامي وأنا على قيد الحياة. مع ذلك فأنا لا أشكو لان النوح والعويل غير لائقين برجل ذي قلب وروح. ولكن لا يسعني الا ان أبدي دهشتي من مثل هذه الوحشية التي بها تعاملون انسانا مسيحيا“ (٣٧).

يساق الى السجن والموت

ومرة أخرى ثارت عاصفة الغضب ثم أسرعوا باعادة جيروم الى السجن . ومع ذلك فلقد كان بين اولئك المجتمعين قوم تأثروا من كلامه تأثرا عميقا فحاولوا انقاذه. وقد زاره بعض أحبار الكنيسة الذين الحوا عليه في الخضوع للمجمع . وقُدمت أعذب الأماني وأحلاها جزاء له على تنازله عن مقاومة روم ا. ولكن كما تصرَّف معلمه عندما أهدي اليه مجد العالم ظل جيروم ثابتا.

قال لهم: ”برهنوا لي من الكتب المقدسة على أنني مخطئ وأنا أجحد ما قد صرحت به“.

فصاح أحد الذين جاؤوا يجربونه قائلا: ”هل الكتب المقدسة هي اذاً ما يجب أن يقاس به كل أمر؟ من ذا الذي يستطيع أن يفهمها قبل أن تفسرها الكنيسة؟“.

أجاب جيروم قائلا: ”وهل تعاليم الناس أحق بالايمان من انجيل مخلصنا؟ ان بولس لم يوصِ من كتب اليهم بأن يصغوا الى تقاليد الناس بل قال : فتشوا الكتب“.

فجاءه الجواب يقول: ”أيها الهرطوقي ! اني نادم لأني تحاججت معك هذا الوقت الطويل. وأنا أرى أنك مسوق بقوة الشيطان“ (٣٨). [128]

وبعد قليل صدر حكم الادانة عليه فأخذوه الى المكان نفسه الذي فيه أسلم هس روحه . فاذ كان سائرا الى ساحة الموت كان يسبح الله، وقد أشرق على محياه نور الفرح والسلام . وثبّت نظره في المسيح، وما عاد الموت مرعبا في نظره . وعندما خطا الجلاد من خلفه وهو موشك أن يشعل النار صاح الشهيد قائلا: ”تقدم الى الأمام بشجاعة وأشعل النار أمام وجهي . فلو كنت خائفا لما أتيت الى هنا“.

وكان آخر ما قاله عندما أشعلت النار وأمتدت اليه ألسنة اللهيب صلاة قال فيها: ”يا ربي وأبي القدير أرحمني وأغفر خطاياي لأنك تعلم أنني قد أحببت حقك دائم ا“ (٣٩). وبعد ذلك ما عاد صوته يُسمع إنما ك انت شفتاه تتحركان بالصلاة. وعندما أتت عليه النار جُمع رماده والتراب الذي كان تحته والقي في نهر الرين كما قد حدث لهس.

وهكذا مات ذانك الرجلان الأمينان حاملا نور الله . لكنّ نور الحق الذي أعلناه، نور مثالهما وبطولتهما، لا يمكن اخفاؤه . فاذا كان يسهل على الناس أن يُرجعوا الشمس في مسيرها فانهم يستطيعون أن يحولوا دون بزوغ نور ذلك النهار الذي بدأ منذ ذلك الحين ينفجر مشرقا على العالم.

الحرب في بوهيميا

كان اعدام هس قد اضرم نار غضب ورعب عظيم في بوهيمي ا. لقد أحست الأمة كلها أنه سقط فريسة حقد الكهنة وغدر الامبراطور . وقد أعلن انه كان معلما أمينا للحق، واتُّهم المجمع الذي حكم بموته بارتكاب جريمة قتل . لكنّ تعاليمه اجتذبت اهتماما أعظم من كل ما حدث من قبل . وبناء على مراسيم أصدرها البابا كان حكم بحرق مؤلفات ويكلف، لكنّ المؤلفات التي هُرِّبت ونجت من النار أخرجت من مخابئها ود رست مع الكتاب المقدس أو بعض اجزائه التي استطاع الناس الحصول عليها، وكثيرون اعتنقوا الايمان المصلح. [129]

لكنّ قاتلي هس لم يستطيعوا أن يقفوا هادئين مكتوفي الأيدي وهم يرون انتصار دعوته . لقد اتحد البابا مع الامبراطور على سحق تلك الحركة فهجمت جيوش سجسموند على بوهيميا.

لكنّ الرب أقام مخلصا يدعى زسكا، أصيب بالعمى عند بدء الحرب ومع ذلك كان من أقدر قواد عصره . وقد صار قائدا لجيش بوهيمي ا. فاذ استند ذلك الشعب الى معونة الله وعدالة قضيتهم ثبتوا أمام

أقوى الجيوش التي جُرِّدت ضدهم، ومرارا وتكرارا عبأ الامبراطور جيوشا جديدة وغزا بوهيميا، وفي كل مرة كان يُصد صدا مشين ا. كان أتباع هس قد ارتفعوا فوق مستوى الخوف من الموت، فلم يستطع أي جيش ان يصمد أمامهم . وبعد بدء الحرب بسنين قليلة مات زسكا الشجاع فخلفه بروكوبيوس وكان مثله قائدا شجاعا محنكا، بل كان أقدر منه في بعض النواحي.

واذ علم أعداء شعب بوهيميا أن قائدهم الأعمى مات ظنوا أن الفرصة مؤاتية لاسترداد كل ما خسروه . حينئذ أعلن البابا حربا صليبية ضد أتباع هس، ومرة أخرى جُرد جيش على بوهيميا فمُني بهزيمة ساحقة . ثم أعلن عن تجريد حملة أخرى وجُم ع من كل الممالك الخاضعة لسلطان البابا في أوروبا الرجال والأموال والذخيرة الحربية . وتقاطرت جماهير كثيرة من الرجال واحتشدوا تحت راية البابا وهم واثقون انهم في النهاية سيقطعون دابر أتباع هس الهراطقة . اقترب الجيشان ولم يكن يفصل واحدهما عن الآخر غير نهر. "كان الصليبيون يفوقون أعداءهم عدداً وقوة ولكن بدلا من أن يعبروا النهر ويهجموا عليهم وقفوا يرنون صامتين الى اولئك المحاربين" (٤٠)، حينئذ وقع على جيش الغزاة رعب غامض، ومن دون أن يضربوا ضربة واحدة انكسر ذلك الجيش العظيم وتشتت شملهم كما لو أن قوة غير منظورة طردتهم . وقتل جيش هس عددا كبيرا منهم، ثم طاردوا الهاربين ووقعت في أيدي اولئك المنتصرين غنائم كثيرة، حتى أن الحرب لم تؤدِ بهم الى الفقر بل اغنتهم غنى جزيلا. [130]

وبعد سنين قليلة قام بابا جديد وجرد عليهم حملة اخرى من المشاة . وكما حدث في المرة السالفة جُمعت الذخائر والأمو ال من كل الممالك الأوروبية الخاضعة لحكم الباب ا. وكانت الاغراءات المعروضة على من رغبوا في دخول تلك الحرب الخطرة عظيمة . فلقد عُرض تأكيد بغفران أفظع الخطايا التي ارتكبها الصليبيون، كما قُطع وعد بجزاء صالح عظيم في السماء لمن يموتون في تلك الحرب، ومن يبقون أحياء كانوا سيحصلون على الكرامة والغنى في ساحة القتال . ومرة أخرى حُشد جيش عظيم، واذ عبروا الحدود دخلوا بوهيمي ا. تراجعت امامهم جيوش هس انكسارا، وهكذا اجتذبوا الغزاة الى عمق البلاد بحيث جعلوهم يعتقدون أنهم قد أحرزوا النصرة . أخيرا وقف جيش بروكوبيوس ثابتا في مكانه، واذ ارتدوا الى العدو تقدموا ليلتحموا معهم في القتال . ولما اكتشف الصليبيون خطأهم ظلوا في معسكرهم ينتظرون الهجوم . وعندما سمع صوت الجيش الزاحف، بل قبل أن يروه، وقع رعب عظيم على الصليبيين . واذا بالامراء والقواد والجنود العاديين يُلقون اسلحتهم ويفرون هاربين في كل اتجاه . وعبثا حاول القاصد الرسولي الذي كان قائدا للغزاة أن يلم شمل الجيش المرتعب الذي شمله الارتباك والفوضى . وعلى رغم الجهود العظيمة التي بذلها إنجرف هو أيضاً مع جموع الهاربين . فكانت الهزيمة ماحقة، ومرة أخرى جمع المنتصرون غنائم وافرة.

وهكذا ففي المرة الثانية اذ خرج جيش عظيم من أقوى دول أوروبا، جيش من الرجال المحاربين المدربين على استخدام الاسلحة في القتال، هربوا من دون أن يضربوا ضربة واحدة أمام الجيش الصغير المدافع عن تلك الدولة الضعيفة . هنا ظهرت قدرة الله . لقد اصاب الغزاة رعبٌ عظيم فائق الطبيعة . فذاك الذي طرح جيوش فرعون في بحر سوف، والذي هزم جيوش مديان أمام جدعون ورجاله الثلاث مئة، والذي في ليلة واحدة قتل كل رجال جيوش ملك أشور المتكبر، مدَّ يده مرة أخرى ليضعف قوة الطغاة الظالمين. "هناك خافوا خوفا ولم يكن خوف لان الله قد بدد عظام محاصرك. أخزيتهم لان الله قد رفضهم" (مزمور ٥٣ : ٥). [131]

اللجوء الى الطرق الدبلوماسية

لما يئس القواد البابويون من الغلبة لجأوا الى الحيلة والسياسة، فعقدوا صلحا بحيث أقروا منح شعب بوهيميا حرية الضمير لقاء ترك حق القرار في يد روما. وقد قدم شعب بوهيميا أربعة شروط للصلح مع رو ما وهي : حرية الكرازة بالكتاب المقدس، حق كل أعضاء الكنيسة في الخبز والخمر في المائدة السماوية، استخدام اللغة الوطنية في العبادة، واعتزال كل رجال الاكليروس الوظائف والسلطات المدنية، ومتى أرتكب أحدهم جريمة فالسلطة الشرعية للمحاكم المدنية هي التي تحكم على الاك ليروس والعلمانيين على حد سواء . وقد "قبلت السلطات البابوية أخيرا شروط اتباع هس الاربعة، ولكن مع حصر حق ايضاحها وتفسيرها بالمجمع، أي بالبابا والامبراطور" (٤١). وعلى هذا الاساس عقدوا المعاهدة فكسبت روما عن طريق النفاق والمخاتلة ما عجزت عن احرازه بالحرب، لانها اذ اقامت نفسها مفسرة لشروط أتباع هس وللكتاب استطاعت تحوير معناها لخدمة أغراضها.

واذ رأت جماعة كبيرة في بوهيميا ان ذلك الاتفاق قد غدر بحرياتهم رفضوا قبول المعاهدة، فحدثت خصومات ووقعت انقسامات أدت الى المنازعات و سفك الدماء بين أبناء الشعب الواحد . وفي ذلك النزاع سقط القائد بروكوبيوس النبيل ومات، وبذلك اندثرت حريات بوهيميا.

وصار سجسموند الذي سلّم هس وجيروم الى الموت ملكا على بوهيميا الآن ، وعلى رغم القسم الذي اخذه على نفسه بأن يحمي حقوق شعب بوهيميا فقد تقدم لنشر البابوية . لكنه لم يربح كثيرا من وراء تعلقه بروما، فلقد عاش حياة التعب المحفوفة بالاخطار مدى عشرين عاما . وضاعت جيوشه وابتلعت أمواله وأقفرت خزائنه في حرب طويلة بلا جدوى. والآن بعدما ملك سنة واحد ة مات تاركا مملكته على شفا حرب أهلية ، وقد أورث نسله أسما مجللا بوصمة العار. [132]

وطال أمد الفتن والشغب والمنازعات وسفك الدماء . ومرة أخرى غزت جيوش الغرباء بوهيميا، وطال أمد المنازعات والخصومات الداخلية فارتبكت الأمة . والذين بقوا أمناء للإنجيل حلت بهم اضطهادات دامية.

قيام كنيسة مميزة

ولأن اخوتهم الداخلين في معاهدة مع روما تسببوا بترسيخ ضلالاتها في البلاد، فأولئك الذين ظلوا متمسكين بالايمان القديم نظموا أنفسهم في كنيسة خاصة وأطلقوا على أنفسهم اسم "الاخوة المتحدين". ومع أن هذا التصرف انزل عليهم لعنة كل الطبقات فقد ظلوا ثابتين ولم يتزعزعو ا. واذ أرغموا على أن يبحثوا لأنفسهم عن ملجأ في الغابات والكهوف ظلوا مواظبين على اجتماعاتهم لقراءة كلمة الله والاتحاد والاشتراك في العبادة.

وبواسطة رسل اوفدوهم سرا الى بلدان مختلفة علموا أنه يوجد هنا وهناك "جماعات منعز لة تعترف بالحق، جماعة قليلة في هذه المدينة، وأخرى في غيرها، وأن الجميع مستهدفون مثلهم للاضطهاد . كما علموا أنه توجد في جبال الالب كنيسة قديمة مبنية على أساس الكتاب المقدس وتحتج على المفاسد الوثنية المتفشية في روما" (٤٢). فاستقبلوا هذا النبأ بفرح عظيم . وبدأ اتصال بينهم وبين المسيحيين الولدنسيين.

انتظار بزوغ الفجر

واذ ظل اولئك البوهيميون ثابتين على حق الانجيل انتظروا طوال ليل الاضطهاد، وفي أحلك الساعات، اتجهوا بانظارهم صوب الافق كمن يراقبون الصبح. ”لقد وقع نصيبهم في أيام شريرة ... ولكنهم ذكروا الأقوال التي ك ان هس أول من نطق بها ورددها جيروم، من أنه ينبغي أن يمر قرن كامل قبل أن يبزغ نور النهار. وكانت هذه الأقوال بالنسبة الى التابوريين“ (أتباع هس)، بمثابة ما قاله [133] يوسف للاسباط في بيت العبودية: ”أن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا“ (٤٣) (تكوين ٥٠ : ٢٥). ”هذا، وأن الحقبة التي جاءت في ختام القرن الخامس عشر شهدت زيادة عدد كنائس الاخوة، وان يكن ببطء . ومع أنه كانت تأتيهم مناوشات ومضاياقات فقد كانوا يتمتعون براحة نسبية . وعندما بدأ القرن السادس عشر بلغت تلك الكنائس في بوهيميا ومورافيا المئتين عد ا“ (٤٤). ”وكانت البقية التي بقيت ونجت من الهلاك ومن هول النار والسيف عظيمة ومنتقاة، كما كان من نصيبهم أن يبصروا فجر ذلك اليوم الذي . كان هس قد أنبأ به“ (٤٥). [134]

الفصل السابع ـــ انفصال اوثر عن روما

يقف لوثر في مقدمة من دعوا الى اخراج الكنيسة من ظلمة البابوية الى نور ايمان انقى . كان رجلا غيورا متحمسا متعبدا لا يعرف خشية الناس بل يخاف الله، ولا يعترف بأساس آخر للايمان والعقيدة الدينية غير الكتاب المقدس، كان رجل عصره، وعن طريقه أتم الله عملا عظيما لاصلاح الكنيسة وانارة العالم.

وكالبشيرين الأولين الكارزين بالانجيل برز لوثر من بين احضان الفقر، عائشا سني طفولته في بيت فلاح الماني وضيع . وقد كد أبوه وتعب في العمل في المناجم لكي يكفل له تهذيبا لائق ا. كان يريد أن يصير ابنه محاميا، لكنّ الله قصد أن يجعله بنّاء في الهيكل العظيم الذي كان يرتفع ببطء شديد مدى العصور . كانت المشقات والحرمان والتدريب القاسي هي المدرسة التي فيها أعدت الحكمة اللامتناهية لوثر لرسالة حياته المهمة.

كان والد لوثر رجلاً ثاقب الذهن، قويم الخُلق، ثابت العزم ، شريفاً ومستقيما. وكان أمينا لاقتناعه بالواجب مهما تكن النتائج . وقد جعله رشادُه ينظر الى نظام الرهبنة بكثير من الشك والارتياب، فغضب جدا عندما دخل لوثر الدير [135] من دون رضاه . ومرت سنتان قبل ان يتصالح مع ابنه . وحتى في ذلك الحين ظلت نظرته الى الرهبنة كما كانت فلم تتغير.

وقد حرص والدا لوثر حرصا عظيما على تربية اولادهما وتهذيبهم . وحاولا أن يعلماهم معرفة الله وممارسة الفضائل المسيحية . وقد سمع الابن أباه وهو يصلي طالبا أن يذكر ابنه اسم الرب وأن يساعد في يوم من الأيام على نجاح حقه وتقدمه . وكانا تواقين الى حسن استغلال كل ميزة أدبية أو فكرية اتيحت لهما خلال حياة الكد التي عاشاه ا. وانصبت جهودهما بجدية ومثابرة على إعداد اولادهما لحياة التقوى والنفع . وكانت صلابتهما وقوة خلقهما تجنحان بهما احيانا الى القسوة البالغة . لكنّ المصلح نفسه، مع شعوره بأن أبويه قد أخطآ في بعض النواحي، وجد في تربيتهما اشياء تستحق المديح أكثر مما تستحق الادانة والتوبيخ.

عومل لوثر في المدرسة التي أرسل اليها في حداثته بالفظاظة والقسوة . وكان أبواه فقيرين جدا بحيث أنه في ذهابه من البيت الى المدرسة في بلدة أخرى كان مضطرا احيانا الى أن يحصل على طعامه بواسطة الغناء من باب الى باب، وكثيرا ما كان يحس بآلام الجوع . والافكار الدينية الخرافية الكئيبة التي كانت سائدة آنئذ ملأته خوفا، فكان يضطجع في الليل وقلبه مثقل بالحزن وهو ينظر الى المستقبل المظلم برعب دائم من التفكير في الله كديان عبوس قاسي القلب وطاغية لا يرحم، بدلا من التفكير فيه كالآب السماوي الرحيم .

ومع ذلك فأمام تلك الخيبات الكثيرة والعظيمة تقدم لوثر بعزم صادق صوب التفوق الاخلاقي والعلمي الذي استهوى نفسه . لقد ظمئت نفسه الى المعرفة، وقاده ذهنه العملي الحاد الى اشتهاء الامور الثابتة النافعة، لا السطحية الجميلة المظهر.

وعندما التحق بجامعة ارفرت في الثامنة عشرة من عمره كان مركزه مشجعا مؤاتيا وصارت آماله وامنياته اعظم اشراقا مما كانت في سني الصبا. واذ [136] جد ابواه واقتصدا استطاعا أن يؤمنا له كل

المساعدة التي كان يحتاج اليه ا. وقد خفف تأثير الاصدقاء الحكماء قليلا من وقع تربيته العابسة . وعكف على دراسة مؤلفات اقدر الكتَّاب . وكان بكل اهتمام وجد يختزن في عقله أرجح الآراء، جاعلا حكمة الحكماء تراثا له . وحتى تحت التدريب الصارم الذي تلقاه من معلميه السابقين قدم البرهان في وقت مبكر على امتيازه وتفوقه . وبفضل المؤثرات المؤاتية نما ذ هنه بسرعة . هذا، وإن ذاكرته الواعية وخياله النشيط وقوى المحاجة القوية والمثابرة التي لا تكل سرعان ما قفزت به الى المكانة الأولى بين اترابه . وقد شحذ التدريب العقلي ذكاءه وأيقظ نشاطه الذهني وحدة ادراكه . وكان كل ذلك يعده للنضال في المستقبل.

كان قلب لوثر عامرا بخوف الله، وهذا أعانه على الاحتفاظ بثباته في غرضه وقاده الى الاتضاع العميق أمام الله . وكان في نفسه احساس دائم بوجوب الاعتماد على معونة الله، فلم يهمل أن يبدأ يومه بالصلاة، بينما كان قلبه يخفق دائماً بطلب الارشاد والعون . وكثيراً ما كان يقول: "الصلاة المخلصة لازمة للدرس والتحصيل" (٤٦).

واذ كان لوثر في احد الأيام يفحص بعض الكتب في مكتبة الجامعة وجد كتابا مقدسا مكتوبا باللاتينية . ولم يسبق له أن رأى مثل ذلك الكتاب، وكان يجهل تماما حتى مجرد وجوده . كان قد سمع بعض فصول من الانجيل والرسائل كانت تتلى على الشعب في ا لعبادة العامة، وكان يظن انها هي كل الكتاب . اما الآن فها هو لأول مرة يرى كل كلام الله بين دفتي كتاب . فبرهبة ممتزجة بالدهشة جعل يقلب صفحات ذلك السفر المقدس . واذ كانت نبضاته تسرع وقلبه يخفق بدأ يقرأ لنفسه كلام الحياة . كان بين الحين والآخر يتوقف ليصرخ قائلا: "ليت الله يعطيني هذا الكتاب ليكون ملكي الخاص!" (٤٧). وكان ملائكة السماء واقفين الى جواره، وانحدرت من عرش الله أشعة من النور لتكشف لعقله كنوز الحق. وكان دائما يخشى أن يغضب الله، أما الآن فان الاقتناع العميق بأنه خاطئ استولى عليه كما لم يحدث من قبل. [137]

يتوق الى السلام مع الله

هذا وان رغبته الحارة في التحرر من الخطيئة والحصول على السلام مع الله قادته اخيرا الى دخول احد الاديرة وتكريس نفسه لحياة الرهبنة . وفي ذلك الدير طُلب منه ممارسة أحط الوان الكدح المذل فيذهب من بيت الى بيت مستجديا أهل الاحسان . وكان اذ ذاك في سن تجعل الانسان يتوق الى الظفر باحترام الناس وتقديرهم . لكنّ هذه الممارسات الحقيرة كان فيها قدر كبير من الاماتة لمشاعره الطبيعية . وتحمل هذا الاذلال بصبر اذ كان يعتقد أنه ضروري له بسبب خطاياه.

كان ينفق في الدرس كل لحظة تتاح له بعد اداء واجباته اليومية، حار ما نفسه النوم بل مستكثرا عليها الدقائق التي كان يقضيها في تناول طعامه البسيط. وكان يفرح بدرس كلمة الله أكثر من فرحه بأي شيء آخر . فقد وجد كتابا مقدسا مربوطا بالسلاسل الى جدران الدير فكان يذهب الى هناك كثير ا. واذ تعمق في نفسه التبكيت على الخطيئة إجتهد في الحصول على الغفران والسلام عن طريق أعماله الذاتية . وعاش عيشة غاية في الصرامة، محاولا بواسطة الصوم والصلوات التي كان يتلوها في الليل والجلد الذي كان يفرضه على نفسه أن يقهر شر طبيعته الذي لم تستطع حياة النسك ان تحرره منه . ولم يتراجع أمام أي تضحية يبلغ بواسطتها الى طهارة القلب التي قد توقفه مبَّررا أمام الله . وقال فيما بعد: "لقد كنت في الحق راهبا تقيا وأتبعت قوانين رهبانيتي بدقة اعجز عن التعبير عنه ا. ولو أُعطي لراهب أن يرث السماء بأعمال النسك التي يمارسها لكان لي الحق في امتلاكها ... ولو استمرت على ذلك مدة أطول لأودى بي

قمع الجسد واذلال النفس الى الموت" (٤٨). وكان من نتائج هذا النظام المؤلم أن خارت قواه وقاسى كثيرا من جراء تشنجات اغمائية لم يشفَ منها شفاء كاملا . ولكن مع كل تلك الجهود لم تجد نفسه المثقلة راحة. وأخيرا انساق الى حفاة اليأس. [138]

عندما بدا للوثر أن كل أمله قد ضاع دبر له الله صديقا ومعينا. ذلك أن ستوبتز التقي فتح ذهن لوثر أمام كلمة الله وأمره بأن يحول نظره بعيدا من نفسه ويترك التفكير في القصاص الابدي لأجل انتهاك شريعة الله وينظر الى يسوع المخلص غافر الخطايا. ثم قال له: "بدلا من تعذيبك نفسك لأجل خطاياك ألق بنفسك بين ذراعي الفادي . ثق به، في بر حياته وكفارته وموته ... اصغ الى ابن الله. لقد صار انسانا ليمنحك يقين الرضى الالهي". "أحب ذاك الذي أحبك قبلا" (٤٩). هكذا تكلم رسول الرحمة ذاك فأثر كلامه في عقل لوثر تأثيرا عميقا. فبعد مصارعات كثيرة وطويلة مع أخطائه التي احتضنها طويلا استطاع فهم الحق، فحل السلام في نفسه المضطربة.

استاذ في الجامعة

كان لوثر قد سيم كاهنا ودُعي للخروج من الدير ليكون استاذا في جامعة وتنبرج. وهناك عكف على دراسة الكتاب المقدس في لغاته الاصلية. ثم بدأ يلقي محاضرات عن الكتاب المقدس . وشرح سفر المزامير والأناجيل والرسائل لجماهير الناس الذين كانوا يستمعون اليه بسرور وشغف، وقد ألح عليه ستوبتز صديقه ورئيسه أن يعتلي المنبر ويعظ بكلمة الله . لكن لوثر تردد شاعرا في نفسه بعدم استحقاقه مخاطبة الشعب نيابة عن المسيح . ولكن بعد صراع طويل خضع واستجاب لتوسلات اصدقائه . كان قد صار مقتدرا في الكتب واستقرت عليه نعمة الله. وقد أسرت فصاحته الباب سامعيه . وكان الوضوح والقوة اللذان بهما قدم الحق كافيين لاقناع العقول، فلمست غيرته قلوبهم.

كان لوثر لا يزال ابنا امينا للكنيسة البابوية، ولم يكن يفكر في أن يكون غير ذلك. وقد رتبت له عناية الله أن يزور روما. وتابع رحلته سائرا على قدميه . وكان يبيت في الاديرة التي كانت في طريقه . وفي أحد اديرة ايطاليا شاهد من مظاهر الثراء العظيم والفخامة والترف ما جعله يمتلئ دهشة . فلما كان الرهبان يحصلون على ايراد من الأمراء كانوا يسكنون غرفا فخمة ويرتدون أغلى الحلل وأجملها [139] ويأكلون أشهى الأطعمة من الموائد الحافلة بأفخر طعام . فاستبدت الهواجس المؤلمة بنفس لوثر وجعل يقارن بين هذا المنظر وانكار الذات والمشقات التي حفلت بها حياته، فارتبك عقله.

على درج بيلاطس

أخيراً رأى من بُعد المدينة المبنية على سبع تلال . فانطرح على الأرض هاتفاً بانفعال عميق: "يا روما المقدسة، أني احييك" (٥٠). ثم دخل المدينة وبدأ يزور الكنائس وكان يصغي الى القصص العجيبة التي كان يرددها الكهنة والرهبان، ثم قام بممارسة الطقوس المفروضة . وانى ذهب كان يرى المناظر التي ملأته دهشة ورعبا اذ رأى الاثم متفشيا بين كل طبقات الاكليروس، وسمع من الاساقفة نكاتا شائنة فامتلأت نفسه رعبا اذ رأى نجاستهم حتى في أثناء اقامة القداس . واذ اختلط بالرهبان والشعب رأى الاسراف والدعارة . وأينما يتجهّه لا يستطيع أحد أن يجدْ النجاسة في موضع القداسة . وقد كتب يقول:

"يتصور مقدار شناعة الأمور المخجلة التي تُرتكب في روما، ولا يصدق بوجودها الا من رأوها بأعينهم . وقد صار أمرا عاديا أن يقول الناس : اذ كان هنالك جحيم فان روما مبنية فوقها. انها بؤرة تخرج منها كل الخطايا" (٥١).

وكان قد صدر مرسوم بابوي بمنح الغفران لكل من يصعدون "سلم بيلاطس" على ركبهم، تلك السلم التي قيل ان المخلص نزل دركاتها عندما خرج من دار الولاية الروماني، وأنها قد نُقلت من اورشليم الى روما بمعجزة . وفي أحد الايام كان لوثر يرقى درجاتها بخشوع، وفجأة دوى صوت كالرعد بدا كأنه يقول: "البار بالايمان يحيا" (رومية ١ : ١٧). فنهض على قدميه وأسرع خارجا من ذلك المكان في خزي ورعب . ولم تفقد تلك الآية قوتها أو سلطانها على نفسه ابدا. ومن ذلك الحين رأى بكل جلاء، أكثر مما سبق له أن رأى، ضلالة الإركان الى الاعمال البشرية لأجل الخلاص، ولزوم الايمان الدائم باستحقاقات المسيح . لقد انفتحت عيناه ولم تغلقا ابدا بعد ذلك على تضليل خدع البابوية . وعندما حوَّل [140] وجهه بعيدا من روما حول قلبه كذلك عنها، ومنذ ذلك الحين زاد الانفصال اتساعا الى أن انفصمت وقُطعت كل علاقة له بالكنيسة البابوية.

بعدما عاد لوثر من روما حصل من جامعة وتنبرغ على درجة دكتوراه في اللاهوت. والآن صارت له الحرية في أن يكرس نفسه للكتاب المقدس الذي أحبه تكريسا أشد من ذي قبل . لقد أخذ على نفسه عهدا مقدسا بأن يدرس بعناية كلمة الله ويبشر بأمانة بها لا بأقوال البابوات وتعاليمهم، وأن يفعل ذلك مدى أيام حياته. فلم يعد مجرد راهب أو استاذ بل الناطق المفوّض بإسم الكتاب . وكراعٍ دُعي الى إطعام القطيع اذ كانت تلك الخراف جائعة وظامئة الى الحق . وقد أعلن بكل ثبات أن على المسيحيين الا يقبلوا تعاليم لا تستند الى سلطان الكتب المقدسة. وكانت هذه الأقوال ضربة أصابت سيادة البابا، واشتملت على مبدأ الاصلاح.

رأى لوثر خطر تعظيم النظريات البشرية فوق كلمة الله . ومن دون خوف هاجم النظريات الالحادية التي يعتنقها ويعلم بها رجال التعليم . وقاوم الفلسفة والعلوم اللاهوتية التي ظلت مسيطرة على الشعب طويلا . وفضح مقولاتهما التي كانت وبيلة في تأثيرها، فضلاً عن تفاهتها وعدم جدواها. وحاول أن يحول عقول سامعيه عن سفسطات الفلاسفة واللاهوتيين الى الحقائق الابدية المدونة في كتب الانبياء والرسل.

كانت الرسالة التي ابلغها الى الجموع المتلهفة المتعلقة بأقواله ثمينة ومحيية. لم يسبق لهم أن سمعوا مثل تلك التعاليم . ان بشرى محبة المخلص ويقين الغفران والسلام بدمه المكفر ملأت قلوبهم فرحا والهمتهم رجاء أبديا. لقد أشعل في وتنبرغ نور كان مقدَّرا له أن يمتد الى أقصى الأرض ويزيد لمعانا ولألاء الى انقضاء الدهر.

لكنّ النور و الظلمة لا ينسجمان، فبين الحق والضلال يشتعل أوار حرب لا تخمد أبدا. وإن رفع انسان راية أحدهما ودافع عنه فلا بد أن يهاجم الآخر ويهدمه. [141] ولقد أعلن مخلصنا نفسه قائلا: "ما جئت لالقي سلاما بل سيفا" (متى ١٠ : ٣٤). وقال لوثر بعد بدء الاصلاح بسنين ق ليلة: "ان الله لا يقودني بل يدفعني الى الامام . انه يحملني بعيدا. فأنا لست سيد نفسي . أنا أحب أن اعيش في راحة وسكون، ولكني قد ألقي بي في وسط الشغب والضوضاء والثورات" (٥٢). وكان مقيَّضا له وقتئذ أن يُزج به في وسط المعمعة.

تنزل وصكوك الغفران

كانت كنيسة روما تتجرَ بنعمة الله . لقد وضعت موائد الصيارفة (متى ٢١ : ١٢) في جوار مذابحها، وكانت تتردد في أماكن العبادة صرخات من كانوا يشترون ويبيعون، وكانت صكوك الغفران تُعرض للبيع جهارا بسلطان بابا روما بحجة جمع الأموال لبناء كنيسة القد يس بطرس في روم ا. بثمن الجرائم كان سيقام هيكل لعبادة الله، وكان حجر الزاوية سيوضع بأجرة الاثم، لكن الوسائل نفسها المستخدمة لتعظيم روما كانت فيها الضربة القاضية على سلطانها وعظمته ا. هذا ما أهاج ضد البابوية ألد أعدائها إصرارا وأعظمهم نجاحا، وأدى الى الحروب التي هزت العرش البابوي والتاج المثلث الموضوع على رأس البابا.

كان الموظف المكلف ببيع صكوك الغفران في المانيا، وأسمه تتزل، متهما بأحط أنواع الجرائم ضد المجتمع وشريعة الله . ولكن بما أنه قد نجا من القصاص الذي كان يستحقه بسبب جرائمه استُخدم في ترويج المشاريع التج ارية السالفة من قبل الباب ا. فبكل جرأة ووقاحة جعل يردد أعظم الأكاذيب الخلابة ويقص القصص العجيبة ليخدع ذلك الشعب الجاهل الساذج المتمسك بالخرافات. فلو كانت في حوزتهم كلمة الله لما استطاع أن يخدعهم أحد. ولكن أخذ منهم الكتاب المقدس وحرموا منه ليظلوا خاضعين للسي ادة البابوية فتزيد قوة رؤسائها وتتضاعف ثروتهم (٥٣). [142]

كان تتزل يدخل المدن وقد تقدمه رسول يعلن قائلا: "ها نعمة الله والابُ القديس أمام أبوابكم" (٥٤). ورحب الناس بذلك الدعي المجدِّف كما لو كان هو الله نفسه نزل اليهم من السماء. وقد أقيمت تلك التجارة الشائنة في الكنيسة. فاذ أعتلى تتزل المنبر جعل يمتدح صكوك الغفران على أنها عطايا الله. وأعلن أنه بفضل شهادات الغفران التي معه تُغفر لمن يشتريها كل الخطايا التي يرغب في ارتكابها مستقبلا، وأنه "حتى التوبة لا لزوم له ا" (٥٥). وأكثر من هذا فقد أكَّد لسامعيه أن لصكوك الغفر ان قوة لا لغفران خطايا الأحياء وحسب بل أيضا خطايا الموتى، وانه حالما ترن النقود في الصندوق تتحرر النفس التي قُدمت لأجلها من عذابات المطهر وتنطلق الى السماء (٥٦).

الالوف تقبل دعوة تتزل

عندما اعطى سيمون الساحر الرسلَ اموالا ليشتري منهم القوة على اجراء المع جزات قال له بطرس: "لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم" (اعمال ٨ : ٢٠). لكنّ آلافا من الناس المتلهفين تمسكوا بعرض تتزل هذا، فكان ينصبّ في خزائنه سيل من الذهب والفضة . ان الخلاص الذي يمكن شراؤه بالمال أسهل من ذاك الذي يتطلب التوبة والايم ان والمجاهدة في مقاومة الخطيئة والانتصار عليها (انظر التذييل).

ولقد قاوم رجال العلم والتقوى تعليم الغفرانات هذا في الكنيسة الرومانية، كما وجد كثيرون ممن كانوا لا يؤمنون بالادعاءات التي لا يقرها العقل أو الوحي الالهي. ولكن لم يكن هنالك اسقف واحد لديه الجر أة الكافية التي تجعله يرفع صوته محتجا على تلك التجارة الآثمة . غير ان عقول الناس كان يساورها الاضطراب وعدم الاطمئنان . وقد بدأ كثيرون يتساءلون في لهفة وشوق عما اذا لم يكن الله عازما على أن يستخدم انسانا كوسيلة لتطهير كنيسته. [143]

ومع أن لوثر كان أعظم البابويين تعص با، فقد امتلأ رعبا من الأدعاءات التجديفية التي تنطوي عليها المتاجرة بصكوك الغفران . كان كثيرون من المواظبين على سماع عظاته قد اشتروا بعض تلك الصكوك . وسرعان ما عادوا الى راعيهم معترفين بخطاياهم المتعددة . وكانوا ينتظرون الغفران لا لأنهم قد تابوا أو يرغبون في اصلاح حياتهم بل على أساس صكوك الغفران، فأبى لوثر أن يمنحهم الغفران، وأنذرهم أنهم

ما لم يتوبوا ويصلحوا حياتهم فلا بد من هلاكهم في خطاياهم . ففي ارتباك عظيم عادوا الى تتزل يشتكون رفض معَّرفهم قبول صكوكه، وبعض منهم طلبوا اليه بكل جرأة أن يعيد اليهم نقودهم . فامتلأ الراهب غضبا وجعل يقذف أرهب اللعنات . ثم أمر باشعال نار في الميادين العامة وأعلن أنه "قد حصل على تفويض من البابا بحرق كل الهراطقة الذين يتجرأون على مقاومة صكوك الغفران المقدسة التي يبيعها" (٥٧).

بطل من ابطال الحق

باشر لوثر عمله بشجاعة كمدافع عن الحق. وسمُع صوته من المنبر وهو يوجه الى سامعيه إنذاراً حاراً مقدساً . وقد شرح للشعب ان الخطيئة كريهة جدا، وعلمهم انه يستحيل على الانسان بأعماله ان يقلل من جرمها أو يفلت من قصاصه ا. ولا شيء يخلص الخاطئ غير التوبة الى الله والايمان بالمسيح . ونعمة المسيح لا يمكن شراؤها، فهي هبة مجانية . ثم نصح الشعب بألا يشتروا صكوك الغفران بل ان ينظروا بالايمان الى الفادي المصلوب . واخبرهم عن اختباره المؤلم المرير في محاولته الفاشلة الحصول على الخلاص باذ لاله نفسه واعماله التكفيرية، واكد لسامعيه انه قد حصل على السلام والفرح لكونه صرف نظره عن نفسه وآمن بالمسيح.

واذ ثابر تتزل على تجارته ونشر ادعاءاته الالحادية عوَّل لوثر على الاقدام على احتجاج افعل ضد هذه الفضائح الصارخة وقد عرضت لذلك فرصة مؤاتية [144] وسريعة. كانت توجد في كنيسة القلعة في وتنبرج كثير من الذخائر التي كانت تعرض على الشعب في بعض الايام المقدسة الخاصة، وكان يُمنح غفران كامل لكل من كانوا يزورون الكنيسة حينئذ ويقدمون اعترافاتهم . ولذلك كان الناس يفدون اليها افوا اجا في تلك المناسبات، ومن أهمها عيد "جميع القديسين" الذي كان قد حان ميعاده . ففي عشية العيد انضم لوثر الى تلك الجموع التي كانت في طريقها الى الكنيسة وألصق على بابها ورقة كتب عليها خمسة وتسعين برهانا ضد صكوك الغفران . وقد أعلن استعداده لمناقشة كل من يعارض هذه البراهين، ومباحثة كل من يخالفه الرأي في الجامعة في اليوم التالي.

استرعت مقترحاته انتباه الجميع . وقرئت مرارا وتكرارا في كل اتجاه فحدث اهتياج عظيم في الجامعة وفي كل المدينة . وقد برهنت هذه المباحث ان سلط ة غفران الخطيئة والتجاوز عن القصاص لم تُمنح للبابا او لإنسان آخر . ان ذلك النظام كله حكاية مضحكة وحيلة لابتزاز المال بالتحايل على خرافات الشعب، وهو خدعة شيطانية لإهلاك نفوس كل من يثقون بتلك الادعاءات الكاذبة . وتبرهن بكل وضوح ايضا ان انجيل المسيح هو اثمن ذخر في الكنيسة، وان نعمة الله المعلنة فيه موهوبة مجانا لكل من يطلبونها بتوبة وايمان.

رسالته تهز ألمانيا

تحدَّت مباحث لوثر كل جدال فلم يجسر أي انسان على قبول ذلك التحدي. وفي خلال ايام قليلة انتشرت الاسئلة التي اقترحها في جميع انحاء المانيا، وبعد اسابيع قليلة رنّت في كل العالم المسيحي . وكثيرون من البابويين الاتقياء الذين رأوا الاثم متفشيا في الكنيسة وحزنوا لذلك ولكن لم تكن في يدهم حيلة

لدفعه او وقف تقدمه فرحوا فرحا عظيما بعدما اطلعوا على تلك المقترحات متحققين ان فيها صوت الله . وقد احسوا بأن الرب في رحمته قد مدَّ يده ليوقف ذلك السيل المندفق من الفساد الخارج من الكرسي البابوي في [145] روما. وفرح الامراء والحكام في قلوبهم لان صدمة قوية اصابت ذلك السلطان المتغطرس الذي انكر على الشعب حق المعارضة او الاحتجاج على قراراته .

أما جموع الناس الذين كانوا يحبون الخطيئ ة ويؤمنون بالخرافات فقد ارتعبوا اذ رأوا المغالطات التي كانت قد اسكتت مخاوفهم وقد اكتُسحت . واما رجال الأكليروس الماكرون الذين اوقفوا عن عملهم في إباحة ارتكاب الجرائم فإذ رأوا ان ارباحهم مهددة بالخطر تملكهم سخط عظيم، واجتمعوا ليسندوا ادعاءاتهم ويؤيدوها، فكان على ذلك المصلح ان يجابه متهميه واعداءَه الالداء . وقد اتهمه بعضهم بانه يعمل بدافع العداء وبعض النزعات الاخرى . كما اتهمه آخرون بالغطرسة، واعلنوا ان الله لم يوجهه بل هو يعمل بدافع الكبرياء والجرأة . فأجاب قائلا: "من ذا الذي لا يعرف ان الانسان نادرا ما يتقدم برأي جديد من دون ان تظهر عليه بعض مظاهر الكبرياء او يُتهم بأنه يخلق المشاحنات؟ ولماذا مات المسيح وكل الشهداء؟ لانه بدا وكأنهم قوم متكبرون يحتقرون حكمة زمانهم، وينشرون بدعاً من دون أن يتواضعوا بطلب المشورة من وحي الآراء القديمة".

ثم أعلن قائلا: "ان كل ما افعله لن استرشد فيه حكمة الناس بل مشورة الله، فان كل العمل عمل الله فمن ذا الذي يستطيع ان يوقفه؟ وان لم يكن كذلك فمن يستطيع أن يمضي به قُدُماً؟ ليكن لا ما أريد أنا ولا ما يريدون هم، لا مشيئتنا بل مشيئتك انت ايها الآب القدوس الذي في السماء" (٥٨).

محاربات شديدة

ومع ان لوثر كان مسوقا بروح الله ليبدأ عمله فلم يكن ليشرع فيه من دون محاربات شديدة . فتعييرات اعدائه وسوء تصويرهم مقاصده وتعليقاتهم الجائرة الماكرة على اخلاقه وبواعثه انقضّت عليه كسيل جارف، ولم تكن عديمة الاثر . لقد كان واثقا بأن قادة الشعب في الكنيسة وفي دور العلم سينضمون اليه في السعي نحو الاصلاح . وكلام التشجيع من الذين كانوا يحتلون مراكز سامية [146] الهمه فرحا ورجاء . كما الهمه شعوره بأنه سيرى أياما اصفى وأشد لمعانا يفيض نورها على الكنيسة . فاذا بالتشجيع يستحيل تعييرا وإدانة . فكثيرون من ذوي المقامات الرفيعة في الكنيسة والدولة اقتنعوا بصدق مباحثه، ولكنهم سرعان ما رأوا ان قبول هذه الحقائق يتطلب تغييرات وانقلابات عظيمة . ذلك ان تنوير الشعب واصلاحه سيكون في الواقع تقويضا لسلطان روما وسيوقف الكثير من موارد الثروة التي تتدفق في خزانتها، وهذا بالطبع سيقلل من اسراف الرؤساء البابويين وترفهم . زد على ذلك أن تعليم الشعب ان يفكروا ويتصرفوا كخلائق مسؤولة، ناظرين الى المسيح وحده لاجل الخلاص، لا بد أن يطيح عرش البابا، ويقضي في النهاية على سلطته . فلهذه الاسباب رفضوا المعرفة المعطاة لهم من الله واصطفوا ضد الم سيح والحق بمقاومتهم الرجل الذي ارسله لانارتهم.

ارتعب لوثر وهو ينظر الى نفسه : رجل واحد يتصدى لمقاومة اعظم قوات الارض. كان احيانا يشك في ما اذا كان يسير حسب ارشاد الله للتصادم مع سلطة الكنيسة . وقد كتب يقول: "من اكون انا حتى أقاوم سيادة البابا الذي ترتعد امامه ملوك الارض في كل العالم؟ ... ليس من يعرف كم قاسى قلبي وتألم في اثناء هذين العامين الاولين، ولا مقدار اليأس والقنوط الذي غصت فيه" (٥٩). ولكنه لم يُترك لليأس لتخور عزيمته تمام ا. فعندما خذلته المعونة البشرية نظر الى الله وحده وعلم انه يستطيع الاستناد الى ذراعه

الكلية القدرة باطمئنان تام.

الكتاب المقدس فقط

وقد كتب لوثر لأحد اصدقاء الاصلاح يقول: "لا يمكننا ان نفهم الكتب المقدسة بالدرس او بالعقل . ان أول واجب تقوم به هو أن تبدأ بالصلاة . توسل الى الرب أن يمنحك من فرط رحمته العظيمة الفهم الحقيقي لكلمته . لا يوجد مفسر لكلمة الله غير مؤلفها ومبدعها لانه هو نفسه قد قال : ويكون الجميع متعلمين من الله . لا تنتظر شيئا من جهودك الخاصة او فهمك بل ثق بالله تماما [147]

وبتأثير روحه . ثق بهذا بناء على كلمة انسان مجرّب" (٦٠). هنا درس ذو أهمية حيوية للذين يحسون أن الله قد دعاهم لي قدموا الى الآخرين الحقائق المقدسة في عصرنا هذ ا. ان هذه الحقائق ستثير عداوة الشيطان والناس الذين يحبون الخرافات التي قد ابتكره ا. ففي الصراع مع قوات الشر تدعو الحاجة الى اكثر من القوة العقلية والحكمة الانسانية.

عندما لجأ الاعداء الى العادات والتقاليد او الى تصريحات البابا وسلطانه واجههم لوثر بالكتاب من دون سواه . ففي الكتاب حجج لم يستطيعوا الاجابة عنها. ولهذا صرخ عبيد الطقوس والخرافات طالبين سفك دمه كما طلب اليهود سفك دم المسيح . فقد صاح البابويون المتعصبون قائلين: "انه هرطوقي، انها خيانة عظمى للكنيسة ان نسمح لهذا الهرطوقي الفظيع ان يعيش ساعة واحدة بعد الآن . فلتتصب له المشنقة في الحال" (٦١). لكنّ لوثر لم يسقط فريسة غضبهم الجنوني . فلقد أبقى له الله عملا يقوم به، وارسلت ملائكة السماء لحراسته. ومع ذلك فان كثيرين ممن قبلوا من لوثر النور الثمين صاروا هدفا لغضب الشيطان، ولأجل الحق احتملوا العذاب والموت بلا خوف.

استرعت تعاليم لوثر اهتمام المفكرين ذوي الالباب في كل انحاء المانيا . فمن عظاته وكتاباته انبثق النور الذي أيقظ آلاف الناس وأنارهم . لقد بدأ الايمان الحي يحتل مكان الممارسات الطقسية الميتة التي ظلت الكنيسة متمسكة بها طويلا. وكان الناس يوما بعد يوم يفقدون ثقتهم بخرافات البابوية . وبدأت حواجز التعصب تُنقض وتتلاشى . وكلمة الله التي امتحن بها لوثر كل عقيدة وكل ادعاء كانت تشبه سيفا ذا حدين يشق لنفسه طريقا الى قلوب الناس . وفي كل مكان استيقظت الرغبة في طلب التقدم الروحي وظ هر جوع وعطش الى البر لم يُر مثلهما منذ اجيال . وعيون الشعب التي ظلت امدا طويلا تتجه الى الطقوس البشرية والوسطاء الارضيين عانقت الآن المسيح بقوة وايمان، واياه مصلوبا. [148]

يساق الى روما

هذا الاهتمام الواسع النطاق أثار مخاوف السلطات البابوية آنذاك فوصل الى لوثر أمر بالحضور الى روما لاستجوابه في تهمة الهرطقة . وملأ هذا الامر قلوب اصدقائه رعبا وهلع ا. لقد عرفوا تمام هول الخطر الذي يتهدده في تلك المدينة الفاسدة التي كانت سكرى بدم شهداء يسوع، فعارضوا ذهابه الى روما وطلبوا أن يتم استجوابه في المانيا.

اجيبوا الى هذا الط لب وعُيِّن القاصد الرسولي ليستمع الى تلك القضية . وفي التعليمات التي وصلت

اليه من البابا تقرّر ان لوثر قد صُنِّف في خانة الهراطقة، وقد اوصي نائب البابا بأن "يحاكمه ويقيده من دون تأخير". واذ ظل لوثر متشبثا برأيه وعجز مبعوث البابا عن القبض عليه شخصيا فقد اعطي السلطان بأن "يُحرم لوثر من حماية القانون وان تصادر امواله وممتلكاته في انحاء المانيا كافة، وان يُنفى ويلعن ويُحرم من شركة الكنيسة جميع من لهم به صلة" (٦٢). وأكثر من هذا فقد أوصى البابا رسوله بأن يستأصل تلك الهرطقة الوبائية تماما، وأن يحرم كل مسؤول في الكنيسة او الدولة، باستثناء الامبراطور، يبدي اهمالا في القبض على لوثر واتباعه وفي تسليمهم الى انتقام روما. هنا ظهرت روح البابوية على حقيقته ا. أننا لا نرى في هذه الوثيقة أي أثر للمبادئ المسيحية أو حتى للعدالة العادية . لقد كان لوثر بعيدا من روما بعدا قاصيا ولم تُعط له فرصة لايضاح موقفه او الدفاع عن نفسه، ومع ذلك فقبل فحص قضيته حُكم عليه اجمالا بالهرطقة، وفي اليوم نفسه انذر واتهم وحوكم وصدر عليه الحكم وذلك بواسطة الاب الاقدس المتأنق السيد الوحيد والمرجع المعصوم الاوحد للكنيسة والدولة. [149]

ميلانكثون

في هذا الوقت كان فيه لوثر في اشد الحاجة الى عطف صديق امين ومشورته ارسلت عناية الله ميلانكثون الى وتنبرج . كان هذا الانسان شابا وديعا وخجولا في عاداته فكسب حكمه الصائب وعلمه الواسع وفصاحته الآسرة، بالاضافة الى طهارة اخلاقه واستقامته، اعجاب الناس وتقديرهم جميع ا. ولم يكن تألق مواهبه اكثر بروزا من رقة ميوله ومزاجه . وسرعان ما صار تلميذا غيورا جدا للانجيل وصديق لوثر الموثوق به ومعينه الفعّال . وكانت رقته وحذره ودقته مكملة لشجاعة لوثر ونشاطه . ان اتحادهما في العمل اضفى على الاصلاح قوة، وهكذا صار ميلانكثون مصدر تشجيع عظيم للوثر.

عينت مدينة اوجسبرج مكانا للمحاكمة، فسار المصلح اليها على قدميه. وقد بدأت المخاوف الجسيمة تتجمع من حوله ، وكانت تُسمع تهديدات علنية تفيد بأنه سيقبض عليه ويُقتل في الطريق ، فتوسل اليه اصدقاؤه الا يتقدم في سيره مخاطرا بحياته، بل استحلفوه بأن يترك وتنبرج الى حين ويلجأ الى من يستطيعون حمايته، لكنه رفض التخلي عن المركز الذي قد وضعه الله فيه . عليه ان يظل امينا في الدفاع عن الحق على رغم العواصف التي كانت تهب عليه وتصدمه . وهذا ما قاله: "اني أشبه ارميا الذي كان رجل خصام ونزاع . ولكن بقدر ما تزيد تهديداتهم وتتعالى صيحاتهم يتضاعف فرحي ... لقد حطموا كرامتي وسمعتي . ولكن بقي شيء واحد وهو جسدي التعس المضني، فليأخذوه، فانهم بذلك يقصرون حياتي ساعات قليلة . أما نفسي فلا يستطيعون ان يمسوه ا. ان من يرغب في اعلان كلمة المسيح للعالم ينبغي له ان ينتظر الموت في كل لحظة" (٦٣).

اغتبط مبعوث البابا اغتباطا عظيما لدى علمه بوصول لوثر الى اجسبرج . فذلك الهرطوقي المشاغب الذي قد استرعى انتباه العالم كله بدا الآن وكأنه صار في قبضة يد روم ا. وقد صمم ذلك السفير على الا يدعه يفلت . وكان المصلح قد [150] اخفق في الحصول على صك الامان لنفسه، فألح عليه اصدقاؤه بألا يمثل أمام السفير قبل الحصول على ذلك الصك، وسعوا هم انفسهم الى الحصول عليه من الامبراطور . وقد قصد مبعوث البابا ان يرغم لوثر على التراجع إن أمكن، فان أخفق في ذلك فسيأمر بحمله الى روم ا ليقاسم هس وجيروم مصيرهما، ولذلك حاول عن طريق اعوانه أن يغري لوثر بالمثول امامه من دون أن يكون معه صك أمان ويسلم نفسه لرحمته . لكنّ المصلح لم يفعل ذلك فلم يمثل أمام سفير البابا الا بعد حصوله على وثيقة يلتزم فيها الامبراطور حمايته.

ومن باب السياسة والحيل ة عزم البابويون على ان يحاولوا كسب لوثر بالتظاهر بالرقة واللطف نحوه . وتظاهر القاصد الرسولي في حديث مع لوثر بالود والانعطاف والصداقة نحوه، لكنه أمر لوثر أن يخضع بكل ثقة لسلطان الكنيسة ويسلم في كل نقطة بلا محاجة او تساؤل . انه لم يكن يقدر الرجل الذي كان يتعامل معه تقديرا صائب ا. فأجابه لوثر بقوله انه يعتبر الكنيسة ويوقرها، وانه يرغب في الحق، وانه يريد أن يجيب على كل اعتراض ضد ما قد علَّم به، وان يُخضع تعاليمه لحكم بعض الجامعات العظيمة. ولكنه في الوقت نفسه اعترض على تصرف الكردينال اذ طلب منه ان يتراجع من دون ان يبرهن له انه على ضلال.

يحضون المصلح على التراجع

لكنّ الجواب الوحيد كان هذ ا: "تراجع، تراجع!" أما المصلح فأبان له انه يستند في موقفه هذا الى سلطان الكتب المقدس ة، وأعلن بكل ثبات انه لا يستطيع ان يرفض الحق . فاذ لم يستطع ذلك السفير الاجابة على حجج لوثر أمطره بسيل من الفاظ التعيير والسخرية والمداهنة المحشوة باقتباسات من التقليد واقوال الآباء، وبذلك لم يعطِ المصلحَ فرصة للكلام . فاذ رأى لوثر انه لو استمر المؤتمر على ه ذه الحال فسيكون عقيما استطاع اخيرا ان يحصل من السفير على اذن بتقديم جوابه كتابة، وان يكن على مضض. [151]

كتب لوثر الى صديق له يقول: "وبهذا العمل يجني المظلوم كسبا مضاعفا: اولا لأن الرسالة المكتوبة يمكن أن يطلع عليها آخرون ليحكموا للكاتب أو عليه، وثانيا لأن الانس ان تكون لديه فرصة افضل للتأثير على مخاوف طاغية متكبر يهذي ويفضل بالاحرى ان يغلب بكلامه المتغطرس، وربما على ضميره أيضاَ" (٦٤).

وفي الاجتماع التالي قدم لوثر تفسيرا واضحا موجزا مؤثرا لآرائه، وكان يستند في ذلك الى اقتباسات كثيرة من كلمة الله . فبعدما قرأ هذه الورقة بصوت عال سلمها الى الكردينال الذي القاها جانبا بكل احتقار معلنا انها مجموعة اقوال تافهة واقتباسات في غير محله ا. وقد ثار لوثر بسبب هذا الكلام وتقدم لمواجهة المبعوث المتكبر في ميدانه، أي تقليد الكنيسة وتعاليمها، فهدم كل ادعاءاته.

وعندما رأى السفير انه ليس نداً اذ قد عجز عن الاجابة على حججه لم يستطع ضبط نفسه، ففي غضب واهتياج صاح قائلا للوثر: "تراجع والا فسأرسلك الى روما لتمثل هناك أمام القضاة المفوَّض اليهم الاطلاع على قضيتك. اني لاحرمنَّك وكل مشايعيك وكل مؤيديك ومشجعيك وسأخرجهم من الكنيسة". واخيرا اعلن بنغمة متعجرفة غاضبة قائلا: "تراجع والا فلا ترجع " ثانية" (٦٥).

انسحب المصلح واصدقاؤه على الفور، وبذلك اعلن بكل جلاء الا يُنتظر منه ان يتراجع . ولم يكن الكردينال يرمي الى ذلك . لقد كان يخدع نفسه انه بواسطة العنف والقسوة سيرعب لوثر بحيث يخضع . اما الآن وقد تُرك وحده مع مساعديه فقد جعل ينظر اليهم واحدا فواحدا. وقد اغتم غما شديدا لحبوط مؤامراته.

ولم تكن جهود لوثر في هذه المناسبة بلا نتائج حسنة . فلقد أتيحت لذلك الجمع الكبير فرصة للمقارنة بين الرجلين، وليحكموا بأنفسهم بشأن الروح التي ظهرت عند كل منهما كما بشأن قوته وصدق موقفه . وكم كان الفارق عظيماً ! لقد وقف المصلح البسيط الوضيع الثابت في ملْءِ قوة الله، [152] والحق الى جانبه . أما ممثل البابا فكان صلِفا معتزا بنفسه ومتشامخا وغير واقعي، ولم يقدم حجة واحدة من كلام الله،

ومع ذلك ففي حمو غضبه كان يصرخ قائلا: ”تراجع والا فسترسل الى روما لتنال جزاءك“.

الهروب من اوجسبرج

وعلى الرغم من أن لوثر كان بيده صك الامان فقد كان البابويون يتآمرون للقبض عليه وايداعه السجن . وتباحث اصدقاؤه معه قائلين انه من العبث ان يطيل اق امته هناك بل عليه ان يعود الى وتنبرج بلا ابطاء وان يلزم جانب الحذر الشديد لاخفاء مقاصده . ولذلك فقد غادر اوجسبرج قبل الفجر ممتطيا صهوة جواد في صحبة دليل قدمه اليه الحاكم . فسار مخترقا شوارع المدينة المظلمة الساكنة في تكتم شديد وقد اكتنفت نفسه التطيرات . اما الا عداء اليقظون القساة فكانوا يتآمرون لاهلاكه . فهل سيفلت من الاشراك المنصوبة له؟ لقد كانت تلك اللحظات لحظات جزع وصلوات حارة . وقد وصل لوثر الى باب صغير في سور المدينة فاذ فُتح له خرج منه هو ودليله من دون مانع . فما إن خرجا من المدينة سالمين حتى أسرع ذانك الهار بان يفران بعيد ا. وقبلما علم السفير برحيل غريمه كان لوثر قد ابتعد عن مضطهديه . لقد انهزم الشيطان ورسله اذ افلت منهم الرجل الذي ظنوا انه قد وقع في قبضة ايديهم، نجا العصفور من فخ الصياد.

واذ علم مبعوث البابا نبأ هروب لوثر غمرته دهشة وغضب عظيمان . لقد كان يظن انه سيحصل على كرامة عظيمة لأجل حكمته وثباته في معاملة هذا الرجل الذي ازعج سلام الكنيسة، ولكن خاب امله . وقد عبَّر عن غضبه في خطاب ارسله الى فريدريك، منتخِب الامبراطور بالنيابة عن سكسونيا، فيه يتوعد لوثر ويأمر ذلك الحاكم بارساله الى روما او نفيه من سكسونيا . [153]

وفي دفاع لوثر عن نفسه طلب ان يريه السفير او البابا اخطاءه بأدلة من الكتاب المقدس، وأخذ على نفسه عهدا مشددا بأن يهجر كل تعاليمه متى تبرهن له انها مناقضة لكلمة الله . وقد شكر الله الذي حسبه أهلا لأن يتألم من أجل هذه القضية المقدسة.

لم يكن المنتخِب يعرف الا ا لنزر اليسير من تعاليم الاصلاح تلك، لكنه تأثر تأثرا عميقا بصدق أقوال لوثر وقوتها ووضوحه ا. وقد صمم فريدريك على أن يكون حاميا للوثر الى أن يثبت ”خطأه. وجوابا على أمر رسول البابا قال: ”ما دام الدكتور مارت قد مُثل أمامك في اوجسبرج فيجب ان نكتفي بذلك . أننا لم نكن ننتظر منك أن تحاول حمله على التراجع من دون أن تقنعه بأخطائه . ولم يخبرني احد من العلماء في كل ولايتنا بأن عقيدة لوثر كفرية أم مضادة للروح والتعاليم المسيحية أو أنها ضلالة“ . وفوق ذلك فقد رفض ذلك الامير أن يرسل لوثر الى روما أو أن يطرده من ولاياته“ (٦٦).

لقد رأي ذلك المنتخب أن هنالك انهيارا عاما في الروادع الاخلاقية في المجتمع. فكانت الحال تستدعي وتتطلب القيام باصلاح عظيم . فلو اعترف الناس بمطالب الله وارشاد ضمائرهم المستنيرة وأطاعوها لما كان ثمة حاجة الى الاجراءات المعقدة لكبح الجرائم ومعاقبة مرتكبيه ا. وقد رأى أن لوثر كان يجاهد لكي يصل الى هذه الغاية، وفرح في سره لأن تأثيرا افضل كان يفرض نفسه في الكنيسة، وقد بدأ الناس يحسون به.

اثارة الاهتمام بالكتاب المقدس

وقد رأى ايضا أن لوثر كاستاذ في الجامعة كان ناجحا جدا. لم تكن قد مضت غير سنة واحدة منذ الصق لوثر مباحثه على باب الكنيسة في القلعة، ومع ذلك فقد نقص عدد الحجاج الوافدين عليها في عيد جيمع القديسين نقصا ملحوظا. لقد حُرمت روما من عابديها وتقدماتهم، لكنّ مكان هؤلاء قد شغله اناس آخرون [154] وطبقة اخرى جاء افرادها الآن الى وتتبرج لا كحجاج يمجدون ذخائرها بل كطلاب يملأون قاعات العلم فيه ا. ان كتابات لوثر ومؤلفاته قد اضرمت في كل مكان اهتماما بالكتب المقدسة، فتقاطر الطلبة الى الجامعة لا من المانيا وحدها بل من بلدان اخرى . وبعض الشباب اذ أقبلوا على وتتبرج لأول مرة ”رفعوا ايديهم الى السماء شكرا لله الذي جعل النور ينبثق من هذه المدينة كما قد انبثق من صهيون في العصور القديمة، ومنها انتشر الى ابعد الممالك“ (٦٧).

ولم يكن لوثر الى ذلك الحين قد رجع عن ضلالات البابوية رجوعا كاملا، بل كان رجوعه جزئيا. ولكنه عندما كان يقارن بين الوحي المقدس والمراسيم والقوانين البابوية كان يمتلئ دهشة . وقد كتب يقول: ”اني الآن ماض في قراءة مراسيم الباباوات ... وانا لا اعلم ما اذا كان البابا هو المسيح الدجال نفسه ام هو رسوله، فلقد شوِّه المسيح وصلب في الباباوات الى حد كبير جدا“ (٦٨). ومع ذلك ففي ذلك الحين كان لوثر لا يزال يؤيد كنيسة روما، ولم يكن يفكر في الانفصال عن شركتها.

كانت مؤلفات ذلك المصلح وتعليمه تنتشر في كل دول العالم المسيحي . وامتد العمل الى سويسرا وهولاندة، كما وجدت نسخ من مؤلفاته طريقها الى فرنسا واسبانيا. وفي انجلترا قبل الناس تعاليمه كأنها كلمة الحياة . وامتد الحق الى بلجيكا وايطاليا ايضا. لقد بدأ آلاف الناس يستيقظون من سباتهم الشبيه بالموت الى فرح حياة الايمان والرجاء.

غضبت روما واهتاجت بسبب هجمات لوثر، وصرح بعض المتعصبين من خصومه، وحتى بعض دكاترة الجامعات الكاثوليكية، أن من يقتل هذا الراهب المتمرد فلا جُناح عليه ولا اثم . وفي احد الايام اقترب الى المصلح رجل غريب وكان يخفي غدارة تحت ثيابه وسأله لماذا هو سائر هكذا وحده فأجابه لوثر قائلا: ”انني بين يدي الله فهو قوتي وترسي . فماذا يصنع بي الانسان؟“ (٦٩)، فاذ سمع الغريب هذا الكلام اكفهر وجهه وهرب بعيدا كمن يهرب من محضر ملائكة السماء. [155]

كانت روما مصرة على اهلاك لوثر، لكنّ الله كان حصنا له ومجنّا. لقد انتشرت تعاليمه في كل مكان، ”في الاكواخ والاديرة ... في قلاع النبلاء وفي الجامعات وفي قصور الملوك“. وفي كل مكان قام النبلاء يؤيدونه في جهوده (٧٠).

في تلك الاثناء اذ كان لوثر يقرأ مؤلفات هس وجد ان ذلك الحق العظيم، حق التبرير بالايمان الذي كان هو نفسه يحاول أن يؤيده ويعلِّمه، كان هو الحق نفسه الذي اعتنقه ذلك المصلح البوهيمي . فقال لوثر: ”اننا جميعا، بولس واغسطينوس وانا، قد صرنا من اتباع هس من دون ان ندري“. ثم تابع كلامه قائلا: ”ان الله بكل تأكيد سيطال العالم بقصاصه اذ بشّره ذلك الشهيد بالحق ومع ذلك فقد احرقوه“ (٧١).

وفي عريضة رفعها لوثر الى امبراطور المانيا ونبلائها دفاعا عن اصلاح المسيحية كتب عن البابا يقول: ”انه لامر مرعب أن يرى الانسان ذلك الرجل الذي يدعو نفسه نائب المسيح يتظاهر بأبهة ووجاهة لا يكاد يضارعه فيهما أي امبراطور. فهل هو بهذا يشبه يسوع المسكين او بطرس الوضيع؟ ان الناس يقولون عنه انه سيد العالم! لكنّ المسيح الذي يتشدق هو بأنه نائبه قال: ”مملكتي ليست من هذا العالم“. فهل يمكن أن يمتد سلطان النائب الى أبعد من حدود سلطان رئىسه وسيده؟“ (٧٢).

وكتب عن الجامعات يقول: ”اني أخشى جدا ان تكون الجامعات هي ابواب الجحيم الا اذا كانت تبذل كل جهد في شرح الكلمة الالهية المقدسة ونقشها في قلوب الشباب . واني لا انصح احدا بأن يودع ابنه في معهد لا يسود فيه الكتاب المقدس سيادة كاملة . ان كل معهد لا ينشغل الناس فيه على الدوام بدرس كلمة

الله لا بد أن يصير فاسدا" (٧٣).

انتشرت هذه الدعوة بسرعة في كل المانيا وكان لها تأثير عظيم في الشعب. لقد استيقظت الامة كلها ونهضت جموع كثيرة لينضووا تحت راية [156] الاصلاح. واذ كان خصوم لوثر يلتهبون شوقا الى الانتقام الحوا على البابا في اتخاذ اجراءات حاسمة ضده. فصدر أمر بادانة تعاليمه في الحال. واعطيت للمصلح واتباعه مهلة ستين يوما اذا لم يتبرأوا من تعاليمهم بعدها فسيقع عليهم الحرم البابوي جميعا.

ازمة خانقة

كانت هذه ازمة خانقة اجتازها الاصلاح. فلمدى قرون طويلة كان حكم الحرم الذي تصدره روما يوقع الرعب في قلوب اقوى الملوك، بل لقد ملأ امبراطوريات قوية بالويل والخراب. واولئك الذين كان يقع عليهم ذلك الحكم كان جميع الناس ينظرون اليهم بخوف ورعب اذ كانوا يُبترون من معاشرة زملائهم ويعاملون على انهم طريدو العدالة، وكانوا يطاردون الى ان يُستأصلوا. ولم يكن لوثر غافلا عن العاصفة الموشكة ان تهب عليه، ولكنه مع ذلك ظل ثابتا متكلا على المسيح ليسنده ويحميه. فبايمان الشهيد وشجاعته كتب يقول: "انا لا اعلم ما الذي سيحدث ولا اكترث لذلك ... لتسقط الضربة اينما تسقط فانا لست خائفا. انه لا تسقط ورقة يابسة على الارض من دون اذن ابينا. فكم بالحري يهتم بنا ويرعانا. انه امر بسيط أن يموت الانسان لأجل كلمة الله اذ ان الكلمة الذي صار جسدا قد مات هو نفسه. اننا ان متنا معه فسنحيا ايضا معه. واذ نمر بما قد مر هو به قبلنا فسنكون معه حيث هو ونعيش معه الى الابد" (٧٤).

وعندما وصلت براءة البابا الى لوثر قال: "اني ازدريها واهاجمها بصفتها إلحادية كاذبة ... ان المسيح نفسه هو الذي دين بموجبها. انني افرح لأني احتمل هذه الشرور في سبيل افضل دعوة. لقد شعرت بحرية اعظم في قلبي لأني قد عرفت اخيرا أن البابا هو المسيح الدجال، وان كرسيه هو كرسي الشيطان نفسه" (٧٥). [157]

ومع ذلك فان امر روما لم يكن عديم التأثير. لقد كان السجن والتعذيب والسيف اسلحة فعالة لارغام الناس على الطاعة. كان الناس الضعفاء والمتمسكون بالخرافات يرتعبون أمام مرسوم البابا، ورغم وجود عطف على لوثر، فلقد أحس كثيرون بأن الحياة أغلى من ان يجازفوا بها في سبيل الاصلاح، وكان كل شيء يدل على أن عمل ذلك المصلح موشك على الانتهاء.

لكنّ لوثر لم يكن مع ذلك ليخاف. لقد قذفته روما بحروماتها، ولم يكن الناس يشكون في أنه إما أن يهلك وإما ان يرغم على الاستسلام، ولكنه بقوة عظيمة قذف روما نفسها بحكم الادانة وأعلن على الملأ عزمه على تركها الى الابد. وفي حشد من الطلبة والاساتذة والمواطنين من كل الطبقات احرق لوثر براءة البابا والقوانين والاحكام البابوية وبعض المؤلفات التي تناصر سلطان البابا. ثم قال: "لقد استطاع اعدائي باحراقهم كتبي ان يضعفوا تأثير دعوة الحق في عقول عامة الشعب ويهلكوا نفوسهم. فلهذا السبب عاملتهم بمثل معاملتهم وأحرقت كتبهم. لقد بدأ الآن صراع عنيف. كنت قبلا الاعب البابا. لقد بدأت هذا العمل باسم الله، وسيكمل من دوني وبقوته هو" (٧٦).

"كلمة الله معي"

وقد اجاب لوثر على ملامات اعدائه الذين عيروه بضعف دعوته قائلا: "من يدري ما اذا كان الله قد اختارني ودعاني وما اذا كان على اعدائي أن يخافوا لئلا باحتقارهم اياي يحتقرون الله نفسه ؟ لقد كان موسى وحيدا عندما رحل عن مصر، وايليا كان وحيدا في اثناء حكم الملك اخآب، وأشعياء كان وحيدا في اورشليم، وكذلك كان حزقيال وحيدا في بابل ... ان الله لم يختر ابدا رئيس كهنة أو اي شخص عظيم آخر ليكون نبيا ولكنه ع ادة يختار الوضعاء والمحتقرين، فقد اختار عاموس راعي الغنم ليكون نبيا.وفي كل عصر كان القديسون يوبخون الملوك العظام والامراء والكهنة [158] والحكماء مخاطرين في ذلك بحياتهم ... انا لا اقول عن نفسي انني نبي، ولكني اقول انهم يجب أن يخافوا لاني انا واحد وهم كثيرون. وانا متيقن من هذا: ان كلمة الله معي وليست معهم" (٧٧).

لكنّ لوثر لم يقرر أن ينفصل نهائيا عن الكنيسة الا بعدما قام في نفسه صراع رهيب . وفي نحو هذا الوقت كتب يقول: "اني اشعر شعورا متزايدا بمقدار صعوبة طرح الوساوس والشكوك، التي لقنتها منذ الطفولة، بعيد ا مني . ما اكثر ما تألمت لذلك، مع أن الكتاب المقدس هو في جانبي لتبرير وقوفي وحيدا ضد البابا واعتباري اياه المسيح الدجال، وما أعظم المحن التي اجتاز فيها قلبي ! وكم مرة سألت نفسي بمرارة ذلك السؤال الذي طالما نطق به البابويون: "هل قصرت الحكمة على نفسك، وهل الجم يع مخطئون ما عداك؟ وكيف تكون الحال لو أنك بعد كل هذا كنت أنت المخطئ وأنت الذي قد ورطت نفوسا كثيرة في ضلالتك، وبسببك ستهلك تلك النفوس هلاكاً أبدياً؟" هكذا تحاربت مع نفسي ومع الشيطان الى أن حصنني المسيح نفسه بكلمته المنزهة عن الخطأ، حصّن قلبي ضد هذه الشكوك" (٧٨).

النضال العظيم

كان البابا قد هدد لوثر بالحرمان أو العزل اذا لم ينكر تعاليمه ويتبرأ منها، وقد تمم وعيده . فلقد ظهرت براءة بابوية جديدة معلنة انفصال المصلح عن الكنيسة البابوية، مشهِّرة به كمن هو ملعون من السماء، كما شملت هذه الادانة نفسها كل من يقبلون تعاليمه. وهكذا بدأ ذلك النضال العظيم.

ان المقاومة هي من نصيب كل الذين يستخدمهم الله في تقديم الحق الذي يناسب عصرهم . كان هنالك حق يناسب أيام لوثر، وكان ذلك الحق مهماً جدا في تلك الايام . ويوجد حق يناسب الكنيسة اليوم . فذاك الذي يفعل كل شيء حسب رأي مسرته قد س ر بان يضع الناس في ظروف مختلفة ويفرض [159] عليهم واجبات خاصة بالعصور التي يعيشون فيها والاحوال التي يوجدون فيه ا. فلو انهم يقدرون النور المعطى لهم فستنكشف امامهم آفاق اوسع من الحق . ولكن الحق ليس مقبولا ولا مرغوبا فيه لدى السواد الاعظم من الناس في هذه الايام اكثر مما كان مقبولا لدى البابويين الذين قاوموا لوثر . وكما كانت الحال قديما كذلك هي اليوم اذ يميل كثيرون الى قبول نظريات الناس وتقاليدهم بدلا من قبول كلمة الله . والذين يقدمون الحق في أيامنا هذه ينبغي لهم الا ينتظروا من الناس ترحيبا أو قبولا اكثر مما لا قى المصلحون الاقدمون . ان الصراع الهائل بين الحق والضلال وبين المسيح والشيطان لا بد أن يزداد هولا واشتدادا حتى نهاية تاريخ العالم.

لقد قال يسوع لتلاميذه: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لانكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغ ضكم العالم . اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم وان كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم" (يوحنا ١٥ : ١٩ و ٢٠). ومن ناحية اخرى فقد أعلن السيد قائلا بكل وضوح: "ويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس حسنا لأنه هكذا

كان آباؤكم يفعلون بالانبياء الكذبة“ (لوقا ٦ : ٢٦). ما عاد روح العالم منسجما مع روح المسيح اليوم أكثر مما كان في العصور السالفة. واولئك الذين يبشرون بكلمة الله في طهارتها لا يقابلهم الناس بالرضى اكثر مما كانوا في العصور الخالية . قد تختلف ضروب مقاومة الحق، وقد تك ون العداوة مستترة لكونها اشد مكرا وخبثا، لكنّ الخصومة نفسها باقية وستظل قائمة الى انقضاء الدهر. [160]

الفصل الثامن ـــ لوثر امام المجمع

كان قد اعتلى عرشَ المانيا امبراطورٌ جديد يدعى شارل الخامس، فأسرع رسل روما يَزجون اليه التهانئ ويحرضونه على استخدام سلطانه لمحاربة الاصلاح. ومن الناحية الاخرى تقدم اليه منتخِب سكسونيا الذي كان شارل مدينا له بتاجه الى حد كبير، متوسلا اليه الا يتخذ اجراءات ضد لوثر حتى يعطيه فرصة للدفاع عن نفسه. فكان الامبراطور في مركز يبعث على الارتباك والحيرة. ولم يكن البابويون يقنعون بشيء أقل من أن يصدر الامبراطور امرا ملكيا يحكم بمقتضاه على لوثر بالموت. لكنّ المنتخب أعلن انْ "لا جلالة الامبراطور ولا أي شخص آخر أعلن أن كتابات لوثر قد نُقضت أو فندت"، ولذلك طلب "أن يعطي الدكتور لوثر صك أمان حتى يتسنى مثوله أمام محكمة يكون قضاتها رجالا علماء أتقياء منصفين" (٧٩).

اتجه انتباه الاحزاب جميعها الى اجتماع الولايات الالمانية، الذي كان سيعقد في مدينة ورمس حالا بعد اعتلاء شارل عرش الامبراطورية. وكانت هنالك مسائل ومصالح سياسية كان على مجلس الامة ان يتأمل فيها ويتدبرها، ولأول [161] مرة كان امراء المانيا سيقابلون مليكهم الشاب ويجتمعون معا للمداولة. ولقد أتى أحبار الكنيسة ورجال الدولة من كل الاماكن من وطن آبائهم. كان هناك اللوردات المدنيون المتحدِّرون من أصل عريق والمتباهون بحقوقهم الموروثة، ورجال الاكليروس النبلاء المعتزّون بسيادتهم العظيمة في المقام والسلطان، كما كان هناك فرسان البلاط النبلاء وضباطهم المسلحون، وكذلك جاء سفراء الدول الاجنبية البعيدة كل هؤلاء اجتمعوا معا في ورمس. ومع هذا ففي ذلك الاجتماع العظيم كان الموضوع الذي أثار أعظم اهتمام هو دعوة المصلح السكسوني.

كان شارل قد أشار على المنتخب من قبل أن يأتي بلوثر معه الى المجمع مؤكدا له حمايته، وواعدا اياه بحرية المناظرة والجدال مع رجال اكفاء في المشاكل التي هي موضوع النزاع. وكان لوثر مشتاقا للمثول أمام الامبراطور. ومع أنه كان معتل الصحة في ذلك الحين فقد كتب الى المنتخب يقول له: "اذا تعذر عليَّ الذهاب الى ورمس وأنا في كامل صحتي فسأحمل الى هناك وأنا مريض كما أن ا. لأنه ما دام الامبراطور يستدعيني فأنا لا أشك في أنها دعوة من الله نفسه. فاذا كانوا يريدون أن يعاملوني بالعنف والقسوة، وهذا مرجح جدا لانهم لا يأمرونني بالمثول أمامهم لكي القي عليهم تعاليمي، فأنا أضع مسألتي هذه بين يدي الرب. ان ذاك الذي قد حفظ الفتية الثلاثة في أتون النار الملتهبة لا يزال حيا، وهو يملك. فاذا لم ينقذني فان حياتي ليست ذات قيمة كبيرة. لنحرص على الانجيل حتى لا يتعرض لاحتقار الاشرار، ولنسفك دماءنا لأجله خوفا من انتصارهم. وليس لي أن أحكم في ما اذا كانت حياتي او موتي سيساهم بالاكثر في خلاص الجميع ... يمكنك أن تنتظر مني أي شيء ... ما عدا الهروب والانكار. أنا لا يمكنني الهروب، وأكثر من ذلك لا أستطيع التراجع" (٨٠).

وعندما أشيع في مدينة ورمس النبأ الذي يفيد بأن لوثر سيمثل أمام مجلس الامة حدث اهتياج عام. اما الياندر، مبعوث البابا الذي أسندت اليه تلك القضية خصيصا، فقد استولى عليه الفزع والحنق. فقد رأى أن النتيجة ستكون [162] وبيلة على الدعوة البابوية. فكونُه يفحص قضية سبق للبابا ان اصدر حكمه فيها

بالادانة معناه احتقار سلطان البابا وسيادته . وفضلا عن ذلك فقد كان يخشى أن تكون فصاحة هذا الرجل وحججه القوية سببا في تحويل قلوب الامراء وارتدادهم عن الدعوة البابوية . ولهذا فقد احتج بلهجة شديدة أمام شارل على مجيء لوثر الى ورمس . وقرابة هذا الوقت كانت براءة البابا القاضية بحرم لوثر قد نُشرت وأذيعت، فاذ اضيفت اليها اقوال القاصد الرسولي مال الامبراطور الى التنازل، فكتب الى المنتخب يقول انه اذا لم يتراجع لوثر فليبقَ في وتنبرج . لم يقنع الياندر بهذا الانتصار بل بذل قصاراه من دهاء واحتيال ليضمن ادانة لوثر . وباصرار كان خليقا بدعوى افضل، ألح على الامراء والاساقفة واعضاء المجلس الآخرين مثير فتن ومتمرد وملحد " بالالتفات الى هذه القضية . وأتهم المصلح بأنه لكنّ احتدام هذا السفير وغضبه كشفا بكل جلاء عن الروح التي دفعته ." ومجدف الى ذلك . وقد كانت الملاحظة التي تناقلتها ألسنة الجميع هي هذه: "انه مدفوع الى ذلك بالكراهية وحب الانتقام اكثر مما هو مدف وع بالغيرة أو التقوى" (٨١). ولقد كانت غالبية أعضاء المجلس اشد ميلا الى استحسان دعوة لوثر والرضا عنها.

لكنّ الياندر ألح على الامبراطور بغيرة مضاعفة بوجوب تنفيذ مراسيم الباب ا. ولكن بموجب شرائع المانيا لم يكن ذلك ممكنا ما لم يُجمع الامراء على ذلك، واذ انتصرت عليه لجاجة المبعوث اخيرا أمره شارل بأن يعرض قضيته أمام المجلس . "لقد كان ذلك اليوم مدعاة افتخار للقاصد الرسولي . كان ذلك الاجتماع عظيما وحافلا وكانت الدعوة اعظم . وكان على الياندر أن يدافع عن روم ا... أم الكنائس وسيدتهن جميعا". كان عليه ان يؤيد خلافة بطرس أمام رؤساء العالم المسيحي المجتمعين. "وكان رجلا فصيحا وموهوب ا. وأضفت عليه تلك المناسبة عظمة وسموا كبيرين . وقد رتبت العناية أن تظهر روما وتترافع على لسان أقدر خطبائها في حرمِ محكمة من أعظم المحاكم قبلما حُكم بادانته ا" (٨٢). وكان اولئك الذين ناصروا الم صلح يتطلعون قُدماً الى تأثير كلام الياندر بخوف وجزع . ولم يكن منتخب سكسونيا حاضرا ولكن بناء على مشورة بعض أعضاء مجلس [163] الشورى حضر ليكتب بعض المذكرات عن خطاب القاصد الرسولي.

يتهمونه بالهرطقة

ان الياندر بكل ما كان لديه من علم وفصاحة نصب نفسه لهدم الحق . لقد قدم ضد لوثر تهمة في اثر تهمة قائلا عنه أنه عدو الكنيسة والدولة، عدو الاحياء والموتى، عدو الاكليروس والعلمانيين، وعدو المسيحيين مجالس وافراد ا. وقد أعلن قائلا: "ان في اخطاء لوثر وضلالاته ما يكفي لحرق مئة الف هرطوقي". وفي ختام خطابه حاول أن يلقي الاحتقار على مع تنقي العقيدة المصلحة فقال: "ما هؤلاء اللوثريون جميعا؟ انهم جماعة من الكهنة والمعلمين السفهاء والرهبان الفاسقين والمحامين الجهلة والنبلاء المنحطين مع عامة الشعب الذين قد أضلوهم وافسدوهم . ولكن كم يفوقهم ويسمو عليهم الحزب الكاثوليكي في العدد والمقدرة والقوة ! ان قرارا باجماع الآراء يصدره هذا المجلس الشهير كفيل بأن ينير السذج البسطاء ويحذر الغافلين العديمي الفطنة ويثبت المتقلقلين المترددين ويمنح الضعفاء قوة" (٨٣).

بمثل هذه الاسلحة هوجم دعاة الحق في كل عصر . وهذه الحجج نفسها لا تزال تواجه كل من يتجرأ على تقديم تع اليم كلمة الله الواضحة الصريحة لمقاومة الضلالات الراسخة . ان من يرغبون في ديانة رخيصة يصرخون قائلين: "من هؤلاء الذين يكرزون بدين جديد؟ انهم عديمو العلم وقليلو العدد ومن الطبقات الفقيرة . ومع ذلك فانهم يدَّعون أن الحق بجانبهم وانهم شعب الله المختار. انهم جهلة ومخدوعون، وكم تفوقهم كنيستنا في العدد والنفوذ ! وما اكثر العظماء والعلماء بيننا! وما أعظم السلطان الذي يناصرن

ا!" هذه هي الحجج التي لها التأثير الفعال على العالم، ولكنها ما عادت قاطعة الآن اكثر مما كانت في ايام المصلح.

ان الاصلاح لم يندثر بموت لوثر كم ا يظن كثيرون . انه سيظل باقيا الى نهاية تاريخ هذا العالم . لقد كان لدى لوثر عمل عظيم اذ قد عكس على الآخرين النور [164] الذي سمح الله بأن يشرق عليه . ومع ذلك فهو لم يحصل على كل النور الذي كان معدًّا لان يعطى للعالم . فمنذ ذلك الحين الى يومنا هذا وكل يوم يكشف لنا عن نو ر جديد يشرق على الكتاب المقدس، وكانت حقائق كثيرة تنكشف باستمرار.

احدث خطاب مبعوث البابا اثرا عميقا في نفوس اعضاء المجمع . لم يكن لوثر حاضرا بما لديه من حقائق كلمة الله الواضحة المقنعة ليهزم البطل البابوي . ولم يُبذل أي مسعى للدفاع عن المصلح . وكان هنالك اتج اه عام ظاهر لا لادانته هو وتعاليمه فحسب، بل ايضا لاستئصال تلك الهرطقة لو كان ذلك ممكن ا. لقد تمتعت روما بأعظم فرصة مواتية للدفاع عن قضيتها، وقالت كل ما في وسعها ان تقوله لتزكية نفسه ا. لكنّ نصرتها الظاهرة كانت دليل الهزيمة . ومنذ ذلك الحين كان الفارق بين الحق والضلال سيظهر واضحا وجليا عندما يشتبكان في حرب علنية . ومنذ ذلك اليوم لم تعد روما قادرة ان تقف آمنة ثابتة كما كانت قبلا.

ولكن في حين ان معظم اعضاء المجلس ما كانوا ليترددوا في تسليم لوثر لغضب روما وانتقامها فان كثيرين منهم رأوا الفساد المتفشي في ا لكنيسة وحزنوا لذلك ورغبوا في ازالة الفضائح وسوء المعاملة التي كان الشعب الالماني يتحملها نتيجة لفساد حكومة البابا وجشعه ا. لقد عرض السفير حكم البابا في أجمل نور خلاب . أما الآن فها هو الرب يحرك احد اعضاء المجلس ليقدم صورة حقيقية لآثار طغيان البابوية . فبكل نبل وثبات وقف الدوق جورج السكسوني في ذلك الحفل العظيم وطفق يسرد بدقة مرعبة مخاتلات البابوية ورجاساتها ونتائجها الفظيعة. وفي ختام كلامه قال:

"هذا قليل من كثير من الفضائح الصارخة ضد روم ا. لقد طُرح الخجل والاستحياء جانبا، وكل ما تهدف روما اليه انما هو المال، ا لمال، المال ... بحيث ان المبشرين الذين ينبغي الا يعلموا غير الحق لا ينطقون بغير الاكاذيب، ولا يُكتفى بالسكوت عنهم والتساهل معهم بل يكافأون على ذلك لأنه بقدر ما تكثر [165] اكاذيبهم تزداد ارباحهم . ومن هذا النبع القذر الفاسد تفيض هذه المياه الملوثة . أن الدعارة تمد يدها الى الطمع ... واأسفاه! ان الفضائح التي يرتكبها رجال الاكليروس تقذف بنفوس كثيرة مسكينة الى الهلاك الابدي . فلا بد أن يتم اصلاح عام!" (٨٤).

إن لوثر نفسه لم يكن في مقدوره أن يسرد كل تلك الفضائح البابوية، وإن حقيقة كون المتكلم من ألد أعداء المصلح أضفت على أقواله تأثيراً أعظم.

ولو أن أعضاء المجلس فتحوا عيونهم لكانوا قد رأوا ملائكة الله في وسطهم يسلطون اشعة النور على ظلمات الضلال ويفتحون العقول والقلوب لقبول الحق . أن قوة اله الحق والحكمة هي التي سيطرت حتى على خصوم الاصلاح، وهكذا مهدت الطريق للعمل العظيم العتيد . لم يكن مارتن لوثر حاضرا في ذلك المجلس، لكنّ الله الذي هو أعظم من لوثر أسمع اولئك المجتمعين صوته الذي هو صوت الحق.

يدعى للمثول أمام المؤتمر

وفي الحال عين المجلس لجنة لاعداد بيان بحوادث طغيان البابا وظلمه الذي أثقل كاهل الشعب الالماني . فهذه القائمة التي اشتملت على أكثر من مئة وصف قُدمت الى الامبراطور مشفوعة بالتماس

اتخاذ الاجراءات السريعة للقضاء على تلك الفضائح . وقال مقدمو تلك العريضة: "يا لضَيْعة نفوس المسيحيين ويا لهول حوادث النهب والاغتصاب بسبب الفضائح المحيطة بسيد العالم المسي حي! ان الواجب يقتضينا ان نضع حدا للخراب والعار اللذين لحقا ببلادنا وشعبن ا. فلهذا السبب نحن بكل تواضع بل بكل الحاح نتوسل اليك يا صاحب الجلالة أن تأمر باجراء اصلاح عام وتباشر اتمامه" (٨٥).

وهنا طلب المجلس حضور المصلح ليمثل امامهم . وعلى الرغم من توسلات اليا ندر واحتجاجاته وتهديداته قبل الامبراطور ذلك الطلب اخيرا ودُعي لوثر [166] للمثول أمام المجلس . وقد أرسل مع ذلك الامر الرسمي صك أمان مؤكدا له أنه سيعود الى مكان أمين . وقد حمل هاتين الرسالتين رسول انطلق الى وتنبرج لكي يأتي بلوثر الى ورمس.

ارتعب اصدقاء لوثر واغتمو ا. فاذ كانوا يعرفون شدة التعصب والعداء اللذين يضمرهما له خصومه كانوا يخشون أنه حتى صك الامان المرسل اليه قد لا يُحترم، ولذلك توسلوا اليه الا يخاطر بحياته . فأجابهم بقوله: "ان البابويين لا يرغبون في ذهابي الى ورمس بل يرغبون في ادانتي وموتي . ولكن ذلك لا يهم. لا تصلّوا لاجلي بل لأجل كلمة الله ... ان المسيح سيمنحني روحه لأنتصر على خدام الضلال هؤلاء . اني أحتقرهم مدى حياتي وسأنتصر عليهم بموتي . إنهم في "ورمس" يتآمرون لإرغامي على التراجع، وهذا ما سأقوله في تراجعي: "لقد قلت قبلا ان البابا هو نائب المسيح، أما الآن ف أقر أنه عدو ربنا وخصمه ورسول الشيطان""" (٨٦).

غيوم في الافق

ولم يكن لوثر ليسير في رحلته الخطرة وحده، ففضلا عن رسول الامبراطور صمم ثلاثة من أشجع اصدقائه على مرافقته . وكان ميلانكثون يرغب بكل لهفة ان يصحبهم. كان قلبه مرتبطا بقلب لوثر، وكان يتوق الى اتباعه الى السجن أو الموت اذا دعت الضرورة . لكنّ توسلاته رفضت . فلو مات لوثر فان الامل في بقاء الاصلاح وتقدمه سيتركز في ذلك الشاب . قال المصلح وهو يودع ميلانكثون: "اذا لم أرجع وقتلني اعدائي فداوم أنت على التعليم وابقَ ثابتاً في الحق وجاهد بدلاً مني... فان بَقِيت انت حيا فلن يكون لموتي كبير أهمية" (٨٧). تأثر الطلبة والمواطنون الذين اجتمعوا لمشاهدة لوثر وهو يرحل تأثرا عظيم ا. وان جمعا كبيرا ممن كانوا قد تأثروا بتعاليم الانجيل ودّعوه وهم يبكون . وهكذا سافر المصلح ورفاقه من وتنبرج. [167] [168]

وفيما كانوا مسافرين لاحظو ا أن عقول الناس كانت متضايقة من جراء التطيرات الكئيبة . وفي بعض المدن لم يقابَلوا بالاكرام . وعندما مالوا ليبيتوا تلك الليلة عبَّر كاهن صديق عن مخاوفه برفعه أمام عيني لوثر صورة مصلح ايطالي قاسى آلام الاستشهاد . وفي اليوم التالي علموا أن مؤلفات لوثر قد حُرمت وحكم ببطلانها في ورمس . وكان رسل الامبراطور يعلنون حكمه ويذيعونه ويدعون الشعب الي احضار تلك الكتب المصادرة الى الحكام . واذ كان رسول الامبراطور يخشى على سلامة لوثر في المجلس ويظن أن عزمه قد تزعزع سأله عما اذا كان لا يزال راغبا في التقدم في سيره فأجابه قائلا: "ولو وقع عليَّ الحرم في كل مدينة فلا بد من ذهابي" (٨٨).

يعظ في ارفرت

وفي أرفرت قوبل لوثر بكل اكرام . فاذ كان محاطا بجموع المعجبين سار في شوارع تلك المدينة التي كان قبلا يسير فيها حاملا مزود المتسولين . ثم زار غرفته في الدير وجعل يفكر في المصارعات التي عن طريقها أشرق على نفسه النور الذي صار الآن يغمر كل الماني ا. وقد ألحوا عليه أن يقدم عظة، ومع أن ذلك كان محظورا عليه فان الرسول الموفد اليه اذن له بذلك . ولذلك اعتلى المنبر ذاك الذي كان قبلاً راهباً كادحاً في هذا الدير.

وقد خاطب ذلك الجمع الحاشد بكلام المسيح ق ائلا: "سلام لكم". ثم قال: "لقد حاول الفلاسفة والاساتذة والكُتَّاب أن يعلموا الناس الطريق للحصول على الحياة الابدية فلم يفلحو ا. ولكنني سأحدثكم عنه الآن ... لقد أقام الله رجلا من بين الاموات، الرب يسوع المسيح، لكي يبيد الموت ويستأصل الخطيئة ويغلق أبواب الجحيم . هذا هو عمل الخلاص ... لقد غلب المسيح ! هذا هو الخبر السار، ونحن قد خلصنا بعمله لا بأعمالن ا... لقد قال ربنا يسوع المسيح : "سلام لكم، أنظروا يدي"، أي أنظر أيه ا الانسان اني أنا من دون سواي الذي رفعت خطاياك وافتديتك، والآن لك السلام قال الرب". [169]

وتابع حديثه مب ينا أن الايمان الحقيقي يظهر في الحياة المقدسة، قال: "بما ان الله قد خلصنا فلنعمل اعمالنا بحيث تكون مقبولة لديه . أأنت غني؟ أجعل أموالك تخدم حاجات الفقراء . وهل أنت فقير؟ لتكن خدماتك مقبولة لدى الاغنياء. فان كان عملك نافعا لك وحدك فخدمتك التي تتظاهر بتقديمها لله هي كذب" (٨٩).

كان الناس يصغون وقد سحرتهم تلك الاقوال . لقد كسر خبز الحياة لتلك النفوس الجائعة . وقد رُفع المسيح أمامهم أعلى من الباباوات والسفراء والاباطرة والملوك . ولم يُشِر لوثر الى مركزه المحفوف بالمخاطر، ولم يحاول أن يجعل نفسه موضو ع التفكير او العطف . فاذ كان يتأمل في المسيح لم يكن يرى ذاته، بل اختفى خلف رجل جلجثة، محاولا أن يقدم يسوع وحده كفادي الخطاة.

شجاعة المصلح

كلما تقدم المصلح في رحلته كان يقابَل في كل مكان باهتمام عظيم. وكانت الجموع المشتاقة تتجمهر من حوله . وكان اصدقاؤه يحذرونه من نوايا البابويين . قال بعضهم: "انهم سيحرقونك ويصيِّرون جسدك رمادا كما قد فعلوا مع هس". فأجابهم لوثر قائلا: "حتى لو اشعلوا النيران في كل الطريق من ورمس الى وتنبرج بحيث ترتفع ألسنتها الى عنان السماء فسأجتاز فيها باسم الرب وسأمثل أمامهم وسأدخل من " شدقي هذا البهيموت وأحطم أسنانه اذ اعترف بالرب يسوع المسيح" (٩٠).

وقد احدثت انباء قدوم لوثر الى ورمس هرجا ومرجا عظيمين . وكان اصدقاؤه يرتعدون خوفا على سلامته، وكان اعداؤه يخافون على نجاح دعوتهم . وبُذلت مساع حثيثة لاقناعه بالعدول عن دخول المدينة . وبتحريضات البابويين الح الاعداء عليه كي يلتجيء الى قلعة فَارس صديق حيث ستحل كل المشاكل [170] حلا سلميا، كما افادو ا. وحاول اصدقاؤه أن يثيروا مخاوفه اذ جعلوا يصفون له المخاطر التي تتهدده . لكنّ كل مساعيهم كان مصيرها الفشل، فان لوثر الذي ظل ثابتا أعلن قائلا: "ولو كان في ورمس أبالسة بقدر عدد القرميد الذي فوق سطوحها فلا بد لي من دخولها" (٩١).

يصل الى ورمس

ولدى وصوله الى ورمس تجمَّع قوم كثيرون للترحيب به . ان الامبراطور نفسه لم يُستقبل بمثل ذلك الاستقبال العظيم . كان الاهتياج عظيماً، ومن وسط ذلك الجمع ارتفع صوت مجلجل حزين منذرا لوثر بالمصير الذي ينتظره . فلما نزل من عربته قال: "ان الله سيكون حصني".

لم يكن البابويون يصدقون أن لوثر سيجيء الى ورمس مخاطرا بحياته، ولذلك فقد ملأهم مجيئه ذعر ا. وفي الحال استدعى الامبراطور مشيريه ليتداولوا معا في ما يجب عليهم أن يفعلوه، واذا بأسقف عنيف قاس من البابويين يعلن قائلا للامبراطور: "لقد تباحثنا في هذه المسألة طويلا فالافضل أن تتخلص من هذا الرجل في الحال يا صاحب الجلالة . ألم يأمر سجسموند بحرق هس ؟ اننا لسنا ملزمين باعطاء رجلٍ هرطوقي صك أمان أو الاعتراف بذلك الصك". لكنّ الامبراطور قال: "كلا بل علينا ان نحافظ على وعدنا" (٩٢) ولذلك فقد تقرر أن يُعطى المصلح فرصة للكلام.

كانت المدينة كلها مشتاقة لرؤيةِ هذا الرجل العظيم، فامتلأ الجناح الذي كان لوثر يقيم فيه بجم ع كبير من الزوار . ولم يكن لوثر قد أبلَّ تماما من مرضه الاخير، كما كان متعبا من سفره الطويل الذي استغرق اسبوعين كاملين، وكان عليه أن يتأهب لمواجهة الاحداث الجسيمة التي تنتظره في الغد، فكان في حاجة الى السكون والراحة، لكنّ شوق الناس الى رؤيته كان عظيما بحيث لم يكن لديه غير ساعات قليلة من الراحة . واذا بالنبلاء والفرسان والكهنة والمواطنين يتجمهرون حوله بشوق عظيم . كان بين هذا الجمع كثيرون من النبلاء [171] الذين بكل جرأة طلبوا من الامبراطور ان يجري اصلاحا للاضرار التي احدثها رجال الاكليروس، والذين، كما قال لوثر، "قد تح رروا جميعا بواسطة بشارتي" (٩٣). وقد أقبل الاعداء والاصدقاء على السواء لرؤية هذا الراهب الجريء، لكنه استقبلهم جميعا بهدوء وثبات، وكان يحييهم جميعا بوقار وحكمة . وقد دلت هيئته على الثبات والشجاعة . وان وجهه الشاحب النحيل، الذي بانت فيه آثار الاجهاد والمرض، كانت تبدو عليه سيماء الايناس والفرح . والجلال والغيرة العظيمة اللذان امتازت بهما أقواله اكسباه قوة لم يستطع حتى أعداؤه أن يصمدوا أمامها تمام ا. فامتلأ اصدقاؤه واعداؤه دهشة . وقد اقتنع بعضهم بأن قوة الهية تسنده، بينما آخرون قالوا ما ق اله الفريسيون عن المسيح: "به شيطان".

وفي اليوم التالي دُعي لوثر لحضور المجلس . وقد تعين على ضابط من حرس الامبراطور أن يقوده الى قاعة الاجتماع . ومع ذلك لاقى صعوبة كبيرة في الوصول الى المكان . فلقد ازدحم كل شارع وطريق بجماهير المتفرجين المشتاقين لرؤية ذلك الراهب الذي تجرأ على تحدي سلطان روما.

واذ كان موشكا على المثول أمام قضاته تقدم اليه احد قواد الجيش العظام، الذي كان بطلا مغوارا في كثير من المعارك، وقال له بكل رفق: "أيها الراهب المسكين انك على أهبة ان تقف موقفا أشرف وأكرم وأنبل من كل المواقف التي وقفتها أنا وكل القادة في أعنف معاركنا الدموية . فان كانت قضيتك عادلة وكنتَ واثقا من ذلك فسر الى الامام باسم الله ولا تخش شيئا، فالله لن يتركك" (٩٤).

امام مجلس الامة

اخيرا وقف لوثر أمام المجلس . جلس الامبراطور على عرشه، وكانت تحف به اشهر الشخصيات في الامبراطورية . لم يسبق لانسان ان مثل امام مجمع [172] مهيب كالذي وقف مارتن لوثر أمامه ليدافع عن ايمانه وعقيدته. "لقد كان مجرد مثوله في حضرة رجال المجلس انتصارا فريدا على البابوية . فالبابا حكم بادانة ذلك الرجل وها هو الآن واقف أمام محكمة كانت بذات الفعل قد رفعت نفسها فوق الباب ا. كان

البابا قد وضعه تحت الحرم وبتره من كل المجتمع البشري، ومع ذلك فها هو يُستدعى بكل تقدير واحترام ويمثل أمام أعظم محكمة مهيبة في العالم. كان البابا قد حكم عليه بأن يظل صامتا الى الابد وها هو الآن يوشك ان يتكلم أمام آلاف الس امعين المنتبهين الى كل كلمة يقولها والقادمين من اقصى انحاء العالم المسيحي . ها قد حدثت ثورة هائلة بواسطة لوثر . لقد بدأت روما تسقط من فوق عرشه ا. وكان صوت ذلك الراهب كفيلا بأن يوقعها في هذا الاذلال" (٩٥).

بدا التهيب والارتباك على وجه ذلك المصلح الوضيع الاصل عندما مثل أمام هيئة ذلك الحفل القوي الشريف العريق . واذ لاحظ بعض الامراء انفعاله اقتربوا منه وقال له أحدهم في همس: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها". وقال آخر: "وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي ... لانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم انتم المتكلمين بل روح ابيكم الذي يتكلم فيكم". وهكذا اقتبس رجال العالم العظام أقوال المسيح لتشجيع خادمه وتقويته في ساعة التجربة.

أوقف لوثر في مكان مواجه لعرش الامبراطور مباشرة . وقد ران على ذلك المجمع العظيم صمت عميق . حينئذ وقف احد ضباط الامبراطور، واذ أشار الى مجموعة من مؤلفات لوثر طلب منه الاجابة عن سؤالين: هل يعترف بأن تلك الكتب هي كتبه، وهل يقصد أن يتبرأ من الآراء التي كتبها فيها ؟ وبعدما تليت اسماء تلك الكتب اجاب لوثر بأنه في ما يخ تص بالسؤال الاول يعترف بأن الكتب تخصه . ثم قال: "أما السؤال الثاني فبما أنه يتناول الايمان وخلاص النفوس، وكلمة الله التي هي أغلى كنز وأثمن ذخر في السماء وعلى الارض، فلو أنني أجبت عنه من دون تفكير أو تأمل فان تصرفي يكون مجانبا للحكمة وخالياً من الفطنة، ولعلي أؤكد أقّل مما تقتضيه [173] الظروف أو أكثر مما يتطلبه الحق، وفي الحالين ينطبق عليَّ قول المسيح: كل من ينكرني قدام الناس أنكره انا ايضا قدام أبي الذي في السموات، (متى ١٠ : ٣٣). فلهذا السبب التمس منكم يا جلالة الامبراطور، بكل تواضع، السماح لي بمهلة من الوقت حتى استطيع ان اجيب من دون ان انتهك كلمة الله" (٩٦).

أن لوثر اذ تقدم بهذا الطلب تصرف بحكمة . وقد أقنع تصرفه المجمع بأنه لم يكن يتصرف مدفوعاً بانفعال أو نزوة . فالهدوء وضبط النفس، اللذين لم يكن يُنتظر توفرهما في ذاك الذي برهن على ج رأته التي لا تلين، اضافتا الى قوته قوة جديدة اعانته على أن يجيب بعد ذلك بحكمة وتصميم وفطنة ووقار أذهلت خصومه وخيبتهم، وكانت توبيخا لوقاحتهم وكبريائهم.

يجاهد مع الله

وكان عليه أن يمثل أمام المجمع في اليوم التالي ليدلي بجوابه الذي هو فصل الخطاب . وغاص قلبه في داخله بعض الوقت اذ كان يفكر في القوات التي اتحدت معا لمحاربة الحق . فاضطرب ايمانه وترنح، وهجم عليه الخوف والرعب، وغمره الذعر . وقد تجمعت المخاطر وتكاثرت واصطفت أمامه كأنما اعداءه سينتصرون وكأن قوات الظلمة قد غلبت .وقد تجمعت حوله السحب القاتمة وبدت كأنها قد فصلت بينه وبين الله . فكان يتحرق شوقا للحصول على اليقين بأن رب الجنود سيكون معه . ففي عذاب روحه انطرح بوجهه على الارض وسكب هذه الصرخات المتعثرة التي تقطع نياط القلب ولا يستطيع أن يفهمها تمام الفهم غير الله.

توسل قائلا: "ايها الاله ا لسرمدي القدير، ما أرهب هذا العالم ! ها هو يفغر فاه لابتلاعي، وأنا ضعيف الثقة بك ... فاذا كان لي أن أركن الى قوة هذا العالم وحدها فقد انتهى كل شيء ... لقد دنت ساعتي

الاخيرة وقد صدر الحكم بادانتي... يا الله أعنِّي لانتصر على كل حكمة العالم . فافعل هذ ا... انت وحدك ... [174] لأن هذا ليس عملي بل هو عملك . لا عمل لي لأعمله هنا، وليس لديَّ ما أناضل به ضد عظماء هذا العالم ... لكنّ القضية هي قضيتك ... وهي قضية عادلة وأبدية. يا رب أعني ! ايها الاله الأمين غير المتغير، أنا لا أضع ثقتي بانسان ... فكل ما هو من الانسان غير أكيد ولا مضمون ، كل ما هو من الانسان مآله الفشل، وهو يخذل من يتكل عليه ... لقد اخترتني لهذا العمل ... فليتك تقف الى جانبي لأجل ابنك الحبيب يسوع المسيح الذي هو حصني وترسي وبرج قوتي" (٩٧).

لقد سمحت عناية الله الحكيمة للوثر أن يتحقق من الخطر الذي يتهدده حتى لا يثق بقوته ويندفع الى الخطر في طيش، ومع ذلك فان ما كان يحدق به ويتهدده لم يكن خوفه من الآلام الشخصية أو من العذاب او الموت الذي بدا ماثلا أمامه. لقد واجه تلك الازمة وهو يحس بعجزه عن مواجهتها، فقد يخسر قضية الحق بسبب ضعفه . وجاهد مع الله لا لأجل سلامته بل لأجل نصرة الانجيل . وكما كان ضيق يعقوب في صراع تلك الليلة بجوار ذلك المجرى المنعزل، كذلك كان عذاب لوثر وحربه النفسية . وكيعقوب جاهد مع الملاك وغلب . ففي عجزه التام ثبت ايمانه في المسيح المخلص القدير . وقد تقوّى بيقين كونه لن يقف أمام المجلس وحده، فعاد السلام الى نفسه، وفرح لأنه قد سُمح له بأن يرفع كلمة الله أمام رؤساء الأمم.

واذ استند عقل لوثر الى الله تأهب للصراع الذي أمامه . وجعل يفكر في خطة اجابته، واطلع على بعض فصول من كتبه واستخرج من الاسفار المقدسة أدلة مناسبة لتدعيم موقفه . ثم اذ وضع يسراه على الكتاب المقدس ا لذي كان مفتوحاً أمامه رفع يمناه الى السماء ونذر "ان يظل أمينا للانجيل، وبكل صراحة وحرية يعترف بايمانه حتى ولو ختم شهادته بدمه" (٩٨). [175]

امام المجلس ثانية

عندما ادخل مرة أخرى أمام المجمع لم يكن يبدو على وجهه خوف أو ارتباك. ومع أنه كان هادئا ومسالما فقد كان شجاعا ونبيلا جدا، وهكذا وقف كشاهد لله بين عظماء الارض . وطلب منه ضابط الامبراطور الآن أن يدلي بقراره بما اذا كان يتبرأ من تعاليمه أم لا . فقدم لوثر جوابه بصوت مكبوت متواضع من دون عنف أو غضب . وكان يبدو عليه الخجل والاستحياء والوقار، ومع ذلك فقد أبدى ثقة وفرحا أدهشا المحفِل.

قال لوثر: "يا جلالة الامبراطور الموقر ويا أصحاب السمو الأمراء ويا أيها السادة الاجلاء، اني أمثل أمامكم اليوم امتثالا للأمر الذي صدر اليَّ أمس، واني أناشدكم يا صاحب الجلالة ويا أصحاب السمو أن تصغوا بحلمكم الى الدفاع الذي سأقدمه عن قضية أن ا واثق من عدالتها وصدقه ا. فاذا كنت أخالف عادات المحاكم وآدابها جهلا مني فأنا التمس منكم الصفح والتجاوز عن أخطائي لأني لم أنشأ في قصور الملوك بل في حجرة احد الاديرة" (٩٩).

ثم اذ تقدم للاجابة عن السؤال الموجه اليه قرر أن كتبه ليست كلها من نوع واحد . فبعضها تن اول موضوع الايمان والاعمال الصالحة . وقد شهد حتى اعداؤه انفسهم ان هذه الكتب ليست عديمة الضرر بل نافعة . فالتبرؤ منها معناه ادانة حقائق تعترف بها جميع الاحزاب . والصنف الثاني من الكتب تناول مفاسد البابوية وفضائحها. وسحب هذه المؤلفات يزيد من طغيان روما ويفتح ا لباب على مصراعيه لمزيد من المعاصي . أما النوع الثالث من كتبه فقد هاجم فيه بعض الافراد الذين دافعوا عن الشرور المتفشية . واعترف بكل صراحة أنه في هذه الكتب الاخيرة قد اشتد في عنفه وهجومه أكثر مما يليق . وهو ليس

يدَّعي لنفسه العصمة من الأخطاء، ولكن حتى هذه الكتب لا يستطيع أن يسحبها لأن ذلك يزيد من جرأة اعداء الحق ويعطيهم مجالا لأن يسحقوا شعب الله بأعظم قسوة. [176]

ثم استأنف كلامه فقال: "ومع ذلك فأنا لست الا مجرد انسان ولست الها،ولذلك فسأدافع عن نفسي كما قد فعل المسيح : ان كنت قد تكلمت رديا فأشهد على الرديء ... واني أناشدك م برحمة الله يا جلالة الامبراطور وانتم يا أصحاب السمو امراء الدولة وجميع الحاضرين من كل الطبقات والدرجات أن تبرهنوا من كتب الانبياء والرسل على أنني اخطأت او ضللت . وحالما تقنعونني بهذا فسأتبرأ من كل ما قد أخطأت أو ضللت فيه وأكون أول من يمسك بهذه الكتب ويلقي بها في النار.

لا سلام بل سيف

"و ما قد قلته الان أرجو أن أكون قد تحريت الدقة فيه ووزنت وتأملت في كل المخاطر التي اعرِّض لها نفسي . ولكني لست خائفا بل أنا فرح اذ أرى الانجيل كما كان في العصور الماضية مثار الاضطراب والمنازعات . هذه هي صفة كلمة الله ، وهذا هو مصيرها، فلقد قال يسوع المسيح : "ما جئت لألقي سلاما على الارض بل سيفا" ان الله عجيب رهيب في مشوراته، اذاً فاحترسوا لئلا وانتم تزعمون أنكم تقضون على الخصومات والمنازعات تضطهدون كلمة الله المقدسة وتجلبون على أنفسكم طوفانا من المخاطر و الكوارث الحاضرة والخراب الابدي... كان في وسعي أن أورد لكم عدة أمثلة من كتاب الله، فاتحدث عن الفراعنة وملوك بابل وملوك اسرئيل الذين حين حاولوا بمشوراتهم التي كانت تبدو حكيمة توطيد دعائم ملكهم كانت جهودهم من أفعل العوامل التي أدت الى هلاكهم. وأن الله يزعزع ويزلزل الجبال وهم لا يدرون" (١٠٠).

كان لوثر يتكلم بالالمانية، ولذلك طلب منه أن يعيد ما قاله باللاتينية . ومع أنه كان متعبا من جهده السابق الذي بذله فقد امتثل للأمر وألقى خطابه مرة اخرى بالوضوح والنشاط نفسيهما اللذين تكلم بهما اولا . وقد أرشدته عناية الله في هذا الأمر . كانت عقول كثيرون من الامراء قد طمستها ظلمة الضلال والخرافات بحيث أنه عندما تكلم لوثر أول مرة لم يلحظ أحد منهم قوة محاجته، [177] ولكن عندما أعاد تلاوة خطابه باللاتينية استطاعوا أن يدركوا جيدا وبكل وضوح النقط التي أوردها.

فالذين في عنادهم أغمضوا عيونهم حتى لا يروا النور وأصروا على عدم الاقتناع بالحق حنقوا من قوة كلام لوثر . فلما انتهى من خطابه قال له الناطق باسم المجلس: "انك لم تجاوب على السؤال المطروح عليك ... اعطِ الآن جوابا واضحا ومضبوطا. .فهل تتراجع أم لا؟"

أجاب المصلح قائلا: "حيث أنك يا صاحب الجلالة وأنتم يا أصحاب السمو والعظمة تطلبون مني جوابا واضحا بسيطا ومضبوطا فسأقدم جوابي وهاكم هو: أنا لا يمكنني أن اخضع ايماني فأجعله تحت رحمة البابا أو المجامع لأنه واضح وضوح الشمس أنهم في أحيان كثيرة قد أخطأوا وناقض بعضهم بعض ا. ولذلك فاذا لم أقتنع من شهادة كلمة الله أو بالمحاجة الواضحة جدا، وما لم أقتنع بواسطة النصوص التي قد اقتبستها، وما لم تُلزم تلك الأقوال ضميري بواسطة كلمة الله **فأنا لا استطيع أن أتراجع ولا اريد أن أتراجع** . لأنه أمر غير مأمون العاقبة أن يتكلم المسيحي ضد ضميره . هنا أنا أقف ولا يمكنني أن أفعل غي ر هذا، وليساعدني الله! آمين".

وهكذا وقف هذا الرجل البار ثابتا على الأساس الراسخ، أساس كلمة الله . وقد استنار محياه بنور السماء . وظهرت للجميع عظمته وطهارة خلقه وسلامه وفرح قلبه وهو يشهد ضد سلطان الضلال ويُبرز

سمو ذلك الايمان الذي يغلب العالم.

ظل المحفل كله صامتا بعض الوقت من فرط الذهول . عندما قدم جوابه الأول كان يتكلم بكل هدوء وبصوت منخفض بهيئة الاحترام الذي كاد يكون خضوعا. وقد فسر البابويون هذا كدليل على أن شجاعته قد بدأت تخور . واعتبروا طلب التأجيل بمثابة مقدمة لسحب اقراره . واذ لاحظ شارل نفسه، ببعض الاحتقار، جسم ذلك الراهب المضنى وملابسه البسيطة وبساطة حديثه أعلن [178] قائلا: "ان هذا الراهب لن يستطيع أن يجعل مني هرطوقيا". لكنّ الثبات والشجاعة اللذين أبداهما الآن وقوة محاجته ووضوحها ملأت قلوب كل الاحزاب دهشة. وقد أبدى الامبراطور اعجابه فصاح قائلا: "ان هذا الراهب يت كلم بجنان ثابت وشجاعة لا تتزعزع". وكثيرون من أمراء المانيا نظروا بفخر واعجاب الى ممثل أمتهم الجريء هذا.

أما ممثلو روما ومشايعوها فقد انهزموا وبدوا كأنهم قد خسروا قضيتهم اذ ظهرت من منظور غير ملائم . وقد حاولوا الاحتفاظ بسلطانهم لا بالالتجاء الى كتاب الله بل بالالتجاء الى التهديد الذي هو حجة روما التي لا تخذلها. وقال الناطق باسم المجلس مخاطبا لوثر: "ان لم تتراجع فالامبراطور والامراء سيتشاورون في الاجراءات التي سيتخذونها ضد هرطوقي لا يمكن تقويمه أو اصلاحه".

أما أصدقاء لوثر الذين كانوا يصغون بفرح عظيم الى دفاعه النبيل فقد أرعبهم هذا الكلام . لكنّ الدكتور نفسه أجاب بكل هدوء: "ليكن الله معينا لي لأنني لا أستطيع أن أتبرأ من أي شيء" (١٠١).

أزمة خانقة

ثم طُلب منه الانسحاب من المجلس في حين جعل الامراء يتشاورون معا. وقد احسوا بحلول أزمة عظيمة . فان اصرار لوثر على رفض الخضوع قد يؤثر في تاريخ الكنيسة اجيالا طويلة . وقد تقرر اعطاؤه فرصة أخرى للتراجع . فلآخر مرة أتي به أمام المجمع، ومرة اخرى وجه اليه السؤال عما اذا كان يريد أن ينكر تعاليمه ويتبرأ منها. فقال: "ليس عندي جواب آخر اقدمه غير الذي قدمته من قبل". وقد اتضح وتبرهن أنه لا يمكن اقناعه بالخضوع لمطالب روما بالوعود أو بالوعيد. [179]

اغتم الرؤساء البابويون واغتاظوا لان سلطانهم الذي أرعب الملوك والنبلاء صار محتقرا الان في نظر راهب وضيع . وكانوا يتوقون الى ان يجعلوه يحس بشدة وطأة غضبهم بتعذيبه الى أن يموت . ولكن اذ كان لوثر يشعر بالخطر المحدق به كان قد تكلم مخاطبا الجميع مظهرا عظمة المسيحية وهدوءها. كان كلامه خاليا من الكبرياء والغضب والتحريف . لقد نسي نفسه ونسي عظماء الرجال المحيطين به وأحس فقط بأنه في حضرة ذاك الذي هو أسمى، بما لا يقاس، من كل الباباوات والاساقفة والملوك والاباطرة . لقد تكلم المسيح على لسان لوثر مقدما شهادته بقوة وجلال الهما الاصدقاء والأعداء على السواء الرهبة والدهشة الى حين . كان روح الله حاضرا في ذلك المجلس ليؤثر في قلوب رؤساء الامبراطورية. وبكل شجاعة اعترف امراء عديدون بعدالة قضية لوثر . واقتنع كثيرون منهم بالحق، لكنّ بعضهم تأثروا تأثرا وقتيا. وقد وُجد فريق آخر لم يفصحوا عن اقتناعهم حينئذ، ولكنهم بعدما فتشوا الكتب لانفسهم في الايام التالية صاروا معاضدين للاصلاح لا يخشون بأس أحد.

كان المنتخب فريدريك ينظر بجزع وهو متوجس من ظهور لوثر أمام المجلس، وبانفعال شديد أصغى الى خطابه. وبفرح وفخر عظيمين شهد شجاعة الدكتور وثباته ورباطة جأشه فعزم على أن يقف بكل ثبات في الدفاع عنه . جعل يقارن بين طرفي النزاع فرأى أن حكمة الباباوات والملوك والاساقفة قد

أبطلتها قوة الحق .لقد أصابت البابوية هزيمة سيحس بها الناس من كل الأمم وفي كل العصور.

فاذ رأى مبعوث البابا التأثير الذي أحدثه خطاب لوثر بات يخشى حينئذ أكثر من ذي قبل على سلامة سلطان البابا وعزم على استخدام كل الوسائل التي تحت يده لاسقاط المصلح والقضاء عليه . فبكل ما كان يملك من الفصاحة والمهارة الدبلوماسية التي اشتهر بها جعل يصور للامبراطور ا لشاب جهالة تضحية صداقة بابا روما العظيم لأجل قضية راهب مغمور. [180]

لم يكن كلامه بلا تأثير . ففي اليوم التالي بعدما أدلى لوثر بجوابه أمر شارل بتقديم رسالة الى المجلس معلنا فيها عزمه على تنفيذ سياسة سابقيه في حفظ الدين الكاثوليكي وحمايته . وحيث أن لوثر قد رفض التبرؤ من ضلالاته فلا بد من اتخاذ كل الاجراءات العنيفة ضده وضد الضلالات التي علّم بها: "ان راهبا واحدا أضلته جهالته قام يحارب ايمان العالم المسيحي كله . ولأجل ايقاف هذا الالحاد عند حده سأضحي بممالكي وكنوزي واصدقائي وجسدي ودمي وروحي وحياتي . اني سأطرد لو ثر الاوغسطيني وأنهاه عن أحداث أي شغب بين الشعب. وبعد ذلك سأهب لمحاربته هو ومشايعيه بصفتهم هراطقة عصاة بالقطع والحرم وكل وسيلة يمكن أن تخطر على البال لملاشاتهم . وأنا أطلب من أعضاء الولايات أن يتصرفوا كمسيحيين أمناء" (١٠٢). ومع ذلك فقد أعلن الامبراطور أن صك أمان لوثر ينبغي احترامه، وقبل فرض الاجراءات التي ستتخذ ضده ينبغي أن يُسمح له بالعودة الى وطنه بسلام.

عادات وتقاليد

كان هنالك رأيان متناقضان تشبث بهما اعضاء المجلس . فرسل البابا ونوابه عادوا يطالبون بأن يُغفل صك أمان المصلح ولا يُلتفت اليه . ثم قالوا: "ينبغي أن يتلقى نهر الرين رماده كما تلقى رماد جون هس منذ قرن" (١٠٣). لكنّ امراء المانيا مع أنهم هم أنفسهم كانوا بابويين وجاهروا بعدائهم للوثر احتجوا على خيانة الأمانة ونكث العهد واعتبروا ذلك لطخة عار في جبين كرامة الأمة . وقد وجهوا الانظار الى الكوارث التي جاءت بع د مقتل هس وأعلنوا انهم لا يتجرأون على أن يستمطروا على المانيا وعلى رأس امبراطورهم الشاب مثل تلك الفواجع الرهيبة التي حدثت من قبل.

وجوابا على ذلك الاقتراح الدنيء أجاب شارل نفسه قائلا "انه لو نُفي الايمان من العالم كله فينبغي أن يجد ملاذا في قلوب الملوك و الامراء" (١٠٤). ومع ذلك فقد ظل البابويون الذين كانوا ألد اعداء لوثر يلحون على الامبراطور أن [181] يعامل المصلح كما قد عامل سجسموند هس، أي أن يتركه تحت رحمة الكنيسة. ولكن اذ ذكر شارل الخامس منظر هس في الاجتماع العام وهو يشير الى اغلاله مذكراً الامبراطور بالعهد ا لذي كان قد ارتبط به أعلن شارل قائلا: "أنا لا أريد أن يعلو الخجل وجهي كما قد حدث لسجسموند" (١٠٥).

ومع ذلك فان شارل رفض عمدا التعاليم التي قدمها لوثر . فقد كتب ذلك الامبراطور يقول: "لقد عقدت العزم على التمثل بأسلافي" (١٠٦). لقد عزم على الا يخرج على العُرف و لو حتى ليسير في طريق العدل والبر . فلكون آبائه قد أيدوا البابوية فهو ايضا سيؤيدها بكل ما تنطوي عليه من قسوة وفساد . وهكذا تمسك بموقفه ورفض قبول أي نور أكثر مما قد حصل عليه أسلافه أو القيام بأي واجب اكثر مما قد قاموا هم به.

وفي أيامنا هذه يوجد كثيرون ممن يتعلق ون بعادات آبائهم وتقاليدهم . وعندما يرسل الرب اليهم نورا اكثر يرفضون قبوله. فلأن آباءهم لم يُعط لهم النور لذلك هم لا يقبلونه . ان موقفنا ليس كموقف آبائنا،

ويستتبع ذلك أن واجباتنا وتبعاتنا ليست هي واجباتهم وتبعاتهم نفسه ا. ان الله لا ينظر الينا بعين الرضى والاستحسان عندما نجعل مثال آبائنا يقرر واجبنا بدلا من كوننا نتقصى كلمة الحق لأنفسن ا. ومسؤوليتنا هي أعظم مما كانت عليه مسؤولية آبائنا وأسلافن ا. فنحن مسؤولون عن النور المعطى لهم والذي انتقل الينا كإرث، كما أننا مسؤولون ايضا عن النور الاضافي الذي يشرق علينا الان من كلمة الله.

عطف النبلاء

لقد قال المسيح عن اليهود غير المؤمنين: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطيئة . وأما الان فليس لهم عذر في خطيئتهم". (يوحنا ١٥ : ٢٢). السلطان الالهي نفسه تكلم على لسان لوثر على مسامع امبراطور المانيا وأمرائها. واذ أضاء النور من كلمة الله كان روحه يتوسل لآخر مرة الى كثيرين من أعضاء ذلك المجلس . وكما أن بيلاطس قد جعل الكبرياء وحب الشهرة يغلقان [182] قلبه في وجه فادي العالم منذ قرون طويلة مضت، وكما أمر فيلكس الوالي المرتعب رسول الحق قائلا له: اذهب ومتى حصلت على وقت استدعيك . وكما اعترف اغر يباس المتكبر قائلاً: بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً (أعمال ٢٤ : ٢٥ ؛ ٢٦ : ٢٨) ومع ذلك فقد انصرف عن الرسالة المرسلة اليه من السماء كذلك خضع شارل الخامس لما فرضته عليه الكبرياء والسياسة العالمية، فقرر أن يرفض نور الحق.

وقد راجت الاشاعات عن المؤامرات التي تدبر ضد لوثر، ما احدث اهتياجا عظيما في كل المدينة . وكان المصلح قد عقد صداقات مع كثيرين ممن كانوا يعرفون غدر روما وقسوتها ضد كل من يفضح مفاسدها فعوَّلوا على عدم التضحية به . وتعهد مئات من النبلاء أن يكونوا حماته . واشتكى عدد غير قليل منهم علنا رسالة الامبراطور كاستسلام مهين لروم ا. وعلى أبواب البيوت وفي الأماكن العامة نُصبت لوحات بعضها يدين لوثر والبعض الآخر يناصره . وعلى احدى تلك اللوحات كُتب قول الحكيم ذو المغزى العظيم: "ويل لكِ أيتها الارض اذا كان ملككِ ولداً" (جامعة ١٠ : ١٦). وقد اشتدت حماسة الجميع في جانب لوثر في كل انحاء المانيا، وهذا اقنع الامبراطور وهيئة المجلس أن أي ظلم يقع عليه سيعرض سلام الامبراطورية للخطر، ويزعزع العرش.

محاولات للمساومة

أما فريدريك منتخب سكسونيا فقد كانت لديه خطة مدروسة،وهو بكل حرص أخفى مشاعره الحقيقية تجاه المصلح،بينما كان في الوقت نفسه يحرسه بيقظة لا تعرف الكلال،مراقبا تحركاته وتحركات كل خصومه . ولكن كان هنالك كثيرون ممن لم يحاولوا اخفاء عطفهم على لوثر . لقد زاره امراء وكونتات وبارونات وشخصيات كثيرة شهيرة من العلمانيين والاكليروس. وقد كتب سبالاتين يقول: "ان غرفة الدكتور الصغيرة لم تكن تتسع لكل الزوار الذين قدموا انفسهم اليه" (١٠٧). وكان الشعب يشخصون اليه كما لو كان [183] أعظم من انسان . وحتى اولئك الذين لم يكونوا يؤمنون بتعاليمه كانوا معجبين بالاستقامة الرفعية التي ا تصف بها هذا الرجل فجعلته يفضل الموت على مخالفة ضميره.

بذلت جهود جدية للحصول على موافقة لوثر على عقد اتفاق مع روما. وصوَّر له الامراء والنبلاء انه ان أصر على التشبث بحكمه ورأيه ضد حكم الكنيسة والمجامع فسينفى بعيدا من الامبراطورية بعد قليل

ولن يكون هنالك حصن يحميه. فأجابهم لوثر على ذلك بقوله: "ان انجيل المسيح لا يمكن أن يبشر به من دون عثرة ... اذاً فلماذا تفصل المخاوف المتوقعة بيني وبين الرب أو بيني وبين كلمته الالهية التي هي وحدها الحق؟ كلا، فأنا افضل بدلا من ذلك أن أسلم جسدي ودمي وحياتي للخطر والموت" (١٠٨).

ومرة اخرى الحوا عليه في الخضوع لحكم الامبراطور وحينئذ لن يكون هنالك ما يخافه . فأجاب قائلا: "أنا راضٍ من كل قلبي أن يفحص الامبراطور والامراء بل حتى احقر مسيحي كتبي ويحكموا عليها بشرط واحد هو أن يتخذوا كلمة الله نبراسا لهم، اذ ينبغي للناس أن يطيعوه ا. لا تستخدموا العنف ضد ضميري الذي هو مقيد ومرتبط بكلمة الله" (١٠٩).

وقد أجاب على التماس آخر بقوله: "اني راضٍ أن أتخلى عن صك الامان المعطى لي فأنا أضع شخصي وحياتي بين يدي الامبراطور . ولكن لن يحدث أن أتخلى عن كلمة الله ابدا!" (١١٠). وقرر أنه يرغب في النزول على حكم مج مع عام بشرط أن يُطلب من ذلك المجمع أن يحكم بموجب الكتاب المقدس . ثم أضاف قائلا: "في كل ما يختص بكلمة الله والايمان يصلح كل مسيحي أن يكون قاضيا كالبابا سواء بسواء حتى لو كان يسند البابا مليون مجمع" (١١١). أخيرا اقتنع الاصدقاء والاعداء كلهم أنه لا جدوى من محاولة عقد صلح بعد ذلك. [184]

صمود غير متزعزع

لو كان المصلح قد استسلم في بند واحد لكانت النصرة للشيطان وجنوده . لكنّ ثباته الذي لم يتزعزع كان هو وسيلة تحرير الكنيسة وبدء عهد جديد افضل . فهذا الرجل الفرد، الذي تجرأ على أن يفكر ويتصرف لنفسه في الشؤون الدينية، كان مو شكا أن يحدث تأثيرا في الكنيسة والعالم ليس في عهده هو فقط بل في كل العصور اللاحقة . وثباته وولاءه سيقويان الجميع الى انقضاء الدهر عندما يجوزون في مثل ذلك الاختبار . لقد وقفت قوة الله وجلاله فوق مشورات الناس وفوق قوة الشيطان الهائلة.

ثم صدر أمر الامبراطور الى لوثر بالعودة الى وطنه . وقد عرف أن هذا الامر ستتبعه حتما ادانته سريع ا. لقد تجمعت في طريقه السحب المنذرة بالخطر . ولكن فيما كان راحلا عن ورمس امتلأ قلبه فرحا وسلام ا. قال: "ان الشيطان نفسه يحرس قلعة البابا لكنّ المسيح قد أحدث ثغرة فيها وأجبر الشيطان على الاعتراف بأن الرب أقوى منه" (١١٢).

فبعد رحيله اذ كان لوثر لا يزال راغبا في الا يُفهم ثباته، خطأً، على أنه تمرد، كتب الى الامبراطور يقول: "الله العارف القلوب يشهد انني راغب جد الرغبة في اطاعة جلالتكم في كل ما يؤول الى الكرامة أو الهوان، في الحياة أو الموت، ما ع دا كلمة الله التي بها يحيا الانسان . ففي كل شؤون الحياة الحاضرة لن يتأثر ولائي لجلالتكم، لأن الخسارة او المكسب في هذه الحياة لا يؤثران في الخلاص. ولكن في ما يختص بالمصالح الابدية لا يريد الله أن يخضع انسان لانسان آخر، لان مثّل هذا الخضوع في الامور الروحية ه و عبادة حقيقية،وهذه العبادة ينبغي عدم تقديمها لغير الخالق وحده" (١١٣).

وعند رحيل لوثر عن ورمس كان استقبال الناس له في عودته يحمل شيئا من التملق أكثر مما كان عند سفره اليه ا. لقد رحب بعض النبلاء من رجال الاكليروس بذلك الراهب المحروم . وقد أكرم الحكام المدنيو ن الرجل الذي شهَّر به [185] الامبراطور،وألحوا عليه في أن يبشر . وعلى رغم نهي الامبراطور صعد لوثر مرة أخرى الى المنبر وقال: "... إني لم أتعهد أبداً أن أقيد كلمة الله، كلا ولن" (١١٤).

يقبض عليه ويسجن

ولم يكن قد مر عليه وقت طويل منذ ترك ورمس، واذ ا بالبابويين يقنعون الامبراطور باصدار مرسوم ضده . وفي هذا المنشور شُهِّر بلوثر على أنه "الشيطان نفسه في شكل انسان وفي زي راهب" (١١٥) وصدر امر بأنه حالما تنتهي مدة صك الامان الذي في حوزته ينبغي ايقاف عمله . وقد حُرم على الناس أن يؤووه أو يقدموا له طعاما أو شرابا أو معونة من أي نوع لا بالكلام أو العمل، سرا أو جهرا. وكان يتعين القبض عليه أينما وجد ويسلم الى السلطات . وأتباعه ومشايعوه كانوا سيطرحون في غياهب السجون وتصادر املاكهم . وكان يجب احراق كتبه، وأخيرا كل من يخالف هذا المنشور كان ذلك الحكم يشمله . أما منتخب سكسونيا والأمراء اصدقاء لوثر فكانوا قد رحلوا عن ورمس بعد رحيله حالا . وصادق مجلس الامة على مرسوم الامبراطور . وهذا جعل البابويين يفرحون ويتهللون اذ اعتبروا أن مصير الاصلاح قد بات فشله محتوما.

لكنّ الله اعد لخادمه طريقا للنجاة في هذه الساعة، ساعة الخطر . ان عينا ساهرة يقظة كانت تتابع حركات لوثر، وقد عزم رجل ذو قلب مخلص نبيل على انقاذه . كان واضحا أن روما لن تقنع بغير موته . ولذلك فلم يكن متاحا انقاذه من بين مخالب الأسد بغير اخفائه . فألهم الله فريدريك منتخب سكسونيا ابتكار خطة تكفل حفظ المصلح . وقد نفذ ذلك المنتخب ما اعتزمه بمساعدة اصدقائه الامناء . وبذلك أمكن اخفاء لوثر عن الاصدقاء والا عداء. فاذ كان عائدا الى وطنه قُبض عليه وأبعد عن تابعيه [186] وأخذ بسرعة الى داخل الغابة ومنها الى قلعة ورتبرج التي كانت حصنا جبليا منعزلا . وقد كان القبض عليه واخفاؤه محاطين بالغموض الى حد أن فريدريك نفسه ظل بعض الوقت يجهل المكان الذي ق د أخذ اليه . وهذا الجهل لم يكن بغير قصد . فطالما يجهل المنتخب مكان وجود لوثر لا يستطيع قطعا افشاء السر. وقد اكتفى بأن علم أن المصلح في مكان أمين، وانه معافى وحسب.

مر الربيع والصيف والخريف وأقبل الشتاء ولوثر لا يزال أسيرا، وابتهج الياندر وشركاؤه حين ظنوا أن نور الانجيل مقبل على الانطفاء . ولكن بدلا من هذا كان المصلح يملأ مصباحه من مستودع الحق، وكان نوره موشكا أن يضيء بلمعان أعظم.

كان لوثر في حصن أصدقائه في ورتبرج مغتبطا لأنه استراح من شدة المعركة وضوضائه ا. لكنه لم يكن قانعا بالهدوء والراحة . فاذ كان معتادا حياة العمل والنشاط والصراع الصارم لم يكن يحتمل البقاء ساكن ا. ففي أيام الاعتزال تلك ظهرت حالة الكنيسة أمامه على حقيقتها فصرخ في يأس وقال: "واأسفاه! انه لا يوجد ولا واحد في يوم غضب الرب هذا يقف أمامه كسور ليخلص شعبه!" (١١٦). ومرة أخرى جعل يفكر في نفسه، وبات يخشى أن يُتهم بالجبن اذا انسحب من المعركة . ثم جعل يلوم نفسه على تكاسله وانغماسه في الراحة. ومع ذلك ففي كل يوم كان يعمل أكثر مما يبدو أن رجلاً واحداً يستطيع أن يقوم به. فما انفك قلمه يكتب . واذ كان أعداؤه يخدعون انفسهم بقولهم أنه خَرِسَ فقد شملتهم الدهشة و الارتباك اذ ظهر أمامهم برهان ملموس على أنه لا يزال يعمل بنشاط. ذلك أن كَمية كبيرة من الكراريس المكتوبة بقلمه كانت تتداولها الايدي في الماني ا. كما أنه اسدى الى بني امته خدمة جليلة اذ ترجم العهد الجديد الى اللغة الالمانية . ومن قلعته الصخرية الشبيهة بجزيرة بطمس ظل يعلن الانجيل ويوبخ الخطايا والضلالات المتفشية بين الشعب في أيامه مدة تقرب من سنة.

لكنّ السبب الذي لأجله جعل الله خادمه ينسحب ويعتزل الحياة العامة لم يكن حفظ حياته من غضب اعدائه او منحه فرصة هدوء واستجمام استعدادا [187] للقيام بأعماله الهامة وحسب، بل لقد كا نت هنالك نتائج أجلّ قدرا من هذه ستتحقق. ففي عزلة ذلك المعتكف الصخري وغموضه أبعد لوثر من كل معونة

أرضية ولم يعد يسمع مديح الناس، وهكذا نجا من الكبرياء والثقة بالنفس اللتين تنشآن عن النجاح . فعن طريق الاذلال والآلام أعد للسير مرة أخرى وهو آمن فوق المرتفعات الشاهقة التي قد ارتفع اليها فجأة.

ان الناس اذ يفرحون بالحرية التي يمنحهم الحق اياها فانهم يميلون الى تمجيد الذين استخدمهم الله في تحطيم اغلال الضلال والخرافات التي كانوا مكبلين به ا. والشيطان يحاول أن يبعد افكار الناس وعواطفهم عن الله وأن يجعلها تتركز في الو سائل البشرية، وان يقودهم الى اكرام الذين هم مجرد آلات وإلى تجاهل اليد التي توجه كل حوادث العناية . اننا في غالب الاحيان نرى أن القادة الدينيين الذين يحصلون على المديح والاكرام يتغافلون عن اعتمادهم على الله ويتناسونه. وهذا يقودهم الى الاتكال على نفوسهم . وينتج من ذلك انهم يحاولون السيطرة على عقول الناس وضمائرهم، اذ يميل هؤلاء الى أن ينظروا اليهم في طلب الارشاد بدلا من استرشاد كلمة الله . ان عمل الاصلاح كثيرا ما يتعطل بسبب هذه الروح التي يحتضنها وينغمس فيها معاضدو الاصلاح ومروجوه . وقد اراد الله أن يجنِّب عمل الا صلاح هذا الخطر . كان يريد أن يُطبع هذا العمل لا بطابع انسان بل بطابع الله . كانت انظار الناس قد اتجهت الى لوثر كمن هو مفسر الحق، وقد أبعد منهم حتى تتجه أنظار الجميع الى ذاك الذي هو مبدع الحق الازلي وهو الحق نفسه . [188]

الفصل التاسع ــــ المصلح السويسري

عند اختيار الوسائل لاجل اصلاح الكنيسة تشاهد الخطة الالهية نفسها التي استخدمت في غرس الكنيسة . لقد عبَر المعلم الالهي تاركا اشراف الأرض وعظماءها وأثرياءها الذين اعتادوا الحصول على المديح والولاء كقادة للشعب. كانوا من ذوي الاف تخار والثقة المفرطة بمكانتهم المتباهية بحيث لم يستطيعوا التكيف والتعاطف مع بني جنسهم، ولا المساهمة في العمل الخلاصي الذي قام به الناصري الوديع . ووجهت الدعوة إلى صيادي الجلي ل الكادح ين الاميين: ”هلم ورائي فاجعلكما صيادي الناس“ (متى ٤ : ١٩). كان هؤلاء التلاميذ وضعاء وقابلين للتعلّم . وبقدر ما قلَّ تأثرهم بالتعاليم الكاذبة التي كانت متفشية في أيامهم بقدر ما استطاع المسيح أن يعلمهم تعليما ناجحا ويدربهم على خدمته. كذلك كانت الحال في أيام الاصلاح العظيم . فالمصلحون الذين أخذوا مركز القيادة كانوا رجالا يحيون حياة الفقر رجالا كانوا أكثر الناس تحررا من كبرياء الحسب والنسب والمركز ومن التعصب والاحتيال . ان خطة الله هي أن يستخدم الوسائل الوضيعة في تحقيق النتائج العظيمة . وحينئذ لن يعود المجد للناس بل لذاك الذي يعمل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا من أجل مسرته.

بعد ولا دة لوثر بأسابيع قليلة في كوخ أحد عمال المناجم في سكسونيا، ولد اولريك زوينجلي بين جبال الألب في كوخ راعي للمواشي، أما البيئة التي [189] عاش فيها زوينجلي في طفولته والتعليم الذي تلقاه في صباه فكان من شأنهما اعداده لخدمته العتيدة . فإذ نشأ بين مناظر الجلال الطبيعي والجمال والروعة العظيمة تأثر عقله منذ بكور حياته بالشعور بعظمة الخالق وقدرته وجلاله . هذا، وان تاريخ اعمال البطولة التي تتالت على الجبال في وطنه اضرم في نفسه آمال الشباب. واذ كان يجلس الى جوار جدته التقية كان يصغي الى القصص الكتابية القليلة التي كانت قد انت قتها من بين اساطير الكنيسة وتقاليده ا. وباهتمام وشوق كان يصغي الى قصص الاعمال الجليلة التي قام بها الآباء والانبياء والرعاة الذين كانوا يحرسون قطعانهم على تلال فلسطين حيث تحدث الملائكة معهم، وعن طفل بيت لحم ورجل جلجثة.

وكما كان جون لوثر يرغب في تعليم ابنه ك ذلك كان ابو اولريك . فارسل ذلك الصبي من وطنه مبكرا، ونما عقله بسرعة حتى لقد ظهرت مشكلة العثور على المعلمين الاكفاء ليعلموه . وفي الثالثة عشرة من العمر ذهب إلى برن التي كانت تضم حينئذ اشهر مدرسة في سويسر ا. ومع ذلك فقد ظهر خطر كان يهدد بالقضاء على مستقبله . فقد بذل الرهبان جهودا جبارة لاغوائه على دخول الدير . لقد كان الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يتنافسون للظفر برضا الشعب واستحسانه بالزينات الفخمة التي كانوا يجمّلون بها كنائسهم، والمظاهر الخلابة التي كانوا يحيطون بها طقوسهم، وجواذب الذخائر الشهيرة والايقونات العجائبية.

رأى رهبان الدومينيكان في برن انهم لو استطاعوا ان يكسبوا هذا الطالب الشاب الموهوب لحصلوا على الربح والكرامة . ان شبابه الرائع كفيل باجتذاب الشعب الى خدماتهم وازدياد ايراد رهبانيتهم أكثر مما تجتذبه الابهة والتباهي . وحاولوا بكل ما وسعتهم الحيلة من ا لخداع والمداهنة ان يغروا زوينجلي بدخول ديرهم. ان لوثر عندما كان طالبا في المدرسة دفن نفسه في حجرة بأحد الاديرة، وكان ممكنا ألا

يعرف العالم عنه شيئا لو لم تحرره عناية الله . أما زوينجلي فلم يكن له أن يواجه هذا الخطر . فقد دبرت العناية ان يعلم ابوه بمكائد اولئك [190] الرهبان. ولم يكن يريد أن يعيش ابنه حياة عاطلة عديمة النفع كالرهبان . ورأى أن نفع ابنه مستقبلا مستهدف للخطر، فأمره بالعودة إلى وطنه بلا إبطاء.

زوينجلي يكتشف الحق

امتثل الابن لامر ابيه . لكنّ ذلك الشاب لم يكن ليقنع بالبقاء في وطنه . فجعل يواصل دراسته، وبعد ذلك ذهب الى بازل . وفي هذه المدينة سمع زوينجلي انجيل نعمة الله المجانية لاول مرة . ذلك أن ويتمباك، استاذ اللغات القديمة، قادته دراسته اللغتين اليونانية والعبرية الى الكتاب المقدس، وهكذا اشرقت اشعة النور الالهي على عقول الطلبة الذين كان يعلمهم . وقد أعلن أنه يوجد حق أقدم وأثمن بما لا يقاس من النظريات التي يعلمها الاساتذة والفلاسفة. وهذا الحق القديم هو أن موت المسيح هو الفدية الوحيدة المقدمة عن الانسان الخاطئ . وكان هذا التصريح بالنسبة الى زوينجلي اول شعاع يبشر بقدوم الفجر.

وسرعان ما دُعي زوينجلي الى ترك ب ازل ليبدأ عمل حياته . وكان الحقل الاول لخدمته ابرشية في جبال الألب غير بعيدة من مسقط رأسه. وعندما سيم كاهنا "كرس نفسه بجملتها للبحث عن الحق الالهي اذ كان يعلم جيدا"، كما يقول عنه مصلح آخر من شركائه، "كثرة ما يجب أن يتعلمه ذاك الذي يستودعه المسيح قطيعه" (١١٧). وبقدر ما كان يفتش الكتب بقدر ما بدا له الفرق واضحا بين حقائقها وهرطقات روم ا. فخضع للكتاب المقدس بصفته كلمة الله التي هي القانون الوحيد المعصوم الكافي . وقد رأى أن الكتاب ينبغي أن يفسر نفسه. ولم يجرؤ على أن يشرح الكتاب بحيث يدعم نظرية أو عقيدة سبق له تصورها، بل اعتبر أن واجبه يقتضيه أن يتقصى ما هو تعليم الكتاب المباشر الصريح . وقد حاول الانتفاع بكل معونة لادراك معنى كلمة [191] الله ادراكا صحيح ا وكاملا، وكان يتوسل إلى الله في طلب معونة روحه القدوس الذي يعلنه لكل من يطلبونه باخلاص في الصلاة.

وقال زوينجلي: "ان الكتب المقدسة آتية من الله لا من انسان. والله الذي ينير العقول والقلوب سيعطيك أن تفهم أن الكلام آتٍ من الله. ان كل مة الله ... لا يمكن ان تخيب، فهي لامعة ومنيرة، وهي تعلّم نفسها وتكشف عن ذاتها وتنير النفس بكل الخلاص والنعمة، وتعزيها بالله، وتجعلها تتضع بحيث تفقد نفسها أو حتى تخسرها لتعانق الله" (١١٨). وقد برهن زوينجلي نفسه على صدق هذا الكلام . واذ كان يتكلم عن اختباره في هذا الوقت كتب بعد ذلك يقول: "عندما... بدأت أخضع نفسي بالتمام للكتاب المقدس كانت الفسلفة واللاهوت التعليمي يقترحان عليَّ دائماً المجادلات، أخيراً وصلت الى هذا اذ فكرت قائلا : "يبتغي لك أن تترك كل ذلك الكذب وتتعلم المعنى الذي يقصده الله من كلمته البسيطة". وحينئذ بدأت أسأل الله أن يمنحني النور فبدا من السهل عليَّ فهم كلامه" (١١٩).

يكرز بتعليم المسيح

ان التعليم الذي كرز به زوينجلي لم يتسلمه من لوثر، لكنه كان تعليم المسيح. لقد قال ذلك المصلح السويسري: "إنْ كان لو ثر يكرز بالمسيح فهو انما يفعل ما افعله ان ا. إنَّ مَن قد أتى بهم الى المسيح هم أكثر ممن قد ارشدتهم انا اليه . ولكن هذا لا يهم . فانا لن احمل اسم شخص آخر غير اسم المسيح الذي انا

جنديه والذي هو وحده قائدي . اني لم ارسل الى لوثر بكلمةٍ واحدة ولا هو ارسل الي . ولماذا؟... حتى يتبرهن الى اي حد يتوافق روح الله مع نفسه اذ اننا كلينا نعلِّم تعليم المسيح من دون تواطؤ على نحو واحد متماثل" (١٢٠). [192]

وفي عام ١٥١٦ دعي زوينجلي ليصير واعظا في دير اينسيدلن . هنا قُيِّض له ان يرى فساد روما عن قرب، وكان عليه ان يبذل كمصلح نفوذا يحس به الناس بعيدا من وطنه في الألب . وكان بين الجواذب التي في اينسيدلن تمثال للعذراء قيل ان له قدرة على عمل المعجزات . وفوق مدخل الدير نقشت هذه العبارة: "هنا يمكن الحصول على غفران كامل للخطايا" (١٢١). وكان الحجاج يقصدون مزار العذراء هذا في كل الفصول. ولكن في عيد تكريسه السنوي العظيم كان يتقاطر الى هناك جماهير غفيرة من كل أنحاء سويسرا بل ومن فرنسا والمانيا. وأثار ذلك زوينجلي فانتهز الفرصة ليعلن الحرية بواسطة الإنجيل لعبيد الخرافات هؤلاء.

فقال للناس: "لا تتصوروا ان الله هو في هذا الهيكل اكثر مما هو في اي مكان آخر في الخليقة، فالله محيط بكم انّى توجدون وهو يسمعكم ... هل يسع الاعمال غير النافعة أو الحج الطويل أو النذور أو الصور والتماثيل أو التوسل إلى العذراء أو القديسين أن تضمن لكم الحصول على نعمة الله؟ ... ما جدوى الكلام الكثير الذي تتكون منه دعواتنا ؟ وايُّ فاعلية في القلنسوة المصقولة أو الرأس الحليق أو الحلل الطويلة الهفهافة أو المطرزة؟ ... ان الله ينظر الى القلب، لكنّ قلوبنا منصرفة عنه" ثم قال: "ان المسيح الذي اسلم مرة على الصليب هو القربان او الذبيحة التي قدمت تكفيرا عن المؤمنين الى الابد" (١٢٢).

لكنّ كثيرين من السامعين لم يرضوا بهذا الكلام أو يقبلوه، بل احسوا بالخيبة المرة عندما قيل لهم ان سفرهم الشاق كان عبثا. ولم يكونوا يفهمون شيئا عن الغفران المجاني المعطى لهم بواسطة المسيح . كانوا قانعين بالطريق القديم الذي كانوا يعتقدون انه يوصلهم الى السماء كما قد رسمته لهم روما. وقد امتنعوا عن ايقاع انفسهم في الارتباك الناشئ عن محاولة البحث عن شيءْ افضل. كان اسهل عليهم ان يستندوا في امر خلاصهم الى الكهنة والبابا من ان يسعوا نحو طهارة القلب. [193]

لكنّ فريقا آخر قبلوا اخبار الفداء بالمسيح بفرح . فالممارسات والطقوس التي فرضتها روما لم تستطع ان تمنحهم سلام النفس، فقبلوا بالايمان دم المخلص كفارة عنهم . وعاد هؤلاء الحجاج الى وطنهم ليعلنوا للآخرين النور الثمين الذي حصلوا عليه . وهكذا انتقل الحق من قرية الى اخرى ومن مدينة الى اخرى، فنقص عدد من كانوا يحجون الى هيكل العذراء نقصا كبيرا، ونقصت تبعا لذلك قيمة النذور، كما نقص كذلك المرتب الذي كان زوينجلي يتقاضاه منهم. لكنّ هذا سبب له فرحا عندما رأى ان قوة التعصب والخرافات هي في طريقها الى الاضمحلال.

لم تكن سلطات الكنيسة غافلة عن العمل الذي كان زوينجلي يعمله، ولكنهم رفضوا التدخل في ذلك الحين . فلانهم كانوا يرغبون في ان يكسبوه الى جانبهم حاولوا استمالته اليهم بالتملقات، وفي اثناء ذلك كان الحق يسيطر على قلوب الشعب.

يعظ في كاتدرائية زيوريخ

هذا وان خدمات زوينجلي في اينسيدلن اعدته لان يعمل في حقل أوسع . وكان مقدَّرا له ان يدخل هذا الحقل سريعا. فبعدما خدم مدة ثلاث سنين دعي الى وظيفة واعظ في كاتدرائية زيوريخ . وكانت هذه المدينة حينذاك أهم مدن الاتحاد السويسري . فالتأثير الذي يحدث فيها سيمتد الى بعيد . ومع ذلك فان رجال

الاكليروس الذين دعوه كانوا يرغبون في منع كل البدع، وتبعا لذ لك أملوا عليه تعليماتهم والواجبات المفروضة عليه.

قالوا له: "عليك ان تبذل كل جهد في جمع الايرادات للكنيسة ولا تغفل أقل شيء . وينبغي لك أن توصي الجميع من على المنبر وفي كرسي الاعتراف بأن يدفعوا كل العشور والالتزامات الواجبة الاداء حتى يبرهنوا بتقدماتهم على مقدار حبهم للكنيسة . وعليك ان تزيد الدخل الذي يجمع من المرضى والقداسات [194] وكل الفرائض الكهنوتية". ثم عاد معلموه يقولون له: "أما في ما يختص بتقديم الاسرار المقدسة والوعظ والواجبات الرعوية فتستطيع أن تعيِّن كاهنا آخر غيرك ليقوم بها، وخصوصا الوعظ . وعليك الا تقدم الاسرار المقدسة الا للناس المشهورين ذوي الوجاهة، وبناء على طلبهم فقط، لا لجميع الناس من دون تمييز" (١٢٣).

المسيح محور عظاته

كان زوينجلي يصغي الى كل هذه التوصيات وهو صامت . ثم بعدما عبَّر لهم عن شكره لاجل شرف دعوتهم اياه لهذه الوظي فة المهمة عمد الى توضيح الطريق الذي قصد ان يسير فيه، فقال: "لقد ظلت حياة المسيح محجوبة عن الشعب امداً طويلاً، لذلك فأنا سأعظ مما ورد في انجيل متى كله ... مستقيا التعاليم من ينابيع الكلمة الالهية فأسبر اغوارها مقارنا بين ف صل وآخر وباحثا عن المعرفة والفهم بالصلاة المستمرة الحارة . اني سأكرس كل خدمتي لتمجيد الله وتعظيم ابنه الوحيد وخلاص النفوس وبنيانها في الايمان الحقيقي" (١٢٤). ومع أن بعض رجال الاكليروس لم يصادقوا على خطته وحاولوا ان يثنوه عنها فقد ظل زوينجلي ثابتا. واعلن انه لن يعتمد طريقة جديدة بل سيتبع الطريقة القديمة التي كانت تمارسها الكنيسة في العصور الاولى الاكثر نقاوة وطهارة.

واستيقظ اهتمام الناس بالحقائق التي علَّم بها، وتقاطروا افواجا لكي يستمعوا اليه . وكثيرون ممن كانوا قد انقطعوا عن حضور الخدمة عادوا ليسمعوه. وقد بدأ خدمته بفتح الاناجيل وقراءتها وشرحها لسامعيه، مفسرا للشعب كلمة الوحي الالهي عن حياة المسيح وتعاليمه وموته . وفي زيوريخ كما في اينسيدلن أعلن للشعب كلمة الله كالمرجع الوحيد المعصوم، وموت المسيح كالذبيحة الوحيدة الكاملة . قال: "اني اريد ان ارشدكم الى المسيح، المسيح الحقيقي نبع الخلاص الحقيقي" (١٢٥). وقد تجمهر الشعب من كل الطبقات حول [195] ذلك الواعظ، من رجال السياسة والعلم، والصناع والتلاميذ والفلاحين . وكانوا يصغون الى كلامه باهتمام عظيم . ولم يكتف باعلان هبة الخلاص المجاني بل بكل شجاعة وبخ الشرور والمفاسد التي كانت متفشية في ذلك العصر . وقد عاد كثيرون من الكاتدرائية مسبحين الله قائلين: "ان هذا الرجل يعظ بكلمة الحق. انه سيكون كموسى فيخرجنا من ظلمة مصر الداجية هذه" (١٢٦).

ولكن مع ان الناس قبلوا كلامه في بادئ الامر قبولا حسنا وبحماسة شديدة ف قد بدأت المقاومات بعد ذلك، إذ انبرى الرهبان لتعطيل عمله وشجب تعاليمه. وهاجمه كثيرون بالسخرية والتهكم، وآخرون لجأوا الى الوقاحة والتهديد. لكنّ زوينجلي تحمل كل ذلك بصبر اذ قال: "اذا اردنا ان نربح الاشرار الى يسوع المسيح فعلينا ان نغمض عيوننا ونغضي عن أشياء كثيرة" (١٢٧).

في هذه الاثناء دخل عامل جديد لانجاح عمل الاصلاح . ذلك ان رجلا يدعي لوسيان ارسل الى زيوريخ حاملا بعض مؤلفات لوثر من قبل احد اصدقاء الايمان المصلح من مدينة بازل، اذ كان يرى ان بيع هذه الكتب سيكون وسيلة قوية لنشر النور . هذا الرجل كتب الى زوينجلي يقول: "عليك ان تتحقق مما

إذا كان حامل هذه الكتب ذا فطنة كافية ومهارة . فان كان كذلك دعه يحمل هذه الكتب من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية ومن بيت الي بيت اذا لزم، واضعا مؤلفات لوثر هذه بين يدي شعب سويسرا، وعلى الخصوص شرحه للصلاة الربانية المكتوبة للشعب . فبقدر ما تفهم هذه الكتب يزداد اقبال الناس على شرائها" (١٢٨). وهكذا دخل النور الى تلك البلاد.

ولكن فيما يبدأ الله بتحطيم قيود الجهالة والخرافات يعمل الشيطان جاهدا باعظم قوة ليلف الناس في أكفان الظلام وليزيد من مت انة تلك القيود . فاذ نهض رجال في كثير من الاقطار ليقدموا الى الشعب الغفران والنور بدم المسيح بدأت روما بنشاط جديد في فتح أسواقها في كل العالم المسيحي بائعة الغفران بالمال. [196]

كان لكل خطيئة ثمنها؛ وقد سُمح للناس بإرتكاب الجرائم اذا كان هذا الترخيص المجاني يملأ خزانة الكنيسة بالمال . وهكذا تقدمت تانك الحركتان: احداهما تقدم غفرانا للخطايا في مقابل دفع المال، والاخرى تقدمه بالمسيح . فروما تبيح إرتكاب الخطيئة وتجعل ذلك مصدر إيراداتها، بينما المصلحون يدينون الخطيئة ويوجهون أنظار الناس وقلوبهم الى المسيح كالكفارة وصانع الخلاص.

بيع الغفرانات في سويسرا

وقد اسند بيع الغفرانات في المانيا الى الرهبان الدومنيكان برئاسة تتزل الممقوت القبيح السيرة . اما في سويسرا فقد كلف به الرهبان الفرنسيسكان تحت رئاسة راهب إيطالي يدعى شمشون فاسدى خدمة عظيمة الى الكنيسة بجمعه اموال طائلة من المانيا وسويسرا ليملأ بها خزانة الباب ا. اما الان فقد بدأ يجوب انحاء سويسرا فاجتمعت حوله جموع كثيرة . وكان يسلب ارباح الفلاحين القليلة ويفرض على الاثرياء اموالا طائلة . لكنّ آثار الاصلاح ظهرت في كساد تلك التجارة الآثمة من دون ان توقفها تمام ا. كان زوينجلي لا يزال في انيسيدلن عندما عرض شمشون بعد دخوله سويسرا بضاعته في مدينة قريبة . فلما عرف المصلح غرضه من المجيء هبَّ لمقاومته . لم يتقابل الخصمان، ولكنّ نجاح زوينجلي في فضح ادعاءات ذلك الراهب كان عظيما حتى لقد اضطر الراهب الى الانسحاب الى جهات اخرى.

وفي زيوريخ وعظ ز وينجلي ضد المتاجرة بالغفرانات. وعندما اقترب شمشون من هذه المدينة ارسل اليه المجلس رسولاً يحذره من دخولها واذ استطاع الدخول بالحيلة أبعد من دون ان يبيع صكا واحدا من صكوك الغفران، وبعد قليل رحل عن سويسرا.

وقد اكتسب الاصلاح قوة دافعة محركة عظيمة بظهور الطاعو ن أو "الموت الوبيل" الذي اجتاح سويسرا في عام ١٥١٩ . فاذ وقف الناس امام ذلك [197] المهلك وجها لوجه بدأوا يحسون بأن الغفرانات التي كانوا قد ابتاعوها منذ عهد قريب هي باطلة ولا قيمة له ا. فكانوا يتوقون الى أساس أشد رسوخا لايمانهم . واذ كان زوينجلي في زيوريخ اصابه الوباء وكانت وطأة المرض شديدة عليه جدا بحيث انتزع كل أمل في شفائه وانتشرت اشاعة تقول انه قد مات . لكن رجاءه وشجاعته لم يتزعزعا في ساعة التجربة . فلقد نظر بايمان الى صليب جلجثة مستندا الى الكفارة الكافية ا لكاملة عن الخطية . فلما عاد من ابواب الموت بدأ يكرز بالانجيل بغيرة اعظم مما فعل قبلا . وكان لكلامه قوة غير معتادة . فرحب الشعب براعيهم المحبوب بفرح عظيم اذ عاد اليهم بعدما وصل الى حافة القبر . وكانوا هم قد عادوا من زيارة المرضى والمحتضرين وهم يحسون بقيمة الانجيل العظيمة اكثر من قبل.

وصل زوينجلي الى فهم أوضح لتعاليم الكتاب وحقائقه، واختبر قوته المجدِّدة بيقين اعظم وأكمل .

وكان موضوع كلامه ووعظه سقوط الانسان وتدبير الفداء. فقال: "لقد متنا كلنا في آدم وانحدرنا الى اعماق الفساد والدينونة" (١٢٩). "وقد اشترى لنا المسيح فداء ابديا ... وآلامه هي ... ذبيحة أبدية دائمة وفعالة اذ انها تكفل لنا الخلاص والشفاء . وهي كافية لارضاء العدل الالهي الى الابد لمصلحة من يعتمدون عليها بايمان ثابت راسخ". ومع ذلك فقد علّم الناس بوضوح انهم ليسوا احرارا ليبقوا في الخطية استنادا الى نعمة المسيح فقال: "اينما يوجد ايمان بالله فهناك يوجد الله . واينما يسكن الله فهناك توجد غيرة تلح على الناس وتحثهم على الاعمال الصالحة" (١٣٠).

الكاتدرائية تغص بالجماهير

كان اهتمام الشعب بسماع زوينجلي عظيما بحيث ضاقت الكاتدرائية على سعتها بجماهير الناس الذين أتوا ليسمعوه . وقد كشف لسامعيه عن الحق قليلا قليلا على قدر ما كانوا يحتملون . اذ حرص على ألا يقدم اليهم منذ البدء الامور المفزعة لهم و التي تخلق التعصب . فقد كان عمله ان يربح [198] قلوبهم لتعاليم المسيح حتى تلين بمحبته، واضعا أمامهم مثال السيد؛ واذ يقبلون مبادئ الانجيل تزول وتتلاشى كل معتقداتهم واعمالهم الخرافية.

تقدم الاصلاح في زيوريخ خطوة فخطوة، ولذلك فزع الاعداء ونهضوا يقاومونه. قبل ذلك بعام واحد رفض راهب وتنبرج أوامر البابا والامبراطور في مدينة ورمس، والآن ها كل شيء في زيوريخ يدل على ثبات مماثل ضد مطالب البابا. وقد هوجم زوينجلي مرارا. وفي المقاطعات البابوية كان يؤتى من حين الى آخر بتلاميذ الانجيل الى آلات الاعدام، لكنّ هذا لم يكن كافيا بل كان ينبغي اسكات صوت معلم الهرطقة . ولذلك ارسل اسقف كونستانس ثلاثة نواب الى مجلس زيوريخ، وهؤلاء اشتكوا على زوينجلي بانه يشجع على تعدي اوامر الكنيسة، وهذا يعرض سلام المجمع ونظامه للخطر. وقال الاسقف في بيانه: لو ألغي سلطان الكنيسة فلا بد ان تعم الفوضى. وقد أجاب زوينجلي قائلا انه منذ أربع سنين يعلم بالانجيل في زيوريخ، هذه المدينة "التي هي في أكمل هدوء وسلام بين كل مدن الاتحاد". ثم قال: "أفليست المسيحية اذاً هي أعظم حارس للامن العام؟" (١٣١).

أوصى المبعوثون أعضاء المجلس بان يظلوا في داخل الكنيسة التي لا خلاص لمن هو خارج عنها كما زعموا. فأجاب زوينجلي المجلس قائلا: "لا تجعلوا هذه التهمة تثيركم . ان أساس الكنيسة هو الصخرة نفسها والمسيح نفسه الذي أعطى سمعان اسم بطرس لانه قد اعترف به بكل أمانة . ففي كل أمة كل من يؤمن من كل قلبه بالرب يسوع مقبول لدى الله . هنا حقا توجد الكنيسة، وخارجا عنها لا خلاص لاي انسان" (١٣٢). وكان من نتائج ذلك المؤتمر ان أحد مبعوثي الاسقف قبل الايمان المصلح.

رفض المجلس اتخاذ أي اجراء ضد زوينجلي، فتأهبت روما للقيام بهجوم جديد. فاذ أبلغ المصلح بالمؤامرات التي يدبرها له اعداؤه صاح قائلا: "ليأتوا، [199] فأنا لا أخافهم أكثر مما تخاف الصخرة القوية أمواج البحر التي تهدر تحتها" (١٣٣). وقد نتج من مساعي الاكليروس تقدم الدعوة التي حاولوا القضاء عليها، وظل الحق ينتشر . وفي المانيا تشجع من جديد معتنقو مبادئ الاصلاح، الذين كانت عزائمهم خائرة بسبب اختفاء لوثر، عندما رأوا تقدم الانجيل في سويسرا.

وعندما توطد الاصلاح في زيوريخ ظهرت ثماره في وفرتها وكمالها في قمع الرذيلة وازدهار النظام والانسجام . وقد كتب زوينجلي يقول: "لقد سكن السلام والانسجام مدينتنا. فلا توجد بيننا مشاجرات ولا رياء ولا حسد ولا منازعات . فمن أين يمكن أن يجيء مثل هذا الاتحاد والوفاق ان لم يكن من الرب ومن

تعاليمه التي تملأنا من ثمار السلام والتقوى" (١٣٤).

أثارت انتصارات الاصلاح حفيظة البابويين فبذلوا أقصى جهودهم الجبارة للقضاء عليه . فاذ رأوا أنهم لم يحققوا نصرا كبيرا بمحاولتهم قمع عمل لوثر في المانيا بواسطة الاضطهاد، عقدوا العزم على محاربة الاصلاح باسلحته . فأرادوا مناظرة مع زوينجلي، وبعدما رتبوا كل شيء أرادوا أن يستوثقوا من الانت صار بان يختاروا هم ليس فقط مكان المناظرة بل ايضا القضاء الذين سيحكمون فيها بين المتبارين. فلو استطاعوا أن يوقعوا زوينجلي في قبضة أيديهم فسيحرصون على ألا يفلت منهم . ومتى أبكم الزعيم فستسحق الحركة سريع ا. وقد حرصوا على اخفاء هذا السر وهذه النوايا.

اتفقوا عل ى اقامة المباراة في بادن، لكنّ زوينجلي لم يكن حاضر ا. ذلك ان اعضاء مجلس زيوريخ كانوا يشكون في نوايا البابويين، وكانت المحرقات في المقاطعات البابوية معدة للمعترفين بالانجيل انذارا لهم، فنهوا راعيهم عن تعريض نفسه لهذا الخطر . وكان زوينجلي مستعدا لمقابلة كل من قد ترسلهم روما الى زيوريخ. أما ذهابه الى بادن التي قد سفك فيها دم شهداء الحق منذ عهد قريب فكان ذهابا لملاقاة الموت المحقق . وقد اختير كل من أيكولامباديوس وهالرِّ [200] لتمثيل المصلحين، أما الدكتور إك المشهور يسانده جماعة الدكاترة العلماء فكان بطل روما.

ومع أن زو ينجلي لم يكن حاضرا ذلك المؤتمر فقد كان المؤتمرون يحسون بحضوره. وقدا ختار البابويون جميع امناء السر، وحرم على الآخرين اخذ مذكرات تحت طائلة الموت . ولكن على رغم كل هذا فقد كان يصل الى زوينجلي بيان دقيق في كل يوم عن كل ما قيل في بادن . ذلك أن طالبا كان حاضرا تلك المناظرة كان في كل مساء يكتب بيانا عن كل الحجج التي قيلت في ذلك اليوم، كما أخذ طالبان آخران على نفسيهما أمر تسليم هذه الاوراق مع الخطاب الذي كان يرسله ايكولامباديوس يوميا الى زوينجلي في زيوريخ . وكان المصلح يرسل الرد مقدما مشورته ومقترحاته . وكانت خطاباته تكتب ليلا وكان الطالبان يعودان بها الى بادن في الصباح التالي . ولكي يتملصا من الحارس اليقظ الواقف على باب المدينة كان هذان الرسولان يحضران له بعض الدجاج فكان يسمح بدخولهما بلا عائق.

وهكذا دخل زوينجلي المعركة ضد خصومه المحتالين . وقال عنه مايكونيوس: "انه تعب أكثر بتأملاته وتفكيره خلال ليالي الارق وبنصائحه التي كان يبعث بها الى بادن أكثر مما لو كان قد ذهب بنفسه للاشتراك في ذلك الجدال وهو محاط بالاعداء" (١٣٥).

أما البابويون فاذ تحمسوا في انتظار الانتصار الذي كانوا يحلمون به فقد أتوا الى بادن متسربلين بابهى ا لحلل، وكانت الجواهر تلمع في أيديهم وعلى صدورهم. وكانوا ينفقون المال ببذخ، وحفلت موائدهم بأشهى الاطعمة وأجود أنواع الخمور . وقد خفف الانشراحُ والمرحُ عبءَ واجباتهم الكهنوتية . أما المصلحون فكانوا يختلفون عنهم اختلافا ملحوظا، اذ كان الناس ينظرون اليهم كما لو ك انوا أحسن قليلا من المتسولين الذين جعلهم اقتصادهم في الاكل يجلسون الى المائدة وقتا قصير ا. واذ كان صاحب البيت الذي يسكنه ايكولامباديوس يراقبه [201] بعض الوقت في غرفته كان يجده دائما مشغولا إما في الدرس أو الصلاة . أدهشه ذلك فقال لمن حوله: "ان هذا الهرطوقي على الاقل تقي جدا".

وفي المؤتمر اعتلى إك بكل غطرسة منصة مزينة بزينة فاخرة، بينما أيكولامباديوس المتواضع الذي كان يرتدي ثيابا زرية حقيرة أرغم بكل احتقار على الجلوس فوق مقعد خشبي حقير (١٣٦). ولم يخذل إك صوتهُ العالي ولا ثقته بنفسه التي لا حد له ا. وزادت غيرته وحم استه من أمله في الحصول على الذهب والشهرة لان المدافع عن العقيدة والايمان كان سيكافأ بأجر كبير . فلما فشلت حجته المعقولة لجأ الى الشتائم والاقسام.

أما أيكولامباديوس الذي كان محتشما غير واثق بنفسه انكمش أمام تلك المبارزة. ولكنه دخلها بناء

على هذا الاعتراف المق دس: "أنا لا أعترف باي مقياس آخر للحكم غير كلمة الله" (١٣٧). ومع رقته ولطفه في تصرفاته فقد برهن على مقدرته وعدم خوفه أو تراجعه . ففي حين أن البابويين استندوا الى سلطة عادات الكنيسة كما هي عادتهم فان المصلح تمسك بكل ثبات بالكتب المقدسة. وقد قال: "ان الع رف لا قوة له هنا في بلادنا سويسرا ما لم يكن مطابقا للدستور، أما الآن ففيما يختص بالعقيدة فان دستورنا هو الكتاب المقدس" (١٣٨).

لم يكن التباين بين المتبارين عديم الاثر فان المحاجة الصريحة الهادئة التي قدمها المصلح بكل رقة ووداعة كان لها تأثير على تلك الع قول التي تحولت في اشمئزاز عن ادعاءات إك المتفاخرة القاصفة.

دامت المناظرة ثمانية عشر يوما وفي نهايتها كان البابويون بكل ثقة يدَّعون النصرة لانفسهم . وقد انحاز معظم المبعوثين الى جانب روم ا. فاعلن المجلس هزيمة المصلحين كما صرح انهم، ومعهم زوينجلي قائد هم، قد بتروا من الكنيسة. لكن ثمار المؤتمر اعلنت الى جانب من كانت الميزة، اذ نتج من تلك المباراة قوة دافعة محركة للدعوة البروتستانتية . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى اعلنت المدينتان الكبيرتان برن وبازل انضمامهما الى الاصلاح. [203] [202]

الفصل العاشر ـــــ تقدم الاصلاح في المانيا

اثار اختفاء لوثر الغامض الرعب والفزع في كل ارجاء المانيا. ففي كل مكان كان الناس يستخبرون عنه وانتشرت اشاعات طائشة مهتاجة عنه، واعتقد كثيرون انه قد قتل . وكانت هنالك مناحة عظيمة ليس فقط من جانب أصدقائه المخلصين المجاهرين بولائهم له بل أيضا من جانب آلاف ممن لم يجاهروا باعتناق مبادئ الاصلاح. وقد أقسم كثيرون قسما علنيا لينتقُمَّن لموته.

رأى الرؤساء البابويون برعب عظيم الى أي مدى ثارت مشاعر الشعب ضدهم. فمع انهم ابتهجوا وتهللوا اذ سمعوا بخبر موت لوثر المزعوم فسرعان ما صاروا الآن يرغبون في الاختفاء بعيدا من غضب الشعب . ان اعداءه لم يكونوا يضطربون أمام أعظم الاعمال الجريئة التي قام بها وهو عائش بينهم بقدر اضطرابهم عند اختفائه . وأولئك الذين في غضبهم حاولوا اهلاك هذا المصلح الجريء امتلأت قلوبهم الآن خوفا وهلعا عندما صار أسيرا عاجزا. وقد قال أحدهم: ”ان الوسيلة الوحيدة الباقية لنا لانقاذ انفسنا هي ايقاد المشاعل والبحث عن لوثر في العالم كله لكي نعيده الى الامة التي تلح في السؤال عنه“ (١٣٩). وقد بدا كأن مرسوم الامبراطور كان عديم القوة، واستشاط مبعوثو البابا غضبا عندما رأوا أن ذلك المرسوم لم يسترع انتباه الناس ولا اهتمامهم بقدر ما استرعاه مصير لوثر. [204]

لكنّ خبر كونه سالما، وان يكن سجينا، هدَّأ مخاوف الشعب وزاد تحمسهم له. وبدأ الناس يقرأون مؤلفاته بحماسة أعظم مما قد فعلوا من قبل . وانضمت جماهير متزايدة الى دعوة هذا البطل الذي دافع عن كلمة الله في مثل تلك الظروف المخيفة . وبمرور الايام كان الاصلاح يعتز ويتقوى . والبذار الذي ألقاه لوثر نبت وظهر وترعرع في كل مكان . واحتجابه وغيابه انجز عملا ما كان يُستطاع انجازه لو كان حاضرا. وقد أحس القادة الآخرون بان عليهم مسؤولية جديدة الآن بعد احتجاب قائدهم العظيم . فبايمان وغيرة عظيمين اندفعوا الى الامام ليعملوا كل ما في طوقهم حتى لا يتعطل العمل الذي بُدِئ به بمثل هذه الروعة.

لكنّ الشيطان لم يكن خاملا . فلقد حاول الآن أن يعمل ما قد حاول عمله في كل حركات الاصلاح الاخرى، أي أن يخدع الناس ويهلكهم بالتمويه عليهم باصلاح زائف بدل الاصلاح الحقيقي . فكما كان يوجد مسحاء كذبة في القرن المسيحي الاول في الكنيسة المسيحية كذلك قام انبياء كذبة في القرن السادس عشر.

فلقد قامت شرذمة من الناس متأثرة بالاهتياج الحادث في المحيط الديني وتصوَّروا انهم تلقوا وحيا خاصا من السماء وادعوا ان الله ارسلهم للتقدم في تكملة عمل الاصلاح الذي اعلنوا أن لوثر بدأه بضعف ووهن . لكنهم في واقع الامر كانوا يقوِّضون العمل نفسه الذي قام به . فلقد رفضوا المبدأ العظيم الذي هو أساس الاصلاح، أي ان كلمة الله هي الاساس الكافي للايمان والاعمال، واستعاضوا عن ذلك المرشد الذي لا يخطئ بالمقياس المتغير غير اليقيني، مقياس مشاعرهم وانفعالاتهم . وبهذا التصرف الذي بموجبه طرحوا كاشف الضلالات والاكاذيب جانبا أفسح المجال للشيطان ليسيطر على عقول الناس كما يشاء.

وقد ادعى أحد اولئك الانبياء انه تلقى تعليمه من الملاك جبرائيل . وان طالبا ممن انضموا اليه ترك دراسته معلنا ان الله قد وهبه حكمة لتفسير الكلمة الالهية . وانضم اليهما أولئك الذين كانوا يميلون الى التعصب . لكنّ اجراءات [205] هؤلاء المتعصبين لم يكن لها تأثير كبير . كانت كرازة لوثر قد أيقظت الناس في كل مكان ليحسوا بضرورة الاصلاح . أما الآن فان بعضا ممن كانوا أمناء أضلتهم ادعاءات هؤلاء الانبياء الجدد.

تقدم متزعمو هذه الحركة الى وتنبرج وألحوا على ميلانكثون وشركائه بقبول دعوتهم قائلين: "لقد أرسلنا الله لتعليم الشعب وكانت لنا أحاديث مع الرب. ونحن نعلم ماذا سيحدث . وبالاختصار نحن رسل وأنبياء ونستشهد بالدكتور لوثر" (١٤٠).

المتعصبون يعترضون سبيل الحق

اندهش المصلحون وتحيروا. فقد كان هذا عنصرا لم يسبق لهم أن واجهوه، ولم يكونوا يعلمون كيف يتصرفون . قال ميلانكثون: "انه بكل تأكيد توجد أرواح غير طبيعية في أولئك القوم، ولكن أي أرواح هي؟ ... فمن ناحية علينا أن نحترس لئلا نطفئ روح الله، ومن الناحية الاخرى لنحترس من أن يضلنا روح الشيطان" (١٤١).

وسرعان ما ظهرت ثمار التعليم الجديد . فهذا التعليم جعل الناس يهملون الكتاب المقدس وينبذونه تماما، وساد التشويش في المدارس . فاذ رفض التلاميذ كل رادع تركوا دراساتهم وخرجوا من الجامعة . والرجال الذين حسبوا أنفسهم أكفاء لانعاش عمل الاصلاح والسيطرة عليه لم يفلحوا إلا في الاتيان به الى حافة الدمار وشفا الخراب . فاستعاد البابويون ثقتهم الآن وصاحوا قائلين: "بعد معركة واحدة سنفوز بكل شيء وننتصر" (١٤٢).

فاذ سمع لوثر وهو في وارتبرج بما قد حدث قال باهتمام عميق: "لقد كنت أتوقع دائما ان الشيطان سيقذفنا بهذا الوباء" (١٤٣). وقد عرف طبيعة أولئك الانبياء الادعياء، وعرف الخطر الذي كان يهدد قضية الحق . ان مقاومة البابا والامبراطور لم تسبب له مثل هذا الارتباك والضيق العظيم الذي يحس به الآن. [206] فمن بين الذين كانوا يعترفون بانهم دعاة الاصلاح وجنوده الامناء قام قوم وانقلبوا عليه وصاروا ألد أعدائه . والحقائق نفسها التي أجلبت لقلبه الفرح والعزاء العظيم استخدمت في اثارة النزاع والخصومة وأحداث التشويش في الكنيسة.

معركة الحق

في عمل الاصلاح كان روح الله يحث لوثر على التقدم الى الامام، وقد دفعه الى أبعد من نفسه . انه لم يكن يقصد أن يقف المواقف التي وقفها أو أن يحدث مثل تلك الانقلابات الجوهرية . انما هو كان مجرد آلة في يد القدرة غير المحدودة . ومع ذلك فقد كان يرتعد جزعا على نتيجة عمله. لقد قال مرة: "لو علمت ان تعاليمي قد أضرت بانسان مهما كان وضيعا خامل الذكر — وهذا ما لم تفعله لان تعاليمي هي الانجيل نفسه — لكنت أفضِّل أن أموت عشر مرات على أن أرفض التراجع وانكار تعاليمي" (١٤٤).

أما الآن فها هي وتنبرج نفسها التي كانت مركز الاصلاح تقع تحت سيطرة التعصب والعصيان . ومع ان هذه النتيجة المخيفة لم تكن نتيجة تعاليم لوثر إلا ان اعداءه في كل المانيا الصقوا به هذه التهمة . واحيانا كان يسأل وهو مر النفس قائلا: "أيمكن أن تكون هذه هي خاتمة عمل الاصلاح العظيم هذا؟" (١٤٥) . واذ كان يجاهد مع الله في الصلاة ملأ السلام قلبه من جديد فصلى قائلا: "ان العمل ليس عملي بل هو عملك . وأنت لا تسمح لان تفسده الخرافات أو التعصب". لكنه لم يعد يطيق البقاء حيث كان وقتا أطول بعيدا من النضال في مثل تلك الظروف المتأزمة، ولذلك عوَّل على العودة الى وتنبرج.

ومن دون تأخر او تردد شرع في القيام بتلك الرحلة الخطرة . كان واقعا تحت لعنة الامبراطور وكان لاعدائه ملء الحرية في أن يغتالوه، كما كان محظورا على أصدقائه أن يسدوا اليه مساعدة أو ملجأ يلوذ به. وقداتخذت حكومة [207] [208] الامبراطور أقسى الاجراءات ضد تابعيه . لكنّه رأى ان عمل الانجيل معرض للخطر فخرج من مخبئه بلا خوف باسم الرب ليحارب لاجل الحق.

وفي رسالة بعث بها الى المنتخب، بعدما اخبره انه ينوي مغ ادرة قلعة وارتبرج، قال: "ليكن معلوما لدى سموكم انني ذاهب الى وتنبرج تحت حراسة أسمى بكثير مما يمكن ان يقدمه الامراء والمنتخبون . وأنا لا أفكر في التماس معاضدة سموكم وبالحري لا أرغب في حمايتكم، فانا افضل بالحري ان احميكم بنفسي. ولو علمت ان سموكم تستطيع حمايت ي أو ترغب في ذلك لما فكرت في الذهاب الى وتنبرج بالمرة . أن السيف الذي يستطيع الذود عن هذه القضية وانجاحها لا وجود له، فينبغي ان يعمل الله كل شيء من دون معونة الانسان أو موافقته. ان من لديه اعظم ايمان هو الذي يستطيع ان يقدم اعظم حماية" (١٤٦).

في رسالة اخرى كتبها لوثر وهو في طريقه الى وتنبرج أضاف قائلا: "اني على استعداد لان أثير سخط سموكم وغضب العالم كله . أليس أهل وتنبرج هم خرافي ؟ ألم يجعلهم الله أمانة في عنقي ؟ أفلا ينبغي لي اذا دعت الضرورة ان أعرض نفسي للموت في سبيلهم ؟ وفضلا عن هذا فانا أخشى من نشو ب ثورة في المانيا يعاقب بها الله أمتنا" (١٤٧).

قوة الكلمة

استأنف لوثر عمله بحذر وتواضع عظيمين يصحبهما العزم والثبات . فقد قال: "علينا بواسطة كلمة الله أن نهدم ونخرب ما قد أقيم بواسطة العنف . اني لن ألجأ الى القوة في محاربة المتعلقين بالخرافات والعديمي الايمان ... فينبغي الا نكره احدا على شيء. ان الحرية هي جوهر الايمان" (١٤٨). [209]

انتشر في كل مدينة وتنبرج نبأ يفيد ان لوثر قد عاد، وانه مزمع ان يعظ. فتقاطر الناس من كل مكان وازدحمت الكنيسة بالعابدين بحيث لم يبق موضع لقدم . فلما اعتلى المنبر جعل يعلمهم ويوصيهم ويوبخهم بحكمة ورقة بالغتين. واذ كان يتحدث عن تصرف من قد لجأوا الى اجراءات عنيفة في ابطال الذبيحة الالهية (القداس) قال:

"ان القداس شيء رديء والله يقاومه، وينبغي الغاؤه. وأحب أن يستعاض عنه في كل العالم بالعشاء الرباني كما هو مرسوم في الانجي ل، ولكن ينبغي الا نرغم أحداً على تركه بل لنترك الأمر بين يدي الله . فكلمته هي التي يجب ان تعمل لا نحن. قد تسألونني قائلين: ولماذا ذلك؟ فاقول لكم ان السبب هو انني لا أمسك قلوب الناس في يدي كما يمسك الفخاري الطين . نعم ان لنا الحق في أن نتكلم ولكن لا حق لنا في أن نفعل. علينا أن نبشر أما الباقي فمن خصائص الله. ولو انني لجأت الى العنف فما الذي أجنيه من وراء

ذلك؟ التجهم والعبوسة والتمسك بالرسميات والفرائض البشرية وتقليد الحركات والرياء ... ولكن لن يكون هناك خلوص القلب ولا ايمان ولا محبة . فاذا اعوزتنا هذه الاشياء الثلاثة فكل شيء يعوزنا ونكون ناقصين . وأنا لا أقدم فلسا واحدا للحصول على مثل هذه النتيجة ... ان الله يعمل عن طريق كلمته وحدها أكثر مما نستطيع فعله انتم وأنا وكل العالم بقوتنا المتضافرة. ان الله يمسك بالقلب، فمتى امتلك القلب فقد أمتلك كل شيء.

"اني سأكرز واباحث وأكتب، ولكني لن أرغم انسانا، لان الايمان شيء اختياري . انظروا ماذا فعلت . لقد وقفت ضد البابا وضد صكوك الغفران وضد البابويين ولكن من دون عنف أو ثورة . لقد قدمت كلمة الله وكرزت وكتبت، هذا هو كل ما قد فعلته. ومع ذلك ففيما كنت نائما حدث ان الكلمة التي كرزت بها أطاحت بالبابوية، بحيث انه لم يوقع بها مثل ذلك الضرر أمير أو أمبراطور . ومع ذلك فانا لم أفعل شيئا، انما الكلمة الالهية هي التي عملت كل هذا. فلو انني حاولت الالتجاء الى القوة فربما كانت كل المانيا قد غرقت في طوفان [210] هائل من الدم . وماذا كانت تكون النتيجة ؟ الخراب والدمار للجسد والنفس . ولهذا ظللت هادئا وتركت كلمة الله تجول وحدها في كل العالم" (١٤٩).

وظل لوثر يعظ يوما بعد يوم، لمدة اسبوع كامل، تلك الجموع العطشى الى سماع كلامه . فكسرت كلمة الله سحر ثورة التعصب .ان قوة الانجيل اعادت الشعب الضال الى طريق الحق.

ولم يكن لوثر يرغب في منازلة المتعصبين الذين نشأ عن تصرفهم شر عظيم. وقد علم انهم قوم حكمهم غير سليم وأهواؤهم غير مضبوطة، واذ كانوا يدَّعون انهم قد حصلوا على استنارة خاصة من السماء لم يكونوا يحتملون أقل مناقضة لاقوالهم أو حتى أرق توبيخ أو مشورة . واذ كانوا يدَّعون لانفسهم السيادة العليا كانوا ينتظرون من كل انسان ان يعترف بصدق دعواهم من دون سؤال. ولكن اذ طلبوا مقابلة لوثر فقد قبل ذلك وهكذا أفلح في فضح ادعاءاتهم الى حد كبير حتى لقد رحل اولئك المحتالون عن وتنبرج في الحال.

المعلمون يحتقرون الكلمة

وقد أوقف التعصب عند حده الى حين، ولكن بعد ذلك بعدة سنين ثار باكثر عنف وكانت له نتائج أشد هولا . وقد قال لوثر عن المتزعمين لهذه الحركة: "انهم يعتبرون الكتب المقدسة مجرد رسالة ميتة . وقد جعلوا كلهم يصرخون قائلين "الروح ! الروح !" ولكني بكل تأكيد لن أسير في ذلك الطريق الذي يقودهم فيه روحهم . ليحفظني الله برحمته من كنيسة لا يوجد فيها غير القديسين . اني اشتهي ان اعيش مع الفقراء والضعفاء والمرضى الذين يعرفون خطاياهم ويشعرون بها والذين يتنهدون ويصرخون الى الله دائما من أعماق قلوبهم للحصول على العزاء والعون" (١٥٠).

كان توماس مونزر انشط اولئك الرجال المتعصبين . كان رجلا ذا مقدرة عظيمة لو أحسن توجيهها لاعانته على أن يصنع خيرا، ولكنه لم يكن قد تعلم أول مبادئ [211] الديانة الحقيقية. "كانت قد تحكمت فيه رغبة في اصلاح العالم، ولكنه نسي، كما يفعل كل المتحمسين، انه ينبغي أن يبدأ باصلاح نفسه" (١٥١). كان يطمع في الحصول على مركز ونفوذ، وكان يرفض أن يكون في المركز الثاني حتى بعد لوثر. وقد اعلن ان المصلحين اذ وضعوا سلطان الكتاب المقدس في مكان سلطان البابا انما كانوا يوطدون دعائم شكل آخر من اشكال البابوية. كما ادعى قائلا انه هو نفسه مرسل من قبل الله لتقديم الاصلاح الحقيقي . وقال مونزر: "ومن عنده هذه الروح فعنده الايمان الحقيقي حتى لو لم ير الكتاب المقدس في

حياته" (١٥٢).

جعل أولئك المعلمون المتعصبون الانفعالات تتحكم فيهم اذ اعتبروا كل فكر وكل وازع صوتا من الله . ولهذا تجاوزوا الحدود . بل ان بعضا منهم احرقوا كتبهم المقدسة صائحين وقائلين: "ان الحرف يقتل وأما الروح فيحيي". وقد دغدغ تعليم مونزر رغبة الناس في الاشياء العجيبة، في حين انه أشبع كبرياءهم وغرورهم اذ انه في الواقع قدم الآراء البشرية على كلمة الله . واعتنق تعاليمه آلاف من الناس . وسرعان ما شهَّر بكل الانظمة المتبعة في العبادة الجهارية، كما أعلن ان تقديم الطاعة للامراء هو كمحاولة عبادة الله وبليعال.

ان عقول الناس اذ كانت قد بدأت تطرح بعيدا منها نير البابوية اخذت تتبرم من رواد ع السلطة المدنية . وتعاليم مونزر الثورية التي كانوا يدَّعون انها مصادق عليها من الله ساقت الناس الى طرح كل رادع أو ضابط، واطلاق العنان لتعصبهم وعواطفهم الثائرة . وقد تبعت ذلك ارهب الفتن والمنازعات فارتوت ارض المانيا بالدماء. [212]

لوثر تعذبه الاحداث

ان العذ اب النفسي الذي كان لوثر قد جاز به في ارفرت صار الآن يضغط قلبه بشدة مضاعفة اذ ألصقت تهمة التعصب بالاصلاح . ولقد اعلن الامراء البابويون ، وكان كثيرون مستعدين للتصديق على ذلك الاعلان ، ان الثورة هي الثمرة الشرعية لتعاليم لوثر . ومع ان هذه التهمة لم يكن لها أي أساس من الصحة فقد جلبت ضيقاً وغماً عظيمين لنفس المصلح . فكون دعوة الحق تهان الى حد مساواتها بالتعصب المنحط الدنيء ، كان ذلك أكثر مما يستطيع احتماله . ومن الناحية الاخرى فان متزعمي الثورة كانوا يبغضون لوثر لانه فضلا عن كونه قد قاوم تعاليمهم وانكر ادعاءهم الالهام الالهي فقد اعلن انهم متمردون على السلطة المدنية ، فأرادوا ان يثأروا منه بان اشتكوا عليه بانه مدعٍ حقير، فبدا كأنه قد جلب الى نفسه عداوة الامراء والشعب.

فرح البابويون لذلك فرحا عظيما اذ كانوا ينتظرون ان ينهار الاصلاح سريعا، وكانوا يلومون لوثر حتى على الاخطاء التي كان يحاول جادا اصلاحها . اما الحزب المتعصب فاذ ادعوا كذبا انهم عوملوا معاملة ظالمة نجحوا في ا لظفر بعطف فريق كبير من الشعب، وكما هو الحال في غالب الاحيان مع من ينحازون الى جانب الضلال والخطأ فقد اعتبرهم الناس شهداء . وهكذا حدث ان أولئك الذين كانوا يبذلون كل قواهم ونشاطهم في محاربة الاصلاح نالوا العطف والمديح كمن هم ضحايا القسوة والظلم . هذا هو عمل الشيطان الذي تدفع الناس اليه روحُ العصيان نفسها التي ظهرت أول ما ظهرت في السماء. [213]

عمل الشيطان

يحاول الشيطان على الدوام ان يخدع الناس ويغرر بهم بحيث يدعون الخطيئة براً والبر خطيئة . وما أعظم نجاحه ! وكم من مرة يقع اللوم والعار على خدام الله الامناء لانهم يصمدون بلا خوف دفاعا عن الحق ! ان أعوان الشيطان يُمدحون ويُداهنون، والناس ينظرون اليهم كشهداء، بينما اولئك الذين يجب امتداحهم ومساندتهم لاجل ولائهم لله يتركون ليقفوا وحدهم تحت الشبهة والشك.

لا تزال الطه ارة الزائفة أو القداسة الكاذبة تقوم بعملها، عمل الخداع، فكما كانت في أيام لوثر كذلك في أيامنا هذه تعرض نفسها باسماء مختلفة، محولة افكار الناس عن الكتاب ليسيروا وراء مشاعرهم وانفعالاتهم بدلا من تقديم طاعتهم لشريعة الله . هذه مكيدة من أنجح مكايد الشيطان لالص اق العار بالطهارة والحق.

دافع لوثر دفاعا مجيدا بلا خوف عن الحق ضد كل الهجمات التي كانت تأتيه من كل جانب . ولقد برهنت كلمة الله على أنها سلاح قوي في كل الحروب . فبتلك الكلمة حارب ضد سلطة البابا المغتصبة والفلسفة العقلية، كما وقف ثابتاً أمام التعصب الذي كان يحاول التحالف مع الاصلاح.

كان كل من هذه العناصر المضادة بطريقته الخاصة يلقي جانبا الكلمة المقدسة ويعظم الحكمة البشرية على انها نبع المعرفة والحق الديني . فالمذهب العقلي يؤلِّه العقل ويجعله مقياس الدين . والبابوية اذ تدَّعي للحبر الاعظم إلهاما آتيا من الرسل بسلسلة متصلة وغير متغيرة مدى العصور تفسح المجال لكل أنواع الاسراف والفساد تحت ستار قداسة التفويض الرسولي . والالهام الذي ادعاه مونزر ورفاقه لانفسهم لم يكن من منبع اسمى من الاوهام [214] العقلية، وكان تأثيره مدمرا لكل سلطة بش رية أو الهية . لكنّ المسيحية الحقة تقبل كلمة الله ككنز الحق الموحى به ومحك كل أنواع الالهام.

بعدما عاد لوثر من وارتبرج أكمل ترجمة العهد الجديد . وبعد قليل قدم الانجيل الى شعب المانيا بلغتهم . وقد ا ستقبل كل من كانوا يحبون الحق هذه الترجمة بفرح عظيم، أما من اختاروا التقاليد البشرية ووصايا الناس فقد رفضوها بكل ازدراء.

ولقد فزع الكهنة عندما فكروا في أن عامة الشعب سيكونون الآن قادرين على التباحث معهم في تعاليم كلمة الله وحينئذٍ سيُكتشف جهلهم ويفضح. إن اسلحة محاجتهم الجسدانية كانت عاجز ة امام سيف الروح . وقد حشدت روما كل سلطتها لتمنع تداول الكتاب المقدس وانتشاره . لكنّ المراسيم والحروم وشتى العذابات كانت كلها بلا جدوى . وبقدر ما دانت روما الكتاب ونهت الناس عن قراءته زادت لهفة الشعب لمعرفة تعاليمه الحقة . وكل من كانوا يعرفون القراءة كانوا مشتاقين الى درس كلمة الله بنفسهم . كانوا يحملونها معهم ويقرأونها مرارا، ولم يكتفوا إلا بعدماحفظوا أجزاء كبيرة من الكتاب عن ظهر قلب . فاذ رأى لوثر الحظوة التي نالها كتاب العهد الجديد بدأ في الحال في ترجمة العهد القديم ونشره في اجزاء كلما انهى ترجمة واحد منها.

كان الناس يرحبون بمؤلفات لوثر في المدن والقرى على السواء، "وان ما قد ألفه لوثر وأصدقاؤه نشره قوم آخرون . وبعض الرهبان اذ اقتنعوا بعدم قانونية الالتزامات النسكية ورغبوا في الاستعاضة عن حياة الخمول والكسل الطويلة بحياة العمل الناشط، ولكنه م كانوا يجهلون كيفية اذاعة كلمة الله جهلا تاما، جعلوا يتجولون في الاقاليم يزورون القرى والاكواخ ليبيعوا كتب لوثر وأصدقائه، وسرعان ما غصت مدن المانيا وقراها بهؤلاء الموزعين الشجعان" (١٥٣). [215]

تأثير قرأة الكتاب

درس الناس هذه الكتب باهتمام عظيم وكان يستوي ف ي ذلك الاغنياء منهم والفقراء، العلماء والبسطاء . وفي الليل كان معلمو مدارس القرى يتلون هذه الكتب على مسامع جماعات صغيرة من الناس وهم جالسون حول المواقد . ومع كل جهد كانت بعض النفوس تقتنع بالحق، واذ تقبل الكلمة بفرح تقوم بدورها بنشر تلك البشرى عند الآخرين.

وقد تحقق كلام الوحي القائل: "فتح كلامك ينير يعقّل الجهال" (مزمور ١١٩ : ١٣٠). وقد احدثت دراسة كلمة الله تغييرا عظيما في عقول الشعب وقلوبهم. كان الحكم البابوي قد وضع نيرا من حديد على أعناق رعاياه فابقاهم في حالة الجهل والانحطاط . فكان الناس يمارسون الطقوس بتدقيق خرافي، لكنّ القلب والعقل لم يكونا يشتركان في تلك الممارسات الا بقدر ضئيل . فاذ قدمت كرازة لوثر الى الشعب حقائق كلمة الله الواضحة ثم وُضعت تلك الكلمة اياها في متناول الشعب فذلك ايقظ قواهم الهاجعة . ولم يكتف بان طهر طبيعتهم الروحية ورفع من قدرها ولكنه أيضا منح عقولهم قوة ونشاطا جديدين.

كان يرى أشخاص من كل الطبقات ممسكين بايديهم الكتاب المقدس وهم يدافعون عن تعاليم الاصلاح وعقائده . أما البابويون الذين كانوا قد وكلوا الى الكهنة والرهبان أمر دراسة كلمة الله فقد طلبوا منهم الآن ان ينبروا لتفنيد التعاليم الجديدة. ولكن اذ كان الكهنة والرهبان يجهلون الكتب وقوة الله انهزموا هزيمة منكرة أمام اولئك الذين اتهموهم بالجهل والهرطقة . قال كاتب كاثوليكي: "ان لوثر لسوء الحظ قد أوصى تابعيه بألا يؤمنوا باي كلام آخر غير الكتاب المقدس" (١٥٤). وقد كان كثيرون من الشعب يتجمعون ليسمعوا الحق الذي كان يدافع عنه أناس قليلو المعرفة وبسطاء، بل كان هؤلاء يتباحثون فيه مع بعض اساتذة اللاهوت العلماء الفصحاء، وكان جهل اولئك العظماء المعيب يبدو واضحا عندما [216] كانت حججهم تصطدم بتعاليم كلمة الله البسيطة . وكان العمال والجنود والنساء وحتى الصغار أكثر دراية والماما بتعاليم الكتاب المقدس من الكهنة والملافنة.

كان الفرق بين تلاميذ الانجيل ومروجي الخرافات البابوية واضحا في اوساط المثقفين كما كان بين عامة الشعب: "وقد تصدى للمدافعين عن التراتبية البابوية، الذين أهملوا دراسة اللغات ونشر الثقافة الأدبية، بعضُ الشبان من ذوي العقول الرحبة والاذهان الكريمة المكرسين للدرس والاستقراء والبحث في الكتب المقدسة، وجعلوا الطرائف الادبية القديمة مألوفة لديهم؛ فاذ كانوا قد وهبوا عقولا نشيطة ونفوسا عالية وقلوبا شجاعة فقد بلغوا من العلم شأواً كبيرا بحيث لم يمكن لاحد ان يباريهم في ذلك امداً طويلا . ولذلك فعندما كان أولئك الشبان المدافعون عن الاصلاح يقارعون الاساتذة البابويين في اي اجتماع كانوا يهاجمونهم بسهولة وثقة عظيمة بحيث كان خصومهم الجهلة يتلعثمون ويرتبكون ويجللهم الاحتقار الذي كان يرى على وجوه جميع الحاضرين" (١٥٥).

وعندما رأى رجال الكهنوت البابويون قلة جموع المصلين استعانوا بالحكم، وبكل الوسائل حاولوا ارجاع الرعية الى الحظيرة، لكنّ هؤلاء كانوا قد وجدوا في التعاليم الجديدة ما أشبع نفوسهم، فتركوا اولئك الذين ظلوا امدا طويلا يطعمونهم من خرنوب الطقوس الخرافية التافهة والتقاليد البشرية.

وعندما اشتعلت نيران الاضطهاد ضد معلمي الحق تنبهوا الى كلام المسيح القائل: "ومتى طردوكم (اضطهدوكم) في هذه المدينة فاهربوا الى الاخرى" (متى ١٠ : ٢٣) . لقد انبثق النور مشرقا في كل مكان. واحيانا كان اولئك الهاربون يجدون بابا مفتوحا يرحب بهم، وحيث يمكثون كانوا يبشرون بالمسيح، احيانا في الكنيسة، فان لم يسمح لهم بذلك وحُرموا من هذا الامتياز كانوا يكرزون في بيوت خاصة أو في العراء . فانّى يكونوا يجدوا اناسا يستمعون فيصبح ذلك المكان هيكلا مقدس ا. والحق الذي كان يُعلن بمثل ذلك النشاط واليقين كان ينتشر بقوة لا تقاوم. [217]

وعبثا لجأ الكهنة الى السلطات الدينية والمدنية لسحق الهرطقة وعبثا كانوا يلجأون الى السجن والتعذيب والنار والسيف . لقد ختم آلاف من ا لمؤمنين شهادتهم بدمهم ومع ذلك فقد ظل عمل الاصلاح يسير قدم ا. لقد آل الاضطهاد الى نشر الحق، أما التعصب الذي حاول الشيطان ان يقرنه به فقد نتج منه ايضاح الفرق الشاسع بين عمل الشيطان وعمل الله. [218]

الفصل الحادي عشر ـــ احتجاج الامراء

كان الاحتجاج الذي قدمه الامراء المسيحيون في المانيا في مجمع سبايرز في عام ١٥٢٩ شهادة من أنبل الشهادات التي قدمت في صالح الاصلاح . وقد ضمنت شجاعة رجال الله اولئك وايمانهم وثباتهم للاجيال التالية حرية الفكر وحرية الضمير . وقد اطلق احتجاجهم على الكنائس المصلحة اسم بروتستانت (اي المحتجين). والمبادئ المذكورة في ذلك الاحتجاج هي "جوهر البروتستانتية" (١٥٦).

ولكن جاء على الاصلاح يوم ظلام ووعيد . فعلى الرغم من منشور ورمس الذي فيه اعلن ان لوثر صار طريد القانون وحُرِّم نشر تعليمه أو معتقداته، فقد ساد التسامح الديني في أرجاء الامبراطورية وأوقف الله القوات المناوئة للحق عند حده ا. كان شارل الخامس قد عقد العزم على سحق الاصلاح، ولكن في أحيان كثيرة كلما كان يرفع يده ليضرب كان يضطر الى تحويل الضربة بعيد ا. ومرارا كثيرة كان يرى ان الهلاك المباشر السريع لكل من تجرأوا على مقاومة روما أمر لا مفر منه . ولكن في اللحظة الحرجة كانت جيوش الاتراك ترى على حدود البلاد الشرقية، أو كان ملك فرنسا أو البابا نفسه الذي كان يغار من عظمة الامبراطور [219] المتزايدة يشن عليه الحرب، وهكذا في غمرة منازعات الام م وضوضائها تُرك الاصلاح ليتقوى ويمتد.

ومع ذلك فان الولاة البابويون كانوا قد اخفوا ضغائنهم حتى يستطيعوا ان يتكاتفوا ضد رجال الاصلاح . كان مجلس سبايرز الذي انعقد في عام ١٥٢٦ قد منح لكل ولاية الحرية التامة في الشؤون الدينية الى ان يجتمع المجلس العام، ولكن ما إن زال الخطر الذي بسببه صدر هذا التصريح حتى استدعى الامبراطور المجلس ليلتئم مرة ثانية في سبايرز في عام ١٥٢٩ لاجل سحق الهرطقة . وكان لا بد من استمالة الامراء بالوسائل السلمية ان أمكن لينحازوا الى جا نب الامبراطور ضد الاصلاح، فان لم تفلح هذه الوسائل كان شارل مستعدا لان يحارب بحد السيف.

ابتهج البابويون لذلك كثيرا، فقد حضر الى سبايرز عدد غفير منهم وجاهروا بعدائهم لرجال الاصلاح وكل من حبذوا أعمالهم أو قبلوا مبادئهم . وقد قال ميلانكثون: "اننا اقذار العالم ووسخ كل شَيْء لكنّ المسيح سينظر من عليائه الى شعبه المسكين ويحفظهم" (١٥٧). وقد حرم على الامراء الانجيليين الذين حضروا المجلس ان يسمحوا بأن ينادى بالانجيل حتى في مساكنهم . الا ان شعب سبايرز كانوا ظامئين الى كلمة الله، فعلى رغم هذا النهي تقاطرت آلاف منهم الى الخدمات التي كانت تقام في كنيسة منتخب سكسونيا.

هذا الامر عجَّل بحلول الازمة، فقد صدرت من قبل الامبراطور رسالة تقول للمجلس انه لكون القرار الذي منح الشعب حرية الضمير قد نجم عنه الشغب والاضطراب فان الامبراطور ينوي الغاءه، فأثار هذا التصرف التعسفي غضب المسيحيين الانجيليين وفزعهم . وقد قال أحدهم: "ها هو المسيح يقع مرة ثانية فريسة بين أيدي قيافا وبيلاطس". وزادت قسوة البابويين وهياجهم، وأعلن أحد المتعصبين منهم قائلا: "ان الاتراك خير من اللوثريين، لان الاتراك يحفظون أيام الصوم أما اللوثريون فيتعدونه ا. فلو كان لنا ان نختار إما كتاب الله المقدس أو الضلالات المتوطنة في الكنيسة من قديم فلا بد أن نرفض الكتاب المقدس".

[220] وقال ميلانكثون: "في كل يوم وفي وسط المجمع كله يقذفنا فابر، نحن المتمسكين بالانجيل، بحجر" (١٥٨).

كان التسامح الديني قد تثبَّت بحكم القانون وقد عز مت الولايات الانجيلية على مقاومة كل اعتداء على حقوقه ا. واذ كان لوثر لا يزال تحت الحرمان الذي قد أوقعه عليه مرسوم ورمس فلم يكن مسموحا له بالذهاب الى سبايرز، فحل في مكانه زملاؤه الامراء الذين قد أقامهم الله للدفاع عن حقه في تلك الحالة الطارئة. كان فريدريك من تخب سكسونيا النبيل، الذي حمى لوثر من قبل، قد مات، فرحّب اخوه الدوق جون، الذي صار حاكما من بعده، بالاصلاح بفرح. ومع أنه كان من دعاة السلام فقد أبدى نشاطا وشجاعة عظيمين في كل المسائل المتعلقة بمصالح الايمان.

مواجهة الازمة في سبايرز

طلب الكهنة ان تخضع الولا يات التي اعتنقت الاصلاح لسلطان روما خضوعا كاملا. ومن الناحية الاخرى تمسك المصلحون بحقهم في الحرية التي قد مُنحت لهم من قبل. ولم يرضوا بان تعود روما لتبسط سلطانها على تلك الولايات التي قد قبلت كلمة الله بفرح عظيم.

وقد اقتُرح اخيرا حل وسط مؤداه انه في الام اكن التي لم ترسخ فيها قدم الاصلاح ينبغي تنفيذ مرسوم ورمس بكل دقة وصرامة. "وفي الاماكن التي انحرف الناس فيها عن الاصلاح والتي لا يمكن قبوله فيها من دون خطر نشوب ثورة ينبغي لهم على الاقل الا يقوموا بأي اصلاح جديد، وينبغي الا يلمحوا الى أية نقطة هي موضوع الج دال، ويحظر عليهم مقاومة الاحتفال بذبيحة القداس، وعليهم الا يسمحوا لاي كاثوليكي باعتناق المذهب اللوثري" (١٥٩). وقد أقر المجلس هذا الاجراء الذي رضي به الكهنة والاساقفة بغبطة عظيمة. [221]

فلو نُفذ هذا المنشور "لما كان يمكن للاصلاح ان يمتد ... إذ لم يكن م عروفاً بعد، ولما أمكن ارساؤه على أسس راسخة .. حيث كان موجوداً من قبل" (١٦٠). وكانت تحرَّم حرية الكلام، ولم يكن يسمح بانضمام متجددين اليهم. وقد طُلب من أصدقاء الاصلاح ودعاته الخضوع لهذه القيود والنواهي في الحال. فبدا وكأن آمال العالم توشك ان تنطفئ. "ان رسوخ قدم الحكومة البابوية من جديد ... لا بد ان يعيد الاضطهادات والاهانات القديمة". للقضاء على ذلك العمل "وسرعان ما يعطي المجال الذي قد تلقى هزات عنيفة، قضاء تاما بواسطة التعصب والخصومات" (١٦١).

نتائج عظيمة في خطر

وعندما اجتمع الحزب الانجيلي للتأمل والتشاور كانوا ينظرون بعضهم الى بعض بفزع وارتياع، وجعلوا يتساءلون في ما بينهم قائلين: "وما العمل؟" ان نتائج عظيمة كانت مستهدفة للخطر. "هل يخضع رجال الاصلاح ويق بلون المرسوم؟ ما كان اسهل عليهم في هذه الازمة الهائلة ان يأخذوا بمشورة تجعلهم ينهجون نهجا خاطئا! وما كان أكثر الحجج الغراراة المقبولة ظاهرا والاسباب المعقولة التي كان يمكن أن تجعلهم يخضعون! لقد أُعطي للامراء اللوثريون ضمان لممارسة شعائر ديانتهم بكل حرية، كما أعطي هذا الضمان لكل رعاياهم الذين كانوا قد اعتنقوا المبادئ المصلحة قبل اتخاذ ذلك الاجراء. أفلم يكن ذلك

كافيا لهم ؟ ما أكثر المخاطر التي سينجون منها لو خضعوا ! وما أكثر المخاطرات والمحاربات المجهولة التي ستحل بهم اذا هم أمعنوا في المقاومة ! ومن يدري ما هي الفرص السانحة التي يحملها لهم المستقبل ؟ علينا ان ننشد السلام ونمسك بغصن الزيتون الذي تمده لنا روما ونضمد جراح المانيا. بمثل هذه الحجج كان يتاح للمص لحين ان يبرروا قبولهم السير في طريق كان كفيلا بان يقضي على قضيتهم القضاء المبرم. [222]

”ولحسن الحظ نظروا وتأملوا في المبدأ الذي بُنيت عليه هذه التسوية وتصرفوا بايمان . وماذا كان ذلك المبدأ ؟ لقد كان من حق روما ان ترغم ضمائر ا لناس وتحرِّم التساؤل الحر . ولكن ألم يكن من حقهم وحق رعاياهم البروتستانت أن يتمتعوا بالحرية الدينية ؟ نعم كان لهم أن يتمتعوا بها كاحسان ومنَّه مشروطة ، لا كحق مكتسب . ولكن في كل ما كان خارجا عن نطاق تلك التسوية كان ينبغي ان يتحكم مبدأ السلطة العظيم. فالضمير لا يؤخذ بعَين الاعتبار، وكانت روما هي القاضي الذي لا مرد لحكمه والذي ينبغي اطاعته . ان قبول تلك التسوية المقترحة كان يمكن ان يكون اذعانا ايجابيا لحصر الحرية الدينية في اقليم سكسونيا المصلحة وحده ا. أما في ما عدا ذلك من كل بلدان العالم المسيحي فكانت حرية التساؤل والاعتراف بالايمان المصلح معتبرة جرائم جزاؤها السجن والموت حرق ا. فهل يرضون بحصر الحرية الدينية في نطاق ضيق ؟ أو يرضون بان يشاع بان الاصلاح لن يكون له مهتدون جدد، أو انه قد احرز آخر انتصاراته، وانه اينما كان سلطان روما وسيادتها في الوقت الراهن فستدوم تلك السيادة ؟ وهل كان يمكن أن يتبرأ المصلحون من دماء مئات وألوف الناس الذين تبعا لهذه التسوية كانوا سيسلمون أرواحهم في اراض خاضعة لحكم البابوية؟ في تلك الساعة الحرجة العظيمة كان معنى هذا انهم يخونون قضية الانجيل وحريات العالم المسيحي“ (١٦٢). لقد كانوا ”يفضلون على هذا تضحية كل شيء حتى املاكهم وتيجانهم وحياتهم“ (١٦٣).

قال الامراء: ”لنرفض ه ذا المرسوم . ففي ما يختص بالضمير لا سلطان للاغلبية“. وقد أعلن المبعوثون قائلين: ”اننا مدينون بالسلام الذي تتعم فيه الامبراطورية لمرسوم عام ١٥٢٦ ، فاذا ألغي فلا بد من حدوث اضطرابات وانقسامات في الماني ا. ان المجلس عاجز عن عمل شيء أكث ر من ابقاء الحرية الدينية الى أن ينعقد المجمع“ (١٦٤). ان من واجب الدولة ان تحرص على حرية الضمير، وهذا هو مدى سلطانها في المسائل الدينية . فكل [223] حكومة علمانية تحاول تنظيم الممارسات الدينية أو ترغم الناس على حفظها بواسطة السلطة المدنية انما تضحي بنفس المبد أ الذي لاجله حارب المسيحيون الانجيليون وكافحوا بكل شجاعة.

ولقد عقد البابويون العزم على القضاء على ما أسموه ”عناداً جريئاً“، وبدأوا بمحاولة ايقاع الانقسامات بين معاضدي الاصلاح وبادخال الخوف الى قلوب من لم يجاهروا بمناصرته . اخيرا دعي ممثلو المدن الحرة للمثول أمام المجلس وطلب منهم اعلان ما اذا كانوا يرضون بشروط الاقتراح أم لا، فطلبوا التأجيل لكنّ طلبهم رُفض . وعند الامتحان وقف ما يقرب من نصف عددهم يناصرون المصلحين . وأولئك الذين رفضوا تضحية حرية الضمير وحق الفرد في ان يكون له حرية رأي عرفوا جيدا أن تصرفهم سيجعلهم هدفاً للانتقاد والإدانة والاضطهاد . وقد قال أحد المندوبين: ”علينا اما ان ننكر كلمة الله أو أن نُحرَق“ (١٦٥).

وقفة الامراء المشرِّفة

رأى الملك فرديناند الذي ناب عن الامبراطور في حضور المجلس ان المرسوم قد تنجم عنه انقسامات خطيرة ما لم يقتنع الامراء بقبوله وتأييده . ولذلك لجأ الى قوة الاقناع اذ كان يعلم جيدا ان الالتجاء الى العنف والقوة مع مثل اولئك الرجال لن يزيدهم الا اصرارا. ولذلك "التمس من الامراء قبول المرسوم مؤكدا لهم ان ذلك سيجعل الامبراطور راضيا عنهم غاية الرضى". لكنّ هؤلاء الرجال الامناء كانوا يعترفون بسيادة أعظم وأسمى من سيادة الحكام الارضيين، ولهذا أجابوه برصانة: "اننا مستعدون لان نطيع الامبراطور في كل ما يؤول الى اقرار السلام وتمجيد الله واكرامه" (١٦٦).

اخيرا اعلن الملك أمام المجلس قائلا للمنتخب و اصدقائه: "ان المرسوم أوشك أن يصبح في صورة ارادة امبراطورية، وانه لم يبقَ أمامهم الا الخضوع [224] للاغلبية". قال هذا ثم انسحب من المجمع، وبذلك لم يعطِ للمصلحين مجال للمداولة أو التشاور أو حتى تقديم جواب. "وعبثاً ارسلوا وفداً الى الملك ليتوسلوا اليه أن يعود". أجابهم قائلا: "لقد بات الامر مقرراً، ولذلك فلم يبق أمامكم الا الخضوع" (١٦٧).

كان رجال الحزب الامبراطوري مقتنعين ان الامراء المسيحيين سيظلون متمسكين بالكتاب المقدس على انه اسمى من العقائد والتعاليم البشرية ومطاليبها، كما كانوا عالمين ايضا انه اينما اعتنق الناس هذا المبدأ انهار سلطان البابوية. ولكنهم كغيرهم من آلاف الناس منذ ذلك الحين اذ "كانوا ينظرون الى الاشياء التي تُرى" كانوا يخدعون انفسهم قائلين ان دعوى الامبراطور والبابا قوية، أما دعوى المصلحين فضعيفة . فلو استند المصلحون الى المعونة البشرية وحدها لاصبحوا عاجزين كما قد ظنهم البابويون . ولكنهم مع قلة عددهم ومع انهم كانوا منشقين على روما كانت لهم قوتهم . لقد استأنفوا "من قرار المجلس الى كلمة الحق ومن الامبراطور شارل الى يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب" (١٦٨).

لمّا رفض فرديناند الالتفات الى اقتناعات الامراء المستقيمة السليمة صمم اولئك على تعليق اهمية كبيرة على غيابه بان يقدموا احتجاجهم امام المجلس الوطني من دون ابطاء. ولذلك كتبوا بيانا رسميا وقدموه الى مجلس الامة.

وهذا ما جاء في عريضتهم: "اننا نحتج في عريضتنا هذه امام الله خالقنا وحافظنا وفادينا ومخلصنا والذي سيكون ديّاننا في يوم ما، كما نحتج ايضا امام كل الناس وكل الخلائق اننا نحن بالاصالة عن انفسنا وبالنيابة عن رعايانا لن نقبل أو نتمسك بما جاء في الامر الصادر اذا كان يخالف ارادة الله ويناقض كلمته المقدسة وضمائرنا المستقيمة وخلاص نفوسنا.

"ما هذا! أنصادق على هذا المرسوم؟! هل نجزم انه عندما يدعو الله القدير انسانا لمعرفته لا يستطيع هذا الانسان ان يقبل معرفة الله بسبب [225] المرسوم!". "لا تعليم اكيد الا اذا تطابق وكلمة الله ... الرب ينهانا عن قبول اي تعليم آخر غير تعليمه ... واقوال الله المقدسة ينبغي ان توضحها آيات اخرى، أكثر وضوحا... ان الكتاب المقدس ضروري في كل شيْء للمسيحي . وفهمه أمر ميسور وهو يعتبر انه يبدد الظلمات . لقد عزمنا بنعمة الله على حفظ البشارة النقية القاطعة بكلمة الله وحدها كما هي مدونة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد من دون ان نزيد عليها شيئا آخر يناقضها . ان كلمة الله هي الحق وحده وهي القانون الاكيد لكل تعليم ولكل حياة، ولا يمكنها أن تخذلنا أو تخدعنا. فالذي يبني على هذا الاساس سيصمد امام كل قوات الجحيم، في حين ان كل الاباطيل البشرية التي تقف ضد الكتاب ستسقط امام وجه الله".

"فلهذا السبب نحن نرفض حمل النير المفروض علينا". "ونحن في الوقت نفسه ننتظر من جلالة الامبراطور ان يعاملنا كسيد مسيحي يحب الله فوق كل شيء واننا نعلن اننا مستعدون ان نقدم لجلالته ولكم ايها السادة الاجلاء المحبة والطاعة اللتين هما واجبنا الشرعي العادل" (١٦٩).

تأثر أعضاء المجلس تأثرا عميقا. وقد ملأت الدهشة والفزع قلوب غالبيتهم بسبب جرأة اولئك المحتجين . فبدا المستقبل امامهم عاصفا وغير مأمون أو مضمون، وكأن الانقسامات والخصومات وسفك

الدماء امور لا مفر منها. لكنّ المصلحين اذ كانوا واثقين من عدالة قضيتهم ومستندين الى ذراع الله القدير "امتلأوا شجاعة وثباتا".

"ان المبادئ المتضمَّنة في هذا الاحتجاج الشهير ... اشتملت على جوهر البروتستانتية، فهذا الاحتجاج يقاوم اثنين من المساوئ التي يرتكبها الانسان ضد الامور المختصة بالايمان، أولهما تهجُّم الحكام المدنيين، والثاني سلطة الكنيسة الاعتباطية. والبروتستانتية ترفع سلطان الضمير فوق الحكام بدلا من هذه المساوئ، وترفع كلمة الله فوق الكنيسة المنظورة. فهي أولا ترفض تدخل السلطة المدنية في الشؤون الالهية، وتقول مع الأنبياء والرسل: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس". وأمام تاج الامبراطور شارل الخامس ترفع [226] اكليل يسوع المسيح، ولكنها تذهب الى أبعد من ذلك، فهي تقدم هذا المبدأ القائل بان كل التعاليم البشرية ينبغي أن تخضع لاقوال الله وتقف صاغرة أمامها" (١٧٠). وفوق هذا فقد أكد اولئك المحتجون ان لهم الحق في المجاهرة باقتناعاتهم بالحق بكل حرية. فهم لن يؤمنوا ويطيعوا كلمة الله وحسب بل وسيعلمونها أيضاً للناس، وقد انكروا على الكهنة والحكام حق التدخل. كان الاحتجاج المقدم للمجلس في سبايرز شهادة احتفالية ضد التعصب الديني وتأييداً لحق كل الناس في عبادة الله بموجب ما تمليه عليه ضمائرهم.

تبنِّي الاحتجاج

قدِّم ذلك البيان ونقش في عقول آلاف الناس كما سُجل في اسفار السماء حيث لن يستطيع بشر ان يمحوه. وقبلت كل المانيا الانجيلية هذا على انه تعبير عن ايمانها وعقيدته ا. وفي كل مكان كان الناس يرون في هذا البيان بشيرا بعصر جديد افضل. وقد قال أحد الامراء البروتستانت في سبايرز: "ليحفظكم الله القدير الذي اعطاكم نعمة لتقديم هذا الاعتراف بهذه الشجاعة وهذا النشاط وه ذه الحرية. ليحفظكم في ثباتكم المسيحي الى يوم الدين" (١٧١).

لو ان الاصلاح بعد هذا القدر من النجاح الذي احرزه رضي بمسايرة الظروف للحصول على رضى العالم لبرهن على خيانته وتنكره لمبادئه، ولكان في ذلك القضاء التام عليه. ففي اختبار هؤلاء المصلحين النبلاء درس نافع لكل الاجيال التالية. وطريقة الشيطان في مقاومته الله وكلمته لم تتغير. وهو في هذه الايام لا يزال يحارب الكتب المقدسة لكونها مرشد الانسان في حياته، كما كان يفعل في القرن السادس عشر. في ايامنا هذه انحرف الناس بعيدا من تعاليم الكتاب وفرائضه، وذلك فهم في حاجة الى الرجوع الى المبدأ البروتستانتي العظيم: الكتاب المقدس وحده كقانون للايمان والاعمال. [227] والشيطان لا يزال يستخدم كل وسيلة تحت يده للقضاء على الحرية الدينية. ان ذلك السلطان المضاد للمسيح، الذي قد رفضه اولئك المحتجون في سبايرز، يحاول الآن بقوة ونشاط جديدين ان يستعيد سيادته الضائعة. وان التمسك ذاته بكلمة الله، الذي لا ميل فيه ولا انحراف والذي تجلى في تلك الازمة التي حلت بالاصلاح، هو الرجاء الوحيد للاصلاح في هذه الايام.

مجال ضيِّق للهرب

وقد ظهرت بعض بوادر الخطر الذي هدد البروتستانت، كما ظهرت ايضا بوادر تدل على ان يد الله

قد امتدت لحماية الامناء . ففي تلك قاد ميلانكثون صديقه سيمون غريناوس في شوارع سبايرز بعجلة " الاثناء عظيمة، وألح عليه ان يعبر نهر الرين . اندهش غريناوس من هذا التصرف وهذا الاندفاع . فقال له ميلانكثون: "ان رجلا شيخا وقورا لا أعرفه ظهر أمامي فجأة وقال لي ان فرديناند سيرسل بعد لحظات بعض الضباط للقبض على غريناوس!"

في ذلك اليوم كان فابر، أحد الملافنة البابويين المشهورين، قد افترى على غريناوس في عظة ألقاها، وفي نهايتها اعترض عليه لكونه قد دافع عن "الضلالات الشنيعة". "وقد كظم فابر غضبه ولكنه في الحال توجه الى الملك الذي أعطاه أمرا ضد استاذ هيدلبرج الملحاح . ولم يشك ميلانكثون ان الله قد انقذ صديقه بكونه ارسل احد ملائكته القديسين لتحذيره.

واذ كان ميلانكثون واقفا ساكنا على شاطئ الرين ظل منتظرا حتى انقذت مياه ذلك النهر غريناوس من مضطهديه . فاذ رآه على الشاطئ الآخر صاح قائلاً: "أخيراً، نعم اخيراً أفلت من أيدي أولئك المتعطشين لسفك الدم الزكي" . ولما [228] عدا ميلانكثون الى بيته قيل له ان بعض الضباط قلبوا بيته رأسا على عقب بحثا عن غريناوس" (١٧٢).

المجمع في أوجسبرج

كان الاصلاح سيزيد عظمة وسموا في نظر عظماء الارض . فالملك فرديناند رفض سماع أقوال الامراء الانجيليين، ولكن ستُمنح لهم فرصة فيها يعرضون قضيتهم أمام الامبراطور واحبار الكنيسة ورؤساء الدولة المجتمعين. فلكي يسكّن الامبراطور شارل الخامس الخصومات والفتن قام في السنة التالية، بعد احتجاج الامراء المقدم في سبايرز، واستدعى المجلس ليلتئم في أوجسبرج وأعلن انه سيرأسه بنفسه . وقد دُعي الرؤساء البروتستانت للذهاب الى هناك.

كان الاصلاح مهددا بمخاطر عظيمة، لكنّ المدافعين عنه وضعوا قضيتهم بين يدي الله، وتعهدوا بان يظلوا ثابتين في جانب الانجيل . وقد ألح مشيرو منتخب سكسونيا عليه بعدم حضور المجمع، وقالوا له أن الامبراطور قد طلب من الامراء ان يحضروا لكي يوقعهم في الشرك . ثم قالوا: "أليست مجازفة بكل شيء ان يحبس الانسان نفسه في داخل اسوار مدينة ومعه عدو جبار؟" لكنّ آخرين اجابوا بكل نبل قائلين: "ليتصرف الامراء بشجاعة فتنجو قضية الله". وقال لوثر: "ان الله امين ولن يتركنا" (١٧٣). فخرج المنتخب قاصدا أوجسبرج يحيط به رجال حاشيته. وكان الجميع عالمين بالمخاطر التي تتهدده، وكثيرون تقدموا الى الامام ووجوههم عابسة وقلوبهم مضطربة، لكنّ لوثر الذي سار معهم يشيعهم الى كوبورغ أنعش ايمانهم الخائر اذ انشد الترنيمة التي كتبها في اثناء تلك الرحلة، وهي القائلة "الله ملجأ لنا وقوة". فكانت تلك الترنيمة الجميلة سببا في تبديد فزع أولئك المسافرين وتطيراتهم وإعادة البهجة الى قلوب المحزونين منهم، اذ ألهمتهم الرجاء والشجاعة. [229]

أما الامراء المصلحون فقد عقدوا عزمهم على ان يضعوا بيانا بآرائهم في شكل منهجي ومنسق ويرفقوا به الادلة الكتابية لكي يقدموه امام المجلس وأسند أمر اعداده الى لوثر وميلانكثون وشركائهما. وقد قبل البروتستانت هذا الاقرار على أنه شرح لايمانهم، واجتمعوا ليكتبوا اسماءهم على تلك الوثيقة المهمة. كان ذلك الوقت خطيرا وشاقا، وكان المصلحون مهتمين بالا تختلط قضيتهم بالمشاكل السياسية، وأحسوا بان الاصلاح ينبغي الا يمارس اي تأثير أو قوة أو نفوذ غير ما ينبعث من كلمة الله . فاذ تقدم الامراء المسيحيون ليوقعوا على ذلك الاقرار تدخل ميلانكثون قائلا: "ان علماء اللاهوت والخدام

(القساوسة) هم الذين يقترحون هذه الامور، فلنحتفظ بسلطة عظماء الارض للشؤون الاخرى". فأجابه جون منتخب سكسونياً قائلاً: "لا سمح الله ان تقصيني، فلقد عقدت العزم على أن أفعل الصواب من دون أن أضطرب خوفا على تاجي . اني أتوق الى الاعتراف بالرب . ان قبعتي كمنتخب ومنصبي ليسا شيئا بالنسبة الى صليب يسوع المسيح". وبعدما قال هذا وقّع امضاءه. وقال أمير آخر وهو يمسك بالقلم: "اذا كانت كرامة ربي يسوع المسيح... تقتضيني أن أترك أموالي وحتى حياتي فسأفعل ذلك عن طيب خاطر". واستأنف كلامه قائلا: "اني أفضل بالاحرى أن أنبذ رعاياي وأتخلى عن أملاكي وأترك أرض آبائي وأجدادي ولا شيء بيدي غير عص اي، على أن أقبل تعليما آخر غير ما تضمنه هذا القرار" (١٧٤). هكذا كان إيمان رجال الله أولئك وجرأتهم.

أعظم يوم في الاصلاح

جاء الوقت المحدد للوقوف امام الامبراطور . فاذ كان شارل الخامس جالسا على عرشه يحف به المنتخبون والامراء أمر بان يمثل أمامه المصلحون البروتستانت. ثم قُرئ إقرار إيمانهم . ففي ذلك المحفل الجليل الوقور عرضت حقائق الانجيل بكل وضوح كما أشير الى أخطاء الكنيسة البابوية، وحسنا قيل عن ذلك اليوم انه "أعظم أيام الاصلاح ومن امجد الايام في تاريخ المسيحية [230] والجنس البشري" (١٧٥).

قبل ذلك بسنين قليلة وقف راهب وتتبرغ وحيدا أمام المجلس الوطني . أما الآن فها أشرف أمراء الامبراطورية وأقواهم ينوبون عنه . كان محرما على لوثر أن يذهب الى أوجسبرج، لكنّه كان حاضرا بأقواله وصلواته . وقد كتب يقول: "اني فرح جدا لاني عشت الى هذه الساعة التي فيها تمجد المسيح بواسطة أمثال هؤلاء المعترفين الممتازين المشهورين وفي مثل ذلك المجمع المجيد" (١٧٦). وهكذا تم ما قاله الكتاب في (مزمور ١١٩ : ٤٦): "... واتكلم بشهاداتك قدام ملوك"

في أيام بولس كُرز أمام أمراء المدينة الامبراطورية ونبلائها بالانجيل الذي كان سجينا لاجله . وكذلك حدث في هذه المناسبة، اذ أن الانجيل الذي نُهي عن الكرازة به من المنبر نودي به من القصر، وما كان معتبرا انه من غير اللائق أن يصغي اليه الخدم والعبيد أصغى اليه رؤساء الامبراطورية وسادتها بدهشة وإعجاب. وكان المستمعون هم الملوك والعظماء، وكان الامراء المتوجون هم الذين كرزوا بالكلمة، وكانت العظة هي حق الله السامي . وقد قال كاتب: "انه منذ أيام العصر الرسولي لم يكن هنالك عمل أعظم ولا أبدع من هذا الاقرار" (١٧٧).

وقد أعلن أسقف بابوي قائلا: "كل ما قاله اللوثريون حق ولا نستطيع انكاره" وقد وجه آخر هذا السؤال الى الدكتور إك قائلا: "هل يمكنك بواسطة المحاجة المعقولة أن تفند هذا الاقرار الذي قدمه المنتخب وحلفاؤه؟" فجاءه الجواب يقول: "لا يمكن ذلك بالاستناد الى كتب الانبياء والرسل، ولكنه ممكن من وجهة نظر الآباء والمجامع العامة". فعاد السائل يقول: "لقد فهمت من كلامك الآن أن اللوثريين هم داخل الكتب المقدسة أما نحن فخارجها" (١٧٨). [231]

انضم بعض امراء المانيا الى صف معتنقي الايمان المصلح، وأعلن الامبراطور نفسه أن تلك المواد البروتستانتية إنْ هي إلا الحق الصراح . وقد ترجم ذلك الاقرار الى لغات كثيرة، وتداولته أيدي الناس في كل أوروبا، وقبله ملايين الناس مدى الاجيال المتعاقبة على أنه تعبير عن ايمانهم.

ولم يكن عبيد الله الامناء يتعبون وحدهم، فاذ اتحدت ضدهم الرياسات والسلاطين وأجناد الشر

الروحية في السماويات فالرب لم يترك شعبه . فلو فتحت عيونهم لرأوا البرهان على حضور الله ومساعدته كم ا قد رأى ذلك أحد الانبياء في القديم . فاذ وجه خادم أليشع نظر سيده الى الجيش المعادي المحيط بالمدينة والذي قطع عليهم سبيل النجاة صلى النبي قائلا: "يا رب أفتح عينيه فيبصر" (٢ ملوك ٦ : ١٧)، وإذا بالجبل مملوء خيلا ومركبات نار، فلقد جاء جيش سماوي لحراسة رجل الله. وهكذا حرست الملائكة العاملين في الاصلاح وقضيته.

كان بين المبادئ التي حافظ عليها لوثر بكل ثبات وجوب عدم اللجوء الى القوة الزمنية لمساندة الاصلاح وعدم الركون الى السيف دفاعا عنه . وقد ابتهج قلبه وتهلل لان أمراء الامبراطورية قد اعترفوا بالانجيل ،ولكن عندما اقترحوا تكوين حلف دفاعي أعلن أن "عقيدة الانجيل ينبغي أن يدافع عنها الله وحده ... فبقدر ما يقل تدخل الانسان بقدر ما يكون تدخل الله عظيما ومدهشا في صالح الانجيل. وكان يرى ان كل الاحتياطات السياسية كان مبعثها الخوف غير اللائق والشك الخاطئ" (١٧٩).

وعندما اتحد أعداء أشداء لتقويض أركان الايمان المصلح وملاشاته وكانت آلاف السيوف موشكة أن تُسل ضده كتب لوثر يقول: "ان غضب الشيطان قد ثار وهاج، وها هم الباباوات الاشرار يتآمرون ونحن مهددون بالحرب . فانصحوا الشعب أن يناضلوا بكل شجاعة أمام عرش الرب بالايمان و الصلاة حتى اذا انهزم أعداؤنا بقوة روح الرب يُجبرون على أن يجنحوا الى السلام . أن حاجتنا الرئيسية وعملنا [232] الرئيسي هو الصلاة لان الناس يعلمون انهم مهددون بالموت بحد السيف ومهددون بغضب الشيطان؛ فليصّلوا" (١٨٠).

وفي تاريخ متأخر بعد ذلك اذ كان لوثر يشير الى الحلف الذي كان الامراء المصلحون يفكرون فيه أعلن أن السلاح الوحيد المستخدم في هذه الحرب ينبغي أن يكون "سيف الروح". وقد كتب الى منتخب سكسونيا يقول: "ان ضمائرنا لا تسمح لنا بقبول تشكيل ذلك الحلف المقترح، فخير لنا أن نموت عشر مرات من أن نسمح بأن تسفك نقطة دم واحدة في سبيل محاماتنا عن حق الانجيل . ان دورنا هو أن نكون كغنم تساق الى الذبح، وينبغي لنا أن نحمل صليب المسيح . فلا تخف يا صاحب السمو . اننا بصلواتنا سننجز عملا أكثر مما يستطيع أعداؤنا أن يعملوه بمفاخراتهم . انما أحرص على ألا تلوث يديك بدماء اخوتك . فاذا رغب الامبراطور في الالتجاء الى المحاكم فنحن على استعداد لان نحاكم . أنت لا تستطيع أن تدافع عن ايماننا، فعلى كل واحد أن يؤمن على مسؤوليته ويخاطر بنفسه" (١٨١).

فمن معتكف الصلاة جاءت القوة التي هزت العالم بالاصلاح العظيم، اذ هناك بسكون مقدس ثبَّت عبيد الرب أقدامهم على صخرة مواعيده . ففي أثناء الصراع الذي كان محتدما في أوجسبرج "لم يكن يمر على لوثر يوم من دون أن يقضي ثلاث ساعات في الصلاة على الاقل، وكان يختارها من بين أفضل الساعات المكرسة للدرس". ففي خلوته وهو في ح جرته كان يُسمع وهو يسكب نفسه أمام الله بكلام "كله تعبد وخوف ورجاء كما يفعل الانسان وهو يخاطب صديقا له". فكان يقول: "أنا أعلم أنك أنت أبونا والهنا وأنك ستشتت مضطهدي أولادك لانك أنت نفسك مهدد بالخطر معن ا. ان هذه القضية كلها هي قضيتك ونحن لم نقحم أنفسنا فيها الا بارغامك لنا. فأنقذنا اذاً يا أبانا" (١٨٢).

وكتب الى ميلانكثون الذي كاد الجزع والخوف يسحقانه قائلا: "نعمة وسلام في المسيح ! أقول في المسيح لا في العالم . آمين ! اني أمقت مقتا شديدا هذه الهموم الهائلة التيٍ تنتابك وتكاد تلتهمك . فان كانت [233] [234] القضية غير عادلة فاتركها، أما إذا كانت عادلة فما لنا نكذِّب مواعيد ذاك الذي يأمرنا أن ننام بلا خوف ... ان المسيح لن يتوانى عن القيام بهذا العمل الذي هو عمل الحق والعدل. انه حي ويملك، فمن أين يأتينا الخوف؟" (١٨٣).

أصغى الله الى صر خات عبيده . فقد أعطى للامراء والخدام نعمة وشجاعة لحفظ الحق ضد رؤساء

ظلمة هذا الدهر . لقد قال الرب: ”هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذي يؤمن به لن يخزى“ (١ بطرس ٢ : ٦). لقد أقام المصلحون البروتستانت بناءهم على المسيح فلم يمكن لابواب الجحيم أن تق وى عليهم. [235]

الفصل الثاني عشر ـــ الاصلاح الفرنسي

تلت الاحتجاجَ الذي قدم في سبايرز والاقرارَ الذي تُلي في أوجسبرج، اللذين سجلا نصرة الاصلاح في المانيا، سنو صراع وظلام؛ فالبروتستانتية إذ أضعفتها الانقسامات التي وقعت بين معاضديها وهاجمها أعداؤها الاشداء بدت كأنها مقضي عليها بالهلاك . لقد ختم آلاف من الامناء شهادتهم بدمائهم، ثم اشتعلت نار حرب أهلية، واعلنت خيانة أحد معاضدي القضية البروتستانتية المشهورين، كما سقط أشرف الامراء المصلحين بين يدي الامبراطور وكانوا يُسحبون كالاسرى من مدينة الى اخرى . لكنّ الامبراطور في لحظة انت صاره الظاهري أصابته الهزيمة .لقد رأى الفريسة تغتصب من قبضته وأجبر أخيرا على التسامح مع التعاليم التي كان طيلة حياته يطمع في ملاشاته ا. لقد جازف بمملكته وأمواله وحياته نفسها لكي يسحق الهرطقة، أما الآن فها هو يرى جيوشه تُباد في المعارك وأمواله تتبدد وتذهب ضي اعا، وممالكه الكثيرة تنذر بالثورة، بينما الايمان الذي حاول عبثا أن يكبته ويخمده ينتشر في كل مكان . كان شارل الخامس يحارب ضد قوة الله القاهرة . لقد قال الله: "ليكن نور"، لكنّ الامبراطور كان يحاول أن يبقي الظلمة جاثمة في الصدور والاذهان، وقد اخفقت كل مقاصده . وعندما بلغ سن الشيخوخة قبل الاوان إذ كان مضني القلب [236] والجسم من هول المعارك الطويلة تنازل عن العرش ودفن نفسه في دير حيث قضى باقي أيام حياته التعسة.

وكما كانت الحال في المانيا كذلك مرّتْ على الاصلاح في سويسرا ليال سود، ففي حين ان مقاطعات كثيرة قبلت الا يمان المصلح فقد ظلت المقاطعات الاخرى متمسكة بعقيدة روما في اصرار اعمى . فكان من نتائج اضطهادهم مَن رغبوا في قبول الحق أن قامت حرب أهلية، وسقط زوينجلي وكثيرون ممن اتحدوا معه صرعى في ساحة القتال بمدينة كابل . واذ انسحقت روح ايكولامباديوس بسبب هذه الكوارث مات بعد ذلك بقليل . وانتصرت روم ا ،وفي أماكن كثيرة بدت كأنها ستسترجع كل ما قد خسرته . لكنّ ذاك الذي مشوراته منذ الازل لم يترك عمله ولا شعبه . فان يده تأتيهم بالخلاص وقد اقام في بلدان اخرى فعلة وعمالا يضطلعون بالاصلاح ويسيرون به قُدما.

ففي فرنسا كان نور النهار قد ا نبثق قبلما اشتهر لوثر كمصلح. وكان أول من أشرق عليهم النور رجلاً شيخاً يدعى ليففر، وكان رجلاً متبحرا في العلم وأستاذاً في جامعة باريس، وكان أحد البابويين الغيورين المخلصين . ففيما كان ينقب في كتب الادب القديم استرعى الكتاب المقدس انتباهه، فقدمه الى تلاميذه ليدرسوه.

وكان ليففر من مكرِّمي القديسين المتحمسين، فبدأ بإعداد تاريخ للقديسين والشهداء كما هو مدون في أساطير الكنيسة، وكان هذا العمل يتطلب تعبا عظيما وجهدا كبير ا. واذ كان قد قطع فيه شوطا بعيدا اذا به يفكر في الاستعانة بالكتاب المقدس، فبدأ بدرسه و نصب عينيه هذا الغرض، فرأى القديسين في الكتاب في صورة أخرى غير ما صوَّره التقويم الكاثوليكي . وحينئذ أشرق على ذهنه فيض من النور الالهي . ففي ذهول واشمئزاز كف عن ذلك العمل الذي كان قد عينه لنفسه، وكرس ذاته ووقته لكلمة الله . وقد بدأ يعلم بتلك الحقائق الغالية الثمينة التي اكتشفها. [237]

مصلحان يعلنان الحق

وفي عام ١٥١٢ ، قبلما بدأ لوثر أو زوينجلي عمل الاصلاح، كتب ليففر يقول: "ان الله هو الذي يمنحنا بالايمان ذلك البر الذي بالنعمة وحدها يبرر للحياة الابدية" (١٨٤). واذ كان يتأمل في أسرار الفداء صاح قائلا: "ما أعظم تلك المقايضة التي لا توصف ! فالبار قد دين والمجرم اطلق حرا، المبارك يحمل اللعنة والملعون ينال البركة، معطي الحياة يموت والموتى يحيون، المجد يغوص في الظلام وذاك الذي لم يعرف غير خزي الوجوه يتسربل بالمجد" (١٨٥).

وفيما كان يعلِّم ان مجد الخلاص ينسب الى الله وحده أعلن أيضا ان الطاعة واجبة على الانسان . قال: "اذا كنت عضوا في كنيسة المسيح فأنت عضو في جسده، فان كنت عضوا في هذا الجسد فأنت اذاً ممتلئ بالطبيعة الالهية ... آه لو أمكن أن يدرك الناس هذا الامتياز فكم كانوا يعيشون حياة الطهارة والعفاف والقداسة، كم كانوا ينظرون باحتقار الى مجد هذ ا العالم بالمقارنة مع المجد الذي في داخلهم، ذلك المجد الذي لا تستطيع أن تراه عيون البشر!" (١٨٦).

وقد وُجد بين طلبة ليففر جماعة كانوا يصغون إلى أقواله بشوق ولهفة، طلبة كانوا سيواظبون على اعلان الحق بعد ان يصمت صوت استاذهم . وقد ك ان وليم فارِل واحدا من هؤلاء . هذا الطالب، اذ كان ابنا لابوين تقيين وقد تربى على قبول تعاليم الكنيسة بايمان وطيد، كان يسعه أن يقول ما قاله بولس الرسول: "حسب مذهب عبادتنا الاضيق عشت فريسيا" (أعمال ٢٦ : ٥). ولما كان كاثوليكيا قحا التهب قلبه غيرة لاهلاك كل من يج رؤ على مقاومة الكنيسة . وقد قال بعد ذلك وهو يشير الى هذه الفترة من حياته: "كنت أصر بأسناني كذئب ضار حين كنت أسمع انسانا يتكلم بالسؤ ضد البابا" (١٨٧). وكان دائبا في تمجيد القديسين بجهد لا يكل حين كان يصحب ليففر في جولاته لزيارة كنائس باريس، فيسجد أمام المذبح ويزين المزارات المقدسة بالهداي ا. لكنّ هذه الفرائض لم تستطع أن تمنح نفسه السلام، فقد لازمه تبكيت شديد على خطاياه بحيث [238] ان كل الاعمال التكفيرية التي مارسها لم تُبعد عنه ذلك التبكيت . وقد أصغى الى أقوال المصلح كما لو كانت صوتا جاءه من السماء حين قال: "ان الخ لاص هو بالنعمة... لقد دين البريء أما المجرم فأطلق سراحه ... وصليب المسيح وحده هو الذي يفتح أبواب السماء ويغلق أبواب الجحيم" (١٨٨).

وبفرح عظيم قبل فارل هذا الحق . فاذ كان اهتداؤه كاهتداء بولس تحول بعيدا من عبودية التقاليد الى حرية أولاد الله . وهو يقول: "بدلا من القلب الفتاك لذئب مفترس عاد بهدوء حملا وديعا عديم الاذى اذ انسحب قلبه بعيدا من البابا وأعطي ليسوع المسيح" (١٨٩).

اقبال شديد على الانجيل

ظل ليففر ينشر النور بين طلبته ، أما فارل فإذ كان غيوراً في ما يختص بالمسيح كما كان في قضية البابا خرج ليشهد للحق علانية . هذا، وأن أحد أحبار الكنيسة وهو أسقف مو سرعان ما انضم اليهم . كما أن معلمين آخرين ذوي مراكز سامية ومقدرة وعلم انضموا اليهم في المناداة بالانجيل، وقد حصل الانجيل على مهتدين اعتنقوا الايمان من كل الطبقات، من بيوت الصناع والفلاحين الى قصر الملك . فقبلت أخت فرنسيس الاول ملك فرنسا الايمان المصلح. والملك نفسه والملكة الام بدا في ذلك الحين أنهما يقبلان

الانجيل قبولا حسنا. وبآمال عالية تطلع المصلحون الى الامام، الى الوقت الذي فيه تُربح فرنسا للانجيل.

لكنّ آمالهم لم تكن لتتحقق . فلقد كانت التجارب والاضطهادات تنتظر تلاميذ المسيح .غير أن الله في رحمته أخفى كل ذلك عنهم . وقد تخللت ذلك فترة سلام حتى يتشددوا لمواجهة العاصفة وينجح الاصلاح ويتقدم تقدما سريعا. لقد تعب أسقف مو وبذل جهودا كبيرة في أسقفيته في تعليم رجال الكهنوت والشعب أيضا. وعزل الكهنة الجهلة الفاسدين وبقدر المستطاع نصب في مكانهم رجالا ذوي علم وتقوى . وكان الاسقف يرغب كل الرغبة في أن [239] يقترب شعبه من كلمة الله بانفسهم فتحقق ذلك سريعا. لقد عكف ليففر على ترجمة العهد الجديد، وفيما كان كتاب لوثر الالماني يخرج من المطبعة في وتنبرج نُشر العهد الجديد الفرنسي في مو . ولم يدخر الاسقف جهدا ولا مالا في سبيل نشر الكتاب في أبروشياته، وسرعان ما حصل الفلاحون في مو على الكتاب المقدس.

وكما يتلهف المسافرون، المشرفون على الموت عطشا، على نبع ماء حي ويستقبلونه بفرح عظيم كذلك استقبلت هذه النفوس رسالة السماء. فالفعلة في الحقول والصناع في ورش العمل كانوا يتسلون بذكر حقائق الكتاب المقدس الثمينة وهم فرحون . وفي المساء بدلا من ارتياد الحانات كانوا يجتمعون في بيوت اخوتهم ليقرأوا كلمة الله ويشتركوا معا في الصلاة والتسبيح. وقد شوهد تغيير عظيم في هذه المجتمعات . فمع أنهم كانوا من أفقر الطبقات ومن الفلاحين الكادحين وغير المتعلمين فقد شوهدت قوة النعمة الالهية المصلحة التي تسمو بالنفس في حياتهم . فاذ كانوا متواضعين ومحبين وقديسين وقفوا شهودا لما يستطيع الانجيل أن يفعله في حياة من يقبلونه باخلاص.

هذا، وان النور الذي أشرق في مو أرسل أشعته الى أماكن بعيدة . ففي كل يوم كان يزداد عدد المتجددين . أما غضب حكومة البابا فكان قد أوقف عند حده الى حين بفضل جهود الملك الذي كان يحتقر تزمت الرهبان وتعصبهم . لكنّ الرؤساء البابويين انتصروا في النهاية. وها هي آلات الاعدام تُنصب . فاذ اجبر أسقف مو على أن يختار إما الحرق بالنار أو التراجع أختار أسهل الامرين، ولكن على الرغم من سقوط الراعي فقد ظل قطيعه ثابتا. وشهد كثيرون للحق والنار تلتهم أجسامهم . ان هؤلاء المسيحيين الفقراء، بشجاعتهم وولائهم، تحدثوا الى الوف من الناس الذين لم يسبق لهم أن سمعوا شهادتهم في أيام السلام. [240]

نبيل يحمل الشعلة

ولم يكن المحتقَرون والفقراء وحدهم هم الذين تجرأوا على أن يشهدوا للمسيح في وسط الآلام والاحتقار . ففي قلاع الاشراف وفي قصر الملك كانت توجد نفوس ملكية تقدر الحق أكثر من تقديرها الثروة والمراكز، وحتى الحياة نفسها. كان سلاح المُلك يخفي تحته روحا أعلى وأثبت مما يخفي رداء الاسقف وتاجه.

كان لويس دي بركين من أصل عريق، فارسا شجاعا ولطيفا كرس وقته للدرس، ومهذبا في عاداته وبلا لوم في اخلاقه وآدابه . وقد قال عنه أحد الكتَّاب: "لقد كان تابعا أمينا للشرائع البابوية ومواظبا على حضور القداسات والاستماع الى العظات ... وقد توج كل فضائله الاخرى ببغضه لمبادئ لوثر ومقته اياها مقتا شديدا". ولكن اذ قادته عناية الله الى الكتاب المقدس ككثيرين غيره من الناس فقد أدهشه أن يرى فيه "لا تعاليم روما بل تعاليم لوثر" (١٩٠). فمنذ ذلك الحين كرس نفسه تكريسا كاملا لقضية الانجيل.

كان "أعظم عالم بين نبلاء فرنسا"، وان ذكاءه وفصاحته وشجاعته التي لا تُقهر وغيرته وبسالته،

ونفوذه في البلاط الملكي لانه كان من أعز أصدقاء الملك كل ذلك جعل كثيرين يعتقدون أنه سيكون مصلح البلاد . وقد قال بيزا: "كان في وسع دي بركين أن يكون لوثر الثاني لو كان الملك فرنسيس الاول شبيها بمنتخب سكسونيا". وقد صاح البابويون قائلين: "انه شر من لوثر" (١٩١). وفي الحق ان الكاثوليك في فرنسا كانوا يخافونه أكثر من خوفهم لوثر، فألقوه في السجن بتهمة كونه هرطوقيا، لكنّ الملك أطلق سراحه . وظل الصراع محتدما عدة سنين، واذ كان الملك فرنسيس يتأرجح بين روما والاصلاح كان أحياناً يتسامح مع الرهبان وأحياناً يكبح غيرتهم العنيفة . وقد سجنت السلطات البابوية دي بركين ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يُطلق س راحه بأمر الملك الذي [241] إذ كان معجباً بذكائه ونبوغه ونبل أخلاقه رفض أن يتركه ضحية لخبث حكومة البابا وضغائنها.

أما دي بركين فقد أنذر مرارا بالخطر الذي كان يتهدده في فرنسا، وألح عليه أصدقاؤه أن يتأثر خطوات الذين وجدوا النجاة في النفي الاختياري. فاراسمس المتهيب المساير للظروف، الذي مع علمه ولوذعيته العظيمة أخفق في الوصول الى تلك العظمة والسمو الخلقي الذي يجعل الحياة والشرف خادمين للحق، كتب الى دي بركين يقول: "أُطلب أن يرسلوك سفيرا في دولة أجنبية. اذهب وسافر في أنحاء المانيا. أنت تعرف بيدا، ورجل مثله هو تنين ذو ألف رأس ينفث سمومه في كل مكان . ان أعداءك يُسمّون لَجِئون . ولو ان قضيتك أفضل من قضية يسوع المسيح فلن يتركوك تفلَت بل سيفتكون بك فتكا ذريعا. لا تمعن في الثقة بحماية الملك . وعلى كل حال لا تعرضني للخطر مع كلية اللاهوت" (١٩٢).

المخاطر تتكاثر

ولكن اذ تكاثرت المخاطر وتفاقمت الاهوال زادت غيرة دي بركين وقوته. فبدلا من اتباع مشورة إراسمس السياسية المنطوية على خدمة الذات، عزم على اتخاذ اجراءات أعظم جرأة . ولم يقنع بالدفاع عن الحق بل هاجم الضلالات . فتهمة الهرطقة التي حاول الكاثوليك أن يلصقوها به ألصقها هو بهم . وقد كان ألد أعدائه وأنشطهم هم الاساتذة المثقفون ورهبان القسم اللاهوتي في جامعة باريس العظيمة التي كانت من أسمى المراجع الاكليريكية في المدينة وفي الامة . وقد استخلص دي بركين من كتب أولئك العلماء اثنتي عشرة قضية جاهر بانها "مخالفة للكتاب المقدس وهرطوقية"، والتمس من الملك أن يكون حكما في ذلك الصراع.

واذ لم يكن الملك ينفر ابراز قوة أولئك المناضلين وذكائهم، بل فرح لان الفرصة قد سنحت له لاذلال كبرياء أولئك الرهبان المتعجرفين، أمر الكاثوليك أن [242] يدافعوا عن قضيتهم ببراهين من الكتاب المقدس . كانوا يعرفون جيدا أن هذا السلاح لن يفيدهم كثيرا، أما السجن والتعذيب والحرق بالنار فكانت هي الاسلحة التي عرفوا جيدا كيف يحسنون استخدامها. والآن فها هي الدائرة تدور عليهم اذ رأوا أنفسهم موشكين على السقوط في الهوة التي كانوا يحاولون إسقاط دي بركين فيها. ففي حيرتهم وذهولهم جعلوا يتلفتون حولهم طلبا للنجاة

"في ذلك الوقت نفسه شوهد تمثال للعذراء في زاوية أحد الشوارع مشوها ومبتورا"، فحدث شغب عظيم في المدينة . وتقاطرت جماهير الناس الى ذلك المكان وهم يعبرون عن حزنهم وغضبهم. وكذلك الملك تأثر تأثرا عميقا. وصاحوا قائلين: "هذه هي ثمار تعاليم دي بركين" ثم قالوا: "ان كل شيء مصيره الى الدمار — الدين والشرائع والعرش نفسه — بسبب مؤامرة لوثر" (١٩٣).

وقُبض على دي بركين مرة أخرى . أما الملك فانسحب من باريس، وهكذا تُركت للرهبان الحرية

لاتمام أغراضهم . فحوكم هذا المصلح وحكم عليه بالموت، وحتى لا يتدخل فرنسيس لانقاذه نُفذ فيه حكم الموت في يوم النطق بالحكم نفسه. ففي ظهر ذلك اليوم سيق إلى ساحة الاعدام حيث اجتمعت جموع كثيرة لمشاهدة ذلك الحدث . وكثيرون رأوا بدهشة وتشاؤم ان هذه الضحية قد اختيرت من بين أفضل وأشجع الاسر النبيلة في فرنسا. وقد غشيت وجوه تلك الجموع الصاخبة سحب الذهول والغضب والاحتقار والكراهية المرة . لكنّ وجها واحدا كان صافيا لم يعكره شيء . لقد طارت أفكار ذلك الشهيد بعيدا من منظر ذلك الشغب فلم يكن يحس بغير حضور سيده وربه.

صمت دي بركين

لم يلتفت الى العربة التعسة التي ركب فيها ولا الى نظرات التجهم والعبوس التي كان يوجهها اليه مضطهدوه، ولا الى الموت المخيف الذي كان ماضيا اليه . فهذه لم يكترث لها، لكنّ ذاك الحي الذي كان ميتا وهو حي [243] الى أبد الآبدين والذي له مفاتيح الهاوية والموت كان واقفا الى جواره . كان وجه دي بركين يتألق بنور السماء وسلامها. وكان قد لبس ثيابا فاخرة، اذ ارتدى معطفا من المخمل وصديريا من الاطلس والدمقس وجوربا ذهبيا" (١٩٤). كان مزمعا أن يشهد لايمانه في محضر ملك الملوك وسكان المسكونة المشاهدين، وما كان ينبغي أن تظهر علامة من علائم الحزن لتكذب فرحه أو تعكره.

واذ كان الموكب يسير ببطء في الشوارع المزدحمة لاحظ الناس بدهشة السلام الصافي والنصرة الفرحة في نظراته وهيئته، فقالوا: "انه يشبه انسانا جالسا في هيكل يتأمل في الامور المقدسة" (١٩٥).

وعندما جيء به الى مكان الاعدام حاول دي بركين أن يخاطب الشعب قليلا، ولكن اذ كان الرهبان يخشون مغبة ذلك بدأوا يصيحون وبدأ الجنود يصلون أسلحتهم فلم يستطع أحد أن يسمع صوت الشهيد . وهكذا ففي عام ١٥٢٩ قامت أعلى السلطات الادبية والاكليريكية لمدينة باريس المهذبة المثقفة "باعطاء غوغاء [الثورة الفرنسية] في العام ١٧٩٢ مثالا دنيئا عن كيفية اسكات أصوات المحتضرين المقدسة وهم على المشنقة" (١٩٦).

وقد شُنق دي بركين وأحرقت جثته في النار . فكان خبر موته محزنا لاصدقاء الاصلاح في فرنسا كله ا. لكن مثاله لم يذهب ضياع ا. فلقد قال شهود الحق: "اننا نحن أيضا على أتم استعداد لمواجهة الموت بفرح ونحن ناظرون الى الحياة الآتية" (١٩٧).

وفي أثناء الاضطهاد الذي وقع في مو حُرم معلمو الايمان المصلَح من الترخيص المعطى لهم للتبشير فرحلوا الى حقول اخرى . وبعد قليل سافر ليففر الى الماني ا. أما فارل فعاد الى مسقط رأسه في شرقي فرنسا لينشر النور حيث قضى سني طفولته . وكانت قد وصلت الى هناك أخبار عن الاحداث الجارية في مو، فوجد الحق الذي علَّم به المصلِح بغيرة لا تعرف الخوف مَن يستمعون اليه . ولكن سرعان ما ثارت السلطات لاسكاته فنفي من المدينة. [244]

ومع أنه لم يعد في مقدوره ان يخدم جهارا فقد جال في الارياف والقرى معلما الناس في مساكنهم الخاصة ومراعيهم المنعزلة، وكان يأوي الى الغابات والكهوف المنقورة في الصخور التي كان يلجأ إليها في حداثته . وكان الله يُعدّه لتجارب اقسى . وقد قال مرة: "ان ا لصلبان والاضطهادات ودسائس الشيطان التي سبق أن أنذرت بها كان يوجد منها الشيء الكثير، وهي أقسى من أن استطيع احتمالها من تلقاء نفسي، لكنّ الله هو أبي فلقد أمدني بالقوة التي أحتاج اليها وهذا هو ما يصنعه بي دائما" (١٩٨).

وكما حدث في أيام الرسل كذلك حدث حينئذ أن الاضطهادات "آلت أكثر الى تقدم الانجيل" (فيلبي ١

: ١٢). فاذ طردوا من باريس ومو "فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة" (أعمال ٨ : ٤). وهكذا شق النور لنفسه طريقا في كثير من مقاطعات فرنسا النائية.

الله يعد كلفن

لقد كان الله لا يزال دائب ا في اعداد عمال لينشروا رسالته . ففي احدى مدارس باريس كان يوجد شاب مفكر هادئ، وكان قد سبق فأقام البرهان على أن له عقلا ثاقبا جبارا، كما كانت حياته أيضا بلا لوم كشأنه في غيرته وذكائه وتعبده الديني . وسرعان ما جع له نبوغه ومثابرته مفخرة الكلية، وكان كثيرون يؤملون بكل ثقة أن جون كلفن سيصير من أقدر الرجال وأكرمهم في الدفاع عن الكنيسة . لكنّ شعاعا من نور الله اخترق جدران الفلسفة الاسكلائية والخرافات التي كان كلفن محبوسا ضمنها. وقد اقشع ر بدنه عندما سمع عن التعاليم الجديدة، ولم يكن يشك في أن الهراطقة يستحقون الحرق بالنار التي اكتووا به ا. ومع ذلك فقد جمعته الصدفة وجها لوجه أمام الهرطقة وأرغم على اختبار قوة اللاهوت الكاثوليكي في مبارزة التعليم البروتستانتي. [245]

جاء الى باريس أحد أبناء عمه، وكان قد انضم الى المصلحين فاجتمع ذانك القريبان معا وكانا يتباحثان في تلك المسائل التي اربكت العالم المسيحي . فقال أوليفيتان البروتستانتي: "لا توجد في العالم غير ديانتين، احداهما من اختراع الناس وفيها يخلص الانسان نفسه بالطقوس والاعمال الصالحة، أما الاخرى فهي تلك المعلنة في الكتاب المقدس والتي تعلم الإنسان ان ينتظر الخلاص بنعمة الله المجانية وحدها".

فصاح كلفن يقول: "شأن لي بتعاليمك الجديدة هذه . أفتظن أنني قد عشت في الضلال كل أيامي؟" (١٩٩).

تحت تأثير الحق

ولكن استيقظت ف ي عقله أفكار لم يقو على طردها بعيدا منه بارادته . فاذ كان منفردا في حجرته جعل يتأمل في ما قاله له ابن عمه . وقد لازمه تبكيت شديد على خطيئته فرأى نفسه ولا شفيع له وهو ماثل في حضرة الديان القدوس العادل . ان شفاعة القديسين والاعمال الصالحة وطقوس الكنيسة عجزت كله ا عن التفكير عن الخطيئة . ولم يكن يرى أمامه سوى قتام اليأس الأبدي. وعبثاً حاول أحبار الكنيسة أن يُخففوا عنه ويله وشقاءه . وعبثاً لجأ الى الاعتراف والاعمال التكفيرية إذ لم تُصلح بينه وبين الله.

وفيما كان كلفن لا يزال مشتبكا في تلك المصارعات التي لا جدوى منها اتفق له أن ذهب لزيارة أحد الميادين العامة في أحد الايام، فرأى هناك هرطوقيا يموت احتراق ا. وقد أدهشه السلام الذي كان يراه مرتسما على وجه ذلك الشهيد . ففي وسط عذابات ذلك الموت الرهيب، وهو واقع تحت دينونة الكنيسة التي هي أرهب من العذاب والموت، أبدى ذلك الشهيد شجاعة وايمانا راح ذلك الطالب الشاب يوازن بينهما وبين يأسه وظلمته بألم وانسحاق مع حرصه الشديد على اطاعة أوامر [246] الكنيسة بكل صرامة . وقد علم كلفن ان ايمان الهراطقة كان يستند الى الكتاب المقدس، فعقد العزم على دراسته حتى يكتشف، إذا أمكن، سر فرحهم.

وفي الكتاب وجد المسيح . فصاح يقول: "أيها الآب، ان ذبيحته قد أسكتت غضبك، ودمه طهرني من كل نجاساتي . وعلى اصليب حمل اللعنة عني، وموته كفر عن ذنوبي . لقد ابتكرنا لانفسنا كثيرا من الجهالات العاطلة، لكن ك وضعت كلمتك أمامي كسراج، وقد لمست قلبي حتى اعتبر كل استحقاق آخر غير استحقاقات يسوع رجاسة" (٢٠٠).

كان كلفن قد تعلّم لكي يدخل الخدمة الكهنوتية . فاذ كان في الثانية عشرة من العمر الحق في خدمة كنيسة صغيرة وقد حلق له الاسقف رأسه حسب قانون الكنيسة . لكنه لم يُرس م ولم يقم بواجبات الكاهن بل حُسب عضوا بين رجال الاكليروس، وكان يحتفظ بلقب وظيفته ويتقاضى مرتبا عنها.

أما الآن، وقد أحس انه لن يمكنه أن يصير كاهنا، فقد عكف على دراسة القانون بعض الوقت، لكنه أخيرا ترك تلك الدراسات وعقد العزم على تكريس حياته للانجيل . غير أنه تردد في أن يكون معلما للشعب . لقد كان خجولا بطبيعته وقد ثقل على نفسه عبء مسؤولية تلك الوظيفة، وكان يرغب في تكريس نفسه للدرس . أخيرا انتصرت عليه توسلات أصدقائه فقبل القيام بذلك العمل . قال: "انه أمر مدهش ان إنسانا وضيع الاصل يتبوأ هذا المركز الرفيع العظيم" (٢٠١).

كلفن يبدأ عمله

بدأ كلفن عمله بكل هدوء، فكان كلامه كالندى المتساقط على الارض اليابسة لاحيائه ا. كان قد ترك باريس وانطلق الى مدينة اقليمية تحت حراسة الاميرة مرغريت التي اذ كانت تحب الانجيل بسطت حمايتها على تلاميذه . كان كلفن لا يزال حدثا رقيق الع ادات وبسيط المظهر . وقد بدأ عمله بين الشعب في بيوتهم . فاذ كان أفراد العائلة يجتمعون حوله كان يقرأ الانجيل [247] ويكشف لهم عن حقائق الخلاص . فالذين سمعوا الرسالة نقلوا تلك الاخبار السارة الى الآخرين، وسرعان ما انتقل ذلك المعلم تاركا تلك المد ينة الى المدن والقرى المنعزلة . وكان يجد الباب مفتوحا أمامه الى القلاع والاكواخ على السواء، وكان يتقدم ليضع أساسات كنائس كانت ستخرج شهودا للحق لا يهابون الموت.

وبعد أشهر قليلة عاد الى باريس . وكان هناك اهتياج غير عادي بين العلماء والأساتذة. فدراسة اللغات القد يمة قادت الناس إلى الكتاب المقدس، وكثيرون ممن لم تتأثر قلوبهم من قبل بحقائقه جعلوا بكل شوق يتباحثون فيها، بل كانوا يحاربون المناضلين عن الكاثوليكية . أما كلفن فمع كونه ضليعا وفارسا لا يُشق له غبار في ميادين المجادلات اللاهوتية فقد كانت لديه رسالة أسمى يتممه ا غير ما كان لاولئك الفلاسفة الكثيري الصخب والمشاغبات . كانت عقول الناس قد استيقظت، فكان هذا هو الوقت المناسب الذي يُكشف لهم فيه الحق . ففي حين كانت قاعات الجامعات تسودها ضجة المجادلات اللاهوتية، كان كلفن يتنقل من بيت الى بيت وهو يفسر الكتاب المقدس للشعب ويح دثهم عن المسيح وإياه مصلوباً.

اشراق النور في باريس

اقتضت عناية الله أن تقدم الى مدينة باريس دعوة اخرى لقبول الانجيل. لقد رفضت دعوة ليففر وفارل، لكنّ كل الناس من كل الطبقات في تلك العاصمة كانوا سيسمعون الرسالة من جديد . أما ا لملك فاذ كان متأثرا باعتبارات سياسية لم يكن ينحاز الى روما تماما ضد الاصلاح . وأما مرغريت فكانت لا تزال

متشبثة بالامل في أن البروتستانتية ستنتصر في فرنسا. فعزمت على أن تأمر بالكرازة بالعقيدة المصلحة في باريس . ففي أثناء غياب الملك أمرت خادما بروتستانتيا بان يبشر في كنائس العاصمة . واذ منعت السلطات البابوية هذا فتحت الاميرة أبواب القصر على سعته ا. فأعدت حجرة كبيرة لتكون قاعة للإجتماعات، وأعلن أنه في ساعة معينة من كل يوم [248] ستلقى عظة، ودُعي الناس من كل الطبقات والمراكز للحضور، فتق اطرت جماهير الشعب لحضور الخدمة . واذ ضاقت القاعة بجماهير الشعب تجمَّع الناس في غرف الانتظار والردهات . وكانوا يجيئون الى هناك كل يوم بالالوف، منهم النبلاء والساسة والمحامون والتجار والصناع . وبدلا من أن يمنع الملك هذه الاجتماعات فقد أمر بفتح كنيستين من كنائس باريس. ولم يسبق لتلك المدينة أن تأثرت بكلمة الله كما حدث حينئذ . وقد بدا وكأن روح الحياة قد نزل من السماء ليرف على ذلك الشعب . كما حلت القناعة والزهد والطهارة والنظام والجد والعمل مكان السكر والخلاعة والمنازعات والخصومات والبطالة.

لكنّ الاحبار البابويين لم يقفوا مكتوفي الايدي . كان الملك لا يزال يرفض التدخل لايقاف الكرازة فاتجهت السلطات الدينية الى الشعب، ولم تدّخِّر وسيلة لإثارة مخاوف الجموع الجهلة المتعلقين بالخرافات وتعصبهم . واذ خضعت باريس في جهلها لمعلميها الكذبة فانها كاورشليم في القديم لم تعرف زمان افتق ادها ولا ما هو لسلامه ا. ودام التبشير بكلمة الله في العاصمة . سنتين، و مع ان كثيرين قبلوا الانجيل فان الاكثرية الساحقة من الشعب رفضوه . وكان فرنسيس الاول قد تظاهر بالتسامح لكي يخدم اغراضه، فافلح البابويون في استعادة سيادتهم. ومرة أخرى أغلقت الكنائس وأعدت النار لحرق الهراطقة.

كان كلفن لا يزال في باريس يعدّ نفسه بالدرس والتأمل والصلاة لعمله وخدماته العتيدة . ومن فرط مواظبته على نشر النور حامت حوله الشكوك . وقد حاولت السلطات أن تحرقه بالنار . وكان يظن نفسه في معتكفه في منأى عن الخطر، واذا ببعض اصدقائه يهرولون مسرعي ن اليه ليخبروه بان بعض الضباط هم في طريقهم اليه ليلقوا القبض عليه . وفي تلك اللحظة سُمع قرع عنيف على الباب الخارجي . ولم تبق لديه برهة واحدة ليضيعه ا. وقد أبقى بعض أصدقائه أولئك الضباط واقفين على الباب في حين ساعد آخرون على انزال المصلح من إحدى النوافذ، فأسرع خارجا الى أطراف المدينة . وقد لجأ الى كوخ عامل من أصدقاء الاصلاح فتنكر بثياب مضيفه ووضع فأسا على كتفه واستأنف رحلته. واتجه في سيره نحو الجنوب لاجئاً الى أملاك مرغريت مرة أخرى (٢٠٢). [249]

تحت حماية الاصدقاء

ظل في ذلك المكان بضعة أشهر تحت حماية أصدقاء أشداء، وش غل في الدرس كما فعل من قبل ذلك . لكنه كان قد آل على نفسه أن يبشر فرنسا، ولذلك لم يستطع أن يظل عاطلا وقتا طويلا . فحالما خفت شدة العاصفة قليلا ذهب يبحث عن حقل جديد للخدمة في بواتييه التي تضم جامعة وحيث كان الناس قد بدأوا يعتنقون الآراء الجديدة ويقبلونه ا. وكان أناس من كل الطبقات يصغون الى رسالة الانجيل بفرح . لم يكن التبشير علنيا بل كان يعقد الاجتماع في بيت كبير القضاة، في محل اقامته، واحياناً في أحد المتنزهات . وكان كلفن يشرح كلام الحياة الابدية لكل من رغبوا في سماع أقواله . وبعد وقت اذ زاد عدد السامع ين ارتُئي أن يجتمعوا خارج المدينة لضمان سلامتهم . وكان يوجد كهف في جانب ممر عميق ضيق حولته الاشجار والصخور المشرفة الى معتكف محجوب عن العيون، فاختاروه ليعقدوا فيه اجتماعاتهم . وكانوا جماعات صغيرة متخذين طرقا مختلفة . في هذه البقعة المنعزلة كان الك تاب المقدس يُقرأ ويُشرح .في هذا

المكان مارس البروتستانت فريضة العشاء الرباني لاول مرة في فرنس ا. ومن هذه الكنيسة الصغيرة خرج كثيرون من المبشرين الامناء.

ومرة أخرى عاد كلفن الى باريس . كان لا يزال متعلقا بهذا الامل وهو ان فرنسا كأمة ستقبل الاصلاح . لكنه وجد كل باب من أبواب العمل مغلقا تقريب ا. فكونه يعلّم الناس الانجيل معناه انه يسير في اقصر الطرق الى الموت احتراقا، ولذلك قرر أخيرا أن يرحل الى الماني ا. وما أن ترك فرنسا حتى هبت على البروتستانت عاصفة هائلة بحيث أنه لو بقي لكان مصيره القتل كغيره.

ان المصلحين ا لفرنسيين اذ كانوا يتوقون الى ان يروا بلادهم سائرة قدما في طريق الاصلاح كالمانيا وسويسرا عولوا على أن يضربوا ضربة جريئة ضد خرافات روما توقظ الامة كله ا. ولذلك فقد كُتبت اعلانات في ليلة واحدة [250] تهاجم القداس وأرسلت بالبريد الى كل انحاء فرنس ا. لكنّ هذه الحركة الغيورة والطائشة في الوقت نفسه بدلا من أن تعمل على تقدم الاصلاح جلبت الدمار ليس على مروجيها فحسب بل على كل أصدقاء الاصلاح في كل أرجاء فرنس ا. فلقد أعطت البابويين ما كانوا يبتغونه، أي حجة لطلب اهلاك الهراطقة هلاكا تاما لكونهم مهيجين خطرين على استقرار العرش وسلام الامة.

وبيد خفية ـــ لم يُعلم اذا كانت يد صديق طائش أو عدو محتال ـــ ألصق أحد الناس تلك الاعلانات على باب مقصورة الملك الخاصة . وقد امتلأ قلب الملك رعب ا. ففي هذا الاعلان هاجمت يد قاسية الخراف ات التي ظل الناس يوقرونها اجيالا طويلة . وهذه الجرأة التي لا مثيل لها، جرأة التطفل بهذه الاقوال الصريحة المفزعة في حضرة الملك، أثارت غضبه. ففي ذهوله ظل بعض الوقت مرتعدا وهو صامت وحينئذ عبر عن اهتياجه وغضبه بهذه الكلمات: "ليقبض على كل من يُشك في أنهم لوثريون من دون تمييز . اني سأستأصلهم جميعا" (٢٠٣). وهكذا قُضي الامر اذ عزم الملك على أن يلقي بنفسه الى جانب روما.

حكم ارهابي

اتخذت الاجراءات في الحال للقبض على كل اتباع لوثر في باريس . وكان صانع فقير من معتنقي الايمان المصل ح معتادا أن يدعو المؤمنين لحضور الاجتماعات التي كانت تعقد في الخفاء، فقبض عليه وهُدد بالقتل في الحال حرقا بالنار اذا لم يرشد مبعوث البابا الى بيت كل بروتستانتي في المدينة . فارتجف رعبا أمام ذلك الاقتراح الدنيء، لكن خوفه من الموت احتراقا انتصر عليه في النها ية فرضي بان يسلّم اخوته .فسار الخائن مع مورين المخبر السري الملكي، وحولهما جماعة من الكهنة وحاملي المباخر والرهبان والجند، في شوارع المدينة . كان القصد من هذه المظاهرة ظاهريا تكريم "القربان [251] المقدس"، والتكفير عن الاهانة التي لحقت بذبيحة القد اس من البروتستانت، ولكن كان يختفي خلف هذا المهرجان قصد مهلك مميت . فلدى وصولهم مقابل بيت أحد اللوثريين كان الخائن يومئ خفية، فيتوقف الموكب ويدخل الاعداء البيت، ويسحبون أفراد العائلة ويكبلونهم بالقيود . وكانت تلك الجماعة الرهيبة تتقدم الى الا مام بحثا عن ضحايا جديدة. "انهم لم يُبقوا على بيت واحد عظيما كان أو صغيرا، حتى كليات جامعة باريس ... لقد أرعب مورين المدينة كلها ... كان ذلك الحكم حكم الارهاب" (٢٠٤).

وقد قُتلت كل تلك الضحايا بعدعذابات قاسية . وكان هناك أمر خاص يقضي بان تكون النار خفيفة حتى تطول مدة عذاباتهم. لكنهم ماتوا منتصرين . فلم يتزعزع ثباتهم ولا عكر سلامَهم معكر . واذ عجز المضطهدون عن زعزعة ثبات أولئك الشهداء الذي لا يلين أحسوا بانهم قد انهزموا. "لقد نصبت المشانق

في كل أحياء باريس، وتبع ذلك الحرق بالنار في أيام متتابعة، وكان القصد من ذلك نشر الذعر من الهرطقة بنشر القتل والاعدام في كل مكان. ومع ذلك ففي النهاية كانت كفة الانجيل هي الراجحة . لقد استطاع كل أهل باريس أن يروا أي نوع من الرجال هم أولئك الذين خلقتهم تلك الآراء الحديثة. لم تكن هنا لك منصة أفضل من منصة كل شهيد وهو يموت احتراق ا. فذلك الفرح الرصين الذي أنار وجوه هؤلاء الرجال وهم يسيرون ... الى ساحة الاعدام، والبطولة التي أبدوها وهم واقفون في وسط النيران المشتعلة، ووداعتهم وصفحهم عن تلك المظالم جعلت غضب بعض المشاهدين ينقلب الى اشفاق وبغضتهم الى محبة، وكان دفاعا ينطق بأفصح لسان وأقوى حجة في صالح الانجيل" (٢٠٥).

واذ كان الكهنة يحرصون على أن يجعلوا حنق الشعب على أشده أشاعوا أرهب التهم ضد البروتستانت . فلقد اتهموهم بالتآمر على ذبح الكاثوليك وقلب الحكومة وقتل الملك . لكنّ كل هذه الادعاءات لم يكن هنالك ظل من برهان على صدقه ا. ومع ذلك فان هذه التنبؤات عن الشر كانت [252] ستتم في ظروف تختلف عن هذه الظروف اختلافا بينا ولاسباب من نوع مختلف. فاعمال القسوة التي ارتكبها الكاثوليك ضد البروتستانت الابرياء تجمعت في جزاء ثقيل رهيب، وبعد ذلك بقرون أوقعت بهم الهلاك الذي تنبأوا بانه يتهددهم، ملكا وحكومة وشعب ا. لكنه جزاء وقع عليهم بأيدي الملحدين والبابويين أنفسهم . فلم يكن توطيد دعائم البروتستانتية بل هو كبحها وكبتها ما سيوقع بفرنسا كوارث هائلة بعد قرابة ٣٠٠ سنة.

في ذلك الوقت شملت الشبهات والشكوك والرعب كل طبقات المجتمع. وفي وسط الذعر العام رأى الناس الى أي حد تأصلت التعاليم اللوثرية في عقول الرجال الذين كانوا قد تلقوا أعلى تعليم وتمتعوا باعظم نفوذ وتحلوا بالاخلاق السام ية. لقد وجدوا أن وظائف كثيرة سامية ومهمة قد خلت من أصحابه ا. واختفى كثيرون من الصناع ورجال المطابع والعلماء وأساتذة الجامعات والمؤلفين، وحتى ندماء الملك . وهرب مئات من باريس، نفوا أنفسهم من وطنهم، وفي حالات كثيرة قدموا اول اخطار على انحي ازهم للعقيدة المصلحة. وقد جعل البابويون ينظرون حولهم في ذهول وهم يفكرون في الهراطقة الذين عاشوا بين ظهرانيهم من دون أن يثيروا الشبهات . وقد صبوا جامات غضبهم على جماهير الضحايا من الفقراء الذين كانوا في قبضة أيديهم . واكتظت السجون بالابرياء واظلمت السماء بالدخ ان المتصاعد من المحرقات المنصوبة لقتل المعترفين بالانجيل.

لقد كان فرنسيس الاول يتشدق بانه قائد في حركة النهضة التي بدأت في أوائل القرن السادس عشر، وسره أن يجمع في بلاطه رجالا علماء من كل البلدان . وكان التسامح القليل الذي أظهره للا صلاح يعزى نوعا ما الى حبه العلم واحتقاره جهل الرهبان وخرافاتهم . ولكن اذ دفعته غيرته الى استئصال الهرطقة أصدر من كان نصيرا للعلم ومحبا للعلماء منشورا بإلغاء الطباعة في كل أنحاء فرنسا ! وهو بذلك يقدم الينا مثالا، ضمن أمثلة كثيرة سجلها التاريخ، ع ن أن الثقافة العقلية ليست واقية للانسان من التعصب الديني والاضطهاد. [253]

كانت فرنسا عازمة على ملاشاة البروتستانتية في احتفال مقدس عام . وقال الكهنة ان الاهانة التي بلغت الى عنان السماء بذم ذبيحة القداس يجب غسلها بالدم، وإن الملك يجب أن ينوب عن شعبه في التصديق عل ى ذلك العمل المخيف.

وتقرر أن يكون اليوم الحادي والعشرون من شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٥٣٥ اليوم المعين للقيام بذلك الاحتفال الرهيب . فثارت المخاوف الوهمية والكراهية المتعصبة العمياء في قلوب الامة جمعاء . واجتمعت في باريس جماهير من الناس القادمين من الار ياف المحيطة بها فامتلأت بهم الشوارع . كان ذلك اليوم سيُبدأ بموكب مهيب "وقد عُلقت على البيوت المحيطة بالشوارع أقمشة حداد سوداء، كما أقيمت مذابح متباعدة". وأضيء سراج أمام كل باب تكريما "للسر المقدس". "وقبل الفجر بدأ الموكب يتجمع أمام

قصر الملك . في مقدّمه جاءت أعلام الابروشيات المتعددة وصلبانها، وبعدها سار المواطنون اثنين اثنين حاملين السرج". ثم أقبلت الرهبانيات الاربع، كل منها في زيها الخاص. وأتي بعد ذلك بمجموعة من الذخائر الشهيرة وخلفها رجال الاكليروس الاشراف في حللهم الارجوانية والقرمزية، وثيابهم ا لزاهية الجميلة البراقة، وقد غمرتهم الزينات المجملة بالجواهر.

"وحمل أسقف باريس ذبيحة القربان تحت مظلة فخمة ... يحملها أربعة من أمراء البيت المالك ... وخلف القربان الملك فرنسيس الاول الذي لم يلبس في ذلك اليوم لا تاج الملك ولا الحلة الملوكية". "فاذ كان ملك فرنسا حاسر الرأس وهو متجه ببصره الى الارض وفي يده سراج منير" ظهر "في هيئة انسان تائب نادم" (٢٠٦). وكان يجثو أمام كل مذبح بكل تذلل ليس لاجل الرذائل التي تنجست بها روحه أو الدم الزكي الذي تلوثت به يداه لأجل الخطيئة المميتة التي ارتكبها رعاياه الذين تجرأوا على ادانة ذبيحة القداس. وبعده جاءت الملكة ورؤساء الدولة وهم يسيرون اثنين اثنين وكل يحمل سراجا منيرا. [254]

وكجزء من خدمات ذلك اليوم خاطب الملك رجال المملكة العظام في باحة قصر الاسقف الكبيرة . فظهر أمامهم بوجه حزين . وبكلام فصيح مؤثر كان ينوح على "الجريمة والتجديف ويوم الحزن والعار" الذي حل بالامة. وقد طالب رعاياه المخلصين بان يساعدوا في استئصال الهرطقة الوبائية التي كانت تتهدد فرنسا بالدمار، ثم قال: "وعلى قدر ما أنا متأكد من أنني ملكك م أيها السادة لو رأيت عضوا من أعضاء جسمي ملطخا أو مصابا بهذا التعفن والفساد الكريه لكنت أقدمه اليكم لكي تبتروه... وأكثر من هذا فلو علمت ان أحد أبنائي متنجس بهذه الهرطقة لما أبقيت عليه ... بل كنت أسلمه بنفسي وأقدمه ذبيحة لله". وقد انهمرت الدموع من عينيه فاحتبس صوته ولم يستطع ان يتكلم، فبكى كل ذلك الجمع، وصاحوا يقولون بصوت واحد: "اننا سنعيش ونموت في سبيل الدين الكاثوليكي" (٢٠٧).

ما كان أرهب تلك الظلمة التي شملت أمة رفضت نور الحق ! لقد ظهرت "النعمة المخلصة"، لكنّ فرنسا بعدما شاهدت قوتَها وقداستها وبعدما اجتذب جمالُها آلافا من النفوس، وبعدما استنارت المدنُ والقرى بنورها، ارتدت الى الوراء اذ اختارت الظلمة ورفضت النور . لقد طرحوا عنهم هبة السماء قالوا عن الشر خيرا وعن الخير شرا الى أن سقطوا ضحايا خداع النفس العنيد . والآن فمع أنهم يعتقدون فعلاً انهم باضطهادهم شعب الله إنما يؤدّون له تعالى خدمة فإن ذلك الاخلاص لم يبررهم . انهم بكل عناد رفضوا النور الذي كان يمكن أن ينقذهم من الخداع ومن تلطيخ أرواحهم بدماء ضحاياهم الابرياء. [255]

قسَم لاستئصال الهرطقة

وقد أقسم الجميع قسما مقدسا بان يستأْصلوا الهرطقة وذلك في الكاتدرائية العظيمة حيث نصبت "الاهة العقل" على العرش بعد ذلك بحوالي ثلاث مئة سنة، نصبتها تلك الامة التي نسيت الاله الحي . وقد نُظم الموكب من جديد وشرع ممثلو فرنسا في العمل الذي قد اقسموا أن يعملوه. "فعلى مسافات قصيرة نصبت الصقالات التي كان بعض المسيحيين البروتستانت سيحرقون عليها أحياء، ورتبوا ان تشعل النار في اللحظة التي يقترب فيها الملك منهم، وان يتوقف الموكب لمشاهدة الاعدام" (٢٠٨). ان مجرد ذكر تفاصيل العذابات التي قاساها شهود المسيح أولئك مرعب ومدمر للشعور، لكنّ أولئك الضحايا ثبتوا ولم يتراجعو ا. فاذ ألح على واحد منهم أن يتراجع أجاب قائلا: "أنا لا أومن بغير ما سبق الانبياء والرسل فكرزوا به وما آمنت به جموع القديسين . ان ايماني راسخ بالله، و هو سيقاوم كل قوات الجحيم" (٢٠٩).

وكان الموكب يتوقف مرارا أمام أماكن التعذيب، فلما وصلوا الى قصر الملك الذي كانوا قد انطلقوا

منه تفرق الجمع، وانسحب الملك والاساقفة، وهم راضون كل الرضى عن اجراءات ذلك اليوم، وكانوا يهنئون أنفسهم بان العمل الذي قد بُدئ به سيستمر حتى تتلاشى الهرطقة تماما.

محاربة الانجيل بعنف

ان انجيل السلام الذي قد رفضته فرنسا كان سيُستأصل بكل تأكيد، وما أرهب نتائج ذلك ! ففي الحادي والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٧٩٣ ، أي بعد ٢٥٨ سنة من اليوم نفسه الذي فيه شرعت فرنسا في اضطهاد المصلحين، كان هنالك شغب وضوضاء، ومرة أخرى صاح الناس في طلب ضحايا جديدة، ومرة أخرى كانت تُرى الصقالات السود، ومرة [256] أخرى انتهت أحداث اليوم بالمحرقات الهائلة . وكان الملك لويس السادس عشر يناضل بين أيدي سجّانيه وجلاديه، لكن هم سحبوه الى ساحة الاعدام حيث أمسك بكل قوة وطرح على الارض وهوت الفأس على عنقه فتدحرج رأسه المقطوع بعيدا" (٢١٠) .ولم يكن الملك هو الضحية الوحيدة، فبالقرب من تلك البقعة هلك ٢٨٠٠ نفس تحت حد المقصلة القاطع في خلال تلك الايام الدامية، أيام حكم الرعب.

لقد قدم الاصلاح الى العالم كتابا مفتوحا كاشفا لهم عن وصايا شريعة الله وهو يلح بمطالبه على ضمائر الشعب . ان محبة الله غير المحدودة والسرمدية قد كشفت للناس عن شرائع السماء ومبادئه ا. لقد قال الله: "فاحفظوا واعملوا. لان ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعو ن كل هذه الفرائض فيقولون هذا الشعب العظيم انما هو شعب حكيم وفطن" (تثنية ٤ : ٦). ان فرنسا عندما رفضت هبة السماء زرعت بذار الفوضى والخراب، ثم ان التفاعل الذي لا مفر منه بين السبب والنتيجة نتجت منه تلك الثورة الهائلة التي بدأ بها حكم الرعب.

فارل في سويسرا

قبلما ثار الاضطهاد بسبب تلك الاعلانات المشؤومة، بوقت طويل، أجبر فارل الشجاع الغيور على الهرب من أرض ميلاده، فانطلق ذاهباً إلى سويسرا وساعد على نجاح عمل زوينجلي، وهكذا جعل كفة الاصلاح ترجح. وقد قضى سنواته الاخيرة في تلك البلا د، ومع ذلك فقد ظل يبذل جهوده ونفوذه الثابت لاصلاح فرنس ا. وفي خلال السنوات الاولى التي قضاها في منفاه اتجهت مساعيه بنوع خاص الى نشر رسالة الانجيل في وطنه . وقد قضى وقتا كبيرا في تبشير مواطنيه الساكنين عند الحدود، وبيقظته التي لا تعرف الكلال كان يراقب الصراع، وأعان الشعب بتشجيعاته ونصائحه . وبمساعدة غيره من المبعدين ترجمت مؤلفات [257] المصلحين الالمان الى الفرنسية، وطُبعت كميات كبيرة من هذه الكتب ومن الكتاب المقدس الفرنسي . وكان الموزعون يبيعون هذه الكتب بكثرة ف ي فرنسا. كانت تلك الكتب تعطى للموزعين باثمان مخفضة، وهكذا ساعدتهم الارباح التي كانوا يحصلون عليها على الاستمرار في ذلك العمل.

لقد بدأ فارل عمله في سويسرا في زي معلم مدرسة وضيع . واذ لجأ الى أبروشية منعزلة كرس نفسه لتعليم الصغار . وفضلا عن فروع العلم العادية قدم حقائق الكتاب المقدس بكل حذر على أمل أن يصل الى الآباء عن طريق أولادهم. وقد آمن بعضهم، لكنّ الكهنة انبروا له ليوقفوا ذلك العمل، وثار الناس الفلاحون

المتعلقون بالخرافات فقاوموه . وقد دافع الكهنة بقولهم: ”ذلك لا يمكن أن يكون انجيل المسيح لان الكرازة به لا تجيء بالسلام بل بالحرب“ (٢١١). وعندما طُرد فارل من مدينة هرب كالتلاميذ الاولين الى اخرى . فمن قرية الى قرية ومن مدينة الى مدينة اخرى انطلق سيرا على قدميه متحملا الجوع والبرد والتعب. وفي كل مكان كانت المخاطر تتهدده . كان يبشر في الاسواق والكنائس، وأحيانا ك ان يقف على منابر الكاتدرائيات . وأحيانا كان يجد الكنيسة خالية من السامعين، وفي أحيان أخرى كان تبشيره يقاطع بصيحات التهكم، في ذات مرة سُحب من المنبر بعنف . وقد تحرش به الرعاع أكثر من مرة، وضُرب حتى أشرف على الموت . ومع ذلك فقد ظل متقدما في سيره . ومع انه قد صد ف ي أحيان كثيرة إلا أنه عاد الى الهجوم باصرار لا يتزعزع . وكان يرى مدينة بعد مدينة وبلدة بعد اخرى، كانت قبلا معاقل للبابويين، تفتح أبوابها للانجيل . والابروشية الصغيرة التي بدأ عمله فيها قبلت العقيدة المصلحة . كما ان مدينتي مورات ونيوشاتل نبذتا هما ايضا الطقوس البابوية واخرجتا التماثيل الوثنية من الكنائس. [258]

اختيار وسيلة متواضعة

وكان فارل يشتاق من عهد بعيد الى ان يرفع العلم البروتستانتي في مدينة جنيف . فلو أمكنه أن يربح هذه المدينة فقد تصبح مركزا للاصلاح في فرنسا وسويسرا وايطالي ا. فاذ جعل هذا الهد ف نصب عينيه ظل يواصل جهوده حتى ربح كثيرا من المدن والقرى المجاورة . ثم دخل جنيف ومعه رفيق واحد . ولكن لم يُسمح له بان يعظ اكثر من مرتين . وقد حاول الكهنة عبثا أن يقنعوا السلطات المدنية بادانته، فاستدعوه للمثول أمام مجلس اكليريكي، وأتوا هم المجلس يحملون السلاح تحت طيات ثيابهم اذ كانوا ينوون اغتياله . وقد وقف خارج المجلس جمع من الدهماء الشرسين المسلحين بالهراوات والسيوف لكي يتأكدوا من موته إذا امكنه الافلات من المجلس . ومع ذلك فان وجود القضاة والقوة المسلحة أنقذه . في بكور اليوم التالي أخذ هو وزميله ليعبرا البحيرة الى مكان أمين. وهكذا انتهى أول مجهود بذله لتبشير جنيف.

أما المحاولة التالية فقد استخدمت فيها وسيلة متواضعة: شاب وضيع المظهر قوبل بفتور حتى من المعترفين بصداقتهم للاصلاح . ولكن أي نجاح يمكن أن يحرزه هذا الانسان في المدينة التي طُرد منها فارل ؟ وكيف يستطيع م ثل هذا الانسان الذي تعوزه الشجاعة والخبرة أن يصمد لتلك العاصفة التي قد هرب من أمامها أقوى الرجال وأشجعهم؟ ”لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب ... الجنود“ (زكريا ٤ : ٦). ”اختار الله ضعفاء العالم ليخزي الاقوياء“، ”لان جهالة الله احكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس“ (١ كورنثوس ١ : ٢٧ و ٢٥).

بدأ فرومنت (وهذا هو اسم ذلك الشاب) عمله كمعلم مدرسة . فالحقائق التي علمها للاولاد في المدرسة رددوها على مسامع آبائهم في بيوتهم . وسرعان ما أقبل الوالدون ليستمعوا الى شرح الكتاب المقدس حتى امتلأت حجرة الدراسة بالمستمعين المنتبهين وقد وُزعت عليهم كتب العهد الجديد وبعض النبذ مجانا فوصلت الى أيدي كثيرين ممن لم يجسروا على [259] المجيء علانية ليسمعوا تلك التعاليم الجديدة . وبعد وقت أجبر هذا العامل أيضا على الهرب صونا لحياته، لكنّ التعاليم التي علمها للناس علقت بعقوله م. لقد زُرع الاصلاح وظل يقوى ويمتد . وقد عاد المبشرون، وبفضل جهودهم ثبتت العبادة البروتستانتية في جنيف أخيرا.

كانت المدينة قد أعلنت انحيازها الى جانب الاصلاح عندما دخل كلفن من أبوابها بعد جولات متعددة وتقلبات مختلفة مرت به . فاذ كان عائدا من آخر ز يارة لمسقط رأسه كان سائرا في طريقه الى بازل، فلما

رأى جيوش شارل الخامس تسد عليه الطريق اضطر أن يتخذ طريقا دائريا يمر بجنيف.

في هذه الزيارة اعترف فارل بان يد الله تعمل . فمع أن جنيف قبلت العقيدة المصلحة الا انه كان باقيا عمل عظيم ينبغي انجازه فيه ا. فالناس لا يهتدون الى الله كجماعات بل كأفراد . وعملية التجديد ينبغي أن تتم في القلب والضمير بقوة الروح القدس لا بقرارات المجالس . وفيما طرح شعب جنيف عنهم سلطة روما لم يكونوا مستعدين تمام لان ينبذوا الرذائل التي تفشت تحت حكمها. ولم تكن مهمةً سهلة تثبيتُ مبادئ الانجيل الطاهرة في هذه المدينة واعداد شعبها ليملأ عن جدارة المركز الذي بد ا ان العناية الالهية تدعوه اليه.

كان فارل واثقا بانه قد وجد في كلفن الشخص الذي يمكنه أن يشركه معه في هذا العمل . وقد ناشد ذلك الواعظَ الش اب باسم الله أن يبقى ليخدم معه . لكنّ كلفن تراجع فزع ا. فاذ كان بطبعه خجولا ومحبا للسلام فقد أجفل من الاحتكاك بأهل جنيف الذين كانت روحهم جريئة ومعتزة بنفسها وعنيفة . ثم ان اعتلال صحته وولعه بالدرس والاطلاع جعلاه يميل الى العزلة وينشده ا. واذ كان يعتقد انه بكتاباته يمكنه أن يسدي أجلّ الخدمات لقضية الاصلاح كان يرغب في أن يجد لنفسه معتكفا هادئا فيه ينكّب على الدرس، وهكذا فعن طريق المطبوعات يستطيع أن يعلم الكنائس ويبنيها. لكنّ انذار فارل المهيب المقدس جاءه كأنه صوت من السم اء فلم يجرؤ [260] على الرفض . وقد قال ”انه تراءى له وكأن يد الله قد امتدت اليه من السماء لتمسك به، وثبتته على نحو قاطع في المكان الذي كان يرغب كل الرغبة في تركه“ (٢١٢).

أعداء ألداء للاصلاح

في هذا الوقت كانت مخاطر عظيمة محدقة بالقضية البروتستانتية . لقد ارعدت حروم البابا ضد جنيف فكانت هنالك أمم قوية تتوعدها بالهلاك . فأنَّى لهذه المدينة الصغيرة أن تقاوم السلطة الدينية القوية الجبارة التي طالما ارغمت الملوك والاباطرة على الخضوع لها ؟ وكيف يمكنها أن تصمد أمام الجيوش القوية التي يقودها غزاة العالم الاشداء الصناديد؟

في كل العالم المسيحي كانت البروتستانتية مهددة باعداء أقوياء مرعبين . فاذ احرز الاصلاح أول انتصاراته عبأت روما قوات جديدة على أمل أن تقضي عليه بالدمار. وفي هذا الوقت أنشئت رهبنة اليسوعيين (الجزويت) وهي أقسى أبطال البابو ية الفاسدين وأقواهم . فاذ انقطعوا عن كل الصلات الأرضية وبُتروا من كل المصالح البشرية واميتوا عن مطالب العاطفة الطبيعية وابكموا العقل والضمير، فانهم لم يكونوا يعرفون قانونا ولا صلة عدا قوانين رهبانيتهم وصِلاتها، ولم يكونوا يعرفون واجبا غير واجب نشر سلطانها (انظر التذييل). لكنّ انجيل المسيح كان قد اعان معتنقيه على مواجهة الاخطار واحتمال الآلام وعدم استهابة البرد أو الجوع أو التعب أو الفقر، وعلى رفع راية الحق في وجه آلات التعذيب أو السجون أو النار المحرقة . فلكي ينازل الجزويت هذه القوات أضرموا قلوب تابعيهم بنار التعصب الذي أعانهم على احتمال مثل تلك المخاطر واستخدام كل قوى الخداع لمقاومة قوة الحق . فلم يتورعوا عن ارتكاب أفظع الجرائم أو استخدام أحط أساليب الخداع أو الغش المتعددة الاشكال . ومع كونهم قد نذروا ان يعيشوا عيشة الفقر والاتضاع مدى الحياة فقد كان هدفهم المد روس [261] أن يحرزوا الثروة والسلطان وأن يكرسوا جهودهم لتدمير البروتستانتية ويوطدوا دعائم السيادة البابوية.

تزيّا هؤلاء الرهبان بقناع القداسة فبدأوا بزيارة السجون والمستشفيات، وكانوا يخدمون المرضى والفقراء، ويقررون أنهم قد نبذوا العالم وهم يحملون اسم يسوع المقدس الذي جال يصنع خيراً. ولكن

تحت هذا المظهر الخارجي الذي لا غبار عليه كانت تختفي أرهب النوايا الاجرامية المميتة . وقد كان من المبادئ الاساسية لهذه الرهبنة "ان الغاية تبرر الوسيلة". وبناء على هذا المبدأ كان الكذب والسرقة و يمين الزور وجرائم الاغتيال، فضلا عن كونها مغتفرة، تُعتبر اعمالا حميدة وجليلة ما دامت تخدم مصالح الكنيسة . وتحت كثير من أشكال التنكر زحف الجزويت الى وظائف الدولة وجعلوا يتسلقون حتى صار بعضهم مستشارين للملوك، وص اروا يشكلون سياسة الدول . وكان بعضهم يعملون كخدم ليتجسسوا على سادتهم . وقد اقاموا كليات لابناء الامراء والنبلاء ومدارس لعامة الشعب، وكان أبناء البروتستانت يُجبرون على حفظ الطقوس البابوية . هذا، وقد استخدمت كل مظاهر الابهة والفخ امة الخارجية لتربك عقول الاولاد وتذهل وتأسر أفكارهم، وهكذا خان الابناء عهود آبائهم وأسلموا الحرية التي في سبيلها تعب آباؤهم واستنزفوا دماءهم. وبسرعة عظيمة توسّع الجزويت في كل أوروبا وأينما حلوا انتعشت البابوية.

وفي سبيل زيادة سطوتهم وسلطانهم صدرت براءة بابوية بإعادة محاكم التفتيش (انظر التذييل). وعلى الرغم من نفور الشعب الكاثوليكي نفسه وكراهيتهم لهذه المحكمة المخيفة فقد أقامها الحكام البابويون ثانية، وارتكبت في أعماق السجون السرية فظائع أرهب من أن تواجه النور . وفي ممالك كثيرة قُتل الوف فوق الوف أو أجبروا على الهرب الى بلدان اخرى، وهم من زهرة الامة الذين كانوا أطهر وأشرف الناس وأعلاهم ثقافة وأسماهم علما وخلقا وأتقاهم، من الرعاة المكرسين والمواطنين الكادحين المحبين للوطن والاساتذة العباقرة [262] والفنانين الموهوبين والصناع المهرة.

انتصارات للاصلاح

هذه ه ي الوسائل التي استخدمتها روما لاطفاء نور الاصلاح وحرمان الناس من الكتاب المقدس وابقاء جهالة العصور المظلمة وخرافاتها جاثمة على الصدور . ولكن ببركة الله وجهود أولئك الرجال الاشراف الذين أقامهم الله ليخلفوا لوثر لم تُقهر البروتستانتية ولم تُعزى قوتها الى فضل اسلحة الامراء . لقد صارت اصغر البلدان واحقر الامم واصغرها وأقلها قوة معاقل له ا. كانت جنيف الصغيرة واحدة من تلك المدن التي كانت في وسط أعداء أشداء يتآمرون على هلاكه ا. وكذلك البلاد الوطيئة (هولندا) بشواطئها الرملية في بحر الشمال صارعت ضد طغيان اسبانيا التي كانت حينئذ اعظم الممالك وأكثرها ثراء . وأيضا السويد الشديدة البرودة والمجدبة التربة أحرزت للاصلاح نصرة عظيمة.

ظل كلفن يعمل جاهدا في جنيف حوالي ثلاثين سنة، ليقيم أولا هناك كنيسة تتمسك بفضائل الكتاب المقدس، ولينشر ثانيا الاصلاح في جميع انحاء أوروبا. ولم يكن تصرفه كقائد شعبي خاليا من الاخطاء، ولا كانت تعاليمه خالية من الخطأ، لكنّه أعان على نشر الحقائق التي كانت مهمة في عصره وعلى حفظ المبادئ البروتستانتية للصمود أمام تيار البابوية الذي كان يعود مسرعاً، ومنها بساطة الحياة المسيحية وطهارتها التي عمل على تنميتها في الكنائس المصلحة لتحل مكان الكبرياء والفساد الذي تفشى بتأثير التعاليم البابوية.

ومن جنيف خرجت مطبوعات وبرز معلمون لنشر التعاليم المصلحة . وقد نظر المضطهَدون في كل البلدان الى هذه الوسائل في انتظار التعليم والمشورة والتشجيع . وصارت مدينة كلف ن هذه ملاذا لكل المصلِحين المطارَدين في كل غربي أوروب ا. فأولئك المهاجرون في هربهم من الاعاصير المخيفة التي ظلت تهب عدة قرون قرعوا أبواب جنيف . واذ كانوا يتضورون جوعاً ومجروحين ومحرومين من الوطن والأهل رحب بهم أهل المدينة وعوملوا بكل رفق ومحبة. [263] ولما وجدوا في هذه المدينة وطنا

باركوها بحذقهم وعلومهم وتقواهم . وكثيرون ممن لجأوا اليها يحتمون فيها عادوا الى بلدانهم ليقاوموا طغيان روم ا. ان جون كنوكس المصلح الاسكوتلاندي الشجاع، وجماعة غير قليلة من البيوريتان الانجليز، والبروتستانت في هولندا واسبانيا، والهيجونوت في فرنسا حملوا من جنيف مشعل الحق لينيروا ظلمات أوطانهم. [264]

الفصل الثالث عشر ـــ الاراضي الوطيئة و اسكندينـاوه

استوجب طغيان البابا في الاراضي الوطيئة الاحتجاج منذ عهد مبكر جدا. فقبل عهد لوثر بسبع مئة سنة اتُّهِم البابا بالخيانة بلا خوف، وذلك على لسان اثنين من الاساقفة اللذين اذ كَانا قد أُرسلا الى روما في سفارة عرف ا الصفة الحقيقة "للبابوية المقدسة". فقالا: ان الله "قد جعل ملكته وعروسه، الكنيسة، مؤونة فخمة ابدية لاسرتها ببائنة (مهَر) لا تفنى ولا تتدنس وأعطاها اكليلا وصولجانا ابديين ... وكل ما يعود بالربح تصديتُ له كاللص . لقد أقمت نفسك في هيكل الله، وبدلا من كونك ر اعيا فقد صرت ذئبا يفترس الغنم ... أنت تريد أن تقنعنا بانك رئيس الاساقفة، لكنك تتصرف كما لو كنت طاغية ... ومع انه ينبغي لك أن تكون عبد العبيد، كما تسمي نفسك، فانت تسعى الى ان تكون رب الارباب ... انك تجعل أوامر الله محتقرة ... الروح القدس هو باني كل الكنائس في كل انحاء الارض ... ومدينة الهنا التي نحن رعاياها تصل الى كل أقاليم السماء، وهي أعظم من تلك المدينة التي يسميها الانبياء القديسون بابل والتي تتظاهر انها الهية وتعد نفسها للسماء وتتشدق بان حكمتها خالدة، وأخيرا تدعي من دون سبب انها لم ولن تخطئ" (٢١٣). [265]

ومن قرن الى قرن قام آخرون ليرددوا صدى هذا الاحتجاج . ثم ان أولئك المعلمين الاولين فيما كانوا يجوبون البلدان المختلفة باسماء متعددة وكانت لهم صفات المبشرين الولدنسيين وكانوا ينشرون في كل مكان معرفة الانجيل، تغلغلوا في داخل الاراضي الوطيئة حيث انتشرت تعاليمهم بسرعة . وقد ترجموا التوراة الولدنسية شعرا الى اللغة الهولندية . وأعلنوا "ان فيها ميزة عظيمة، لا نكات وفكاهات وخرافات وأشياء تافهة ومخاتلات، بل كلام الحق، وانه بالطبع كانت توجد هنا وهناك لقمة يابسة، ولكن كان يمكن بعد ذلك ان تكتشف بسهولة زبدة وحلاوة كل م ا هو صالح ومقدس في الكتاب" (٢١٤). هذا ما كتبه معتنقو الحق القديم في القرن الثاني عشر.

وهنا بدأت الاضطهادات البابوية، ولكن في وسط وقود النار والعذابات ظل المؤمنون يتكاثرون معلنين بكل ثبات ان الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد الذي لا يخطئ في الدين، وانه "ينبغي الا يُكره أحد على الايمان بل يجب ربحه بالتبشير" (٢١٥).

ولقد وجدت تعاليم لوثر تربة ملائمة في الاراضي الوطيئة، فقام رجال غيورون أمناء ليبشروا بالانجيل . وقد أتى مينو سيمونز من إحدى مقاطعات هولنده. فاذ تلقى تعليما رومانيا كاثوليكيا وسيم كاهنا كانٍ يج هل الكتاب جهلا تاما، ولم يكن يريد أن يقرأه خشية أن يُغوى ويعتنق الهرطقة . وعندما اقتحمت عقلَه الشكوكُ الخاصة بعقيدة استحالة القربان والخمر الى جسد المسيح ودمه فعلي اً. اعتبر ذلك تجربة شيطانية، فحاول بالصلاة والاعتراف ان يتحرر من ها، ولكن عبثاً حاول . فانغمس في الملذات محاولا اسكات ضميره الذي كان يبكّته ولكن من دون جدوى . وبعد وقت عكف على دراسة العهد الجديد، وهذا مع مؤلفات لوثر جعله يقبل الايمان المصلَح . وفي اثر ذلك رأى في قرية مجاورة رجلا يُحكم عليه

بالاعدام ويقطع رأسه لانه قبل المعمودية مرتين . وهذا قاده الى أن يدرس ما ورد في الكتاب عن معمودية [266] الاطفال. فلم يستطع ان يجد برهانا عليها في كلام الله، ولكنه رأى انه في كل مكان كان يُطلب التوبة كشرط لقبول المعمودية.

فانسحب مينو من الكنيسة البابوية وكرس حياته لتعليم الناس الحقا ئق التي قد قبله ا. وقام في المانيا والاراضي الوطيئة جماعة من المتعصبين ينادون بتعاليم سخيفة مثيرة للفتن تدعو الى انتهاك النظام واللياقة، وتنادي بالالتجاء الى العنف والثورة . وقد رأى مينو العواقب المخيفة التي لا بد أن تؤدي اليها هذه الحركات، فبكل جرأة جعل يقاو م التعاليم الخاطئة والتدبيرات الطائشة التي كان ينادي بها أولئك المتعصبون . ومع ذلك فقد أضل أولئك المتعصبون أناساً كثيرين ولكنهم عادوا فنبذوا تعاليمعم الوبيلة الشريرة . وكان لا يزال باقيا كثيرون من نسل المسيحيين القدامى الذين كانوا من ثمار التعليم الولدنسي . وقد خدم مينو بين هؤلاء الناس بغيرة عظيمة وبنجاح منقطع النظير.

ولمدة خمس وعشرين سنة ظل يسافر ويتنقل مع زوجه وأولاده متحملين المتاعب الجمة والعُسر، وكثيرا ما تعرضت حياته للخطر . وقد قطع الاراضي الوطيئة وشمالي المانيا وهو يعمل بالاكثر بين الطبقات الفقيرة، وكان له تأثير واسع النطاق . ولانه كان بطبيعته فصيحا وان تكن ثقافته محدودة فقد كان رجلا موصوفا بالاستقامة التي لا تلين ولا تتزعزع ووداعة الروح ورقة العادات وخلوص التقوى والغيرة المقدسة، وجاعلا من حياته مثالا للتعاليم والوصايا التي علم بها، وهكذا ظفر بثقة الشعب . وقد تشتت اتباعه واضطُهدوا وقاسوا الشيء الكثير، وارتكبوا بسبب تعاليم المونستريين المتعصبين . ومع ذلك فبفضل جهوده اهتدت جموع كثيرة من الناس الى الله.

لم تُقبل التعاليم المصلحة بالاجماع كما قبلت في الاراضي الوطيئة . وفي قليل من الاقطار احتمل معتنقو تلك التعاليم اضطهادات ارهب مما احتمله اهل الاراضي الوطيئة . وفي المانيا لعن شارل الخامس الاصلاح وحرَّم على الناس اعتناق مبادئه، وكان يريد بكل سرور أن يحرق بالنار كل من ينتمون اليه، لكنّ الامراء حالوا بينه وبين الطغيان. بيد أن نفوذه كان أعظم في الاراضي الوطيئة [267] [268] مما في بلاده، وقد توالت المنشورات الداعية الى الاضطهاد في تتابع وسرعة عظيمين . فكون الانسان يقرأ الكتاب المقدس أو يسمع تعاليمه أو يبشر به أو حتى يتحدث عنه كان كفيلا بان يوقعه تحت خطر الموت احتراقا. وكون الانسان يصلي الى الله في الخفاء أو يمتنع عن السجود أمام الايقونات أو يترنم بمزمور كان يستوجب الموت . بل حتى من كانوا يتركون اخطاءهم كانوا يدانون . فان كانوا رجالا كانوا يموتون قتلا بالسيف، أما النساء فكن يُدفنَّ حيات . وهكذا هلك آلاف من الناس تحت حكم شارل الخامس وفيليب الثاني.

وفي مرة أتي باسرة كاملة أمام محكمة التفتيش، وكانوا متهمين بالتخلف عن حضور القداس وإقامة العبادة في بيتهم . وعند فحص الابن الاصغر اذ سئل عما يفعلونه في الخفاء أجاب قائلا: ”اننا نخر جاثين ونتضرع الى الله ان ين ير عقولنا ويغفر خطايانا، ونحن نصلي لاجل مليكنا حتى يكون حكمه ناجحا وحياته سعيدة، ونصلي لاجل حكامنا حتى يحفظهم الله“ (٢١٦). وقد تأثر بعض القضاة تأثرا عميقا، ومع ذلك فقد حكم على الاب وأحد ابنائه بالموت حرقا بالنار.

ايمان الشهداء

كان ايمان الشهداء موازن ا ومساويا لغضب مضطهديهم وحنقهم . ففضلا عن الرجال ابدت النساء الرقيقات الضعيفات والعذارى الشابات شجاعة ثابتة ونادرة. ”كانت الزوجة تقف الى جوار زوجها وهو

يحترق بالنار، وفيما كان يقاسي العذابات كانت زوجه تهمس له بكلام العزاء او ترنم له مزمورا لتسري عنه". "وكانت العذارى الشابات يرقدن في قبورهن وهن على قيد الحياة كما لو كن داخلات الى مخادع نومهن او يذهبن الى المشانق والنار وهن متسربلات بأبهى الحلل كما لو كن ذاهبات الى حفلة زفافهن" (٢١٧). [269]

وكما في عهد الوثنية عندما حاول الوثنيون ان يلاشوا الانجيل فكان دم المسيحيين هو البذار (٢١٨)، كذلك كان من نتائج الاضطهاد ان زاد عدد شهود الحق . فسنة بعد سنة كاد الملك يجن امام عزم الشعب الذي لا يقهر فظل ماضيا في اعمال القسوة، ولكن عبثا. واما تحت حكم وليم اورانج النبيل فنجحت الثورة في تحقيق حرية العبادة في هولندة.

وفي جبال بيدمونت وسهول فرنسا وشواطئ هولندة كان تقدم الانجيل موسوما بدم تلاميذه . اما في الاقطار الشمالية فقد وجد قبولا ودخل دخولا سليما. فطلبة وتنبرج في عودتهم الى اوطانهم حملوا الايمان المصلح الى بلاد اسكندينافيا. وقد ساعدت كتب لوثر ايضا بعد نشرها على تعميم النور . وابتعد اهل الشمال البسطاء الجريئون عن المفاسد والفخفخة والخرافات التي هي من صنع روما، ورحبوا بطهارة حقائق الكتاب المقدس المانحة الحياة وبساطتها.

المصلِح الدانيمركي

كان تاوزن "المصلح الدانيمركي" ابن رجل فلاح .وقد برهن ذلك الصبي على ذكاء عقله ونبوغه . كان يتوق الى التعلُّم لكن ظروف ابويه حرمته ذلك فدخل ديرا. هناك اكسبته طهارة حياته مع اجتهاده وولائه رضى رئيسه . وقد برهنت نتيجة الامتحان على موهبة تبشر بأنه سيسدي في المستقبل الى الكنيسة خدمات جليلة . وقد تقرر الحاقه باحدى جامعات المانيا او الاراضي الوطيئة . وأُعطي ذلك الطالب الشاب الحق في اختيار المدرسة التي يريدها بشرط واحد هو ألا يذهب الى وتنبرج . فالطالب المبعوث من قبل الكنيسة ينبغي الا يتعرض لسموم الهرطقة. هذا ما قاله الرهبان.

فذهب تاوزن الى كولونيا التي كانت حينئذ ولا تزال الى اليوم معقلا حصينا من معاقل البابوية . وسرعان ما اشمأزت نفسه من تديّن الأساتذة المتزمت [270] الغامض. وفي ذلك الوقت حصل على مؤلفات لوثر فقرأها بدهشة وسرور . وكان يرغب كل الرغبة في ان يتمتع بنوال نصيب شخصي من تعليم ذلك المصلح، لكنه لو فعل ذلك لأسخط عليه رئيس ديره فيُحرم على الانفاق عليه . لكنه عقد العزم، وبعد قليل سجل اسمه بين طلبة وتنبرج.

عندما عاد الى الدانيمرك توجه الى الدير . ولم يكن احد يشك فيه الى ذلك الحين انه قد اعتنق مبادئ لوثر، وهو لم يُطلع احدا على سريرته، بل حاول من دون ان يثير تعصب زملائه ان يقودهم الى ايمان أنقى وحياة اقدس . ففتح لهم الكتاب المقدس وجعل يشرح لهم معناه الصحيح، واخيرا بشرهم بالمسيح على انه بر الخاطئ ورجاؤه الوحيد في الخلاص، فكان غضب رئيس الدير عظيما اذ كان يبني عليه آمالا كبارا كمحام ومدافع شجاع عن روما. فنقل من ديره في الحال الى دير آخر وحُكم عليه بملازمته حجرته، وفرضت عليه رقابة شديدة.

ارتعب الاوصياء الجدد عندما اعلن رهبان كثيرون انهم قد اهتدوا الى البروتستانتية. فمن خلال قضبان حجرته كان تاوزن يراسل زملاءه بمعرفة الحق . ولو كان اولئك الآباء الدانيمركيون ماهرين في استخدام وسائل الكنيسة في معاملتها للهراطقة لما سمع احد صوت تاوزن بعد ذلك، ولكنهم بدلا من ان

يقبروه في سجن تحت الارض طردوه من الدير . وقد امسوا عاجزين الآن، ذلك انه كان قد صدر مرسوم ملكي يؤمّن الحماية لمعلمي التعاليم الجديدة . وقد بدأ تاوزن يبشر، ففُتحت له الكن ائس وتقاطر الناس لسماعه . وكان آخرون يبشرون بكلمة الله وكتاب العهد الجديد الذي ترجم الى اللغة الدانمركية وانتشر في كل مكان . هذا، وان المساعي التي بذلها البابويون للقضاء على هذا العمل آلت الى نشره اكثر، وبعد قليل اعلنت الدانيمرك انها قد قبلت العقيدة المصلحة. [271]

تقدم الاصلاح في السويد

وفي السويد ايضا حدث ان الشبان الذين كانوا قد نهلوا من النبع العذب في وتنبرج حملوا ماء الحياة الى بلادهم ومواطنيهم، وكان من بين قادة الاصلاح في السويد شابان اخوان هما أولاف ولورنتيوس بيتري، ابوهما حداد من مدينة اوريبرو. هذان الش ابان كانا قد تلقيا العلم على يدي لوثر وميلانكثون، وكانا مجتهدين في تعليم الناس تلك التعاليم التي تلقياه ا. ومثل المصلح العظيم اثار اولاف الشعب بغيرته وفصاحته، اما لورنتيوس فكان مثل ميلانكثون عالما ومفكرا وهادئا. كان كل منهما حارا في تقواه وحاصلا على معرفة ا لبابويين على اشدها، فلقد اثار الكهنة الكاثوليك ذلك الشعب الجاهل المتعلق بالخرافات . فهاجم الرعاع اولاف بيتري مرارا، وفي بعض الاحيان كان ينجو بحياته بشق النفس . ومع ذلك فقد كان هذان المصلحان حائزين رضى الملك وحمايته.

غاص الشعب تحت حكم الكنيسة البابوية في اعماق الفقر وسحقه الظلم. كان الناس محرومين من الكتاب المقدس، واذ كانت ديانتهم عبارة عن بعض الرموز والطقوس التي لم تكن لتنير الذهن كانوا يعودون الى العقائد الخرافية والممارسات الوثنية التي كان يدين بها اسلافهم الوثنيون . وقد انقسمت الامة الى احزاب متضاربة زادت من ازعاتهم وخصوماتهم من شقاء الجميع . وقد عقد الملك العزم على اجراء اصلاح في الدولة وفي الكنيسة فرحب بمساعدة هذين المصلحين المقتدرين في حربه ضد روما.

ففي حضرة الملك وعظماء بلاد السويد دافع اولاف بيتري بمقدرته الخطابية عن تعاليم الايمان المصلح ضد ابطال البابو ية. وأعلن ان تعاليم الآباء ينبغي قبولها على قدر مطابقتها للكتب المقدسة، وان تعاليم الايمان الجوهرية معروفة في الكتاب على نحو واضح بسيط بحيث يمكن ان يفهما كل انسان . لقد قال المسيح: "تعليمي ليس لي بل للذي ارسلني ..." (يوحنا ٧ : ١٦). وقد اعلن بولس انه ان بشر بانجيل آخ غير ما قبله فليكن اناثيما (ملعونا) [272] (غلاطية ١ : ٨). ثم قال المصلح: "أذاً فكيف يتجرأ آخرون على أن يسنوا قوانين كما يروق لهم ويفرضوها على الناس كأنها ضرورية للخلاص؟" (٢١٩). ثم اعلن ان أوامر الكنيسة ليس ت ملزمة متى كانت متعارضة مع أوامر الله، ثم قدم المبدأ البروتستانتي العظيم وهو "أن الكتاب المقدس وحده" هو قانون الايمان والاعمال في الاراضي الوطيئة واسكندينافوه.

ومع ان هذا النزاع اقيم على مسرح مغمور نسبيا فهو يرينا "نوع الرجال من كل الرتب الذين تكوّت من هم جيش المصلحين الذين لم يكونوا قوما اميين عديمي العلم ولا متعصبين لطائفة خاصة، صخابين أو محبين للجدال، كلا بل كانوا رجالا درسوا كلمة الله وعرفوا جيدا كيف يحسنون استخدام الاسلحة التي زودتهم اياها خزانة اسلحة الكتاب . وفي ما يختص باللوذعية كانوا في طليعة جيلهم. وعندما نحصر انتباهنا في المدائن المتألقة مثل وتنبرج وزيوريخ، وننظر الى الاسماء الشهيرة كلوثر وميلانكثون وزوينجلي وايكلولامباديوس، فقد يقال لنا ان هؤلاء كانوا قواد الحركة، ونحن بالطبع ننتظر ان تكون لهم قوة هائلة وادراك واسع المدى، اما اتباعهم فلم يكونوا مثلهم . حسنا فلنلتفت الى مسرح السويد المغمور

والى ذينك الاسمين المتواضعين اي اولاف ولورنتيوس بيتري من الاساتذة الى التلاميذ ـــ فما الذي نجده؟ ... نجد اساتذة ولاهوتيين اقوياء، رجالا اتقنوا كل نظام حق الانجيل وانتصروا انتصارا سهلا على سفسطات الاسكلأيين واصحاب المقامة في روما" (٢٢٠).

السويد تؤيد الاصلاح

كان من نتائج هذه المجادلة ان ملك السويد قبل الايمان البروتستانتي، وبعد وقت قصير قرر المجلس الوطني اعتناقه. كان اولاف بيتري قد ترجم كتاب العهد الجديد الى اللغة السويدية، وبناء على رغبة الملك شرع الاخوان في ترجمة الكتاب المقدس كله. وهكذا فلأول مرة حصل شعب السويد على الكتاب المقدس في لغتهم الوطنية. وقد صدر أمر من المجلس يفرض على [273] خَدَمة الكلمة في كل أنحاء المملكة أن يشرحوا الكتاب المقدس، وعلى الاولاد أن يتعلموا في مدارسهم قراءة الكتاب.

وبكل ثبات وت أكيد طَردت أنوارُ الانجيل المبارك ظلماتِ الجهالة والخرافات. واذ تحررت الامة من المظالم البابوية وصلت الى قوة وعظمة لم تبلغهما من قبل. وقد صارت السويد معقلا من معاقل البروتستانتية. وبعد ذلك بقرن من الزمان، في وقت محنة وخطر عظيمين، فان هذه الدولة التي كانت الى ذلك الحين صغيرة وواهنة هي الوحيدة في أوروبا التي مدت يد العون الى المانيا فانقذتها في حرب الثلاثين سنة المخيفة. كانت كل دول شمالي أوروبا مهددة بخطر العودة للخضوع لطغيان روما، لكنّ جيوش السويد هي التي أعانت المانيا لتكر على القوات البابوية وتحصل على التسامح مع البروتستانت ـــ الكلفنيين واللوثريين سواء بسواء وتستعيد حرية الضمير للممالك التي قبلت الاصلاح. [274]

الفصل الرابع عشر ـــ المصلحون الاخرون في انجلترى

عندما كان لوثر يفتح الكتاب المقدس المغلق للشعب الالماني ألزم روح الله تندل بان يقوم بذلك العمل نفسه لشعب انجلترا. كانت توراة ويلكف قد ترجمت عن النص اللاتيني المليء بالاخطاء، ولكنها لم تكن قد طُبعت قط. وكانت أثمان النسخ المخطوطة عظيمة جدا بحيث لم يكن الا القليل من غير الاثرياء والنبلاء يستطيع اقتناء نسخة منه ا. وفوق هذا فحيث أن اقتناءها كان محظورا بشدة بأمر الكنيسة كان انتشارها في حيز ضيق نسبيا. وفي عام ١٥١٦ ، أي قبل ظهور نظريات لوثر بسنة، كان أراسمس قد نشر ترجمته اليونانية واللاتينية للعهد الجديد. فاذ ذاك ولاول مرة طُبعت كلمة الله في لغتها الاصلية. وفي هذا الكتاب أصلحت كثير من الاخطاء الواردة في الترجمات السابقة، وبذلك صار معناها أكثر وضوحا. وقد قاد هذا الكتاب كثيرين من الطبقات المتعلمة الى معرفة أفضل للحق وأعطى عمل الاصلاح قوة دفع جديدة. لكنّ عامة الشعب كانوا الى حد كبير لا يزالون محرومين من كلمة الله. وكان على تندل أن يكمل عمل ويكلف في تقديم الكتاب المقدس الى مواطنيه.

كان تندل تلميذا مجدا وباحثا غيورا عن الحق، فحصل على كتاب العهد الجديد باليونانية لاراسمس. ومن دون خوف بشر الناس باقتناعاته، وألح [275] على الشعب أن يمتحنوا كل التعاليم في نور كلمة الله. وقد أجاب تندل على الادعاء البابوي القائل ان الكنيسة هي التي أعطت الكتاب وهي وحدها تستطيع ان تشرحه بقوله: "هل تعرفون من الذي علم النسور أن تجد صيدها؟ ذلك الاله نفسه يعلم أولاده الجياع أن يجدوا أباهم السماوي في كلمته. انكم لم تعطونا كلام الله ولكنكم على النقيض من ذلك أخفيتموه عن ا. وأنتم الذين أحرقتم من قد بشروا به، ولو استطعتم لاحرقتم الكتاب نفسه" (٢٢١).

أثارت بشارة تندل اهتماما عظيما، فقبل كثيرون من الشعب الحق. لكنّ الكهنة كانوا يقظين، فما ان ترك الحقل حتى عمدوا الى تدمير عمله بالوعيد والتحريف والتشويه. وقد نجحوا مرارا عديدة. فصاح قائلا: "ماذا نصنع ؟ ففيما أنا أزرع في مكان يدمر العدو ما قد زرعته في حقل آخر. أنا لا أستطيع أن أكون في كل مكان. آه ! لو توفر للمسيحيين الكتاب المقدس بلغتهم لامكنهم الصمود أمام كل هذه المغالطات. فمن دون الكتاب المقدس لا يمكننا أن نثبّت الشعب في الحق" (٢٢٢).

أما الآن فقد استحوذ على عقله غرض جديد. قال: "لقد كان الشعب يترنمون بالمزامير في هيكل الرب بلغة اسرائيل، أفلا يمكن أن يكلمنا الانجيل بلغة انجلترا ؟ ... وهل يكون نور الهاجرة الذي تسير الكنيسة على هديه أضعف من نور الفجر ؟ ينبغي للمسيحيين أن يقرأوا العهد الجديد في لغتهم الوطنية". لقد اختلف أساتذة الكنيسة ومعلموها في ما بينهم. إنما بقراءة الكتاب المقدس وحده استطاع الناس الوصول الى الحق. "واحد يتمسك بعقيدة استاذ، وآخر يُشيد بتعليم استاذ آخر ... وكل مؤلف يناقض الآخرين، اذاً كيف يمكننا التمييز بين من يقول الصواب ومن يقول الخطأ ؟ ... كيف؟... في الواقع يمكننا ذلك بواسطة كلمة الله" (٢٢٣).

وبعد ذلك بوقت قصير اذ اشتبك عالم من أساتذة الكاثوليك مع تندل في جدال صاح هذا العالم قائلا: "خير لنا أن نستغني عن شرائع الله من أن نستغني عن شرائع البابوات". فأجابه تندل بقوله: "اني أتحدى البابا وكل شرائعه . واذا [276] أبقى الله على حياتي فقبل مضي سنين كثيرة سأجعل الولد الذي يسوق المحراث يعرف من أقوال الله أكثر مما تعرف أنت" (٢٢٤).

العهد الجديد بلغة الشعب

ان ذلك الغرض الذي كان تندل يفكر فيه ويهتم به، الا وهو تقديم كتاب العهد الجديد للشعب بلغة الشعب، ثبت في ذهنه وتأيد حينئذ، وفي الحال بدأ في ذلك العمل . واذ طُرد من بيته بسبب الاضطهاد ذهب الى لندن وظل بعض الوقت يواصل عمله من دون ازعاج . لكنّ عنف البابويين وقسوتهم اضطراه الى الهرب . وقد بدا كأن كل بلاد انجلترا الواسعة قد أغلقت أبوابها في وجهه، فعوَّل على اللجوء الى المانيا . وهناك بدأ بطبع كتاب العهد الجديد المترجم الى الانجليزية . وقد توقف العمل مرتين، وعندما كان يحظر عليه الطبع في مدينة كان يذهب الى أخرى . أخيرا سافر الى ورمس التي كان لوثر قد دافع فيها عن حق الانجيل قبل ذلك بسنوات قليلة أمام المجلس. وكان في تلك المدينة العريقة كثيرون من أصدقاء الاصلاح، فواظب تندل على عمله هناك من دون توقُّف . وسرعان ما أعدت ثلاثة آلاف نسخة من العهد الجديد، وفي السنة ذاتها تبعت الطبعة الاولى طبعة ثانية.

وتابع تندل جهوده بغيرة ومواظبة عظيمتين . وعلى الرغم من أن السلطات الانجليزية حرست موانئها بأعظم يقظة وأكمل حذر فقد حُملت كلمة الله سرا الى لندن بطرق مختلفة، ومن هناك وُزعت على كل البلاد . وعبثا حاول البابويون أن يخمدوا صوت الحق . وقد اشترى أسقف درهام مرة من بائع كتب مقدسة من أصدقاء تندل كل ما كان معه من كتب، ليحرقها ظنا منه أنه بذلك سيعطل ذلك العمل الى حد كبير، و لكن على العكس من ذلك فان المال الذي أخذه الرجل من الاسقف ثمنا لتلك الكتب أعان على شراء بعض المواد لاصدار طبعة جديدة أفضل للكتاب، ولولا ذلك لما كانت قد نُشرت . وحين سُجن تندل بعد ذلك قدمت اليه فرصة للافراج عنه على شرط أن يذكر أسماء من قد أعانوه [277] في تغطية نفقات طبع كتبه المقدسة فأجابهم قائلا ان أسقف درهام هو الذي أسدى اليه عونا أكثر من الجميع لانه بشرائه الكتب الباقية أعانه على التقدم في عمله بكل شجاعة.

أُسلم تندل الى أعدائه وقاسى مرة آلام السجن شهورا طويلة . وأخيرا شهد لايمانه بموته شه يدا، لكنّ الاسلحة التي أعدها أعانت جنودا آخرين على مواصلة الحرب مدى كل العصور الى يومنا هذا.

قادة غيورون أتقياء

وقد أعلن لاتيمر من المنبر قائلا أن الكتاب المقدس ينبغي أن يُقرأ بلغة وهذا الكتاب يشارك " هو الله نفسه " الشعب. ثم قال ان مبدع الكتاب المقدس مبدعه في قوته وخلوده: "لا يوجد ملك أو امبراطور ولا قاض ولا حاكم ... الا وهو ملزم بأن يطيع ... كلمته المقدسة" "فلا نسر في طرق مشعبة بل لنسر على هدي كلمة الله، لا نسر في أثر خطوات ... أجدادنا، ولا نحاول أن نعمل مثل أعمالهم، بل لنعمل ما كان يجب عليهم أن يعملوه" (٢٢٥).

وانبرى بارنز وفريت، اللذان كانا من أخلص أصدقاء تندل، للذود عن الحق. وجاء في أثرهما ردلي وكراغر . فهؤلاء القادة في الاصلاح الانجليزي كانوا علماء، ومعظمهم كانت لهم مراكز عظيمة ونالوا كرامة لاجل غيرتهم أو تقواهم في الشركة البابوية . ولذلك فان مقاومتهم للبابوية جاءت نتيجة لاطلاعهم على ضلالات "السدة البابوية المقدسة" وأخطائها. ان اطلاعهم على أسرار بابل أمدَّ شهادتهم قوة أعظم ضدها. [278]

سؤال غريب

قال لاتيمر: "أريد الآن أن أسأل سؤالا غريبا : من هو أكثر أساقفة انجلترا نشاطا واجتهادا ؟ ... أراكم تنصتون باهتمام عظيم في انتظار ذكر اسمه ... سأقول لكم عن اسمه، انه الشيطان . انه لا يترك أسقفيته البتة، ففي كل وقت تذهبون لزيارته تجدونه هناك ... وهو دائب في عمله دائما... لا يمكن أن تجدوه خاملا في أي يوم، و أنا أؤكد لكم ذلك، فأينما يسكن الشيطان ... تختفي الكتب وترتفع الشموع، وتختفي الكتب المقدسة ويؤتى بالمسابح . ليختفِ نور الانجيل وليؤتَ بانوار الشموع حتى في وضح النهار وفي وقت الظهيرة، ليختفِ صليب المسيح ولينتشر ابتزاز الأموال عن طريق ضلالة المطهر ... لا لزوم لكساء العراة والفقراء والعاجزين وليهتم الناس بزخرفة التماثيل وتزيين أوثان الخشب والحجر، لترتفع تقاليد الناس ووصاياهم ولتسقط تقاليد الله وكلمته المقدسة ... يا ليت أساقفتنا يجتهدون في زرع بذار التعاليم الصالحة بقدر ما يجتهد الشيطان في زرع الزوان" (٢٢٦).

ان المبدأ الجليل الذي حفظه هؤلاء المصلحون، والذي تمسك به واعتنقه الولدنسيون وويكلف وجون هس ولوثر وزوينجلي وكل من اتحدوا معهم، كان هو المرجع المعصوم في الكتب المقدسة والقانون الوحيد للايمان والاعمال . وقد أنكروا على البابوات والمجامع والآباء والملوك الحق في التحكم في ضمائر الناس في الشؤون الدينية . كان الكتاب المقدس هو مرجعهم ومستندهم، وفي نور تعاليمه امتحنوا كل التعاليم والادعاءات . وقد سند الايمان بالله وبكلمته هؤلاء الناس عندما أسلموا حياتهم للموت حرقا بالنار . وصاح لاتيمر يقول لشهيد زميل له عندما كانت لهب النار تلت هم جسميهما وتوشك أن تسكت صوتهما: "ثق وافرح فاننا اليوم سنشعل بنعمة الله في انجلترا شمعة لن تنطفئ كما أنا واثق" (٢٢٧). [279]

وفي اسكوتلانده لم يتلاش بالتمام بذار الحق الذي زرعه كولومبا ومعاونوه . فلمدى مئات السنين بعدما خضعت كنائس انجلترا لروما ظلت كنائس اسكوتلانده محتفظة بحريتها. ومع ذلك ففي القرن الثاني عشر ثبتت البابوية قدمها في اسكوتلانده، ولم تكن لها السيادة التامة في مملكة أخرى كما كانت الحال في اسكوتلانده، ولم تكن الظلمة في أشد حالات حلوكها كما كانت في تلك البلاد . ومع هذا فقد جاءت بعض أشعة النور حيث كان الظلام على أشده لتشق كبد غياهب الظلمة وتبشر بقدوم نور النهار الباهر . ان جماعة اللولارديين القادمين من انجلترا بالتوراة وتعاليم ويكلف أعانوا كثيرا في حفظ معرفة الانجيل، وكان لكل عصر شهوده وشهداؤه.

وعند بدء الاصلاح العظيم جيء بكتب لوثر، ثم بكتاب العهد الجديد الذي ترجمه تندل الى الانجليزية، ومن دون أن تلاحظ السلطة الكهنوتية عبرت هذه الرسائل الجبال والوديان بسكون فأوقدت مشعل الحق من جديد وزادته نورا على نوره بعدما كاد يخبو في اسكوتلانده، وهكذا خرّبت عمل روما الذي ظلت تقيمه لمدة أربعة قرون من الظلام والاضطهاد.

دم الشهداء قوة عظيمة

حينئذ صار دم الشهداء قوة عظيمة دفعت بتلك الحركة الى الأمام . فاذ تنبه القواد البابويون فجأة الى الخطر الذي كان يهدد قضيتهم أحرقوا بعضا من أنبل وأشرف أبناء اسكوتلنده . لكنهم بهذا العمل انما أقاموا منبرا لكي تُسمع منه أقوال اولئك الشهو د المحتضرين في كل أنحاد البلاد، وهكذا اهتزت مشاعر الشعب وقد عزمت الامة عزما ثابتا على أن تنفض عنها أغلال روما.

كان هاملتون وويشارت على درجة عظيمة من نبل الاخلاق كما كان دم النبل. يجري في عروقهم ا. هذان الأميران ومعهما جمع كبير ممن كانوا أقل منهما شأنا وحسب ا ونسبا أسلموا أرواحهم فوق المحرقة . ولكن من رماد ويشارت خرج [280] واحد لم يكن للهيب النار أن يسكته، شخص كان بمساعدة الله سيقضي القضاء المبرم على البابوية في اسكوتلنده.

كان جون كنوكس قد نفض يده من تقاليد الكنيسة وعلومها الروحانية ليتغذى بحقائق كلمة الله . وقد ثبّت ت تعاليمُ ويشارت جون كنوكس في عزمه على الانفصال عن روما والانضمام الى المصلحين المضطهدين.

فاذ ألح عليه رفاقه بأن يكون واعظا تراجع مرتعبا من تلك المسؤولية، ولم يقبل تلك الدعوة الا بعدما قضى أياما في الاعتزال والصراع العنيف مع نفسه. ولكن حالما اضطل ع بأعباء الوعظ تقدم الى الأمام بعزيمة لا تلين وشجاعة وبسالة لا تقهر مدى ايام حياته . هذا المصلح المخلص الأمين لم يكن يخاف وجه انسان . فنيران الاستشهاد المتقدة من حوله زادت من غيرته قوة فوق قوة . واذ رُفعت فأس الطاغية فوق رأسه متوعدة اياه ظل ثابتا في الميدان بل كان يضرب ضرباته الى اليمين والى اليسار بكل قوة لهدم الوثنية.

أمام الملكة وجها لوجه

وعندما وقف جون كنوكس وجها لوجه أمام ملكة اسكوتلانده، التي كان كثيرون من المصلحين يجبنون في حضرتها وتخذلهم شجاعتهم وغيرتهم، شهد للحق بلا انحر اف. لم يكن في وسع المداهنة أو الملاطفة أن تكسبه، ولا هو جبن أمام التهديدات . لقد اتهمته الملكة بالهرطقة قائلة له أنه يعلّم الشعب أن يعتنقوا دينا ممنوعا بأمر الدولة، وهكذا تعدى على أمر الله الذي يفرض على الرعايا أن يطيعوا ملوكهم، فأجابها كنوكس بكل ثبات قائلا:

”كما أن الدين الصحيح لم يحصل على قوته الاصيلة ولا سيادته من ملوك الارض بل من الله السرمدي وحده فكذلك رعاياه ليسوا ملزمين أن يشكلوا دينهم حسب مزاج ملوكهم، لأنه يحدث في غالب الأحيان أن الملوك يكونون أجهل الناس بالنسبة الى دين الله الحق يقي ... فلو كان كل نسل [281] ابراهيم اعتنقوا دين فرعون الذي كان ملكا عليهم أمدا طويلا، فأسألكِ يا مولاتي أن تجيبيني أي دين كان يبقى في العالم ؟ أو لو أن كل الناس في أيام الرسل كانوا يدينون بدين أباطرة الرومان فأي نوع من الدين كان يوجد على وجه الأرض ؟ ... وهكذا تدركين يا مولاتي أن الرعايا ليسوا مجبرين على اعتناق دين ملوكهم ولو أنهم ملتزمون أن يقدموا لهم الخضوع والطاعة“.

فقالت ماري: ”أنتم تفسرون الكتاب المقدس بشكل، وهم (معلمو الكنيسة الكاثوليكية) يفسرونه بشكل

آخر؛ فبأي التفسيرين أؤمن ومن يكون حكما؟“.

فأجابها المصلح قائلا: ”آمني بالله الذي يخاطبكِ من كتابه بكل وضوح، وأبعد مما يعلمه الكتاب ليس لك أن تؤمني بهذا أو ذاك .ان كلمة الله واضحة في حد ذاتها، أما اذا ظهرت أمامكِ معضلة أو مشكلة في مكان ما فالروح القدس الذي لا يمكن أن يناقض نفسه أبدا، يوضح تلك المعضلة نفسها في موضع آخر،بحيث لا يبقى هنالك شك الا لمن يصرون على البقاء في جهلهم“ (٢٢٨).

بمثل هذه الحقائق تكلم ذلك المصلح الشجاع أمام الملكة مخاطرا بحياته . وقد ظل ثابتا على غرضه بنفس تلك الشجاعة التي لا تكل ولا تتراجع، مصليا ومحاربا حروب الرب فتحررت اسكوتلانده من البابوية.

أما في انجلترا فان تثبيت قدم البروتستانتية كدين قومي قلل من الاضطهاد وخفف من حدته وان يكن لم يوقفه كليا. فمع أن كثيرا من تعاليم روما قد رُفضت فان عددا غير قليل من طقوسها ظل باقيا.لقد رفضوا سيادة البابا، ولكن، في مكانه، أقيم الملك رأسا للكنيسة . وفي خدمة الكنيسة كان لا يزال يوجد انحراف عن طهارة الانجيل وبساطته . ولم يكن ذلك المبدأ العظيم، مبدأ الحرية الدينية، قد فُهم تماما. فمع أن الحكام البروتستانت قلما لجأوا الى ضروب القسوة الرهيبة التي استخدمتها روما ضد الهرطقة فانهم لم يعترفوا بحق كل فرد في أن يعبد الله كما يمليه عليه ضميره . كان [282] مطلوبا من الجميع أن يقبلوا التعاليم ويحفظوا طقوس العبادة التي فرضتها الكنيسة المعترف بها. وقد قاسى المنشقون أهوال الاضطهاد ان عنيفا او خفيفا مئات السنين.

وفي القرن السابع عشر طرد آلاف الرعاة من وظائفهم . كما حُرم على الناس الذهاب الى كل اجتماع ديني لم تقره ولا صادقت عليه الكنيسة. والمخالفون كانت تفرض عليهم غرامات فادحة، أو يُسجنون أو ينفون. وأولئك الامناء الذين لم يكونوا يستطيعون أن يكفوا عن الاجتماع لعبادة الله أرغموا على الاجتماع في الازقة المظلمة أو العليات المعتمة، وفي بعض الأحيان كانوا يذهبون الى الغابات في منتصف الليل . وفي المخابئ التي كانوا يلوذون بها في الغابات كان يقام هيكل من صنع الله وكان أبناء الله المشتتون والمضطهدون يجتمعون ليسكبوا نفوسهم أمام الله في الصلاة والتسبيح. وعلى رغم كل التحفظات قاسى كثيرون الآلام لاجل ايمانهم . فقد اكتظت السجون وتشتت شمل العائلات ونُفي كثيرون الى بلدان أجنبية . ومع ذلك فقد كان الله مع شعبه ولم تفلح الاضطهادات في اسكات شهادتهم . وطُرد كثيرون عبر الاوقيانوس الى أميركا حيث وضعوا أسس الحرية المدنية والدينية التي كانت حصن تلك البلاد ومجدها.

ظهور تقدم الانجيل

ومرة أخرى حدث حينئذ، كما في أيام الرسل، ان الاضطهادات آلت الى تقدم الانجيل . ففي سجن كريه امتلأ بالمجرمين الخلعاء استنشق جون بنيان عبير السماء، وهناك كتب روايته العجيبة التي فيها صور سفر السائح المسيحي من مدينة الهلاك الى المدينة السماوية . وفي مدة تزيد على مئتي سنة ظل ذلك الصوت الخارج من سجن مدينة بدفورد يكلم قلوب الناس بقوة تهز المشاعر. ان كتابي يوحنا بني ان اللذين أسماهما ”سياحة المسيحي“ ”والنعمة المتفاضلة لأول الخطاة“ أرشادا أناسا كثيرين في طريق الحياة. [283]

ثم أن باكستر وفلافل وآلين وغيرهم من الرجال ذوي المواهب والعلم والاختبار المسيحي العميق وقفوا بكل شجاعة يدافعون عن الايمان المسلم مرة للقديسين .والعمل الذي قام به هؤلاء الرجال

المحرومون وطريدو القانون بأمر حكام هذا العالم لا يمكن أن يتلاشى، فان كتابي فلافل "نبع الحياة" و "أسلوب النعمة" قد علما آلافا من الناس كيف يسلمون أرواحهم في حِرز المسيح . كما أن كتاب باكستر "الراعي المصلح" كان بركة عظيمة لكثيرين من الذين يرغبون في انتعاش عمل الله، وأيضا كتابه "راحة القديسين الأبدية" كان له أثره العظيم في ارشاد نفوس كثيرة الى الراحة التي بقيت لشعب الله.

وبعد ذلك بمئة سنة في اثناء الظلمة الروحية ظهر هوايتفيلد وابنا وسلي كحاملي مشعل النور من قبل الله . فتحت حك م الكنيسة المعترف بها وصل شَعب انجلترا الى حالة من الركود الروحي قريبة الشبه بالوثنية . وكان الدين الطبيعي هو الدراسة المحببة لدى رجال الاكليروس وقد شمل معظم تعاليمهم اللاهوتية. وكان رجال الطبقات العالية يتهكمون على التقوى ويفخرون بانهم فوق متناول ما سم وه التعصب الديني . أما الطبقات الفقيرة فكان أفرادها في أحط دركات الجهل وصاروا صرعى الرذائل . أما الكنيسة فلم تكن لديها الشجاعة أو الايمان لاسناد قضية الحق الذي بدأ يهوي الى الحضيض.

ان العقيدة العظيمة، عقيدة التبرير بالايمان التي علم بها لوثر بكل وضوح، كانت قد غابت تقريبا عن أنظار الناس وأذهانهم، وقد احتلت مكانها العقيدة البابوية، عقيدة الاتكال على الاعمال الصالحة للخلاص . وكان هوايتفيلد وابنا وسلي، الذين كانوا أعضاء في الكنيسة المعترف بها، يطلبون رضى الله بكل اخلاص، وقد تعلموا أنهم يستطيعون الظفر بالرضى الالهي بواسطة حياة الفضيلة وحفظ فرائض الديانة.

وعندما أصيب تشارلس وسلي بمرض وكان يتوقع قدوم الموت سئل على أي أساس بنى رجاءه للحصول على الحياة الأبدية . فأجاب قائلا: "لقد بذلت قصاراي لكي أخدم الله". واذ تراءى له أن صديقه الذي طرح [284] عليه ذلك السؤال لم يكفه ذلك الجواب قال تشارلس: "ماذا أليست مساعيَّ التي بذلتها أساسا كافيا للرجاء ؟ وهل هو سيسلب مني تلك المساعي اذاً فلم يبق لي ما أتكل عليه بعد ذلك؟" (٢٢٩). هكذا كانت الظلمة الداجية التي سادت على الكنيسة وأخفت الكفارة، سالبة المسيح مجده، ومحوِّلة عقول الناس بعيدا من رجائهم الوحيد في الخلاص، أي دم الفادي المصلوب.

"كيف يتبرر الانسان عند الله"

رأى وسلي وزميلاه أن الدين الحقيقي مركزه القلب، وأن شريعة الله تمتد الى الافكار كما الى الأقوال والأعمال . واذ اقتنعوا بلزوم قداسة القلب كما بوجوب استقامة السلوك الخارجي عكفوا على أن يحيوا حياة جديدة بكل جد وعزم . وحاولوا بكل الجهود الجدية المصحوبة بالصلاة أن يقمعوا شر القلب الطبيعي . فعاشوا حياة انكار الذات و المحبة والاتضاع، وكانوا بكل دقة وصرامة يراعون كل الاجراءات التي ظنوا أنها قد تعينهم في الحصول على ما كانوا يتحرقون شوقا اليه، القداسة التي تظفر برضى الله . ولكنهم لم ينالوا مطلبهم . وعبثاً حاولوا تحرير أنفسهم من دينونة الخطيئة أو تحطيم قوتها أو سلطانه ا. هذا هو الصراع نفسه الذي اختبره لوثر في حجرته بدير ارفرت . ولقد كان هذا هو السؤال ذاته الذي عذب نفسه: "كيف يتبرر الانسان عند الله؟" (أيوب ٩ : ٢).

ان نار الحق الالهي التي كادت تخمد على المذابح البروتستانتية كانت ستشعل من جديد من المشعل القديم الذي قد سلمه المسيحيون في بوهيميا عبر الاجيال لمن جاءوا بعدهم . فالبروتستانتية في بوهيميا بعد أيام الاصلاح امتُهنت وداستها أقدام حشود روم ا. وكل من رفضوا نبذ الحق أجبروا على الهرب. فبعض من هؤلاء اذ وجدوا لانفسهم مل جأ في سكسونيا احتفظوا [285] بالحق القديم هناك . ومن نسل هؤلاء المسيحيين حصل وسلي وزميلاه على النور.

أن جون وتشارلس وسلي بعدما رسما للخدمة ارسلا الى اميركا للتبشير . وكان على ظهر تلك السفينة جماعة من المورافيين . وقد غضبت الطبيعة وثارت العواصف، فاذ وقف جون وسلي وجها لوجه أمام الموت أحس بأن ليس عنده يقين السلام مع الله . أما أولئك الالمان فعلى العكس من ذلك أبدوا هدوءاً وثقة لم يكن هو يعرف عنهما شيئاً.

وقال: "لقد ظللت طويلا أراقب رزانتهم وحكمة تصرفاتهم وقد برهنوا على الدوام أنهم قوم ودعاء اذ قاموا بخدمات وضيعة لاجل المسافرين وهذا ما يترفع كل انجليزي عن القيام به، ولم يرغبوا ولا قبلوا أن يأخذوا أجرا عن كل تلك الخدمات، قائلين أنها خير علاج لقلوبهم المتكبرة، وأن مخلصهم الحبيب أسدى اليهم خدمات أجل وأعظم . وقد أعطاهم كل يوم فرصة لاظهار وداعة لم يستطع أن يثيرها أي أذى . فلو أن أحد المسافرين دفعهم أو ضربهم أو طرحهم أرضا فانهم كانوا يقومون ويسيرون في طريقهم من دون أن تصدر من أفواههم كلمة شكوى . وها قد عرضت فرصة لاختبار ما اذا كانوا قد تحرروا من روح الخوف كما قد تحرروا من روح الكبرياء والغضب والانتقام . ففي وسط المزمور الذي رتلوه وبدأوا به الخدمة هاج البحر فانشق الشراع مِزقا ودخلت المياه السفينة وفاضت على متنها كما لو أن الغمر العظيم قد ابتلعها . فسُمعت صرخات مخيفة من الانجليز. أما الالمان فبكل هدوء ظلوا يواصلون الترنيم . وبعد ذلك سألت واحدا منهم قائلا: "ألم تكن خائفا؟" فأجابني قائلا: "شكرا لله فأنا لم أكن خائفا" فعدت أسأله: "ولكن ألم يكن أولادكم ونساؤكم خائفين؟" فقال بكل لطف: "كلا، لأن نساءنا وأولادنا لا يخافون الموت" (٢٣٠).

ولدى وصولهم الى سافانا مكث وسلي مع المورافيين وقتا قصيرا وقد أثر فيه سلوكهم المسيحي تأثيرا عميقا . وعلى نقيض الرسميات الميتة التي كانت تُرى في كنيسة انجلترا كتب عن احدى خدماتهم الدينية [286] يقول: "ان البساطة العظيمة والوقار الذي شمل الخدمة كلها كادا ينسيانني الالف والسبع مئة سنة السالفة فتصورت نفسي وسط احدى تلك الجماعات التي لم يكن فيها وجود للرسميات أو المقامات، بل كان يرأس الاجتماع بولس صانع الخيام أو بطرس الصياد؛ ولكن في تلك الخدمات كان يتجلى الروح والقوة".

المسيح وحده

وبعدما عاد وسلي الى انجلترا توصل تحت ارشاد واعظ مورافي الى ادراك أكمل لعقيدة الكتاب . وقد اقتنع أنه ينبغي له أن ينبذ كل استناد إلى أعماله للخلاص ويتكل بالتمام على "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم". وفي اجتماع من اجتماعات المورافيين في لندن قرئ بيان من بيانات لوثر فيه يصف التغيير الذي يحدثه روح الله في قلب المؤمن . واذ كان وسلي يسمع اضطرام الايمان في نفسه، وفي ذلك يقول: "لقد أحسست بقلبي يسخن ويتحمس، وأحسست أنني قد اتكلت على المسيح وحده لاجل الخلاص وأعطي لي اليقين بأنه قد رفع عني خطاياي، نعم خطاياي أنا، وأنقذني من ناموس الخطيئة والموت" (٢٣١).

وعلى مدى سنين طويلة من المحاولات الشاقة اليائسة ومن الانكار الصارم للنفس ولومها واذلالها ظل وسلي ثابتاً على عزمه الأوحد في طلب الله. أما الآن فقد وجده كما وجد أن النعمة التي جدَّ في الحصول عليها بالصلوات والاصوام والصدقات وانكار الذات كانت هبة "بلا فضة ولا ثمن".

فلما ثبت في الايمان بالمسيح اضطرمت في أعماقه رغبة في نشر معرفة انجيل نعمة الله المجانية في كل مكان . فقال: "اني أنظر الى العالم كله على أنه أبروشيتي، وحيثما أكون أحكم بأنه من اللائق والصائب واللازم أن أعلن لكل من يرغبون في الاستماع، بشرى الخلاص المفرحة" (٢٣٢). [287]

وقد ظل دائبا في حياة الدقة و انكار الذات، انما من منظار أنها ثمرة الايمان لا أساسه. فنعمة الله في

المسيح هي أساس رجاء المسيحي، وهذه النعمة تظهر في الطاعة . وقد كرس وسلي حياته للتبشير بالحقائق العظيمة التي قد حصل عليها : التبرير بالايمان بدم المسيح المكفِّر وقوة الروح القدس المجدِّدة للقلب والتي تظهر ثمارها في الحياة المطابقة لمثال المسيح.

لقد أُعد هوايتفيلد وآل وسلي لعملهم باقتناعهم الشخصي الطويل والمضني بأنهم في حال الهلاك؛ وبكونهم قادرين على احتمال المشقات كجنود صالحين للمسيح، لقد تعرضوا لتجربة الإحتقار والسخرية والاضطهاد في الجامعة وفي حقل الخدمة بعدما دخلوه . وقد دعاهم زملاءهم الفجار من الطلبة، هم وكل من عطفوا عليهم وانضموا اليهم، باسم ميثودست قصدا للزراية والاحتقار — وهذا يُعتبر اسماً من أكبر الأسماء في الوقت الحاضر اذ تكرمه وتعتنقه طائفة من أكبر الطوائف في انكلترا وأميركا.

واذ كا نوا أعضاء في كنيسة انجلترا واظبوا على طقوس عبادتها، لكنّ الرب قدم اليهم في كلمته مقياسا أسمى، وقد أقنعهم الروح القدس بأن يبشروا بالمسيح وإياه مصلوب اً. وقد رافقت بشارتهم قوةُ العلي . واقتنع آلاف الناس وتجددوا، فكان من اللازم حماية هذه الحملا ن من الذئاب الخاطفة . ولم يكن وسلي يفكر في انشاء طائفة جديدة بل نظمهم في ما دعي بالاتحاد الميثودستي.

كانت المقاومة التي لاقاها هؤلاء المبشرون من الكنيسة المعترف بها مقاومة عجيبة وقاسية، ومع ذلك فان الله تسلط على الحوادث بحكمته حتى جعل الاصلاح يبدأ من داخل الكنيسة نفسه ا. فلو جاء كله من الخارج لما تغلغل في ا لاماكن التي كانت في أشد الحاجة اليه . ولكن بما أن المبشرين بالانتعاش كانوا من رجال الكنيسة وخدموا في داخل حظيرة الكنيسة كلما أتيح لهم ذلك فقد وجد الحق بابا مفتوح ا كان يمكن أن يظل موصدا. وقد أُوقِظ بعض رجال الاكليروس من سباتهم فصاروا خداما غيورين في [288] أبروشياتهم. والكنائس التي قد تقست وفسدت بالرسميات والطقوس عادت اليها الحياة.

وفي عهد وسلي كما في كل أجيال تاريخ الكنيسة قام أناس ذوو مواهب مختلفة بالعمل المفروض عليهم . لم ينسقوا كل نقطة في العقيدة، لكنّ الجميع كانوا منقادين بروح الله واتحدوا في غرض شامل هو ربح النفوس للمسيح . هذا وان الخلاف بين هوايتفيلد وابني وسلي كاد في وقت ما ينتهي بالنفور والفرقة، ولكن بما انهم كانوا قد تعلموا الوداعة في مدرسة المسيح فقد أصلح بينهم التسامح المتبادل والمحبة . ولم يكن لديهم متسع من الوقت ليقضوه في الجدال، في حين أن الضلال والآثام كانت تتكاثر في كل مكان، وكان الخطأة يتحدرون الى الهلاك.

نجاة وسلي من الموت

سار خدام الله في طريق وعر . فقد استخدم الناس ذوو النفوذ وأرباب العلم نفوذهم وعلومهم ضدهم . وبعد وقت جاهر كثيرون من رجال الاكليروس بعدائهم لهم، فأغلقت أبواب الكنائس في وجه الايمان النقي وفي وجوه الداعين اليه . وان تصرف رجال الاكليروس بمنعهم من اعتلاء منابرهم ايقظ عناصر الظلام والجهل والاثم. ومرارا كثيرة كان جون وسلي ينجو من الموت باعجوبة من أعاجيب رحمة الله. ولما ثار غضب الرعاع ضده وبدا كأن لا مهرب له وقف الى جانبه ملاك في هيئة انسان فتراجع الرعاع وخرج خادم المسيح من مكان الخطر آمنا.

وكتب وسلي عن نجاته من الرعاع الساخطين في احدى تلك المرات يقول: ”لقد حاول كثيرون أن يطرحوني الى أسفل ونحن نازلون من التل في طريق زلق الى المدينة، وكنت أعتقد أنني لو سقطت الى الأرض فقد لا أستطيع النهوض ثانية . لكنّ رجلي لم تزلّ ولم أتعثر أدنى تعثر حتى نجوت من أيديهم كليّ

اَ... ومع أن كثيرين حاولوا أن يمسكوا بعنقي [289] أو بثيا بي ليطرحوني الى أسفل فانهم لم يستطيعوا، لكنّ واحدا منهم أمسك بجيب صدرتي، الذي تمزق في يده، أما الجيب الآخر الذي كانت فيه ورقة مالية فتمزق جزء منه ... وكان خلفي تماما رجل جشع . هذا الرجل وجَّه اليَّ عدة ضربات بعصا كبيرة من السنديان، فلو ضربني بها ضربة واحدة في مؤخرة رأسي لقضى علي . ولكن في كل مرة كانت الضربة ترتد عني ولم أعرف سبب ذلك لأني لم أكن أستطيع التحرك لا الى اليمين ولا الى اليسار ... وقد جاء آخر مندفعا في وسط الجمع واذ كان يرفع يده ليضربني أنزلها فجأة، انما ف قط جعل يربت على رأسي ويقول: "ما أشد نعومة شعره!"... ان الرجال الاولين أنفسهم الذين تحولت قلوبهم كانوا أبطال المدينة، وكانوا قادة السوقة في كل الظروف. وكان أحدهم مصارعا في حدائق الدببة ...

"بأي درجات لطيفة يعدنا الله لعمل مشيئته ! منذ عامين أصابت طوبة (قطعة قرميد) كتفي فأحدثت فيها كشطا، وبعد ذلك بعام أصابتني ضربة حجر بين عيني . وفي الشهر الماضي تلقيت ضربة، وفي هذا المساء تلقيت اثنتين، احداهما قبل دخولنا المدينة والثانية عند خروجنا منها، ولكن لم أتأثر منه ما لأنه مع أن انسانا ضربني ضربة على صدري بكل قوته، والأخرى أصابت فمي بعنف شديد حتى سال الدم في الحال، فاني لم أشعر بألم أكثر مما لو لمسني بقشة" (٢٣٣).

الميثودست يلاقون الصعاب

تلقى الميثودست الذين عاشوا في تلك الأيام الخوالي ــــ سواء، في ذلك، الشعب والخدام ــــ الهزء والاضطهاد من أعضاء الكنائس ومن المجاهرين بزندقتهم وعدم تدينهم الذين ألهبهم سود تصويرهم وتحريفهم . لقد اشتُكي عليهم في محاكم العدل التي لم يكن فيها عدل، لأن العدالة كانت نادرة الوجود في محاكم تلك الأيام . وفي غا لب الأحيان كانوا يلاقون ظلما على أيدي مضطهديهم . وكان الرعاع ينتقلون من بيت الي بيت يحطمون الاثاث والبضائع وينهبون [290] ما يروقهم، وبكل وحشية يمتهنون كرامة الرجال والنساء والاطفال . وفي بعض الحالات كانت تلصق بعض الاعلانات التي تدعو كل من يرغبون في تحطيم نوافذ بيوت الميثودست ونهب ما في تلك البيوت الى الاجتماع في مكان وزمان يحدَّدان لهم . وهذه الاعتداءات العلنية على كرامة الشرائع الانسانية والالهية سُمح بارتكابها من دون أن يوبخ مرتكبوه ا. وقد وقع اضطهاد منظم ضد الشعب الذ ي كانت غلطته الوحيدة ابعاد الخطأة عن طريق الهلاك وهدايتهم الى طريق القداسة.

وقد تحدث جون وسلي عن التهم الموجهة اليه والى زملائه، فقال: "بعض الناس يدَّعون أن تعاليم هؤلاء الرجال كاذبة ومخطئة وحماسية، وأنها تعاليم جديدة لم يُسمع به ا الا من عهد قريب، وأنها خاصة بمذهب الكويكرز (الاصدقاء) يعتنقها قوم متعصبون بابويون . لكنّ هذا الادعاء كله اقتلع من أصوله حيث قد تبرهن على مدى واسع أن كل فرع من هذا التعليم هو تعليم الكتاب المقدس الصريح كما تفسره كنيستن ا. ولذلك فلا يمكن أن يكون تعليما كاذبا ولا مخطئا على شرط أن يكون الكتاب المقدس صادقا". ثم قال: "وآخرون يدعون قائلين "ان عقيدتهم دقيقة أكثر من اللازم . وهم يجعلون الطريق الى السماء أضيق وأكرب مما يجب". وهذا هو في الحق الا عتراض الاصلي (كما كان هو الاعتراض الوحيد بعض الوقت)، وهو في السر أساس آلاف الاعتراضات الاخرى التي تبدو في أشكال مختلفة . ولكن هل هم يجعلون طريق السماء أضيق مما جعله ربنا ورسله ؟ وهل عقيدتهم وتعاليمهم أدق مما هي في الكتاب المقدس ؟ تأملوا فقط في بعض الآيات القليلة الواضحة، "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك

ومن كل قدرتك ومن كل فكرك" . "لأن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين". "وفان أكلتم أو شربتم أو فعلتم شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله". [291]

"فان كانت عقيدتهم أدق من هذه فاللوم عليهم، لكنّ ضمائركم تعلم أنها ليست كذلك . ومن ذا الذي يكون أقل دقة في شيء صغير من دون أن يفسد كلمة الله ؟ وهل يمكن ان من هو وكيل على سرائر الله يحسب أمينا لو أنه غيَّر جزءا من تلك الوديعة المقدسة ؟ كلا . انه لا يستطيع أن يلغي شيئا، ولا أن يثلم حدّ شيء، بل هو ملزم بأن يعلن قائلا للناس : "انه غير مسموح لي أن أنزل بكلمة الله لتوافق ذوقكم بل عليكم أن ترتقوا أنتم اليها و الا هلكتم الى الأبد". هذا هو الاساس الصحيح لتلك الصرخة الاخرى المألوفة عن "جفاء هؤلاء الناس". فهل هم جفاة حقاً، ومن أي وجهة هم جفاة ؟ ألا يطعمون الجياع ويكسون العراة ؟ "كلا ليست هذه هي الحقيقة . انهم ليسوا ناقصين في هذا، ولكنه م جفاة جدا لكونهم يدينون الناس ! فهم يظنون أنه لا يستطيع أحد أن يخلص ما لم ينتمِ الى طريقتهم" (٢٣٤).

ان الانحطاط الروحي الذي ظهر في انجلترا قبيل أيام وسلي كان الى حد كبير نتيجة للتعليم الانتينومي . لقد أكد كثيرون أن المس يح قد ألغى الشريعة الادبية ولذلك فالمسيحيون ليسوا ملزمين بحفظها، وأن المؤمن قد تحرر من "عبودية الاعمال الصالحة". وهنالك قوم آخرون مع أنهم يسلمون بدوام الشريعة أعلنوا أنه ليس من اللازم للخدام أن يوصوا الشعب باطاعة وصاياها، لأن أولئك الذين أختارهم الله للخلاص "سينقادون بواسطة تحريضات النعمة الالهية التي لا تقاوم الى ممارسة التقوى والفضيلة"، بينما أولئك المحكوم عليهم بالطرد بعيدا من الله الى الابد "لن تكون لهم القوة على حفظ الشريعة الالهية".

وهنالك آخرون ممن اعتقدوا "أن المختارين لن يكون في وسعهم أن يسقطوا من النعمة ولا أن يخسروا حقهم في رضى الله، هؤلاء وصلوا الى الاستنتاج الاكثر شناعة وهو أن " الاعمال الشريرة التي يرتكبونها ليست خاطئة في حقيقتها ولا تعتبر أدلة على انتهاكهم شريعة الله ، وأنه ينتج من ذلك أنه [292] لا يوجد ما يدعو الى أن يعترفوا بخطاياهم ولا الى التخلص منها بالتوبة" (٢٣٥). ولذلك أعلنوا أنه حتى الخطيئة التي هي أخسُّ الخطايا وأرذلها، "المعتبرة في نظر الجميع انتهاكاً شنيعاً لشريعة الله، لا تعتبر خطيئة في نظر الله" لو كان مرتكبها واحدا من المختارين، لانه "من بين الصفات الجوهرية المميزة للمختارين أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا مغيظا لله أو تنهى عنه شريعته".

هذه التعاليم الفظيعة شبيهة في جوهرها بالتعاليم التي علَّم بها في ما بعد المعلمون وأساتذة اللاهوت المشهورون — وهي أنه لا توجد شريعة الهية ثابتة كنموذج الصواب، ولكن نموذج الاخلاق يقرره المجتمع نفسه، وانه كان دائما عرضة للتغيير . كل هذه الآراء مصدرها الروح السائدة نفسها، روح ذاك الذي حتى وهو بين سكان السماء الذين بلا خطيئة بدأ عمله في نقض سياجات روادع شريعة الله.

أدت عقيدة علم الله المسبق بالسلوك البشري وتقرير الله مصير الناس منذ الأزل الى رفض حقيقي لشريعة الله . لكنّ وسلي قاوم بكل ثبات ضلالات المعلمين الانتينوميين، وبيَّن للناس أن هذا التعليم الذي قاد الناس الى اعتناق مذهب الانتينوميين مناقض لكل مة الله المقدسة . لقد "ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس"، "لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون . لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لاجل الجميع" (تيطس ٢ : ١١ ؛ ١ تيموثاوس ٢ : ٣ — ٦). ان روح الله يعطى مجانا للناس ليقدر كل انسان على التمسك بوسائط الخلاص . وهكذا المسيح "النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم" (يوحنا ١ : ٩). ان الناس يقصرون عن نيل الخلاص بسبب اصرارهم على رفض هبة الحياة. [293]

الدفاع عن الناموس الأدبي

وجوابا على ادعاء القائلين بأنه عند موت المسيح الغيت الوصايا العشر مع الناموس الطقسي قال وسلي: "ان الناموس الأدبي الذي يشمل الوصايا العشر وقد أوجب الانبياء حفظه وألزموا الناس بذلك لم يبطله الله . فلم يكن غرض المسيح من مجيئه أن يلغي أي جزء من هذه الشريعة . هذه هي الشريعة التي لا يمكن نقضها والتي "تقف ثابتة كالشاهد الامين في السماء"... كان هذا منذ بدء العالم اذ لم تكتب على ألواح حجرية بل على قلوب كل بني الانسان عندما خرجوا من يد الخا لق. ومع أن الحروف التي كتبت باصبع الله قد شوهتها الخطيئة الى حد كبير، فانه من غير الممكن محوها تماما ما دام عندنا احساس بالخير والشر . وينبغي لكل جزء من هذه الشريعة أن يبقى في قوته الملزمة لكل الجنس البشري في كل العصور، وألا تكون متوقفة على الزمان أو المكان أو أي ظرف من الظروف المعرَّضة للتغيير، بل يتعين أن تكون هذه الشريعة مستندة الى طبيعة الله وطبيعة الانسان وعلاقاتهما غير المتغيرة كل بالآخر.

"ما جئت لانقض بل لأكمل"... من دون تساؤل نقول ان معنى هذا الكلام (اذ هو متوافق مع ما جاء قبله وما جاء بعده) هو: أتيت لاجل تثبيت الناموس في ملئه برغم كل تعليقات الناس: أتيت لكي أوضح توضيحا كاملا كل ما كان محجوبا عن الاذهان أو غامضا في الكلمة الالهية، أتيت لاعلن الأهمية الكاملة الحقيقية لكل جزء منها، ولكن أبيِّن للناس طول كل الوصايا المتضمنة في الكتاب وعرضها ومد اها، وما بلغته طهارة كل فروعها وروحانيتها غير المدرَكة من سمو وعمق.

وقد أعلن وسلي عن التوافق التام بين الناموس والانجيل فقال: "اذاً فهنالك أوثق الصلات والروابط التي يمكن تصورها بين الناموس والانجيل . فمن ناحية نجد أن الناموس يعد الطريق للانجيل ويرشدنا ا ليه، ومن الناحية الاخرى [294] نجد الانجيل يرشدنا دائما الى اتمام الناموس اتماما أكمل . فالناموس مثلا يطلب منا أن نحب الله ونحب القريب وأن نكون متواضعين وودعاء وقديسين . ونحن نحس بأن ليس فينا الكفاية لهذه الامور، "وأن ذلك غير مستطاع للانسان". ولكننا نجد الله يقدم لنا وعدا بأن يهبنا تلك المحبة و يجعلنا متواضعين وودعاء وقديسين . ونحن نتمسك بالانجيل وبهذه الاخبار المفرحة، وحينئذ فحسب ايماننا يكون لنا، وحينئذ "يكمل فينا بر الناموس" بالايمان الذي في المسيح يسوع..."

وقال وسلي: "ان من ألد أعداء انجيل المسيح هم أولئك الذين بكل مجاهرة وعلى نحو قاطع "يدينون الناموس" نفسه "ويتكلمون عنه شرا ويذمونه" والذين يعلِّمون الناس أن يكسروا (ان ينقضوا ويحلوا ويفكوا) بضربة واحدة مضامين ليس وصية واحدة، سواء كانت من الوصايا الصغرى أو الكبرى، بل كل الوصاي ا... وأعظم كل الظروف المدهشة التي تلازم هذا الضلال القوي وهذه الخديعة العظيمة هو أن من يقعون فيها يعتقدون أنهم يكرمون المسيح بالحق اذ يهدمون الناموس الالهي وأنهم يعظمون مركز المسيح في حين أنهم يهدمون تعاليم ه ! ومع ذلك فهم يكرمونه مثلما أكرمه يهوذا بقوله "السلام يا سيدي . وقبله". ويمكنه أن يقول بحق لكل منهم: "أبقبلة تسلم ابن الانسان؟" فليس أقل من تسليمه بقبلة . أن نتحدث عن دمه ثم نحرمه من الاكليل، وان نستخف بأقل جزء من الناموس بحجة اننا نساعد على تقدم الانجيل . وكذلك لن يستطيع التنصل من هذه التهمة مَن يبشر بالايمان على نحو يؤدّي مبشارة أو مداورة الى اسقاط أيّ من فروع الطاعة، ومن يكرز بالمسيح على نحو يلغي أو يوهن أصغر وصايا الله" (٢٣٧).

وقد أجاب وسلي على أولئك الذين علموا "ان الكرازة بالانجيل فيها تحقيق لكل أهداف الناموس" فقال: "هذا ما ننكره انكاراً باتاً، فهو لا يحقق أول غاية من غايات الناموس وهي إقناع الناس بالخطيئة وإيقاظ اولئك الذين هم نيام على حافة الجحيم". والرسول بولس يع لن قائلا: "بالناموس معرفة [295] الخطيئة"، "وما لم يتبكت الانسان على الخطيئة فهو لا يشعر بحاجته الى دم المسيح المكفر ... وقد قال

ربنا نفسه: "لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى". اذاً فمن السخافة أن نجيء بالطبيب الى جماعة من الاصحاء، أو على الأقل من يتصور ون أنهم أصحاء . فعليك أن تقنعهم أولاً بأنهم مرضى والا فلن يشكروا لك تعبك لأجلهم . ومن السخافة كذلك كونك تقدم المسيح للذين قلبهم صحيح لم ينكسر بعد" (٢٣٨).

وهكذا نرى أن وسلي هو يكرز بالانجيل كان كسيده "يعظم الشريعة ويكرمها". وهو بكل أمانة أنجز العمل المسلم له من الله، وما كان أمجد النتائج التي سمح له بأن يراه ا. ففي نهاية حياته الطويلة التي بلغت ثمانين سنة — قضى منها أكثر من نصف قرن في الخدمة متنقلاً — زاد عدد سامعيه المتعلقين به على نصف مليون نسمة . ولكنّ الجمع الغفير الذين بفضل جهوده رُفعوا من خراب الخطيئة وانحطاطها إلى حياة أسمى وأطهر، وعدد الذين بواسطة تعليمه حصلوا على اختبار أعمق وأغنى، لن تتسنّى معرفتهم حتى تجتمع كل جموع المفديين من أفراد أسرة الله في ملكوته . ان حياته تقدم لكل مسيحي درسا لا يقدَّر بثمن . فحبذا لو أن الايمان والوداعة والغيرة التي لا تكل وتضحية النفس والتكريس التي لوحظت في حياة خادم المسيح هذا تجد لها انعكاساً في كنائس عصرنا الحاضر! [296]

الفصل الخامس عشر — الكتاب المقدس و الثورة الفرنسية

ان الاصلاح اذ أهدى الناسَ كتابا مقدسا مفتوحا في القرن السادس عشر كان يحاول الدخول الى كل ممالك أوروب ا. وقد رحبت به بعض الدول بكل سرور على أنه رسول السماء، ولكن في بلدان أخرى أفلحت البابوية الى حد كبير في منع دخوله، وبذلك كادت أنوار معرفة كتاب الله تبعَد تماماً بتأثيراتها السامية . ومع أن النور وجد بابا مفتوحاً في فرنسا فان العقول المظلمة لم تدركه . وظل الحق والضلال يتصارعان على السيادة طوال قرون. وأخيرا انتصر الشر وأقصي حق ا لسماء بعيدا: "هذه هي الدينونة أن النور قد جاء الى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور" (يوحنا ٣ : ١٩). وقد تُركت الامة لتحصد ثمار المسلك الذي اختارته لنفسه ا. فرُفعت روادع روح الله عن ذلك الشعب الذي ازدرى بهبة نعمته. وسُمح للشر أن يتفاقم ويستشري . ورأى العالم كله عواقب الاصرار على رفض النور.

بلغت الحرب التي ثارت طوال قرون عدة ضد الكتاب المقدس في فرنسا غايتها القصوى في مشاهد الثورة . لقد كانت تلك الثورة الهائلة هي النتيجة الشرعية لكبت روما وكبحها ومصادرتها الكتب المقدسة، (انظر التذييل). فقدمت اعظم مثال مده ش رأه العالم لما آلت اليه السياسة البابوية، وأظهرت العواقب [297] التي كان تعليم الكنيسة البابوية يؤدّي اليها في حقبة من الزمن تزيد عن ألف عام.

كان الأنبياء قد تنبأوا عن قمع الكتب المقدسة وكبتها في سني السيادة البابوية، كما أن الرائي يشير أيضا الى العواقب الهائلة التي كانت ستعصف بفرنسا على الخصوص نتيجة لسيادة "انسان الخطيئة".

قال ملاك الرب: "سيدوسون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهرا. وسأعطي لشاهديَّ فيتنبآن الفا ومئتين وستين يوما لابسين مسوح ا... ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حربا ويغ لبهما ويقتلهما. وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحيا سدوم ومصر حيث صلب ربنا ايض ا... ويشمت بهما الساكنون على الارض ويتهللون ويرسولن هدايا بعضهم لبعض لان هذين النبيين كانا قد عذبا الساكنين على الأرض ثم بعد الثلاثة الايام والنصف دخل فيهما رو ح حياة من الله فوقفا على أرجلهما ووقع خوف عظيم على الذين كانوا ينظرونهما" (رؤيا ١١ : ٢ — ١١).

ان الفترتين المذكورتين هنا — "اثنين وأربعين شهرا" "وألف ومئتين وستين يوما" هما شيء واحد وتمثلان كلتاهما الزمن الذي كانت كنيسة المسيح ستق اسي فيه الاضطهاد من روم ا. ان الاف والمئتين والستين سنة التي كانت فيها السيادة للبابوية بدأت في عام ٥٣٨ للميلاد، وكانت ستنتهي في عام ١٧٩٨، (انظر التذييل). ففي ذلك التاريخ دخل جيش فرنسي روما وأسر البابا الذي مات في منفاه . ومع أنه كان قد تم اختيار بابا جديد تو اً بعد ذلك فان السلطة البابوية لم تستطع قط منذ ذلك الوقت أن تستخدم القوة التي كانت لها من قبل. [298]

يتنبآن في المسوح

على أن اضطهاد الكنيسة لم يظل قائما مدى فترة ال ١٢٦٠ سنة كلها. فالله رحمة منه بشعبه قصَّر أيام تلك البلوى المحرقة. والمخلص حينما تن بأ عن "الضيقة العظيمة" التي ستحل بالكنيسة قال: "ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام" (متى ٢٤ : ٢٢) فبفضل تأثير الاصلاح انتهت الاضطهادات قبل عام ١٧٩٨.

أما في ما يختص بذينك الشاهدين فالنبي يعلن قائلا: "هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الارض". وقد قال صاحب المزامير: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (رؤيا ١١ : ٤ ؛ مزمور ١١٩ : ١٠٥) فالشاهدان يرمزان الى كتب العهد القديم والعهد الجديد . فكلاهما شهادة هامة لاصل شريعة ا ا. وكلاهما يشهدان لتد بير الخلاص. فرموز العهد القديم وذبائحه ونبواته تشير الى مخلص آت في المستقبل. وأناجيل العهد الجديد ورسائله تخبرنا عن مخلص قد أتى بالطريقة ذاتها التي أنبئ بها عنه بواسطة الرموز والنبوات:

"يتنبآن الفا ومئتين وستين يوما لابسين مسوحا". وطوال أغلب سني تلك المدة ظل شاهدا الله محجوبين . لقد حاول السلطان البابوي أن يحجب كلمة الحق عن الشعب وأقام بدلا منها شهودا كذبة لكي يناقضوا شهادتها، (انظر التذييل). وعندما صادرت السلطات الزمنية والدينية الكتاب المقدس وعكست شهادته وأفسدت وبذلت أقصى الجهود التي يستطيع الناس والش ياطين أن يبتكروها لتحويل اذهان الشعب عن تلك الشهادة، وعندما طورد اولئك الذين تجرأوا على اعلان حقائقه المقدسة أو أسلموا وعذبوا أو دفنوا في زنزانات في السجون أو استشهدوا من أجل ايمانهم أو أجبروا على الهروب الى حصون الجبال ومغاور الارض وشقوقها، حينئذ تنبأ الش اهدان الامينان لابسين مسوحا. الا انهما ظلا يؤديان شهادتهما طوال مدة ال ١٢٦٠ سنة. ففي اظلم العصور كان [299] يوجد رجال امناء أحبوا كلمة الله وكانوا غيورين على مجده . هؤلاء العبيد المخلصون الامناء أعطوا الحكمة والقوة والسلطان ليعلنوا حق الله طوال تلك السنين.

"وان كان أحد يريد أن يؤذيهما تخرج نار من فمهما وتأكل اعداءهما وان كان احد يريد أن يؤذيهما فهكذا لا بد أن يقتل" (رؤيا ١١ : ٥). لا يمكن أن يدوس انسان كلمة الله من دون قصاص. ان معنى هذا الانذار المخيف موضح في الاصحاح الاخير من سفر الرؤيا حيث يقول الرائي: "لاني أشهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب . وان كان أحد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب" (رؤيا ٢٢ : ١٨ و ١٩).

نتائج العصيان على الله

هكذا كانت الانذارات التي اعطاها الله لمنع الناس من تغيير ما قد أعلنه أو أمر به، أو من تحويره بطريقة م ا. هذه الانذارات الخطيرة تنطبق على كل من يستخدمون نفوذهم في جعل الناس يستخفون بشريعة الله . وينبغي أن تخيف وترعب الذين بكل طلاقة يعل نون انه لا ضير من كوننا نطيع شريعة الله أو نعصاه ا. فكل الذين يعظمون آراءهم فوق الوحي الالهي او يحاولون تحوير المعنى الواضح الصريح

للكلمة الالهية لتتفق مع أهوائهم الخاصة او لتتماشى مع العالم يوقعون انفسهم تحت مسؤولية هائلة مخيفة . ان الكلمة المكتوبة أي شريعة الله ستزن خلق كل انسان وتدين كل من يعلن عنه هذا المحك الذي لا يخطئ، أنه ناقص.

"ومتى تمما شاهدتهما" (وفيما هما يتممان شهادتهما). ان المدة التي كان فيها ذانك الشاهدان سيتنبآن لابسين مسوحا انتهت في عام ١٧٩٨. واذ كانا يقتربان من نهاية عملهما في الخفاء كانت ستثور حرب عليهما من القوة التي يمثلها "الوحش الصاعد من الهاوية". ففي كثير من دول [300] أوروبا كانت القوى المتحكمة في الكنيسة وفي الدولة على مدى قرون طويلة هي تلك التي كان الشيطان مسيطرا عليها عن طريق البابوية . ولكننا هنا نرى مظهرا جديدا من مظاهر قوة الشيطان.

كانت سياسة روما، تحت ستار الاقرار بتوقيرها للكتاب المقدس، ان تبقيه مغلقا عليه في لغة يجهلها الشعب ومحجوبا عن الانظار . وتحت حكمها تنبأ الشاهدان "لابسين مسوحا". لكنّ قوة اخرى — هي قوة الوحش الصاعد من الهاوية — كانت موشكة ان تعلن الحرب على كلمة الله.

ثم ان "المدينة العظيمة" التي قتل الشاهدان في شوارعها وفيها كانت جثتاهما تدعى "روحيا مصر". من بين كل الأمم المذكورة في تاريخ الكتاب المقدس نجد ان مصر هي أكثرها جرأة في انكار وجود الاله الحي ومقاومة اومراه. انه لم يجرؤ اي ملك على ان يجاهر بالعدوان على سلطة السماء في ترفع وكبرياء مثلما فعل ملك مصر. فعندما ابلغ موسى الى فرعون الرسالة باسم الرب اجاب الملك بكل غطرسة وتشامخ قائلا: "من هو الرب حتى اسمع لقوله فاطلق اسرائيل. لا اعرف الرب واسرائيل لا اطلقه" (خروج ٥ : ٢). هذا هو الالحاد، والامة التي ترمز اليها مصر ستُقدِم على انكار شبيه بهذا اذ تنكر مطالب الله الحي، وستُبدي روحا شبيهة بتلك الروح المشبعة بعدم الايمان والتحدي. ثم ان "المدينة العظيمة" مشبهة ايضا "روحيا" بسدوم. انّ فساد سدوم الظاهر في تعدّيها شريعة الله ظهر على الخصوص في دعارتها. وهذه خطيئة ستكون أيضاً من السمات البارزة لتلك الامة التي تنطبق عليها أوصاف هذه الآية.

وتبعا لما ورد في أقوال النبي قبل عام ١٧٩٨ بقليل ستقوم قوة نابعة من الشيطان ولها صفاته لتحارب الكتاب المقدس . ففي البلاد التي ستبكم فيها شهادة شاهدَي الله ستتفشى دعارة سدوم وإلحاد فرعون. [301]

اتمام حرفي للنبوة

هذه النبوة تمت حرفيا وبطريقة مدهشة في تاريخ فرنسا. ففي أثناء الثورة التي نشبت في عام ١٧٩٣ "لاول مرة سمع العالم عن جمع من الناس؛ ولدوا وتهذبوا في أحضان المدنية وكانوا يدعون أن لهم الحق في أن يسوسوا دولة من أجمل دول أوروبا، يرفعون أصواتهم مجاهرين بانكار أعظم حق مقدس تقبله نفس الانسان، ويُجمعون على انكار الاعتقاد بالله وبعبادته" (٢٣٩). "ان فرنسا هي الدولة الوحيدة في العالم التي سُجل عليها أنها كأمة رفعت يدها في تحد وتمرد ضد خالق الكون. لقد وجد ولا يزال يوجد كثيرون من المجدفين والملحدين في انجلترا والمانيا وأسبانيا وفي كل مكان، لكنّ فرنسا تقف وحدها في تاريخ العالم كالدولة الوحيدة التي بموجب قرار جمعيتها التشريعية أعلنت أنه لا يوجد إله والتي قبل كل سكانها في العاصمة وأكثرية الناس في أماكن أخرى ذلك الاعلان وهم يرقصون بفرح عظيم، سواء في ذلك الرجال والنساء" (٢٤٠).

وتميزت فرنسا كذلك بتلك السمة التي اشتهرت بها سدوم، ففي أثناء الثورة ظهرت حالة انحطاط

وفساد خلقي شبيهة الحالة التي استمطرت جامات الغضب على مدن السهل . وها هو المؤرخ يعرض إلحاد فرنسا ودعارتها جنبا الى جنب كما هما مقدمان في النبوة فيقول: "وقد ارتبط بهذه القوانين التي تمس الدين ذاك الذي حوّل وحدة الزواج — وهو اقدس ارتباط يمكن أن يكوّنه بن و الإنسان ويؤدي دوامه الى زيادة التماسك في المجتمع — الى حالة عقد مدني مؤقت يُتاح لرجل وامرأة أن يرتبطا به أو يفسخاه متى أرادا ... فلو أن الشياطين عملوا وكدوا لاستنباط وسيلة تؤدي حتما الى تدمير كل ما هو جليل أو وقور أو جميل أو ثابت في الحياة البيتية، ولل حصول في الوقت نفسه على ضمان أن الضرر الذي يقصدون أن يخلقوه سيدوم من جيل الى جيل، لما استطاعوا أن يستنبطوا خطة أفعل من انحطاط الزواج ... أن صوفي أرنولت، وهي ممثلة [302] اشتهرت بسرعة خاطرها ونكاتها المستملحة، وصفت الزواج الذي أقرته الجمهورية الفرنسية بأنه "سر الزنا"" (٢٤١).

عداوة ضد المسيح

"حيث صلب ربنا أيضا". هذا التحديد الوارد في النبوة تممته فرنسا أيضا. فلم تبدُ العداوة للمسيح على أشدها في أمة ما كما ظهرت في فرنسا، ولم يجابه الحق ولا اصطدام بعداوة ومقاومة مُرة وقاسية كما حدث في فرنسا. ففي الاضطهاد الذي أثارته فرنسا ضد المعترفين بالانجيل صلبت المسيح في شخص تلاميذه.

ومن جيل الى جيل أهرقت دماء القديسين . فاذ كان الولدنسيون يبذلون حياتهم على جبال بيدمونت "لأجل كلمة الله ولأجل شهادة يسوع المسيح" قدم أخوتهم الالبيجنسيون شهادة مماثلة في فرنسا. وفي أيام الاصلاح كان تلاميذه يساقون الى الموت بعد عذابات هائلة . فالملك والنبلأ والسيدات الشريفات والعذارى الرقيقات، فخر الأمة وفرسانها كانوا جميعا يمتعون انظارهم برؤية عذابات شهداء يسوع . والهيجونوت الشجعان الذين كانوا يحاربون لاجل استخلاص تلك الحقوق التي يعتز بها و يقدسها كل قلب بشري سُفكت دماؤهم في كثير من المعارك الحامية الوطيس . لقد اعتبر البروتستانت طريدي العدالة، وكانت تعطى جوائز لمن يأتون برؤوسهم، فكانوا يطاردون كما تطارد الوحوش.

ان "الكنيسة في البرية"، البقية القليلة الباقية من ذرية المسيحيين الاولين الذ ين ظلوا باقين في فرنسا في القرن الثامن عشر والذين كانوا يختبئون في جبال الجنوب، ظلوا على ولائهم لايمان آبائهم. واذ كانوا يتجرأون على الاجتماع على سفح جبل أو في أرض سبخة منعزلة كان الجنود والفرسان يطاردونهم ويوثقونهم الى السفن ليظلوا أرقاء فيها مدى الحياة. فاولئك الذين كانوا أنقى الناس في فرنسا وأعظمهم ثقافة وذكاء وعبقرية كانوا يكبلون [303] [304] ويعذبون عذابات رهيبة ويحشرون بين اللصوص والقتلة (٢٤٢). وآخرون ممن كانوا يعاملون ببعض الرحمة كانوا يقتلون رميا بالرصاص من دون أن يرثي لهم أحد حين كانوا، وهم عزَّل من السلاح وعاجزون تماما، يجثون على ركبهم للصلاة. وكان مئات من الرجال الطاعنين في السن والنساء اللواتي لا حيلة لهن في الدفاع عن أنفسهن والاولاد الابرياء يتركون قتلى على الارض في مكان اجتم اعهم للصلاة. واذ كان بعضهم يعبرون سفوح الجبال أو الغابات لم يكن أمرا غير مألوف أن يجدوا "بعد كل أربع خطوات جثثا مبعثرة في المروج أو أجساما معلقة على الاشجار". فأرضهم التي أقفرها السيف أو الناس أو النار "استحالت الى برية واسعة كئيبة". "هذه الفظائع سُنَّت لها قوانين ... ليس في عصر مظلم بل في الفترة الزاهرة الجميلة في ابان حكم الملك لويس الرابع عشر، فلقد انتشر العلم حينئذاك وازدهرت العلوم المختلفة، وكان علماء اللاهوت في البلاط الملكي وفي

العاصمة رجالا علماء وفصحاء، وكانوا يتظاهرون بالوداعة والاحسان وحب الخير" (٢٤٣).

أبشع الجرائم

لكنّ مذبحة سان بارثلوميو سطرت خطوطا أشد سوادا من دجى الليل في سجلات الجرائم وكانت أرهب عمل يمكن أن ترتكبه الشياطين مدى العصور المخيفة .ولا يزال العالم يذكر بخوف ورعب عظيم مشاهد ذلك الهجوم الدال على النذالة والقسوة والجبن . فملك فرنسا أباح ذلك العمل الرهيب تحت الحاح كهنة روما وأساقفتها. وقد كانت اشارة البدء في تلك المذبحة دقات الاجراس في سكون الليل . ان آلافا من البروتستانت اذ كانوا نائمين باطمئنان وسكون في بيوتهم مستندين الى عهد الشرف بالامان من فم مليكهم سُحبوا بلا سابق انذار وقتلوا بكل قسوة من دون أن يعطف عليهم قلب انسان. [305]

وكما كان المسيح هو القائد غير المنظور لشعبه في خروجهم من عبودية مصر، كذلك كان الشيطان هو قائد رعاياه غير المنظور في هذا العمل الرهيب الذي فيه تضاعف عدد شهداء الحق . وقد ظلت المذبحة قائمة في باريس سبعة أيام كاملة، وفي خلال الثلاثة أيام الاولى زاد غضب اولئك القاتلين واهتياجهم الى حد فاق كل تصور . ولم تقتصر تلك المذبحة على المدينة وحدها، فالملك أصدر أمرا خاصا بأن تمتد لتشمل كل المقاطعات والمدن حيث يعيش البروتستانت . ولم تراع حرمة السن أو الجنس . فلم يبقوا على طفل بريء ولا على رجل أشيب .لقد قُتل الاشراف والفلاحون ، الكبار والصغار، والامهات وأطفالهن معا. وظلت تلك المذبحة قائمة في جميع أنحاء فرنسا شهرين كاملين، فهلك من زهرة الامة وأفضل رعاياها سبعون ألفا.

مظاهر التعظُّم

"ولما بلغت أنباء تلك المذبحة أسماع روما ابتهج رجال الاكليروس ابتهاجا فاق كل الحدود . وقد كافأ كاردينال اللورين الرسول الذي حمل اليه ذلك الخبر بأن أعطاه ألف جنيه ذهبا. ودوت طلقات مدافع سان أنجيلو فرحا وابتهاجا، كما تجاوبت أصوات نواقيس الكنائس من كل مكان، وأحالت شعلات النار الليل البهيم الى نهار، كما سار البابا غريغوريوس الثالث عشر في موكب طويل يحف به الكرادلة وغيرهم من أحبار الاكليروس الى كنيسة سان لويس حيث كان كردينال اللورين ينشد نشيد الشكر، وقد سُكّ وسام لاحياء ذكرى تلك المذبحة، ولا تزال توجد في الفاتيكان ثلاث صور لفاساري في وصف الهجوم على الاميرال، والملك وهو مجتمع مع المجلس يتآمرون لتدبير تلك المذبحة ، والمذبحة نفسها. وقد أرسل غريغوريوس الى شارل الوردة الذهبية، وبعد المذبحة بأربعة أشهر... كان يصغي بكل سرور و بشاشة الى عظة كان يلقيها كاهن فرنسي... تكلم فيها عن "ذلك اليوم المفعم سعادة وفرحا عندما وصلت [306] الاخبار الى الاب الاقدس فذهب في جلال مقدس ليشكر الله والقديس لويس""" (٢٤٤).

ان الروح الشريرة نفسها التي سيطرت على من قاموا بتدبير مذبحة سان بارثلوميو كانت هي الروح السائدة في مشاهد الثورة . فلقد أعلن أن يسوع المسيح دجال، وكانت صيحات الملحدين الفرنسيين تهتف في مزاح قائلة: "اسحقوا ذلك الحقير" وكانوا يقصدون المسيح . لقد سار التجديف المتحدي للسماء والشر الرجس يدا بيد، وقد رُفع وتمجد أحط الناس الانذال . وشر وحوش الخلاعة والقسوة والوحشية والرذيلة

حملوا فوق الاعناق . وفي كل هذا أظهر الناس أعظم الولاء للشيطان . بينما المسيح الذي يمتاز بالحق والطهارة والمحبة المنكرة ذاتها عُلق على صليب.

"الوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حربا ويغلبهما ويقتلهما". ان قوة الالح اد التي سادت على فرنسا في أثناء الثورة وحكم الرعب أثارت ضد الله وكلمته المقدسة حربا هائلة لم يسبق للعالم أن رأى لها مثيلا . لقد أبطل المجلس القومي أو الجمعية الوطنية عبادة الله، والكتب المقدسة جمعت وأحرقت على مرأى من الناس بكل احتقار وازدراء. ولقد داس الناس شريعة الله تحت أقدامهم وألغيت كل قوانين الكتاب المقدس، وأبطل يوم الراحة الاسبوعي، واستعاضوا عنه بجعل اليوم العاشر يوما للطرب والتجديف. وُحرم اجراء فريضتي العماد والعشاء الرباني . وكتبت فوق المدافن اعلانات بخط واضح تفيد أن الموت نوم أبدي.

ولقد قيل أن مخ افة الله أبعد ما تكون عن رأس الحكمة بحيث أنها صارت رأس الجهالة . وحُظِّرت كل الخدمات الدينية باستثناء خدمات الحرية والدولة. "وقد أتي باسقف باريس الشرعي ليمثل الجانب الاكبر في أوقح مهزلة تثير الشكوك مُثِّلتْ قط أمام هيئة قومية ... لقد جيء به في موكب ح افل ليعلن أمام الجمعية أن الدين الذي قد علم به تلك السنين الطوال كان بكل معاني الكلمة حيلة من حيل الكهنوت ليس لها أساس لا في التاريخ [307] ولا في الحق المقدس . وفي عبارات خطيرة حاسمة أنكر وجود الله الذي كان قد كرس نفسه لخدمته، ثم قال ا نه في مستقبل أيامه سيكرس نفسه للولاء للحرية والمساواة والفضيلة وعلوم الادب . ثم وضع أوسمته الاسقفية على المنضدة، وبعد ذلك عانقه رئيس الجمعية . واتبع كثيرون من الكهنة المرتدين مثال الاسقف" (٢٤٥).

"ويشمت بهما الساكنون على الارض ويتهللون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض لان هذين النبيين كانا قد عذبا الساكنين على الارض". ان فرنسا الملحدة كانت قد أبكمت صوت التوبيخ الذي كان ينطق به ذانك الشاهدان . لقد انطرحت كلمة الحق ميتة في الشوارع، ولذلك فرح وتهلل كل من كانوا يمقتون نواهي شريعة الله وأوامره ا. لقد جاهر الناس بتحديهم لمل ك السماء . وكالخطأة من قديم الزمان صاحوا قائلين: "كيف يعلم الله ؟ وهل عند العلي معرفة؟" (مزمور ٧٣ : ١١).

جرأة مجدفة

وبجرأة وتجديف لا يكاد الانسان يصدقهما قال أحد كهنة النظام الجديد: "يا الله ان كنت موجوداً انتقم لاسمك الذي أهين . اني أتحداك ! أراك صامت ا. انك لا تجرؤ على أن تمطرنا بصواعقك أو رعودك . من ذا الذي يصدق بعد هذا أنك موجود؟" (٢٤٦). ما أعظم هذا من صدى لقول فرعون: "من هو الرب حتى أسمع لقوله"؟ "لا أعرف الرب"!

"قال الجاهل في قلبه ليس اله" (مزمور ١٤ : ١). والرب يعلن عمن يحرفون الحق قائلا: "حمقهم سيكون واضحا للجميع" (٢ تيموثاوس ٣ : ٩). فبعدما نبذت فرنسا عبادة الاله الحي "العلي المرتفع ساكن " بزمن قصير انحدرت الى عبادة الاوثان المنحطة المرذولة اذ عبد " الابد الناس إلاهة العقل في شخص امرأة خليعة متهتكة . وذلك في الجمعية التي تمثل الامة وبواسطة أعلى سلطاتها المدنية والتشريعية! وقد قال المؤرخ: [308] "ثمة احتفال لا مثيل له في السخافة الممزوجة بالالحاد ثمَّ في عصر الجنون هذ ا. لقد فتحت أبواب المؤتمر على مصاريعها لدخول فرقة موسيقية كان يسي ر في مقدمها هيئة رجال المجلس البلدي الذين دخلوا في موكب وقور ينشدون نشيدا في تمجيد الحرية وهم يحرسون أنثى محجبة لتكون

موضوع عبادتهم مستقبلا وسموها إلاهة العقل . فلما أتي بها الى داخل الحاجز رُفع عنها خمارها باحتفال رسمي عظيم ووضعت على يمين الرئيس، في حين أن جميع الناس كانوا يعرفون أنها احدى راقصات دار الاوبرا ... هذه الشخصية، التي تعتبر أنسب ممثل لذلك العقل الذي عبده رجال الجمعية الوطنية الفرنسية، هي التي خصتها فرنسا بالعبادة الجهارية والولاء.

يعبدون الاهة العقل

"كان لهذا المجون الالح ادي السخيف طراز خاص، فعمد الناس في طول البلاد وعرضها الى تنصيب إلاهة العقل حيثما رغبوا في أن يبينوا أنهم أنداد لكل القِمم التي تسمو اليها الثورة" (٢٤٧).

وقال الخطيب الذي قدم عبادة العقل: "أيها المشترعون ! لقد أفسح التعصب المجال للعقل. ان عينيه الضعيفتين لم تقويا على مواجهة النور الباهر. ولقد اجتمع اليوم حشد عظيم تحت تلك الاقبية القوطية التي تردد للمرة الاولى صدى صوت الحق. هنا يحتفي الفرنسيون بالعبادة الحقيقية الوحيدة: عبادة الحرية وعبادة العقل. وهنا نبتهل طالبين نجاح قوات جيش الجمهورية. هناك ننبذ الاصنام الجامدة ونستعيض عنها بالعقل، هذه الصورة الحية التي هي تحفة الطبيعة" (٢٤٨).

وعندما أُتي بالالاهة الى الجمعية أمسك الخطيب بيدها والتفت الى الجمع وقال: "أيها الناس، لا ترتعبوا بعد الآن أمام رعود إله عاجز خلقته مخاوفكم. ومن الآن لا تعترفوا بالله آخر غير ا لعقل. وها أنا أقدم اليكم أكرم تمثال له وأنقاه. فاذا [309] أردتم أن تكون لكم أصنام فقدموا ذبائحكم أمام مثل هذه ... اسقط أمام مجلس الحرية يا برقع العقل... !

"وبعدما عانق الرئيس الالاهة أركبت في عربة فخمة وسار في معيتها جمهور غفير الى كاتدرائية نوتردام لتحتل مكان الله. وهناك رُفعت على المذبح العالي وتقبَّلت العبادة من كل الحاضرين" (٢٤٩).

وتبع ذلك بوقت قصير حرق الكتاب المقدس جهارا . وفي احدى المرات دخلت الجمعية الشعبية للمتحف قاعة المجلس البلدي وصاح رجالها قائلين: "ليحيَ العقل!" وهم يحملون على رأس سارية كومة كتب نصف محترقة، منها كتب صلوات وكتب القداس وكتاب العهد القديم والعهد الجديد، "دلالة على احتراق كل الحماقات والسخافات والكلام الفارغ التي جعلوا الجنس البشري يرتكبها"(٢٥٠)، على حد قول الرئيس.

فرنسا تقاوم الاصلاح

ان البابوية هي التي بدأت العمل الذي يكمله الال حاد الآن . وسياسة روما هي التي خلقت تلك الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تسرع بفرنسا الى الدمار . وقد قال احد الكتاب عن تلك الاعمال المتطرفة ان تبعتها تقع على العرش وعلى الكنيسة (انظر التذييل). ولكنها على وجه التحديد تقع على عاتق الكنيسة . لقد س ممت البابوية عقول الملوك ضد الاصلاح بحجة أنه عدو للتاج وعنصر للنزاع يقضي على سلامة الامة ووفاقها . واستخدمت عبقرية روما وسائلها لتضرم نيران أشد ضروب القسوة والاضطهاد المثير الذي أثاره العرش.

ولّت روح الحرية بذهاب الكتاب المقدس . فأينما قبل الناس الانجيل استيقظت عقولهم . فبدأوا يطرحون عنهم أصفاد الجهل والرذيلة والخرافات التي استرقتهم طويلا . وبدأوا يفكرون ويعملون كما يعمل عقلاء الناس . ورأى الملوك ذلك فارتعدوا فرقا خوفا من زوال ظلمهم واستبدادهم. [310]

ولم تتباطأ روما في اضرام حسدهم ومخاوفهم. لقد قال البابا لحاكم فرنسا في عام ١٥٢٥: "ان هذا الجنون (البروتستانتية) لن يكتفي بازعاج الدين وتدميره، ولكنه مقبل على تدمير كل الرياسات والاشراف والقوانين والأنظمة والمقامات أيضا" (٢٥١). وبعد ذلك بسنوات قليلة أنذر أحد سفراء البابا الملك قائلا: "لا تضل يا مولاي . ان البروتستانت سيقبلون ويدمرون كل النظم المدنية والدينية... ان العرش مهدد بالخطر، كالمذبح سواء بسواء ... فإدخال دين جديد سيتبعه حتماً إدخال حكومة جديدة" (٢٥٢). واستغاث اللاهوتيون بتعصبات الشعب فأعلنوا أن العقيدة البروتستانتية "تستميل الناس الى قبول البدع والجهل، وتسلب الملك محبة رعاياه وولاءهم، وتدمر الكنيسة والدولة". وهكذا أفلحت روما في تعبئة فرنسا لمحاربة الاصلاح. "لقد جُرد سيف الاضطهاد في فرنسا أولا لمعاضدة العرش وحفظ النبلاء والابقاء على القوانين" (٢٥٣).

سياسة قاتلة

ما أقل ما كان يعرف حكام البلاد مما يخبئه لهم الغيب من نتائج تلك السياسة المشؤومة الخرقاء! كان الكتاب المقدس سيغرس في عقول الشعب وقلوبهم مبادئ العدالة والاعتدال والحق والمساواة والاحسان وحب الخير التي هي حجر الزاوية في بناء نجاح الامة ورخائها وازدهارها: "البر يرفع شأن الأمة"، وبه "يثبت الكرسي" (أمثال ١٤ : ٣٤ ؛ ١٦ : ١٢). "ويكون صنع العدل سلاما"، ويولّد "سكونا وطمأنينة الى الابد" (اشعياء ٣٢ : ١٧). ومن يطيع شريعة الله لا بد أن يحترم ويطيع شرائع بلاده. ومن يخاف الله يكرم الملك وهو يستخدم كل سلطاته العادلة الشرعية. لكنّ فرنسا التعسة حرَّمت اقتناء الكتاب المقدس وحرمت ونفت كل تلاميذه. فمن قرن الى قرن حدث ان الرجال ذوي المبادئ السليمة المستقيمة والذكاء الخارق والخلق القويم، الذين اوتوا شجاعة جعلتهم يجاهرون باقتناعاتهم وايمانا اعانهم على [311] احتمال الآلام لاجل الحق، أرهِقوا كأرقاء في السفن أو هلكوا حرقا بالنار أو بلي لحمهم وعظامهم في ظلمات السجون . وقد وجد ألوف وألوف أن النجاة في الهروب، وظلت الحال هكذا مدى ٢٥٠ سنة بعد بدء الاصلاح.

هروب أنبل المواطنين الفرنسيين

"وندر ان كان هنالك جيل من الفرنسيين مدى تلك الحقبة الطويلة لم يشهد تلاميذ الانجيل وهم يفرون أمام هياج المضطهدين المجنون حاملين معهم الذكاء والفنون و العمل والنظام التي تفوقوا فيها تفوقا عظيما ليغنوا بها البلدان التي لجأوا اليها. وبقدر م ا أغدقوا من هذه الهبات على الممالك الاخرى حُرم وطنهم منها. ولو أن كل ما نُقل من فرنسا بقي فيها، ولو بقيت المهارة الصناعية التي كان يملكها هؤلاء المنفيون لتزرع أرضها مدى هذه الثلاث مئة سنة، ولو ظلت هواياتهم الفنية تُصلح من شأن صناعاتها مدى تلك السنين، ولو أنه في خلال هذه السنين الطوال استخدم ذكاؤهم وقوة ابتكارهم وقوتهم التحليلية العقلية في إغناء آدابهم وغرس علومهم، ولو كانت حكمتهم تهدي بلادهم في مشوراتها، وشجاعتهم تخوض معاركها،

ومساواتهم وع دالتهم تكوِّن شرائعها، ولو أن ديانة الكتاب المقدس كانت تقوي عقول الشعب وتتحكم في ضمائرهم فما كان أعظم المجد الذي كان اليوم يطوق عنق فرنسا! وكم كانت تصير بلادا عظيمة وناجحة وسعيدة! وكم كانت تصير نموذجا عظيما تنسج على منواله كل الامم!

”لكنّ التعصب العنيد الاعمى طرد من أرضها كل معلم للفضيلة وكل بطل من أبطال النظام وكل مدافع أمين يذود عن العرش. فلأولئك الرجال الذين كانوا يستطيعون أن يجعلوا بلادهم ”اسما ومجدا“ في الارض، قال التعصب: اختاروا واحدا من هذين: الحرق أو النفي. وأخيرا اكتمل خراب الامة لم يبقَ هنالك رجل ذو ضمير ليُحرم، ولا رجل متدين [312] ليحرق بالنار، ولا رجل محب لوطنه لينفى بعيدا“ (٢٥٤). فكانت الثورة بكل رعبها هي النتيجة الوبيلة.

ماذا بعد ذلك

”واذ هرب الهيجونوت شمل فرنسا انحطاط عام. فالمدن الصناعية الزاهرة أصابها العطب والخراب، والاقاليم الخصبة استحالت قفارا، وأعقبت فترة النجاح غير العادي فترة جمود وبلادة عقلية وانحطاط خلقي. وصارت باريس ملجأ كبيرا وبيتا من بيوت الاحسان. وقدَّر بعضهم أنه عند نشوب الثورة وُجد ٢٠٠ ألف صعلوك يستجدون الملك. لكنّ الجزويت هم وحدهم الذين نجحوا وازدهرت أحوالهم من دون تلك الامة الخربة المتسوسة، وقد تحكموا في الكنائس والمدارس والسجون وسفن الرقيق بطغيان رهيب“.

كان يمكن أن يأتي الانجيل لفرنسا بحل صحيح ناجع لكل مشاكلها السياسية والاجتماعية التي أربكت كهنتها ومليكها ومشترعيها، وأخيرا أودت بالامة الى الفوضى والدمار. ولكن تحت حكم روما خسر الشعب تعاليم المخلص المباركة عن التضحية والمحبة المنكرة لنفسها. ولقد أُبعدوا عن ممارسة انكار الذات لاجل خير الاخرين. فالاغنياء لم يوبخهم أحد على ظلمهم الفقراء، والفقراء لم يجدوا عونا في عبوديتهم وانحطاطهم. وقد زادت أنانية الاثرياء والاقوياء وصارت أكثر جلاء وجورا. ولمدى قرون طويلة نجم عن طمع النبلاء وخلاعتهم اغتصاب ساحق للفلاحين. لقد ظلم الاغنياء الفقراء، بينما أبغض الفقراء الاغنياء.

وفي كثير من الا قاليم كان النبلاء مالكي الارض، أما الطبقات العاملة فكانوا مجرد مستأجرين تحت رحمة سادتهم، ومرغمين على إجابة مطالبهم الباهظة. ان عبء اعانة الكنيسة والدولة وقع كله على عاتق الطبقات المتوسطة والفقيرة الذين كانت تفرض عليهم ضرائب فادحة. ”وكانت مسرات النبلاء معتبرة القانون الاسمى؛ ويمكن أن يموت المزارعون والفلاحون جوعا، لكنّ [313] ظالميهم لم يكونوا يكترثون لذلك في شيء ... وكان الناس مرغمين في كل كبيرة وصغيرة أن يقصروا خدمتهم على مصلحة صاحب الارض. وكانت حياة العمال الزراعيين حياة تعب متواصل، ولم يكن ما يفرج عنهم بؤسهم وشقاءَهم. وشكواهم، ان كانوا يتجرأون على الشكوى، كانت تقابل باحتقار وقح. ومحاكم العدل كانت دائما تستمع لشكوى نبيل يقدمها ضد أحد الفلاحين. واشتهر القضاة بقبولهم الرشوة، وأقل مزاج يبديه أحد الاشراف كانت له قوة القانون بفضل هذا الفساد العام. والضرائب التي كانت تُغتصب من عامة الشعب بأيدي الوجهاء الدنيويين من ناحية وبأيدي رجال الاكليروس من الناحية الاخرى لم يكن نصفها يجد طريقه الى الخزانة الملكية أو الكنيسة، فكانت المبالغ الباقية تتبدد في الانغماسات الخليعة. أما الذين كانوا يفقرون رعاياهم فكانوا يُعفون من الضريبة، وكانوا مخولين بموجب القانون أو العادة أن يحتلوا كل وظائف

الدولة. كان عدد أفراد الطبقات المحظوظة ١٥٠ ألفا، فلأجل ارضاء هؤلاء كان يُحكم على ملايين من الشعب أن يحيوا حياة منحطة يائسة" (انظر التذييل).

ترف الارستقراطيين ورذائلهم

وكان البلاط الملكي مستسلما للترف والخلاعة. ولم يكن الشعب يثق كثيرا بالحكام، ولا كان الحكام يثقون كل الثقة بالشعب. ولقد حامت الشكوك حول كل اجراءات الحكومة على أنها متآمرة وأنانية. وقبل الثورة بأكثر من نصف قرن كان لويس الخامس عشر متربعا على العرش، وكان يُعتبر حتى في تلك الايام الشريرة ملكا كسولا تافها شهوانيا مستهترا. ولما كان أشراف تلك الامة فاسدين وقساة، والطبقة الدنيا فيها فقراء وجهلة وكانت الدولة مرتبكة في شؤونها المالية والشعب ساخطا وناقما، فلم تكن ثمة حاجة الى عين نبي لترى، من بعيد، الثورة القادمة الوشيكة الوقوع. وكان الملك معتادا أن يقول لمستشاريه الذين كانوا ينذرونه بوقوع الكارثة: "اجعلوا كل شيء يسير على سجيته طالما أنا حيّ، وبعد موتي ليكن ما يكون". وعبثا ألحوا عليه في اجراء اصلاح واجب الوقوع. لقد رأى الشرور متفشية، ولكن كانت تعوزه الشجاعة والقوة لصده ا. وكان كلام الملك الكسول الاناني أصدق تصوير للهلاك الذي كان موشكا أن يحل بفرنسا عندما قال: "ومن بعدي الطوفان!". [314]

عندما استعانت روما بحسد الملوك والطبقات الحاكمة أثرت عليهم حتى يبقوا الشعب في عبوديته، اذ كانت تعلم جيدا أن هذا يضعف الدولة، وكانت ترمي من وراء تلك الوسيلة الى ابقاء الحكام تحت نير عبوديتها. وبسياستها الواعية والبصيرة بالعواقب أحست أنها لكي تستعبد الناس استعبادا فعالا ينبغي أن تكبل نفوسهم، وأن الطريقة الاكيدة لمنعهم من الافلات من عبوديتهم هي جعلهم غير أهل للحرية. لقد كان الانحطاط الاخلاقي أرهب أضعافا مضاعفة من الآلام الجسدية التي نجمت عن سياستها. واذ حُرم الشعب من الكتاب المقدس وتُركوا لتعاليم التعصب والانانية فقد لُفوا في أكفان الجهالة والخرافات وغاصوا في أعماق الرذيلة، بحيث غدوا غير مؤهلين لحكم أنفسهم.

حصاد بالدم

لكنّ نتائج هذا كله أتت مخت لفة اختلافا بينا عن كل ما كانت تقصده روما أو ترمي اليه. فبدلا من أن يبقي عملُها عامةَ الشعب خاضعين خضوعا أعمى لتعاليمها صيّر الناس ملحدين وثوارا. لقد احتقروا الكاثوليكية اذ اعتبروها احتيالا. ورأوا في الاكليروس عصابة تظلمهم وتستعبدهم. والاله الوحيد الذي عرفوه كان اله روما، وكانت تعاليمها هي دينهم الوحيد. واعتبروا أن طمعها وقسوتها هما ثمرة الكتاب المقدس الشرعية ولذلك رفضوا الكتاب. [315]

صوَّرت روما صفات الله أسوأ تصوير وحرَّفت مطالبه، وها هم الناس الآن يرفضون الكتاب المقدس ومبدعه. وطلبت من الناس أن يؤمنوا ايمانا أعمى بعقائدها مدَّعية أنها مصادق عليها من الكتاب. وكان رد الفعل على ذلك أن فولتير وجماعته نشروا سموم الكفر في كل مكان بعدما ألقوا بكلمة الله جانبا. لقد سحقت روما جماهير الشعب تحت قدميها الحديديتين، واذ انقلبوا على طغيانها بعدما انحطوا وتوحشوا ألقوا عنهم كل رادع. فاذ ثار غضبهم على ذلك الخداع البراق الذي قدموا له ولاءهم طوال ذلك الزمن

رفضوا الحق والكذب معاً؛ واذ ظنوا واهمين أن الخلاعة هي حرية ابتهج عبيد الرذيلة بحريتهم المزعومة.

عند بدء الثورة تنازل الملك معطيا الشعب حق التمثيل بحيث يتفوقون على النبلاء والاكليروس معا؛ وهكذا رجحت كفتهم، لكنهم لم يكونوا مستعدين أن يستخدموا تلك الميزة بحكمة واعتدال . فاذ كانوا يتوقون الى التعويض عن المظالم التي حلت بهم عولوا على الشروع في تكوين المجتمع من جديد . فذلك الشعب المعتدى عليه، الذين كانت عقولهم ممتلئة بذكريات المظالم المريرة الطويلة التي حاقت بهم، عولوا على أن يحدثوا انقلابا في حالة البؤس التي ما عادوا قادرين على احتمالها، وان يثأروا لانفسهم من اولئك الذين اعتبروهم علة شق ائهم وآلامهم . لقد نقل المضطهدون الدرس الذي قد تلقوه تحت الطغيان، فصاروا مضطهدين لمن قد اضطهدوهم.

حصدت فرنسا التعسة بالدم البذار الذي زرعته . وكانت نتائج خضوعها لسلطان روما وسيطرتها رهيبة، ففي المكان الذي فيه نصبت فرنسا أول ركيزة لحرق الشهداء عند بدء الاصلاح بايعاز من الكاثوليكية أقامت الثورة أول مقصلة لها. وفي البقعة نفسها التي أحرق فيها الشهداء البروتستانت الاولون في القرن السادس عشر سقطت أولى ضحايا المقصلة في القرن الثامن عشر . ان فرنسا اذ قاومت الانجيل الذي كان يمكن أن يأتيها بالشفاء فتحت الباب للالحاد والدمار. فعندما ألقي بروادع شريعة الله جانبا وُجد أن قوانين الناس غير كافية لصد سيول الغضب البشري القوية الجارفة، فانساقت الامة في تيار الثورة والفوضى. والحرب التي ثارت ضد الكتاب المقدس بدأت عهدا يدعوه تاريخ العالم "عهد الرعب". [316] لقد نُفي السلام والسعادة بعيدا من بيوت الناس وقلوبهم . ولم يكن أحد يحس بالطمأنينة، فالذي يكون منتصرا اليوم يُشك فيه ويدان غد ا. لقد كان للظلم والقسوة والشهوة سيادة لا ينازعها فيها منازع.

وقد أرغم الملك والاكليروس والنبلاء على الخضوع لفظائع ذلك الشعب الثائر المجنون . فتعطشه الى الانتقام كان قتل الملك شرارته الاولى، والذين قرروا موته ماتوا شنقا بعد ذلك . ووقعت مذبحة عامة كان ضحاياها كل من اشتبه فيهم أنهم أعداء الثورة . وازدحمت السجون بالناس، وفي وقت ما كانت تضم بين جدرانها أكثر من م ئتي ألف أسير . وقد امتلأت مدن المملكة بمشاهد الرعب، وكان أحد أحزاب الثوار يعادي حزبا آخر، فصارت فرنسا ميدانا فسيحا للقوات المتضاربة التي تسلط عليها الغضب والاهتياج. "ففي باريس كان يجيء شغب في أثر شغب، وكان الاهالي ينقسمون الى خليط من الاحزاب التي كان بعضها يصر على استئصال البعض الآخر". ومما زاد من بؤس الشعب أن الامة كانت مشتبكة مع جيوش أوروبا العظيمة في حروب طويلة مدمرة. "كانت البلاد على شفا الافلاس، وكانت الجيوش تصرخ مطالبة بمرتباتها المت أخرة، وكان أهل باريس يتضورون جوعا، وقد خرب اللصوص مدن الاقاليم، وكادت المدنية تنطفئ في بحر من الفوضى والفجور".

لقد تعلم الشعب جيدا دروس القسوة والتعذيب التي لقنتهم اياها روما بكل اجتهاد . وها قد جاء يوم الجزاء اخير ا. فلم يك ن تلاميذ يسوع هم الذين يساقون الآن الى السجون أو يُسحبون ليحرقو ا. لقد مات هؤلاء أو طردوا الى المنفى منذ عهد بعيد . والآن أحست روما القاسية التي لا ترحم بالقوة المهلكة التي لأولئك الذين دربتهم على أن يسروا بسفك الدماء. "ان مثال الاضطهاد الذي قدمه رجال الاكليروس الفرنسيون مدى عصور طويلة ارتد الآن عليهم بقوة عظيمة . لقد تلطخت المشانق بدماء الكهنة . وسفن الرقيق والسجون التي امتلأت بالهجونوت امتلأت الان بمضطهديهم . واذ أوثق [317] رجال الاكليروس الكاثوليك الى المجاذيف كأرقاء في السفن اختبروا اذ ذاك كل الويلات والآلام التي أسرفت كنيستهم في ايقاعها بالهراطقة الودعاء" (انظر التذييل).

حينئذ جاءت الايام التي فيها سَنَّتْ أعظم المحاكم وحشية أعظَم القوانين وحشية، عندما لم يكن انسان يستطيع أن يحيِّي جاره أو يتلو صلواته ... من دون أن يرتكب جريمة عقابها الموت، وكان الجواسيس يتربصون في كل ركن، وظلت المقصلة تقوم بعملها الرهيب وقتا طويلا كل صباح، وتكدس الاسرى في

السجون كما يتكدس الرقيق في سفن العبيد، وجرت دماء الضحايا في القنوات لتصب في نهر السين ... وفيما كانت العربات تسير في شوارع باريس محملة بشحناتها من الضحايا الذاهبين ليلقوا حتفهم كان الولاة الذين أرسلتهم اللجنة الملكية الى المقاطعات يعربدون بقسوة بالغة لم تشهد لها العاصمة مثيلا . فسكين تلك الآلة المخيفة كانت، في نظرهم، أبطأ مما ينبغي في ادائها عملية القتل الرهيبة . لقد حصدت طلقات الرصاص صفوفا طويلة من الاسرى، وكانت تُحدث ثقوب في أسفل السفن التي تكدس فيها الاسرى بقصد اغراقه ا. واستحالت مدينة ليون الى برية قفراء . وفي مدينة آراس حُرم السجناء من الرحمة القاسية وهي الموت السريع . وعلى طول نهر اللوار من سومور الى البحر كانت أسراب الغربان والحدأة تنهش الجثث العارية المتعانقة معا في وضع شنيع . لم تكن هنالك رحمة لجنس أو لسن . وعدد الفتيان والفتيات البالغين السابعة عشرة من العمر الذين قتلتهم تلك الحكومة الممق وتة، بلغ عدة مئات . والاطفال الذين كانوا يُنتزعون من على صدور أمهاتهم كانت تتلقفهم الحراب والرماح التي كانت تحملها فرق اليعقوبيين" (انظر التذييل). ففي أثناء مدة قصيرة من الزمن لم تتعدَّ العشر سنوات هلكت جماهير غفيرة من بني الانسان.

هذا كله كان وفق رغ بة الشيطان . فعلى مدى عصور طويلة كان يتعب جاهدا لتحقيق هذه النتيجة . ان سياسته هي المخاتلة والخداع من البدء الى النهاية، وقصده الثابت هو أن يجلب على الناس الويل والتعاسة، ويشوه عمل الله [318] ويفسده ويتلف ويعطل مقاصد الرحمة والاحسان الالهية، وهكذا يسبب الحزن لساكني السماء . وحينئذ يعمي عقول الناس بأساليبه الخادعة ويجعل الناس يلقون اللوم على الله كما لو أن كل هذا الشقاء هو نتيجة تدبير الخالق . وبهذه الطريقة نفسها عندما يظفر بحريتهم اولئك الذين انحدروا الى حال الانحطاط والوحشية يلح عليهم أن يعمدوا الى اتخاذ جانب الافرا ط وارتكاب الفظائع . حينئذ يشير الطغاة والظالمون الى صورة الخلاعة الجامحة هذه على أنها مثل من أمثلة نتائج الحرية.

عندما يُكتشف الضلال في زي ما يلبسه الشيطان زيا تنكريا آخر، فيتلقفه جماهير من الناس بكل شوق كما في الأول . فعندما اكتشف الناس أن الكاثوليكية خداع، وعجز الشيطان بهذه الوسيلة عن جعل الناس يتعدون شريعة الله دفعهم الى الاعتقاد ان كل دين هو مخاتلة وان الكتاب المقدس حديث خرافة، وهكذا اذ ألقى الناس عنهم روادع شريعة الله أسلموا أنفسهم الى الاثم الجامح.

ان الغلطة المميتة التي تسببت بكل تلك الويلات لسكان فرنس ا كانت تجاهل هذا الحق العظيم القائل ان الحرية الحقيقية ينبغي أن تكون داخل نطاق نواهي شريعة الله "ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر"، "لا سلام قال الرب للاشرار"، "أما المستمع لي فيسكن آمنا ويستريح من خوف الشر" (أشعياء ٤٨ : ١٨ و ٢٢ ؛ أمثال ١ : ٣٣).

إن الكفّار والملحدين والمرتدين يعارضون شريعة الله وينبذونها، لكنّ نتائج تأثيرهم تبرهن أن خير الانسان مرتبط بالطاعة لوصايا الله . والذين يرفضون أن يتعلموا هذا الدرس من كتاب الله يلتزمون تعلمه من تاريخ الأمم. [319]

مصدر البؤس

عندما استخدم الشيطان كنيسة روما لابعاد الناس عن الطاعة فقد كانت وسيلته مختفية، وقد أخفى عمله بحيث أن الانحطاط والشقاء اللذين نتجا من ذلك لم يظهرا انهما نتيجة العصيان والتمرد . وأبطلت قوته وسلطانه بواسطة روح الله بحي ث امتنع عليه نيل مرامه من كل مقاصده ولم يتتبع الشعب التأثير الى

مسبباته، ولا اكتشفوا منشأ ويلاتهم وشقائهم . ولكن في الثورة جاهرت الجمعية الوطنية بطرح شريعة الله جانب ا. وفي حكم الرعب الذي تبع ذلك استطاع جميع الناس رؤية التفاعل بين السبب والنتيجة.

عندما جاهرت فرنسا برفضها الله وألقت بالكتاب المقدس جانبا ابتهج الناس الاشرار، وأرواح الظلمة فرحت بما قد حصلت عليه من الغرض الذي ظلت تهدف اليه طويلا : مملكة حرة من روادع شريعة الله ولان القضاء على العمل الرديء لا يجري سريعا فلذلك "امتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشر" (جامعة ٨ : ١١). لكنّ كسر الشريعة العادلة البارة لا بد أن ينتج منه الشقاء والدمار. ومع أن شر الناس لم يفتقد بالقضاء في الحال الا انه بكل تأكيد كانت ستنجم عنه الدينونة . وان عصور الارتداد والجريمة كانت تذخر غضبا ليوم الغضب، وعندما فاض مكيال اثمهم عرف محتقرو الله، بعد فوات الفرصة، أنه أمر مخيف جداً أن ينهكوا صبر الله . ان روح الله الرادع الذي يفرض كبحا لقوة الشيطان القاسية كان قد رفع الى حد كبير، ولذلك سمح لذلك الذي يسر بشقاء الناس أن يتمم ارادته . فالذين اختاروا خدمة التمرد تركوا ليحصدوا ثماره حتى امتلأت البلاد بجرائم رهيبة جد ا بحيث يعجز قلم الكاتب عن وصفها. ولقد ارتفعت من جوانب كل الاقاليم المقفرة والمدن المخربة صرخة مخيفة، صرخة مرة رهيبة . لقد اهتزت فرنسا كما من زلزلة هائلة . فالدين والشريعة والنظام الاجتماعي والاسرة "الخاطئ والدولة والكنيسة، كل هذه مُحقت بقوة يد عاقَّة ارتفعت لمحاربة شريعة الله لقد نطق الحكيم حقا حين قال: "أما الشرير فليسقط بشره"، وان عمل شرا مئة مرة [320] وطالت أيامه الا أني أعلم أنه يكو ن خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه . ولا يكون خير للشرير" (أمثال ١١ : ٥ ؛ جامعة ٨ : ١٢ و ١٣). "ابغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب"، "فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم" (أمثال ١ : ٢٩ و ٣١).

فرنسا تعود الى الانجيل

ان شاهدي الله الامينين اللذين قتلهما الوحش المجدف "الخارج من الهاوية" ما كانا ليبقيا صامتين طويلا، فانه "بعد الثلاثة الايام والنصف دخل فيهما روح حياة من الله فوقفا على أرجلهما ووقع خوف عظيم على الذين كانوا ينظرونهما" (رؤيا ١١ : ١١). في عام ١٧٩٣ صادقت الجمعية الفرنسية على مرسوم الغاء الدين المسيحي والاستغناء عن الكتاب المقدس. ولكن بعد ذلك بثلاث سنين ونصف اصدرت الهيئة نفسها قرارا آخر يلغي هذا المرسوم ويبيح تداول الكتاب المقدس . لقد وقف العالم مشدوها أمام الجرائم الهائلة التي ارتكبت في فرنسا لرفضها الكتاب المقدس، واعترف الناس بضرورة الايمان بالله وكلمته بما أنهما أساس الفضيلة والخلق الكريم. لقد قال الرب: "من عيرت وجدفت وعلى من عليت صوتا وقد رفعت الى العلاء عينيك على قدوس اسرائيل" (أشعياء ٣٧ : ٣٢). "لذلك هأنذا أعرفهم هذه المرة أعرفهم يدي وجبروتي فيعرفون أن اسمي يهوه" (ارميا ١٦ : ٢١).

وفي ما يختص بالشاهدين يعلن النبي بعد ذلك قائلا: "وسمعوا صوتا عظيما من السماء قائلا لهما اصعدا الى ههن ا. فصعدا الى السماء في السحابة ونظرهما اعداؤهما" (رؤيا ١١ : ١٢). فمنذ حاربت فرنسا شاهدي الله حصلا على كرامة لم يحصلا عليها من قبل . ففي عام ١٨٠٤ نُظمت جمعية التورات البريطانية والاجنبية وتبع ذلك منظمات أخرى مثلها، وصارت لها فروع عديدة في قارة أوروب ا. وفي عام ١٨١٦ تأسست جمعية التوراة [321] الامريكية. ولما تكونت جمعية التوراة البريطانية طبع الكتاب ووزع في خمسين لغة . ومنذ ذلك الوقت ترجم الى أربع مئة لغة ولهجة (انظر التذييل).

في الخمسين سنة التي سبقت عام ١٧٩٢ لم يُبدِ الناس اهتماما كبيرا بالإرساليات الاجنب ية. ولم

تشكل جمعيات جديدة، ولم يكن غير قليل من الكنائس التي بذلت مجهودا لنشر المسيحية في البلدان الوثنية . ولكن حوالي نهاية القرن الثامن عشر حدث تغيير عظيم . ما عاد الناس قانعين بنتائج الدين العقلي ولا أشبعتهم ثماره، وتحققوا من لزوم الاعلان الالهي والدين الا ختباري. فمنذ ذلك الحين نما عمل الإرساليات الاجنبية نموا لم يسبق له مثيل (انظر التذييل).

هذا فضلا عن أن التحسينات التي أُدخلت على الطباعة أكسبت عمل توزيع الكتاب قوة دافعة . ثم ان التسهيلات المتواصلة في المواصلات بين البلدان المختلفة، ونقض سياجات التعصب والانطواء القومي القديمة، وحرمان بابا روما من استخدام السلطة الدنيوية، كل هذا أفسح الطريق لدخول كلمة الله . ولبضع سنين ظل الكتاب المقدس يباع في شوارع روما بلا مانع، وها هو يُحمل الآن الى كل أنحاء المسكونة.

لقد تشدق فولتير الكافر مرة وقال في زهو: "لقد سئمت مما يردده الناس مرارا قائلين ان اثني عشر رجلا قد أقاموا دعائم الدين المسيحي . ولكني سأبرهن أن رجلا واحدا يكفي لهدم هذا الدين". وقد مرت أجيال منذ مات. واتحد ملايين الناس في محاربة الكتاب المقدس، ولكنه أبعد وأمنع من أن يتلاشى بحيث أنه في حين كانت توجد من كتاب الله مئة نسخة في أيام فولتير، يوجد الان عشرة آلاف، بل مئة ألف نسخة . قال أحد المصلحين الاقدمين عن الكنيسة المسيحية: "ان الكتاب المقدس هو السندان الذي قد أبلى وحطم كثيرا من المطارق". وقد قال الرب: "كل آلة صورت [322] ضدكِ لا تنجح وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه" (اشعياء ٥٤ : ١٧).

"أما كلمة الهنا فتثبت الى الابد"، "كل وصاياه أمينة . ثابتة مدى ... الدهر والابد مصنوعة بالحق والاستقامة" (أشعياء ٤٠ : ٨ ؛ مزمور ١١١ : ٧ ، ٨). كل ما يبنى على سلطان الانسان مصيره الهدم والانهيار، أما ما يبنى على صخرة كلمة الله الثابتة فسيبقى الى الابد. [323]

الفصل السادس عشر ـــ المهاجرون الاول

رفض المصلحون الانجليز كل تعاليم روما لكنهم أبقوا على كثير من طقوسها. وهكذا فمع أن سلطة روما ومعتقداتها طرحت جانبا فان كثيرا من عاداتها وطقوسها تغلغلت في عبادة كنيسة انجلترا . وقد ادعى المدعون أن هذه الأشياء لا تمس الضمير ، وأنه مع كون الكتاب المقدس لا يأمر بها كما لا ينهي عنها فانها ليست شريرة في جوهرها . لكنّ حفظ تلك الطقوس جعل الهوة التي تفصل بين الكنائس المصلحة وروما ضيقة جدا، وقد شدد كثيرون قائلين ان هذه الاشياء قد تزيد من قبول الكاثوليك للعقيدة البروتستانتية.

بدا للمح افظين على القديم والمسايرين المتساهلين أن هذه الحجج مقنعة، ولكن وُجدت جماعة أخرى لم تر هذا الرأي . فحقيقة كون هذه العادات "تؤدي الى إقامة جسر فوق الهوة الفاصلة بين روما والإصلاح" (٢٥٥) كانت في نظرهم حجّة مقنعة ضد الابقاء عليها . لقد نظروا اليها بوصفها سمات العبودية التي تحرروا منها والتي لم يكونوا يرغبون في العودة اليها . وتحاجوا قائلين ان الله قد أثبت في كتابه القوانين اللازمة لتنظيم عبادته، وانه لا يسمح لاحد أن يضيف الى هذه القوانين أو يحذف منها شيئ ا. ان الارتداد الع ظيم كان في مبدئه محاولة اضافة سلطة الكنيسة الى سلطان الله . [324] لقد بدأت روما بأن حرمت على الناس أشياء لم يحرمها الله، وانتهت بأن حرمت على الناس ما قد أمر به أمراً صريحاً.

رغب كثيرون رغبة جادة في العودة الى الطهارة والبساطة اللتين امتازت بهما الكنيسة الاولى . لقد اعتبروا كثيراً من العادات الثابتة التي كانت سائدة في الكنيسة الانجليزية نُصبا للوثنية، ولم تسمح لهم ضمائرهم بأن يشتركوا معها في عبادته ا. لكن الكنيسة، استناداً الى السلطة المدنية، لم تكن تسمح بانشقاق أو تخلف عن طقوسه ا. فكان يطلب من الناس بموجب القانون أن يشتركوا في عباداتها، وكان محرما على الناس عقد اجتماعات غير مرخص بها للعبادة الدينية، ومن خالف هذه القوانين كان يحكم عليه إما بالسجن أو النفي أو الموت.

في أوائل القرن السابع عشر أعلن الملك، الذي كان قد اعتلى عرش انجلترا منذ عهد قريب، عن عزمه على جعل "البيوريتان" "يذعنون ويمتثلون أو ... يطردهم من البلاد، أو يفعل بهم ما هو شر من ذلك" (٢٥٦). فاذ كانوا يطارَدون ويضطهَدون ويسجَنون لم يكونوا ينتظرون أن تتحسن الاحوال في المستقبل، وكثيرون اقتنعوا بأن من يعبدون الله ويخدمونه بموجب ما توحي به اليهم ضمائرهم "ما عادت انجلترا مكانا يصلح لسكناهم" (٢٥٧). وقد عزم بعضهم أخيرا على الالتجاء الى هولندة . فواجهوا صعوبات وخسائر وسجنا، وأحبطت مساعيهم وأسلموا الى أيدي أعدائهم . لكنّ مواظبتهم الثابتة انتصرت أخيرا فوجدوا ملاذا لهم على شواطئ الجمهورية الهولندية الصديقة.

وعند هروبهم تركوا بيوتهم ومتاعهم ووسائل ارتزاقهم . كانوا غرباء في أرض غريبة وبين شعب يختلف عنهم في اللغة والعادات، مما اضطرهم الى الالتجاء الى حِرَف جديدة غير مجرَّبة ليكسبوا ما يقوم بأودهم . فالرجال الذين كانوا في منتصف العمر والذين قضوا حياتهم في حرث الارض كان عليهم ع ندئذ أن يتعلموا صناعات آلية . ولكنهم بكل سرور قبلوا ذلك الوضع ولم يضيعوا الوقت في البطالة أو التذمر .

ومع أنهم مرارا كثيرة كان يعضهم الفقر بنابه فقد شكروا الله على [325] البركات التي منحت لهم، ووجدوا الفرح والعزاء في شركتهم التي لم يكن يعكرها معكر. "لقد عرفوا أنه م غرباء ولم يكونوا ينظرون كثيرا الى الامور العالمية الزائلة بل كانوا يرفعون عيونهم الى السماء التي هي أعز وطن عليهم. فكانوا يهدئون أرواحهم" (٢٥٨).

المحبة والايمان يتشددان

وفي وسط آلام الغربة والمشقات والضيقات تقوَّت محبتهم وايمانهم. لقد اتكلوا على مواعيد الرب فلم يخذلهم في وقت الحاجة والضيق. وكان ملائكته يقفون الى جوارهم لتشجيعهم وسندهم. وعندما وجَّهتهم يد الله الى عبر البحار، الى بلاد يستطيعون فيها أن يؤسسوا حكومة ويتركوا لاولادهم الارث الثمين، ارث الحرية الدينية، تقدموا فلم يتراجعوا بل ساروا الى الامام في طريق العناية الالهية.

لقد سمح الله بوقوع التجارب على شعبه لكي يعدَّهم لاتمام مقاصده الصالحة نحوهم. ولقد نزلت الكنيسة الى الحضيض لكي تتسامى وترتفع. كان الله عازما أن يظهر قدرته لخيرها لكي يقدم للعالم برهانا جديدا على أنه لن يترك من يتكلون عليه. ولقد تحكَّم في الاحداث لكي يجعل غضب الشيطان ومؤامرات الناس الاشرار تزيد من مجده وتأتي بشعبه الى موضع أمين، فكان الاضطهاد والنفي يفتحان الطريق للحرية.

ان البيوريتان عندما أُكرهوا على الإنفصال عن الكنيسة الانجليزية في بادئ الامر ارتبطوا معا بعهد مقدس كشعب ب الرب الحر "أن يسيروا معا في كل طرقه المعروفة لديهم والتي سيعرفونها مستقبلا" (٢٥٩). هنا كانت روح الاصلاح الحقيقية ومبدأ البروتستانتية الحيوي. ولهذا الغرض رحل اولئك المهاجرون عن هولندة ليجدوا لانفسهم وطنا في العالم الجديد. وقد خاطبهم جون روبنسون راعيهم، الذي شاءت عناية الله الا يرافقهم، قائلا في خطابه الوداعي لاولئك المنفيين : [326]

وعد بارسال نور الحق

"يا اخوتي اننا موشكون أن نفترق بعد قليل، والرب وحده يعرف ما اذا كنت سأسعد برؤية وجوهكم ثانية أم لا. ولكن سواء أراد الرب ذلك أم لم يرد أوصيكم أمام الله وملا ئكته المباركين ألا تسيروا ورائي الى أبعد مما سرت أنا وراء المسيح. واذا أعلن لكم الرب شيئا بوسيلة من وسائله فكونوا مستعدين لقبوله كما كنتم مستعدين لقبول أي حق أخبرتكم به في أثناء خدمتي، لاني واثق من أن لدى الرب حقا ونورا أكثر سينبثقان من كلمته المقدسة" (٢٦٠).

"أما من ناحيتي فلا أستطيع أن أنوح على الكنائس المصلحة في حالتها الراهنة بالقدر الكافي، اذ أنهم قد وصلوا الى نقطة في الدين توقفوا عندها ولا يريدون أن يتقدموا الى أكثر مما لديهم من ارشادات رجال الاصلاح. فاللوثريون لا يريدون أن يتعدوا ما قاله لوثر أو رآه ... والكلفينيون ترونهم يتمسكون بشدة بما قد تركه لهم رجل الله العظيم ذاك الذي لم ير كل شيء. هذه تعاسة تستحق الرثاء لأنه مع أن اولئك الرجال كانوا ملتهبين وانوارا مشرقة في زمانهم فانهم لم يستكشفوا كل مشورة الله ولا نفذوا اليها، لكنهم لو عاشوا الى اليوم لكانو ا مستعدين لقبول نور جديد كما كانوا عندما قبلوا النور أول مرة" (٢٦١).

"اذكروا عهد كنيستكم الذي فيه أجمعتم على أن تسيروا في كل طرق الرب، ما عرفتم منها وما سوف تعرفون . اذكروا وعدكم وعهدكم مع الله وعهد كل منكم مع الآخرين بأن تقبلوا كل النور والحق الذي سيعلن لكم من كلمته المكتوبة. ولكن فوق هذا ألتمس منكم أن تلتفتوا الى ما تقبلونه كحق : قارنوه وزنوه بميزان الحقائق الكتابية الاخرى قبلما تقبلونه، لانه ليس ممكنا أن يشرق نور المعرفة الكامل مرة واحدة على العالم المسيحي الذي خرج من ظلمات كثيفة ضد المسيح منذ عهد قريب" (٢٦٢).

ان شوق اولئك النزلاء الى التمتع بحرية الضمير هو الذي ألهمهم بأن يصمدوا لمخاطر السفر الطويل في عرض البحر وتحمل المشاق ومخاطر [327] البرية، وبمعونة الله وبركته أن يضعوا على شواطئ أميركا أساس أمة قوية. ومع أن اولئك النزلاء كانوا قوم ا أمناء يتقون الله فانهم لم يكونوا يفهمون بعد المبدأ العظيم، مبدأ الحرية الدينية . ان تلك الحرية التي ضحوا في سبيلها بالكثير لكي يستحوذوا بانفسهم عليها لم يكونوا كلهم على السواء مستعدين لان يمنحوها للآخرين. "قليلون جدا حتى من بين طليعة أدباء ومفكري القرن السابع عشر كانوا يفهمون ذلك المبدأ الجليل فهما عادلا، وهو المستوحى من العهد الجديد الذي يعترف بالله على أنه الحكَم والديان الوحيد للايمان البشري" (٢٦٣). ان التعليم القائل بأن الله أعطى الكنيسة حق التسلط على الضمير ووصف الهرطقة وتحديدها ومعاقبتها هو ضلالة من أعظم الضلالات البابوية المتأصلة في النفوس . ومع أن المصلحين رفضوا عقيدة روما لم يتخلصوا تماما من روح التعصب . والظلمة الكثيفة التي لفَّتْ البابويةُ بها العالمَ المسيحي مدى اجيال حكمها الطويلة لم تكن الى ذلك الحين قد انقشعت تمام ا. فها أحد كبار الخدام في مستعمرة خليج مساشوستس يقول: "ان التسامح هو الذي جعل العالم عدوا للمسيح والمسيحية، والكنيسة لم يلحقها أي ضرر من معاقبة الهر اطقة" (٢٦٤) ! وقد سن المستعمرون قانونا ينص على أن أعضاء الكنائس هم وحدهم الذين لهم حق التصويت في انتخاب الحكومة المدنية. وقد تكوّن نوع من كنيسة الدولة، وطلب من كل الشعب أن يساهموا في إعالة رجال الاكليروس، ورُخص للحكام أن يقضوا على الهرطقة، وهكذا صارت السلطة الدنيوية في يدي الكنيسة . ولم يمض زمن طويل حتى أدت تلك الاجراءات الى النتيجة المحتومة : الاضطهاد. [328]

روجر وليمز

بعد مرور احدى عشرة سنة على تأسيس المستعمرة الاولى أبحر روجر وليمز الى العالم الجديد . وهو كغ يره من النزلاء الاولين أتى لينعم بالحرية الدينية؛ ولكنّه على خلافهم، رأى — ما لم يره غير القليلين من معاصريه — أن هذه الحرية هي حق كل فرد لا ينازعه فيه منازع، مهما تكن عقيدته . لقد كان باحثا مجدا في طلب الحق، وكان مثل روبنسون يعتقد باست حالة أن يكون كل النور المستقى من كلمة الله قد حصل عليه الناس بعد . كان وليمز "أول شخص في العالم المسيحي الحديث يؤسس حكومة مدنية على أساس عقيدة حرية الضمير وتساوي الآراء أمام القانون" (٢٦٥). وقد أعلن أنه يجب على الحاكم أن يردع الجريمة، ولكن ينبغي له الا يتسلط على ضمائر الناس . وقال: "يستطيع الجمهور أو الحكام أن يقرروا ما يجب على الانسان نحو أخيه الانسان، ولكن عندما يحاولون أن يأمروا انسانا بالقيام بالواجب نحو الله فانهم يكونون في غير وضعهم ولا يمكن أن يكون هنالك أمان، لانه واضح أنه اذا كان للحاكم سلطان فانه قد يقرر بعض الآراء أو المعتقدات اليوم، ويصدر نوعا آخر غدا، كما قد فعل كثيرون من ملوك وملكات انجلترا على اختلاف عقائدهم، وكما فعل كثيرون من البابوات والمجامع في كنيسة روما، بحيث يصير الاعتقاد كومة كبيرة من الارتباكات" (٢٦٦).

لقد أمِر الناسُ بالحضور الى الكنيسة المعترف بها، أما المتخلف فتفرض عليه غرامة أو يلقى في السجن. "وقد استنكر وليمز هذا القانون. ان أرادأ مواد القانون الانجليزي هو ذاك الذي يرغم الناس على حضور الكنيسة الابروشية . لقد اعتبر ارغام الناس على الاشتراك في العبادة مع من يخالفونهم في العقيدة انتهاكا صريحا لحقوقهم الطبيعية . ودفع غير المتدينين وغير الراغبين الى العبادة العامة. [329] بدا كأنه تشجيع على النفاق ... وأضاف قائلاً : "يجب ألا يرغم أحد على العبادة وفروضها بغير رضاه" . واذ اندهش خصومه من آرائه صاحوا قائلين : "ما هذا ! ألا يستحق الاجير أجرته؟" فأجابهم قائلا : "نعم، ولكن ممن استأجروه"" (٢٦٧).

كان روجر وليمز مكرما ومحبوبا كخادم أمين ورجل ذي مواهب نادرة واستقامة لا تنثني ومحبة حقيقية لعمل الخير، الا أن انكاره الثابت حق الحكام المدنيين في التسلط على الكنيسة ومطالبته بالحرية الدينية يستحيل التسامح فيهما. فقد قالوا ان تطبيق هذا التعليم الجديد "كفيل بأن يهدم سلطة الدولة والحكومة في البلاد" (٢٦٨) وقد حُكم عليه بالنفي بعيدا من المتسعمرات؛ وأخيرا، لكي ينجو من القبض عليه، أرغم على الهرب في وسط البرد وعواصف الشتاء الى الغابة المجهولة.

وقد قال: "لمدى أربعة عشر أسبوعا قُذف بي في ذلك الفصل القارس البرد جدا، ولم أذق طعاما ولا استرحت في فراش، لكنّ الغربان كانت تعولني في البرية"، ولجأت الى شجرة مجوفة لاحتمي فيها من البرد (٢٦٩). وهكذا ظل يواصل فراره المؤلم في وسط الثلوج والغابة غير المطروقة الى أن وجد لنفسه ملاذا بين قبيلة من الهنود الذين كسب ثقتهم ومحبتهم عندما كان يحاول أن يعلمهم حقائق الانجيل.

وبعد شهور قضاها في التنقل والتجوال اتجه أخيرا الى شواطئ خليج ناراجانسيت حيث وضع أسس أول ولاية في العصور الحديثة كانت، بأكمل معنى، تعترف بحق كل انسان في الحرية الدينية . وكان المبدأ الاساسي لمستعمرة روجر وليمز هو هذا: "يجب أن تعطى لكل انسان الحرية في أن يعبد الله حسب نور ضميره" (٢٧٠). وقد صارت مستعمرته الصغيرة التي هي رود آيلاند ملجأ للمضطهدين، وقد كبرت ونجحت الى أن صارت مبادئها الاساسية — الحرية المدنية والدينية — حجر زاوية الجمهورية الامريكية. [330]

الوثيقة الجليلة القديمة للحرية

وفي تلك الوثيقة الجليلة القديمة التي سجلها أجداد الامريكيين بمثابة صك حقوقهم — اعلان الاستقلال — أعلنوا قائلين: "اننا نثبت في هذه الحقائق بكل وضوح أن جميع الناس قد خلقوا متساوين، وأن الخالق قد منحهم بعض الحقوق لا ينازعهم فيها أحد، وبين هذه الحقوق الحياة والحرية والسعي في أثر السعادة". والدستور يكفل باعظم التعبيرات القاطعة الصريحة حرمة الضمير. "لا يوضع شرط ديني ولا يطلب من أحد ذلك ليكون مؤهلا يخول له الحصول على وظيفة ذات أمانة عامة في الولايات المتحدة"، "والكونجرس لن يسن قانونا خاصا بمؤسسة للدين ولا ينهي عن ممارسة الدين بكل حرية".

حقوق الضمير

"ان واضعي الدستور اعترفوا بالمبدا الابدي وهو أن علاقة الانسان بإلهه تسمو فوق كل تشريع

بشري، وان حقوق ضميره لا ينازعه فيها أحد، بل هي وقف عليه . ولم تكن هنالك حاجة الى المحاجة لاثبات هذا الحق، فنحن نحس به في أعماقن ا. ان هذا هو الاحساس الذي في تحديه للشرائع البشرية قد أعان كثيرين من الشهداء وأسندهم وهم يقاسون العذابات وتلتهم النار أجسامهم . لقد أحسوا بأن واجبهم نحو الله أسمى من كل تشريع بشري، وأن الناس ينبغي ألا يستخدموا سلطة ما لارغام ضمائرهم. انه مبدأ غريزي في النفس لا يمكن أن يقتله شيء" (٢٧١).

وعندما انتشرت الاخبار الطيبة في كل ممالك أوروبا عن وجود أرض يمكن لكل انسان فيها أن يتمتع بثمار تعبه ويطيع اقتناعات ضميره تقاطر ألوف من الناس قاصدين شواطئ العالم الجديد . وزادت وتضاعفت المستعمرات بسرعة. "ان مساشوستس، بموجب قانو ن خاص، رحَّبت ترحيبا كاملا وعلى النفقة العامة بالمسيحيين من كل دولة الذين يمكنهم أن يطيروا عبر الاطلانطي [331] "هروباً من الحروب أو المجاعات أو اضطهاد مضطهديهم". وهكذا فان الهاربين والمدوسين بالاقدام صاروا، بموجب القانون، ضيوفا على الجمهورية" (٢٧٢). وفي خلا ل عشرين سنة منذ وطئ الناس أرض بليموث أول مرة استقر ألوف الحجاج في نيو انجلند.

ولكي يضمنوا بلوغ الغرض الذي طلبوه "قنعوا بربح معاش قليل بالركون الى حياة الاقتصاد والكد . ولم يطلبوا من الأرض شيئا غير التعويض المعقول عن كدهم وتعبهم . ولم يروا رؤيا ذهبية تلقي ه الة خادعة على طريقهم ... بل قنعوا بالتقدم البطيء الثابت لنظامهم الاجتماعي . وبكل صبر تحملوا عوز البرية وهم يروون شجرة الحرية بدموعهم وعرق جباههم حتى تأصلت في البلاد".

ولقد اعتبر الكتاب المقدس أساس الايمان والعقيدة ونبع الحكمة وميثاق الحرية. وكانت مبادئه تعلم في البيت والمدرسة والكنيسة بكل اجتهاد، وظهرت ثماره في حسن التدبير والذكاء والطهارة والاعتدال . وربما كان الواحد يسكن في مستعمرة بيوريتانية عدة سنين "من دون أن يرى سكيرا أو يسمع انسانا يحلف أو يلاقي متسولا" (٢٧٣). وقد تبرهن أن مبادئ الكتاب المقدس هي أضمن حارس لضمان العظمة القومية . ونمت المستعمرات الضعيفة المنعزلة فصارت اتحادا لولايات قوية، ولاحظ العالم بدهشة سلامَ "كنيسة لا يحكمها بابا، ودولة لا يحكمها ملك" ونجاحهما.

لكنّ سيلا متدفقا غير منقطع من الناس اجتُذبوا الى شواطئ امريكا مدفوعين بدوافع تختلف عن تلك التي كانت للنزلاء الاولين . فمع أن الايمان البدائي الفطري والطهارة بذلا مجهودا واسع النطاق وقوة لصوغ الناس فان ذلك التأثير جعل يتضاءل شيئا فشيئا بنسبة كثرة الوافدين طلبا للمنفعة المادية.

ان اللائحة التي وضعها المستعمرون الاولون والتي بموجبها كان يسمح لاعضاء الكنائس وحدهم أن يصوتوا أو يحصلوا على مناصب في الحكومة المدنية أدت الى أوخم النتائج الوبيلة . لقد قبل هذا الاجراء بمثابة وسيلة من [332] وسائل طهارة الدولة، ولكن كان من نتائجه تفشي الفساد في الكنيسة . فكون الاعتراف بالديانة شرط التصويت و التوظف جعل كثيرين ممن تدفعهم البواعث والسياسة الدنيوية وحدها ينضمون الى الكنيسة من دون أن تتغير قلوبهم . وهكذا تكونت الكنائس الى حد كبير من أشخاص غير متجددين. وحتى في دائرة الخدمة وُجد بعضٌ ممن كانوا يجهلون قوة الروح القدس ا لمجددة، فضلا عن الاخطاء التي كانوا يتمسكون بها في العقيدة . وهكذا ظهرت أيضا النتائج الشريرة التي كانت تشاهد في تاريخ الكنيسة منذ أيام قسطنطين الى يومنا هذا، وهي محاولة بناء الكنيسة بمساعدة الدولة، والالتجاء الى السلطة الزمنية لمعاضدة انجيل ذاك الذي قد أعلن قائلا: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨ : ٣٦). ان اندماج الكنيسة في الدولة ولو بقدر طفيف جدا، مع أنه يبدو وكأنه يقرب العالم من الكنيسة فانه في الحقيقة يقرب الكنيسة من العالم.

ان المبد أ الذي دافع عنه روبنسون وروجر وليمز بكل شجاعة والقائل بأن الحق متدرج وبان

المسيحيين ينبغي لهم أن يكونوا مستعدين لقبول النور الذي يشرق عليهم من كلمة الله المقدسة، هذا المبدأ العظيم غاب عن عقول نسلهم ا. فالكنائس البروتستانتية في امريكا — وكنائس أوروبا أيضا — التي نالت حظوة التمتع العظيمة ببركات الاصلاح أخفقت في التقدم الى الامام في طريق الاصلاح . ومع أن جماعة قليلة من الامناء قاموا بين وقت وآخر ليعلنوا الحق الجديد ويكشفوا عن الاخطاء التي اعتنقها الناس طويلا، فان السواد الاعظم من الناس، كاليهود في أيام المسيح والبابويين في عهد لوثر، اكتفوا بالايمان بما قد آمن به آباؤهم والعيشة كما عاشو ا. ولذلك عادت الديانة فانحطت حتى صارت مجموعة من الرسميات والطقوس . والضلالات والخرافات التي كان يمكن طرحها جانبا لو ظلت الكنيسة سائرة في نور كلمة الله أبقي عليها واعتنقها الناس. وهكذا خمدت تدريجا الروح التي ألهمها الاصلاح للناس، الى حد أن كانت هنالك حاجة ماسة الى اجراء اصلاح في الكنيسة البروتستانتية كما في [333] الكنيسة الكاثوليكية في أيام لوثر . فقد كانت هنالك محبة العالم والخمول والركود الروحي وتوقير آراء الناس والاستعاضة عن تعاليم كلمة الله بنظريات البشر.

ان انتشار الكتاب المقدس الواسع النطاق في اوائل القرن التاسع عشر، والنور العظيم الذي أشرق منه على العالم، لم يتبعهما تقدم مماثل في معرفة الحق المعلن أو تدين اختباري صحيح . فالشيطان لم يستطع حينئذ أن يباعد بين الكلمة الالهية وشعب الله كما في العصور السالفة، إذ كانت في متناول أيدي الجميع، لكنه لكي يتمم أغراضه جعل كثيرين يبخسون كلمة الله حقها ويستخفون به ا. وقد أهمل الناس تفت يش الكتب، وهكذا ظلوا يقبلون تفسيرات كاذبة ويعتنقون عقائد لا أساس لها في الكتاب.

واذ تحقق الشيطان من فشل محاولاته في سحق الحق والقضاء عليه بواسطة الاضطهاد لجأ الى حيلة التواطؤ التي آلت الى الارتداد العظيم وتشكيل كنيسة روم ا. وقد أغوى المس يحيين على أن يتحالفوا لا مع الوثنيين الآن بل مع الذين لشدة تعلقهم بأمور هذا العالم برهنوا على أنهم وثنيون كما كان عابدو التماثيل المنحوتة . ولم تكن نتائج تلك الاحلاف أقل خطرا مما كانت في العصور القديمة . وقد ترعرت الكبرياء والاسراف تحت ستار الدين ففسدت الكنائس . وظل الشيطان يفسد ويحرِّف تعاليم الكتاب . والتقاليد التي كانت ستدمر حياة الملايين رسَّخت أصوله ا. وقد كانت الكنيسة تسند هذه التقاليد وتدافع عنها بدلا من أن تجاهد وتدافع عن "الايمان المسلَّم مرة للقديسين". وهكذا انحطت الم بادئ التي في سبيلها عمل المصلحون وتألموا كثيرا. [334]

الفصل السابع عشر — البشيرون بقدوم الصباح

من أروع الحقائق المعلنة في الكتاب المقدس وأرهبها وأمجدها في الوقت نفسه حقيقة المجيء الثاني للمسيح ليكمل عمل الفداء العظيم . فشعب الله المتغرب المتروك طويلا ليتغرب في "أرض ظلال الموت" يُعطى رجاءً مفرحا في الوعد بمجيء ذاك الذي هو "القيامة والحياة"، "ليرد منفيَّه". ان تعليم المجيء الثاني هو محور الكتاب المقدس . فمنذ خرج أبوانا الاولان من عدن كاسفين حزينين ظل أبناء الايمان ينتظرون مجيء ذاك الموعود به ليحطم سلطان المُهلِك ويعيدهم الى الفردوس المفقود . وقد كان رجال الله القديسون قديما يتشوّقون الى مجيء مسيا في مجده كمنتهى رجائهم . ان اخنوخ الذي كان السابعَ من آدم والذي لمدة ثلاثة قرون سار مع الله أعطي له وعد بأن يرى من بعيد مجيء المخلص . فاعلن قائلا: "هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع" (يهوذا ١٤ و ١٥). وأيوب الشيخ الوقور صاح من وسط بلواه بثقة عظيمة قائلا: "أما أنا فقد علمت أن وليِّي حي والآخر على الأرض يقوم..." (أيوب ١٩ : ٢٥) "ومن جسدي أعاين الله الذي أنا أعاينه بنفسي وعيناي تريانه لا غيري" (أيوب ١٩ : ٢٦ و ٢٧ — ترجمة سنة ١٨٧٨). [335]

ان مجيء الم سيح ليحقق مُلك البِر ألهم الكتَّاب القديسين باسمى الاقوال الحماسية. لقد تكلم شعراء الكتاب وأنبياؤه طويلا عن هذا الامر بكلام يتوهج بالنار السماوية . ولقد تغنى صاحب المزامير بعظمة ملك اسرائيل وقدرته وجلاله، فقال: "من صهيون كمال الجمال الله اشرق . يأتي الهنا ولا يصمت ... يدعو السموات من فوق الارض الى مداينة شعبه" .(مزمور ٥٠ : ٢ — ٤). "لتفرح السموات ولتبتهج الارض ... أمام الرب لانه جاء . جاء ليدين الارض . يدين المسكونة بالعدل والشعوب بامانته" (مزمور ٩٦ : ١١ — ١٣).

وقال النبي أشعياء: "تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظو ا ترنموا يا سكان التراب لان طلك طل اعشاب الارض تسقط الاخيلة". "يبلع الموت الى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الارض لان الرب قد تكلم . ويقال في ذلك اليوم هوذا هذا الهنا انتظرناه فخلصن ا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه" (إشعياء ٢٦ : ١٩ ؛ ٢٥: ٨ و ٩).

وحبقوق وهو ذاهل من جلال الرؤيا المقدسة أبصر السيد في مجيئه فقال : "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران ... جلاله غطى السموات . والارض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور". "وقف وقاس الارض نظر فرجف الامم ودُكت الجبال الدهرية وخ سفت آكام القدم . مسالك الازل له". "ركبت خيلك مركباتك مركبات الخلاص" "أبصرتك ففزعت الجبال ... أعطت اللجة صوتها رفعت يديها الى العلاء . الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك". "خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك" (حبقوق ٣ : ٣ و ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣).

وعندما كان المخلص موشكا أن يرحل عن تلاميذه عزاهم في حزنهم بيقين مجيئه الثاني، قائلا لهم: "لا تضطرب قلوبكم ... في بيت أبي منازل كثيرة ... أنا أمضي لاعد لكم مكان ا. وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم اليَّ" (يوحنا ١٤ : ١ — ٣). "متى جاء ابن الانسان في [336] مجده وجميع

الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب" (متى ٢٥ : ٣١ و ٣٢).

ثم أن الملاكين اللذين بقيا على جبل الزيتون بعد صعود المسيح رددا على مسامع التلاميذ الوعد بمجيئه قائلين: "ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء" (أعمال ١ : ١١). واذ كان بولس الرسول يتكلم بروح الالهام شهد قائلا: "لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء" (١ تسالونيكي ٤ : ١٦). وها هو نبي بطمس يقول: "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين" (رؤيا ١ : ٧).

حينئذ فان مملكة المسيح التي ظل الشعب يتوق اليها طويلا والتي هي مملكة السلام ستثبت تحت كل السماء. "فان الرب قد عزَّى صهيون عزَّى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب". "يدفع اليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون" ."لا يقال بعد لكِ مهجورة ولا يقال بعد لارضك موحشة بل تدعين حفصيبة (بهجتي) وأرضك تدعى بعولة" "كفرح العريس بالعروس يفرح بكِ اله كِ" (إشعياء ٥١ : ٣؛ ٣٥ : ٢؛ ٦٢ : ٤ و ٥).

لقد كان مجيء الرب رجاء اتباعه الامناء في كل عصر. ووعد المخلص الوداعي الذي اعطاه على جبل الزيتون بأنه سيأتي ثانية أنار المستقبل أمام تلاميذه مالئا قلوبهم فرحا ورجاء لم يكن للحزن أن يطفئه ولا للتجارب أن تظلمه. ففي وسط الألم والاضطهاد كان "ظهور الله العظيم ومخلصنا يسوع [337] المسيح" هو "الرجاء المبارك". ان مسيحيي تسالونيكي اذ كانت قلوبهم مفعمة حزنا وهم يدفنون أحباءهم الذين كانوا يرجون أن يعيشوا حتى يروا مجيء الرب وجّه معلمهم بولس أفكارهم الى أن القيامة ستحدث عند مجيء ا لمخلص. وحينئذ سيقوم الاموات في المسيح، ويخطفون مع الاحياء لملاقاة الرب في الهواء. قال: "وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام" (١تسالونيكي ٤: ١٧ — ١٨).

واذ كان التلميذ الحبيب في جزيرة بطمس الصخرية سمع هذا الوعد: "أنا آت سريع ا"، فجاء جوابه المشتاق مجاهرا بطلبة الكنيسة في كل غربتها قائلا: "آمين تعال أيها الرب يسوع" (رؤيا ٢٢ : ٢٠).

فمن أعماق ظلمات السجون، ومن فوق المنصّات التي أعدت لحرق الضحايا، والمشانق التي من فوقها شهد الشهداء والقديسون للحق يجيء نطق ايمانهم ورجائهم عبر أجيال التاريخ. فاذ كانوا "متحققين من قيامة السيد، ومتحققين تبعا لذلك من قيامتهم عند مجيئه — "كما يقول أحد هؤلاء المسيحيين — "ازدروا بالموت لانهم كانوا متعالين عليه" (٢٧٤). كانوا راغبين في النزول الى القبر لكي "يقوموا أحرار ا" (٢٧٥). كانوا ينتظرون "أن يأتي الر ب من السماء في السحاب بمجد أبيه" "ليأتي للابرار بازمنة الملكوت". وكان الولدنسيون يعتنقون هذا الايمان نفسه (٢٧٦). وكان ويكلف يتطلع الى الامام الى ظهور الفادي كأنه رجاء الكنيسة (٢٧٧).

وقد أعلن لوثر قائلا : "اني مقتنع بكل يقين ان يوم الدينونة لن يتأخر بعد اليوم ثلاث مئة سنة كاملة . فالله لا يقدر ولن يستطيع الصبر على هذا العالم الشرير أكثر من هذ ا". "ان اليوم العظيم يقترب وفيه ستخرب مملكة الارجاس" (٢٧٨).

وقد قال ميلانكثون : "ان هذا العالم الهرم ليس بعيدا من نهايته" وكلفن يأمر المسيحيين "ألا يترددوا بل أن يشتاقوا بكل حرارة الى مجيء [338] المسيح كأسعد حدث". وهو يعلن "أن كل أسرة الامناء يجعلون ذلك اليوم نصب عيونهم دائم ا". ويقول :"ينبغي لنا أن نجوع الى المسيح ونطلب ونتأمل حتى يبزغ فجر ذلك اليوم العظيم عندما يعلن الرب مجد ملكوته كاملا" (٢٧٩).

وقد قال نوكس المصلح الاسكوتلاندي: "ألم يحمل ربنا يسوع جسدنا الى السماء؟ وهل هو لن يعود؟

نحن نعلم أنه سيعود وسيعود سريع ا". وكان ردلي و لايتمر، اللذان بذلا حياتهما لاجل الحق، ينتظر ان مجيء الرب بايمان. وقد كتب ردلي يقول: "ان العالم من دون شك ـــ وهذا ما اعتقده يقينا ولذلك أصرح به ـــ يقترب من النهاية . لذلك يجب أن نشترك مع يوحنا خادم الله فنصرخ بملء قلوبنا الى مخلصنا المسيح قائلين : "تعال أيها الرب يسوع" (٢٨٠).

وقد قال باكستر : "ان الافكار الخاصة بمجيء الرب محببة ومفرحة لي" (٢٨١). "ان كوننا نحب ظهوره وننتظر ذلك الرجاء المبارك هو عمل الايمان وصفة قديسي العلي". "اذا كان الموت هو آخر عدو يبطل عند القيامة فيمكننا أن نتعلم بأية غيرة وحرارة ينبغي للمؤمنين أن يشتاقوا الى مجيء المسيح ثانية ويصلّوا حتى تتم هذه الغلبة الكاملة والأخيرة". (٢٨٢) "هذا هو اليوم الذي ينبغي لكل المؤمنين أن يشتاقوا اليه ويرجوه وينتظروه كاتمام لكل عملية فدائهم ولكل رغائب نفوسهم ومساعيه ا" ."أسرع يا رب وعجِّل هذا اليوم المبارك السعيد" (٢٨٣). هذا كله رجاء الكنيسة الرسولية و "الكنيسة في البرية ،" ورجاء المصلحين.

ان النبوات فضلا عن كونها قد سبقت فأنبأت عن كيفية مجيء المسيح وغايته فانها قد أوردت العلامات التي بموجبها يعرف الناس قرب مجيئه . قال يسوع: " ولتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم" (لوقا ٢١ : ٢٥). "الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة [339] ومجد" (مرقس ١٣ : ٢٤ ـــ ٢٦). وهكذا يصف الرائي أول العلامات التي تسبق المجيء الثاني فيقول: "اذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم" (رؤيا ٦: ١٢).

كارثة لشبونة

وقد رؤيت هذه العلامات قبل بدء القرن التاسع عشر. واتماما لهذه النبوة حدثت في سنة ١٧٥٥ أرهب زلزلة سجلت. ومع أن المشهور عنها أنها زلزلة لشبونة فقد امتدت الى أبعد أنحاء أوروبا وأفريقيا وأمريك ا. فقد أحس بها الناس في غرينلاند وجزر الهند الغربية وجز يرة ماديرا والنروج والسويد وبريطانيا العظمى وايرلاندا، ضمن مساحة لا تقل عن أربعة ملايين ميل مربع . وقد كانت شدة الهزة في أفريقيا كما كانت في أوروبا تقريبا، وقد خرب قسم كبير من بلاد الجزائر، وعلى مسافة قريبة من مراكش ابتلعت قرية عدد سكانها ٨ أو ١٠ آلاف نسمة في جوف الارض . وقد اكتسحت موجة هائلة شاطئ اسبانيا وأفريقيا فابتلعت مدنا وأحدثت تخريبا عظيما.

كانت الهزة على أشد عنفها في اسبانيا والبرتغال . ففي قادس قيل ان ارتفاع الموجة بلغ ستين قدم ا. "وأعظم الجبال في البرتغال اهتزت بقوة هائلة كأنما من أساسها، وبعض منها حدثت في قممها شقوق فتمزقت بطريقة عجيبة وقُذفت كتل هائلة من صخورها الى الاودية المجاورة، وقيل ان لهب نار خرجت من تلك الجبال" (٢٨٤).

وفي لشبونة "سُمع صوت رعد من تحت الارض، وبعد ذلك حالا أسقطت هزة عنيفة الجانب الاكبر من المدينة . وفي مدى ست دقائق هلك س تون ألفا من السكان . في البدء تراجع البحر وجفت مياه الميناء وبعد ذلك ارتدت المياه وكان ارتفاعها يبلغ خمسين قدما أو أكثر فوق السطح العادي". "وبين الاشياء غير العادية التي حدثت في لشبونة والتي قيل أنها وقعت في أثناء تلك الكارثة هبوط رصيف جد يد مبني كله من الرخام بلغت تكاليفه مبلغا [340] كبيرا. وكان قد تجمع جمهور كبير من الناس على ذلك الرصيف

طلبا للنجاة لظنهم أنهم سيكونون بعيدين من الانقاض المتساقطة . ولكن فجأة غاص الرصيف بكل من كانوا واقفين عليه ولم تطف على سطح الماء جثة واحدة من تلك الجثث" (٢٨٥).

"كان من نتائج الزلزلة سقوط كل الكنائس والاديرة ومعظم الابنية العامة وأكثر من ربع البيوت. وفي خلال ساعتين بعد تلك الهزة اشتعلت النيران فى أحياء مختلفة، وظلت في عنفها تلتهم ما أمامها لمدة ثلاثة أيام حتى خربت المدينة تماما. وقد حدثت الزلزلة في يوم مقدس عندما كانت الكنائس والاديرة مزدحمة بالناس الذين لم ينج منهم غير القليل جدا (٢٨٦). أما الرعب الذي شمل الناس فيجل عن الوصف . لم يبك أحد، فلم يكن مجال لسكب الدموع . بل جعل الناس يجرون الى هنا وهناك وهم يهذون من هول الرعب والدهشة، وكانوا يلطمون وجوههم ويقرعون صدورهم وهم يقولون "لقد انتهى العالم!" ونسيت الامهات أولادهن وكن يركضن حاملات تماثيل الصلبان . ولسوء الحظ ركض كثيرات منهن الى الكنائس ليحتمين فيها، ولكن عبثا عُرض سر القربان المقدس، وعبثا احتضن الناس المساكين المذابح . لقد دُفنت التماثيل والكهنة والشعب في ذلك الدمار الواحد الشامل". وقُدر أن عدد النفوس التي هلكت في ذلك اليوم المخيف بلغ تسعين ألف.

اظلام الشمس والقمر

وبعد ذلك بخمس وعشرين سنة ظهرت العلامة التالية المذكورة في النبوة، أي اظلام الشمس والقمر. والذي زاد من الدهشة عند ظهور هذه العلامة هو حقيقة كون وقت اتمامها كان قد أشير اليه بكل وضوح وأنبئ به . ففي حديث المسيح مع تلاميذه على جبل الزيتون، اذ وصف لهم المحنة الطويلة التي ستمر بها الكنيسة — أي مدة ١٢٦٠ سنة من الاضطهاد البابوي، والتي قال فيها السيد أن مدة الضيق ستقصر — ذكر بعض العلامات الخاصة التي [341] ستسبق مجيئه، وحدد الزمن الذي ستحدث فيه أولى تلك الحوادث فقال : "وأما في تلك الايام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه" (مرقس ١٣ : ٢٤). ان ال ١٢٦٠ يوما أو سنة انتهت في عام ١٧٩٨. وقبل ذلك بربع قرن كان الاضطهاد قد أوشك على الانتهاء . وبحسب كلام المسيح كان سيعقب هذا الاضطهاد اظلام الشمس. ففي التاسع عشر من أيار (مايو) عام ١٧٨٠ تمت هذه النبوة.

"ان يوم الظلام الذي وقع في ١٩ أيار (مايو) عام ١٧٨٠ يكاد يكون يوما فريدا ان لم يكن هو اليوم الاوحد اطلاقا كأعظم يوم غامض في الظاهرة التي لم يجد الناس لها تفسيرا بعد ... فلقد شملت كل السموات المنظورة والجو في نيو انجلند ظلمة لم يعرف مأتاها ولا أمكن التعليل عنها" (٢٨٧).

ويصف شاهد عيان ممن كانوا يعيشون في مساشوستس ذلك الحادث بقوله:

"في الصباح أشرقت الشمس صافية ولكن سرعان ما شملها الظلام. صارت السحب منخفضة وهي اذ كانت سوداً ومنذرة بالخطر كما بدا عليها حالا لمعت منها البروق ودمدمت الرعود وانهمر مطر قليل. وحوالي الساعة التاسعة صارت السحب أقل كثافة، وصار منظرها كالنحاس الاصفر أو الاحمر، فتغيرت مناظر الارض والصخور والاشجار والمباني والماء والناس بفعل ذلك النور الغريب الذي ليس من الارض. وبعد دقائق قليلة انتشرت سحابة سوداء في الجو كله باستثناء حيز صغير جدا في الافق. وكانت الدنيا ظلاما كما تكون عادة في الساعة التاسعة من احدى ليالي الصيف...

"وبالتدريج امتلأت عقول الناس بالخوف والجزع والرهبة. وقد وقفت النساء أمام أبوابهن ينظرن الى ذلك المنظر المظلم، وعاد الرجال من عملهم في الحقول، والنجار ترك أدوات نجارته، والحداد ترك

كوره، والتاجر ترك متجره. وقد صُرف التلاميذ من مدارسهم ليعودوا الى بيوتهم فعادوا مرتعبين، والمسافرون [342] لجأوا ا لى أقرب مزرعة . وتردد هذا السؤال على كل لسان وفي كل قلب: "ما الذي سيحدث؟" وقد بدا كأن إعصارا موشك أن يهب على البلاد، أو كأن هذا اليوم هو يوم نهاية كل شيء.

"وقد أضيئت الشموع وأوقدت نيران المواقد التي أرسلت نورها كما في ليلة من ليالي الخريف لا قمر فيها .. .وعادت الدواجن الى صغارها لتهجع وتنام، والمواشي تجمعت في مراعيها وجعلت تخور، والضفادع جعلت تنقنق، والطيور بدأت تنشد اغنيات المساء، وجعلت الخفافيش تطير هنا وهناك. أما بنو الانسان فكانوا يعلمون أن الليل لم يأت بعد...

"أقام الدكتور نثنائيل هويتيكر، راعي كنيسة التابرناكل في ساليم، خدمات دينية في بيت الصلاة وألقى عظة فيها أعلن أن الظلمة فائقة الطبيعة. وأقيمت اجتماعات أخرى في أماكن متعددة. وكانت الآيات التي بنيت عليها العظات المرتجلة قد أجمعت كلها على أن تلك الظلمة كانت متفقة مع النبوات الكتابية ... وقد زاد ادلهمام الظلمة حالا بعد الساعة الحادية عشرة" (٢٨٨). "وفي معظم أنحاء البلاد كان الظلام كثيفا بحيث لم يكن أحد يستطيع أن يتبين الوقت لا من الساعات الصغيرة ولا م ن ساعات الحائط، ولا أن يتناول غداءه أو يدير شؤون بيته من دون استخدام أنوار الشموع...

كان ذلك الظلام واسع النطاق . وقد لوحظ أنه امتد حتى الى فالموث شرقا. أما في الغرب فقد وصل الى أبعد أطراف كنكتكوت والى ألباني. وفي الجنوب رؤي على شواطئ البحر. وفي الشمال امتد الى أقصى حدود أماكن الاستيطان الامريكية" (٢٨٩).

شهادة التاريخ

وقبل الغروب بساعة أو ساعتين حل مكانَ الظلام الكثيف نورُ النهار الصافي جزئيا، فظهرت الشمس وان تكن لا تزال مكتنفة بضباب أسود ثقيل. "وبعد [343] الغروب تجمعت السحب ثانية فوق الرؤوس. وسرعان ما زاد ظلامها". "وكذلك لم يكن ظلام الليل عاديا ولا أقل رعبا من ظلمة النهار، فمع أن القمر كان تقريبا بدرا فلم يكن من يستطيع أن يميز الاشياء من دون الاستعانة بالانوار الصناعية التي عندما كانت تشاهد من البيوت المجاورة أو الاماكن البعيدة كانت ترى مكتنفة بظلمة كظلمة مصر التي كان يمكن لاشعة النور أن تخترقها بالجهد" (٢٩٠). وقد قال شاهد عيان لهذا المنظر في ذلك الحين: "لقد أمكنني أن أفهم وقتئذ أنه لو أن كل الاجرام السماوية المضيئة في كل المسكونة لُفت في ظلمات لا ينفذ اليها النور، أو لو محيت من الوجود لما كان الظلام حينئذ أشد من هذا الذي رأيته" (٢٩١). ومع أن القمر كان قد توسط السماء في التاسعة مساء فأرسل أنواره فانه "لم يكن له أقل أثر في طرد الظلمات الشبيهة بظلمات الموت". وبعد منتصف الليل انقشعت الظلمة، وعندما ظهر القمر لاول مرة كان يشبه الدم في لونه.

يسمى يوم ١٩ أيار (مايو) من عام ١٧٨٠ "اليوم المظلم" في التاريخ. فمنذ عهد موسى لم يسجل التاريخ فترة مظلمة في مثل حلوكة هذا اليوم أو اتساعه أو مدته . ان وصف هذا الحادث كما قد مه شهود العيان انما هو صدى لكلام الرب الذي سجله يوئيل النبي قبل اتمامه بألفين وخمس مئة سنة، اذ قال: "تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخوف" (يوئيل ٢: ٣١).

علامات أخرى للمجيء

لقد أمر المسيح شعبه أن يراقبوا علا مات مجيئه ويفرحوا حين يرون علامات مليكهم الآتي. فقال: "متى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لان نجاتكم تقترب". ثم وجه انظار تابعيه الى ظهور براعم الاشجار في الربيع فقال: [344] "متى افرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الاشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب" (لوقا ٢١ : ٢٨ و ٣٠ و ٣١).

ولكن اذ احتلت الكبرياء والتمسك بالطقوس مكان روح الوداعة والورع في الكنيسة فترت المحبة للمسيح والايمان بمجيئه . واذ انغمس اولئك المعترفون بولائهم لله في الامور الدنيوية وصاروا يركضون في أثر المسرات العالمية عميت أذهانهم عن تعليمات المخلص الخاص بعلامات ظهوره . لقد أهمل تعليم المجيء الثاني، والاقوال الالهية الخاصة به حجبها التحريف الى حد أن أغفلت ونسيت الى حد كبير . هكذا كانت الحالة في كنائس أمريكا على الخصوص . فالحرية والراحة اللتان ك انت كل طبقات المجتمع تنعم بهما، واشتهاء الغنى والطموح في طلب الترف، والشوق الطاغي الى جمع المال والاندفاع القوي نحو الشهرة والسلطان، الامور التي بدا أنها في متناول أيدي الجميع، كل هذه جعلت الناس يركزون اهتماماتهم وآمالهم في أمور هذه الحياة، ويبعدون عن تفكيرهم، الى المستقبل البعيد، ذلك اليوم الخطير الذي فيه سيزول ويبطل نظام الاشياء الحاضرة.

عندما وجه المخلص أفكار تابعيه الى علامات مجيئه الثاني أنبأهم عن حالة الارتداد التي ستعم العالم قبيل ذلك . فكما كانت الحال في أيام نوح كذلك ستكون الحال حينئذ اذ سيكون النشاط وحركة التجارة العالمية على أشدهما، وكذلك السعي في أثر المسرات، والبيع والشراء والغرس والبناء؛ ثم ان الناس سيزوجون ويتزوجون، وفي الوقت نفسه ينسون الله والحياة الآتية. فلمثل اولئك العائشين في هذا الوقت يقدم المسيح انذاره قائلا: "فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة". "اسهروا اذاً وتضرعوا في كل حين لكي [345] تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الانسان" (لوقا ٢١ : ٣٤ و ٣٦).

يصور حالة الكنيسة في هذا الوقت قول المخلص في سفر الرؤيا: "ان لك اسما انك حي وأنت ميت". والذين يرفضون ان يستيقظوا من طمأنينتهم الكاذبة وعدم اكتراثهم يُقدم اليهم ذلك الانذار الخطير القائل: "ان لم تسهر أُقدِم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك" (رؤيا ٣ : ١ و ٣).

كانت الحالة تدعو الى أن يصحو الناس ويتنبهوا الى خطرهم وان يستيقظوا للتأهب للاحداث الخطيرة المتصلة بنهاية الاختبار. ويعلن نبي الله قائلا: "يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه" ؟ من يستطيع أن يثبت عندما يقترب ذاك الذي عيناه "أطهر من أن تنظرا الشر" ولا يستطيع "النظر الى الجور" ؟ (يوئيل ٢: ١١ ، حبقوق ١: ١٣). أما الذين يصرخون قائلين: "يا الهي نعرفك" ومع ذلك يتعدون عهده ويسرعون وراء آلهة أخرى ويخفون الاثم في قلوبهم ويحبون طرق الظلم، لهؤلاء يكون يوم الرب "ظلاما لا نور ا. وقتاما ولا نور له" (هوشع ٨: ١ و ٢ ؛ مزمور ١٦ : ٤ ؛ عاموس ٥ : ٢٠). "ويكون في ذلك الوقت" يقول الرب: "اني أفتش أورشليم بالسرج وأعاقب الرجال الجامدين على دُرديِّهم القائلين في قلوبهم ان الرب لا يحس ولا يسيء" (صفنيا ١: ١٢). "واعاقب المسكونة على شرها و المنافقين على اثمهم وأبطل تعظم المستكبرين وأضع تجبُّر العتاة" (أشعياء ١٣ : ١١). "لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع انقاذهم" "فتكون ثروتهم غنيمة وبيوتهم خرابا" (صفنيا ١: ١٨ و ١٣).

الدعوة الى النهوض

والنبي أرميا اذ نظر الى هذا الوقت المخيف صاح قائلا: ”توجعني جدران قلبي... لا أستطيع السكوت لانكِ سمعتِ يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب. [346] بكسر على كسر نودي“ (ارميا ٤ : ١٩ و ٢٠).

”ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب. يوم بوق وهتاف“ (صفنيا ١: ١٥ و ١٦). ”هوذا يوم الرب قادم... ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها“ (أشعيا ١٣ : ٩).

وفي نور ذلك اليوم العظيم تدعونا كلمة الله بلغة مهيبة ومؤثرة وتدعو شعب الله كله لينهضوا من سباتهم الروحي ويلتمسوا وجهه بالتوبة والتذلل، فيقول: ”اضربوا بالبوق في صهيون صوِّتوا في جبل قدسي . ليرتعد جميع سك ان الارض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب“ .”قدسوا صوما نادوا باعتكاف . اجمعوا الشعب قدسوا الجماعة احشدوا الشيوخ اجمعوا الاطفال... ليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلته ا. ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح “. ”ارجعوا اليَّ بكل قلوبكم وبالص وم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لانه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة“ (يوئيل ٢ : ١ و ١٥ — ١٧ و ١٢ و ١٣).

ولاجل اعداد شعب الرب للوقوف في يوم الله كان لا بد من اجراء اصلاح عظيم. لقد رأى الله أن كثيرين من المعترفين بأنهم شعبه لم يكونوا يبنون للابدية. ففي رحمته كان من المنتظر أن يرسل اليهم رسالة انذار لايقاظهم من خمولهم وليجعلهم يستعدون لمجيء الرب.

وهذا الانذار نجده في (رؤيا ١٤). ففي هذا الاصحاح توجد رسالة مثلثة، وهي موصوفة بانها معلنة على أفواه خلائق سماوية، ويتبع ذلك مب اشرة مجيء ابن الانسان ليجمع ”حصيد الارض“. وأول هذه الانذارات يعلن عن الدينونة المقبلة. لقد رأى النبي ملاكا طائرا ”في وسط السماء معه بشارة ابدية ليبشر الساكنين على الارض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب قائلا بصوت عظيم خافوا الله وأعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء [347] والارض والبحر وينابيع المياه“ (رؤيا ١٤ : ٦ و ٧).

هذه الرسالة أعلن عنها أنها جزء من ”البشارة الابدية“. فالكرازة بالانجيل لم يكلف بها الملائكة بل الناس، لكنّ الملائكة القديسين كلفوا بتوجيه وادارة هذا العمل. لقد وُكلت اليهم الحركات العظيمة لاجل خلاص الناس . الا أن الاعلان الفعلي للانجيل يقوم به خدام المسيح على الارض.

فالناس الامناء الذين كانوا مطيعين إلهام روح الله وتعاليم كلمته كان عليهم أن يعلنوا هذا الانذار للعالم . انهم هم الذين انتبهوا الى ”الكلمة النبوية وهي أثبت“ وهي السراج المنير ”في موضع مظلم الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح“ (٢ بطرس ١ : ١٩). لقد كانوا يطلبون معرفة الله أكثر من كل الكنوز اذ حسبوا تجارتها خيرا من تجارة الفضة وربحها خيرا من الذهب الخالص“ (أمثال ٣: ١٤). والرب قد أعلن لهم عظائم ملكوت ه: ”سر الرب لخائفيه لتعليمهم“ (مزمور ٢٥ : ١٤).

رجال متواضعون يقدمون الرسالة

ولم يكن العلماء اللاهوتيون هم الذين فهموا هذا الحق وأذاعوه. فلو كان هؤلاء الناس حراسا أمناء وفتشوا الكتب باجتهاد في روح الصلاة لامكنهم أن يعرفوا ذلك الهزيع من الليل. وكانت الكتب المقدسة قد كشفت لهم عن الحوادث الوشيكة الوقوع. ولكنهم لم يقوموا بمطالب ذلك المركز فسُلمت الرسالة الى

جماعة من المساكين المتواضعين . لقد قال يسوع: ”سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام“ (يوحنا ١٢ : ٣٥). فالذين يبتعدون عن النور الذي قد أعطاه الله، أو الذين يهملون في طلبه حين يكون في متناول أيديهم يُترَكون في الظلام . لكنّ المخلص أعلن قائلا: ”من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة“ (يوحنا ٨ : ١٢). فكل من يطلب أن يعمل ارادة الله بقصد وعزم موحدين، وبكل غيرة ينتبه الى النور المعطى من قبل، سيحصل [348] على نور أكمل؛ فلمثل تلك النفس سترسل السماء نجما ذا لمعان سماوي ليرشدها الى كل الحق.

عند المجيء الاول للمسيح كان يمكن للكهنة والكتبة في المدينة المقدسة الذين استؤمنوا على أقوال الله أن يفهموا علامات الأزمنة ويعلنو ا عن مجيء السيد الموعود به . لقد حددت نبوة ميخا مكان مولده، وكذلك حدد دانيال زمان مجيئه (ميخا ٥ : ٢ ؛ دانيال ٩ : ٢٥). وقد سلم الله هذه النبوات لرؤساء اليهود، ولم يكن لهم عذر لو انهم لم يعرفوا ولم يعلنوا للشعب أن مجيء المسيح قريب. فقد كان جهلهم نتيجة اهمالهم الخ اطئ. كان اليهود يبنون أضرحة أنبياء الله الذين قتلوا، بينما هم باكرامهم لعظماء الارض كانوا يبدون ولاءهم لعبيد الشيطان. فاذ كانوا منغمسين في منازعاتهم وطموحهم في طلب المركز السامي والسلطان بين الناس غابت عن أنظارهم الكرامات الالهية الممنوحة لهم من ملك السماء.

كان ينبغي لشيوخ اسرائيل أن يداوموا على البحث والاستقصاء عن مكان أعظم حادث في تاريخ العالم وعن زمانه وظروفه، أي مجيء ابن الله لاجل فداء الانسان، باهتمام خشوعي عميق . وكان ينبغي لكل الشعب أن يكونوا ساهرين ومنتظرين لكي يكونوا أول من يرحبون بفادي العالم . ولكن ها في بيت لحم كان يوجد مسافران متعبان، كانا قد قطعا الشارع الضيق بطوله الى طرف البلدة الشرقي يبحثان عبثا عن مكان يلجآن اليه ويستريحان فيه تلك الليلة . ولكن لا بيت فتح بابه لقبولهم ا. وفي النهاية وجدا ملجأ في حظيرة قذرة من حظائر الماشية، وهناك وُلد مخلص العالم.

أخبار مفرحة

لقد رأت ملائك السماء المجد الذي كان لابن الله عند أبيه قبل كون العالم، فباهتمام عظيم تشوَّفوا الى ظهوره على الارض كحادث يسبب أعظم فرح لجميع الشعب . وقد تعيَّن على الملائكة أن يحملوا البشرى للذين كانوا [349] متأهبين لقبولها والذين كا نوا بكل فرح سيذيعونها على كل ساكني الارض . لقد تنازل المسيح فاتخذ لنفسه طبيعة الانسان، وكان عليه ان يحمل عبئا ثقيلا من الويل والألم اذ كان عليه أن يجعل نفسه ذبيحة اثم، ومع ذلك فقد كان الملائكة يتوقون الى أن يبدو ابن العلي في عظمة ومجد يليقان بصفاته حتى وهو في حالة الاتضاع . فهل سيجتمع عظماء الارض في عاصمة اسرائيل ليحيوه عند مجيئه ؟ وهل ستقدمه جيوش الملائكة الى الجموع التي تنتظره ؟

ان ملاكا ينزل الى الارض ليرى من هم المتأهبون للترحيب بيسوع . ولكنه يكاد لا يرى علامة من علامات الانتظار، ولا يسمع صوت التسبيح والانتصار لكون وقت مجيء مسيا على الابواب . ها الملاك يطير بعض الوقت فوق المدينة المختارة والهيكل الذي كان يُعلَن فيه الحضور الالهي أجيالا طويلة، ولكن حتى في هذا المكان يُرى عدم الا كتراث نفسه . ان الكهنة في فخامتهم وكبريائهم يقدِّمون ذبائح عائبة في الهيكل . والفريسيون يخاطبون الشعب بأصواتهم العالية أو يتفاخرون بتقديم صلواتهم في زوايا الشوارع وفي قصور الملوك وفي مجتمعات الفلاسفة وندواتهم وفي مدارس معلمي الن اموس، الجميع عديمو الاكتراث ولا يلقون بالا الى الحقيقة العجيبة التي قد ملأت السماء فرحا وتسبيحا، وهي أن فادي البشر

منتظر ظهورُه على الارض.

لا برهان على أن الناس ينتظرون المسيح ولا استعدادات لقدوم رئيس الحياة. والرسول السماوي في ذهوله م وشك أن يعود الى السماء ومعه ذلك الخبر المخجل، واذا به يكتشف جماعة من الرعاة الذين يحرسون قطعانهم في الليل،واذ يشخصون الى السماء التي زانتها النجوم يتأملون في النبوة الواردة عن مسيا الآتي الى الارض ويتوقون لمجيء فادي العالم . هنا جماعة متأهبة لقبول رسالة السماء . وفجأة يظهر ملاك الرب معلنا بشارة الفرح العظيم . وها المجد السماوي يغمر ذلك السهل كله، ويظهر جمع غفير من الملائكة، وكأنما الفرح عظيم جدا بحيث لا يستطيع رسول واحد أن يعلنه من السماء، واذا باصوات [350] كثيرة عذبة تتغنى بانشودة السماء التي ستتغنى بها فيم ا بعد أمم الأرض جميعا قائلا: ”المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة“ (لوقا ٢: ١٤).

ما أعظم قصة بيت لحم هذه من درس عجيب لنا ! وكم توبخ عدم ايماننا وكبرياءنا واكتفاءنا بذواتنا ! وكم تنذرنا بأن نحترس لنفوسنا لئلا بلا مبالاتنا المجرمة نخيب نحن أيضا فلا نميِّز علامات الازمنة، ولذلك لا نعرف زمان افتقادنا!

لم يجد الملاك مترقبي مجيء مسيا على جبال اليهودية وحدها وبين الرعاة المنفردين وحدهم . ففي بلاد الامم أيضا كان يوجد جماعة انتظروه. كانوا رجالا من حكماء بلاد المشرق واغنيائها ونبلائها وف لاسفتها. فاذ كان أولئك المجوس يتلقون العلم على يدي الطبيعة فقد رأوا الله في خلائقه ومصنوعاته. وكانوا قد علموا من كتب العهد القديم شيئا عن الكوكب الذي يبرز من يعقوب، وبشوق ولهفة انتظروا مجيئه، وهو الذي لن يكون ”تعزية اسرائيل“ فحسب بل نورا ينير الامم و ”خلاصا الى أقصى الارض“ (لوقا ٢ : ٢٥ و ٣٢ ؛ اعمال ١٣ : ٣٧). لقد كانوا باحثين عن النور، فأنار لاقدامهم الطريق نور آت من عرش الله . ان كهنة اورشليم ومعلموها الذين عُيِّنوا ليكونوا حراسا على الحق ومفسرين له، اذ كانوا مكتنفين بالظلام، فان النجم الذي أرسلته السماء أرشد هؤلاء الامم الغرباء الى مكان ميلاد الملك الوليد.

”للذين ينتظرونه:“

ان المسيح ”سيظهر ثانية بلا خطيئة للخلاص للذين ينتظرونه“ (عبرانيين ٩ : ٢٨). فكما أن أخبار ميلاد المخلص لم تسلَّم للرؤساء الدينيين كذلك رسالة مجيئه الثاني . لقد اخفقوا في الاحتفاظ بصلتهم بالله ورفضوا النور المنبثق من السماء، فلذلك لم يكونوا ضمن الذين قال عنهم بولس الرسول: ”وأما أنتم أيها الاخوة فلستم من ظلمة حتى يدرككم [351] ذلك اليوم كلص . جميعكم أبناء نور وأبناء نهار لسنا من ليل ولا ظلمة“ (١ تسالونيكي ٥ : ٤ و ٥).

الشعب نيام

كان ينبغي للحراس الواقفين على أسوار صهيون أن يكونوا أول من يستقبلون أخبار مجيء المخلص، وأول من يرفعون أصواتهم معلنين أنه قد قرب، وأول من ينذرون الناس ليتأهبوا لقدومه . لكنهم كانوا مستريحين يحلمون بالسلام والأمان حين كان الناس نائمين ومستريحين في خطاياهم. لقد رأى يسوع كنيسته كالتينة العقيمة، عليها ورق الادعاء الريائي، ولكن ليس فيها الثمر الثمين . كانوا في تفاخرهم

يحفظون طقوس الديانة فيما كانت تعوزهم روح الوداعة الحقيقية والتوبة والايمان، التي هي من دون سواها تجعل الخدمة مقبولة لدى الله . وبدلا من فضائل الروح أظهروا الكبرياء وتمسكوا بالرسميات والطقوس والمجد الباطل والانانية والظلم . فالكنيسة المرتدة أغمضت عينيها حتي لا ترى علامات الازمنة . لكنّ الله لم يتركهم ولم يكذب من جهة أمانته، أما هم فتركوه وانفصلوا عن محبته . ولانهم رفضوا الامتثال لشروطه لم يتمم مواعيده لهم.

هذه هي النتيجة الاكيدة لرفض تقدير النور والانتفاع به والامتيازات التي يمنحها الله . فما لم تسر الكنيسة في أثر خطوات عنايته التي تكشف الطريق أمامها، وما لم تقبل كل شعاع من أشعة النور، م تممة كل واجب يعلن لها، فستنحط الديانة حتما بحيث تصير مجرد حفظ طقوس، أما روح التقوى الحيوية فستختفي . وقد زخر تاريخ الكنيسة بامثلة متعددة تُبرز هذه الحقيقة . فالله يطلب من شعبه أعمال الايمان والطاعة المطابقة للبركات والامتيازات الممنوحة لهم . والطاعة تتطلب التضحية المنطوية على حمل الصليب، وهذا هو السبب الذي لاجله يرفض من يعترفون بأنهم أتباع المسيح قبول النور المنبعث [352] من السماء، وكاليهود قديما لم يعرفوا زمان افتقادهم (لوقا ١٩ : ٤٤). فبسبب كبريائهم وعدم ايمانهم تجاوزهم الرب وأعلن حقه للذين على غرار رعاة بيت لحم والمجوس القادمين من المشرق انتبهوا الى كل النور الذي قد قبلوه. [353]

الفصل الثامن عشر ـــ نور جديد في الدنيا الجديدة

ان مزارعا مستقيما أمين القلب كان قبلا يشك في صدق الكتب المقدسة ومع ذلك كان يرغب بكل اخلاص في معرفة الحق، كان هو الرجل الذي اختاره الله خصيصا ليكون في طليعة من يعلنون المجيء الثاني للمسيح . ان وليم ميلر، ككثيرين غيره من المصلحين، كان في بدء حياته يتصارع مع الفقر، وهكذا تعلم دروس النشاط وانكار الذات . وكان افراد الاسرة التي تحدَّر منها يمتازون بالروح المستقلة المحبة للحرية، وبالقدرة على الاحتمال، وبالغيرة على حب الوطن، وكانت كلها من صفاته البارزة . كان أبوه ضابطا في جيش الثورة . وتعزى حالة العسر التي اجتازها ميلر في بكور حياته الى التضحيات التي بذلها أبوه في الصراع والآلام التي حلت به في تلك الفترة العاصفة.

كان رجلا سليم البنية، وحتى في طفولته برهن على ذكاء خارق غير عادي. واذ نما وكبر ظهر ذكاؤه على نحو أوضح . كان عقله نشيطا وناميا نموا حسنا، وكان تعطشه الى العلم قويا. ومع أنه لم يحظ بالتعلم في كلية فان حبه للدرس وعادة التفكير الدقيق والانتقاد المُحكَم صيَّرته رجلا سليما في حكمه وواسع الافق في تفكيره . وكانت صفاته الأدبية لا غبار عليها، وقد تمتع بشهرة يحسد عليها، اذ كان مكرَّما لاجل استقامته وحسن [354] تدبيره وحبه للخير . ومن كثرة نشاطه ومقدرته اكتسب كفاءَة مبكرة، مع أنه ظل محتفظا بعادات حب الدرس والاستقصاء . وقد شغل وظائف متعددة مدنية وعسكرية، وكان له فيها القَدَر المعلَّى، وقد بدا كأن السبيل الى الثروة والكرامة مفتوح أمامه.

كانت أمه امرأة نقية في تقواها. واذ كان بعد صبيا وقع تحت المؤثرات الدينية. ومع ذلك ففي بكور صباه عاشر جماعة يؤمنون بوجود الله ولكنهم ينكرون الوحي، وقد زاد تأثيرهم فيه لكونهم في الغالب مواطنين صالحين ورجالا كرماء ومحسنين في ميولهم . فاذ كانوا عائشين في وسط المحافل والمجتمعات المسيحية فقد تشكلت اخلاقهم وتأثرت الى حد كبير بالبيئة المحيطة بهم . والفضائل التي أكسبتهم احترام الناس وثقتهم كانوا مدينين بها للكتاب المقدس، ومع ذلك فان هذه الهبات الصالحة أُفسِدت الى حد ان كان لها تأثير مضاد لكلمة الله. فاذ عاشر ميلر هؤلاء الناس اعتنق ميولهم . والشروح والتفاسير المألوفة لكلمة الله أوجدت صعوبات بدا من الصعب تخطيها؛ بيد أن عقيدته الجديدة، في حين أنها ألقت بالكتاب المقدس جانبا، لم تقدم شيئا أفضل بدلا منه، وقد ظل ميلر غير قانع أو راضي النفس، ومع ذلك بقي متمسكا بتلك الآراء مدة اثنتي عشرة سنة . ولكن اذ بلغ الرابعة والثلاثين من العمر أوقع الروح القدس في قلبه احساسا بحالته كخاطئ . فلم يعد يجد في عقيدته القديمة أي يقين بالغبطة أو السعادة بعد القبر . وكان المستقبل مظلما وكئيبا بالنسبة اليه . واذ أشار بعد ذلك الى ما كان يشعر به في ذلك الحين قال:

"ان فكرة الفناء كانت فكرة باردة تصيب النفس بالقشعريرة. والوقوف أمام الله للدينونة كان فيه الهلاك الأكيد للجميع. كانت السماء من فوقي نحاسا، والأرض من تحتي حديدا. الأبدية: ما هي؟ والموت: لماذا هو؟ وبقدر ما فكرت وتحاججت ازددت بعداً من التظاهر. وبقدر ما فكرت ازدادت استنتاجاتي تبعثراً. حاولت أن أكف عن التفكير، ولكني لم أستطع التحكم في أفكاري . لقد كنت في الحق تعساً ولكني لم أفطن الي السبب. جعلت أتذمر وأشكو ولكني لم أكن [355] أعلم على من أتذمر ولا ممن أشكو . علمت

أن هن الك خطأ الا أنني لم أعلم كيف أو أين أجد الصواب. لقد نُحت وبكيت ولكن بلا رجاء".

ميلر يجد صديقا

وظل على تلك الحال عدة أشهر ثم يقول: "وفجأة رُسِمتْ أمام ذهني بكل وضوح ذاتية المخلص. وقد بدا لي أنه يمكن أن يكون هنالك كائن صالح ورحيم بحيث يكفر عن آثامنا وبذ لك يخلصنا من تحمل قصاص خطايان ا. ففي الحال أحسست أنه لا بد أن يكون ذلك الشخص جميلا جدا، وخُيِّل اليّ أنني أستطيع أن ألقي بنفسي بين ذراعيه وأثق برحمته. ولكن عرض لذهني هذا السؤال: كيف نبرهن على حقيقة وجود مثل هذا الشخص؟ لقد وجدت اني في منأى عن الكتاب المقدس لا أستطيع أن أجد برهانا على وجود مثل هذا المخلص، أو حتى على وجود الابدية...

"رأيت أن الكتاب المقدس يقدم اليّ مثل هذا المخلص الذي احتاج اليه. وقد ارتبكت من هذا الفكر وهو كيف يمكن لكتاب غير موحى به ان يوفّر مثل هذه المبادئ التي تسد ح اجات العالم الساقط . وقد اقتنعت واعترفت بان الكتاب المقدس لا بد وأن يكون إعلاناً من الله . فصار كتاب الله موضوع سروري، وقد وجدت في يسوع صديق ا. فصار المخلص بالنسبة اليّ معلما بين ربوة. والاقوال الالهية التي كانت لي قبلا غامضة ومتناقضة صارت الان سراجا لرجلي و نورا لسبيلي. فاستقر عقلي وشبع واكتفى . وقد وجدت الرب الاله صخرة في وسط اوقيانوس الحياة. وصار الكتاب المقدس اذ ذاك أهم موضوع لدراستي، ويمكنني أن أقول صادقا أنني قد فتشته بسرور عظيم، ووجدت أن نصفه لم أخبر به. وتساءلت لماذا لم أر جماله ومجده من قبل واستغربت أني قد رفضته. وقد وجدت كل ما كان يصبو اليه قلبي معلنا لي، ووجدت فيه علاجا لكل أدواء النفس. وما عدت أجد لذة في المطالعات الاخرى، ووطنت النفس والقلب على طلب الحكمة من الله" (٢٩٢). [356]

اعترف ميلر جهارا بايمانه بالديانة التي كان قبلا يزدريه ا. لكنّ عشراءه الملحدين لم يتباطأوا في ايراد تلك الحجج التي طالما أوردها هو ضد سلطان كلمة الله . ولم يكن حينئذ متأهبا للرد عليهم ولكنه تحاجَّ قائلا انه اذا كان الكتاب المقدس اعلانا من الله فلا بد أن يكون متوافقا مع نفسه، وحيث أنه قد أعطي لاجل تعليم الانسان فلا بد أن يكون مطابقا لادر اكه. فعوَّل على درس أقوال الله لنفسه ليتحقق مما اذا كان يمكن التوفيق بين الاقوال المتناقضة فيه أم لا.

اتضاح الحق له

واذ حاول أن يلقي جانبا الآراء المعروفة من قبل ويستغني عن التفاسير جعل يقارن أقوال الكتاب بعضها ببعض بمساعدة الشواهد وفهرس الكتاب . وقد تابع دراسته على نحو منظم منهجي مبتدئا من سفر التكوين، فكان يقرأ آية فآية، ولم يتعجل، قاصراً دراسته على بضع فقرات حتى يتضح له المعنى ولا تسبب له أي ارتباك . وعندما كان يجد شيئاً ملتبسا أو غامضا كان معتادا أن يقارنه بكل آية أخرى لها صلة بالمسألة التي هي موضوع تفكيره . ولقد جعل لكل كلمة علاقة خاصة بموضوع الآية، فاذا كان رأيه فيها متفقا مع نص موازٍ آخر تكف عن أن تُعتبر مشكلة بعد ذلك . وعندما كان يأتي الى فصل يصعب فهمه كان يجد له تفسيرا في فصل آخر من الكتاب . واذ كان يدرس مص ليا بحرارة في طلب الانارة الالهية، فما

كان يبدو غامضا على فهمه من قبل كان يتضح أمامه الان . لقد اختبر صدق كلام صاحب المزامير حين قال: "فتح كلامك ينير يعقل الجهال" (مزمور ١١٩ : ١٣٠).

وباهتمام عظيم درس سفري دانيال والرؤيا مستخدما مبادئ التفسير نفسها ك ما في الاسفار الاخرى، ولشدة فرحه وجد أن الرموز النبوية يمكن فهمها. وقد رأى أن النبوات على قدر ما تمت، تمت حرفيا؛ وحتى كل الرموز المختلفة والاستعارات والامثال والمشابهات كانت موضحة في علاقتها المباشرة، أو أن التعبيرات التي وردت فيها وضحت في مواضع أخرى من ا لكتاب المقدس، [357] وعندما وُضحت هكذا فُهمت فهما حرفي ا. ثم يقول: "وهكذا اقتنعت أن الكتاب المقدس هو نظام حقائق معلنة، وهي مقدمة بكل وضوح وبساطة، بحيث أن أي عابر طريق ولو كان جاهلا لا يحتاج الى أن يخطئ فيها" (٢٩٣). وقد كوفئت جهوده اذ كان يتتبع خطوط النبوة العظيمة خطوة بعد خطوة، وحلقة بعد أخرى من حلقات سلسلة الحق . وكان ملائكة السماء يقودون افكاره ويكشفون أمام عقله حقائق الاسفار الالهية.

الحنطة والزوان

واذ اعتبر الطريقة التي بها قد تمت النبوات في الماضي مقياسا يقيس به النبوات التي ستتم مستقبلا اقتنع بأن الرأي المألوف عن مُلك المسيح الروحي — أي ألف سنة زمنية قبل انقضاء الدهر — لم يكن له سند من كلمة الله . فهذه العقيدة التي تشير الى ألف سنة يسود فيها البر والسلام قبل مجيء الرب بنفسه أ بعدت عن الناس أهوال يوم الله . ولكن مع أن هذه العقيدة تبدو مفرحة ومسرة فهي متناقضة لتعاليم المسيح ورسله الذين أعلنوا أن الحنطة والزوان ينميان معا الى وقت الحصاد، أي انقضاء العالم، وأن "الناس الاشرار المزورين سيتقدمون الى أردأ"، وأنه "في الايام الاخيرة ستأتي أزمنة صعبة"، وأن مملكة الظلمة ستظل باقية الى وقت مجيء الرب، وأنه سيبيدها بنفخة فمه ويبطلها بظهور مجيئه (متى ١٣ : ٣٠ ؛ ٢ تيموثاوس ٣ : ١٣ و ١؛ ٢ تسالونيكي ٢ : ٨). [358]

تجديد العالم ليس من عقائد الكنيسة الاولى

لم تكن عقيدة تجديد العالم وملك المسيح الرو حي هي عقيدة الكنيسة في أيام الرسل . ولم يقبلها المسيحيون عموما الا حوالي بدء القرن الثامن عشر . وكغيرها من الضلالات الاخرى كانت نتائجها وخيمة . فقد علّمت الناس أن يتطلعوا الى المستقبل البعيد في انتظار مجيء الرب وحالت بينهم وبين الالتفات الى العلامات المنبئة بمجيئه. وقد ساقت الناس الى الاحساس بالثقة والاطمئنان اللذين لم يكن لهما أساس، وقادتهم الى اهمال الاستعداد اللازم للقاء سيدهم.

وقد اكتشف ميلر ان الكتب المقدسة قد علَّمت تعليما واضحا بعقيدة مجيء المسيح بنفسه مجيئا حرفي ا. فقد قال بولس : "لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء" (١ تسالونيكي ٤: ١٦). والمخلص يعلن قائلا : "ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير". "لانه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان" (متى ٢٤ : ٣٠ و ٢٧). وستصحبه كل أجناد السماء. يجيء "ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه" (متى ٢٤ : ٣١).

وعندما يجيء فالاموات الابرار سيقامون والاحياء الابرار سيتغيرون . يقول بولس: "لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الاخير. فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير . لان هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت" (١ كورنثوس ١٥ : ٥١ — ٥٣). وفي رسالته الى أهل تسالونيكي بعدما يصف مجيء الرب يقول: "الاموات في المسيح سيقومون اولا ثم نحن الاحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تسالونيكي ٤: ١٦ و ١٧). [359]

ان شعب المسيح لا يستطيعون أن يرثوا الملكوت الا عندما يجيء هو بنفسه . فقد قال المخلص : "ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده . ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (متى ٢٥ : ٣١ — ٣٤). ها نحن قد عرفنا من الأقوال الالهية التي ورد ذكرها الآن أنه عندما يجيء ابن الانسان سيقام الاموات عديمي فساد والاحياء يتغيرون . وبهذا التغيير العظيم يؤهلون لقبول الملكوت . لان بولس يقول: "ان لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم فساد" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٠). ان الانسان في حالته الحاضرة قابل للموت وللفساد . لكنّ ملكوت الله لا يتدنس . وسيبقى الى الابد . ولذلك فالانسان في حالته الطبيعية لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله. ولكن عندما يجيء يسوع يمنح لشعبه عدم الموت (الخلود)، ثم يدعوهم ليرثوا الملكوت الذي كانوا قبلا وارثين اسميين له.

دليل آخر

هذه الاقوال الالهية وغيرها برهنت لعقل ميلر أن الحوادث التي كان الجميع ينتظرون حدوثها قبل مجيء المسيح مثل سيادة ملك ا لسلام على العالم واقامة ملكوت الله على الارض كانت انما هي لاحقة للمجيء الثاني . زد على هذا ان كل علامات الازمنة وحالة العالم كانت مطابقة لما وصف به الانبياء الايام الاخيرة . وقد اضطر الى الاستنتاج من دراسة الكتاب وحده أن الفرصة المحددة لبقاء الارض على حالتها الراهنة كانت موشكة على الانقضاء.

ثم يقول: "وهنالك برهان آخر أثّر في عقلي تأثيرا حيويا وهو تاريخ الكتاب... فقد وجدت أن الحوادث المنبأ بها والتي تمت في الماضي حدثت في [360] وقت معين . فالمئة والعشرون سنة التي كانت قبل الطوفان (تكوين ٦ : ٣)، والسبعة أيام التي كانت ستسبقه، والاربعون يوما التي أنبئ بنزول مياه الطوفان فيها (٧ : ٤)، والاربع مئة سنة التي أنبئ بأن نسل ابراهيم سيتغرب فيها (تكوين ١٥ : ١٣)، والثلاثة أيام التي حلم بها ساقي ملك مصر وخبازه (تكوين ٤٠ : ١٢ — ٢٠)، والسبع سنوات التي حلم بها فرعون (تكوين ٤١ : ٢٨ — ٤٥) ،والاربعون سنة التي كان قد حُكم على اسرائيل أن يقضوها في البرية (عدد ١٤ : ٣٣)، والثلاث سنوات والنصف التي سيكون فيها جوع (١ ملوك ١٧ : ١) — (انظر ايضا لوقا ٤: ٢٥) ... وسنو السبي السبعو ن (ارميا ٢٥ : ١١)، والسبعة أزمنة التي قضي بها على نبوخذ نصر (دانيال ٤ : ١٣ — ١٦)، والسبعة أسابيع والاثنان والستون أسبوعا والاسبوع الواحد فيصير مجموعها سبعين أسبوعا وهي الحقبة المقضى بها على اليهود (دانيال ٩ : ٢٤ — ٢٧)، كل هذه الحوادث المحددة أزمنتها كانت كلها قبلا مواضيع نبوات، ولكنها تمت كلها طبقا للنبوات" (٢٩٤).

ولذلك فعندما وجد في دراسته للكتاب مددا تاريخية مختلفة امتدت بحسب فهمه لها الى أيام المجيء الثاني للمسيح فقد اعتبرها على أنها "الاوقات المحددة" التي قد أعلنه ا الله لعبيده . وها هو موسى يقول: "السرائر للرب الهنا والمعلنات لنا ولبنينا الى الأبد". والرب يعلن على لسان عاموس النبي قائلا: "السيد الرب لا يصنع أمرا الا وهو يعلن سره لعبيده الانبياء" (تثنية ٢٩ : ٢٩ ؛ عاموس ٣ : ٧). اذاً فيمكن لتلاميذ كتاب الله أن ينتظروا بكل ثقة وقوع أعظم حادثة مدهشة في التاريخ البشري موضحة ومشاراً اليها بكل وضوح في كلمة الحق. [361]

كل الكتاب هو نافع

ثم يقول: "واذ اقتنعت اقتناعا كاملا بأن كل الكتاب الموحى به من الله نافع (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦)، وانه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بطرس ١ : ٢١)، وانه قد "كتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتاب يكون لنا رجاء" (رومية ١٥ : ٤)، يسعني الا أن أعتبر الاجزاء التاريخية من الكت اب أجزاء من كلمة الله وتستحق منا كل تأمل جدي وكل تقدير كأي جزء آخر من الكتاب . ولذلك فانني في محاولتي فهم ما قد رأى الله في رحمته أنه من المناسب أن يعلنه لنا، لا حق لي في التغاضي عن المدد النبوية" (٢٩٥).

ان النبوة التي بدا أنها تعلن بأجلى وضوح وقت المجيء الثاني هي الواردة في (دانيال ٨: ١٤) وتقول: "الى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ القدس". فاذ أتبع ميلر قاعدته في جعل الكتاب مفسرا لنفسه عرف أن اليوم في النبوة الرمزية يمثل سنة (عدد ١٤ : ٣٤ ؛ حزقيال ٤ : ٦)، ورأى أن مدة ال ٢٣٠٠ يوما نبويا أو سنة حرفية ستمتد بعد انتهاء النظام اليهودي الى مدى بعيد، ولهذا فلا يمكن أن تكون ا هنا الى مقدس ذلك العهد . وقد قبل ميلر الرأي السائد، أي أنه في العصر المسيحي تكون الارض هي المرموز اليها بالمقدس، ولذلك فقد فهم أن تبرئة القدس المذكور في (دانيال ٨ : ١٤) أو تطهيره يرمز الى تطهير الارض بالنار عند المجيء الثاني للمسيح . فاذا استطاع اذاً معرفة النقطة التي منها تبدأ ال ٢٣٠٠ يوما، فقد استن تج ميلر أنه يستطيع التأكد بسرعة من معرفة وقت المجيء الثاني . وهكذا يُتاح اعلان وقت تلك النهاية العظيمة، الوقت الذي فيه تنتهي الحالة الراهنة "بكل ما فيها من كبرياء وسلطان وأبهة وبطل وشر وظلم" عندما "ترفع اللعنة عن الارض، ويبطل الموت، [362] ويعطى الجزاء لعبيد الله الانبياء والقديسين والخائفين اسمه، ويهلك من يُهلكون الارض" (٢٩٦).

فبنشاط جديد وغيرة أعمق واصل ميلر فحص النبوات وكرس ليالي بطولها وأياما عديدة لدرس ما بدا له أمرا ذا أهمية مدهشة ونفع شامل. لم يجد في الاصحاح الثامن من سفر دانيال دليلا يرشده لمعرفة النقطة التي منها تبدأ ال ٢٣٠٠ يوم ا. ومع أن الملاك جبرائيل أمر بأن يفهم الرؤيا لدانيال لم يقدم غير شرح جزئي . واذ انكشفت لعيني النبي الاضطهادات المريعة الموشكة أن تحل بالكنيسة خانته قواه الجسمانية . ولم يقو على الاحتمال أكثر من ذلك، فتركه الملاك بعض الوقت . وقد ضعف دانيال ونحل أياما (دانيال ٨ : ٢٧) ثم قال: "وكنت متحيرا من الرؤيا ولا فاهم".

مقاومة اتمام النبوات

ومع ذلك فقد صدر أمر الى رسول السماء يقول: "فهِّم هذا الرجل الرؤيا". فينبغي اطاعة هذه الوصية . فامتثالا لها عاد الملا ك الى دانيال بعد ذلك بمدة من الزمن قائلا: "اني خرجت الآن لاعلمك الفهم فتأمل الكلام وافهم الرؤيا" (دانيال ٨ : ٣٧ و ١٦ ؛ ٩ : ٢٢ و ٢٣). ولكن بقيت نقطة هامة في الرؤيا التي رآها في الاصحاح الثامن تركت من دون ايضاح ألا وهي الخاصة بالزمن، مدة ال ٢٣٠٠ يوم ا. ولذلك فاذ عاد الملاك ليستأنف شرحه أسهب في الكلام عن موضوع الزمن .قال:

"سبعون أسبوعا قُضِيَتْ على شعبك وعلى مدينتك المقدسة... فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج في ض يق الازمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا يُقطع المسيح وليس له... ويُثبِّتُ عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة" (دانيال ٩ : ٢٤ — ٢٧). [363]

ملاك يرسل الى دانيال

لقد أرسل الملاك الى دانيال لقصد مستعجل هو افهامه ما قد استغلق عليه فهمه في الرؤيا المذكورة في الاصحاح الثامن وهي البيان المختص بالزمن: "الى ألفين وثلاث مئة يوم فيتبرأ القدس". فبعدما أمر دانيال قائلا: "تأمل الكلام وافهم الرؤيا" كان أول كلام قاله له الملاك هو هذا: "سبعون اسبوعا قضيت عل ى شعبك وعلى مدينتك المقدسة". ان الكلمة المترجمة هنا "قضيت" معناها الحرفي هو اقتُطعت أو استُنزلت. فالسبعون اسبوعا التي ترمز الى ٤٩٠ سنة أعلن الملاك عنها أنها اقتُطعت على اعتبار أنها خاصة باليهود. ولكن ممَّ اقتطعت؟ حيث أن ال ٢٣٠٠ يوم ا هي المدة الوحيدة المذكورة في الاصحاح الثامن فلا بد أن تكون هي المدة التي كانت ستقطع منها السبعون أسبوع ا. فاذاً ينبغي أن تكون السبعون أسبوعا جزءا من ال ٢٣٠٠ يوم ا. وينبغي أن تبدأ المدتان مع ا. وقد أعلن الملاك أن السبعين أسبوعا تبدأ منذ خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها فاذا أمكن العثور على تاريخ ذلك الامر فيمكن التأكد من نقطة الابتداء في تلك الفترة العظيمة أي ال ٢٣٠٠ يوما.

وفي الاصحاح السابع من سفر عزرا يوجد ذلك الامر في الآيات ١٢ — ١٦. ان أرتحشستا ملك فارس، أصدر هذا الامر في أكمل صورة في عام ٤٥٧ ق .م. ولكن في (عزرا ٦: ١٤) نجد الكتاب يقول ان بيت الرب الذي في اورشليم قد بني "حسب... أمر كورش وداريوس وأرتحشستا ملك فارس". فهؤلاء الملوك الثلاثة في اصدارهم لهذا الامر واعادة تثبيته واكماله أوصلوه الى الكمال الذي تتطلبه النبوة ليعين بداءة ال ٢٣٠٠ سنة. فاذ نجعل عام ٤٥٧ ق .م الوقت الذي فيه كمل ذلك الامر كتاريخ لصدوره فكل ما قد حددته النبوة عن السبعين أسبوعا يرى أنه قد تم. [364]

"من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبع ة أسابيع واثنان وستون أسبوعا" — أي ٦٩ أسبوعا أو ٤٨٣ سنة. ان أمر أرتحشستا نُفذ في خريف سنة ٤٥٧ ق .م. ومن هذا التاريخ تمتد ال ٤٨٣ سنة الى خريف سنة ٢٧ م. (انظر التذييل) وفي ذلك الوقت تمت هذه النبوة. ان كلمة "المسيح" معناها "الممسوح". ففي خريف سنة ٢٧ م. تعمد المسيح على يدي يوحنا المعمدان، وقبل مسحَة الروح . وبطرس الرسول يشهد بأن "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة" (أعمال ١٠ : ٣٨). وقد أعلن المخلص نفسه قائلا: "روح الرب عليَّ لانه مسحني لابشر المساكين" (لوقا ٤ : ١٨). وبعد اعتمد انتقل الى الجليل وكان "يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان" (مرقس ١ : ١٤ و ١٥).

تقديم الانجيل الى العالم

”ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد“ (دانيال ٩ : ٢٧). ان هذا ”الاسبوع“ المذكور أمامنا هو اخر أسبوع في الاسابيع السبعين. وهو آخر سبع سنين في المدة المخصصة لليهود. وفي خلال هذه المدة التي تمتد من سنة ٢٧ الى سنة ٣٤ م. نشر المسيح دعوة الانجيل اولا بنفسه، وبعد ذلك بواسطة تلاميذه لليهود بوجه خاص. واذ خرج الرسل حاملين بشارة الملكوت كانت وصية المخلص لهم هي هذه: ”الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة“ (متى ١٠ : ٥ و ٦).

”وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة“ (دانيال ٩ : ٢٧) ففي عام ٣١ م. أي بعد معموديته بثلاث سنين ونصف صلب سيدن ا. فاذ قدمت تلك الذبيحة العظيمة في جلجثة أُبطل نظام الذبائح والتقدمات الذي ظل مدى أربعة آلاف سنة يشير الى حمل الله . لقد التقى الرمز بالمرموز اليه، وكل ذبائح النظام الطقسي وتقدماته كانت ستبطل هناك. أن السبعين أسبوعا وال ٤٩٠ سنة [365] المحددة لليهود خصيصا انتهت كما قد رأينا في عام ٣٤ م. وفي ذلك الوقت وبسبب ما عمله مجمع السنهدريم اليهودي ختمت الامة على رفضها للانجيل باستشهاد استفانوس واضطهاد أتباع المسيح . وحينئذ قُدمت الى العالم رسالة الخلاص التي لم تعد مقصورة على الشعب المختار . واذ أُرغم التلاميذ على الفرار من أورشليم بسبب الاضطهاد ”جالوا مبشرين بالكلمة“، ”فانحدر فيلبس الى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح“. واذ كان بطرس منقادا بمشورة الله كرز بالانجيل لقائد المئة في قيصرية، لكرنيليوس الرجل الذي كان تقيا وخائف الله، وبولس الغيور قبل الايمان بالمسيح فأرسل ليحمل البشارة ”الى الامم بعيدا“ (أعمال ٨ : ٤ و ٥؛ ٢٢ : ٢١).

الى هنا تمت كل النبوات بحذافيرها وحُددت بداءة السبعين أسبوعا فوق كل شك وتساؤل في عام ٤٥٧ ق .م وانتهت في عام ٣٤ م. ومن هذه الحقيقة لن يصعب علينا الاهتداء الى نهاية ال ٢٣٠٠ يوم ا. فباقتطاع السبعين أسبوعا ٤٩٠ يوما من ال ٢٣٠٠ يوما يتبقى ١٨١٠ أيام. وبعد نهاية ال ٤٩٠ يوما بقيت ا ١٨١٠ أيام التي لم تتم بعد . ومن عام ٣٤ م. امتدت ال ١٨١٠ أيام الى عام ١٨٤٤ . ولذلك فان ال ٢٣٠٠ المذكورة في (دانيال ٨ : ١٤) تنتهي في عام ١٨٤٤. وفي نهاية هذه المدة النبوية العظيمة ”يتبرأ (يتطهر) القدس“ بناء على شهادة ملاك الله. وهكذا فوقت تطهير الهيكل الذي أجمع غالبية الناس على أنه سيحدث عند المجيء الثاني حدد وأشير اليه.

وقد كان ميلر ورفاقه يعتقدون أولا أن ال ٢٣٠٠ يوما تنتهي في ربيع عام ١٨٤٤ بينما النبوة تشير الى خريف تلك السنة (انظر التذييل). ان سوء فهم هذه النقطة أوقع الخيبة والارتباك عند من حددوا وقتا مبكرا على أنه وقت مجيء الرب . ولكن هذا لم يكن له أقل تأثير على قوة الحجة التي برهنت على أن ال ٢٣٠٠ يوما انتهت في عام ١٨٤٤ ، وان تلك [366] الحادثة العظيمة المشار اليها بتطهير القدس ينبغي أن في ذلك الحين.

دليل واضح قاطع

عندما بدأ ميلر بدرس الكتاب ليبرهن أ نه اعلان من الله لم يكن لديه أي أمل بأنه سيصل الى هذه

النتيجة، وهو نفسه كان ضعيف الثقة بنتائج بحثه واستقصائه . لكنّ البرهان الكتابي كان من الوضوح والقوة بحيث لا يمكن اغفاله أو طرحه جانبا.

ولقد كرس عامين كاملين لدرس الكتاب حتى وصل الى الاقتناع الخطير في عام ١٨١٨ بأن المسيح سيظهر لفداء شعبه بعد قرابة ٢٥ سنة. ويقول ميلر: ”لست في حاجة الى الكلام عن الفرح الذي ملأ قلبي أمام هذا الامل المبهج ولا عن أشواق نفسي الحارة للاشتراك في أفراح المفتدين. وقد صار الكتاب المقدس في نظري حينئذ كتابا جديدا. لقد كان في الحق وليمة لعقلي . وكل ما كان قاتما أو غامضا أو مبهما من تعاليمه انقشع من عقلي أمام النور الصافي الذي أشرق عليَّ من خلال سطوره. وكم بدا الحق باهرا ومجيدا ! فكل المتناقضات وعدم التوافق التي كنت قد وجدتها في الكتاب من قبل ذهبت الى غير رجعة . ومع وجود كثير من الاجزاء التي لم أكن قانعا بأنني قد أدركتها ادراكا كاملا، انبثق في عقلي نور عظيم بعدما كان مظلما بحيث أحسست بفرح من دراستي الكتاب لم أكن أظن قبلا أنني سأستقيه من تعاليمه“ (٢٩٧).

”واذ كنت مقتنعا اقت ناعا مقدسا بأن تلك الحوادث المهمة كان قد أنبئ بها في الكتاب المقدس لتتم بعد وقت قصير جاءني هذا السؤال بقوة عظيمة عن مدى واجبي تجاه العالم على ضوء البرهان الذي أثر في عقلي“ (٢٩٨)، فلم يسعه الا الاحساس بأن الواجب يقتضيه أن يشارك الآخرين في النور الذي قد حصل عليه . وكان يتوقع مقاومة الاشرار، لكنه [367] كان واثقا أن كل المسيحيين سيفرحون برجاء لقاء المخلص الذي كانوا يعترفون بأنهم يحبونه . وكان خوفه الوحيد ناشئا من أن كثيرين من شدة فرحهم برجاء الخلاص المجيد الموشك أن يتم سريعا سيقبلون التعليم من دون أن يفحصوا الكتب الفحص الكافي لاظهار صدقه، ولذلك تردد في تقديم ذلك التعليم لئلا يكون مخطئا فيتسبب في تضليل الآخرين، وعمد الى مراجعة البراهين لدعم الاستنتاجات التي وصل اليها، والتأمل بكل اهتمام وحرص في كل مشكلة تعرض لعقله . وقد رأى أن الاعتراضات قد تلاشت أمام نور كلمة الله كما يتلاشى الضباب أمام أشعة الشمس . واذ قضى خمس سنين على هذا المنوال اقتنع اقتناعا كاملا بسلامة موقفه.

تحذير العالم

والآن فها واجب إطْلاع الآخرين على ما اعتقد أن الكتاب يعلمه بكل وضوح يلح عليه بقوة جديدة، فقال: ”عندما كنت في عملي كان هذا القول يرن في أذني بغير انقطاع قائلا: ”اذهب وحذر العالم من الخطر المحدق به“. وقد ظل هذا القول الالهي يلاحقني: ”اذ قلت للشرير يا شرير مو تا تموت فان لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه فذلك الشرير يموت بذنبه أما دمه فمن يدك أطلبه . وان حذرت الشرير من طريقه ليرجع عنه ولم يرجع عن طريقه فهو يموت بذنبه أما أنت فقد خلصت نفسك“ (حزقيال ٣٣ : ٨ و ٩). وقد أحسست أ نه لو أنذر الاشرار على نحو فعّال فسيتوب كثيرون منهم. فاذا لم يُنذروا فسيطلب دمهم من يدي“.

ثم بدأ في عرض آرائه لجماعات خاصة كلما أتيحت فرصة، مصليا الى الله حتى يحس كل خادم بقوتها ويكرس نفسه لنشرها. لكنه لم يستطع أن يبعد عن نفسه الاقتناع بأن عليه واجبا شخصيا يتممه بتقديم الانذار. وقد كان هذا الخاطر يلازمه دائما ويهمس في قلبه قائلا: ”اذهب واخبر العالم بهذا الانذار. اني سأطلب دم الناس من يدك“. وقد ظل منتظرا [368] تسع سنين، وكان عبء المسؤولية لا يزال يضغط قلبه الى أن كان عام ١٨٣١ عندما جاهر علانية بأسباب ايمانه لاول مرة.

يدعى لترك المحراث

وكما دُعي اليشع ليترك محراثه وثيرانه في الحقل ويلبس رداء التكريس للوظيفة النبوية كذلك دُعي وليم ميلر ليترك محراثه ويكشف للناس عن أسرار ملكوت الله . فشرع في عمله بارتعاد وهو يقود سامعيه خطوة فخطوة عبر الفترات النبوية الى ظهور المسيح ثانية . وفي كل مجهود اكتسب قوة وشجاعة عندما رأى الاهتمام البعيد المدى الذي أثارته أقواله.

استجاب ميلر التماس أخوته الذين سمع في أقوالهم صوت الله فقبل أن يجاهر بآرائه. كان قد بلغ الخمسين من عمره حينذاك، و لم يكن معتادا مخاطبة الجماهير، وكان يحس بعدم أهليته للقيام بالعمل الذي أمامه. ولكن منذ بدأ في ذلك العمل تباركت أعماله وخدماته على نحو عجيب لخلاص النفوس. فأول محاضرة القاها حدث بعدها انتعاش ديني تجددت به ثلاث عشرة عائلة كاملة ما عدا شخصين اثنين. وفي الحال الحوا عليه أن يتكلم في أماكن أخرى، وفي كل مكان تقريبا نتج من جهوده انتعاش عمل الله. وقد تجدد الخطأة وأوقظ المسيحيون لتكريس أنفسهم تكريسا أكمل، والتزم ذوو الاعتقاد الخاطئ عن الله والملحدون أن يعترفوا بصدق الكتاب المقدس والدين المسيحي. وقد شهد عنه من خدم بينه م بالقول: "استطاع الوصول الى عقول طبقة من الناس لم يكن لغيره أن يؤثروا فيهم" (٢٩٩). لقد كانت كرازته كفيلة بأن توقظ عقول الجماهير للتفكير في أمور الدين المهمة وتوقف محبة العالم والشهوانية المتفشيتين في ذلك العصر عند حدهما.

وفي كل مدينة تقريبا تجدد عشرات وأحيانا مئات نتيجة لكرازته . وفي أماكن كثيرة فتحت له الكنائس البروتستانتية من كل الطوائف أبوابها على [369] سعتها، وانهالت عليه الدعوات من خدام الكنائس المختلفة ليخدم . وقد كان القانون الذي لم يحِد عنه هو الا يخدم في مكان لم يُدع اليه، ومع ذلك فسرعان ما وجد أنه لا يستطيع اجابة نصف الطلبات التي كانت تنهال عليه.

وكثيرون ممن كانوا يخالفونه الرأي عن الوقت الصحيح للمجيء الثاني اقتنعوا بيقينية المجيء الثاني للمسيح وبقرب حدوثه وبحاجتهم الى الاستعداد له . وفي بعض أمهات المدن كان لعمله تأثير ملحوظ . فتجار الخمور تركوا التجارة وحولوا حوانيتهم الى أماكن للاجتماعات الدينية، ومغاور المقامرة انفضَّ الناس عنها، وذوو الاعتقاد الخاطئ عن الله والملحدون والقائلون أن جميع الناس سيخلصون في النهاية، وحتى شر الخلعاء استهتارا أصلحوا، مع أن بعضا منه م لم يكونوا قد دخلوا بيتا من بيوت العبادة منذ سنين . وقد أقيمت اجتماعات للصلاة . أقامتها الطوائف المختلفة في احياء عديدة في كل ساعة تقريبا، وكان رجال الاعمال يجتمعون في وقت الظهر للعبادة والتسبيح . ولم يسرف الناس في الاهتياج بل كان الوقار سائدا على أغلب العقول . وقد أدى عمل ميلر الى اقناع الافهام والعقول، كما كانت الحال مع المصلحين الاولين، لا الى اثارة الانفعالات.

ترخيص بالكرازة

وفي عام ١٨٣٣ حصل ميلر على ترخيص بالكرازة من الكنيسة المعمدانية التي كان عضوا فيه ا. وقد أقرَّ أيضا عدد كبير من خدام طائفته عمله، وبمصادقتهم الرسمية واصل عمله . وقد كان يسافر ويكرز بلا انقطاع، وان اقتصرت خدماته الشخصية بصورة رئيسة على نيو انجلند والولايات الوسطى . وعلى

مدى سبع سنين ظل ينفق من ماله الخاص، ولم يتسلم بعد ذلك المال الكافي لنفقات سفره الى الاماكن التي كان يدعى اليه ا. فبدلا من أن تكون خدماته العامة سببا في اجتناء نفع مالي له كانت ضريبة ثقيلة ناءت بها موارده الضئيلة التي كانت تتناقص تدريجا خلال هذه الفترة من حياته . لقد كان أبا لأسرة كبيرة، [370] ولكن بما أن دينهم كان الاقتصاد في الانفاق والكد في العمل فقد كانت مزرعته كافية للانفاق عليهم وعليه.

"والنجوم تسقط"

عام ١٨٣٣، أي بعد سنتين من تقديم ميلر لبراهينه علنا عن سرعة مجيء المسيح، ظهرت آخر العلامات التي وعد بها المخلص قبل مجيئه الثاني. فلقد قال يسوع: "والنجوم تسقط من السماء" (متى ٢٤ : ٢٩). ويوحنا اذ رأى في رؤيا المشاهد التي تنذر بمجيء يوم الرب أعلن قائلا: "ونجوم السماء سقطت الى الارض كما تطرح شجرة التين سقاطها اذا هزتها ريح عظيمة" (رؤيا ٦ : ١٣). هذه النبوة تمت بطريقة مدهشة ومؤثرة عندما تساقط وابل من الشهب في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٨٣٣. كانت ظاهرة واسعة النطاق وعجيبة اذ تساقطت النجوم على نحو لا مثيل له، "فصار كل جلد السماء فوق كل الولايات المتحدة كتلة من النار المتصادمة بعضها ببعض لمدى ساعات! لم يحدث مثل هذه الظاهرة السماوية في هذه البلاد (أمريكا) منذ أن أنشئت، وقد شاهدتها بعض طبقات المجتمع باعجاب، وشاهدها آخرون برعب عظيم". "ان كثيرين لا يزالون يذكرون سموها وجمالها الرهيب... لم يحدث أن انهمرت الامطار بأغزر مما سقطت الشهب على الارض، في الشرق والغرب والشمال والجنوب على السواء. وبالجملة فقد كانت كل السموات تتحرك ... ان المشهد كما جاء وصفه في صحيفة البروفسور سيليمان قد شوهد في عرض سماء أمريكا الشمالية كلها ... فمن الساعة الثانية صباحا الى أن أشرق نور النهار، اذ كانت السماء ساكنة وصافية، كانت ترى أنوار مضيئة تبهر الابصار تلمع بلا انقطاع في السماء" (٣٠٠).

"لا يستطيع قلم كاتب، بالغا ما بلغ من الفصاحة وحسن التعبير، أن يصف بهاء ذلك المنظر العظيم... وليس في وسع من يشهده أن يكوِّن فكرة مناسبة صحيحة عن بهائه ومجده. وقد بدا كأن كل نجوم السماء قد اجتمعت في بقعة [371] [372] واحدة في كبد السماء وراحت في آن واحد تقذف أنوارها بسرعة البرق في كل أنحاء الافق، ومع ذلك فهي لم تنفد على رغم أن آلاف منها تتالت في أثر آلاف كما لو كانت قد خلقت لتلك المناسبة" (٣٠١). "ولم يكن في المستطاع مشاهدة منظر أقرب الى هذه الظاهرة من منظر شجرة تين وهي تطرح سقاطها اذا هزتها ريح عظيمة" (٣٠٢).

وفي صحيفة "نيويورك التجارية" الصادرة في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٨٣٣ ظهر مقال طويل عن تلك الظاهرة العجيبة فيه هذا القول: "لا أظن أن فيلسوفا وصف أو عالما روى حدوث ظاهرة شبيهة بما حدث أمس صباحا. انما نبي وصفها منذ ١٨٠٠ سنة وصفا مطابقا تماما، أعني اذا كنا ندرك أن تساقط نجوم السماء يعني تساقط الشُّهُب... اذ أن الكلمة تصح حرفيا بهذا المعنى فقط".

وهكذا ظهرت آخر تلك العلامات على مجيء المسيح الذي أشار اليه عندما قال لتلاميذه: "متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الابواب" (متى ٢٤ : ٣٣). وبعد هذه العلامات رأى يوحنا الحادثة التالية الموشكة أن تحدث اذ رأى واذا السماء قد انفلقت كدرج والارض تزلزلت وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما، واذا الاشرار في رعبهم وخوفهم يحاولون الهروب من حضرة ابن الانسان (رؤيا ٦ : ١٢ — ١٧).

نذير بالدينونة

ان كثيرين ممن شاهدوا سقوط النجوم نظروا إلى ذلك الحادث على انه نذير باقتراب الدينونة. "انها رمز مخيف وسابق أكيد وعلامة رحيمة لذلك اليوم العظيم الرهيب" (٣٠٣)*. وهكذا اتجه انتباه الناس الى اتمام النبوة، وك ثيرون انتبهوا الى الانذار بمجيء الرب ثانية.

---

*كُتب هذا القول في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٨٣٣.

[373]

وفي عام ١٨٤٠ تمت نبوة أخرى عظيمة، فأثار ذلك اهتمام الناس عامة. قبل ذلك بعامين نشر يوشيا لتش، أحد مشاهير الخدام الكارزين بالمجيء الثاني، تفسيرا لما ج اء في الاصحاح التاسع من سفر الرؤيا الذي ينبئ بسقوط الامبراطورية العثمانية. وبناء على حسابه كان ذلك سيحدث "في عام ١٨٤٠ م في أحد أيام شهر آب (اغسطس)". وقبيل اتمام تلك النبوة بأيام قلائل كتب يقول: "اذا اعتبرنا المدة الاولى التي طو لها ١٥٠ سنة قد تمت بالضبط قبلما اعتلى ديكوزس العرش باذن من الاتراك، وان ال ٣٩٣ سنة والخمسة عشر يوما قد بدأت في نهاية المدة الاولى فهي ستنتهي في يوم ١١ آب (اغسطس) من عام ١٨٤٠ عندما يتحطم الحكم العثماني في القسطنطينية. وهذا ما سيتبرهن صدقه على ما اعتقد" (٣٠٤).

وفي ذلك الوقت المحدد عينه قبلت تركيا عن طريق سفرائها حماية الجيوش الاوروبية المتحالفة، وهكذا وضعت نفسها تحت سيادة الامم المسيحية. فكان ما حدث اتماما صحيحا للنبوة (انظر التذييل). وعندما عُرف ذلك اقتنع كثيرون بصحة مبادئ التفسير النبوي ا لذي قدمه ميلر وزملاؤه، وكان ذلك قوة دافعة لحركة المجيء الثاني. وقد انضم الى ميلر بعض رجال العلم والمراكز السامية في الكرازة وفي نشر آرائه. ومن عام ١٨٤٠ الى عام ١٨٤٤ امتد العمل بسرعة.

الكتاب المقدس فقط

كان وليم ميلر يتمتع بقوة ذهنية جبارة . وكان مدربا في تفكيره ودراسته، واضاف الى ذلك كله حكمة السماء باتصاله بنبع الحكمة . كان رجلا ذا قيمة عظيمة، وكان يظفر بالاحترام والتقدير في كل مكان، والناس يقدرون فيه الخلق المستقيم والآداب العالية . فاذ جمع بين الشفقة القلبية الصادقة والوداعة المسيحية وقوة ضبط النفس كان لطي فا نحو الجميع مستعدا لان يصغي الى آراء الآخرين ويزن حججهم . ومن دون غضب أو اهتياج كان يختبر كل المبادئ والتعاليم [374] بواسطة كلمة الله، وقد مكنته حججه السليمة ومعرفته الكتاب الكاملة من دحض الاخطاء والضلالات وفضح الاكاذيب.

ومع ذلك فهو لم ينجز عمله من دون مقاومة م رة. فكما كانت الحال مع المصلحين الاولين فان الحقائق التي قدمها لم تظفر باستحسان معلمي الدين المشهورين. ولان هؤلاء الناس لم يستطيعوا أن يبرروا موقفهم هذا مما ورد في الكتاب فقد لجأوا الى أقوال الناس وتعاليمهم وتقاليد الآباء. لكنّ كلمة الله كانت هي الشهادة الوحيدة التي قبلها الكارزون بحقيقة المجيء الثاني. لقد كانت كلمة السر عندهم هي هذه: "الكتاب، ولا شيء غير الكتاب". واذ عجز خصومهم عن ايراد الحجج الكتابية استعاضوا عنه بالسخرية والاستهزاء، واستخدموا وقتهم ووزناتهم في الطعن في الذين كان ذنبهم الوحيد أنهم ينتظرون مجيء الرب

بفرح ويجتهدون في أن يحيوا حياة القداسة وينذرون الآخرين ليكونوا متأهبين لظهوره.

وقد بُذلت جهود جبارة لصرف اذهان الناس عن التفكير في موضوع المجيء الثاني. واعتبرت دراسة النبوات التي تشير الى مجيء المسيح ثانية وانقضاء الدهر خطية وأمرا مخجلا . وهكذا قوض الخدام المشهورون الايمان بكلمة الله . وصيرت تعاليمهم الناس ملحدين . وكثيرون استباحوا السير في طريق شهواتهم الدنسة. وانحى المتسببون بنشر الشر باللائمة على الذين يؤمنون بالمجيء الثاني.

الدينية ندر أن ذكرت اسمه الا بقصد السخرية أو التشهير . ولما كان هذا التصرف من معلمي الدين مشجعا للامبالين والفجار فقد عمد هؤلاء الى وصفه بالالقاب المشينة والنكات التجديفية في محاولة لوصمه وعمله بالعار . فذلك الرجل الاشيب الذي ترك بيته المريح ليسافر من مدينة الى أخرى على نفقته الخاصة، مجاهدا جهادا متواصلا ليحمل الى العالم الانذار الخطير بقرب الدينونة، سخروا منه وشهّروا به ونعتوه بالتعصب والكذب، واتهموه بأنه وغد نصاب. [375]

ازدياد الاهتمام

تلك السخرية والكذب والاهانات التي انصبت عليه اثارت الاحتجاج الغاضب حتى من دو ر النشر الدنيوية. "ان تناول مثل هذا الموضوع ذي الجلال العظيم والخطورة البالغة" بالاستخفاف وبذاءة اللسان، أعلن عنه أهل العالم بأنه "ليس مجرد عبث بمشاعر مذيعيه ومؤيديه ولكنه هزء بيوم الدينونة وسخرية بالله نفسه وازدراء بأهوال كرسي دينونته" (٣٠٥).

لقد حاول المحرض على كل شر ليس فقط أن يعطل ويبطل تأثير رسالة المجيء الثاني بل أيضا أن يهلك الرسول نفسه . فميلر طبق الكتاب المقدس وحاول أن يجعله يمس قلوب السامعين، موبخا خطاياهم ومزعجا رضاهم عن أنفسهم، وقد كان كلامه الصريح القاطع مثيرا لعداوتهم . هذا، وان مقاومة أعضاء الكنائس رسالته جرأت الطبقات الوضيعة على أن يتطرفوا في عدوانهم، فتآمر الاعداء على اغتياله عند خروجه من مكان الاجتماع . لكنّ الملائكة القديسين كانوا حاضرين، فاتخذ أحدهم صورة انسان وأمسك بذراع خادم الرب هذا وأخرجه بسلام من وسط ذلك الجمع الغاضب . فعمله لم يكن قد أُكمل بعد، ولذا أخفق الشيطان ورسله في تحقيق أغراضهم.

ولكن على رغم كل المقاومات فان اهتمام الناس برسالة المجيء الثاني ظل يتزايد . فلقد زاد عدد الحضور من العشرات والمئات الى أن بلغ ربوات ومئات الالوف. وقد زاد عدد الحاضرين الى الكنائس المختلفة، ولكن بعد قليل ظهرت روح المقاومة حتى ضد هؤلاء المتجددين أنفسهم، ولجأت الكنائس الى اتخاذ اجراءات تأديبية ضد معتنقي تعاليم ميلر، ما جعله يرد برسالة مكتوبة أرسلها الى الكنائس والمسيحيين من مختلف الطوائف قائلا لهم انه اذا كانت تعاليمه كاذبة فعليهم أن يروه خطأه وضلاله من الكتاب المقدس.

قال: "بماذا آمنَّا مما لم تأمرنا به كلمة الله التي تقولون أنتم أنفسكم أنها هي القانون للايمان والاعمال؟ وما الذي عملناه مما يستنزل [376] علينا مثل هذه التشهيرات المؤذية من فوق المنابر ومن دور النشر، الامر الذي أعطاكم سب با عادلا لطردنا نحن المجيئيين من كنائسكم وشركتكم؟". "ان كنا على ضلال فاخبرونا في أي شيء ضللن ا. أرونا ضلالنا من كلمة الله بالبرهان القاطع. لقد سخر الساخرون منا بما فيه الكفاية، ولكن هذه السخريات لا تستطيع أن تقنعنا بأننا على ضلال، فكلمة الله وحده ا هي الت ي تجعلنا نغير آراءنا. وان استنتاجاتنا لم تأت الا وليدة الصلاة والتدقيق، كما قد رأينا البراهين من الكتاب المقدس"

.(٣٠٦)

شك وعدم ايمان

ان الانذارات التي أرسلها الله الى العالم من جيل الى جيل على أفواه خدامه قوبلت بمثل هذا الشك وعدم الايمان . فعندما أثارت آثام الناس وشرورهم، قبل الطوفان، غضب الله لكي يرسلعليهم طوفانا من الماء أخبرهم قبل ذلك بما كان ينوي أن يفعله لكي تكون لهم فرصة فيها يرجعون عن طرقهم الشريرة. وطوال مئة وعشرين سنة كان صوت الانذار يرن في آذانهم داعيا اياهم الى التوبة لئلا يهلكهم الله بغضبه. لكنهم اعتبروا هذه الرسالة تفاهة فلم يصدقوها. ثم زادت جرأتهم في شرهم فجعلوا يسخرون من رسول السماء واستخفوا بتوسلاته واتهموه بالغطرسة والتصلف . فكيف يجرؤ رجل واحد على الوقوف في وجه كل عظماء الارض ؟ فاذا كانت رسالة نوح صادقة لماذا لم يرها الناس ولم يصدقوها ؟ هل يصمد تصريح رجل واحد أمام حكمة آلاف الناس ؟ لم يصدقوا الانذار، وبالتالي لم يحتموا في الفلك .

لقد أشار الساخرون الهازئون الى أمور الطبيعة — الى تتابع الفصول من دون أقل تغيير، والى السماء الصافية التي لم تمطر ابدا، والى الحقول اليانعة التي كان ينعشها ندى الليل فصاحوا قائلين: "الا يمثل أمثالا؟" وفي احتقار شديد أعلنوا أن الكارز بالبر إن هو الا متحمس ثائر، وظلوا سائرين في طريقهم، وزاد تلهفهم على المسرات وإصرارهم على السير في طرقهم الشريرة أكثر من [377] قبل. لكنّ عدم إيمانهم لم يؤخر وقوع تلك الكارثة التي قد أنبئ به ا. لقد احتمل الله شرورهم طويلا وأعطاهم متسعا من الوقت للتوبة، ولكن في الوقت المعين افتقد الله بدينونته اولئك الذين رفضوا رحمته.

النهاية تأتي بغتة

والمسيح يعلن أن عدم الايمان نفسه سيتناول مجيئه الثاني . فكما أن الناس في أيام نوح "لم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع"، "كذلك" — كما يقول مخلصنا — "يكون أيضا مجيء ابن الانسان" (متى ٢٤ : ٣٩). فعندما يتحد المعترفون بأنهم شعب الله مع العالم، ويعيشون كما يعيش اولئك ويشاركونهم في مسراتهم المحرمة، وعندما يصير ترف العالم سائدا في الكنيسة، وعندما تدق أجراس أفراح الزواج، والجميع ينتظرون مجيء سنوات طويلة من النجاح العالمي، حينئذ يفاجأون بانتهاء أحلامهم البراقة وزوال رجائهم الخادع كما يظهر البرق من السماء.

وكما أرسل الله عبده لينذر العالم بمجيء الطوفان ك ذلك أرسل أناسا مختارين ليعلنوا للناس عن قرب الدينونة الاخيرة . وكما سخر معاصرو نوح من تنبؤات ذلك الكارز بالبر فكذلك في أيام ميلر سخر به الناس وهزأوا بأقواله، ومن بينهم من يَدعون أنفسهم شعب الله.

ولكن لماذا لم ترحب الكنائس بعقيدة المجيء الثاني والكرازة بها؟ ان مجيء الرب وان كان يسبِّب للاشرار الويل والدمار فانه بالنسبة الى الابرار مفعم بالفرح والرجاء. فهذا الحق العظيم كان مبعث عزاء لشعب الله الامناء مدى العصور، اذاً فلماذا صار كمبدعه "حجر صدمة وصخرة عثرة" لشعبه ؟ ان الرب نفسه هو الذي وعد تلاميذه قائلا: "ان مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم اليَّ" (يوحنا ١٤ : ٣). والمخلص الرحيم هو الذي اذ لاحظ وحشة تابعيه وحزنهم أرسل ملاكين ليعزياهم بيقين كونه سيأتي ثانية

هو بنفسه كما انطلق عنهم الى السماء. واذ ظل التلاميذ شاخصين باهتمام الى [378] فوق ليلقوا نظرة الوداع على ذاك الذي أحبوه استرعت هذه الكلمات انتباههم: ”أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء. ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء“ (أعمال ١ : ١١). وقد أضرمت رسالة الملاكين هذه، الرجاء في قلوبهم مجدداً. ان التلاميذ ”رجعوا الى أورشليم بفرح عظيم . وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله“ (لوقا ٢٤ : ٥٢ و ٥٣). انهم لم يفرحوا لان يسوع قد انفصل عنهم بينما تُركوا هم ليكافحوا ضد تجارب العالم واغراءاته، بل لان الملاكين قد أكدا لهم أنه سيأتي ثانية.

ان المناداة بالمجيء الثاني للمسيح ينبغي أن تكون الآن كما كانت رسالة الملائكة لرعاة بيت لحم بشرى بفرح عظيم . ومن يحبون المخلص بالحق لا يسعهم الا أن يُحيُّوا بفرح الاعلان المبني على كلمة الله : ان ذاك الذي فيه تتركز آمالهم في الحياة الا بدية آتٍ ثانية لا ليهان ويُحتقر ويرفض كما في مجيئه الاول، بل بقوة ومجد عظيم ليفدي شعبه . أما الذين لا يحبون المخلص فيرغبون في أن يظل بعيدا، ولا يمكن أن يكون هنالك برهان جازم على أن الكنائس قد انحرفت عن الله كهذا الاهتياج والعداء اللذين بهما تقابل رسالة السماء هذه.

ان من قد قبلوا تعليم المجيء الثاني تنبهوا الى ضرورة التوبة والتذلل أمام الله . وكثيرون ظلوا طويلا يترجّحون بين المسيح والعالم، أما الآن فقد أحسوا بأنه قد حان الوقت الذي فيه يقفون موقفا حاسما الى جانب واحد من الاثنين . ”ان الاشياء الخاصة بالابدية اتخذت في نظرهم هيئة الحقيقة الملموسة على نحو غير عادي . لقد قربت السماء منهم فأحسوا بأنهم مذنبون أمام الله“ (٣٠٧). لقد أُنهض المسيحيون الى حياة روحية جديدة . وصاروا يحسون بأن الوقت قصير، وأن ما يجب عليهم أن يعملوه لاجل بني جنسهم ينبغي لهم عمله بسرعة . وتقلصت الارض وصغرت في نظرهم، وبدا كأن الابدية تنفتح أمامهم . وشعروا بأن النفس وكل ما يتعلق بخيرها أو شقائها الابدي تتضاءل وتصغر أمامها كل الاغراض المادية . لقد استقر عليهم روح الله ومنحهم قوة بها يقدمون توسلاتهم الحارة الى أخوتهم والى كل الخطأة حتى يستعدوا [379] ليوم الرب . ان شهادة حياتهم اليومية الصامتة كانت توبيخا دائما لاعضاء الكنائس المتمسكين بالطقوس وغير المكرسين . هؤلاء وأمثالهم لم يريدوا أن يزعجهم أحد أو يوقفهم عن اتباع مسراتهم أو أنشغالهم في جمع المال والطموح في طلب الكرامة العالمية. ومن هنا نشأت العداوة والمقاومة التي أثيرت ضد عقيدة المجيئيين وكل من أذاعوها.

واذ وجد أن الحجج المستقاة من الفترات النبوية منيعة ولا يمكن التغلب عليها حاول مقاوموها أن يثبطوا الهمم عن البحث والفحص في هذا الموضوع بقولهم أن النبوات قد ختمت . وهكذا سار البروتستانت في أثر خطوات البابويين. ففي حين أن الكنيسة البابوية تمنع وصول الكتاب (انظر التذييل) الى أيدي الشعب، ادعت الكنائس البروتستانتية أن جزءا هاما من الكتب المقدسة — ولا سيما الجزء الذي يكشف لنا عن الحقائق التي تنطبق على عصرنا الحاضر — لا يمكن ادراكها.

لقد أعلن الخدام والشعب أن نبوات دانيال والرؤيا أسرار لا تفهم ولا تدرك. لكنّ المسيح وجه انتباه تلاميذه الى أقوال دانيال النبي عن الحوادث التي كانت مزمعة أن تقع في أيامهم وقال: ”ليفهم القارئ“ (متى ٢٤ : ١٥). أما التصريح بأن سفر الرؤيا سر لا يمكن فهمه فهو قول ينقضه عنوان ذلك السفر نفسه: ”اعلان يسوع المسيح الذي أعطاه اياه الله ليري عبيده ما لا بد أن يكون عن قريب... طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لان الوقت قريب“ (رؤيا ١ : ١ — ٣).

سفر ينفتح

يقول النبي: "طوبى للذي يقرأ" — يوجد من لا يريدون أن يقرأوا. فالبركة ليست لهم. "وللذين يسمعون" — كذلك يوجد من يرفضون سماع أي شيء خاص بالنبوات، فالبركة ليست لهذا النوع من الناس. "ويحفظون ما هو مكتوب فيها" — كثيرون يرفضون الالتفات الى الانذارات والتعاليم المتضمنة في سفر [380] الرؤيا. لا يستطيعن أحد من هؤلاء أن يدَّعي أن له حقا في هذه البركة الموعود بها. فكل من يسخرون بمواضيع النبوة ويهزأون بالرموز المقدمة هنا بكل وقار، وكل من يرفضون اصلاح حياتهم والاستعداد لمجيء ابن الانسان لن ينالوا بركة.

وأمام شهادة الوحي كيف يجرؤ الناس على أن يعلِّموا أن سفر الرؤيا سر يقصر ادراك الناس عن معرفته ؟ انه سر معلن وسفر مفتوح . ان دراسة سفر الرؤيا توجه العقل الى نبوات دانيال، وكلاهما يوفِّران أهم التعاليم المقدمة من الله الى الناس عن الحوادث المتوقع حدوثها في نهاية تاريخ العالم.

لقد انكشفت لعيني يوحنا مشاهد لها أهمية تهز المشاعر في اختبار الكنيسة. رأى مركز شعب الله والمخاطر والمحاربات التي سيجوزون فيها، ونجاتهم أخيرا. انه يسجل الرسائل الختامية التي ستنضج حصيد الارض، إما كحزم تؤخذ الى المخزن السماوي وإما كوقود لنيران الهلاك. لقد كشفت له مواضيع لها أهمية عظيمة، وعلى الخصوص عن الكنيسة الاخيرة، لكي يتعلم من ينبغي لهم أن يرجعوا عن أخطائهم وضلالاتهم الى الحق كل ما يختص بالمخاطر والمحاربات التي أمامهم . لا حاجة الى انسان أن يكون في ظلمة في ما يختص بما هو مقبل على الارض.

فلماذا اذاً هذا الجهل المتفشي بالنسبة الى جزء هام من الكتاب المقدس ؟ ولماذا هذا النفور من فحص تعاليمه ؟ انه نتيجة مسعى مدروس قام به سلطان الظلمة ليخفي عن الناس ما يكشف لهم عن خداعه ومخاتلاته . فلهذا السبب اذ سبق المسيح فرأى الحرب المزمعة أن تندلع ضد من يقرأون سفر الرؤيا نطق بالبركة على كل من يقرأون ويسمعون ويحفظون أقوال النبوة. [381]

الفصل التاسع عشر ـــ نور وسط الظلام

يقدم الينا عمل الله في الارض من جيل الى جيل تشابها مدهشا في كل اصلاح عظيم أو نهضة دينية . ان مبادئ معاملة الله للناس باقية كما هي لم تتغيرقط. فالنهضات الهامة في الوقت الحاضر لها نظائرها في العصور الماضية، واختبارالكنيسة في العصور السالفة يوفر دروسا عظيمة القيمة لعصرنا هذا.

لا حقيقة يشرحها الكتاب بأكثر وضوح من تلك القائلة ان الله بروحه القدوس يوجه عبيده على الارض، خصوصا في النهضات العظيمة لاجل تقدم عمل الخلاص. ان الناس هم آلات في يد الله يستخدمهم لانجاز مقاصد نعم ته ورحمته. ولكل واحد عمله الذي يجب أن يقوم به، ويعطى كل واحد قدرا من النور ملائما حاجات زمانه وكافيا لجعله ينجز العمل الذي وكله الله اليه . ولكن لا يوجد انسان، مهما كان مقدار حيازته على رضى السماء عظيما، وصل الى ادراك كامل لتدبير الفداء الع ظيم، أو حتى الى التقدير الكامل للقصد الالهي في العمل الذي في عصره . فالناس لا يدركون تماما ما يريد الله أن يتممه بالعمل الذي يوكله اليهم ليعملوه، ولا يفهمون أو يستوعبون الرسالة التي ينطقون بها باسمه في كل وجهاتها وعلاقاتها. [382]

”ألِى عمق الله تتصل أم الى نها ية القدير تنتهي“؟، ”لان أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب . لانه كما علت السموات عن الارض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم“. ”أنا الله وليس آخر . الاله وليس مثلي . مخبر منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يُفعل“ (أيوب ١١ : ٧ ؛ اشعياء ٥٥ : ٨ و ٩ ؛ ٤٦ : ٩ و ١٠).

فحتى الانبياء الذين قد أكرمهم الله بانارة الروح الخاصة لم يدركوا تمام فحوى الاعلانات المعطاة لهم . وكان ينبغي أن يكشف المعنى من جيل الى جيل على قدر حاجة شعب الله الى التعليم المتضمن فيها.

يقول بطرس وهو يكتب عن الخلاص الذي كشف للنور بواسطة الانجيل: ”الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التي لاجلكم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم اذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والامجاد التي بعده ا. الذين أعلن لهم أنهم ليس لانفسهم بل لنا كانوا يخدمون“ (١ بطرس ١ : ١٠ ١٢).

ولكن مع أنه لم يُعطَ الانبياء أن يدركوا الامور المعلنة لهم ادراكا كاملا، فانهم بكل غيرة طلبوا أن يُعطَوا كل النور الذي سُر الله بأن يعلنه لهم . لقد ”فتشوا وبحثوا“ ”باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسي ح“. ما أعظم هذا من درس يجب أن يتعلمه في هذا العصر المسيحي شعب الله الذين لاجل منفعتهم أعطيت هذه النبوات ”والذين أعلن لهم أنهم ليس لانفسهم بل لنا كانوا يخدمون“! انظر الى رجال الله القديسين اولئك وهم ”يفتشون ويبحثون“ عن اعلانات معطاة لهم عن أجيال لم تكن قد وُلدت بعد . وقارن بين غيرتهم المقدسة وعدم الاكتراث الفاتر الذي به يعامل اولئك المنعَم عليهم في العصور التالية هبَة السماء هذه . أي توبيخ هذا لعدم الاكتراث المتكاسل والمتهالك على أمور العالم والذي يعلن أن النبوات لا يمكن فهمها! [383]

خيبة أمل التلاميذ

مع أن عقول الناس المحدودة قاصرة عن أن تدخل الى مشورات الله غير المحدودة أو تدرك ادراكا كاملا إتمام أغراضه ومقاصده، فهم في الغالب بسبب خطأ أو اهمال من جانبهم يدركون رسائل السماء ادراكا مبهما وغامضاَ جد ا. وفي أحيان كثيرة نرى أن عقول الناس، وحتى عقول خدام الله ، قد طمستها الآراء البشرية وتقاليد الناس وتعاليمهم الكاذبة بحيث يعجزون عن استيعاب كل العظائم التي قد أعلنها الله في كلمته الا بقدر ضئيل جد ا. هكذا كانت الحال مع تلاميذ المسيح حتى عندما كان المخلص معهم بنفسه . كان قد تأصل في عقولهم ذلك التصور أو الرأي المألوف عن مسيا كملك أرضي موشك أن يسمو باسرائيل الى عرش امبراطورية مسكونية، فلم يستطيعوا أن يفهموا معنى أقواله المنبئة عن آلامه وموته.

كان المسيح نفسه قد أرسلهم بهذه الرسالة: ”قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل“ (مرقس ١ : ١٥). وقد كانت تلك الرسالة مبنية على م ا ورد في الاصحاح التاسع من نبوة دانيال . لقد أعلن الملاك أن التسعة والستين أسبوعا ستمتد الى ”المسيح الرئىس“، فكان التلاميذ ينتظرون بآمال عالية وتوقعات مفرحة، ويتوقون الى تثبيت ملكوت المسيح في اورشليم عندما يملك على كل الارض.

وقد كرزو ا بالرسالة التي سلمها المسيح اليهم مع أنهم هم أنفسهم لم يكونوا يفقهون معناه ا. ففي حين أن اعلانهم ومناداتهم كانا مبنيين على ما ورد في (دانيال ٩ : ٢٥)، فانهم لم يروا في الآية التالية من الاصحاح نفسه ان المسيح كان سيقطع . فمنذ ولادتهم كانوا قد وضعوا قلوبهم على مجد الامبراطورية الارضية المنتظرة، وهذا جعل افهامهم تعمى عن تحديد النبوة وعن معنى كلام المسيح. [384]

وقد قاموا بواجبهم في تقديم دعوة الرحمة الى الأمة اليهودية، وحينئذ فيما كانوا ينتظرون أن يروا سيدهم يعتلي عرش داود رأوه مقبوضا عليه كفاعل شر ومجلودا و مُستهزَأ به ومحكوما عليه بالموت ومعلقا على صليب جلجثة. فأي يأس وألم اعتصر قلوب اولئك التلاميذ في أثناء الايام التي قضاها سيدهم مدفونا في القبر!

لقد جاء المسيح في الوقت المعلن عنه وعلى النحو الوارد في النبوة . وتمت شهادة الكتاب في كل تفاصيل خدمته . وهو كرز برسالة الخلاص، وكان كلامه كلام من ”له سلطان“. وقد شهدت قلوب سامعيه بأنه مرسل من السماء. وشهدت كلمة الله وروحه لعمل ابنه الالهي.

عدم يقين

ظل التلاميذ متعلقين بمعلمهم الحبيب بمحبة لا تخمد . ومع ذلك فقد كانت عقولهم مكتنفة بالشكوك وعدم اليقين . وفي عذابهم النف سي لم يذكروا أقوال المسيح التي أشار فيها الى آلامه وموته . فاذا كان يسوع الناصري هو مسيا الحقيقي فهل كانوا هم يغوصون الى أعماق الحزن و الخيبة ؟ هذا هو السؤال الذي عذب نفوسهم عندما كان المخلص مضطجعا في القبر في أثناء ساعات اليأس في يوم ذلك السبت الفاصل بين موته وقيامته.

ولكن مع أن ليل الحزن تجمع بظلماته حول أتباع يسوع اولئك فانهم لم يكونوا متروكين . لقد قال النبي: ”اذا جلست في الظلمة فالرب نور لي ... سيخرجني الى النور سأنظر بره“. ”الظلمة ايضا لا تظلم

لديك والليل مثل النهار يضيء . كالظلمة هكذا النور". لقد تكلم الله قائلا: "نور أشرق في الظلمة للمستقيمين" "وأسيَّر العمي في طريق لم يعرفوه ا. في مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة . هذه الامور أفعلها ولا أتركهم" (ميخا ٧ : ٨ و ٩ ؛ مزمور ١٣٩ : ١٢ ؛ ١١٢ : ٤ ؛ إشعياء ٤٢ : ١٦). [385]

ان الاعلان الذي اطلقه التلاميذ باسم الرب كان صحيحا بكل تفاصيله، والحوادث التي كان يشير اليها كانت حادثة حينئذ. "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله"، هذه كانت رسالتهم . فعند انتهاء "الزمان" ـــ التسعة والستين أسبوعا المذكورة في (دانيال ٩) التي كانت ستمتد الى مسيا "الممسوح" ـــ قبل المسيح مسحة الروح القدس بعد معموديته على يدي يوحنا في الاردن . "وملكوت الله" الذي أعلنوا أنه قد اقترب توطدت دعائمه بموت المسيح . هذا الملكوت لم يكن ملكوتا ارضيا كما كانوا قد تعلموا واعتقدو ا. ولا ك ان هو ذلك الملكوت الدائم في المستقبل الموشك أن يقام عندما "المملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي"، ذلك الملكوت الابدي الذي فيه "جميع السلاطين اياه يعبدون ويطيعون" (دانيال ٧ : ٢٧). ان ما يعبَّر عنه في الكتاب المقدس بالقول "ملكوت الله" يستخدم للدلالة على ملكوت النعمة وملكوت المجد كليهم ا. ان بولس يرينا ملكوت النعمة في الرسالة الى العبرانيين. فبعدما يشير الى المسيح الشفيع الرحيم الذي "يرثي لضَعفاتنا" يقول الرسول: "فلنتقدم بثقة الى عرش ا لنعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة" (عبرانيين ٤ : ١٥ و ١٦). ان عرش النعمة يرمز الى ملكوت النعمة، لان وجود عرش يتضمن وجود ملكوت . والمسيح في كثير من أمثاله يستعمل هذا التعبير "ملكوت السموات" ليدل على عمل النعمة الالهية في قلوب الناس .

وكذلك عرش المجد يرمز الى ملكوت المجد، وهذا الملكوت يشار اليه في قول المسيح: "ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب" (متى ٢٥ : ٣١ و ٣٢). هذا الملكوت سيأتي في المس تقبل. ولن يقام حتى يجيء المسيح ثانية.

لقد تأسس ملكوت النعمة حالما سقط الانسان عندما تم تدبير خطة الخلاص لفداء جنسنا الساقط . وقد وُجد هذا الملكوت في قصد الله [386] وبواسطة وعده . وبواسطة الايمان أمكن الناس أن يكونوا ضمن رعاياه . إلا أنه لم يؤسَّس فعلا الا بعد موت المسيح . فحتى بعد دخول المخلص خدمته الارضية، كان يمكنه، وقد ضجر من عناد الناس وجحودهم، أن ينسحب من ذبيحة جلجثة فلا يموت . فعندما كان في جثسيماني كانت كأس الويل والعذاب ترتجف في يده. كان في وسعه آنئذ أن يمسح عرقه المتساقط كقطرات الدم تارك ا جنسنا المذنب ليهلكوا في اثمهم . فلو فعل ذلك لما كان هنالك فداء للناس الساقطين . ولكن عندما أسلم المخلص روحه وصرخ وهو يموت قائلا: "قد أكمل" حينئذ تحقق اتمام تدبير الفداء . وقد صودق على الوعد الذي قُدم الى أبوينا المذنبين في عدن . فملكوت النعمة الذي كان قد وُجد بناء على وعد الله قبلا توطدت أركانه حينئذ.

وهكذا كان موت المسيح ـــ الحادث نفسه الذي كان التلاميذ ينظرون اليه بمثابة دمار وانهيار لرجائهم ـــ هو الذي حقق ذلك الرجاء . ففي حين أنه أصابهم بخيبة أمل قاسية ومريرة كان هو ذروة البرهان على أن اعتقادهم صحيح . ذلك الحادث الذي جعلهم ينوحون وييأسون كان هو الذي فتح باب الرجاء لكل بنى آدم، وفيه تركزت الحياة العتيدة والسعادة الابدية لكل عبيد الله الامناء في كل الاجيال.

كانت مقاصد الرحمة غير المحدودة في طريقها الى الاتمام حتى عبر خيبة آمال التلاميذ. ففيما رُبحت قلوبهم الى النعمة الالهية والى قوة تعليمه اذ "لم يتكلم قط انسان" مثله فقد اختلط بالذهب النقي، ذهب محبتهم يسوع، زغل الكبرياء العالمية والطموح الاناني . وحتى في العلية التي مورست فيها فريضة الفصح، في تلك الساعة الخطيرة عندما كان معلمهم قد بدأ يجوز في ظلمة جثسيماني، فقد "كانت بينهم ايضا مشاجرة من منهم يظن أن يكون أكبر" (لوقا ٢٢ : ٢٤). كانت رؤياهم ممتلئة بالعرش والاكليل

والمجد، في حين كان أمامهم العار وآلام البستان ودار المحاكمة وصليب جلجثة . ان كبرياء قلوبهم وتعطشهم الى مجد العالم هو ما جعلهم يتشبثون بقوة تعاليم زمانهم الكاذبة فلا يعيرون [387] أقوال المخلص الالتفات اللائق، وهي التي توضح طبيعة ملكوته الحقيقية وتشير الى آلامه وموته . وهذه الاخطاء نتجت عنها التجربة — وهي حادة وقاسية ولكنها لازمة — وقد سُمح بها لاجل تأديبهم . ومع أن التلاميذ أخطأوا في فهم معنى رسالتهم وأخفقوا في تحقيق انتظاراتهم فانهم كرزوا بالانذار المعطى لهم من الله، وقد كافأ الرب ايمانهم وأكرم طاعتهم . قد استؤمنوا على المناداة بانجيل سيدهم المجيد لكل الأمم . فلكي يعدّهم لهذا العمل سُمح لهم بالمرور في ذلك الاختبار الذي بدا لهم مؤلما ومريرا.

ايمان واع

ظهر يسوع بعد قيامته للتلميذين في طريقهما الى عمواس و "ابتدأ من موسى ومن جميع الانبياء يفسر لهما الامور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤ : ٢٧). وقد ثار قلب التلميذين واضطرم فيه الايمان. لقد وُلدا "لرجاء حي" حتى قبلما أعلن يسوع نفسه لهما . وقد قصد أن ينير افهامهما ويثبت ايمانهما على كلمة النبوة الثابتة (٢ بطرس ١ : ١٩). كان يريد أن يتأصل الحق في ذهنيهما ليس فقط لانه كان مدعوماً بشهادته الشخصية بل بسبب البرهان الذي لا شك فيه الذي تقدمه رموز الناموس الطقسي وظلاله ونبوات العهدالقديم . كان تلاميذ المسيح في حاجة الى الايمان الواعي ليس فقط لاجل أنفسهم بل لكي يحملوا معرفة المسيح الى العالم . وكخطوة أولى في ايصال هذه المعرفة وجه يسوع تلميذيه الى "موسى وجميع الانبياء". هذه هي الشهادة التي أعطاها المخلص القائم من الموت لقيمة كتب العهد القديم وأهميتها.

الشك يتحول الى يقين

وما كان أعظم التغيير الذي حدث في قلب كل من ذينك التلميذين وهما ينظران مرة أخرى الى وجه معلمهما الحبيب! (لوقا ٢٤ : ٣٢). فبمعنى [388] أكمل وأدق مما حدث من قبل "وجدا ذاك الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء". وعدم اليقين والالم واليأس قد أفسحت المجال لليقين التام والايمان الصافي . ولا عجب ان التلاميذ بعد قيامته "كانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله". أما الشعب فاذ لم يكونوا يعرفون شيئا أكثر من موت المخلص المشين كانوا ينتظرون أن يروا على وجوههم تعابير الحزن والارتباك والهزيمة، ولكنهم شاهدوا أمائر الفرح والنصرة . فما أعظم الإعداد الذي حصل عليه هؤلاء التلاميذ للعمل الذي كان أمامهم ! لقد جازوا في أعمق تجربة كان متاحا لهم أن يختبروها، وقد رأوا كيف أنه عندما بدا للعيون البشرية أنهم قد خسروا كل شيء فقد تمت كلمة الله بانتصار عظيم . فمنذ ذلك الحين أي شيء كان في وسعه أن يرعب ايمانهم أو يقلل من توهج محبتهم ؟ ففي أقسى حالات الحزن حصلوا على "تعزية قوية" وعلى رجاء كان "كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة" (عبرانيين ٦: ١٨ و ١٩). لقد كانوا شهودا لحكمة الله وقدرته، وقد تيقنوا "انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى" تقدر أن تفصلهم عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا". وقد قالوا: "في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رومية ٨ : ٣٨ و ٣٩ و ٣٧). "أما كلمة الرب فتثبت الى الابد" (١ بطرس ١ : ٢٥). "من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل

بالحري قام أيضا الذي هو أيضا عن يمين الله الذي أيضا يشفع فينا" (رومية ٨: ٣٤).

قال الرب: "ولا يخزي شعبي الى الابد" (يوئيل ٢ : ٢٦). "عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم" (مزمور ٤٠ : ٥). عندما اجتمع التلاميذ بمخلصهم يوم قيامته والتهبت قلوبهم فيهم وهم يصغون الى أقواله، وعندما نظروا الى رأسه ويديه وقدميه التي قد سحقت لاجلهم، وعندما أخذهم قبل صعوده الى بيت عنيا، فإذ رفع يديه ليباركهم أمرهم قائلا: "اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل" ثم أضاف قوله: "وها أنا معكم كل الأيام" [389] (مرقس ١٦ : ١٦ ؛ متى ٢٨ : ٢٠). وعندما نزل المعزي الموعود به في يوم الخمسين وأعطيت لهم قوة من الاعالي، واهتزت نفوسهم لاحساسهم بوجود سيدهم الصاعد، فهل كانوا يرضون حينئذ، مع أنه كان عليهم أن يسيروا في طريق، كطريق سيدهم، يؤدي الى التضحية والاستشهاد، أن يستبدلوا خدمة انجيل نعمته و "اكليل البر" الذي سينالونه عند مجيئه، بأمجاد عرش أرضي كان هو الامل المراود نفوسهم عند بدء تلمذتهم ؟ ان ذاك الذي هو "قادر أن يفعل أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر" قد منحهم مع شركة آلامه شركة فرحه، فرح "الاتيان بابناء كثيرين الى المجد"، فرح لا ينطق به، "ثقل مجد أبدي"، يقول عنه بولس، "خفة ضيقتنا الوقتية" لا تُقاس به.

كان لاختبار التلاميذ الذين كرزوا "بانجيل الملكوت" عند المجيء الاول للمسيح شبيه في اختبار الذين أعلنوا رسالة مجيئه الثاني . فمثلما خرج التلاميذ يكرزون قائلين "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله" كذلك أعلن ميلر وزملاؤه أن أطول مدة نبوية أخيرة تشاهد في الكتاب المقدس موشكة على الانتهاء، وأن الدينونة قريبة، وأن الملكوت الابدي سيجيء . كانت كرازة التلاميذ في ما يختص بالزمن مبنية على السبعين أسبوعا المذكورة في (دانيال ٩). وقد أعلنت الرسالة التي قدمها ميلر وزملاؤه انتهاء ال ٢٣٠٠ يوم المذكورة في (دانيال ٨ : ١٤) والتي كانت السبعون أسبوعاً جزءاً منه ا. ان كرازة كل من الفريقين كانت مبنية على اتمام جزء من قسم مختلف من الحقبة النبوية العظيمة نفسها.

وكالتلاميذ الاولين لم يكن وليم ميلر ولا زملاؤه يفهمون فحوى الرسالة التي حملوها ولا أهميتها فهما كاملا، فالضلالات التي كانت قد تمكنت من الكنيسة أمدا طويلا حالت دون وصولهم الى تفسير صحيح لنقطة هامة في النبوة. ولذلك فمع أنهم أعلنوا الرسالة التي قد كلفهم الله تقديمها الى العالم، فانه بسبب سوء فهمهم معناها أصابهم الفشل. [390]

ففي شرح نبوة دانيال (دانيال ٨ : ١٤) القائلة "الى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ (يتطهر) القدس" اتخذ ميلر، كما سبق أن قلنا، الرأي العام المقبول أن الارض هي القدس . وكان يعتقد أن تبرئة القدس ترمز الى تطهير الارض بالنار عند مجيء الرب . ولذلك فعندما وجد أن نهاية ال ٢٣٠٠ يوم قد أنبئ بها بوضوح استنتج أن هذا قد كشف عن وقت المجيء الثاني . وقد نتج خطأه من قبوله الرأي المألوف بخصوص تحديد معنى القدس.

في النظام الرمزي الذي كان رمزا وظلا لذبيحة المسيح وكهنوته كان تطهير القدس أو تبرئته آخر خدمة يمارسها رئيس الكهنة في دورة خدمته السنوية . كان آخر عمل من أعمال الكفارة، أي رفع الخطيئة أو ازالتها عن اسرائيل . وكان يشير الى آخر خدمة من خدمات رئيس كهنتنا في السماء، أي رفع خطايا شعبه المسجلة في أسفار السماء ومحوه ا. هذه الخدمة تشمل عملا من أعمال الفحص والدينونة وهي تسبق مباشرة مجيء المسيح في سحاب السماء بقوة ومجد عظيم، لانه عندما يجيء ستكون كل القضايا قد بُتَّ فيها. يقول يسوع: "اجرتي معي لاجازي كل واحد كما يكون عمله" (رؤيا ٢٢ : ١٢). هذا هو عمل الدينونة الذي يسبق المجيء الثاني مباشرة والمعلن في رسالة الملاك الاول المدونة في رؤيا ١٤ : ٧ القائلة: "خافوا الله وأعطوه مجداً لانه قد جاءت ساعة دينونته".

ان من قد أعلنوا هذا الانذار قدموا الرسالة الصائبة في الوقت المعين . ولكن كما أعلن التلاميذ

الاولون قائلين: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله" وكان ذلك مبنيا على ما ورد في (دانيال ٩)، بينما اخفقوا في فهم حقيقة كون موت مسيا قد أنبئ عنه في السفر نفسه، كذلك كرز ميلر وزملاؤه بالرسالة المبنية على ما ورد في دانيال ٨ : ١٤ ورؤيا ١٤ : ٧، ولكن غاب عن انظارهم أنه كانت توجد رسائل أخرى مبيَّنة في رؤيا ١٤ كان ينبغي تقديمها ايضا قبل مجيء الرب . وكما اخطأ التلاميذ في ما يختص بالملكوت الموشك أن يُقام في نهاية السبعين أسبوعا، كذلك أخطأ الادفنتست في ما يختص بالحادث الذي سيقع في نهاية ال ٢٣٠٠ يوم . ففي كلتا الحالتين كان هنالك قبول أو [391] بالحري تعلق بالخطإ المألوف، الامر الذي أعمى أذهانهم عن الحق . ولقد تمم كلا الفريقين ارادة الله في تقديم الرسالة التي كان يرغب في تبليغها، وكلا الفريقين اصابتهم الخيبة بسبب سوء فهمهم وسوء تقديرهم.

الا أن الله تمم قصده الرحيم من السماح بتقديم الانذار بالدينونة كما قدِّم تماما. كان اليوم العظيم قريبا، والله بعنايته جعل الناس يأتون الى اختبار وقت محدَّد لكي يعلن لهم ما في قلوبهم . كان القصد من الرسالة هو اختبار الكنيسة وتطهيرها. كان يجب عليهم أن يروا ما اذا كانت عواطفهم متعلقة بالعالم أم بالمسيح والسماء . لقد كانوا يقرون بأنهم يحبون المخلص، فكان عليهم الآن أن يبرهنوا على تلك المحبة . فهل كانوا مستعدين لان يرفضوا آمالهم الدنيوية وينبذوها ويتخلوا عن اطماعهم ويرحبوا بمجيء سيدهم بفرح ؟ كان المقصود بالرسالة أن تساعدهم على معرفة حالتهم الروحية الحقيقية . لقد أرسلت اليهم رحمة بهم لايقاظهم حتى يطلبوا الرب بالتوبة والتذلل.

ولئن كانت خيبتهم ايضا نتيجة سوء فهمهم الرسالة التي قدموها فقد كان لا بد أن تؤول الى الخير . كان القصد منها اختبار قلوب من كانوا قد اعترفوا بقبول الانذار . ففي مواجهة الفشل الذي أصابهم هل يتخلون عن اختبارهم في طياشة ويطرحون عنهم الثقة بكلمة الله، أم انهم بالصلاة والتذلل يطلبون معرفة ما قد أخفقوا فيه لفهم مغزى النبوة ؟ كم عدد الذين تحركوا بدافع الخوف والإندفاع أو الإهتياج والإثارة ؟ وكم عدد الفاتري القلوب والعديمي الايمان ؟ لقد اعترف كثيرون بأنهم يحبون ظهور الرب. فعندما يُدعون الى احتمال سخرية العالم وتعييراته والى اختبار التباطؤ والخيبة فهل يرفضون الايمان ؟ هل يطرحون جانبا الحقائق التي تدعمها شهادة كلمة الله الصريحة غاية الصراحة لكونهم لم يفهموا معاملات الله معهم في الحال؟

ان هذا الاختبار يكشف عن قوة الذين بايمان حقيقي اطاعوا ما قد آمنوا بأنه تعليم كلمة الله وروحه . وهو وحده يعلمهم خطر قبول نظريات الناس [392] وتفسيراتهم بدلا من جعل الكتاب المقدس مفسرا نفسه بنفسه . ان الارتباك والحزن الناشئين عن خطإ اولاد الايمان سيؤديان الى الاصلاح والتأديب المطلوبين. وهذا يقودهم إلى درس الكلمة النبوية بكل تدقيق . وسيتعلمون أن يمتحنوا بحرص أكبر أساس إيمانهم وأن يرفضوا كل ما لم يكن مؤسسا على كلمة الحق حتى لو كان أكثرية الناس في العالم المسيحي يقبلونه.

وكما كانت الحال مع التلاميذ الاولين سيتضح لاحقا لهؤلاء المؤمنين ما كان يبدو غامضا على أذهانهم في ساعة التجربة . فعندما يرون "عاقبة الرب" سيعرفون أنه على رغم التجربة التي نتجت من أخطائهم فان مقاصد محبته نحوهم كانت سائرة بثبات في طريقها الى الاتمام . وسيتعلمون باختبار مبارك أنه "كثير الرحمة ورؤوف" وأن كل طرقه "رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته". [393]

الفصل العشرون ـــ نهضة دينية عظيمة

لقد أُنبئ بحدوث نهضة عظيمة عند اعلان نبإ مجيء المسيح السريع واذاعته، كما هو وارد في نبوة رسالة الملاك الاول الواردة في رؤيا ١٤ . ان ملاكا يُرى طائرا "في وسط السماء معه بشارة ابدية ليبشر الساكنين على الارض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب." و "بصوت عظيم" يعلن الرسالة قائلا: "خافوا الله وأعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء والارض والبحر وينابيع المياه" (رؤيا ١٤ : ٦ و ٧).

ان حقيقة القول بأن ملاكا هو المبشر بهذا الانذار هي حقيقة لها معناه ا. لقد س رت حكمة الله أن تدلل على سمو العمل الذي ستتممه الرسالة، وعلى السلطان والمجد اللذين سيرافقانها، بطهارة رسول السماء وقوته ومجده . ان طيران الملاك "في وسط السماء" و "والصوت العظيم" الذي به سيُلقى الانذار واذاعته على كل "الساكنين على الارض" ـــ"كل أمة و قبيلة ولسان وشعب" ـــ كل ذلك يبرهن على تلك النهضة واتساع مداها بحيث تشمل العالم كله.

والرسالة نفسها تفيض نورا بالنسبة الى وقت حدوث تلك النهضة . فقد أُعلن أنها جزء من "البشارة الابدية" وانها تعلن عن بدء الدينونة . لقد [394] كُرز برسالة الخلاص في كل ا لعصور، لكنّ هذه الرسالة هي جزء من البشارة التي ما كان يمكن إذاعتها إلا في الأيام الأخيرة، لان ذلك الوقت هو وحده الذي يصدق فيه القول ان ساعة الدينونة قد أتت . فالنبوات تقدم بعض الحوادث المتتابعة التي تنتهي كلها ببدء الدينونة . ويصدق هذا القول على سف ر دانيال بنوع خاص . لكنّ ذلك الجزء من النبوة الذي له صلة بالايام الاخيرة قد أُمر دانيال بأن يخفيه ويختمه " الى وقت النهاية ". فالى أن نصل الى هذا الوقت ليس في المستطاع اذاعة رسالة عن الدينونة مبنية على اتمام هذه النبوات . ولكن في وقت النهاية كما يق ول النبي: "كثيرون يتصفحونه (كثيرون يركضون هنا وهناك) والمعرفة تزداد" (دانيال ١٢ : ٤).

ولقد حذر بولس الرسول الكنيسة من انتظار مجيء المسيح في أيامه. فقال: "لا يأتي أن لم يأت الارتداد أولا ويستعلن انسان الخطية" (٢ تسالونيكي ٢ : ٣). لا يأتي الا بعد الارتداد العظيم وبعد المدة الطويلة ،مدة حكم "انسان الخطية"؛ بعد هذا لنا أن ننتظر مجيء الرب . ان "انسان الخطية" الملقب ايضا ب "سر الاثم" و "وابن الهلاك" و "الاثيم" يرمز الى البابوية التي أنبئ عنها في النبوة، وكانت ستحتفظ بسيطرتها لمدة ١٢٦٠ سنة. هذه المدة انقضت في عام ١٧٩٨ . ولم يكن ممكنا أن يأتي المسيح قبل ذلك الحين . ان بولس يتناول بتحذيره كل النظام المسيحي حتى الى عام ١٧٩٨ . فبعد سنة ١٧٩٨ ستذاع رسالة مجيء المسيح الثاني.

لم تقدم مثل تلك الرسالة في ما مضى . فبولس، كما رأينا، لم يكرز به ا. لقد وج ه انظار سامعيه الى المستقبل، الذي كان بعيدا جدا آنئذ، على أنه وقت مجيء الرب . والمصلحون لم يذيعوه . وقد قال مارتن لوثر ان الدينونة لن تأتي الا بعد مرور نحو ٣٠٠ سنة بعد زمانه . ولكن منذ عام ١٧٩٨ لم يعد سفر دانيال سفرا مختوما، فلقد ازدادت المعرفة بالنبوات، وأذ اع كثيرون أن رسالة الدينونة الخطيرة قريبة. [395]

جوزيف ولف، الرسول المبعوث الى العالم

وعلى غرار الاصلاح العظيم الذي حدث في القرن السادس عشر ظهرت نهضة المجيء الثاني في كثير من ممالك العالم المسيحي في وقت واحد . ففي كل من أوروبا وأمريكا ق اد روح الرب كثيرين من رجال الايمان والصلاة لدرس النبوات، فاذ تتبعوا التاريخ الموحى به رأوا البرهان المقنع على أن نهاية كل شيء قريبة . وفي كثير من البلدان المختلفة كانت توجد جماعات منعزلة من المسيحيين، هؤلاء الناس وصلوا عن طريق درس الكتاب وحده الى الاعتقاد بقرب مجيء المخلص.

في عام ١٨٢١ ، أي بعدما وصل ميلر في تفسيره الى النبوات المشيرة الى يوم الدينونة، بدأ الدكتور جوزيف ولف، "الرسول المبعوث الى العالم"، في اذاعة نبإ مجيء الرب السريع . وُلد ولف في المانيا من أبوين عبرا نيين. كان أبوه حاخاما يهوديا، لكنه اقتنع منذ صباه بصدق الدين المسيحي . ولما كان عقله نشيطا محبا للبحث والاستقصاء كان يصغي بكل شوق الى المحادثات التي كانت تدور في بيت أبيه حيث كان العبرانيون الاتقياء يجتمعون كل يوم ليعددوا آمال شعبهم وانتظاراته ومجد مسيا الآ تي وردّ اسرائيل . وفي يوم من الايام اذ سمع ذلك الصبي اسم يسوع الناصري سأل من يكون . فجاءه الجواب يقول: "انه يهودي ذو مواهب عظيمة جد ا. ولكن بما أنه قد ادَّعى أنه مسيا فقد حكمت عليه المحكمة اليهودية بالقتل". فعاد ذلك الصبي يسأل: "اذاً فلماذا خربت أورشليم، ولماذا نحن مسبيون ؟" فأجابه أبوه قائلا: "واأسفاه ! واأسفاه ! ان السبب في ذلك هو أن اليهود قد قتلوا الانبياء"، ففي الحال برق في ذهن ذلك الصبي هذا الخاطر: "ربما كان يسوع أيضا نبيا، وقد قتله اليهود مع أنه كان بريئا" (٣٠٨). وقد كان هذا الشعور قويا بحيث أنه كان كثيرا ما يقف خارج كنائس المسيحيين ليصغي الى الكرازة مع أنه كان قد نُهي عن الدخول اليها. [396]

واذ كان لا يزال في السابعة من عمره جعل يتفاخر أمام شيخ مسيحي ىمن جيرانه بالنصرة العتيدة التي ستكون من نصيب اسرائيل عند مجيء مسي ا. فقال له الشيخ: "سأخبرك الآن يا ولدي العزيز عمن كان مسيا الحقيقي، لقد كان هو يسوع الناصري ... الذي قد صلبه أجدادك كما قد فعلوا بالانبياء منذ القديم . اذهب الى بيتك واقرأ الاصحاح الثالث والخم سين من سفر اشعياء فتقتنع بأن يسوع المسيح هو ابن الله" (٣٠٩)، فاقتنع في الحال وذهب الى البيت وقرأ ذلك الاصحاح، وكان مندهشا كيف تم ذلك الكلام تماما في يسوع الناصري. فهل كان كلام ذلك المسيحي صادقا ؟ وقد طلب ذلك الصبي من أبيه أن يفسر له تلك النبوة ، ولكنه قوبل بصمت عابس بحيث لم يجرؤ بعد ذلك على طرق ذلك الموضوع . ومع ذلك فان هذا زاده شوقا الى معرفة المزيد من الدين المسيحي.

متهم بالهرطقة

هذه المعرفة التي طلبها حُجبت عنه عمدا في بيته اليهودي . ولكن اذ كان لم يزل في الحادية عشرة من العمر هجر بيت أبيه وخرج الى العالم ليحصل لنفسه على التعليم وليختار دينه وعمل حياته .وقد سكن بعض الوقت مع بعض أقربائه، لكنه سرعان ما طُرد من هناك لاعتبارهم اياه مرتد ا. ولما كان وحيدا خاوي الوفاض كان عليه أن يشق لنفسه طريقا بين الغرباء . فذهب من مكان الى مكان، وكان يدرس باجتهاد ويكسب عيشه بتدريس اللغة العبرية . وبتأثير معلم كاثوليكي قبل العقيدة الكاثوليكية وتكوَّن لديه

هدف هو أن يكون مرسلاً لشعبه . وبعد ذلك بسنين قليلة إذ كان هذا الهدف نصب عينيه، ذهب إلى روما ليواصل دراساته في كلية نش ر الايمان (البروياغاندا)، ولما كان معتاداً على التفكير المستقل والكلام الصريح جلب على نفسه تهمة الهرطقة في تلك الكلية . وبكل مجاهرة هاجم فضائح الكنيسة وألح على وجوب اجراء اصلاح عاجل . ومع أنه كان قد عومل في بادئ الامر بالرض ى الخاص من أحبار روما عاد فطُرد منها بعد ذلك. وتحت مراقبة الكنيسة جعل يتنقل من مكان الى مكان الى أن [397] تبرهن أنه لا يمكن اخضاعه للعبودية البابوية . وقد أُعلن أنه لا يمكن اصلاحه واعطيت له حرية الذهاب الى حيث يريد . فسافر ح ينئذ الى انجلترا حيث اعترف بالعقيدة البروتستانتية وانضم الى الكنيسة الانغليكانية. وبعد دراسة دامت عامين خرج في عام ١٨٢١ لتأدية رسالته.

عندما قبل ولف الحق العظيم عن المجيء الاول للمسيح كرجل "أوجاع ومختبر الحزن" رأى أن النبوات تُري بذلك الوضوح نفسه مجيئه الثاني بقوة ومجد . وعندما حاول أن يرشد شعبه الى يسوع الناصري كالشخص الموعود به ويوجه انظارهم الى مجيئه الاول متضعا كذبيحة عن خطايا الناس، فقد علمهم أيضا عن مجيئه الثاني كملك ومخلص.

ملك على كل الارض

وقد قال: "ان يسوع الناصري، مسيا الحقيقي الذي قد ثُقبت يداه ورجلاه وسيق كشاة الى الذبح، والذي كان رجل أوجاع ومختبر الحزن، والذي بعدما زال القضيب من يهوذا وسلطة التشريع من بين رجليه جاء في مجيئه الاول، سيأ تي ثانية في سحب السماء ببوق رئيس الملائكة" (٣١٠)، "وسيقف على جبل الزيتون، والسلطان الذي أعطي لآدم قبلا على الخليقة ولكنه أضاعه (تكوين ١ : ٢٦ ؛ ٣ : ٧) سيعطى ليسوع، فسيكون ملكا على كل الارض، وسينتهي أنين الخليقة وآلام مخاضها وست سمع أغاني الحمد والشكر ... وعندما يأتي يسوع في مجد أبيه مع الملائكة القديسين ... فالراقدون المؤمنون سيقومون أولا (١ تسالونيكي ٤ : ١٦ ؛ ١كورنثوس ١٥ : ٢٣). هذا ندعوه نحن المسيحيين القيامة الاولى، وحينئذ تغير المملكة الحيوانية طبيعتها (اشعياء ١١ : ٦ — ٩) وتخضع ليسوع (مزمور [398] ٨)؛ وحينئذ يعم السلام" (٣١١)، "وسيشرف الرب على الارض مرة ثانية ويقول: "هوذا هي حسنة جدا" (٣١٢).

كان ولف يؤمن بأن مجيء الرب قريب، وقد جعله تفسيره للفترات النبوية يعتبر النهاية العظيمة في وقت قريب جدا من ذاك الذي حدده ميلر . وقد أجاب ولف على من أوردوا هذا القول "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد "، كما أجاب على القائلين بأن الناس لا يعلمون شيئا عن قرب المجيء الث اني، قائلا: "هل قال سيدنا أن ذلك اليوم وتلك الساعة لن يُعرفا أبدا ؟ ألم يعطنا علامات الازمنة لكي نعرف على الاقل قرب مجيئه كما يعرف الانسان أن الصيف قريب عندما تخرج شجرة التين أوراقها ؟ (متى ٢٤ : ٣٢). وهل لن نعرف ذلك الوقت أبدا في حين أنه هو نفسه يوصينا ليس فقط بأن نقرأ ما كتبه دانيال النبي بل أن نفهمه ؟ وفي سفر دانيال نفسه حيث ذكر أن الكلام خُتم عليه الى وقت النهاية (الذي كان هو الواقع في زمانه)، فان كثيرين سيركضون هنا وهناك — وهو تعبير عبراني عن الملاحظة والتفكير في الوقت "والمعرفة (معرفة ذلك الوقت) تزداد" (دانيال ١٢ : ٤). وفضلا عن ذلك فان ربنا لم يقصد أن يقول لنا بهذا أن قرب الوقت لن يُعرف، بل أن "اليوم" المحدّد، و "الساعة لا يعلم بهما أحد". وهو يقول أنه سيُعرف من علامات الأزمنة ما فيه الكفاية لاقناعنا بالاس تعداد لمجيئه كما أعد نوح الفلك" (٣١٣).

وفي ما يختص بنظام التفسير المألوف أو تحريف الكتب، كتب ولف يقول: "ان السواد الاعظم من

أبناء الكنيسة المسيحية قد انحرفوا عن المعنى الواضح الصريح للكتاب وارتدوا الى نظام البوذيين الكاذب، الذ ين يعتقدون أن سعادة الجنس البشري وغبطته العتيدة تنحصر في انتقالهم وطيرانهم في الهواء، ويظنون أنهم وهم يقرأون كلمة "اليهود" ينبغي أن يفهموها على أنها "الامم"، وعندما يقرأون كلمة "أورشليم" ينبغي فهمها على أنها "الكنيسة"، وعندما يقال "الارض" فمعنى ذلك "السماء"، ومجيء الرب [399] يجب أن يفهموه على أنه نجاح وتقدم الجمعيات التبشيرية، والصعود الى جبل بيت الرب يجب أن يفهم منه أنه اجتماع جليل لجماعة الميثودست" (٣١٤).

وفي غضون الاربع والعشرين سنة من ١٨٢١ الى ١٨٤٥ سافر ولف بعيدا. ففي أفريقيا زار مصر و الحبشة. وفي آسيا تجول في فلسطين وسوريا وبلاد فارس وبخارى والهند . كما زار أيضا الولايات المتحدة . وفي أثناء سفره الى هناك كان يبشر في جزيرة القديسة هيلانه . وقد وصل الى نيويورك في آب (أغسطس) من عام ١٨٣٧ ، وبعدما تكلم في تلك المدينة بشر في فيلاد لفيا وبلتيمور وأخيرا تقدم الى واشنطن . وفي هذه المدينة قال: "بناء على طلب قدمه الرئيس السابق جون كويني آدامز، منحني أحد بيوت الكونغرس باجماع الآراء حرية استخدام قاعة المجلس لالقاء محاضرة ألقيتها في يوم سبت وأكرمت بحضور جميع أعضاء الكونغرس، وكذلك بحضور أسقف فرجينيا ورجال الاكليروس ومواطني واشنطن. وقد منحني ذلك الشرف نفسه أعضاء هيئة حكومة نيوجرسي وبنسلفانيا، وألقيت أمامهم محاضرات عن بحوثي في آسيا كما عن مُلك يسوع المسيح الشخصي" (٣١٥).

قوة في الكتاب

سافر الدكتور ولف في أشد الممالك همجية ووحشية من دون أن يحصل على حماية من السلطات الاوروبية، فتحمَّل كثيرا من المشاق وتعرض لمخاطر لا حصر لها. لقد ضُرب بالفلقة وتحمل آلام الجوع وبيع كعبد، وحكم عليه بالموت ثلاث مرات، وكان محاطا باللصوص، وأحيانا كاد يموت عطشا. وفي مرة سُلب كل ما كان يملكه وتُرك ليسافر مئات الاميال سيرا على قدميه في الجبال، وكان الثلج يصدم وجهه وقدميه الحافيتين اللتين تجمدتا من السير على الارض المجمدة .

وعندما أنذر بألا يسير وهو أعزل بين القبائل المتوحشة المعادية أعلن قائلا: "اني مزود "سلاحَ الصلاة والغيرة للمسيح والثقة بمعونته"، ثم [400] قال: "كما أنني مزود أيضا محبة الله والقريب في قلبي، والكتاب المقدس في يدي" (٣١٦) واينما ذهب كان يحمل الكتاب المقدس في اللغتين العبرية والانجليزية. وقال عن احدى سفراته المتأخرة: "لقد ... أبقيت الكتاب مفتوحا في يدي. وأحسست أن قوتي هي في الكتاب وأن قوته ستعضدني" (٣١٧).

وهكذا جعل يواصل جهوده الى أن وصلت رسالة الدينونة الى قسم كبير من المسكونة . لقد نشر كلمة الله بين اليهود والاتراك والفرنسيين والهندوس وقوميات وأجناس كثيرة بلغات مختلفة، وفي كل مكان بشر بمُلك مسيا الآتي.

في رحلته الى بخارى وجد شعبا نائيا منعزلا يعتنق عقيدة مجيء الرب السريع. وقال: "ان عرب اليمن يملكون كتابا يسمى السيرة وهذا الكتاب يصرح بعقيدة المجيء الثاني للمسيح وملكه بمجد عظيم، وهم يتوقعون حدوث وقائع عظيمة في عام" (٣١٨). "١٨٤٠ وفي اليمن ... قضيت ستة أيام مع بني ركاب. انهم لا يشربون خمرا ولا يغرسون كرما ولا يزرعون حقلا ويعيشون في الخيام، ويذكرون يوناداب الشيخ الصالح ابن ركاب . وقد وجدت بين تلك الجماعة أفرادا من بني اسرائيل من سبط دان ...

وهم ينتظرون مع بني ركاب سرعة مجيء مسيا في سحاب السماء" (٣١٩).

وان مرسلا آخر وجد عقيدة مشابهة سائدة في بلاد التتار . وقد سأل كاهن تتاري ذلك المرسل عما اذا كان يعرف وقت المجيء الثاني للمسيح . وعندما أجابه المرسل بأنه لا يعرف عن ذلك شيئا بدا الاندهاش العظيم على الكاهن من مثل ذلك الجهل الذي يعترف به رجل يقول بأنه معلم للكتاب المقدس، ثم أعلن عن اعتق اده المبني على النبوة بأن المسيح سيأتي حوالي عام ١٨٤٤ . [401]

رسالة المجيء في انجلترا

وفي وقت مبكر، أي في عام ١٨٢٦ ، نودي في اِنجلترا بالكرازة برسالة المجيء. وفي هذه البلاد لم تتخذ هذه النهضة شكلا محددا كما في أمريكا، اذ لم يعلِّموا جهارا عن الوقت المحدّد للمجيء ، لكنّ الحقيقة العظيمة الخاصة بمجيء المسيح السريع بقوة ومجد اعلنت على نطاق واسع . ولم يقتصر هذا على المنشقين والمخالفين وحدهم . فالكاتب الانجليزي مورانت بروك يقرر أنه حوالي ٧٠٠ خادم من خدام كنيسة انجلترا كانوا دائبين في الكرازة "ببشارة الملكوت هذه". والرسالة التي تشير الى عام ١٨٤٤ كموعد لمجيء الرب قدمت الى شعب بريطانيا العظمى ايض ا. ومن الولايات المتحدة انتشرت، على نطاق واسع، مطبوعات عن المجيء . وقد أعيد طبع بعض الكتب والصحف في انجلتر ا. وفي عام ١٨٤٢ عاد روبرت ونتر الانكليزي المولد، والذي قبل عقيدة المجيء وهو في امريكا، الى وطنه ليكرز بمجيء الرب . واشترك كثيرون معه في ذلك العمل، فأعلنت رسالة الدينونة في كثير من أنحاء انجلترا.

وفي أمريكا الجنوبية، في وسط الهمجية والكهنة المحتالين، وجد لاكونزا، الذي كان اسبانيا ينتمي الى الجزويت، طريقه الى الكتاب المقدس، وهكذ ا اعتنق عقيدة قرب المجيء الثاني . واذ استُفز ليقدم الانذار متحاشيا انتقادات روما نشر آراءه باسم مستعار هو "المعلم بن عزرا"، مصورا نفسه أنه تجدَّد من اليهودية الى المسيحية . وكان لاكونزا يعيش في القرن الثامن عشر، ولكن قرابة العام ١٨٢٥ وجد كتابه طريقه الى لن دن حيث ترجم الى اللغة الانجليزية، وكان نشره عاملا من عوامل تعميق الاهتمام الذي كان قد بدأ يستيقظ في انجلترا بموضوع المجيء الثاني.

أما في المانيا فقد كرز بهذه العقيدة في القرن الثامن عشر على يد بنغل الذي كان أحد خدام الكنيسة اللوثرية واستاذا يش ار اليه بالبنان من جهابذة الكتاب المقدس، كما كان ناقداً كبير اً. فبعدما أتم بنغل تحصيله "كرَّس نفسه لدراسة اللاهوت، التي أماله اليها عقله الوقور المحب للدين بالفطرة . [402] 402

وكان لتهذيبه وتدريبه الباكر أثر كبير في ذلك . وكغيره من الشباب الكثيري التفكير ق بله وفي أيامه كان عليه أن يصارع الشكوك والصعوبات الدينية، وبتأثر عميق يشير الى "السهام الكثيرة التي أصابت قلبه المسكين وجعلت شبابه صعب الاحتمال""" (٣٢٠) جعل يدافع عن قضية الحرية الدينية بعدما صار عضوا في مجلس ورتمبر غ الكنسيّ، "وبينما كان متمسكاً بحقوق الكنيسة وامتيازاتها كان مدافعاً عن أكبر قدر من الحرية على أن تُمنَح للذين يشعرون بأنهم ملزمون، إطاعة لضمائرهم، بأن ينسحبوا من كنيستهم" (٣٢١). ولا يزال الناس في إقليمه يحسون بالنتائج الصالحة لهذه السياسة.

واذ كان بنغل يعد عظة مم ا ورد في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر الرؤيا ليلقيها في يوم احد المجيء أشرق نور المجيء الثاني للمسيح في ذهنه . وانكشفت نبوات سفر الرؤيا أمام ذهنه، الامر الذي لم يكن له به عهد من قبل . ولما غمره الشعور بالاهمية الهائلة المدهشة والمجد الفائق للمناظر التي يعرضها النبي اضطر الى الانصراف عن التفكير في ذلك الموضوع الى حين . وعندما اعتلى المنبر أُقحم ذلك

الموضوع ذاته على عقله بكل وضوحه وقوته . ومن ذلك الحين كرس نفسه لدرس النبوات، وعلى الخصوص تلك المذكورة في سفر الرؤيا، وسرعان ما اقتنع بأنها تشير الى قرب مجيء المسيح . والتاريخ الذي حدده على أنه وقت المجيء الثاني كان قريبا جدا من التاريخ الذي حدده ميلر بعد ذلك.

ولقد انتشرت مؤلفات بنغل في جميع انحاء العالم المسيحي . وآراؤه عن النبوة قبلها جميع سكان ولاية ورتمبرغ وانتشرت في بعض انحاء المانيا الى حدٍ ما. وظلت الن هضة باقية بعد موته وسمعت رسالة المجيء في المانيا في الوقت نفسه الذي كانت فيه تسترعي الانتباه في بلدان أخرى . وفي تاريخ سابق ذهب بعض المؤمنين الى روسيا وهناك كوّنوا مستعمرات، ولا تزال الكنائس الالمانية في تلك البلاد تعتنق عقيدة قرب مجيء المسيح. [403]

اشراق النور في فرنسا وسويسرا

وكذلك أشرق النور في فرنسا وسويسرا. ففي جنيف حيث كان فارل وكلفن قد نشرا حق الاصلاح، كرز جوسيه برسالة المجيء الثاني . كان جوسيه لا يزال طالبا في المدرسة عندما اصطدم بروح التدين العقلي التي سادت أوروبا كلها في أواخر القرن الثامن ع شر وأوائل التاسع عشر؛ وعندما دخل الخدمة، ففضلا عن أنه كان يجهل الايمان الحقيقي، كان يميل الى الشك والارتياب . ففي شبابه راق له أن يدرس النبوات، وبعدما طالع كتاب "التاريخ القديم" الذي كتبه رولن استرعى انتباهه ما ورد في الاصحاح الثاني من سفر داني ال، وقد أدهشته الدقة العجيبة التي بها تمت النبوة كما تشاهد في ما كتبه المؤرخ . هنا كانت شهادة على كون الكتب المقدسة موحىً بها، وكانت هذه بمثابة مرساة له في وسط مخاطر السنين المتأخرة . فلم يعد قانعا بتعليم الدين العقلي، واذ كان يدرس الكتاب ويبحث عن نور أوضح ق اده ذلك بعد وقت الى ايمان ايجابي.

الاطفال يفهمون

واصل فحص النبوات فوصل الى الاعتقاد ان مجيء الرب قد اقترب . واذ كان متأثر بخطورة هذا الحق العظيم وأهميته رغب في اذاعته على الناس، لكنّ الاعتقاد السائد بأن نبوات دانيال هي أسرار لا يمكن فهمها كان عقبة كأداء في طريقه . واخيرا قرر — كما قد فعل فارل من قبل عندما أراد تبشير جنيف — أن يبدأ بالاطفال، وكان يرجو أنه عن طريقهم سيسترعي اهتمام الوالدين.

وفيما كان يتكلم بعد ذلك عن قصده من هذا الاجراء قال: "أريد أن يُفهم هذا، أنه ليس بسبب قلة أهمية هذا الموضوع أردت تقديمه في هذا الشكل المألوف بل على ا لعكس خاطبت به الاطفال بسبب أهميته وقيمته العظيمة . لقد رغبت في أن يسمعني الناس، وكنت أخشى ألا [404] يسمعني أحد لو خاطبت الكبار أولا"، "لذلك عولت على الذهاب الى الاصغر فأجمع جمه ورا من الاطفال؛ فاذا زاد العدد وكبرت تلك الجماعة ورؤي أنهم يستمعون ويسرون بالاستماع ويهتمون بالاصغاء ويفهمون الحق ويوضحون الموضوع فلا بد أن أعقد حلقة أخرى حالا، فالكبار بدورهم سيرون أنه مما يستوجب اهتمامهم كونهم يجلسون ويدرسون . فمتى تم هذا فقد كسبنا القضية" (٣٢٢).

فاذ تشجع جوسيه بهذا النجاح نشر تعاليمه على أمل أن يزيد ذلك من اقبال الناس على درس الاسفار

النبوية في الكنائس التي يتكلم الناس فيها بالفرنسية . وقد قال: "ان طبع الدروس المعطاة للاولاد هو بمثابة رد على البالغين الذين يهملون دراسة مثل تلك الاسفار مستندين الى ذلك العذر الكاذب وهو أنه ا غامضة ولا يمكن فهمها، فكأنني أقول لهم: "وكيف يمكن أن تكون غامضة في حين أن أطفالكم يفهمونها ؟""" ثم أضاف قائلا: "لقد كانت لي رغبة شديدة في تعميم معرفة النبوات بين شعبنا ان أمكن". "وفي الحق يلوح لي أنه لا توجد دراسة أخرى تطابق حاجات الزمن أفضل من هذه"، "اننا بهذه الدراسة نتأهب لمواجهة الضيقة القريبة فنسهر وننتظر يسوع المسيح".

ومع أن غاوسن كان من أشهر الوعاظ المحبوبين الذين يتكلمون الفرنسية فانه بعد وقت أوقف عن الخدمة، وكان ذنبه الاكبر هو أنه بدلا من استخدام كتاب التعليم المسيحي الكنسي، وهو كتاب غير مشوق وفلسفي وخالٍ تقريبا من الايمان الايجابي، استخدم الكتاب المقدس في تعليم الشباب . وقد صار بعد ذلك معلما في مدرسة لاهوتية بينما واصل في أيام الآحاد اعطاء دروس في [405] [406] التعليم المسيحي للصغار وتعليمهم مبادئ الكتاب المقدس . وقد أثارت كتبه عن النبوات اهتماما كبير ا. وظل من كرسي الاستاذية وعن طريق النشر والمطبوعات وفي عمله المحبوب لديه كمعلم للاطفال يحدث تأثيرا كبيرا عدة سنين، وكانت له اليد الطولى في استرعاء انتباه الكثيرين لدرس النبوات التي كانت تبرهن أن مجيء الرب قريب.

الاطفال يكرزون في اسكندينافيا

وفي اسكندينافيا ايضا أذيعت رسالة المجيء فأثارات اهتماما واسع النطاق. وقد أوقظ كثيرون من طمأنينتهم العديمة الاكتراث ليعترفوا بخطاياهم ويتركوها ويطلبوا الغفران باسم المسيح . لكنّ رجال الا كليروس في كنيسة الدولة قاوموا تلك الحركة واستخدموا نفوذهم في الزج ببعض من كانوا يكرزون بتلك الرسالة في غياهب السجون . وفي أماكن كثيرة حيث كان يصمت صوت الكارزين برسالة مجيء الرب القريب على هذا النحو سر الله بأن يرسل الرسالة بطريقة عجائبية بواسطة الاطفال الصغار . فاذ كانوا لم يبلغوا سن الرشد لم يمكن لقانون الدولة أن يردعهم، ولذلك سُمح لهم بأن يتكلموا من دون ازعاج.

كانت الحركة على الاكثر بين الطبقات الفقيرة، وفي مساكن العمال الوضيعة اجتمع الشعب لسماع الانذار . والاطفال الكارزون أنفسهم كان معظم هم من أولاد الفقراء . وبعض منهم لم تكن أعمارهم تتجاوز السادسة أو الثامنة . ولما كانت حياتهم تشهد بمحبتهم للمخلص وكانوا يجتهدون في اطاعة مطالب الله المقدسة كانوا يظهرون عادة الذكاء والمقدرة المألوفين فقط عند من هم في مثل أعمارهم . ومع ذلك فعندما كانوا يقفون أمام الشعب كان من الجلي أنهم كانوا يتحركون بقوة تفوق مواهبهم الطبيعية . كانت نغمة كلامهم وطريقتهم تتغير. وبقوة مقدسة كانوا يقدمون الانذار عن الدينونة . مستخدمين أقوال الكتاب نفسها: "خافوا الله واعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته". وكانوا يوبخون خطايا الشعب، فلم يدينوا الفساد والدعارة والرذيلة وحدها بل [407] كانوا يوبخون محبة العالم والارتداد، وينذرون سامعيهم بالاسراع في الهروب من الغضب الآتي.

يد الله في النهضة

استمع الناس مرتعبين . لقد كان روح الله المبكِت يخاطب قلوبهم . وقد بدأ كثيرون يفتشون الكتب باهتمام جديد أعمق، وأُصلح المدمنون والفاسدون . وآخرون هجروا أعمال الخيانة . وتم عمل عظيم حتى أن خدام الكنيسة أنفسهم التابعين للدولة اجبروا على الاعتراف بأن يد الله كانت عاملة في تلك الحركة.

كانت ارادة الله أن تصل أخبار مجيء المسيح الى ممالك اسكنديناقيا، فعندما أبكمت أصوات خدامه وضع روحه في الاطفال حتى يتم العمل . عندما اقترب يسوع من أورشليم تتبعه الجموع الفرحة المتهللة التي بهتافات الانتصار والتلويح بسعوف النخل أعلنت أنه ابن داود طلب منه الفريسيون الحاسدون أن يسكتهم، لكنّ يسوع أجابهم قائلا ان ذلك كان اتماما للنبوة، وانه ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ . والشعب اذ جبنوا أمام تهديدات الكهنة والرؤساء كفوا عن نداءاتهم الفرحة عند دخولهم من أبواب أورشليم، أما الاولاد فاذ كانوا في أروقة الهيك ل بعد ذلك عادوا يرددون الهتافات، واذ كانوا يلوحون بسعوف النخل هتفوا قائلين: "اوصَنّا لابن داود" (متى ٢١ : ٨ — ١٦). وعندما قال له ا لفريسيون وهم في أشد حالات الغيظ: "أتسمع ما يقول هؤلاء" ؟ قال لهم يسوع: "نعم أما قر أتم قط من أفواه الاطفال والرضع هيأت تسبيحا" ؟ فكما استخدم الله الاطفال عند المجيء الاول للمسيح كذلك استخدمهم في تقديم رسالة مجيئه الثاني . ينبغي أن يتم قول الله، وهو أن اذاعة خبر مجيء المخلص يجب أن تعطى لكل شعب ولسان وأمة . [408]

لقد أعطي لوليم ميلر وزملائه أن يبشروا بالانذار في أمريك ا. وصارت هذه البلاد المركز لحركة المجيء العظيمة . وفيها كان الاتمام المباشر لرسالة الملاك الاول. لقد وصلت مؤلفات ميلر وزملائه الى البلدان البعيدة . وفي كل مكان وصل اليه المرسلون في انحاء المعمور أرسلت بش ارة مجيء المسيح القريب . وفي الاماكن البعيدة والقريبة انتشرت رسالة البشارة الابدية القائلة: "خافوا الله واعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته".

ان شهادة النبوات التي بدا أنها تشير الى مجيء المسيح في ربيع عام ١٨٤٤ تمكنت من عقول الناس . واذ انتقلت ا لرسالة من ولاية الى أخرى استيقظ اهتمام الناس الى أبعد مدى، وقد اقتنع كثيرون بأن البراهين المأخوذة من الفترات النبوية كانت صحيحة، فاذ ضحوا بكبرياء التشبث بآرائهم قبلوا الحق بكل سرور. وبعض الخدام ألقوا جانبا آراءهم ومشاعرهم الطائفية وتركوا مرتباتهم وكنائسهم و اتحدوا مع غيرهم في اذاعة نبإ مجيء يسوع . ومع ذلك فقد كان يوجد خدام قليلون نسبيا قبلوا هذه الرسالة ولذلك سُلمت الرسالة بالاكثر الى العلمانيين البسطاء . لقد ترك الفلاحون حقولهم والميكانيكيون آلاتهم والتجار تجارتهم وارباب المهن مراكزهم، ومع ذلك فان عدد العمال ك ان صغيراً مقارنة بالعمل العظيم الذي كان ينبغي إتمامه . ان حالة الكنيسة الآثمة الضالة والعالم الذي انغمس في الشر اثقلت نفوس الرقباء الامناء، فبكل سرور ورضى احتملوا التعب والفقر والآلام ليدعوا الناس للتوبة المؤدية الى الخلاص . وعلى رغم مقاومة الشيطان فقد سار ذ لك العمل الى الامام بثبات، وقبل آلاف الناس حقيقة المجيء.

أهمية الاقتناع

وفي كل مكان سمعت الشهادة الفاحصة محذرة الخطأة من العالميين ومن أعضاء الكنائس لكي يهربوا من الغضب الآتي . وكما فعل يوحنا المعمدان، سابق المسيح، كذلك وضع اولئك الكارزون الفأس ع لى أصل الشجرة، وألحُّوا على الجميع بأن يصنعوا أثمارا تليق بالتوبة . وكانت أقوالهم وتوسلاتهم [409] المثيرة على نقيض تأكيدات السلام والأمان التي كانت تُسمع من المنابر المشهورة، وأينما وصلت الرسالة

أثرت في الناس . ان شهادة الكتاب المقدس البسيطة المباشرة اذ أوصلها الر وح القدس الى القلوب أحدثت في النفوس تبكيتا شديدا عجز الكثيرون عن مقاومته كلية . وقد استيقظ المعترفون بالديانة من طمأنينتهم الكاذبة . لقد رأوا ارتداداهم المتكرر ومحبتهم للعالم وعدم ايمانهم وكبرياءهم وأنانيتهم . وكثيرون طلبوا الرب تائبين متذللين . والعواطف التي ظلت طويلا متعلقة بالارضيات تعلقت الان بالسماء . واستقر روح الله عليهم، وبقلوب لينة وخاضعة اشتركوا مع غيرهم في اطلاق هذه الصيحة: "خافوا الله واعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته".

وقد سأل الخطأة وهم ينتحبون قائلين: "ماذا أفعل لكي أخلص ؟" والذين اتصفت حياتهم قبلا بعدم الامانة صاروا الآن راغبين في التعويض عما اختلسوه. وكل من حصلوا على السلام في المسيح تاقوا الى مقاسمة الآخرين البركة. لقد رُدت قلوب الآباء الى أبنائهم وقلوب الابناء الى الآباء، واكتُسحت حواجز الكبرياء والتكتم، وقدم كثيرون اعترافات من أعماق قلوبهم، وحاول أفراد العائلات تخليص الذين كانوا أقرب اليهم وأعز على قلوبهم من الجميع. وكثيرا ما كانت تُسمع صلاة شفاعية حارة . وفي كل مكان كانت توجد نفوس في آلام نفسية شديدة وهي تتوسل الى الله . وكثيرون كانوا يقضون الليل بطوله مع اهدين بالصلاة في طلب الحصول على اليقين بأن خطاياهم قد غفرت، أو في طلب خلاص أقربائهم أو جيرانهم وهدايتهم.

وتقاطر الناس من كل الطبقات لحضور اجتماعات الادفنتست . فالاغنياء والفقراء والاعلون والادنون كانوا لاسباب مختلفة مشتاقين أن يسمعوا لانفسهم تعليم المجيء ا لثاني. لقد أوقف الرب روح الاضطهاد عند حدها عندما كان عبيده يشرحون للناس أسباب ايمانهم . وفي بعض الاحيان كانت الاداة ضعيفة، لكنّ روح الله كان يمنح حقه قوة . وفي هذه الاجتماعات كان الناس يحسون بحضور ملائكة الله القديسين فكان كثيرون ينضمون الى المؤمنين كل يوم . وعندما كانت تردد البراهين على قرب مجيء المسيح كانت جماهير تصغي [410] في سكون تام الى الاقوال المقدسة الخطيرة . وقد بدا كأن السماء والارض تقاربتا. وأحس الجميع بقدرة الله على الكبار والصغار والمتوسطي الاعمار. وسار الناس الى بيوتهم والتسبيح والتمجيد على شفاههم، وكانت تلك الاصوات الفرحة تشق سكون الليل . ولا يستطيع كل من حضر هذه الاجتماعات أن ينسى مشاهد الاهتمام العميق هذه.

مقاومة عنيفة للرسالة

أثارت اذاعة الوقت المحدد لمجيء المسيح مقاومة كثيرين من كل الطبقات، من الخدام في منابرهم الى أشد الخطأة طياشة وتحديا للسماء. وقد تمت أقوال النبوة القائلة: "أنه سيأتي في آخر الايام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم . وقائلين أين هو موعد مجيئه لانه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة" (٢ بطرس ٣ : ٣ و ٤). ان كثيرين ممن كانوا يعترفون بمحبتهم للمخلص أعلَنوا أنهم لا يقاومون تعليم المجيء الثاني، انما هم فقط يعترضون على تحديد الوقت . لكنّ عين الله التي ترى كل شيء قرأت خواطر قلوبهم. انهم لم يريدوا أن يسمعوا عن مجيء المسيح ليدين المسكونة بالعدل. كانوا عبيدا غير أمناء، وأعمالهم لم تكن تحتمل فحص الله، سابر القلوب، فكانوا يخشون من لقاء الههم . ومثل اليهود الذين كانوا عائشين في أيام المجيء الاول لم يكونوا متأهبين للترحيب بيسوع . وهم لم يكتفوا برفض الاصغاء الى براهين الكتاب الصريحة بل سخروا بمن كانوا ينتظرون الرب . ولقد فرح الشيطان وملائكته بذلك وألقوا بالتعيير في وجه المسيح والملائكة القديسين قائلين ان شعبه المعترفين باسمه لا

يحبونه الا قليلاً بحيث أنهم لا يحبون ظهوره. [411]

حجة المعارضين الرئيسة

الحجة التي كان يوردها كثيرا رافضو عقيدة المجيء هي هذه: "ان أحدا من الناس لا يعرف اليوم ولا الساعة" وهذا ما قاله الكتاب: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا أبي وحده" (متى ٢٤ : ٣٦). وقد قدم اولئك الذين كانوا ينتظرون الرب شرحا واضحا ومتناسقا لذلك القول، وظهر واضحا الاستعمال المخطئ لذلك القول الذي أورده خصومهم . لقد نطق المسيح بتلك الاقوال في ذلك الحديث التاريخي مع تلاميذه على جبل الزيتون بعدما رحل عن الهيكل لآخر مرة . وقد طرح التلاميذ اليه هذا السؤال: "ما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر" ؟ فأعطاهم يسوع العلامات ثم قال: "متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الابواب" (متى ٢٤ : ٣ و ٣٣) . ينبغي الا يناقض كلام المخلص بعضه بعضا. فمع أنه لا يعرف أحد يوم مجيئه ولا ساعته فانه يعلمنا ويطلب منا معرفة متى يكون قريبا. ثم هو يعلمنا أيضا أن استخفافنا بانذاره ورفضنا معرفة قرب مجيئه او اهمالنا اياه سيكون مهلكا لنا كما كان لمن عاشوا في أيام نوح لكونهم لم يعرفوا متى يجيء الطوفان . والمثل الذي ورد في الاصحاح نفسه الذي فيه قارن بين العبد الامين والعبد الخائن، وفيه نطق بالدينونة على ذلك العبد الذي قال في قلبه: "سيدي يبطئ قدومه"، يرينا في أي نور يقبل المسيح ويكافئ الذين يجدهم أمناء ساهرين ويعلمون الناس عن مجيئه، ويجازي من ينكرونه . وهو يقول: "اسهروا اذاً"، "طوبى لذلك العبد الذي اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا" (متى ٢٤ : ٤٦)، "ان لم تسهر أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك" (رؤيا ٣ : ٣).

يتكلم بولس عن فئة من الناس سيكون مجيء الرب مفاجئا لهم . فيقول: "ان يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء لانه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة ... فلا ينجون". ولكنه بعد ذلك يوجِّه كلامه الى الذين التفتوا الى انذار المخلص فيقول: "أما أنتم أيها الاخوة فلستم [412] في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص . جميعكم أبناء نور وأبناء نهار . لسنا من ليل ولا ظلمة" (١ تسالونيكي ٥ : ٢ — ٥).

وهكذا تبيَّن ان الكتاب لا يقدم الى الناس ترخيصا بأن يظلوا جاهلين في ما يختص بقرب مجيء المسيح . ولكن فقط اولئك الذين كانوا يبحثون عن عذر لرفض الحق هم الذين صموا آذانهم عن سماع هذا التفسير . وقد ظل هذا القول "ليس احد يعرف اليوم ولا الساعة" يرن في آذان الساخرين الجريئين، بل حتى الخدام المعترفين بولائهم للمسيح . واذ استيقظ الناس وابتدأوا يسألون عن طريق الخلاص تقدم المعلمون الدين يون ليحولوا بينهم وبين الحق محاولين أن يخففوا من مخاوفهم بتفسيرهم الكاذب لكلمة الله . لقد تعاون الرقباء غير الامناء مع المخادع الاعظم اذ كانوا يصرخون قائلين سلام سلام مع أن الله لم يقل لهم سلام. وكالفريسيين في أيام المسيح كثيرون يرفضون دخول ملكوت السموات بأنفسهم، بل أكثر من ذلك هم يمنعون الداخلين من الدخول . وسيُطلب دم هذه النفوس من أيديهم .

ان أفقر الناس في الكنائس وأعظمهم ورعا وتقوى كانوا كالمعتاد أول من قبلوا الرسالة . والذين درسوا الكتاب لانفسهم لم يسعهم الا أن يروا الصفة غير الكتابية للآراء المألوفة عن ا لنبوة. وفي كل مكان لم يكن الناس فيه خاضعين لنفوذ الاكليروس، وفي كل مكان أمكنهم فيه أن يتقصوا كلمة الله لانفسهم لم تكن عقيدة المجيء في حاجة الى أكثر من مقارنتها بالكتب المقدسة لاثبات سلطانها الالهي.

وكثيرون اضطهدهم أخوتهم غير المؤمنين . والبعض منهم في سبيل الاحتفاظ بمكانتهم في الكنيسة

رضوا بالسكوت عن التصريح برجائهم، لكنّ آخرين أحسوا بأن ولاءهم لله يمنعهم من اخفاء تلك الحقائق التي أودعها بين أيديهم . وقد قطع عدد غير قليل منهم من شركة الكنيسة لا لسبب آخر سوى التصريح باعتقادهم بمجيء المسيح . والذين احتملوا تجربة ايمانهم كانت كلمات النبي ثمينة وعزيزة عليهم جدا اذ قال: "قال اخوتكم الذين [413] أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمي ليتمجد الرب . فيظهر لفرحكم أما هم فيخزون" (اشعياء ٦٦ : ٥).

وقد كان ملائكة الله يراقبون نتيجة الانذار بأعظم اهتمام . فعندما رفضت الكنائس الرسالة بصورة عامة ارتد الملائكة حزانى ومكتئبين . ولكن كان يوجد كثيرون ممن لم يُختبروا في ما يختص بحق المجيء . وكثيرون أضلهم الازواج والزوجات والآباء والاولاد فجعلوهم يعتقدون أنه حتى مجرد الاصغاء الى الهرطقات التي يذيعها المجيئيون خطيئة . وقد كلف الم لائكة بحراسة هذه النفوس بكل أمانة، لان نورا جديدا آتيا من عرش الله موشك أن يشرق عليهم.

وبشوقٍ لا يوصف كان الذين قبلوا الرسالة يتوقعون مجيء المخلص . كان الوقت الذي سيلتقون به فيه قريب اً. فاقتربوا من هذه الساعة بوقار هادئ رصين . واستراحوا للشركة الحلوة مع الله كعربون للسلام الذي كانوا سيتمتعون به في الابدية المتألقة المجيدة . ان من قد اختبر هذا الرجاء وهذه الثقة لا يمكنه أن ينسى ساعات الانتظار الثمينة تلك . وطوال بضعة أسابيع قبل الوقت ألقي بأكثر الاعمال الدنيوية جانبا، وقد جعل المؤمنون المخلصون يمتحنون بكل دقة كل أفكار قلوبهم وبواعثهم ، كما لو كانوا مضطجعين على فراش الموت وبعد ساعات قليلة ستغمض عيونهم عن رؤية المناظر الارضية . انهم لم يصنعوا لانفسهم "حللا ليصعدوا بها الى السماء" (انظر التذييل) ولكنهم أحسوا بالحاجة الى البره ان الداخلي على أنهم مستعدون لملاقاة المخلص ، فثيابهم البيض كانت هي طهارة النفس والصفات المطهرة من الخطيئة بدم المسيح المكفر . يا ليت كل المعترفين بأنهم شعب الله تكون لهم روح فحص القلب هذه وذلك الايمان الغيور الثابت الذي لا يتزعزع . فلو أنهم داوموا على الاتضاع أمام الرب وقدموا طلباتهم بإلحاح أمام عرش الرحمة لكان لهم اختبار أغنى مما لهم الآن . ان الصلاة والتبكيت الحقيقي على الخطيئة يكادان يكونان معدومين . والإفتقار إلى الايمان الحي يجعل الكثيرين منا محرومين من النعمة التي يقدمها فادينا بكل غنى. [414]

قصد الله أن يمتحن شعبه . فقد أخفى غلطة في حساب الفترات النبوية . ولم يكتشف منتظرو المجيء هذه الغلطة، كلا ولا أكتشفها أذكى خصومهم وأغزرهم علم ا. فلقد قال اولئك الخصوم: "ان حسابكم للفترات النبوية صحيح وان حادثة عظيمة توشك أن تحدث . ولكنها ليست هي التي يتنبأ عنها السيد ميلر، انما هي هداية العالم وليست هي المجيء الثاني للمسيح" (انظر التذييل).

خيبة أمل مريرة

مر وقت الانتظار ولكن لم يظهر المسيح لخلاص شعبه، فالذين بايمان ومحبة خالصين انتظروا مخلصهم جازوا في اختبار خيب ة مريرة . ومع ذلك فقد تمت مقاصد الله الذي كان يختبر قلوب الذين كانوا يقرون بأنهم ينتظرون ظهوره . وكان بينهم جماعة لم يكن يدفعهم الى ذلك غير باعث الخوف، وإعترافهم بالإيمان لم يؤثر في قلوبهم أو حياتهم، فلما لم يحدث ذلك الحادث المنتظر أعلن هؤلاء القوم أنهم لم يفشلوا ولا خابت آمالهم، لانهم لم يكونوا يعتقدون بأن المسيح سيأتي . وكانوا أول من سخروا من حزن المؤمنين الحقيقيين.

لكنّ يسوع وكل أجناد السماء أشرفوا بحب وعطف على اولئك المجربين الامناء الذين قد خابت آمالهم . ولو انكشف الستار الذي يحجب العالم غير المنظور عن ا لعالم المنظور لكان الناس يرون الملائكة يقتربون من هذه النفوس الثابتة ويصدون عنها غائلة سهام الشيطان. [415]

الفصل الحادي و العشرون ـــ يحصدون الزوبعة

ان وليم ميلر وزملاءه وهم يكرزون بتعليم المجيء الثاني كان غرضهم الاوحد من كدهم وتعبهم هو ايقاظ الناس ليستعدوا للدينونة . لقد عملوا على ايقاظ المعترفين بالديانة الى رجاء الكنيسة الحقيقي والى الحاجة الى اختبار مسيحي أع مق، كما حاولوا ايضا أن يوقظوا غير المتجددين الى واجب التوبة السريعة والاهتداء الى الله . ”انهم لم يحاولوا أن يضموا الناس الى طائفة أو فئة دينية، ولهذا كانوا يخدمون بين كل الأحزاب والطوائف من دون أن يتدخلوا في شؤونهم أو أنظمتهم“.

ولقد قال ميلر: ”في كل خدماتي لم أكن أرغب أو أفكر ابدا في اقامة مطلب أو تدبير يختلف عن مطالب الطوائف القائمة، أو أن انفع طائفة على حساب طائفة أخرى، ولكني فكرت في نفع الجميع واذ كنت افترض أن جميع المسيحيين سيفرحون برجاء مجيء المسيح، وأن ا لذين لم يكونوا يستطيعون أن يروا ما اراه لن تقل محبتهم لمن يعتنقون هذه العقيدة، لم أكن أرى ضرورة لعقد اجتماعات منفصلة . وكان مطلبي الوحيد هو تجديد النفوس الى الله وانذار العالم بالدينونة المقبلة واقناع الناس باعداد [416] قلوبهم حتى يمكنهم لقاء الههم بسلام . وقد اتحد غالبية من قد تجددوا بتأثير خدماتي وكرازتي مع الكنائس المختلفة“ (٣٢٣).

واذ اثمرت جهوده وخدماته في بناء الكنائس، ظل الناس بعض الوقت ينظرون اليها نظرة الرضى، ولكن عندما قاوم الخدام والقادة الدينيون عقيدة المجيء ورغبوا في كبت كل اه تياج يمكن أن يحدثه ذلك الموضوع لم يكتفوا باعلان مقاومتهم لهذه العقيدة من منابرهم بل حرموا على أعضاء كنائسهم الذهاب الى تلك الاجتماعات لسماع رسائل عن المجيء الثاني أو التحدُّث عن رجائهم في الحفلات الاجتماعية التي تقام في الكنائس . وهكذا وجد المؤمنون انفسهم ف ي مركز تجربة وارتباك . لقد كانوا يحبون كنائسهم ولم يكونوا يرغبون في الانفصال عنه ا. و لكن اذ رأوا شهادة كلمة الله مكبوتة وقد انكر عليهم حقهم في فحص النبوات، أحسوا بأن ولاءهم لله يمنعهم من الخضوع . كما انهم انكروا على الذين حاولوا اسكات شهادة كلمة الله احتكاره م عضوية كنيسة المسيح، ”عمود الحق وقاعدته“، ولذلك أحسوا أنهم لا لوم عليهم في الانفصال عن الروابط القديمة. وفي صيف عام ١٨٤٤ انسحب من الكنائس قرابة خمسين الفا.

قرابة ذلك التاريخ لوحظ تغيير ملحوظ في معظم الكنائس في الولايات المتحدة كله ا. ولمدة سنين عديدة زاد تشبه المسيحيين بأهل العالم في ممارساتهم وعاداتهم زيادة ثابتة ولكن متدرجة، وظهر تبعا لذلك انحطاط في الحياة الروحية الحقيقية، ولكن في تلك السنة كانت توجد أدلة على وجود انحطاط ملحوظ مفاجئ في كل كنائس البلاد تقريب ا. وفي حين أنه لم يبد أن أحدا يستطيع أن يدلي بأسباب ذلك فان الحقيقة نفسه ا لوحظت في كل مكان وأبديت بصددها الملاحظات والتعليقات من منابر الصحافة والكنائس.

ففي اجتماع مجمع فيلادلفيا صرح المستر بارنز، صاحب تفسير الكتاب الواسع الانتشار وراعي كنيسة من أمهات كنائس تلك المدينة، ”بأنه قضى في الخدمة عشرين عام ا ولم يحدث طوال تلك السنين ان مارس الفريضة المقدسة من دون أن ينضم لى الكنيسة أعضاء جدد، قليلين كانوا او كثيرين، الا في آخر [417] مرة مارس فيها الفريضة . أما الان فلا توجد انتعاشات ولا يوجد متجددون يرجعون الى الله، ولا

يوجد نمو في النعمة ظاهرا في حياة ا لمعترفين بالديانة، ولا يأتي أحد الى مكتبه للتحدث معه عن خلاص نفوسهم . فاذ زادت الاعمال والتوقعات المشرقة للتجارة والصناعة زاد اهتمام الناس بالامور العالمية . وهذا يصدق على كل الطوائف" (٣٢٤).

انحراف الكنائس

وفي شهر شباط (فبراير) من تلك السنة عينها قال فيني، الاستاذ في كلية أوبرلين : "أمام أذهاننا تمثل هذه الحقيقة وهي أن عامة الكنائس البروتستانتية في بلادنا إما انها تغط في سبات عميق وإما انها تضمر العداء لاغلب الاصلاحات الاخلاقية في هذا العصر . توجد استثناءات جزئية، ومع ذلك فهي ليست كافية للتدليل على أن الحا لة العامة هي على عكس ما قد قررته. كما أن لدينا حقيقة أخرى هي انعدام تأثير الاصلاح في الكنائس . ان السبات الروحي يكاد يكون شاملا ومتفشيا في كل مكان، وهو سبات عميق جدا، وهذا ما تشهد به الصحافة الدينية ... ان اعضاء الكنائس عموما قد صاروا عبيدا للازياء والعادت ا لعالمية، مثلهم في ذلك مثل أبناء هذا الدهر . فهم يصحبون الاشرار في حفلات الطرب والمسرات وفي الرقص واقامة الولائم الخ ... ولكن لا حاجة بنا الى الاسترسال في هذا الموضوع المؤلم . ويكفي أن نقول ان البراهين تتكاتف وتزيد وتضغط بثقلها على قلوبنا، وهي تبرهن لنا أن الكن ائس عموما سائرة في طريق الانحطاط المؤلم. لقد ابتعدت عن الرب بعدا قاصيا ولذلك فقد انسحب منها".

وقد كتب احد الكتَّاب في صحيفة "التلسكوب الديني" فشهد قائلا: "لم يسبق لنا أن رأينا انحطاطا دينيا كهذا الانحطاط الشامل الراهن . وفي الحقيقة يجب على الكنيسة أن تستيقظ وتبحث عن سر هذه البلية، اذ يجب على كل محب لصهيون أن يرى فيها بلية . وعندما نذكر ندرة عدد حالات التجديد الحقيقي ووقاحة الخطأة وقسوتهم التي لا مثيل لها فاننا نكاد نصرخ رغما عنا [418] قائلين: "هل نسي الله رحمته أم أن باب الرحمة قد أغلق ؟"

سبب الحالة

مثل هذه الحالة لا يمكن أن توجد من دون أن تكون العلة في الكنيسة نفسها. فالظلمة الروحية التي تكتنف الامم والكنائس والافراد لا تعزى الى تعسف الله في سحب امدادات نعمته الالهية بل الى اهمال الانسان أو رفضه النور الالهي . وان لنا في تاريخ الشعب اليهودي في عهد المسيح مثلا رائعا على صدق هذا الكلام . فلكونهم أحبوا العالم ونسوا الله وكلمته عميت أذهانهم وصارت قلوبهم أرضية وشهوانية . وهكذا جهلوا كل شيء عن مجيء مسيا، وفي كبريائهم وعدم ايمانهم رفضوا الفادي . وحتى في ذلك الحين لم يحرم الله الامة اليهودية من معرفة بركات الخلا ص او الاشتراك فيه .لكنّ الذين رفضوا الحق ما عادت لهم بعد ذلك رغبة في الحصول على هبة السماء . لقد كانوا "يقولون للظلام نورا وللنور ظلاما" الى أن صار النور الذي كان فيهم ظلام ا. وما كان أعظم ذلك الظلام!

أنه مما يروق لسياسة الشيطان أن يُبقي الناس على صورة الديانة وطقوسها اذا كان يعوزهم روح التقوى الحيوية . ان اليهود بعدما رفضوا الانجيل ظلوا محتفظين بطقوسهم القديمة بكل غيرة، كما ظلوا محتفظين بانطوائهم القومي في حين انهم هم انفسهم لم يسعهم الا التسليم بأن الله ما عاد يعلن حضوره بينهم

. ان نبوة دانيال اشارت اشار ة لا تخطئ الى وقت مجيء مسيا، وانبأت نبوة مباشرة بموته الى حد أنهم لم يشجعوا أحدا على دراستها، وأخيرا نطق أحبار اليهود باللعنة على كل الذين حاولوا تقدير الزمن أو معرفته . وطوال ثمانية عشر قرنا ظل اليهود سادرين في عماهم وتحجر قلوبهم وهم عديمو الاكتراث لهبات الخلاص الرحيمة، وغير حافلين ببركات الانجيل، وكان ذلك انذاراً خطيرا ومخيفا بخطر رفض النور الآتي من السماء. [419]

وأينما يوجد السبب فلا بد أن تتبعه النتائج نفسه ا. ان من يتعمد اخماد اقتناعاته بالواجب لأن ذلك يتعارض مع ميوله لن يعود قادرا بعد ذلك على التمييز بين الحق والضلال . فالفهم تغشاه الظلمة، والضمير لا يعود يتأثر، والقلب يتقسى، والنفس تنفصل عن الله . فأينما يركل الناس رسالة الحق الالهي أو يستخفون بها فالكنيسة تلف في أكفان الظلام، ويفتر الايمان والمحبة، ويقتحم الكنيسة النفور والخصومات، وأعضاء الكنيسة يركزون مصالحهم وجهودهم في الممارسات العالمية، ويمعن الخطأة في صلابة قلوبهم.

انذار الى الكنيسة

ان رسالة الملاك الاول المذكورة في سفر الرؤيا الاصحاح الرابع عشر والتي فيها يعلن عن ساعة دينونة الله ويدعو الناس الى أن يخافوا الله ويسجدوا له كان المقصود بها أن تفصل الشعب المعترف بولائه لله بعيداً عن تأثيرات العالم المفسدة، وتوقظهم لمعرفة حالتهم الحقيقية، حالة محبة العالم والارتداد . ففي هذه الرسالة ارسل الله الى الكنيسة انذارا، ولو قُبل هذا الانذار لكان كفيلا باصلاح الشرور التي كانت تباعد بينهم وبين الله . وهم لو قبلوا تلك ا لرسالة الآتية من السماء واتضعت قلوبهم أمام الرب وطلبوا بكل اخلاص أن يستعدوا للوقوف في حضرته لظهر روح الله وقدرته في وسطهم . وكان في وسع الكنيسة أن تعود من جديد الى تلك الحالة المباركة، حالة الوحدة والايمان والمحبة التي سادتها في عصر الرسل عندما قيل عن المؤمنين انه كان لهم "قلب واحد ونفس واحدة" و "كانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة" ،"وكان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون" (أعمال ٤ : ٣٢ و ٣١ ؛ ٢ : ٤٧).

ولو أن الشعب المعترف بالله يقبل النور الذي يشرق لهم من كلمته لكانوا يصلون الى تلك الوحد ة التي قد صلى المسيح في طلبها، والتي يصفها الرسول بأنها: "وحدانية الروح برباط السلام". ثم يقول: "جسد واحد وروح واحد كما [420] دُعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة" (أفسس ٤ : ٣ — ٥).

مثل هذه كانت النتائج المباركة التي اختبرها اولئك الذين قبلوا رسالة المجيء. لقد أتوا من طوائف مختلفة، وقد نقضت حواجزهم الطائفية الى الارض، وتطايرت العقائد المتضاربة فصارت ذرات . وهجر الناس الرجاء غير الكتابي في عصر ذهبي مادي زمني . كما أصلحت الآراء الكاذبة الخاصة بالمجيء الثاني، واكتسحت الكب رياء ومجاراة العالم، وأصلحت الأخطاء، واتحدت القلوب في أجمل واعذب شركة . وصارت للمحبة والفرح السيادة العظمى . فاذا كانت هذه العقيدة قد حققت هذا كله للاقلية الذين قبلوها فلا بد أنها كفيلة بأن تحقق هذا ايضا لكل من يقبلونها.

لكنّ الكنائس عموما لم تقبل الانذار . فان خدامها بوصفهم "رقباء على بيت اسرائيل" وكان ينبغي لهم أن يكونوا أول من يميزون علامات مجيء يسوع، اخفقوا في فهم الحق من شهادة الانبياء ومن علامات الازمنة . فاذ امتلأ القلب بالآمال والمطامع الدنيوية فترت المحبة لله والايمان بكلمته، فعندما قدمت رسالة المجيء أثارت تعصبهم وعدم ايمانهم . ان واقع كون الذين كرزوا بهذه العقيدة كانت غالبيتهم من

العلمانيين استخدم ضده ا. لقد قوبلت شهادة كلمة الله الصريحة كم في القديم بهذا السؤال: "ألعل احدا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به" (يوحنا ٧ : ٤٨)، واذ ايقنوا صعوبة تفنيدالبراهين المقتبسة من الفترات المذكورة في كتب الانبياء ثبطوا همم الكثيرين حتى لا يدرسوا النبوات، اذ علموهم أن الاسفار النبوية مختومة ولا يمكن فهمه ا. ولما كان كثيرون من الناس واثقين بخدامهم ثقة كاملة رفضوا الاصغاء الى الانذار، بينما آخرون مع اقت ناعهم بالحق لم يجرؤوا على الاعتراف به لئلا "يخرجوا من المجمع". ان الرسالة التي بعثها الله لاختبار الكنيسة وتطهيرها كشفت بكل تأكيد عن كثرة عدد من ثبتوا محبة قلوبهم على هذا العالم بدلا من أن يحبوا المسيح . فالاواصر التي ربطتهم بالارض كانت أقوى من الدوافع التي جذبتهم الى السماء . لقد اختاروا الاصغاء الى صوت الحكمة الدنيوية وابتعدوا عن رسالة الحق الفاحصة للقلب. [421]

واذ رفضوا انذار الملاك الاول رفضوا الوسيلة التي قد اعدتها السماء لردهم . لقد رفضوا رسول الرحمة وطردوه، ذلك الرسول الذي كان يستطيع أن يصلح الشرور التي فصلتهم عن الله، وبشوق عظيم ارتدوا ينشدون صداقة العالم . كان هذا هو سبب حالة محبة العالم المخيفة والارتداد والموت الروحي الذي حل بالكنائس في عام ١٨٤٤ .

اننا نجد في الاصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا ان الملاك الاول يتبعه ملاك آخر يعلن قائلا: "سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الامم من خمر غضب زناها" (رؤيا ١٤ : ٨). ان كلمة "بابل" معناها بلبلة أو ارتباك . وهي تستعمل في الكتاب المقدس لتحدد وتعين الاشكال المختلفة لدين الارتداد الكاذب . وفي رؤيا ١٧ نجد أن بابل ممثلة بهيئة امرأة، وهذا رمز يستخدم في الكتاب ليشير إلى الكنيسة، فالمرأة الفاضلة ترمز الى الكنيسة الطاهرة، أما المرأة الشريرة الفاسدة فترمز الى الكنيسة المرتدة.

وفي الكتاب المقدس نجد أن الصفة المقدسة الدائمة للعلاقة الكائنة بين المسيح والكنيسة ممثلة في الارتباط بالزواج . لقد اقترن الرب بشعب ه وضمه الى نفسه بعهد مقدس، فمن ناحيته يعدهم بأن يكون لهم الهاً وهم من ناحيتهم يتعهدون بأن يكونوا خاصة له وحده . وهو يعلن قائلا: "وأخطبك لنفسي الى الابد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والاحسان والمراحم" (هوشع ٢ : ١٩). ومرة اخرى يقول: "لأني سُدت عليكم [أي تزوج تكم]" (ارميا ٣ : ١٤). واستخدم الرسول بولس التشبيه ذاته في العهد الجديد اذ قال: "خطبتكم لرجل واحد لاقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كورنثوس ١١ : ٢).

ان عدم أمانة الكنيسة للمسيح، اذ حولت ثقتها وعواطف محبتها عنه وسمحت لمحبة أمور العالم أن تحتل النفس، شبيه بتدني س عهد الزواج . وخطيئة اسرائيل في تركهم للرب ينظر اليها بالمنظار نفسه . فمحبة الله العجيبة التي ازدروها الى هذا الحد صوِّرَتْ على نحو مؤثر اذ يقول الله: "حلفت لكِ ودخلت معكِ في عهد يقول السيد الرب فصرتِ لي". "وجملت جدا جدا فصلحتِ [422] لمملكة. وخرج لكِ اسم في الامم لجمالك لأنه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك... فاتكلتِ على جمالك وزنيتِ على اسمك". "حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت اسرائيل يقول الرب". "أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ اجنبيين مكان زوجها" (حزقيال ١٦ : ٨ و ١٣ ــــ ١٥ ؛ ارميا ٣: ٢٠ ؛ حزقيال ١٦ : ٣٢).

واننا نجد في العهد الجديد كلاما قريب الشبه جدا بهذا موجها الى المسيحيين المعترفين بالمسيح الذين يطلبون صداقة العالم من دون رضى الله. يقول الرسول يعقوب: "أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله" (يعقوب ٤ : ٤).

المرأة المرتدة

ان المرأة (بابل) المذكورة في رؤيا، الاصحاح السابع عشر، موصوفة بأنها "متسربلة بأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب في يدها مملوء رجاسات ونجاسات ... وعلى جبهتها اسم مكتوب "سر بابل العظيمة أم الزواني" . و يقول النبي "رأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع ". وقد أعلن عن بابل أيضا أنها "المدينة العظيمة التي لها ملك على ملوك الارض" (رؤيا ١٧ : ٤ — ٦ و ١٨). ان القوة التي بسطت طوال قرون عديدة سيادتها المتعسفة الظالمة على ملوك العالم المسيحي هي روما. والارجوان والقرمز والحجارة الكريمة والذهب واللؤلؤ تصور لنا بكل جلاء الابهة والعظمة والفخامة التي تزيد على عظمة الملوك والتي كان يتباهى بها كرسي البابوات المتعجرفين في روما. ولا يمكن أن سلطانا آخر يصدق عليه القول بأنه "سكر من دم القديسين" كما صدق على تلك الكنيسة التي قد اضطهدت اتباع المسيح بكل قسوة . ثم ان بابل متهمة أيضا باتحادها وارتباطها غير المشروع "بملوك الارض". ان الكنيسة اليهودية بسبب تركها الرب وتحالفها مع الوثنيين صارت زانية، وكذلك روما اذ افسدت نفسها بالطريقة ذاتها وطلبت [423] معاضدة القوات الارضية تقع تحت تلك الدينونة عينها.

سقوط بابل

وقد قيل عن بابل انها "أم الزواني". وبناتها ترمز الى الكنائس التي تتمسك بتعاليمها وتقاليدها وتتبع مثالها في التضحية بالحق ورضى الله واستحسانه في سبيل ابرام تحالف غير مشروع مع العالم . وان الرسالة الواردة في رؤيا، الاصحاح الرابع عشر، التي تعلن عن سقوط بابل لا بد أن تنطبق على كل الهيئات الدينية التي كانت قبلا طاهرة ولكنها فسدت . وبما أن هذه الرسالة تتبع الانذار بالدينونة فلا بد من تقديمها في الايام الاخيرة، ولذلك فلا يمكن أن تكون الاشارة الى كنيسة روما وحدها ، لأن الكنيسة ظلت في حالة السقوط قرونا طويلة . وفوق هذا ففي الاصحاح الثامن عشر من الرؤيا يطلب من شعب الله أن يخرجوا من بابل . وبناء على ما جاء في هذا الاصحاح لا بد أن يكون كثيرون من شعب الله باقين في بابل . ففي أي الهيئات الدينية يوجد السواد الاعظم من اتباع المسيح في هذه الايام؟ انهم لا شك موجودون في الكنائس المختلفة التي تعتنق العقيدة البروتستانتية. ان هذه الكنائس وقفت عند بدء ظهورها موقفا نبيلا الى جانب الله والحق فحلت عليها بركته . وحتى العالم غير المؤمن التزم الاعتراف بالنتائج الجميلة النافعة التي تبعت قبول الناس لمبادئ الانجيل . وقد وردت هذه الكلمات في أقوال النبي : "وخرج لكِ اسم في الامم لجمالِك لانه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب". لكنّ الرغبة التي كانت لعنة ودمارا لاسرائيل كانت هي نفسها علة سقوطهم، الا وهي رغبة التشبه بالاشرار في العادات ومحاولة التقرب منهم لكسب صداقتهم. "فاتكلت على جمالك وزنيتِ على اسمك" (حزقيال ١٦ : ١٤ و ١٥). [424]

تتحد مع العالم

ان كثيرا من الكنائس البروتستانتية تتمثل بروما في ارتباطها الآثم "بملوك الارض". كنائس الدولة في صلتها بالحكومات الارضية، وبطوائف أخرى في سعيها الى طلب رضى العالم . ويمكن اطلاق اسم "بابل" بلبلة بكل لياقة على هذه الهيئات، اذ انها كلها تعترف بأنه ا تقتبس تعاليمها وعقائدها من الكتاب، ومع ذلك فهي منقسمة الى شيع تكاد لا تحصى، وعقائدها ونظرياتها متضاربة.

وفضلا عن الاتحاد الآثم مع العالم فان الكنائس التي انفصلت عن روما تقدم صفات اخرى من صفاتها.

في احد المؤلفات الرومانية الكاثوليكية نجد هذا القول: "اذا كانت كنيسة روما مذنبة بعبادة الاوثان في علاقتها بالقديسين، فان ابنتها كنيسة بريطانيا قد ارتكبت الخطيئة نفسها، اذ انها تكرس عشر كنائس للعذراء في مقابل تكريس كنيسة واحدة للمسيح" (٣٢٥).

ثم ان الدكتور هوبكنز يعلن في "مقال كتبه عن العصر الالفي" قائلا: "لا يوجد ما يدعونا الى اعتبار الروح المنافية للمسيحية وممارستها قاصرة على الكنيسة التي تسمى الان كنيسة روم ا. فالكنائس البروتستانتية فيها كثير من هذه الروح، وهي أبعد ما تكون عن الاصلاح الكامل ... المنزَّه من الفساد والانحلال والشر" (٣٢٦).

وبخصوص انفصال الكنيسة المشيخية عن روما كتب الدكتور غوثري يقول: "منذ ثلاث مئة سنة خرجت كنيستنا من أبواب روما وعلى اعلامها صورة الكتاب المقدس مفتوحا وهذا الشعار فتشوا الكتب مكتوب على دَرْجِه ا". وبعد ذلك يسأل هذا السؤال الذي له مغزاه: "ولكن هل خرجوا من بابل خروجا كاملا بمعنى الكلمة ؟" (٣٢٧). [425]

و ها هو سبورجون يقول: "يبدو أن كنيسة بريطانيا قد أصيبت بنخر سوس التمسك بالفرائض والطقوس، لكنّ الانشقاق يبدو ملتبسا مع الالحاد الفلسفي. ان اولئك الذين كنا نفكر فيهم افكارا حسنة ينحرفون واحدا بعد الآخر عن أصول الايمان . واني اعتقد ان الا لحاد قد نخر في عظام بريطانيا، ذلك الالحاد اللعين الذي يجرؤ على اعتلاء المنبر ويدعو نفسه مسيحيا".

ماذا كان أصل الارتداد العظيم، وكيف بدأت الكنيسة في الانحراف عن بساطة الانجيل ؟ بمشاكلتها الممارسات الوثنية لتهوِّن على الوثنيين أمر قبولهم للمسيحية. وقد أعلن بولس الرسول حتى في عصره قائلا: "سر الاثم الان يعمل" (٢ تسالونيكي ٢: ٧). وقد ظلت الكنيسة طاهرة نسبيا في عهد الرسل، "ولكن قرابة القرن الثاني صار لمعظم الكنائس شكل جديد، فاختفت البساطة الاولى، وبعدما اضطجع التلاميذ الاولون في قبورهم قام نسلهم مع المهتدين الجدد ... وشكلوا شيئا فشيئا القضية المسيحية من جديد" (٣٢٨) ولكي يحصلوا على مهتدين خفضوا مقياس الايمان المسيحي السامي، ونتيجة لذلك "حدث أن طوفانا وثنيا غمر الكنيسة بممارسات الوثنية وعاداتها وأوثانها" (٣٢٩)، واذ ظفر الدين المسيحي برضى الرؤساء العالميين وم عاضدتهم قبلت جماهير الوثنيين الدين المسيحي قبولا اسمي ا. ولكن مع ان كثيرين كانوا مسيحيين في مظهرهم "فقد ظلوا وثنيين في قلوبهم، وكانوا على الخصوص يسجدون لاوثانهم في الخفاء" (٣٣٠).

العملية تتكرر

ألم تتكرر هذه العملية ذاتها في أغلب الكنائس التي تدعو نفسها بروتستانتية. فما ان تنقضي حياة مؤسسي الكنائس المصلحة الذين كان لهم روح الاصلاح الحقيقي حتى يتقدم اولادهم "ويشكلون القضية

من جديد". وفي حين ان اولاد المصلحين يتعلقون في عماهم بعقيدة آبائهم ويرفضون قبول أي حق كتابي جديد اكثر مما قد عرفوه فانهم يبتعدون بعدا قاصيا عن مثالهم، مثال [426] الوداعة وإنكار الذات ونبذ العالم . وهكذا "تختفي البساطة الاولى". ان طوفانا عالميا يكتسح الكنيسة "ويحمل معه اليها عادات العالم واعماله واوثانه".

واأسفاه، الى أي حد مخيف يحتضن اولئك المعترفون بأنهم اتباع المسيح محبة العالم التي هي "عداوة لله"! وما اعظم ابتعاد الكنائس المشهورة في العالم المسيحي عن مثال الكتاب المقدس، مثال الوداعة وانكار الذات والبساطة والتقوى ! لقد قال جون وسلي وهو في معرض حديثه عن استخدام المال استخداما صائبا: "لا تبذروا جزءا ولو صغيرا من هذه الوزنة الثمينة لمجرد اشباع شهوة العيون في التأنق ولبس الثياب الغالية الثمن او الزينة التي لا حاجة اليه ا. ولا تبذروا شيئا منها في تزيين بيوتكم أو شراء الصور والأثاث الغالي الثمن والزائد عن الحاجة، ولا في تمويه الجدران بماء الذهب ... ولا تضعوا شيئا يؤدي الى تعظم المعيشة او الى ا لظفر باعجاب الناس او مديحهم ... "ويمدحك الناس طالما أحسنت الى نفسك". فما دمت "تلبس البز والارجوان وتتنعم كل يوم مترفها" فلا شك ان الناس سيمتدحون جمال ذوقك وكرمك وسخاءك . ولكن احذر من أن تشتري مديحهم واستحسانهم بهذا الثمن الغالي . فخير لك ان تقنع بالكرامة ا لتي تأتيك من الله" (٣٣١). لكنّ كثيرا من الكنائس في أيامنا هذه تستخف بمثل هذا التعليم.

ادعاء التقوى

صار الاعتراف بالدين امرا مألوفا لدى العالم . فالحكام ورجال السياسة والمحامون والاساتذة العظام والتجار ينضمون الى الكنيسة كوسيلة تجعلهم يحصلون على احترام المج تمع وثقته ونجاح مصالحهم العالمية . وهكذا هم يحاولون أن يستروا كل صفقاتهم الآثمة تحت ستار الاعتراف بالمسيحية . والهيئات الدينية المختلفة اذ تتقوى بثراء هؤلاء العالميين المعتمدين ونفوذهم تطلب مزايدة أعلى للشهرة والرعاية . ان الكنائس الفخمة المزينة بأغلى الزينات توجد غالبا في الشوارع المشهورة . والعابدون يلبسون افخر الملابس المصنوعة [427] على احدث طراز . والخادم الموهوب يُعطي اجرا عظيما ومرتبا سخيا ليحتفي بالشعب ويجتذبهم . وينبغي الا تمس عظاته الخطايا المألوفة بل ان يكون الكلام ناعما ومسرا لتلك الآذان المهذبة . وهكذا تسجل اسماء الخطاة المهذبين في سجلات الكنيسة وتختفي الخطايا المهذبة تحت ستار التظاهر بالتقوى.

ان صحيفة عالمية شهيرة في تعليقها على موقف المعترفين بالمسيحية حيال العالم كتبت تقول : "لقد خضعت الكنيسة لروح العصر وهي لا تشعر، ووفقت بين طقوس عبادتها وحاجات العصر". "وفي الحق ان الكنيسة الآن تستخدم كل الوسائل التي من شأنها ان تجعل الديانة جذابة". وان كاتبا في صحيفة "نيويورك انديبندنت" يتحدث عن الكنيسة الميثودستية قائلا: "ان الحد الفاصل بين الاتقياء وغير المتدينين بدأ يبهت شيئا فشيئا بحيث صار امتزاجا بين النور و الظلام، والناس الغيورون من كلا الجانبين جاهدون في سبيل محو كل الفروق بين اساليب عملهم وتمتعاتهم". "ان اشتهار الديانة يؤول الى زيادة عدد الذين يرغبون في الحصول على فوائدها من دون القيام بواجباتها بكل انصاف".

ويقول هوارد كروسبي: "انه مما يدعونا الى ا لتفكير العميق كوننا نجد كنيسة المسيح لا تحقق اغراض سيدها الا بقدر ضئيل جد ا. فكما فعل اليهود قديما حين جعلوا اختلاطهم بالامم الوثنية يسترق قلوبهم ويجعلها تزيغ عن الله ... كذلك الحال مع كنيسة يسوع اليوم، التي تماثلهم بتحالفها واشتراكها

المخطئ مع العالم العديم الايمان، وبتخليها عن المثل الالهية العليا لحياتها الحقيقية الامينة، وبتسليمها نفسها لعادات المجتمع المعادي للمسيح، تلك العادات الوبيلة التي هي في الوقت نفسه غرارة، وباستخدام البراهين والوصول الى النتائج التي لا صلة بينها وبين اعلانات الله والتي تعادي وتعارض النمو في النعمة" (٣٣٢). [428]

انعدام روح التضحية لأجل المسيح

وفي هذا التيار الجارف، تيار محبة العالم والسعي في طلب المسرات، تكاد تضيع التضحية لاجل المسيح وانكار الذات. "ان بعضا من الرجال والنساء الذين يمارسون نشاطهم في كنائسنا كانوا قد تعلموا في طفولتهم ان يتدربوا على التضحية حتى يستطيعوا ان يعطوا او يفعلوا شيئا لاجل المسيح"، ولكن "اذا طُلبت نفقات الآن ... ينبغي الا يطلب من أي واحد ان يعطي . آه كلا ! اعملوا سوقا خيرية واعرضوا لوحات الرسم ومثلوا محاكمة كاذبة او اقيموا وليمة عشاء تقليدية او اي شيء يؤكل، اي شيء فيه تسلية ومتعة للناس".

اعلن الحاكم واشبرن من وسكونسن في خطابه السنوي في يوم ٩ كانون الثاني (يناير) من عام ١٨٧٣ قائلا: "يبدو اننا نحتاج الى سن قانون لاغلاق المدارس التي تخرِّج المقامرين . وهذه المدارس توجد كل مكان . بل حتى الكنيسة (وان يكن ذلك لعدم تيقظها بالطبع) احيانا تعمل عمل الشيطان . فالجوائز التي تقدم الى الجوقات الموسيقية، وجوائز المشاريع، واليانصيب الذي يكون احيانا لاغراض دينية او خيرية ولكن غالبا ما يكون لاغراض اقل لياقة، وبيع الاشياء بأوراق اليانصيب، والطرود الخادعة، كل هذه حيل للحصول على المال من دون مقابل . ليس ما يفسد الاخلاق أو يُسكر الناس، وعلى الخصوص الشباب، مثل احراز المال او الاملاك من دون كد او تعب . فاذا كان الناس المحترمون ينشغلون بهذه المشاريع التي هي رهن الصدفة، ويحاولون اسكات ضمائرهم بالتفكير في أن هذا المال ينفق في ابواب خيرية، فلا غرابة اذا كان شباب الوطن يسقطون مرارا في العادات التي غالبا ما يحدثها اهتياج الالعاب التي فيها مخاطرات".

ان روح مجاراة العالم تغزو الكنائس في كل العالم المسيحي . ويقدِّم روبرت اتكنز، في عظة له القاها في لندن، صورة قاتمة للانحطاط الروحي المتفشي في بريطانيا فيقول: "لقد نقص عدد الأبرار الحقيقيين من الارض، ولا أحد يضع [429] ذلك في قلبه . ان المعترفين بالديانة في أيامنا هذه في كل كنيسة محبون للعالم، وهم على شاكلته ومحبون للعزاء والراحة اللذين يأتيانهم من بني الانسان ويتحرقون شوقا الى الظفر باحترام الناس . انهم مدعوون لأن يتألموا مع المسيح ولكنهم ينكمشون حتى أمام التعيير ... ان الارتداد، الارتداد، الارتداد كلمة منقوشة في واجهة كل كنيسة . ولو كانت تلك الكنائس تعرف ذلك وتحس به لكان لها رجاء، ولكن واأسفاه ! فهم يصيحون قائلين: "اني انا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء" (٣٣٤).

ان الخطيئة العظيمة التي اتهمت بها بابل هي انها "سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها" (رؤيا ١٤ : ٨). وكأس الخمر هذه التي تقدمها الى العالم ترمز الى التعاليم الكاذبة التي قبلتها كنتيجة لعلاقتها غير المشروعة بعظماء الارض. فمصادقتها للعالم تفسد ايمانها، وهي بدورها تبذل جهدا مفسدا للعالم بتقديمها تعاليم مضادة لاوضح مبادئ الكلمة المقدسة واعظمها صراحة.

لقد حجبت روما الكتاب المقدس عن الناس وطلبت منهم جميعا أن يقبلوا تعاليمها هي بدلا من تعاليم

الكتاب . وكان عمل الاصلاح هو اعادة كلمة الله الى الناس، ولكن أ ليس امرا حقيقيا جدا أن الناس في كنائس عصرنا الحاضر يتعلمون ان يركزوا ايمانهم على عقيدتهم وتعليم كنيستهم لا على الكتاب؟ يقول تشارلس بيتشر في معرض كلامه عن الكنائس البروتستانتية: "انهم يرتعبون لدى سماع اقل كلمة قاسية تقال ضد العقائد بالحساسية العظيمة نفسها التي كان الآباء القديسون يحسونها ويرتعبون بسببها متى سمعوا كلمة جارحة تقال ضد عقيدة الاكرام الزائد للقديسين والشهداء التي تبنوه ا.. وان الطوائف البروتستانتية الانجيلية وقفت كلها صفا واحدا جنبا الى جنب ويدا بيد بحيث لم يكن انسان يستطيع ان يصير واعظا البتة من دون ان يقبل كتابا آخر مع الكتاب المقدس... وليس من باب التصور او الخيال ان نقرر ان قوة العقيدة قد بدأت تحرم الكتاب المقدس مثلما عملت روما سواء بسواء، انما بطريقة اشد مكرا واحتيالا" (٣٣٥). [430]

عندما يفسر المعلمون الامناء الكتاب ويشرحونه جيدا ينبري رجال العلم والخدام ويقررون أنهم يفهمون الكتاب . وهؤلاء يشهِّرون بالعقيدة السليمة قائلين انها هرطقة، وهكذا يضللون طالبي الحق . ولولا ان العالم قد سكر بخمر بابل بحيث صارت حاله ميئوسا منها لامكن تبكيت جماهير كثيرة وهدايتهم بواسطة حقائق كلمة الله الجارحة . لكن الايمان او العق يدة الدينية تبدو مشوشة ومتنافرة بحيث ان الناس لا يعرفون ما الذي يجب ان يؤمنوا به على انه الحق . فعلى الكنيسة تقع تبعة خطيئة تحجر قلب أهل العالم.

ان رسالة الملاك الثاني المذكورة في رؤيا ١٤ بشَّر بها اولا في عام ١٨٤٤، وقد طبقت حينئذ تطبيقا مباشرا على كنائس ا لولايات المتحدة، فأعلن الانذار بالدينونة على اوسع مدى، لكنّ الغالبية العظمى رفضوه هناك حيث كان انحطاط الكنائس سريعا جد ا. الا ان رسالة الملاك الثاني لم تتم بالكامل في عام ١٨٤٤. لقد اجتازت الكنائس حينئذ اختبار انهيار ادبي نتيجة لرفضها نور رسالة المجيء، لكن ذ لك الانهيا يكن كاملا . فاذ ظلت تلك الكنائس سادرة في رفضها للحقائق الخاصة بهذا الزمن جعلت تنحدر الى اسفل . ومع هذا فانها الى ذلك الحين لم يكن ليصدق عليها القول: "سقطت بابل ... لانها سقت جميع الامم من خمر غضب زناها". فهي لم تحمل جميع الامم على فعل ذلك بع د. وما تزال روح مشاكلة العالم وعدم الاكتراث للحقائق الفاحصة لأيامنا موجودة وقد رسخت قدمها في الكنائس التي تعتنق العقيدة البروتستانتية في كل بلدان العالم المسيحي، وكل هذه الكنائس يشملها الانذار الخطير الرهيب المتضمن في رسالة الملاك الثاني. لكنَّ عمل الارتداد لم يصل بعد اقصى غايته.

يعلن الكتاب انه قبل مجيء الرب سيعمل الشيطان "بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الاثم في الهالكين لانهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا". فالذين لم يقبلوا محبة الحق سيُتركون حتى يقبلوا "عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب" (٢ تسا لونيكي ٢ : ٩ ١١). ولن يكون سقوط بابل كاملاً حتى يتم الوصول الى هذه الحالة ويتم ويبرم الاتحاد بين الكنيسة والعالم في جميع انحاء العالم المسيحي . ان التطور تدريجي ،واتمام النبوة [431] الواردة في رؤيا ١٤ : ٨ على نحو كامل سيكون في المستقبل.

يطلبون نورا أوضح

وعلى رغم الظلمة الروحية والابتعاد عن الله الموجودين في الكنائس التي منها تتكون بابل، فان هيئة اتباع المسيح الامناء يوجدون في شركتهم . وكثيرون من هؤلاء لم يروا قط الحقائق الخاصة بهذا الزمن . وجماعة غير قليلة منهم غير قانعين بحالتهم الراهنة، وهم يتوقو ن الى نور اوضح . وعبثا ينتظرون ان يروا صورة المسيح في الكنائس التي هم مرتبطون به ا. فاذ تبتعد هذه الهيئات عن الحق شيئا فشيئا وتعقد

مع العالم تحالفاً وثيقا فسيرى البون شاسعا بين الفريقين، وينتهي الامر بالانفصال . وسيأتي الوقت الذي فيه لا يستطيع من يحبون الله أعظم الحب ان يظلوا مرتبطين بأولئك الذين هم "محبون للذات دون محبة الله، لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (٢ تيموثاوس ٣ : ٤ و ٥).

ان ما ورد في رؤيا ١٨ يشير الى الوقت الذي فيه ستكون الكنيسة وصلت تماما الى الحالة التي تنبأ عنها الملاك الثاني نتيجة لرفضها الا نذار المثلث الوارد في رؤيا ١٤ : ٦ — ١٢ ، وشعب الله الباقون في بابل سيدعون لينفصلوا عن شركتها. وهذا هو آخر انذار يعطى للعالم، وسيتمِّم عمله . وعندما يُترك الذين " لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم" (٢ تسالونيكي ٢ : ١٢) ليقبلوا الخداع القوي ويصدقوا الكذب، حينئذ سيشرق نور الحق على الذين قلوبهم مفتوحة لقبوله، وكل شعب الله الباقين في بابل سيلتفتون الى النداء القائل: "اخرجوا منها يا شعبي" (رؤيا ١٨ : ٤). [432]

الفصل الثاني و العشرون — خيبة امل،ورسوخ ايمان

عندما مر الوقت الذي كان مجيء الرب منتظرا فيه اولا أي في ربيع عام ١٨٤٤ — فالذين كانوا ينتظرون ظهوره بايمان اكتنفتهم موقتا الشكوك وعدم اليقين. وفيما كان العالم يعتبرهم منهزمين هزيمة كاملة ويلومهم على احتضانهم خدعة ،فان كلمة الله كانت لا تزال نبع عزائهم . وظل كثيرون يفتشون الكتب ويمتحنون من جديد براهين ايمانهم، وبكل حرص كانوا يدرسون النبوات ليحصلوا على نور جديد . وقد بدا ان شهادة الكتاب التي تسندهم في موقفهم واضحة وقاطعة . والعلامات التي لا يمكن أن تخطئ اشارت ا لى قرب مجيء المسيح. وشهدت بركة الرب الخاصة في هداية الخطاة وفي انتعاش الحياة الروحية بين المسيحيين ان الرسالة كانت من السماء . ومع ان المؤمنين لم يستطيعوا تعليل فشلهم فقد كانوا موقنين بأن الله كان مرشدهم في اختبارهم الماضي.

كان التعليم المنطبق بنوع خاص على ح الة عدم اليقين والترقب متداخلا في النبوات التي كانت تعتبر منطبقة على ميعاد المجيء الثاني، وكان مشجعا لهم على الانتظار بصبر وهم مؤمنون أن ما كان غامضا عليهم حينئذ سيتضح لهم في الوقت المناسب.

وكان بين هذه النبوات تلك الواردة في حبقوق ٢: ١ — ٤ وهي القائلة: [433] ”على مرصدي اقف وعلى الحصن انتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا اجيب عن شكواي . فاجابني الرب وقال اكتب الرؤيا وانقشها على الالواح لكي يركض قارئها. لان الرؤيا بعد الى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب . ان توانت فانتظرها لأنها ستأتي اتيانا ولا تتأخر . هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه والبار بايمانه يحيا“.

حتى منذ عام ١٨٤٢ كان التوجيه المقدم في هذه النبوة الى النبي بان يكتب الرؤيا وينقشها على ألواح لكي يركض قارئها، قد اوحى الى تشارلس فتش بان يعد خارطة نبوية لتصوير نبوات دانيال والرؤي ا. وقد اعتبر نشر هذه الخارطة اتماما لامر الله المعطى بواسطة حبقوق . ومع ذلك فلم يلاحظ احد حينئذ ان تأخيرا ظاهرا في اتمام الرؤيا — وقت تباطؤ — ملحوظ في النبوة نفسه ا. وبعد الخيبة بدت هذه الآية مهمة جدا وهي تقول: ”لان الرؤيا بعد الى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب . ان تو انت فانتظره ا لانها ستأتي اتيانا ولا تتأخر ... البار بايمانه يحيا“ (حبقوق ٢ : ٣ و ٤).

وكان جزء من نبوة حزقيال ايضا نبع قوة وعزاء للمؤمنين، وهو يقول: ”وكان اليَّ كلام الرب قائلا يا ابن آدم ما هذا المثل الذي لكم على ارض اسرائيل القائل قد طالت الايام وخابت ك ل رؤي‌ا ... أتكلم والكلمة التي اتكلم بها تكون . لا تطول بعد“، ”هوذا بيت اسرائيل قائلون الرؤيا التي هو رائيها هي الى ايام كثيرة وهو متنبئ لازمنة بعيدة . لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب لا يطول بعد شيء من كلامي. الكلمة التي تكلمت بها تكون“ (حزقيال ١٢ : ٢١ — ٢٥ و ٢٧ و ٢٨).

وقد فرح جماعة المنتظرين وتهللوا اذ آمنوا ان ذاك الذي يعرف النهاية من البداية قد شارف الحقائق عبر الاجيال، واذ سبق فرأى خيبتهم منحهم كلام التشجيع والرجاء . فلولا الفصول الكتابية التي تدعوهم

الى الانتظار بصبر والى التمسك بثقتهم بكلمة الله لكان ايمانهم قد خذلهم في ساعة التجربة تلك. [434]

العذارى العشر

ثم ان مثل العذارى العشر المذكور في متى ٢٥ يصور اختبار شعب المجيئيين. ففي الاصحاح الرابع والعشرين من متى اجاب المسيح تلاميذه على سؤالهم الذي قدموه اليه عن علامة مجيئه وانقضاء الدهر بأن وج ه انتباههم الى بعض الحوادث المهمة جدا في تاريخ العالم والكنيسة منذ مجيئه الاول الى مجيئه الثاني، أي خراب اورشليم والضيقة العظيمة المحيقة بالكنيسة بسبب اضطهاد الوثنيين والبابويين، وإظلام الشمس والقمر وسقوط النجوم . ثم تكلم بعد هذا عن مجيئه في ملكوته واورد لهم المثل الذي فيه وصف فريقين من العبيد الذين كانوا ينتظرون مجيئه . والاصحاح الخامس والعشرون من متى يبدأ بالقول: "حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى". هنا نرى الكنيسة وهي عائشة في الأيام الاخيرة، وهي نفسها التي اشير اليها في نهاية الاصحاح ٢٤. وفي هذا المثل يمثّل اختبارهم بما يجري في احدى حفلات الزواج في بلاد الشرق.

"حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا وأما الحكيمات فأخذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن. وفيما ابطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففي نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه" (متى ٢٥ : ١ — ٦).

تأخير العريس

ان مجيء المسيح كما أعلنت عنه رسالة الملاك الاول فهم على انه يرمز اليه بمجيء العريس . والاصلاح الواسع النطاق الذي ح دث عند اعلان قرب مجيئه كان يمثله خروج العذارى . واننا نجد في هذا المثل وفي ما ورد في الاصحاح ٢٤ انه يوجد فريقان ممثلان هن ا. جميع العذارى اخذن مصابيحهن، أي الكتاب المقدس، وعلى نوره خرجن لملاقاة العريس . ولكن في حين أن الجاهلات [435] "أخذن مصابيحهن ولم يأخذنَ معهن زيتاً" فان "الحكيمات أخذنَ زيتاً في آنيتهن مع مصابيحهنّ". لقد قبلت الحكيمات نعمة الله، قوة روح الله المجددة والمنيرة التي تجعل كلامه سراجاً لأرجلهن ونوراً لسبيلهن . وفي خوف الله درسن الاقوال الالهية ليتعلمن الحق، وبكل غيرة طلبن طهارة القلب والحياة . هؤلاء كان لهن اختبار شخصي، اختبار الايمان بالله وبكلامه، الذي لن تهدمه الخيبة والتأخير . اما الباقيات فانهن "اخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا". لقد دفعهن الى ذلك وازع : ثارت مخاوفهن لدى سماع الرسالة الخطيرة، لكنهنّ كن قد اتكلن على ايمان اخواتهن قانعات بذلك النور الخامد، نور البواعث الصالحة، من دون أن يكون عندهن ادراك كامل للحق ولا عمل حقيقي للنعمة في قلوبهن . أولئك العذارى خرجن للقاء الرب ولهن ملء الرجاء في انتظار الأجر السريع، لكنهن لم يكن متأهبات لمواجهة التأخير والخيبة . فعندما جاءت التجارب خاب ايمانهن وكادت مصابيحهن تنطفئ.

"وفيما ابطأ العريس نعسن جميعهن ونمن". يرمز تباطؤ العريس الى مرور الزمن الذي كان يُنتظر ان يجيء الرب فيه والى الخيبة وما زعموا انه تأخير . وفي هذا الوقت، وقت الحيرة وعدم اليقين، بدأ

اهتمام السطحيين وذوي القلوب المنقسمة يضعف ويترنح، واخذو ا يميلون الى الاسترخاء، اما الذين كان ايمانهم مؤسسا على معرفتهم الشخصية للكتاب فكانت أرجلهم مثبتة على صخرة لم تستطع الخيبة ان تزحزحهم عنه ا. "نعسن جميعهن ونمن"، فريق منهن نمن في عدم اكتراث، تاركات ايمانهن، أما الاخريات فكن ينتظرن بصبر الى ان يعطى لهن نور أكمل . ومع ذلك ففي ليل التجربة بدا كأن الفريق الثاني قد بدأوا يفقدون غيرتهم وتقواهم الى حد م ا. أما السطحيون والمنقسمو القلوب فلم يعودوا قادرين على الاستناد الى ايمان اخوتهم . فعلى كل واحد أن يثبت او يسقط لنفسه. [436]

ظهور التعصب

قرابة هذ ا الوقت بدأ التعصب في الظهور . فبعض من قد اعترفوا بانهم مؤمنون بالرسالة وغيورون ومتحمسون لها رفضوا كلمة الله كالدليل المعصوم، واذ ادعوا انهم مسترشدون بالروح اسلموا انفسهم لسلطان مشاعرهم وانفعالاتهم وخيالاتهم. كان يوجد جماعة اظهروا غيرة متعصبة عمياء وشهروا بكل من لم يصادقوا على تصرفهم . ان آراءهم وأعمالهم الممتزجة بالتعصب لم تلاقِ عطفا من جانب أكثرية المجيئيين، ومع ذلك فقد كان من نتائجها ان ألحق العار بقضية الحق.

لقد كان الشيطان يحاول بهذه الوسيلة ان يقاوم عمل الله ويدمره . اهتاج الناس اذا رأوا حركة المجيء، واه تدى آلاف من الخطاة، وكرس الامناء انفسهم لعمل نشر الحق حتى في وقت التأخير . وكان سلطان الشر يخسر رعاياه، فلكي يجلب العار على عمل الله حاول ان يخدع بعض من اعترفوا بالايمان ليجعلهم يتجاوزون الحدود . حينئذ وقف اعوانه ليغتنموا فرصة مراقبة كل غلطة وكل اخفاق و كل عمل غير لائق فيشهروا به أمام الناس في نور مجسم مبالغ فيه الى اقصى حد ليجعل المجيئيين وعقيدتهم مكروهين وممقوتين . وهكذا بقدر وفرة من استطاع أن يحشدهم ليعترفوا بايمانهم بالمجيء الثاني فيما سلطانه مسيطر على قلوبهم، بقدر ذ لك ينال ميزة عظيمة من توجيه الالتفات اليهم على أنهم ممثلو هيئة المؤمنين جميعا.

ان الشيطان هو "المشتكي على الاخوة" وروحه هي التي توعز الى الناس بمراقبة اخطاء شعب الرب ونقائصهم ورفعها عالية لكي يراها الجميع، بينما أعمالهم الصالحة وحسناتهم تُغف ل ولا يذكرها أحد . وعندما يعمل الله على خلاص النفوس يكون هو دائما نشيطا ودائبا في العمل . فعندما جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب جاء الشيطان ايضا ليمثل في وسطهم . وفي كل انتعاش هو مستعد أن يدخل اولئك الناس غير المقدسين بقلوبهم وغير المتزنين بعقولهم . [437] وعندما يقب ل هؤلاء بعض اجزاء الحق ومتى افسح لهم المجال بين المؤمنين فهو يعمل عن طريقهم بدس بعض النظريات التي تخدع غير اليقظين . وليس في المستطاع ان تبرهن على أن انسانا هو حقا مسيحي لمجرد وجوده بين جماعة من اولاد الله حتى ولو كان في بيت العبادة وأمام مائدة الرب المقدسة . والشيطان غالبا ما يكون هناك في أقدس المناسبات في اشخاص الذين يستخدمهم كأعوان له.

ارض متنازع عليها

ان سلطان الشر يتنازع على كل شبر من الارض التي يسير عليها شعب الله في طريق سياحتهم الى

المدينة السماوية . ففي كل تاريخ الكنيسة لم ينجح أي اصلا ح من دون أن يواجه عقبات جسيمة . كذلك كانت الحال في ايام بولس . فأينما أقام ذلك الرسول كنيسة وُجِد جماعة اعترفوا بقبولهم للايمان ولكنهم ادخلوا معهم الهرطقات التي لو قبلها المسيحيون لكانت اخيرا تطرد محبة الحق بعيد ا. كما أن لوثر ايضا قاسى الشيء الكثير من الارتباك والضيق من جراء تصرفات الناس المتعصبين الذين ادعوا أن الله قد تكلم عن طريقهم مباشرة، والذين لأجل ذلك رفعوا افكارهم وآراءهم الخاصة فوق شهادة الكتب المقدسة .
وكثيرون ممن كان ينقصهم الايمان ومع ذلك كان عندهم قدر كبير من الاتكال على الذات، والذ ين كانوا يحبون ان يسمعوا او يقولوا شيئا جديدا، اغوتهم ادعاءات المعلمين الحديثين فانضموا الى أعوان الشيطان في هدم ما قد حرك الله لوثر ليبنيه . وكذلك ابنا وسلي وغيرهما ممن قد باركوا العالم بقدوتهم وايمانهم. ففي كل خطوة واجهوا مكايد الشيطان الذي كان يأتي بأناس شديدي التحمس ويعوزهم الاتزان والتقوى فيزجهم في التعصب في كل طور من أطواره.

ولم يكن وليم ميلر يميل الى تلك المؤثرات التي تسوق الى التعصب . لقد اعلن على غرار لوثر ان كل روح ينبغي ان يمتحن بكلمة الله . ولقد قال ميلر: ”ان للشيطان سلطانا عظيما على عقول بعض ا لناس في هذه الايام . وكيف يمكننا [438] ان نعرف من أي روح هم ؟ ان الكتاب المقدس يجيبنا قائلا: ”من ثمارهم تعرفونهم...“ توجد أرواح كثيرة خرجت الى العالم ونحن قد أُمرنا بأن نمتحن الارواح. فالروح الذي لا يجعلنا نعيش صالحين وابرارا واتقياء في هذا العالم الحاضر ليس هو روح المسيح . اني مقتنع اقتناعا كاملا بان للشيطان دخلا كبيرا في هذه الحركات الطائشة ... كثيرون بيننا ممن يدَّعون أنهم مقدسون بالتمام انما يتبعون تقاليد الناس، ويبدو انهم يجهلون الحق كغيرهم ممن لا يتشدقون بمثل هذه الادعاءات (٣٣٦)، ”ان روح الضلال يبعدنا عن الحق، أما روح الله فيقودنا الى الحق . ولكن، قد يقول احدكم، يستطيع انسان ان يكون على ضلال ويقول انه يملك الحق، ماذا اذاً؟ فعلى هذا السؤال نجيب قائلين ان الروح والكلمة متفقان . فاذا كان احد يحكم على نفسه بموجب كلمة الله ويجد توافقا وانسج اما كاملا في الكتاب فعليه ان يؤمن بأن عنده الحق . اما اذا وجد ان الروح الذي يقوده غير منسجم ولا متوافق مع كل طبيعة شريعة الله او كتابه فليسر بحذر لئلا تؤخذ رجلاه في اشراك الشيطان“ (٣٣٧). ”كثيرا ما وجد في بعض الاشخاص الدليل على وجود التقوى في قلوبهم من نظرات عيونهم المتوهجة الملتهبة او وجوههم المبللة بالدموع او أحاديثهم المختنقة، بأكثر جلاء ووضوح من كل الضجة التي تُسمع في العالم المسيحي“ (٣٣٨).

وفي ايام الاصلاح اتهم اعداؤه اولئك الذين كانوا جادين بكل غيرة في محاربة التعصب، بكل شرور التعصب ومساوئه . وقد عامل محاربو حركة المجيء دعاتها بمثل تلك المعاملة . واذ لم يقنعوا بتشويه اخطاء المتطرفين والمبالغة فيها نشروا اخبارا معاكسة لا أثر للصدق فيه ا. هؤلاء الناس كانوا مدفوعين بدافع التعصب والكراهية . ذلك ان سلامهم قد عكره اعلان قرب مجيء المسيح . لقد باتوا يخشون ان يكون ذ لك الكلام صحيحا، وكانوا يرجون الا يكون كذلك، وهذا كان السر في الحرب التي أثاروها ضد المجيئيين وعقيدتهم. [439]

محبة ووئام

ان حقيقة كون جماعة قليلة من المتعصبين اندسوا بين صفوف المجيئيين ليست سببا يجعل الناس يقررون ان الحركة لم تكن من الله، تماماً مثلم ا ان وجود المتعصبين والمخادعين في عهد بولس او لوثر لم يكن عذرا كافيا لادانة عملهما. ليستيقظ شعب الله من نومهم ويبدأوا جادين في عمل التوبة والاصلاح .

ليفتشوا الكتب، ليتعلموا الحق كما هو في يسوع، وليكرسوا انفسهم بالتمام لله، وحينئذ لن يعوزنا البرهان على أن ا لشيطان لا يزال نشيطا وساهر ا. انه بكل خديعة ممكنة سيظهر قوته داعيا لمعاونته كل الملائكة الساقطين في مملكته.

لم يكن اعلان خبر المجيء الثاني هو الذي خلق التعصب والانقسام . لقد ظهرت هذه الاشياء في صيف عام ١٨٤٤ عندما كان جماعة المجيئيين في حالة الشك والارتباك با لنسبة الى موقفهم الحقيقي . ان الكرازة برسالة الملاك الاول "وصراخ نصف الليل" أدّيا على نحو مباشر الى إخماد التعصب والقضاء على الانقسام. واولئك الذين اشتركوا في هذه الحركات المقدسة كانوا في حالة توافق، وقد امتلأت قلوبهم حبا بعضهم لبعض وليسوع الذي كانوا ينتظر ون ان يروه سريعا. فالايمان الواحد والرجاء المبارك الواحد رفعاهم فوق تسلط أي تأثير بشري أو سيادته، وبرهنا أنهما ترس يقيهم غائلة هجمات الشيطان .

"وفيما ابطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففي نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع اولئك ا لعذارى وأصلحن مصابيحهن" (متى ٢٥ : ٥ — ٧). في صيف ١٨٤٤، في منتصف المدة التي ظن أولا ان ال ٢٣٠٠ يوما ستنتهي عندها، وفي خريف تلك السنة عينها الد وجد بعد ذلك ان المدة ستمتد اليه، أعلنت الرسالة بكلماتها كما هي واردة في الكتاب: "هوذا العريس مقبل"! [440]

والذي أد ى الى هذه الحركة كان الاكتشاف بأن منشور ارتحشستا لتجديد اورشليم الذي كان هو نقطة بدء مدة ال ٢٣٠٠ يوما بدئ في تنفيذه في خريف عام ٤٥٧ ق .م.، وليس في بدء ذلك العام كما اعتقد قبلا . فباحصاء الايام من خريف عام ٤٥٧ تنتهي ال ٢٣٠٠ سنة في خريف عام ١٨٤٤ (انظر التذييل).

ثم ان الحجج المقتبسة من رموز العهد القديم تشير ايضا الى الخريف على أنه الوقت الذي فيه تتم الحادثة التي يرمز اليها "تطهير القدس" (تبرئته). وقد وضح هذا اذ اجتُذب انتباه الناس الى الطريقة التي بها تمت الرموز المشيرة الى المجيء الاول للمسيح.

اتمام الرموز

كان ذبح خروف الفصح رمزا لموت المسيح . فبولس يقول: "لأنفصحنا ايضا المسيح قد ذبح لأجلنا" (١ كورنثوس ٥ : ٧). ثم أنحزمة الباكورة التي كانوا يرددونها أمام الرب عند وقت الفصحكانت ترمز الى قيامة المسيح. وبولس اذ يتكلم عن قيامة الرب وكل شعبه يقول: "المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه" (١ كورنثوس ١٥ : ٣٢). فالمسيح هو باكورة ذلك الحصاد الخالد، حصاد المفديين الذين سيجمعون الى مخزن الله في القيامة العتيدة، كما كانت حزمة الترديد.

وقد تمت هذه الرموز ليس فقط بالنسبة الى الحوادث بل ايضا بالنسبة الى وقت حدوثه ا. ففي اليوم الرابع عشر من أول أشهر السنة اليهودية، الذي لمدة خمسة عشر قرنا طويلة كان يذبح فيه خروف الفصح، وبعدما أكل المسيح الفصح مع تلاميذه سنَّ ذلك العشاء الذي كان لاحياء ذكرى موته على أنه "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم". وفي تلك الليلة نفسها قبضت عليه ايدي الاثمة ليُصلب ويُقتل . واذ كان سيدنا هو المرموز اليه بحزمة الترديد فقد اقيم من بين الاموات في اليوم الثالث "باكورة الراقدين" (١ كورنثوس ١٥ : ٢٠) وهو نموذج [441] لكل الراقدين الابرار الذين سيتغير "جسد تواضعهم" ليكون "على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣ : ٢١).

وعلى هذه الصورة ينبغي أن تتم كل الرموز التي تشير الى المجيء الثاني في الوقت المشار اليه في

الخدمة الرمزية . وفي النظام الموسوي كان تطهير القدس أو يوم الكفارة العظيم يقع في اليوم العاشر من الشهر اليهودي السابع (لاويين ١٦ : ٢٩ ٣٤)، فبعدما يقدم رئيس الكهنة كفارة عن كل اسرائيل فترفع خطاياهم من القدس، كان يخرج ويبارك الشعب . وهكذا اعتُقد ان المسيح رئيس كهنتنا الاعظم سيظهر ليطهر الارض بملاشاة الخطيئة والخطاة ويبارك بالخلود شعبه الذي ينتظره . ان اليوم العاشر من الشهر السابع، يوم الكفارة العظيم الذي تم فيه تطهير القدس والذي وقع في الثاني والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٤٤، اعتبر وقت مجيء الرب . وقد كان هذا متفقا مع البراهين التي سبق ان اوردناها على ان ال ٢٣٠٠ يوم تنتهي في الخريف، وقد بدا أن هذا الاستنتاج تستحيل مقاومته.

وفي المثل الوارد في متى ٢٥ نفهم ان فرصة الانتظار والنوم تبعها قدوم العريس. وكان هذا مطابقا للبراهين التي قدمناها الآن من النبوات والرموز. وهي تحمل بين طياتها الاقتناع بصدقه ا. وقد أعلن آلاف المؤمنين "صراخ نصف الليل".

وكموجة المد العاتية اكتسحت الحركة كل البلاد . لقد انتقلت من مدينة الى مدينة ومن قرية الى اخرى الى اقصى ربوع البلاد الى ان أوقِظ شعبُ الله المنتظرون. وقد اختفى التعصب أمام هذا الاعلان كما يختفي صقيع الصباح امام الشمس المشرقة . ورأى المؤمنون ان شكوكهم وارتباكهم تلاشت، وأحيت الشجاعة والرجاء قلوبهم، وكان العمل خالياً من كل تطرف يظهر غالبا عندما يكون هنالك اهتياج بشري لا يضبطه تأثير كلمة الله وروحه . وقد كان شبيها بأوقات التذلل والرجوع الى الرب التي كانت تحدث لشعب اسرائيل عقب سماع رسائل التوبيخ من خدام الله، كما كان له ذلك الطابع الذ ي به امتاز عمل الله في كل [442] عصر. كان يوجد قليل من الفرح المذهل انما الصفة الغالبة كانت فحص القلب بكل دقة والاعتراف بالخطيئة وترك العالم . وكان التأهب لملاقاة الرب هو الحمل الذي أثقل النفوس المعذبة . وكان هنالك مواظبة على الصلاة وتكريس لله في غير تحفظ.

قال ميلر في وصف ذلك العمل : "لا يوجد تعبير عن الفرح، أي أنه كان مكبوتا لوقت مستقبل عندما تفرح السماء والارض معا بفرح مجيد لا يوصف . ولا يوجد هتاف، فهذا ايضا محفوظ للهتاف من السماء . والمغنون صامتون، فهم منتظرون حتى يشتركوا مع اجناد الملائكة وجوقة السماويين ... ولا يوجد تصادم في الميول أو العواطف، فالجميع لهم قلب واحد وفكر واحد" (٣٣٩).

وشهد شخص آخر ممن اشتركوا في الحركة فقال: "لقد احدثت هذه الحركة أعمق فحص للقلوب وتذلل للنفوس امام الله ساكن السماء العليا، واحدثت ايضا انفطاما للعواطف عن أمور هذا العالم، وفض المنازع ات والقضاء على العداوة والاعتراف بالاخطاء والمظالم والانسحاق امام الله، والابتهالات التائبة المنسحقة أمام الله في طلب الغفران والقبول . وقد كانت سببا في اذلال النفوس وانبطاحها، الامر الذي لم نشهد مثيلا له من قبل . وكما أمر الله على لسان يوئيل النبي عندما يقتر ب يوم الرب العظيم، كذلك حدث في هذه الحركة ان الناس مزقوا قلوبهم لا ثيابهم ورجعوا الى الرب بالصوم والبكاء والنوح . وكما قال الله على لسان زكريا كذلك حدث الآن، فقد فاض روح النعمة والتضرعات على اولاده، ونظروا الى ذاك الذي قد طعنوه، وكان نوح عظيم في الارض ...والذين كانوا ينتظرون الرب تذللوا أمامه" (٣٤٠).

ومن بين كل الحركات الدينية العظيمة التي حدثت منذ أيام الرسل لم توجد حركة خالية من شوائب النقص البشري ومكايد الشيطان أكثر من تلك التي حدثت في خريف عام ١٨٤٤ . وحتى الآن بعد مرور سنين عديدة فان كل من اشتركوا في تلك الحركة وكل من وقفوا ثابتين على منصة الحق ما زالوا يحسون [443] بالتأثير المقدس لذلك العمل المبارك ويشهدون بأنه كان من الله.

اهتمام عظيم

واذ سمع جماعة المنتظرين النداء القائل "هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه" "قامت جميع اولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن"؛ لقد درسوا كلمة الله غير المعروفة لديهم من قبل بأعظم اهتمام . وأُرسل من السماء ملائكة لايقاظ الذين خارت عزائمهم وإعدادهم لقبول الرسالة . فالعمل لم يثبت بحكمة الناس وعلومهم بل بقدرة الله . والذين كانوا أول من سمعوا النداء وأطاعوه لم يكونوا أعظم الناس الموهوبي ن بل أعظمهم تواضعا وتكريس ا. لقد ترك الفلاحون محاصيلهم في الحقول والميكانيكيون القوا آلاتهم جانبا، وبدموع الفرح خرجوا ليقدموا الانذار. والذين كانوا قبلا قادة في هذا العمل صاروا آخر من انضموا الى هذه الحركة. فقد اغلقت الكنائس ابوابها بوجه عام ضد هذه الرسالة وانسحب من الارتباط بها جمع كبير ممن قبلوه ا. ورتبت عناية الله ان يتحد هذا الاعلان برسالة الملاك الثاني، وهذا اضفى قوة على ذلك العمل.

ان الرسالة القائلة "هوذا العريس مقبل!" لم تكن مسألة حجة، مع أن البرهان الكتابي كان واضحا وقاطع ا. فقد كان يصحب الرسالة قوة دافعة تحرك النفس. لم يكن هنالك شك او تساؤل. فعند دخول المسيح الانتصاري الى اورشليم تقاطر الى جبل الزيتون جموع الناس الذين اجتمعوا من كل انحاء البلاد لاحياء العيد، واذ انضموا الى الجمع الذي كان يرافق يسوع امسكوا بوحي الساعة واشتركوا في الهتاف قائلين: "مبارك الآتي باسم الرب" (متى ٢١ : ٩). هكذا فعل غير المؤمنين الذين تقاطروا على اجتماعات المجيئيين، بعضهم مدفوعين بحب الاستطلاع وآخرون بقصد السخرية، والجميع احسوا بالقوة المقنعة المرافقة لهذه الرسالة: "هوذا العريس مُقبل"! [444]

في ذلك الوقت كان يوجد ايم ان جعل الصلاة تُستجاب، وهو ايمان كان ينظر الى المجازاة . فكالسيول النازلة على الارض العطشى نزل روح النعمة على اولئك الطالبين الغيورين . واولئك الذين كانوا ينتظرون الوقوف سريعا امام فاديهم وجها لوجه شعروا بفرح مقدس لا يوصف . فقوة الروح القدس اللطيفة المؤثرة اذابت القلب اذ مُنِحتْ بركتُه الوفيرة لجماعة المؤمنين الامناء.

وصل الذين قبلوا الرسالة، بكل حذر ووقار، الى الوقت الذي كانوا يرجون فيه ان يلاقوا سيدهم، وفي كل صباح احسوا ان واجبهم الاول يقتضيهم ان يحصلوا على برهان قبولهم لدى الله . كانوا متحدي القلوب ويصلون كثيرا معا بعضهم لاجل بعض. وكثيرا ما كانوا يلتقون معا في اماكن منعزلة لكي تكون لهم شركة مع الله، وكانت الصلوات تسمع صاعدة من الحقول والغياض . ان يقين رضى المخلص عنهم كان اهم في نظرهم من الطعام، واذا غشت سحابة عقولهم لم يكونوا يستريحون حتى تنقشع . واذ كانوا يشعرو ن بشهادة النعمة الغافرة كانوا يتوقون الى مشاهدة ذاك الذي كانت تحبه نفوسهم.

خيبة أمل ثانية

ولكن كان لا بد أن يصابوا بالخيبة مرة اخرى . لقد مر وقت الانتظار ولم يظهر مخلصهم. لقد نظروا الى الامام في انتظار مجيئه بثقة ثابتة، والآن ها هم يحسون بما حست به مريم التي عندما جاءت الى قبر المخلص ووجدته فارغا صرخت باكية تقول : "انهم اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه" (يوحنا ٢٠ : ١٣).

ان شعورهم بالرهبة والخوف من ان تكون الرسالة صادقة كان رادعا للعالم غير المؤمن بعض الوقت . وهذا الشعور لم يختف حالا بعد انقضاء المهلة، ففي بادئ الامر لم يتجرأوا على الشماتة بأولئك الذين خابت آمالهم، ولكن عندما لم تُرَ علامة من علامات غضب الله، افاقوا من خوفهم وعادوا الى استئناف تعييرهم [445] وسخريتهم. وان كثيرين ممن كانوا قد اعترفوا بايمانهم بقرب مجيء الرب قد هجروا ايمانهم . وبعض الذين كانت لهم ثقة ش ديدة طُعنوا في كبريائهم بحيث أحسوا وكأنهم يريدون الهروب من العالم، فتذمروا على الله وطلبوا الموت لانفسهم بدلاً من الحياة، كما فعل يونان . والذين بنو ايمانهم على آراء الآخرين لا على كلمة الله صاروا الآن مستعدين لتغيير آرائهم مرة أخرى . وقد كسب الساخرون، المستضعفين الجبناء الى جانبهم، واتحدوا جميعا في الاعلان بأنه لم تعد توجد مخاوف أو انتظارات . لقد مر الوقت والرب لم يأتِ، وقد يظل العالم على حاله آلاف السنين.

ترك المؤمنون الغيورون المخلصون كل شيء لأجل المسيح وتمتعوا بحضوره كما لم يتمتعوا من قبل . لقد قدموا آخر انذار للعالم كما اعتقدوا، واذ كانوا ينتظرون أن يُقبلوا في عشرة سيدهم الالهي وملائك السماء انسحبوا الى حد كبير من صحبة الذين لم يقبلوا الرسالة . لقد صلوا بشوق حار قائلين: "تعال ايها الرب يسوع، تعال سريعا". ولكنه لم يأت . فكونهم يعودون الآن ليحملوا عبء اهتمامات الحياة وارتباكاتها الثقيلة من جديد ويتحملون تعيير العالم الساخر وهزئه كان ذلك تجربة قاسية مرعبة لايمانهم وصبرهم.

خيبة أمل أعنف

ومع ذلك فان هذه الخيبة لم تكن في مثل جسامة خيبة التلاميذ التي جازوا فيها في المجيء الاول للمسيح . فعندما دخل يسوع اورشليم منتصرا اعتقد تابعوه انه موشك ان يعتلي عرش داود ويخلص اسرائيل من ظالميهم . فبآمال عالية وانتظارات مفرحة جعلوا يتسابقون في اكرام مليكهم . وكثيرون منهم فرشوا ثيابهم في الطريق كبساط يمر عليه، او كانوا ينثرون اغصان الاشجار وسعوف النخل في طريقه . وفي فرحهم الحماسي هتفوا معا قائلين: "وصنا لابن داود !" وعندما طلب الفريسيون منه ان ينتهر تلاميذه اذ ازعجتهم وأغضبتهم هزة الفرح تلك، أجابهم يسوع بقوله: "ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ" (لوقا ١٩ : ٤٠) [446]. ينبغي ان تتم النبوة . فلقد كان التلاميذ يتممون قصد الله ، ولكن ما ان مرَّت ايام قليلة حتى شاهدوا مخلصهم يعاني آلام الموت ويضعونه في القبر . لقد أصابتهم خيبة مُرة . ذلك ان توقعاتهم لم يتحقق منها شيء، فماتت آمالهم مع يسوع، ولم يدركوا أن كل تلك الاحداث كان الانبياء قد سبقوا وانبأوا بها، وأنه "كان ينبغي ان المسيح يت ألم ويقوم من الاموات" (أعمال ١٧ : ٣)، الا بعدما خرج سيدهم من القبر منتصرا.

بعض من ثبتوا

قبل ذلك بخمس مئة سنة كان الرب قد أعلن على لسان زكريا النبي قائلا: "ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم . هوذا ملككِ يأتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان" (زكريا ٩ : ٩). فلو تحقق التلاميذ ان المسيح على اهبة ان يحاكم ويموت لما امكنهم ان يتمموا هذه النبوة.

وكذلك تمم ميلر وجماعته النبوة وقدموا الرسالة التي انبأ الوحي بأنها ينبغي ان تقدم الى العالم، ولكنهم ما كانوا ليقدموها لو ادركوا تماما النبوات المشيرة الى خيبتهم والتي تقدم رسالة اخرى ليُبشَر بها كل الامم قبل مجيء الرب. ان رسالة كل من الملاكين الاول والثاني قُدمتا في الوقت المحدَّد وتممتا العمل الذي قصد الله ان يتممه بواسطتهما.

لقد كان العالم يترقب منتظرا انه اذا مر الوقت ولم يظهر المسيح فكل نظام المجيء الثاني سيُهجر ويتخلى الناس عنه . ولكن في حين ان كثيرين تحت ضغط التجارب الشديدة هجروا ايمانهم، بقي آخرون ثابتين . غير ان ثمار حركة المجيء، وروح الوداعة وفحص القلب، وهجر العالم، واصلاح الحياة، وهي أمور تبعت ذلك العمل، شهدت بأنه من الله. فلم يتجرأوا على انكار حقيقة كون قوة الروح القدس شهدت لكرازة المجيء الثاني، ولم يستطيعوا اكتشاف غلطة [447] واحدة في حسابهم للفترات النبوية . ولم ينجح أقوى خصومهم في هدم نظام التفسير النبوي الذي ساروا عليه . وهم لم يرضوا بالتخلي عن المواقف التي وصلوا اليها عن طريق دراسة كلمة الله بروح الغيرة والصلاة بعقولهم المستنيرة بروح الله وقلوبهم الملتهبة بقوته الحية، الا بعد اقناعهم ببراهين من الكتاب، تلك المواقف التي صمدت امام اعظم الانتقادات الفاحصة والمقاومة المرة جدا من معلمي الدين المشهورين وحكماء هذا العالم، والتي ظ لت ثابتة امام قوات العلم والفصاحة متحدة معا، والتعييرات والشتائم من الشرفاء والادنياء على السواء.

نحن لا ننكر انه كانت هنالك خيبة بالنسبة الى تلك الحادثة المنتظرة ، ولكن حتى هذا لم يكن ليزعزع ايمانهم بكلمة الله . عندما نادى يونان في شوارع نينوى قا ئلا انه بعد اربعين يوما تنقلب المدينة قبل الرب تذلل أهل نينوى ومدَّد فرصة امهالهم . ومع ذلك فقد كانت رسالة يونان من قبل الله، وقد امتُحنت نينوى حسب ارادته . واعتقد المجيئيون ان الله قد أرشدهم الى تقديم الانذار بالدينونة بمثل تلك الوسيلة، فاعلنوا قائل ين: "لقد كانت فاحصة لقلوب كل من سمعوها وايقظت في القلوب محبة لظهور الرب، او تسببت عنها عداوة ظاهرة او مستترة لمجيئه، ولكن الرب عرف ذلك كله . لقد رسمت خط ا... حتى ان الذين سيمتحنون قلوبهم يعرفون الى اي جانب سيقفون لو جاء الرب حينئذ، سواء كانوا سيهتفو ن قائلين: هوذا هذا الهن ا. انتظرناه فخلصنا، او سيصرخون الى الصخور والجبال لتسقط عليهم وتخفيهم عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف . وقد اختبر الله شعبه بهذه الطريقة على ما نعتقد، امتحن ايمانهم ورأى ما اذا كانوا سيتراجعون في ساعة التجربة عن الموقف الذي قد يرى هو أنه يناسبهم، او انهم سيهجرون هذا العالم ويعتمدون على كلمة الله بثقة كاملة" (٣٤١).

وقد عبر وليم ميلر عن مشاعر الذين ظلوا على ايمانهم بان الله كان مرشدا لهم في اختبارهم الماضي اذ قال: "لو انني عشت حياتي مرة اخرى بالبرهان نفسه الذ ي كان لي في الماضي، فلكي اكون امينا مع الله والناس لما كان لي [448] ان أعمل غير ما عملت". "ارجو ان اكون قد طهرت ثيابي من دماء الناس . اني احس أنني على قدر استطاعتي قد خلصت نفسي من جريمة جلب الدينونة والهلاك عليهم ". وكتب رجل الله، هذا القول : "مع أنني قد خُذلت م رتين فلست بعد منكسر الخاطر ولا يائس ا... ان رجائي في مجيء المسيح قوي الآن كما كان في أي وقت مضى . لقد فعلت فقط ما شعرت بأنه واجبي المقدس الذي ينبغي لي أن أفعله، بعد سنين قضيتها في التأملات المقدسة . فان كنت قد اخطأت فمن ناحية احساني ومحبتي لبني جنسي واقتناعي بواجبي نحو الله". "اني أعلم شيئا واحدا، وهو أنني لم أكرز الا بما آمنت به، وقد كان الله معي، وتجلت قوته في العمل، فنتج من ذلك خير كثير". "وقد أخذ آلاف من الشعب يدرسون كلمة الله مدفوعين بالكرازة في هذا العصر . وبتلك الوسيلة وبواسطة الايمان ورش دم المسيح تصالحوا مع الله" (٣٤٢). "لم اسعَ ابدا وراء مديح الناس او استحسانهم ولا جبنت عندما تجهم لي العالم . ولن اشتري رضى الناس الآن، ولن اتجاوز حدود واجبي لأثير عداءهم . ولن أطلب الابقاء على حياتي عن طريقهم، ولن اتراجع، كما ارجو، عن فقد حياتي اذا ارادت عناية الله الصالحة ذلك" (٣٤٣).

ولم يترك الله شعبه، فلقد مكث روحه مع اولئك الذين لم ينكروا بطيش النور الذي حصلوا عليه ولا شهروا بحركة المجيء . ان في الرسالة الى العبرانيين اقوالاً لتشجيع المجربين والمنتظرين في هذه الازمة ولانذارهم، اذ يقول الرسول: ”فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة . لانكم تحتاجون الى الصبر حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. لانه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطئ . أما البار فبالايمان يحيا وان ارتد لا تسر به نفسي . وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الايمان لاقتناء النفس“ (عبرانيين ١٠ : ٣٥ ــــ ٣٩).

ويتبرهن لنا من الكلام المشير الى قرب مجيء الرب ان هذا الانذار موجه الى الكنيسة في الايام الاخيرة: ”لأنه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطئ“. وهذا الكلام يدل بكل وضوح انه سيكون هنالك تباطؤ ظاهر، وانه يبدو أن الرب قد [449] تباطأ. وهذا التعليم المقدم هنا ينطبق انطباقا خاصا على اختبار المجيئيين في هذا الوقت . فالناس الموجه اليهم هذا الكلام كانوا في خطر ان يتحطم ايمانهم . لقد عملوا ارادة الله في اتباع ارشاد روحه وكلمته، ومع ذلك فلم يستطيعوا ادراك قصده في اختبارهم الاول، ولا عرفوا الطريق الذي كان عليهم ان يسيروا فيه، وكانوا في خطر الشك في ما اذا كان الله هو مرشدهم او لا . وفي هذه الحالة كان ينطبق عليهم القول : ”اما البار فبالايمان يحيا“. فاذ اشرق على طريقهم نور ”صراخ نصف الليل“، واذ رأوا النبوات وقد فكت ختومها، والعلامات التي كانت تتم بسرعة تنبئ بقرب مجي ء المسيح، كانوا يسلكون بالعيان كما يبدو . أما الآن وقد انحنت نفوسهم بسبب آمالهم التي خابت فقد أمكنهم الثبات فقط بواسطة الايمان بالله وبكلمته . كان العالم الهازئ الساخر يقول: ”لقد انخدعتم، فاهجروا ايمانكم وقولوا أن حركة المجيء انما هي من الشيطان“ .لكنّ كلم ة الله تعلن قائلة: ”ان ارتد لا تسر به نفسي“، فكونهم يهجرون ايمانهم الآن وينكرون قوة الروح القدس التي كانت تصحب الرسالة فمعنى ذلك انهم يرتدون الى الهلاك . ولقد شجعتهم اقوال بولس على الثبات اذ قال: ”فلا تطرحوا ثقتكم“. ”انكم تحتاجون الى الصبر“ .”لانه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطئ“. وقد كان اسلم طريق يسيرون فيه هو ان يحتفظوا بالنور الذي قد حصلوا عليه من الله ويتمسكوا بوعده ويداوموا على تفتيش الكتب، وبكل صبر، ينتظروا ويسهروا للحصول على نور أعظم . [450]

الفصل الثالث و العشرون — ما هو المقدس؟

ان الآية الكتابية التي كانت من دون كل الآيات الاخرى اساس تعليم المجيء والعمود المركزي فيها هي الاعلان القائل: "الى الفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ (يتطهر) القدس" (دانيال ٨ : ١٤). كانت هذه الكلمات مألوفة لدى كل المؤمنين بقرب مجيء الرب . وكانت آلاف الافواه تنطق بهذه النبوة وترددها على أنها كلمة سر ايمانهم . وقد أحس الجميع أن على الحوادث المنبأ بها في تلك النبوة تتوقف ابهج انتظاراتهم اشراقا وأعظم الآمال التي يحتضنونه ا. وقد بينا أن هذه الايام النبوية تنتهي في خريف عام ١٨٤٤ . فبالاشتراك مع باقي العالم المسيحي كان المجيئيون يعتقدون ان العالم او جزء منه هو القدس . وفي ان تبرئة القدس او تطهيره كان هو تطهير الارض بالنار في اليوم الاخير العظيم، وان هذا سيحدث في المجيء الثاني . ولهذا استنتجوا ان المسيح سيعود الى الارض في عام ١٨٤٤ .

ولكن الوقت المحدد مر ولم يظهر الرب . وكان المؤمنون يعلمون ان كلمة الله لا تخيب ابدا، اذاً فلا بد أن يكون هنالك خطأ في تفسير النبوة، ولكن أين كان ذلك الخطأ؟ وكثيرون اندفعوا في طياشة لقطع عقدة المعضلة بانكار كون ال ٢٣٠٠ يوم تنتهي في عام ١٨٤٤ . ولم يكن في المستطاع تبرير ذلك الا بالقول ان المسيح [451] لم يأت في الوقت الذي انتظروه فيه . وقد تحاجوا قائلين انه لو كانت الايام النبوية تنتهي في عام ١٨٤٤ لكان المسيح قد جاء ليطهر القدس بكونه يطهر الارض بالنار، وما دام لم يأتِ فلا يمكن أن تكون الايام قد انقضت.

فلو قُب ل هذا الاستنتاج لكان معناه نبذ حساب الفترات النبوية . لقد وُجد ان ال ٢٣٠٠ يوم بدأت عند تنفيذ الامر الذي اصدره ارتحشستا بتجديد اورشليم وبنائها في خريف عام ٤٥٧ ق .م. فاذ نجعل هذا التاريخ نقطة البدء يكون هنالك توافق تام في تطبيق كل الحوادث المنبأ بها في ايضاح تلك المدة المذكورة في (دانيال ٩ : ٢٥ — ٢٧). فالتسعة والستون اسبوعا أي ال ٤٨٣ سنة، وهي الحقبة الاولى من ال ٢٣٠٠ سنة، كانت ستتصل الى مسيا، المسيح، ومعموديته ومسحه بالروح القدس في سنة ٢٧ للميلاد، وهذا التحديد بكل دقة . وفي منتصف الاسبوع السبعين كان مسيا سيُقطع. فبعد معمودية المسيح بثلاث سنين ونصف عُلق على الصليب في ربيع عام ٣١ م . ان السبعين اسبوعا او ال ٤٩٠ سنة كانت خاصة باليهود . وفي نهاية هذه المدة ختمت الامة على رفضها للمسيح باضطهاد تلاميذه، فتوجه الرسل الى الامم في عام ٣٤ م . ان انقضاء ٤٩٠ سنة من ٢٣٠٠ س نة يُبقي ١٨١٠ سنين . فمن سنة ٣٤ للميلاد تنتهي ال ١٨١٠ في عام ١٨٤٤ . وقد قال الملاك: "حينئذ يتبرأ (يتطهر) القدس". فكل تحديدات النبوة السابقة تمت بلا ريب في الوقت المحدد.

وبهذا الحساب كان كل شيء واضحا ومتوافقا عدا هذا الامر وهو انه لم تقع فعلا اي حادثة مط ابقة لتطهير القدس في عام ١٨٤٤ . ولكن كوننا ننكر ان الايام قد انتهت في ذلك التاريخ معناه اننا نلقي بالمسألة كلها في الارتباك وننبذ المواقف التي ثبتت بموجب اتمام النبوة الذي لا يخطئ.

الله قاد شعبه

لكنّ الله قاد شعبه في حركة المجيء العظيمة . فلقد لازمت قوته ومجده العمل، فلم يسمح ان ينتهي بالظلام وخيبة الآمال ويوصم بوصمة العار على انه [452] اهتياج تعصبي كاذب . ولم يسمح ان يترك كلمته مكتنفة بالشك وعدم اليقين . ومع ان كثيرين هجروا حسابهم القديم للفترات التاريخية وانكروا صحة الحركة المبنية عليه، فان آخرين لم يرغبوا في نبذ نقاط الايمان والاختبار التي كانت تسندها كلمة الله وشهادة روحه . لقد اعتقدوا انهم اتخذوا مبادئ سليمة للتفسير في درسهم النبوات وانه يجب عليهم التمسك بالحقائق التي حصلوا عليها والسير على النهج نفسه الذي اعتمدوه في بحوثهم الكتابية . وبروح الصلاة الحارة راجعو ا موقفهم ودرسوا الكتاب لاكتشاف خطئهم، فاذ لم يجدوا غلطة واحدة في الفترات النبوية ارشدهم الله الى فحص موضوع القدس باكثر دقة.

ففي بحثهم عرفوا انه لا يوجد نص في الكتاب او برهان يدعم الرأي القائل ان الارض هي القدس، وانما وجدوا في الكتاب شرحا وافيا لموضوع القدس وطبيعته وموقعه وخدماته، اذ كانت شهادة الكتّاب القديسين واضحة ومفصلة بحيث تجعل المسألة مفهومة بلا شك ولا ابهام . وفي الرسالة الى العبرانيين يكتب بولس الرسول قائلا: "ثم العهد الاول كان له ايضا فرائض خدمة والقدس العالمي. لانه نُصب المسكن الاول الذي يقال له القدس الذي كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة . ووراء الحجاب الثاني المسكن الذي يقال له قدس الاقداس فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب الذي فيه قسط من ذهب فيه المن وعصا هرون التي افرخت ولوحا العهد .وفوقه كروبا المجد مظللين الغطاء". (عبرانيين ٩ : ١ — ٥).

ان القدس الذي يشير اليه بولس هنا كان هو الخيمة التي اقامها موسى بأمر الله كالمسكن الارضي للعلي: "فيصنعون لي مقدسا لاسكن في وسطهم" (خروج ٢٥ : ٨)، هذا ما أمر الله به موسى عندما كان الله في الجبل . كان الاسرائيليون مسافرين في البرية وكانت الخيمة مصنوعة بحيث يمكن نقلها من مكان الى مكان ومع ذلك فقد كانت مسكنا فخما جد ا. لقد كانت جدران القدس مكونة من ألواح مستقيمة مغشاة بغشاء سميك من الذهب وموضوعة في قواعد من الفضة بينما كان السقف مكونا من جملة ستائر او اغطية متتابعة [453] كانت اعلاها من الجلد اما الداخلية منها فكانت من الكتان المشغول بصنعة الكروبيم الجميلة . وفضلا عن الدار الخارجية التي كانت تحتوي على مذبح المحرقة كانت الخيمة نفسها مكونة من مسكنين يسمى احدهما القدس، والآخر قدس الاقداس يفصل بينهما حجاب او ستار جميل ثمين، وكان على باب المسكن الاول حجاب مشابه لهذا.

القدس وقدس الاقداس

وفي القدس كانت المنارة (الشمعدان) في جهة الجنوب ولها سبعة سرج لتنير القدس نهارا وليلا، اما في الشمال فكانت توجد مائدة خبز التقدمة، وامام الحجاب الذي يفصل القدس ع ن قدس الاقداس كان يوجد مذبح الذهب للبخور الذي كانت تصعد منه كل يوم سحابة البخور العطر امام الله.

وفي قدس الاقداس كان يوجد التابوت الذي كان عبارة عن صندوق من الخشب الثمين المغشى بالذهب، وفيه وُضع لوحا الحجر اللذان كتب الله عليهما الوصايا العشر . وكان فوق الت ابوت غطاء

يسمى كرسي الرحمة، وكان قطعة من الصناعة الفخمة الجميلة، وفوق الغطاء كان كروبان كل منهما على احد طرفيه، وكل ذلك من الذهب الخالص . وفي هذا المسكن كان يعلن الحضور الالهي في سحابة المجد بين الكروبين.

هيكل سليمان

وبعدما سكن العبرانيون في أرض كنعان واست راحوا واستبدلت الخيمة بهيكل سليمان الذي كان بناء متينا دائما، وعلى مساحة اكبر، فقد روعيت فيه النسب نفسها ووضع فيه الاثاث نفسه الذي كان في الخيمة . على هذا الشكل كان الهيكل ـــ إلا عندما صار خرابا في عهد دانيال ـــ الى ان دمر بأيدي الرومان في سنة ٧٠ للميلاد. [454]

هذا هو القدس الوحيد الذي وجد على الارض والذي يخبرنا عنه الكتاب المقدس. وقد أعلن بولس أنه قدس العهد الاول . ولكن الا يوجد قدس للعهد الجديد؟

فاذ اتجه طالبو الحق مرة أخرى الى الرسالة الى العبرانيين اكتشفوا ان وجود مقدس ثانٍ او مقدس العهد الجديد كان متضمنا في قول بولس الذي اقتبسناه من قبل اذ يقول: ”ثم العهد الاول كانٍ له ايضا فرائض خدمة والقدس العالمي“. ان استعمال كلمة ”ايضا“ يشير الى ان بولس قد سبق فذكر هذا القدس. فاذ عادوا الى أول الاصلاح السابق قرأوا هذا القول: ”وأما رأس الكلام فهو ان لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادما للاقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا انسان“ (عبرانيين ٨ : ١ و ٢).

هنا يُعلَن قدس العهد الجديد . لقد نصب الانسان القدس الاول الذي بناه موسى، أما هذا فقد بناه الرب لا انسان . في القدس الاول كان الكهنة يمارسون خدماتهم، اما في هذا فيخدم المسيح رئىس كهنتنا عن يمين الله . كان المقدس الاول على الارض اما الآخر ففي السماء.

وفوق هذا، فالخيمة التي اقامها موسى كانت حسب مثال . فقد أمره الرب قائلا: ”بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هك ذا تصنعون“. وقد قدمت اليه الوصية مرة اخرى قائلة: ”وانظر فاصنعها على مثالها الذي اظهر لك في الجبل“ (خروج ٢٥ : ٩ و ٤٠). وبولس يقول ان المسكن الاول ”رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدم قرابين وذبائح“، وان أماكنه المقدسة هي ”أمثلة الاشياء التي في السموات“، وان الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس كانوا يخدمون ”شبه السماويات وظله ا“، وان ”المسيح لم يدخل الى اقداس مصنوعة بيد اشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن [455] [456] امام وجه الله لاجلنا“ (عبرانيين ٩ : ٩ و ٢٣ ؛ ٨ : ٥ ؛ ٩: ٢٤).

الاصل العظيم

ان القدس الذي في السماء الذي يخدم فيه يسوع لاجلنا هو الاصل العظيم الذي كان القدس الذي بناه موسى على مثاله . لقد وضع الله روحه على الرجال الذين اقاموا القدس الارضي . فالمهارة الفنية التي استخدمت في صنعه كانت مظهرا لحكمة الله . كان للجدران مظهر الذهب الخالص، ومن كل جهة تنعكس

عليه أنوار السرج السبعة للمنارة الذهبية . وكانت مائدة خبز التقدمة ومذبح البخور يلمعان كالذهب المصقول . والستارة الفاخرة البديعة التي كونت السقف والمشغولة بصور الملائكة بالاسمانجون والارجوان والقرمز، كل ذلك زاد من جمال المشهد . وخلف الحجاب الثاني كان الشكينا المقدس وهو مظهر مجد الله المنظور الذي لم يكن أحد غير رئيس الكهنة يدخل أمامه ويعيش.

ان بهاء المسكن الارضي الذي لا يبارى عكس أمام العيون البشرية امجاد ذلك الهيكل السماوي الذي فيه يخدم المسيح كسابق لأجلنا أمام عرش الله. انه المسكن الثابت الذي فيه ملك الملوك حيث الوف الوف تخدمه وربوات ربواتٍ وقوف قدامه (دانيال ٧ : ١٠)، ذلك الهيكل الممتلئ بمجد العرش الابدي حيث السرافيم حراسه اللامعون الذين يغطون وجوههم اكراما وتعبدا لم يستطيعوا ان يجدوا في افخم بناء اقامته يد انسان الا انعكاسا باهتا لعظمته ومجده. ومع ذلك فقد كانت توجد في القدس الارضي وخدماته حقائق مهمة للناس خاصة بالقدس السماوي والعمل العظيم الذي يجري فيه لفداء بني الانسان.

الاماكن المقدسة في القدس الذي في السماء يرمز اليها المسكنان اللذان في القدس الارضي. وقد رأى يوحنا الرسول في رؤيا منظر هيكل الله في السماء، فرأى "امام العرش سبعة مصابيح نار متقدة" [457] (رؤيا ٤ : ٥). وقد رأى ملاكا "معه مبخرة من ذهب وأعطي بخورا كثيرا لكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش" (رؤيا ٨ : ٣). لقد سمح للنبي بأن يرى المسكن الاول من القدس الذي في السماء، ورأى هناك "السبعة المصابيح التي من نار"، "ومذبح الذهب" اللذين كان يرمز اليهما المنارة ومذبح البخور اللذان في القدس الارضي. ومرة اخرى "انفتح هيكل الله" (رؤيا ١١ : ١٩) فتطلع في داخل الحجاب الداخلي الى قدس الاقداس . وهنا رأى "تابوت عهده" الذي كان يرمز اليه التابوت المقدس الذي صنعه موسى لتوضع فيه شريعة الله.

وهكذا وجد الذين كانوا يدرسون الموضوع برهانا لا ينقض على وجود قدس في السماء . لقد صنع موسى القدس الارضي حسب مثال اظهر له . وقد علمنا بولس ان المثال هو القدس الحقيقي الذي في السماء . ويوحنا يشهد بأنه قد رآه في السماء.

في الهيكل الذي في السماء، مسكن الله، عرشه المثبت بالبر والعدل . وفي قدس الاقداس توجد شريعته، القانون العظيم للحق الذي به يختبر كل الجنس البشري . والتابوت الذي فيه حفظ لوحا الشريعة يغطيه الغطاء (كرسي الرحمة) الذي امامه يتوسل المسيح لاجل الخاطئ باستحقاق دمه . وهكذا يمثل اتحاد العدل بالرحمة في تدبير فداء الانسان . هذا الاتحاد لم يكن في وسع غير الحكمة الالهية غير المحدودة ان تبت تكره وغير القدرة الالهية غير المحدودة ان تتممه. انه اتحاد يملأ قلوب كل سكان السماء بالدهشة والتمجيد لله . يمثل الكروبان اللذان كانا في القدس الارضي ينظران بوقار الى كرسي الرحمة، الاهتمام الذي به يتأمل الاجناد السماويون في عمل الفداء . هذا هو سر الرحمة الذي تشتهي الملائكة ان تطلع عليه: ان الله يستطيع ان يكون بارا فيما يبرر الخاطئ التائب، وهو يجدد معاشرته لجنسنا الساقط وشركته معه، وان المسيح امكنه ان يتنازل ليرفع جماهير لا حصر لها من هاوية الهلاك ويلبسهم ثياب بره النقية ليجمع بينهم وبين الملائكة الذين لم يسقطوا قط، وليعيشوا [458] الى الابد في حضرة الله.

نبوة جميلة

ان عمل المسيح، كشفيع ووسيط للانسان، مذكور في تلك النبوة الجميلة التي اوردها عنه زكريا: "الغصن اسمه ... فهو يبني هيكل الرب ... وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه (كرسي ابيه)،

ويكون كاهنا على كرسيه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما" (زكريا ٦ : ١٢ و ١٣).

"يبني هيكل الرب". ان المسيح بذبيحته وشفاعته هو اساس كنيسة الله وبانيه ا. والرسول بولس يشير اليه على انه "حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكلا مقدسا في الرب . الذي فيه انتم ايضا مبنيو ن معا مسكنا لله في الروح" (افسس ٢ : ٢٠ ـــ ٢٢).

"يحمل الجلال". للمسيح مجد فداء جنسنا الساقط . فمدى دهور الابد ستكون انشودة المفديين هي هذه: "الذي احبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه... له المجد والسلطان الى ابد الآبدين" (رؤيا ١ : ٥ و ٦).

"ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه". ليس الآن "على كرسي مجده"، فملكوت المجد لم يؤت به بعد، فبعدما يكمل عمله كوسيط "يعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ... ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١: ٣٢ و ٣٣). ان المسيح ككاهن هو الآن جالس مع الآب في عرشه (رؤيا ٣: ٢١). فعلى كرسيه مع الله السرمدي القيوم يوجد ذاك الذي "احزاننا حملها وأوجاعنا تحملها"، الذي تجرب "في كل شيء مثلنا بلا خطيئة"، لكي يكون قادرا "ان يعين المجربين". "ان اخطأ احد فلنا شفيع عند الآب" (اشعياء ٥٣ : ٤ ؛ عبرانيين ٤ : ١٥ ؛ ٢ : ١٨ ؛ ١ يوحنا ٢ : ١). ان شفاعته هي شفاعة الجسد المسحوق المطعون والحياة التي بلا عيب . فاليدان المثقوبتان والجنب المطعون [459] والرجلان المشوَّهتان تتوسل لأجل الانسان الساقط الذي دُفع في فدائه هذا الثمن الذي لا يمكن تقديره.

"وتكون مشورة السلام بينهما كليها". ان محبة الآب، التي ليست اقل من محبة الا بن، هي نبع خلاص الجنس الساقط الهالك . وقد قال يسوع لتلاميذه قبل انطلاقه: "ولست اقول لكم اني أنا اسأل الآب من اجلكم لان الآب نفسه يحبكم" (يوحنا ١٦ : ٢٦ و ٢٧). لقد كان الله "في المسيح مصالحا العالم لنفسه" (٢ كورنثوس ٥ : ١٩). وفي الخدمة في القدس الاعلى "تكون مشورة السلام بينهما كليهما". "هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية" (يوحنا ٣: ١٦).

ماهية المقدس

ان السؤال القائل "ما هو القدس" نجد له جوابا واضحا في الكتاب. فكلمة "قدس"، كم ا هي مستعملة في الكتاب، تشير اولا الى الخيمة التي بناها موسى كمثال للسماويات، وتشير ثانيا الى "المسكن الحقيقي" في السماء الذي كان القدس الارضي يرمز اليه . وبموت المسيح انتهت الخدمة الرمزية. "فالمسكن الحقيقي" في السماء هو قدس العهد الجديد . وبما ان النبوة الواردة في دانيال ٨ : ١٤ تتم في هذا النظام او هذا العهد، فلا بد ان يكون القدس الذي تشير اليه النبوة هو قدس العهد الجديد . ففي نهاية ال ٢٣٠٠ يوم أي في عام ١٨٤٤ لم يكن يوجد قدس على الارض مدى قرون عديدة . ان القول: "الى الفين وثلاث مئة صباح ومس اء فيتبرأ (يتطهر) القدس" يشير بلا ريب الى القدس الذي في السماء.

ولكن يبقى اهم سؤال ينتظر الاجابة وهو : ما هو تطهير القدس؟ ان حقيقة وجود مثل هذه الخدمة في ارتباطها بالقدس الارضي منصوص عنها في اسفار العهد القديم . ولكن هل يمكن ان يكون في السماء ما يحتاج ا لى تطهير ؟ ان ما ورد في عبرانيين ٩ يعلمنا بكل وضوح عن تطهير القدس الارضي والسماوي [460] كليهما حيث يقول الرسول: "وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة . فكان يلزم ان امثلة الاشياء التي في السموات تطهر بهذه (بدم الذبائح)، واما السم اويات عينها فبذبائح افضل من هذه" (عبرانيين ٩ : ٢٢ و ٢٣)، اي دم المسيح الزكي الثمين.

تطهير القدس

ان التطهير في كلتا الخدمتين الرمزية والحقيقية ينبغي ان يتم بالدم، دم الذبائح في الخدمة الاولى ودم المسيح في الخدمة الثانية . فبولس يقرر ان السبب الذي لأ جله يجب ان يتم التطهير بالدم هو أنه من دون سفك دم لا تحصل مغفرة . ان رفع الخطيئة وازالتها هو العمل الذي ينبغي انجازه، ولكن كيف يمكن ان تكون هنالك خطيئة متصلة بالقدس في السماء او على الارض؟ هذا ما يمكن ان نفهمه بالرجوع الى الخدمة الرمزية، لان الكهنة الذين ك انوا يخدمون على الارض انما كانوا يخدمون "شبه السماويات وظلها" (عبرانيين ٨ : ٥).

لقد كانت خدمة القدس الارضي تنحصر في قسمين، فالكهنة كانوا يخدمون كل يوم في القدس، بينما كان رئيس الكهنة يمارس مرة واحدة في السنة خدمة تكفيرية خاصة في قدس الاقداس لاجل تطهير ا لقدس. ويوما بعد يوم كان الخاطئ التائب يأتي بذبيحته الى باب خيمة الاجتماع، واذ يضع يده على الذبيحة يعترف بخطاياه، وبهذه الطريقة الرمزية كانت خطاياه تنتقل منه الى الذبيحة البريئة . وبعد ذلك كانت الذبيحة تُذبح . والرسول يقول: "بدون سفك دم" لا تحصل مغف رة. "لان نفس الجسد هي ف الدم" (لاويين ١٧ : ١١). ان شريعة الله التي كسرت تطلب حياة من قد خالفه ا. فكان الكاهن يأخذ الدم، وهو رمز الحياة التي خسرها الخاطئ الذي حملت الذبيحة ذنبه، الى القدس ويرشه أمام الحجاب الذي كان خلفه التابوت الذي يحتوي على الشريعة التي تعداها الخاطئ . فبهذا الطقس كانت الخطيئة، بواسطة الدم، تنتقل الى القدس بطريقة رمزية . وفي بعض الحالات لم يكن الدم يحمل الى القدس بيد الكاهن كما [461] أمر موسى ابني هرون قائلا: "قد أعطاكما (الله) اياها لتحملا اثم الجماعة" (لاويين ١٠ : ١٧). وكان كلا الطقس ين يرمزان الى نقل الخطيئة من التائب الى القدس.

مثل هذا كان العمل الذي كان يمارس من يوم الى يوم على مدار السنة. وهكذا انتقلت خطايا اسرائيل الى القدس، وكانت الحاجة تتطلب القيام بعمل خاص لرفعه ا. لقد أمر الله بالتكفير عن كل من المسكنين المقدسين فقال: "فيكفر ع ن القدس من نجاسات بني اسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم في وسط نجاساتهم". كما كان ينبغي التكفير عن المذبح لكي "يطهره ويقدسه من نجاسات بني اسرائيل" (لاويين ١٦ : ١٦ و ١٩).

يوم الكفارة العظيم

وكان على الكاهن ان يدخل الى قدس الاقداس مرة في السنة في يوم الكفارة العظيم لأجل تطهير القدس . والعمل الذي كان يمارس هناك كان مكملا للخدمات التي كانت تقدم على مدار السنة . وفي يوم الكفارة كان يؤتى بتيسين من المعزى الى باب الخيمة، وكانت تلقى عليهما قرعتان "قرعة للرب وقرعة لعزازيل" (لاويين ١٦ : ٨). فالتيس الذي كانت تقع قرعته للرب كان يذبح كذبيحة خطيئة عن الشعب، وكان على الكاهن ان يأتي بدمه الى داخل الحجاب ويرش دمه على غطاء التابوت (كرسي الرحمة) وأمامه. وكان يجب ايضا أن يرش من الدم على مذبح البخور الذي كان امام الحجاب.

"ويضع هرون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية . يحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى

ارض مقفرة" (لاويين ١٦ : ٢١ و ٢٢). ولا يعود تيس عزازيل ثانية الى محلة اسر ائيل. وكان يُطلب من الرجل الذي يرسله الى البرية ان يغتسل ويغسل ثيابه قبل عودته الى المحلة. [462]

وكان القصد من هذا الطقس كله هو أن يطبع على عقول بني اسرائيل وقلوبهم حقيقة قداسة الله وكراهيته الخطيئة، واكثر من هذا ان يريهم انه لا يمكنهم ان يتصلوا بالخطيئة من دون ان يتنجسو ا. وكان يطلب من كل انسان ان يذلل نفسه ويحزنها عندما تمارس عملية الكفارة هذه . كان ينبغي الاعتكاف عن كل الاعمال، وكان على كل جماعة اسرائيل ان يقضوا الوقت في التذلل المقدس امام الله بالصلاة والصوم وفحص القلب فحصا عميقا.

تعليم حقائق مهمة

وهنالك حقا ئق مهمة عن الكفارة يمكن تعلمها من الخدمة الرمزية: كان في المستطاع قبول بديل عن الخاطئ، لكنّ الخطيئة لم تكن تشطب بدم الذبيحة . لذلك قُدمت وسيلة بها كانت تنتقل الخطيئة الى القدس. فبتقديم الدم كان الخاطئ يعترف بسلطة الناموس، فيعترف بذنبه في تعديه، ويعرب عن شوقه الى الغفران بالايمان بفادٍ سيأتي، ولكنه لم يكن يتحرر تماما من دينونة الناموس . ففي يوم الكفارة بعدما كان رئيس الكهنة يأخذ ذبيحة من الجماعة كان يدخل الى قدس الاقداس بدم الذبيحة ويرشه على غطاء التابو ت فوق الشريعة مباشرة لكي يقدم ترضيته عن مطالبه ا. وحينئذ ففي وظيفته كوسيط كان يأخذ الخطايا على نفسه ويحملها من القدس، واذ يضع يديه على رأس تيس عزازيل كان يعترف عليه بكل هذه الخطايا، وبذلك كان بطريقة رمزية ينقلها من نفسه الى التيس . وكان التيس يحملها بعيدا فتُعتبر قد انفصلت وابتعدت عن الشعب الى الابد.

هكذا كانت الخدمة تمارس على "شبه السماويات وظله ا". وما كان يصنع بطريقة رمزية في خدمة القدس الأرضي يصنع حقيقة في خدمة القدس السماوي. ان مخلصنا بعد صعوده بدأ عمله كرئيس كهنتن ا. فبولس يقول: "لان المسيح لم يدخل الى اقداس مصنوعة بيد اشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن امام وجه الله لاجلنا" (عبرانيين ٩: ٢٤). [463]

ان خدمة الكاهن على مدار السنة في مسكن القدس الاول "داخل الحجاب"، الذي كان بابا يفصل القدس عن الدار الخارجية، ترمز الى عمل الخدمة التي دخلها المسيح عند صعوده . لقد كان عمل الكاهن في الخدمة اليومية ان يقدم دم ذبيحة الخطيئة امام الله، كما كان يقدم البخور الصاعد مع صلوات اسرائيل . وهكذا تقدم المسيح باستحقاق دمه امام الآب لأجل الخطاة كما قدم امامه ايضا صلوات التائبين المؤمنين م عطرة ببره . مثل هذا كان عمل الخدمة في مسكن القدس الاول في السماء.

وقد تبعه ايمان التلاميذ الى هناك عندما صعد المسيح من بينهم الى السماء بعيدا من انظارهم . هنا تركز رجاؤهم، ذلك الرجاء الذي قال عنه بولس: "كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل الى ما داخل الحجاب . حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا صائرا ... رئيس كهنة الى الابد"، "وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء ابديا" (عبرانيين ٦ : ١٩ و ٢٠ ؛ ٩ : ١٢).

ولمدى ثمانية عشر قرنا ظل عمل الخدمة هذا في مسكن القدس الاول . وقد توسل دم المسيح لأجل المؤمنين التائبين وحصل لهم على الغفران والقبول لدى الآب، ومع ذلك فقد ظلت خطاياهم مسجلة في الاسفار . وكما ان في الخدمة الرمزية كان يوجد عمل كفارة في ختام السنة، كذلك قبل ان يُكمَّل عمل المسيح لفداء الناس يوجد عمل كفارة لمحو الخطيئة وازالتها من القدس . فهذه هي الخدمة التي بدأت في

نهاية ال ٢٣٠٠ يوم . ففي ذلك الوقت دخل رئيس كهنتنا الى قدس الاقداس، كما قد سبق النبي دانيال وأنبأ بذلك، ليمارس آخر جزء من عمله المقدس، أي ليطهر القدس.

عمل الدينونة

وكما حدث قديما ان خطايا الشعب وضعت بالايمان على ذبيحة الخطيئة وبواسطة دمها انتقلت الخطيئة الى القدس الارضي بطريقة رمزية، كذلك في [464] العهد الجديد تنتقل خطايا التائب وبالايمان توضع على المسيح وتنتقل فعلا الى القدس السماوي . وكما تم التطهير الرمزي للقدس الارضي بإزالة الخطايا التي كان قد تنجس، بها كذلك يتم التطهير الفعلي للقدس السماوي بإزالة الخطايا المسجلة هناك او محوه ا. ولكن قبل ان يتم هذا ينبغي فحص الاسفار المسجلة فيها الخطايا للحكم في من هم الذين بواسطة التوبة عن الخطيئة والايمان بالمسيح يؤهلون لنوال بركات كفارته . ولذلك فتطهير القدس يشمل ايضا عملية فحص، عملية دينونة . وهذا ا لعمل يجب انجازه قبل المجيء الثاني للمسيح لفداء شعبه. لانه عندما يأتي ستكون اجرته معه ليجازي كل واحد كما يكون عمله (رؤيا ٢٢ : ١٢).

وهكذا رأى اولئك الذين اتبعوا نور الكلمة النبوية ان المسيح بدلا من المجيء الى الارض في نهاية ال ٢٣٠٠ يوم في عام ١٨٤٤ دخل الى قدس اقداس المقدس السماوي ليكمل عمل الكفارة الختامي استعدادا لمـ

وقد رؤي ايضا انه في حين ان ذبيحة الخطيئة كانت ترمز الى المسيح كذبيحة، ورئيس الكهنة كان يرمز الى المسيح كوسيط، فان تيس عزازيل يرمز الى الشيطان مبتدع كل خطيئة والذي ستوضع عليه، نهائيا، خ طايا التائبين الحقيقيين. وعندما ازال رئيس الكهنة الخطايا من القدس بفضل دم ذبيحة الخطيئة وضعها على تيس عزازيل . وعندما يزيل المسيح خطايا شعبه من القدس السماوي في نهاية خدمته بفضل دمه فسيضعها على الشيطان الذي، تنفيذا للحكم، ينبغي ان يتحمل القصاص الاخير . وقد ارسل تيس عزازيل الى ارض مقفرة على الا يعود ثانية الى جماعة اسرائيل . وهكذا سيُنفى الشيطان الى الابد من حضرة الله وشعبه ويمحى من الوجود في الهلاك النهائي للخطيئة والخطاة . [465]

الفصل الرابع و العشرون ــــ المسيح شفيعنا

كان موضوع القدس المفتاح الذي كشف عن سر خيبة الامل التي حدثت في عام ١٨٤٤ . لقد كشف للابصار عن نظام كامل للحق مترابط ومتوافق، مظهرا ان يد الله وجهت حركة المجيء العظيمة وموحيا الواجب الحالي بتسليطه الضوء على وضع شعبه وعمله . وكما " فرح تلاميذ يسوع عندما رأوا الرب " بعد ليلة مخيفة قضوها في العذاب والخيبة، كذلك فرح اولئك الذين كانوا ينتظرون مجيئه الثاني بايمان . لقد كانوا ينتظرون انه سيظهر في مجده لمجازاة عبيده . فعندما خابت آمالهم غاب يسوع عن انظارهم، وصرخوا مع مريم حينما كانت عند القبر قائلين: "اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه". أما الآن فقد رأوه في قدس الاقداس مرة اخرى كرئيس كهنتهم الرحيم المزمع ان يظهر كمليكهم ومخلصهم . وقد سطع من القدس نور انار الماضي والحاضر والمستقبل. وعرفوا ان الله كان يقودهم بعنايته التي لا تخطئ . ومع انهم، كالتلاميذ الاولين، اخفقوا في فهم الرسالة التي كانوا يحملونها فقد كانت، مع ذلك، صحيحة من كل جانب . واذ نادوا بها تمموا قصد الله ولم يكن تعبهم باطلا في الرب . فاذ كانوا " مولودين ثانية لرجاء حي " فقد فرحوا " بفرح لا يُنطق به ومجيد. [466]

ان كلتا النبوتين الواردة اولاهما في (دانيال ٨ : ١٤) القائلة "الى الفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ (يتطهر) القدس" وثانيتهما في (رؤيا ١٤ : ٧) "خافوا الله واعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته" كانت تشيران الى خدمة المسيح في قدس الاقداس والى الدينونة الاستقصائية (او التحقيقية) لا الى مجيء المسيح لأجل فداء شعبه وهلاك الفجار . فلم تكن الغلطة في حسبان الفترات النبوية بل في الحادثة نفسها التي كانت ستحدث في نهاية ال ٢٣٠٠ يوم. وبسبب هذه الغلطة حاقت بالمؤمنين الخيبة، ومع ذلك فكل ما سبقت النبوة وانبأت به وكل ما كان لديهم من مستند كتابي لينتظروه قد تم. وفيما كانوا يندبون انهيار آمالهم كانت الحادثة التي انبأت بها الرسالة والتي ينبغي ان تتم قبل ظهور الرب لمكافأة عبيده قد حدثت.

فالمسيح لم يأت الى الارض كما كانوا ينتظرون، بل أتى الى قدس اقداس هيكل الله في السماء كما سبق ان اشير اليه في الرمز . وقد صوَّره دانيال النبي على انه آت في هذا الوقت الى القديم الايام: "كنت أرى في رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء"، لا الى الارض، بل "الى القديم الايام فقربوه قدامه" (دانيال ٧ : ١٣).

وقد سبق النبي ملاخي ايضا فأنبأ بهذا المجيء قائلا: "يأتي بغتة الى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به . هوذا يأتي قال رب الجنود" (ملاخي ٣: ١). كان مجيء السيد الى هيكله فجائيا، فلم يكن شعبه ينتظرونه. لم يكونوا ينتظرونه هناك . فقد كانوا ينتظرون مجيئه الى الارض "في نار لهيب معطي انقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح" (٢ تسالونيكي ١: ٨).

ضرورة الاستعداد

لكن الشعب لم يكونوا بعد متأهبين لاستقبال سيدهم . كان هنالك عمل تأهب ينبغي ان يتموه . كان سيعطى نور لتوجيه عقو لهم الى هيكل الله [467] في السماء، ولانه كان عليهم ان يتبعوا رئيس كهنتهم بالايمان في خدمته هناك كانت ستعلن لهم واجبات جديدة . وكانت ستقدم الى الكنيسة رسالة انذار وتعليم اخرى.

يقول النبي: "من يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره . لانه مثل نار الممحص ومثل اشنان القصَّار. فيجلس ممحصا ومنقيا للفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر" (ملاخي ٣ : ٢ و ٣). فالذين يكونون عائشين على الارض عندما تنتهي شفاعة المسيح في القدس السماوي عليهم ان يقفوا في حضرة الله القدوس من دون وسيط . ينبغي ان تكون ثيابهم نقية بلا عيب، وصفاتهم مطهرة من الخطيئة بدم الرش . فبنعمة الله وجهودهم ينبغي لهم ان ينتصروا في حربهم ضد الشر . فعندما تكون الدينونة الاستقصائية (التحقيقية) سائرة قدما في السماء والعمل جاريا بإزالة خطايا المؤمنين التائبين من القدس، فلا بد ان يكون هنا لك عمل تطهير خاص وإزالة الخطيئة بين شعب الله على الارض . وهذا العمل معروض على نحو اوضح في الرسائل الواردة في الاصحاح الرابع عشر من الرؤيا.

فعندما يكون هذا العمل قد كمل سيكون اتباع المسيح مستعدين لظهوره: "فتكون تقدمة يهوذا واورشليم مرضية للرب كما في ايام الق دم وكما في السنين القديمة" (ملاخي ٣ : ٤). وحينئذ فستكون الكنيسة التي سيقبلها ربنا لنفسه في مجيئه "كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن او شيء من مثل ذلك" (أفسس ٥ : ٢٧). وحينئذ ستبدو "مشرقة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية" (نشيد الانشاد ٦ : ١٠).

وفضلا عن مجيء الرب الى هيكله فان ملاخي ينبئ عن مجيئه الثاني ايضا لاجراء الدينونة بهذا القول: "واقترب اليكم للحكم واكون شاهدا سريعا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زورا وعلى السالبين اجرة الاجير الارملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود" (ملاخي ٣ : ٥) .ثم ان يهوذا يشير الى المشهد نفسه حينما يقول: "هوذا قد جاء الرب في ربوات [468] قديسيه. ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم" (يهوذا ١٤ و ١٥). هذا المجيء ومجيء الرب الى هيكله كل منهما مختلف عن الآخر ومنفصل عنه.

"هوذا العريس مقبل"

ان مجيء المسيح كرئيس كهنتنا الى قدس الاقداس لأجل تطهير القدس الوارد في دانيال ٨: ١٤ ، ومجيء ابن الانسان الى القديم الايام كما جاء في دانيال ٧: ١٣ ، ومجيء الرب الى هيكله كما قد انبأ عنه ملاخي، هي اوصاف لحادث واحد، وهو ممث ل ايضا في مجيء العريس الى العرس كما قد وصفه المسيح في مثل العذارى العشر المذكور في متى ٢٥ .

في صيف عام ١٨٤٤ وخريفه اطلق هذا النداء: "هوذا العريس مقبل". ان الفريقين اللذين ترمز اليهما العذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات كانا قد تكونا وقتئذ: الفريق ا لذي كان ينتظر ظهور الرب بفرح

وكان افراده مجتهدين في الاستعداد لملاقاته، والفريق الآخر الذي كان افراده متأثرين بالخوف وكانوا يعملون بدافع النوازع المختلفة، هؤلاء قنعوا بنظرية الحق لكنّ قلوبهم خلت من نعمة الله . ويقول المثل انه عند مجيء العريس "المستعدات دخلن معه الى العرس". ان مجيء العريس المعروض امامنا هنا يحدث قبل الزواج، والزواج يرمز الى قبول المسيح ملكوته . ان المدينة المقدسة، اورشليم الجديدة، التي هي عاصمة المملكة وممثلتها تسمى "العروس امرأة الخروف". قال الملاك ليوحنا: "هلم فأريك العرو س امرأة الخروف" ثم يقول النبي: "وذهب بي بالروح... وأراني المدينة العظيمة اورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله" (رؤيا ٢١ : ٩ و ١٠). اذاً يتضح ان العروس ترمز الى المدينة المقدسة، والعذارى اللائي يخرجن للقاء العريس رمز للكنيسة. يقول الكتاب في الر ؤيا ان شعب الله هم المدعوون الى عشاء العرس (رؤيا ١٩ : ٩). فان كانوا ضيوفا مدعوين فلا يمكن ان يكونوا رمزا الى العروس كذلك . ان المسيح بناء على ما [469] قاله دانيال النبي سيعطى من قديم الايام في السماء "سلطانا ومجدا وملكوتا" . وسيعطى اورشليم الجديدة ، قصبة ملكوته "مهيأة كعروس مزينة لرجلها" (دانيال ٧ : ١٤ ؛ رؤيا ٢١ : ٢). فبعدما يعطى الملكوت سيأتي في مجده كملك الملوك ورب الارباب لفداء شعبه الذين سيتكئون " مع ابراهيم واسحق ويعقوب " على مائدته في ملكوته (متى ٨ : ١١ ؛ لوقا ٢٢ : ٣٠) ليشتركوا في عشاء عرس الخروف.

ينتظرون ربهم

ان النداء القائل "هوذا العريس مقبل" الذي سُمع في صيف عام ١٨٤٤ جعل آلافا من الناس ينتظرون مجيء الرب في الحال . ففي الوقت المعين جاء العريس لا الى الارض كما توقع الناس بل الى القديم الايام في السماء، الى العرس ليُعطى ملكوته، "والمستعدات دخلن معه الى العرس واغلق الباب". لم يكن لهم ان يحضروا العرس بانفسهم لان هذا يحدث في السماء بينما هم على الارض . ان اتباع المسيح عليهم ان ينتظروا "سيدهم متى يرجع من العرس" (لوقا ١٢ : ٣٦). ولكن عليهم ان يدركوا عمله ويتبعوه بالايمان حين يدخل امام الله، فبهذا المعنى يقال عنهم انهم يدخلون العرس.

وقد قيل في المثل ان العذارى اللواتي كان معهن زيت في آنيتهن مع مصابيحهن هن اللائي دخلن العرس . فالذين، فضلا عما لديهم من معرفة للحق من الكتاب، كان عندهم ايضا روح الله ونعمته، والذين في ليل تجاربهم المرة انتظروا بصبر ف احصين الكتاب طلبا لنور اعظم، هؤلاء رأوا الحق الخاص بالقدس في السماء وتغيير خدمة المخلص، وبالايمان تبعوه في عمله في القدس السماوي. وكل الذين يقبلون الحقائق نفسها بواسطة شهادة الكتب تابيعن المسيح بالايمان عندما يمثل امام الله ليتمم آخر عمل من أعمال وساطته وفي نهايته يعطى له ملكوته، كل هؤلاء يوصفون بأنهم داخلون الى العرس. [470]

العمل الختامي في القدس السماوي

وفي المثل الوارد في متى ٢٢ تمثِّل صورة العرس نفسها الدينونة الاستقصائية (التحقيقية) بكل وضوح على انها تحدث قبل العرس . فقبل الزفاف يدخل الملك لينظر المدعوين و ليرى هل كلهم لابسون ثوب العرس، ثوب الخلق الذي بلا عيب المغتسل والمبيض في دم الخروف (متى ٢٢ : ١١ ؛ رؤيا ٧ :

١٤). فمن وجد مقصرا في هذا وليس عليه لباس العرس يطرح خارجا، ولكن كل من وُجدوا بعد الفحص ار عليهم لباس العرس يقبلهم الله ويحسبهم اهلا لنصيب في ملكوته و يجلسون معه في عرشه . ان عمل امتحان الخلق هذا والحكم في من هم متأهبون لملكوت الله هو حكم الاستقصاء او دينونة الفحص، والعمل الختامي في القدس السماوي.

وعندما تنتهي عملية فحص قضايا كل الذين اعترفوا مدى الأجيال بانهم اتباع المسيح، فبعد الحكم في هذا وليس قبله ينته ي زمن النعمة ويغلق باب الرحمة. وهكذا ففي هذه الجملة القصيرة القائلة: "والمستعدات دخلن معه الى العرس واغلق الباب" نُحمل من خدمة المخلص الختامية الى الوقت الذي فيه يتم العمل العظيم لخلاص الانسان.

في خدمة القدس الارضي، التي كما وقد رأينا ترمز الى خدمة الق دس السماوي، عندما كان رئيس الكهنة يدخل قدس الاقداس في يوم الكفارة كانت تبطل الخدمة في المسكن الاول . لقد امر الله قائلا: "ولا يكن انسان في خيمة الاجتماع من دخوله للتكفير في القدس الى خروجه" (لاويين ١٦ : ١٧). وهكذا عندما دخل المسيح قدس الاقداس ليمارس عمل الكفارة الختامي كف عن خدمته في المسكن الاول . ولكن عندما انتهت الخدمة في المسكن الاول بدأت الخدمة في المسكن الثاني . وفي الخدمة الرمزية عندما ترك رئىس الكهنة القدس في يوم الكفارة دخل ليمثل في حضرة الله ويقدم دم ذبيحة الخطيئة لأجل كل اسرائيل الذين تا بوا توبة صادقة عن خطاياهم . وكذلك كان المسيح قد [471] أكمل جزءاً فقط من عمله كشفيعنا ليدخل على جزء آخر من عمله وكان لا يزال يتوسل باستحقاق دمه امام الآب لأجل الخطاة.

هذا الموضوع لم يفهمه الادفنتست في عام ١٨٤٤. فبعدما مر الوقت الذي كان يُنتظر فيه مجيء المخلص، كانو ا لا يزالون يعتقدون بقرب مجيئه . كانوا يعتقدون انهم قد وصلوا الى أزمة مهمة وأن عمل المسيح كشفيع الانسان أمام الله قد انتهى . وخُيِّل اليهم انه يوجد تعليم في الكتاب يفيد بأن فرصة اختبار الانسان (أي زمن النعمة) تنتهي قبل مجيء الرب الفعلي في سحاب السماء بوقت ق صير. وهذا بدا واضحا من الآيات التي تشير الى وقت فيه يطلب الناس ويقرعون ويصرخون في طلب الرحمة وهم واقفون امام بابها من دون ان يُفتح. وقد كان السؤال الذي واجههم هو ما اذا كان الموعد الذي كانوا يتوقعونه لمجيء المسيح لن يحدِّد بالحري بدء هذه الفترة التي كانت س تسبق مجيئه مباشرة. فاذ كانوا قد قدموا الانذار بقرب الدينونة احسوا بأن عملهم لأجل العالم قد كمل ولم يعودوا يشعرون بثقل مسؤولية النفوس لخلاص الخطاة بينما بدا لهم ان تجاديف الفجار وسخريتهم الجريئة كانت برهانا آخر على ان روح الله قد انسحب بعيدا من رافضي رحمته . كل هذا ثبّت اعتقادهم ان الاختبار (او زمن النعمة) قد انتهى او، كما عبروا عنه، "ان باب الرحمة قد اغلق".

لكنّ نورا اوضح اشرق عليهم عند فحص مسألة القدس . فلقد رأوا الآن انهم كانوا على صواب في اعتقادهم ان نهاية ال ٢٣٠٠ يوم في عام ١٨٤٤ حدَّدت ازمة مهمة. فمع انه كان صحيحا ان باب الرجاء والرحمة، الذي ظل الناس طوال ١٨٠٠ سنة يستطيعون بواسطته ان يجدوا طريقا للاتيان الى الله قد أغلق، فقد فتح باب آخر وقدم الى الناس غفران لخطاياهم بشفاعة المسيح في قدس الاقداس. لقد انتهى جزء من خدمته لكي يعطي المجال لجزء آخر . كان لا يزال يوجد "باب مفتوح" الى القدس السماوي حيث كان المسيح يخدم لأجل الخاطئ.

وقد وجد حينئذ تطبيق قول المسيح في سفر الرؤيا الذي به يخاطب الكنيسة في عصرنا الراهن اذ يقول: "هذا يقوله القدوس الحق الذي له مفتاح [472] داود الذي يفتح ولا احد يغلق ويغلق ولا احد يفت ح. انا عارف اعمالك . هنذا قد جعلت امامك بابا مفتوحا ولا يستطيع احد ان يغلقه" (رؤيا ٣ : ٧ و ٨).

ان الذين بالايمان يتبعون يسوع في عمل الكفارة العظيم هم الذين يستفيدون من وساطته لأجلهم، بينما

الذين يرفضون النور الذي يكشف عن عمل هذه الخدمة لا يستفيدون منه ا. ان اليهود الذين رفضوا النور المعطى لهم عند مجيء المسيح الاول ورفضوا الايمان به كمخلص العالم لم يستطيعوا نوال الغفران بواسطته . وعندما دخل يسوع بدمه الى القدس السماوي عند صعوده ليسكب على تلاميذه بركات وساطته تُرك اليهود للظلمة الشاملة المدلهمة ليداوموا على تقديم ذبائحهم وقرابينهم التي لا جدوى منه ا. لقد انتهت خدمة الرموز والظلال . فذلك الباب الذي وجد الناس بواسطته قديما طريقا للدنو من الله لم يعد مفتوح ا. لقد رفض اليهود ان يطلبوا الرب بالوسيلة الوحيدة التي كان يمكن ان يوجد بها حينئذ عن طريق الخدمة في القدس السم اوي. ولذلك لم يجدوا شركة مع الله . لقد كان الباب موصدا امامهم . فلم تكن لهم معرفة بالمسيح كالذبيحة الحقيقية والوسيط الوحيد امام الله، ولهذا لم يستطيعوا ان يتمتعوا بفوائد وساطته.

ان حالة اليهود غير المؤمنين تصور لنا حالة العديمي الاكتراث والعديمي الايمان بين المعترفين بالمسيح الذين يصرون على البقاء في جهلهم عمل رئيس كهنتنا الرحيم . وفي الخدمة الرمزية عندما كان رئيس الكهنة دخل قدس الاقداس كان يطلب من جميع اسرائيل ان يجتمعوا حول القدس وبكل وقار مقدس يذللون انفسهم امام لله لكي ينالوا غفرانا لخطاياهم ولا يقطعون من بين الجماعة . فكم بالاحرى يليق بنا وكم هو جوهري لنا في يوم الكفارة المرموز اليه ان ندرك عمل رئيس كهنتنا الاعظم ونعرف الواجبات المطلوبة منا.

ان الناس لا يمكنهم ان يرفضوا انذار الله الذي يرسله اليهم في رحمته من دون ان يعاقبو ا. لقد قدمت رسالة من السماء الى العالم في ايام نوح، وكان خلاصهم متوقفا على الكيفية التي بها يتجاوبون مع تلك الرسالة . فلأنهم رفضوا [473] الانذار انسحب روح الله بعيدا من الجنس الخاطئ فهلكوا بمياه الطوفان . وفي عهد ابراهيم كفت الرحمة عن التوسل الى سكان سدوم الأثمة، وهلك الجميع محترقين بالنار التي امطرتها عليهم السماء ما عدا لوطا وامرأته وابنتيه . كذلك في عهد المسيح . لقد أعلن ابن الله لليهود غير المؤمنين في ذلك الجيل قائلا لهم : " هوذا بيتكم يترك لكم خرابا" (متى ٢٣ : ٣٨). فلدى التطلع عبر الاجيال الى الايام الاخيرة تعلن قدرة الله غير المحدودة عن الذين " لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا " قائلة: "لأجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب. لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم" (٢ تسالونيكي ٢ : ١٠ — ١٢). فاذ يرفضون تعاليم كلمته فالله سيسحب منهم روحه ويتركهم للضلال الذي قد احبوه.

لكنّ المسيح لا يزال يتوسط لأجل الانسان وسيعطي النور لمن يطلبونه . ومع ان المجيئيين لم يفهموا هذا اولا فقد اتضح لهم في ما بعد عندما وضحت لهم الاقوال الالهية التي تحدد موقفهم الحقيقي.

ان مرور الزمن في عام ١٨٤٤ تبعته فترة محنة عظيمة للذين ظلوا متمسكين بعقيدة المجيء . والشيء الوحيد الذي خفف عنهم وأراحهم في ما يختص بموقفهم الحقيقي كان النور الذي ارشد عقولهم الى القدس السماوي . وهد هجر البعض ايمانهم بحسبانهم السابق للفترات النبوية ونسبوا التأثير القوي لعمل الروح القدس الذي رافق حركة المجيء الى عوامل بشرية أو شيطانية. لكنّ فريقا آخر ثبتوا على الاعتقاد بان الرب كان مرشدا لهم في اختبارهم السابق. وعندما انتظروا ساهرين ومصلين في طلب معرفة ارادة الله رأوا أن رئيس كهنتهم العظيم قد شرع في عمل خدمة آخر، واذ اتبعوه بالايمان قادهم ذلك الى ان يروا ايضا عمل الكنيسة النهائي . وقد صار لهم ادراك اوضح لرسالة كل من الملاكين الاول والثاني وباتوا مستعدين لقبول الانذار الخطير المتضمن في رسالة الملاك الثالث المذكورة في رؤيا ١٤ ، وتقديمه الى العالم. [474]

الفصل الخامس و العشرون ـــ دوام شريعة الله

”وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله“ (رؤيا ١١ : ١٩). ان تابوت عهد الله هو في قدس الاقداس الذي هو المسكن الثاني في القدس. ففي خدمة المسكن الارضي الذي كان ”شبه السمويات وظلها“ (عبرانيين ٨ : ٥) انفتح هذا المسكن فقط في يوم الكفارة العظيم لأجل تطهير القدس. لذلك فالاعلان القائل بأن هيكل الله انفتح في السماء وظهر تابوت عهده انما يشير الى فتح قدس اقداس القدس السماوي في عام ١٨٤٤ عندما دخله المسيح لممارسة عمل الكفارة الختامي . فالذين بالايمان اتبعوا رئيس كهنتهم العظيم عندما دخل قدس الاقداس لمباشرة خدمته رأوا تابوت عهده . وبما انهم كانوا قد درسوا موضوع القدس فقد ادركوا تغيير خدمة المخلص، ورأوا انه كان الآن يخدم امام تابوت الله متوسلا لأجل الخطاة باستحقاق دمه.

كان التابوت في المسكن الارضي يحوي لوحي الحجر اللذين كانت وصايا شريعة الله مكتوبة عليهم ا. فالتابوت كان مجرد مستودع لِلَوْحَيْ الشريعة، وكان وجود هذه الوصايا الالهية هو الذي اضفى عليه قيمته وقدسيته . وعندما انفتح هيكل الله في السماء ظهر تابوت عهده . ففي داخل قدس الاقداس [475] في القدس السماو ي تُحفَظ شريعة الله بكل قدسية واكرام، الشريعة التي تكلم بها الله نفسه من وسط رعود سيناء وكتبها باصبعه على لوحي الحجر.

ان شريعة الله في القدس السماوي هي الاصل العظيم التي كانت الوصايا المكتوبة على لوحي الحجر والتي دوّنها موسى في الاسفار الخمسة الاولى من الك تاب المقدس صورة طبق الاصل عنه ا. والذين توصلوا الى ادراك هذه النقطة المهمة قادهم ذلك الى ان يروا الصفة المقدسة غير المتغيرة للشريعة الالهية. وقد رأوا كما لم يروا من قبل قوة كلام المسيح حين قال: ”الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس “ (متى ٥ : ١٨). ان شريعة الله اذ هي اعلان لمشيئته وصورة لصفاته ينبغي ان تبقى الى الابد ”كشاهد امين في السماء“. ولم تلغ وصية واحدة ولا تغير حرف او نقطة منه ا. وصاحب المزامير يقول: ”الى الابد كلمتك مثبتة في السموات “ .” كل وصاياه أمينة. ثابتة مدى الدهر والابد“ (مزمور ١١٩ : ٨٩ و ١١١ : ٧ و ٨).

في قلب الوصايا العشر تبرز الوصية الرابعة كما قد اعلنت من البدء: ”اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك . واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابن تك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك . لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه“ (خروج ٢٠ : ٨ ـــ ١١).

ان روح الله قد عمل في قلوب تلاميذ كلمته اولئك، فأجبروا على الاق تناع بأنهم في جهلهم قد تعدوا هذه الوصية بعدم حفظ يوم راحة الخالق . فبدأوا يفحصون أسباب حفظ اليوم الاول من الاسبوع بدلا من اليوم الذي قدسه الله . ولم يستطيعوا ان يجدوا في الكتاب برهانا على ان الوصية الرابعة قد ألغيت او ان يوم السبت قد تغير، والبركة التي بها ق دس اليوم السابع لم تُزل ولا أبطلت .كانوا بكل أمانة يطلبون أن

يعرفوا ارادة الله ويعملوها، فاذ رأوا الآن انهم كانوا متعدين [476] شريعته ملأ الحزن قلوبهم وأعلنوا ولاءهم لله بحفظ سبته المقدس.

سر المقاومة

وقد بذلت جهود كثيرة وجادة لهدم ايمانهم، ولم يكن لأحد الا ان يف هم انه اذا كان القدس الارضي صورة ومثالا للسماوي فالشريعة المحفوظة في التابوت على الارض هي صورة طبق الاصل عن الشريعة التي في التابوت في السماء، وان قبول الحق الخاص بالقدس السماوي يتضمن اعترافا بمطالب شريعة الله والالتزام بحفظ السبت المذكور في الوصية الرابعة . هنا كان سر المقاومة المرة التي لا تلين للتفسير المنسجم المتناسق للاقوال الالهية التي أبانت خدمة المسيح في القدس السماوي . لقد حاول الناس ان يغلقوا الباب الذي فتحه الله وان يفتحوا الباب الذي أغلقه . لكن ذلك "الذي يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح" قد أعلن قائلا: "هأنذا قد جعلت أمامك بابا مفتوحا ولا يستطيع احد ان يغلقه" (رؤيا ٣ : ٧ و ٨). لقد فتح المسيح الباب أو خدمة قدس الاقداس وكان النور يشرق من ذلك الباب المفتوح في القدس في السماء، وقد تبرهن ان الوصية الرابعة متضمنة في الشريعة التي كانت محفوظة هناك ، وما بناه الله لا يستطيع الانسان ان يهدمه.

وقد وجد الذين قبلوا النور الخاص بوساطة المسيح ودوام شريعة الله أن هذه كانت الحقائق المقدمة في رؤيا ١٤. ان رسائل هذا الاصحاح تكوّن انذاراً مثلثا (انظر التذييل) لإعداد ساكني الارض للمجيء الثاني للرب . فالاعلان القائل "قد جاءت ساعة دينونته" يشير الى العمل الختامي لخدمة المسيح لأجل خلاص الناس . وهو ينادي بالحق الذي ينبغي اعلانه الى ان تنتهي شفاعة المخلص ويعود الى الارض ليأخذ شعبه لنفسه . فعمل الدينونة الذي بدأ في عام ١٨٤٤ ينبغي ان يستمر حتى يتقرر مصير الجميع، الاحي اء منهم والاموات، ولهذا فهو سيستمر الى نهاية زمن النعمة المقدم الى البشر . فلكي يتأهب الناس للثبات في الدينونة تأمرهم الرسالة قائلة: "خافوا الله واعطوه مجدا". [477] واسجدوا لصانع السماء والارض والبحر وينابيع المياه". ونتيجة قبول هذه الرسالة مبينة في القول : "هنا الذين يحفظون وصايا الله وايمان يسوع". فلكي يتأهب الناس للدينونة يتعين عليهم ان يحفظوا شريعة الله . فتلك الشريعة ستكون هي مقياس الخلق في الدينونة . والرسول بولس يعلن قائلا: "كل من اخطأ في الناموس فبالناموس يدان ... في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر ا لناس ... بيسوع المسيح" كما يقول ايضا: "الذين يعملون بالناموس هم يبَّررون" (رومية ٢ : ١٢ ١٦). فالايمان جوهري لأجل حفظ شريعة الله، اذ "بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه و "كل ما ليس من الايمان فهو خطية" (عبرانيين ١١ : ٦ ؛ رومية ١٤ : ٢٣).

يدعو الملاك الاول الناس لان "يخافوا الله ويعطوه مجدا" ويسجدوا له لكونه خالق السموات والارض . فلكي يفعلوا هذا عليهم ان يطيعوا شريعته . يقول الحكيم: "اتق الله واحفظ وصاياه لان هذا هو (واجب) الانسان كله" (جامعة ١٢ : ١٣). فمن دون إطاعة وصايا الله لا يمكن السجود ان يكون مرضيا له. "هذه هي محبة الله ان نحفظ وصاياه". "من يحول اذنه عن سماع الشريعة فصلاته ايضا مكرهة" (١ يوحنا ٥ : ٣ ؛ امثال ٢٨ : ٩).

دعوة الى عبادة الخالق

ان واجب السجود لله مبني على حقيقة كونه هو الخالق وان كل الخلائق الاخرى مدينة بوجودها له. وفي كل موضع في الكتاب حيث يطلب من الناس تقديم الاكرام والسجود اليه من دون كل آلهة الوثنيين يُرى برهان قدرته كخالق: "لان كل آلهة الشعوب اصنام اما الرب فقد صنع السموات" (مزمور ٩٦ : ٥) "فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس. ارفعوا الى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه". "هكذا قال الرب خالق السموات هو الله . مصور الارض وصانعه ا. انا الرب وليس آخر" (اشعياء ٤٠ : ٢٥ و ٢٦ ؛ ٤٥ : ١٨). وصاحب المزامير يقول: "اعلموا ان الرب هو [478] الله هو صنعنا وله نحن". "هلم نسجد ونركع ونجثوا أمام الرب خالقنا" (مزمور ١٠٠ : ٣ ؛ ٩٥ : ٦). والخلائق المقدسة الذين يسجدون لله في السماء يذكرون سبب ولائهم له بقولهم: "انت مستحق ايها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لانك انت خلقت كل الاشياء" (رؤيا ٤ : ١١).

وفي رؤيا ١٤ يطلب من الناس ان يسجدوا للخالق . والنبوة ترينا جماعة من الناس الذين نتيجة للرسالة المثلثة يحفظون وصايا الله . واحدى هذه الوصايا (الرابعة) تشير مباشرة الى الله الخالق اذ تقول: "واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك ... لأن في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والب حر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" (خروج ٢٠ : ١٠ و ١١). زد على هذا قول الرب عن السبت انه: "علامة ... لتعلموا اني انا الرب الهكم" (حزقيال ٢٠ : ٢٠). والسبب المقدم هو هذا: "لانه في ستة ايام صنع الرب السماء والارض وفي اليوم السابع استراح وتنفس" (خروج ٣١ : ١٧).

"ان أهمية السبت على أنه تذكار للخلق هي كونه يذكرنا دائما بالسبب الحقيقي للعبادة اللائقة بالله": لانه هو الخالق ونحن خلائقه. "لذلك فالسبت هو في أساس العبادة لله لأنه يعلم هذا الحق العظيم بأعظم طريقة مؤثرة . ولا يوجد تشريع آخر أو نظام يفعل هذ ا. يكمن الاساس الحقيقي لكل انواع عبادة الله، بما فيها حفظ يوم السبت، في التمييز بين الخالق وخلائقه . هذه الحقيقة العظيمة لا يمكن ان تصير عقيمة، وينبغي الا تنسى اطلاقا" (٣٤٤). فلكي تكون هذه الحقيقة ماثلة ابدا امام اذهان الن اس سن الله شريعة السبت في جنة عدن. وطالما ظلت حقيقة كونه خالقنا سببا يوجب عبادتنا اياه يظل السبت علامة له ومذكرا به . ولو كان جميع الناس يحفظون السبت لكانت افكارهم وعواطفهم تنعطف الى الخالق كموضوع للاكرام والعبادة، ولما وُجد عابد وثن أو كافر أو ملحد . ان حفظ السبت علامة من علائم الولاء للإله الحقيقي "الذي صنع السماء والارض والبحر وينابيع المياه". ويتبع ذلك ان الرسالة التي تأمر الناس بالسجود لله وحفظ وصاياه تأمرهم على الخصوص بحفظ الوصية الرابعة. [479]

وعلى عكس اولئك الذين يحفظون وصايا الله وعندهم ايمان يسوع يشير الملاك الثالث الى فريق آخر ناطقا بانذار خطير ومخيف ضد اخطائهم وضلالاتهم، فيقول: "ان كان احد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته او على يده فهو ايضا سيشرب من خمر غضب الله" (رؤيا ١٤ : ٩ و ١٠). فلكي نفهم هذه الرسالة يتعين علينا ان نفسر الرموز المستعملة تفسيرا صحيح ا. فما الذي يرمز اليه الوحش والصورة والسمة؟

ماهية التنين

يبدأ سلك النبوة الذي فيه توجد هذه الرموز في الاصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا بالتنين الذي طلب ان يهلك المسيح عند ولادته . و التنين يقال عنه انه الشيطان (رؤيا ١٢ : ٩). فهو الذي حرض

هيرودس على قتل المخلص . لكنّ وسيلة الشيطان العظمى في محاربته للمسيح وشعبه في غضون القرون الاولى من التاريخ المسيحي كانت هي الامبراطورية الرومانية التي كانت الوثنية فيها هي الديانة السائدة . وهكذا ففي حين ان التنين يرمز مبدئيا الى الشيطان فانه بالمعنى الثاني رمز الى روما الوثنية.

وفي الاصحاح الثالث عشر (الاعداد ١ — ١٠) وصف لوحش آخر "شبه نمر" وقد اعطاه التنين "قدرته وعرشه وسلطانا عظيما". هذا الرمز، كما اعتقد غالبية البروتستانت، يرمز الى البابوية التي ارتقت الى القدرة والعرش والسلطان الذ ي كان قبلا للامبراطورية الرومانية القديمة . وقد أعلن عن هذا الوحش الشبيه بالنمر انه "اعطي فماً يتكلم بعظائم وتجاديف ... ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء . واعطي ان يصنع حربا مع القديس ين ويغلبهم . واعطي سلطانا على كل قبيلة ولسان وأمة". هذه النبوة التي هي مطابقة تقريبا للوصف الذي جاء عن القرن الصغير الوارد في دانيال ٧ تشير بلا شك الى البابوية. [480]

"واعطي سلطانا ان يفعل اثنين وأربعين شهرا". ثم يقول النبي: "ورأيت واحدا من رؤوسه ك أنه مذبوح للموت " ثم يقول ايضا: "ان كان احد يجمع سبيا فالى السبي يذهب . وان كان احد يقتل بالسيف فينبغي ان يقتل بالسيف". ان الاثنين والاربعين شهرا تساوي تماما "الزمان والزمانين ونصف الزمان"، ثلاث سنين ونصف او ١٢٦٠ يوما المذكورة في سفر دانيال ٧، وهو الزمن الذي كان السلطان البابوي سيضطهد فيه شعب الله . هذه الفترة بدأت عندما سادت البابوية كما قد تبين لنا من الفصول السابقة، اي في عام ٥٣٨ م، وانتهت في عام ١٧٩٨ م عندما أخذ البابا اسيراً عند الجيش الفرنسي . لقد جُرح السلطان البابوي جرحا مميتا وبذلك تمت النبوة الق ائلة: "ان كان احد يجمع سبيا فالى السبي يذهب".

قيام قوة جديدة

عند هذا الحد يُقدَّم الينا رمز آخر، اذ يقول النبي: "ثم رأيت وحشا آخر طالعا من الارض وكان له قرنان شبه خروف" (العدد ١١). ان منظر هذا الوحش والطريقة التي بها طلع تدلان على ان الامة التي يرم ز اليها تختلف عن تلك التي تقدمها الرموز السابقة . فالممالك العظيمة التي حكمت في العالم ظهرت لدانيال النبي بصورة وحوش مفترسة طالعة عندما هجمت "اربع رياح السماء" على "البحر الكبير" (دانيال ٧ : ٢). وفي الاصحاح السابع عشر من سفر الرؤيا فسر احد الملائكة المياه كرمز الى "شعوب وجموع وأمم وألسنة" (رؤيا ١٧ : ١٥). والرياح رمز الى النزاع والحرب . وهجوم أربع رياح السماء على البحر الكبير يرمز الى المناظر المرعبة، مناظر الغزو والثورات التي بواسطتها وصلت الممالك الى قمة السطوة والسلطان.

لكنّ الوحش الشبيه بالخروف رؤي "خارجا من الارض". فبدلا من ان يهدم قوات اخرى ليثبِّت نفسه وسلطانه فالامة التي يرمز اليها الخروف ينبغي ان تطلع في اقليم لم يحتله احد من قبل وتنمو تدريجا في سلام . اذاً فلم يكن يمكنها ان [481] تطلع بين القوميات المزدحمة المتصارعة في العالم القديم، ذلك البحر الهائج الثائر "بالشعوب والجموع والامم والالسنة"، بل ينبغي البحث عنه في القارة الغربية.

فما هي تلك الامة التي في الدنيا الجديدة التي اخذت في عام ١٧٩٨ تتقوى وتحصل على سلطان وتبشر بالقوة والعظمة وتجتذب انتباه العالم؟ ان تطبيق الرموز لا يعطي مجالا للتساؤل . ان امة واحدة من دون سواها هي التي تنطبق عليها تحديدات هذه النبوة التي تشير اشارة صائبة لا تخطئ الى الولايات المتحدة الامريكية . فمرارا عديدة استخدم الخطباء والمؤرخون على نحو لا شعوري فكر كاتب الوحي بل

غالبا كلماته نفسها لوصف نشوء هذه الامة ونموها. لقد رؤي الو حش "طالعا من الارض"، وحسب ما يقوله النقلة، نجد ان معنى كلمة "طالعا" الحرفي هو "ان ينبت او ينمو كالنبات". فتلك الامة كما قد رأينا كان ينبغي ان تنمو في اقليم لم يسكنه احد من قبل . ان كاتبا شهيرا يصف قيام الولايات المتحدة ويقول عن "سر انبثاقها من الفراغ" (٣٤٥): "كبذرة ساكنة نمونا حتى صرنا امبراطورية". وفي عام ١٨٥٠ كتبت صحيفة اوروبية عن الولايات المتحدة انها امبراطورية مدهشة كانت "طالعة"، "وفي وسط سكون الارض كانت كل يوم تزيد من قوتها وكبريائها" (٣٤٦). وفي خطاب القاه ادوارد ايفريت عن المهاجرين الذين انش أوا هذه الامة قال: "هل كانوا يبحثون عن بقعة هادئة غير موحشة بسبب احتجابها، وآمنة في بعدها حيث كان يمكن ان تتمتع كنيسة ليدن الصغيرة بحرية الضمير ؟ انظروا الاقاليم العظيمة التي رفعوا عليها راية الصليب بالغزو السلمي...!" (٣٤٧).

"وله قرنان شبه خروف". ان القرنين الشبيهين بقرني الخروف يدلان على الشباب والبراءة والرقة واللطف، وهو وصف يناسب ان يكون رمزا لصفة الولايات المتحدة عندما رآها النبي "طالعة" في عام ١٧٩٨ . فلقد وُجد بين المنفيين من المسيحيين ، الذين كانوا في طليعة من هربوا الى امريكا وطلبوا ملجأ يلو به من طغيان الملوك وتعصب رجال الكهنوت، كثيرون [482] ممن عقدوا العزم على إقامة حكومة على اساس رحب من الحرية المدنية والدينية. وقد وجدت آراؤهم مجالا لها في اعلان الاستقلال الذي يقرر الحقيقة العظمى وهي ان "جميع الناس مخلوقون سواسية" ولهم اعطي حق غير قابل للتصرف في "الحياة والحرية والسعي في اثر السعادة". والدستور يضمن للشعب حق الحكم الذاتي على شرط ان الممثلين الذين يختارهم الشعب بطريقة التصويت يسنون القوانين ويطبقونه ا. كما قد منحت للجميع ايضا حرية العقيدة الدينية فسمح لكل انسان بأن يع بد الله بموجب ما يمليه عليه ضميره. وقد صار النظام الجمهوري والعقيدة البروتستانتية من مبادئ الامة الاساسية. وهذه المبادئ هي سر قوتها ونجاحه ا. فلقد يمم المضطهدون والمسحوقون في كل انحاء العالم المسيحي صوب هذه البلاد باهتمام ورجاء . وقصد شواطئ هذه القارة ا لجديدة ملايين من الناس فنهضت الولايات المتحدة الى مركز مرموق بين اقوى امم الارض.

لكنّ الوحش الذي كان "له قرنان شبه خروف" كان يتكلم كتنين ويعمل بكل سلطان الوحش الاول امامه ويجعل الارض والساكنين فيها يسجدون للوحش الاول الذي شفي جرحه المميت ... قائلا للساكني ن على الارض ان يصنعوا صورة للحوش الذي كان به جرح السيف وعاش" (رؤيا ١٣ : ١١ — ١٤).

تناقض مذهل

يشير القرنان الشبيهان بقرني الخروف والصوت الشبيه بصوت التنين في الرمز الى تناقض مدهش بين اعترافات الامة المرموز اليها واعماله ا. ان "تكلم" الامة هو عمل سلطا تها التشريعية والقضائية . فبهذا العمل ستكذب كل تلك المبادئ السخية السلمية التي اذاعت بانها اساس سياسته ا. فالنبوة القائلة ان هذا الوحش سيتكلم "كتنين" ويعمل "بكل سلطان الوحش الاول" تنبئ بجلاء عن نمو روح التعصب والجنوح الى الاضطهاد الذي اظهرته الامم التي ير مز اليها التنين والوحش الشبيه بالنمر . والحقيقة القائلة ان الوحش الذي له القرنان [483] "يجعل الارض والساكنين فيها يسجدون للوحش الاول" تدل على ان سلطان هذه الامة سيستخدم في ارغام الناس على القيام ببعض الممارسات التي ستكون عملا من أعمال الولاء للبابوية.

مثل هذا العمل سيناقض مناقضة مباشرة مبادئ هذه الحكومة، ويتناقض مع عبقرية نظمها الحرة ومع

اعترافات اعلان الاستقلال المباشرة الحازمة ومع الدستور ايض ا. لقد حرص مؤسسو هذه الامة، بحكمة، على الا يستخدموا القوة الدنيوية لمعاضدة الكنيسة، بما ينجم عنها من نتائج لا بد منه ا: التعصب والاضطهاد. وينص الدستور على هذه المادة فيقول: "لن يضع الكونغرس قانونا خاصا بتثبيت أي دين، ولن يمنع حرية ممارسته" وانه "لن يوضع اختبار ديني بموجبه يؤهل اي انسان لمنصب عام ذي مسؤولية في الولايات المتحدة". انما فقط عندما يحدث انتهاك فظيع لهذه القوا نين الواقية لحرية الأمة يمكن للسلطات المدنية ان تفرض بعض الممارسات الدينية . لكنّ تناقض عمل كهذا ليس اعظم مما هو مصور في الرمز . ان الوحش الذي له قرنا خروف مع مجاهرته بايمان طاهر ورقيق وعديم الاذى ـــ هو الذي يتكلم كتنين.

"قائلا للساكنين على الارض ان يصنعوا صورة للوحش". هنا تُصوَّر بكل وضوح هيئة حكومة فيها تستند السلطة التشريعية على الشعب، وهذا برهان مدهش على ان الولايات المتحدة هي الامة المقصودة بالذات في النبوة.

ولكن ما هي "صورة الوحش" وكيف تصوَّر ؟ الصورة يصنعها الوحش ذو القرنين وهي صورة للوحش الاول . وتدعى أيضاً صورة الوحش . فلكي نعلم ماذا تشبه الصورة وكيف تصوَّر، علينا ان ندرس صفات الوحش نفسه: البابوية.

عندما فسدت الكنيسة الاولى بانحرافها عن بساطة الانجيل وقبولها الطقوس والعادات الوثنية خسرت واضاعت روح الله وقوته . فلكي تتحكم في ضمائر الناس طلبت مساندة السلطة الدنيوية . فنتج من ذلك البابوية، اي كنيسة تحت يدها سلطة الدولة التي تستخدمها لتنفيذ اغراضها وتحقيق اهدافها وعلى [484] الخصوص ايقاع القصاص بمعتنقي "الهرطقة". فلكي تصنع الولايات المتحدة صورة الوحش فعلى السلطة الدينية ان تسيطر على الحكومة المدنية بحيث تستخدم الكنيسة سلطة الدولة ايضا في اتمام اغراضها.

واينما ادعت الكنيسة لنفسها السلطة الدنيوية استخدمتها في معاقبة المنشقين على تعاليمه ا. والكنائس البروتستانتية التي سارت في اثر خطوات روما بابرام محالفات مع السلطات الدنيوية ابدت رغبة مماثلة في كبت حرية الضمير. ولنا مثال على ذلك في الاضطهاد الطويل الامد الذي اوقعته كنيسة بريطانيا بالمنشقين . ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر أرغم آلاف من الخدام المنشقين على ترك كنائسهم، وكثيرون من الرعاة ومن الشعب تعرضوا للغرامات والسجن والتعذيب والاستشهاد.

الارتداد يعد الطريق

ان الارتداد هو الذي ساق الكنيسة الاولى الى طلب معونة الحكومة المدنية، وهذا اعد الطريق لازدهار البابوية الوحش . لقد قال بولس: "يأتي الارتداد ... ويستعلن انسان الخطيئة" (٢ تسالونيكي ٢ : ٣). وهكذا فان الارتداد في الكنيسة سيهيئ الطريق لصورة الوحش.

يعلن ا لكتاب انه قبل مجيء الرب ستوجد حالة انحطاط ديني شبيهة بتلك التي كانت في القرون الاولى : "في الايام الاخيرة ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون محبين لانفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين لوالديهم غير شاكرين دنسين بلا حنو بلا رضى ثا لبين عديمي النزاهة شرسين غير محبين للصلاح خائنين مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة لله. لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" [485] [486] (٢ تيموثاوس ٣: ١ ـــ ٥). "ولكن الروح يقول صريحا انه في

الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين ار واحا مضلة وتعاليم شياطين" (١ تيموثاوس ٤ : ١). ان الشيطان سيعمل "بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الاثم". وكل من "لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصو ا" سيتركون ليقبلوا "عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب" (٢ تسالونيكي ٢: ٩ — ١١). فعندما يصل الناس الى حالة الكفر والضلال هذه فستتبع ذلك النتائج نفسها التي حدثت في القرون الاولى.

يعتبر كثيرون ان الاختلاف الكبير في العقيدة في الكنائس البروتستانتية برهان قاطع على انه لا يمكن بذل اي مسعى لفرض الوحدة على تلك الكنائس . ولكن وُجد مدى سنين كثيرة ميل متزايد وقوي في الكنائس التي تع تنق العقيدة البروتستانتية الى الوحدة مبني على المشابهة في العقائد . فلكي يتحقق هذا الاتحاد فان المجادلة في المواضيع المختلف عليها — مهما يكن مبلغ اهميتها من وجهة النظر الكتابية — ينبغي بالضرورة التنازل عنها.

لقد أعلن تشارلس بيتشر في عظة القاها في عام ١٨٤٦ قائلا ان خدمة "الطوائف الانجيلية البروتستانتية فضلا عن كونها مكونة على طول الخط تحت ضغط هائل من مجرد خشية الناس فان افرادها يعيشون ويتحركون ويتنفسون في احوال فاسدة في جوهرها وفي كل ساعة يستنجدون بكل عنصر سافل في طبيعتهم ليبكم صوت الحق وينحني ساجدا امام قوة الارتداد .أفلم تكن هذه هي الطريقة التي سارت عليها الامور في روما ؟ السنا نعيش حياتها من جديد ؟ وما الذي نراه امامنا ؟ جمعية عمومية اخرى ! مؤتمرا للعالم ! حلفا انجيليا وعقيدة شاملة!" (٣٤٨). ومتى تم هذا ففي محاولة للوصول الى الاتحاد الكامل سيكون ذلك اذاً خطوة نحو الالتجاء الى القوة والعنف.

عندما تتحد امهات الكنائس في الولايات المتحدة في اتفاقها على مواد العقيدة التي تشترك كلها فيها فهي تؤثر على الدولة لتنفذ قراراتها وتسند وتدعم انظمتها وقوانينها فتكون امريكا البروتستانتية قد عملت بذلك صورة لحكومة روما البابوية، وسيكون من نتائج ذلك حتماً انها توقع عقوبات [487] دنيوية على المنشقين.

الوحش وصورته

ان الوحش ذا القرنين "يجعل الجميع الصغار والكبار والاغنياء والفقراء والاحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى او على جبهتهم وان لا يقدر احد ان يشتري او يب يع الا من له السمة او اسم الوحش او عدد اسمه" (رؤيا ١٣ : ١٦ و ١٧). ان رسالة الملاك الثالث هي هذه: "ان كان احد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته او على يده فهو ايضا سيشرب من خمر غضب الله". (رؤيا ١٤ : ٩ و ١٠). ان "الوحش" المذكور في هذه الرسالة والذي يقوم الوحش ذو القرنين ويرغم الناس على السجود له هو الوحش الاول الذي يشبه النمر المذكور في رؤيا ١٣ — البابوية. "وصورة الوحش" ترمز الى صورة البروتستانتية المرتدة التي ستتكون عندما تطلب الكنائس البروتستانتية معونة السلطة المدنية لاجل اكراه الناس على ق بول عقائده ا. بقي علينا ان نحدد "سمة الوحش".

بعدما قدم التحذير من السجود للوحش وصورته تعلن النبوة قائلة : "هنا الذين يحفظون وصايا الله وايمان يسوع". فبما ان الذين يحفظون وصايا الله هم على طرفي نقيض مع من يسجدون للوحش ولصورته ويقبلون سمته يُستنتج ان حفظ شريعة الله على الجانب الواحد ومخالفتها على الجانب الآخر هو ما يجعل فارقا بين عابدي الله وعابدي الوحش.

ان الصفات الخاصة المميزة للوحش وبالتالي لصورته هي نقض وصايا الله . يقول دانيال عن القرن

الصغير، البابوية: "ويظن انه يغير الاوقات والسنة" (دانيال ٧ : ٢٥)، وبولس يلقب تلك القوة وذلك السلطان نفسيهما "انسان الخطيئة" الذي كان سيرفع نفسه فوق الله . فكل من النبوتين مكملة للاخرى. والبابوية لم تستطع ان ترفع نفسها فوق الله الا بتغييرها شريعة الله، وأي من [488] يحفظ الشريعة بعد تغييرها وهو عالم بذلك سيعطي اكراما ف ائقا لذلك السلطان الذي أحدث هذا التغيير . مثل هذه الطاعة للشرائع البابوية ستكون هي سمة الولاء للبابا بدلا من الله.

لقد حاولت البابوية تغيير شريعة الله . فالوصية الثانية التي تنهي عن تقديم العبادة او السجود للصور او التماثيل حذفت من الشريعة، والوصية الرابعة غ يرت بحيث رخص للناس بحفظ اليوم الاول بدلا من اليوم السابع، على انه يوم الراحة او السبت . لكن البابويين يقولون ان سبب حذفهم الوصية الثانية هو كونها غير ضرورية اذ انها متضمَّنة في الاولى وانهم انما يقدمون الشريعة للناس تماما كما قصد الله ان تفهم . هذا لا يمكن ان يكون التغيير الذي انب أ به النبي . ذلك انهم يقدمون تغييرا متعمدا مقصودا: "يظن انه يغير الاوقات والسنة" (دانيال ٧ : ٢٥). وحده التغيير الذي طرأ على الوصية الرابعة يتمم النبوة بالتمام . فالسلطة الوحيدة المزعومة في هذا هي سلطة الكنيسة، وهنا جاهر السلطان البابوي بالتعالي على الله.

علامة قوة الخلق

ففي حين ان عابدي الله سيمتازون خصوصا بحفظهم للوصية الرابعة لان هذه هي رمز قدرته الخالقة وشهادة على حقه في اكرام الانسان وولائه له فان عابدي الوحش سيتميزون بمحاولاتهم لتمزيق تذكار الخالق لأجل رفع شريعة روما وتعظيمه ا. فلأجل يوم الاحد فرضت البابوية اولا مطالبها المتعجرفة (انظر التذييل)، وكان التجاؤها الاول الى سلطان الدولة لارغام الناس على حفظ يوم الاحد على انه "يوم الرب". لكنّ الكتاب يشير الى اليوم السابع لا الى اليوم الاول على انه يوم الرب . فلقد قال المسيح: "ان ابن الانسان هو رب السبت ايضا". والوصية الرابعة تعلن قائلة: "اما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك". والرب يحدده على لسان اشعياء النبي بالقول: "يوم قدسي" (مرقس ٢ : ٢٨ ؛ اشعياء ٥٨ : ١٣). [489]

وان الادعاء الذي كثيرا ما يرد على الافو اه والذي يقول ان المسيح قد غير السبت يكذبه ويدحضه كلام المسيح نفسه . ففي موعظته على الجبل يقول: "لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل . فاني الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يك ون الكل . فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى اصغر في ملكوت السموات . اما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات" (متى ٥ : ١٧ — ١٩).

انها حقيقة يسلم بها البروتستانت اجمالا ان الكتاب المقدس لا يعطي احدا سلطانا لتغيير السبت. هذا مب ين بكل وضوح في منشورات وزعتها جمعية النبذ الامريكية واتحاد مدارس الاحد الامريكية . واحدى هذه النشرات تعترف "بصمت العهد الجديد المطبق حول إعطاء أمر قاطع عن يوم الراحة [الاحد، أول أيام الاسبوع] أو حول القواعد المحددة لحفظه" (٣٤٩).

وهنالك نشرة اخرى تق ول : "لم يحدث تغيير في اليوم حتى وقت موت المسيح" (٣٥٠). "وعلى قدر ما ترينا شهادة الكتاب فانهم (الرسل) لم... يقدموا امرا قاطعا يفرض على المسيحيين هجر اليوم السابع — السبت — وحفظ اليوم الاول من ايام الاسبوع" (٣٥١).

يعترف اتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ان كنيستهم هي التي غيرت يوم السبت ويعلنون ان حفظ البروتستانت يوم الاحد هو بمثابة اعتراف منهم بسلطانها. وفي كتاب ”خلاصة العقيدة الكاثوليكية“ للدين المسيحي نجد جوابا على السؤال عما هو اليوم الواجب حفظه اطاعة للوصية الرابعة، نجد هذه الحقيقة: ”في عهد الناموس القديم كان يوم السبت هو اليوم المقدس، لكنّ الكنيسة كما قد علمها يسوع المسيح وبموجب توجيهات روح الله، ابدلت يوم السبت بيوم الاحد، ولذلك فنحن الآن نقدس اليوم الاول لا السابع . ان يوم الاحد معناه، كما هو الآن، يوم الرب“. [490]

وكرمز لسيادة الكنيسة الك اثوليكية يورد الكتّاب البابويون ” ان مجرد ابدال السبت بالاحد، الذي يسمح به البروتستانت ... لانهم بحفظهم ليوم الاحد يعترفون بسلطان الكنيسة في رسم الاعياد وفي اصدار اوامر ملزمة لهم تحت الخطيئة“ (٣٥٢). إذاً فما هو إبدال السبت إلا أن يكون علامة أو سمة لسيادة كنيسة روما، ”سمة الوحش“؟

ادعاء السيادة

لم تتنح كنيسة روما بعد عن ادعائها السيادة، وعندما يقبل العالم والكنائس البروتستانتية يوما للراحة والعبادة من صنعها فيما هم يرفضون يوم السبت الذي فرضه الكتاب، فانهم في الواقع يعترفون بصدق ادعائها هذ ا. قد يدعون ان س لطة التقليد واقوال الآباء هي سندهم في هذا الاستبدال، ولكنهم بهذا يتجاهلون المبدأ نفسه الذي يفصلهم عن روما: ان ”الكتاب المقدس والكتاب المقدس وحده هو دين البروتستانت“. يستطيع البابوي ان يرى انهم انما يخدعون انفسهم وانهم بارادتهم يغمضون عيونهم عن رؤية الحق ائق في هذه القضية . فاذ يجد ارغامهم الناس على حفظ يوم الاحد قبولا فان ذلك الكاثوليكي يفرح اذ يشعر ان ذلك سيجعل جميع العالم البروتستانتي ينضوون في النهاية تحت راية روما.

يعلن البابويون ان ”حفظ البروتستانت يوم الاحد هو ولاء يقدمونه رغما عنهم لسيادة الكنيسة الكاثوليكية“ (٣٥٣). ان ارغام الكنائس البروتستانتية على حفظ يوم الاحد هو ارغام لها على عبادة البابوية الوحش . واولئك الذين مع علمهم بمطالب الوصية الرابعة يختارون حفظ السبت الزائف بدل الحقيقي انما يقدمون ولاءهم للسلطان الذي امر به من دون سواه . ولكن في هذ ا العمل نفسه الذي فيه تفرض سلطة دنيوية واجبا دينيا تصنع الكنائس نفسها بذلك صورة للوحش، ولهذا فارغام شعب الولايات المتحدة على حفظ يوم الاحد ان هو الا ارغام على السجود للوحش ولصورته. [491]

لكنّ المسيحيين في العصور السابقة كانوا يحفظون يوم الاحد ظنا منهم انهم بذلك يحفظون يوم الرب المنصوص عنه في الكتاب، واليوم يوجد في كل كنيسة مسيحيون حقيقيون، ولا يستثنى من ذلك اتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (اللاتين)، يعتقدون بكل امانة ان يوم الاحد هو اليوم المعين من الرب . والله يقبل اخلاصهم في القصد واستقامتهم أمامه . ولكن عندما يكون حفظ الاحد مفروضا من القانون ويكون العالم قد استنار بشأن واجب حفظ السبت الحقيقي، فان كل من يتعدى وصية الله باطاعته امرا لا يصدر عن سلطة اعلى من سلطة روما انما يُكرم بذلك البابوية اكثر من الله . انه يقدم ولاءه لروما وللقوة التي تفرض القوانين التي رسمتها روم ا. وهو انما يسجد للوحش ولصورته . فاذ يرفض الناس التشريع الذي قد أعلن الله انه رمز سلطانه ويكرمون بدلا منه ما قد اختارته روما علامة لسيادتها فهم بهذا يقبلون رمز الولاء لروما اي ”سمة الوح ش“. والى ان يتضح للناس نتائج ذلك ويتحتم عليهم ان يختاروا بين وصايا الله ووصايا الناس فان اولئك الذين يظلون سادرين في تعديهم سيقبلون ”سمة الوحش“.

إنذار الملاك الثالث

تتضمن رسالة الملاك الثالث ارهب تهديد وُجه الى بني الانسان اطلاق ا. ان تلك الخطيئة التي تستمطر غضب الله الصرف (الذي لا أثر فيه للرحمة) لا بد ان تكون خطيئة رهيبة . لن يترك الناس في الظلمة في ما يختص بهذا الامر الهام، فالانذار الخاص بهذه الخطيئة سيقدم الى العالم قبل افتقاد دينونة الله حتى يعلم الجميع لماذا تحل بالن اس، وتكون لديهم فرصة للنجاة منه ا .ان النبوة تعلن ان الملاك الاول سيقدم الاعلان الى كل "امة وقبيلة ولسان وشعب". وانذار الملاك الثالث، الذي يكون جزءا من الرسالة المثلثة نفسها، سيكون واسع النطاق كالرسالة الاولى . والنبوة تصوره على انه نطق بانذاره بصوت عالٍ، والملاك الذي قدم الانذار كان طائرا في وسط السماء وهذا سيسترعي انتباه العالم. [492]

سينقسم العالم المسيحي كله إلى فريقين عظيمين حول موضوع النضال هذا: اولئك الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع، والذين يسجدون للوحش ولصورته ويقبلون سمته . ومع ان الكنيسة والدولة ستوحدان قوتهما وسلطانهما لارغام "الجميع الصغار والكبار والاغنياء والفقراء والاحرار والعبيد" (رؤيا ١٣ : ١٦)، على قبول " سمة الوحش "، فان شعب الله لن يقبلو ه ا. ان نبي بطمس يرى "الغالبين على الوحـ وصوته وعلى سمته وعدد اسمه واقفين على البحر الزجاجي ومعهم قيثارات الله" وهم يرتلون ترنيمة موسى والخروف (رؤيا ١٥ : ٢ و ٣). [493]

الفصل السادس و العشرون ـــ احد اعمال الاصلاح

ان عمل اصلاح السبت الذي سيتم في الايام الاخيرة سبق فأنبئ به في نبوة اشعياء الذي يقول: "هكذا قال الرب احفظوا الحق واجروا العدل لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان بري . طوبى للانسان الذي يعمل هذا ولابن الانسان الذي يتمسك به الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر". "وابناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدي آتي بهم الى جبل قدسي وافرحهم في بيت صلاتي" (اشعياء ٥٦ : ١ و ٢ و ٦ و ٧).

هذا الكلام ينطبق على العصر المسيحي كما يبرهن سياق الكلام القائل: "السيد الرب جامع منفيي اسرائيل اجمع بعد اليه [بيت الرب] الى مجموعيه" (اشعياء ٥٦ : ٨). هنا يرمز الى جمع الامم بواسطة الانجيل . والرب ينطق بالبركة على من يكرمون السبت حينئذ . وهكذا يمتد التزام الوصية الرابعة بعد صلب المسيح وقيامته وصعوده الى الوقت الذي فيه يبشر عبيده كل الامم بالبشارة المفرحة.

والرب يأمر على لسان النبي نفسه قائلا: "صُرَّ الشهادة اختم الشريعة بتلاميذي" (اشعياء ٨ : ١٦). ان ختم شريعة الله يوجد في الوصية الرابعة . فهذه الوصية وحدها من د ون باقي الوصايا العشر ترينا اسم معطي الشريعة ولقبه. [494] فهي تعلن عنه انه هو الذي خلق السموات والارض، وهكذا تبرهن على حقه علينا في الاكرام والعبادة اكثر من كل الوصايا الاخرى . واذا استثنينا هذه الوصية لا يوجد في الوصايا العشر ما يرينا بسلطان من أعطيت الشريعة . وعندما أبدل السبت بالسلطان البابوي أُخذ الختم من الشريعة . ويُطلب من تلاميذ يسوع ان يرجعوه بتمجيدهم واكرامهم لسبت الوصية الرابعة ووضعه في مركزه الشرعي كتذكار للخالق ورمز لسلطانه.

"الى الشريعة والى الشهادة". عندما تتكاثر التعاليم والنظريات المتضاربة فشريعة الله هي القانون المعصوم الاوحد الذي به تمتحن كل الآراء والتعاليم والنظريات. ثم يقول النبي: "ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر" (فذلك لانه لا نور فيهم) (اشعياء ٨: ٢٠).

ومرة اخرى يعطى هذا الامر: "ناد بصوت عال . لا تمسك . ارفع صوتك كبوق وأخب ر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم . "ليس العالم الشرير بل اولئك الذين يقول الرب عنهم "شعبي" هم الذين يوبِّخون على تعدياتهم . وهو يعلن اكثر من هذا قائلا: "واياي يطلبون يوما فيوما ويسرون بمعرفة طرقي كأمة عملت برا ولم تترك قضاء الهها" (اشعياء ٥٨ : ١ و ٢). هنا نرى فريقا من الناس يظنون انفسهم ابرارا ويبدو انهم يظهرون اهتماما عظيما بخدمة الله . لكنّ التوبيخ الصارم الخطير الذي ينطق به ذاك الذي هو فاحص القلوب يبرهن انهم كانوا يدوسون على الوصايا الالهية.

ثغرة في الشريعة

وبعد ذلك يشير النبي الى الفريضة التي قد تركت فيقول: ”تقيم اساسات دور فدور فيسمونك مرمم الثغرة مرجع المسالك للسكنى . ان رددت عن السبت رجلك عن عمل مسرتك يوم قدسي ودعوت السبت لذة ومقدس الرب مكرما واكرمته عن عمل طرقك وعن ايجاد مسرتك والتكلم بكلامك . فانك [495] حينئذ تتلذذ بالرب“ (اشعياء ٥٨ : ١٢ — ١٤). ثم ان هذه النبوة تنطبق على عصرنا الحاضر . لقد حدثت ثغرة في الشريعة الالهية عندما أبدل السبت بسلطان روما. ولكن قد جاء الوقت الذي فيه تعود تلك الوصية الى ما كانت عليه . لا بد من ترميم الثغرة واقامة اساسات دور فدور.

ان السبت اذ تقدس براحة الخالق وبركته كان آدم يحفظه وهو في حالة البرارة في جنة عدن المقدسة، وحتى بعدما سقط وتاب عندما طرد من ذلك المسكن السعيد . وكان كل الآباء يحفظونه من هابيل الى نوح البار الى ابراهيم الى يعقوب . واذ كان الشعب المختار في مصر ارض العبودية فكثيرون منهم اذ كانوا محاطين بالوثنية المتفشية لم تكن عندهم معرفة بشريعة الله، ولكن عندما حررهم الرب اعلن شريعته لذلك الجمهور المجتمع في جلال رهيب لكي يعرفوا مشيئته ويتقوه ويطيعوه الى الابد.

منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا حُفظت معرفة شريعة الله في الارض وحفظ سبت الوصية الرابعة . ومع ان ”انسان الخطيئة“ أفلح في دوس يوم الله المقدس بالاقدام، فحتى في ابان سني سيادته وجدت نفوس امينة في اماكن خفية مستترة كانت تحفظ السبت وتكرمه . ومنذ ايام الاصلاح وجد في كل جيل قوم كانوا يحفظونه . ومع انهم كانوا مكتنفين من كل جانب بالتعييرات والاضطهادات فقد ظلوا يشهدون لدوام شريع ة الله وثباتها والالتزام المقدس بحفظ سبت الخليقة.

هذه الحقائق كما هي مقدمة في رؤيا اصحاح ١٤ في ارتباطها “ بالبشارة الابدية ” ستميز كنيسة المسيح في وقت ظهوره . لانه نتيجة للرسالة المثلثة يعلن الكتاب قائلا: ”هنا الذين يحفظون وصايا الله وايمان يسوع“. وهذه هي آخر رسالة تقدم قبل مجيء الرب . وبعد اعلانها مباشرة يرى النبي ابن الانسان آتيا في مجده ليجمع حصيد الارض. [496]

جمال الحق وتناسقه

والذين قبلوا النور الخاص بالقدس وثبات شريعة الله امتلأوا دهشة وفرحا عندما رأوا جمال النظام الحق الذي انكشف لأذهانهم . وقد كانوا يبتغون ان يقدم النور، الذي بدا ثمينا جدا في نظرهم، الى جميع المسيحيين، ولم يسعهم الا الاعتقاد ان الجميع سيقبلونه بفرح . لكنّ تلك الحقائق التي تحدث خلافا بينهم وبين العالم لم تجد ترحيبا من كثيرين ممن يدعون انهم اتباع المسيح . ان الطاعة للوصية الرابعة تطلبت تضحية وهذا ما قد تراجع امامه كثيرون.

وعندما قدمت مطالب السبت جعل كثيرون يتحاجون من وجهة نظر اهل العالم فقالوا: ”لقد كنا دائما نحفظ يوم الاحد كما قد حفظه آباؤنا من قبل وكثيرون من الصالحين الاتقياء ماتوا سعداء وهم يحفظونه . فاذا كانوا هم على صواب فكذ لك نحن . ان حفظ هذا السبت الجديد سيخرجنا عن الانسجام مع العالم ولن يكون لنا تأثير عليهم . وماذا تستطيع شرذمة صغيرة تحفظ اليوم السابع ان تفعل ضد كل اهل العالم الذين يحفظون يوم الاحد؟“ بمثل هذه الحجج حاول اليهود ان يبرروا رفضهم المسيح . فلقد كان آباؤهم مقبولين لدى الله وهم يقدمون القرابين التكفيرية، فلماذا لا يجد ابناؤهم الخلاص بسيرهم في ذلك الطريق نفسه ؟ وكذلك في عهد لوثر كان البابويون يجادلون قائلين ان المسيحيين الحقيقيين ماتوا معتنقين الايمان الكاثوليكي ولذلك فهذا الدين كاف للخلاص. مثل هذه المجادلات قد تصير م انعا قويا لكل تقدم في العقيدة

او العمل الديني.

وقد تحاجج كثيرون قائلين ان حفظ يوم الاحد هو عقيدة ثابتة وعادة ذائعة اصطلحت عليها الكنيسة مدى قرون عديدة . وللرد على هذه الحجة تبرهن ان يوم السبت وحفظه كانا اقدم واكثر ذيوعا بنسبة قدم العالم نفسه، وكان مصادقا عليه من الملائكة ومن الله . فعندما وضعت اساسات الارض وترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله حينئذ وضع اساس السبت (ايوب ٣٨ : ٦ و ٧؛ تكوين ٢: [497] ١ — ٣). وحسنا يطلب منا هذا القانون التوقير والاكرام، فهو لم يرسم بموجب اي سلطان بشري ولا يستند على اي تقاليد بشرية ، فلقد وضعه القديم الأيام، وأمرت به كلمته الأزلية.

واذ استرعي انتباه الناس الى موضوع اصلاح السبت افسد الخدام المشهورون كلمة الله وحرفوها اذ قدموا تفسيرات على شهادتها كفيلة بأن تهدئ العقول المتسائلة . والذين لم يفتشوا الكتب لانفسهم قنعوا بقبول الاستنتاجات ا لمطابقة لرغائبهم . وبواسطة الحجة والمغالطة وتقاليد الآباء وسلطة الكنيسة حاول كثيرون هدم الحق . لكنّ المحامين عنه عادوا الى كتبهم المقدسة للدفاع عن قانونية الوصية الرابعة . فالناس الودعاء المسلحون بكلمة الحق وحدها صمدوا أمام هجمات رجال العلم الذين، لشدة دهشتهم وحنقهم، وجدوا ان مغالطاتهم الفصيحة اضعف من ان تصمد امام الحجة البسيطة القويمة التي قدمها رجال ضالعون في الكتب المقدسة لا في خبث المدارس واحتيالها.

ان كثيرين لسبب عدم وجود شهادة من الكتاب تسندهم جعلوا يجادلون باصرار لا يكل، وقد نسوا ان هذه المجادلات نفسها ق د استخدمت ضد المسيح ورسله. فكانوا يقولون: "لماذا لا يفهم عظماؤنا قضية السبت هذه ؟ ولكن الذين يعتنقون عقيدتكم هذه هم قلة . فلا يعقل ان تكونوا صادقين وعلى صواب ويكون كل رجال العلم في العالم مخطئين وعلى ضلال".

فلأجل تفنيد امثال تلك الحجج كانت الحاجة تدعو الى اقتباس تعاليم الكتاب وتاريخ معاملات الله مع شعبه في كل العصور . ان الله يستخدم الذين يسمعون صوته ويطيعونه، والذين عندما تدعو الضرورة ينطقون بحقائق غير مستساغة والذين لا يخافون من ان يوبخوا الخطايا الشائعة . والسبب الذي لأجله لا يكثر من استخدام العلماء وا لعظماء ليكونوا في طليعة القائمين بحركات الاصلاح هو كونهم يثقون بعقائدهم ونظرياتهم ونظمهم اللاهوتية ولا يحسون بحاجة الى التعلّم من الله . انما فقط اولئك الذين لهم ارتباط شخصي بنبع الحكمة هم القادرون على فهم الكتب وشرحه ا. فالرجال الذين قد نالوا قدرا [498] قليلا من العلم في المدارس يدعون احيانا لاعلان الحق، لا لانهم غير متعلمين بل لأنهم غير متكلين على انفسهم الى حد يجعلهم لا يشعرون بحاجتهم الى التعلُّم من الله . انهم يتعلمون في مدرسة المسيح، ووداعتهم وطاعتهم تجعلانهم عظماء . فالله اذ يسند اليهم معرفة حقه يخل ع عليهم كرامة عظيمة تصغر امامها الكرامة والعظمة البشريتان بحيث تصيران كلا شيء.

يرفضون النور

ان اكثرية المجيئيين رفضوا الحقائق الخاصة بالقدس وشريعة الله، وكثيرون ايضا رفضوا ونبذوا ايمانهم بحركة المجيء وتمسكوا بآراء غير سليمة ومتضاربة عن النبوات التي تنطبق على ذلك العمل . وقد انساق البعض وراء خطأ تكرار تحديد وقت معين لمجيء المسيح . فالنور الذي كان يضيء حينئذ على موضوع القدس كان يمكن ان يظهر لهم انه لا توجد فترة نبوية تمتد الى المجيء الثاني، وان الوقت المحدد لهذه الحادثة لم يُنبأ به . لكنهم اذ ابتعدوا عن النور استمروا يحددون ميعادا بعد آخر لمجيء الرب، وفي كل

مرة كانوا يخيبون.

عندما قبلت كنيسة تسالونيكي آراء مخطئة عن مجيء المسيح نصحهم بولس الرسول بان يختبروا بكل حذر آمالهم وتوقعاتهم بواسطة كلمة الله . وقد اقتبس لهم بعض النبوات التي تعلن عن الحوادث التي ستحدث قبل م جيء المسيح، وأبان لهم انه لا يوجد اساس يستندون اليه لانتظار مجيئه في ايامهم، فقال لهم محذرا: ”لا يخدعنكم احد على طريقة ما“ (٢ تسالونيكي ٢ : ٣). فان تمسكهم بتوقعات لا تصادق عليها كلمة الله قد يقودهم الى عمل خاطئ . وخيبتهم ستجعلهم عرضة لسخرية غير المؤمني ن، ولخطر التسليم للخوف والضعف وخوار العزيمة، ولتجربة الشك في الحقائق التي هي جوهرية لخلاصهم . في انذار الرسول لأهل تسالونيكي درس مهم لمن يعيشون في الايام الاخيرة . وكثيرون من المجيئيين احسوا أنهم ما لم يثبِّتوا ايمانهم على زمن معين لمجيء الرب فانهم لا يمكن ان يكونوا غيورين وجادين في عمل الاستعداد . ولكن اذ تتنبه [499] آمالهم مرارا لتتلاشى بعد ذلك فان ايمانهم يتلقى صدمة شديدة بحيث يغدو قريبا من المستحيل عليهم ان يتأثروا بحقائق النبوات العظيمة.

هذا، وان الكرازة بزمن محدد للدينونة في تقديم الرسالة الاولى كانت بأمر الله. اما تقدير الفترات النبوية الذي عليه بنيت تلك الرسالة اذ جُعلت نهاية ال ٢٣٠٠ يوم في خريف عام ١٨٤٤ فهو حساب لا يرقى إليه الخط أ. ان المحاولات المتكررة لايجاد تواريخ جديدة لبدء الفترات النبوية وختامها والجدال غير السليم اللازم لدعم هذه المواقف هي، فضلا عن كو نها تبعد العقول عن الحق الحاضر، تلقي العار والاحتقار على كل محاولة لشرح النبوات . فكلما اكثر من تحديد وقت للمجيء الثاني وكلما انتشر ذلك التعليم في أماكن عديدة كلما كان ذلك متوافقا مع اغراض الشيطان . فبعدما يمر الوقت سدى يثير الشيطان السخرية والاحتقار على الم دافعين عنه، وهكذا انصب العار على حركة المجيء العظيمة لعامي ١٨٤٣ و ١٨٤٤ . واولئك الذين يصرون على هذه الغلطة ويتشبثون بها سيحددون اخيرا تاريخا في المستقبل البعيد ل المسيح . وهذا يسوقهم الى الاطمئنان الكاذب، وكثيرون لن يكتشفوا الخداع الا بعد فوات الاوان.

ان تاريخ العبرانيين قديما هو مثال مدهش للاختبار الماضي عند جماعة المجيئيين. لقد كان الله قائدا لشعبه في حركة المجيء كما قد فعل عندما اخرج العبرانيين من مصر . وفي خيبة الامل العظيمة امتحن ايمانهم كما امتحن ايمان العبرانيين عند بحر سوف . فلو كانوا قد ظلوا متكلين على يد الله الهادية التي كانت معهم في اختبارهم الماضي لكانوا قد رأوا خلاص الله . لو ان كل من قد جدوا متضامنين في العمل في عام ١٨٤٤ قبلوا رسالة الملاك الثالث ونادوا بها بقوة الروح القدس لكان الرب قد عمل بواسطة جهودهم عجائب . ولكان قد اشرق على العالم فيض من النور، وأُنذر سكان الارض منذ سنين، وكمل العمل الختامي، وجاء المسيح لفداء شعبه.

لم يكن الله يريد ان يهيم العبرانيون على وجوههم في البرية اربعين سنة، بل كان يريد ان يدخلهم ارض كنعان مباشرة ويثبت اقدامهم فيها شعبا مقدسا [500] سعيدا. لكنهم ”لم يقدروا ان يدخلوا لعدم الايمان“ (عبرانيين ٣ : ١٩) .فبسبب مروقهم وارتدادهم هلكوا في القفر وقام آخرون ليدخلوا ارض الموعد . وبهذه الطريقة ذاتها لم تكن ارادة الله ان يتأخر مجيء المسيح الى هذا الحد ويظل شعبه في عالم الخطيئة والحزن كل هذه السنين، ولكن عدم ايمانهم صار فاصلا بينهم وبي ن الههم . فاذ رفضوا انجاز العمل الذي عينه لهم قام آخرون لينادوا بالرسالة. ان يسوع، رحمة منه بالعالم، يؤخر مجيئه حتى تتاح للخطاة فرصة لسماع الانذار ويجدوا فيه ملجأ قبلما ينصب غضب الله.

والآن كما في كل العصور الماضية يثير تقديم الحق، الذي يوبخ الخطايا والضلالات المتفشية، مقاومة شديدة . ”كل من يفعل السيئات يبغض النور ولا يأتي الى النور لئلا توبخ اعماله“ (يوحنا ٣ : ٢٠). واذ يرى الناس انهم لا يستطيعون الاحتفاظ بمركزهم بواسطة الكتب المقدسة فان كثيرين يصرون عا الاحتفاظ به مهما تكن المخاطرة عظيمة، وبروح خبيثة يه اجمون اخلاق الذين يصمدون في الدفاع عن

الحق غير المقبول ويشككون في بواعثهم . هذه هي السياسة نفسها التي كانت متبعة في كل العصور . لقد اتهم ايليا بأنه مكدر اسرائيل، وقيل عن أرميا انه خائن، وبولس اتهم بأنه قد نجس الهيكل . ومنذ ذلك اليوم الى الآن نجد ان كل من يريد ون ان يكونوا مخلصين في ولائهم للحق يشهَّر بهم على انهم مثيرو فتن او هراطقة او منشقون . وجماهير كثيرة من عديمي الايمان الذين لا يقبلون كلمة النبوة الصادقة الثابتة يقبلون ويصدِّقون بسرعة كبيرة الاتهام الموجه ضد من يجرؤون على توبيخ خطايا عصرهم المألوفة . هذه الروح ستقوى وتتفاقم . والكتاب يعلمنا بكل وضوح عن قرب مجيء الوقت الذي فيه تتصارع قوى الدولة مع شريعة الله بحيث ان من يطيع كل وصايا الله سيتعرض للتعيير والقصاص كفاعل شر.

ففي نور هذا الحق ما هو واجب رسول الحق ؟ هل يستنتج ان الحق ينبغي الا يقدم الى الناس حتى لا يثاروا فيتهربوا منه او يقاوموا مطالبه ؟ كلا، فلا عذر له بعد ذلك عن حجز شهادة كلمة الله، لكونها تثير المقاومة، اكثر مما كان [501] للمصلحين الاولين من عذر . ان الاعتراف بالايمان الذي نطق به القديسون والشهداء سجل لتستفيده الاجيال التالية . فتلك المثل الحية، مثل القداسة والاستقامة التي لا تتقلقل، قد وصلت الى عصرنا لتلهم شجاعة اولئك الذين يُدعَون اليوم ليكونوا شهودا لله . لقد حصلوا على النعمة والحق لا لأجل أنفسهم فحسب بل لكي — عن طريقهم — تنير معرفة الله الارض . فهل أعطى الله عبيده نورا في هذا الجيل ؟ اذاً فليجعلوا نوره يضيء في العالم.

قديما اعلن الرب لواحد ممن قد تكلموا باسمه قائلا: ”بيت اسرائيل لا يشاء ان يسمع لك لانهم لا يشاؤون ان يسمعوا لي“. ومع ذلك فقد قال له: ”تتكلم معهم بكلامي ان سمعوا وان امتنعوا“ (حزقيال ٣ : ٧ و ٢ : ٧). اما خادم الله في هذا العصر فالرب يأمره قائلا: ”ارفع صوتك كبوق واخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم“ (اشعياء ٥٨ : ١).

تحت مسؤولية جسيمة

ان كل من اتاحت له الظروف قبول نور الحق يقع تحت المسؤولية المهيبة والمخيفة نفسها التي التزمها نبي اسرائيل الذي جاءته كلمة الرب: ”وانت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل فتسمع الكلام من فمي وتحذرهم من قبلي. اذا قلت للشرير يا شرير موتا تموت، فان لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه فذلك الشرير يموت بذنبه اما دمه فمن يدك اطلبه . وان حذرت الشرير من طريقه ليرجع عنه ولم يرجع عن طريقه فهو يموت بذنبه . اما انت فقد خلصت نفسك“ (حزقيال ٣٣ : ٧ — ٩).

العقبة الوحيدة في طريق الحق

ان العقبة العظيمة الكأداء التي تمنع الناس من قبول الحق والمناداة به هي ما ينطوي عليه ذلك من تعب وعار . هذه هي الحجة الوحيدة ضد الحق، [502] التي لم يستطع المدافعون عنه ان يدحضوه ا. لكنّ هذ ه الحجة لا تعيق اتباع المسيح الامناء ولا تصدهم . هؤلاء لا ينتظرون حتى يشتهر الحق ويذيع . فلأنهم مقتنعون بواجبهم يقبلون بعزم صادق حمل الصليب ويقولون مع بولس الرسول: ”لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا اكثر فأكثر ثقل مجد ابديا“، ومعه ايضا عن لسان موسى: ”حاسبا عار المسيح غنى اعظم من خزائن مصر“ (٢ كورنثوس ٤: ١٧ ؛ عبرانيين ١١ : ٢٦).

ومهما يكن نوع حرفة خادمي العالم بقلوبهم فهم وحدهم الذين يعملون مدفوعين بدافع السياسة اكثر مما بدافع المبدأ في الشؤون الدينية . علينا ان نختار الصواب لكونه صوابا ونترك النتائج لله . ان العالم يدين باصلاحاته العظيمة للرجال ذوي المبدأ والايمان والجرأة . فبواسطة مثل هؤلاء ينبغي ان يتم الاصلاح ويتقدم في عصرنا هذا.

لقد قال الرب: ”اسمعوا لي يا عارفي البر، الشعب الذي شريعتي في قلبه، لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم لا ترتاعوا. لانه كالثوب يأكلهم العث وكالصوف يأكلهم السوس اما بري فالى الابد يكون وخلاصي الى دور الادوار“ (اشعياء ٥١ : ٧ و ٨). [503]

الفصل السابع و العشرون ـــ نهضات عصرية

أينما يكرز بكلمة الله بأمانة تتبع ذلك نتائج مباركة تشهد لمصدرها الالهي. لقد رافق روح الله رسالة عبيده وكانت الكلمة مصحوبة بقوة . وقد أحس الخطأة بأن ضمائرهم قد استيقظت. "والنور الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم" أنار مخادع نفوسهم وانكشفت للنور الاشياء التي كانت مختبئة بين طيات الظلام . وقد تبكتت عقولهم وقلوبهم تبكيتا عميق ا. تبكتوا على خطيئة وعلى بر وعلى الدينونة العتيدة . كان عندهم إحساس ببر الرب وشعروا بالرعب من المثول أمام فاحص القلوب وهم ملوثون بالذنوب وا لنجاسات. ففي ألم وعذاب صرخوا قائلين: "من ينقذني من جسد هذا الموت" ؟ فاذ أعلِن لهم صليب جلجثة بذبيحته السرمدية لاجل خطايا الناس رأوا أنه لا يوجد شيء سوى استحقاقات المسيح يكفي للتكفير عن معاصيهم، فهي وحدها التي يمكنها أن تصالح الانسان مع الله . فبايمان وود اعة قبلوا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم . وبدم يسوع حصلوا على "غفران خطاياهم الماضية".

وصنعت هذه النفوس ثمارا تليق بالتوبة . لقد آمنوا واعتمدوا وقاموا ليسلكوا في جدة الحياة، فصاروا خليقة جديدة في المسيح يسوع، لا ليشاكلوا شهواتهم السابقة بل ليسيروا في خط واته بايمان ابن الله وليعكسو ا صفاته وليطهروا أنفسهم كما هو طاهر . لقد صاروا الآن يبغضون ما كانوا قبلا يحبون ويحبون ما كانوا قبلا يبغضون . فالمتكبرون والمتغطرسون صاروا ودعاء ومتواضعي القلوب . [504] والمختالون والمعجبون بأنفسهم والمتشامخون صاروا جادين وغير فضوليين . والنجسون المستبيحون صاروا وقورين . والسكيرون صاروا صاحين والخلعاء طاهرين. وأزياء العالم الباطلة ألقي بها جانب ا. ولم تطلب السيدات المسيحيات "الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن" (١ بطرس ٣ : ٣ و ٤).

لقد كان من ثمار النهضات او الانتعاشات فحص عميق للقلوب وتذلل . وتميزت بتوسلات حارة الى الخطأة وحنان مشتاق الى دم المسيح . وصلى الرجال والنساء وجاهدوا مع الله في طلب خلاص النفوس . وقد رؤيت ثمار م ثل هذه الانتعاشات في كثيرين ممن لم يتراجعوا أمام انكار الذات والتضحية بل كانوا فرحين لانهم حُسبوا مستأهلين لان يحتملوا التعيير والتجارب لاجل المسيح . وقد رأى الناس تبدلا في حياة من قد اعترفوا باسم يسوع وأفادوا المجتمع بتأثيرهم . كانوا يجمعون مع المسيح ويزرعون للروح ليحصدوا حياة أبدية.

وكان ينطبق عليهم القول: "لانكم حزنتم للتوبة"، "لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة . وأما حزن العالم فينشئ موت ا. فانه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله كم أنشأ فيكم من الاجتهاد بل من الاحت جاج بل من الغيظ بل من الخوف بل من الشوق بل من الغيرة بل من الانتقام . في كل شيء أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الامر" (٢ كورنثوس ٧ : ٩ ١١).

”من ثمارهم تعرفونـهم“

هذه هي نتيجة عمل روح الله . ولا يوجد برهان على التوبة الحقيقية ما لم ينتج منها اصلاح . فاذا رد الخاطئ الوديعة وأرجع ما قد اغتصبه واعترف بخطاياه وأحب الله والناس يستطيع أن يتأكد من أنه وجد سلاماً مع الله . مثل هذه الآثار [505] تبعت أوقات النهضات الدينية في السنين السالفة . واذ حكم عليها بثمارها عرف أن الله قد باركها في خلاص الناس ورفع شأن البشرية.

ولكن كثيراً من الانتعاشات التي حدثت في العصور الحديثة تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي ظهرت في الأيام القديمة وتبعت خلالها النعمة الالهية جهود عبيد الله . نعم، نحن لا ننكر أن اهتماما واسع النطاق قد أثير، وكثيرون يعترفون أنهم قد تجددوا وان الاقبال عظيم على الكنائس، ومع كل ذلك فالنتائج لا تبرر الاعتقاد أن هذا الاهتمام رافقته زيادة ملائمة في مستوى الحياة الروحية الحقيقية. ان النور الذي يرتفع لهيبه الى حين سرعان ما ينطفئ تاركاً الظلمة أشد حلوكة مما كانت.

ان الانتعاشات المألوفة كثيرا ما تحدث بواسطة الالتجاء الى الخيال والأوهام واثارة الانفعالات وإشباع شوق الناس الى كل ما هو جديد ومفزع. والمتجددون بهذه الوسائل لا يرغبون كثيراً في الاصغاء الى حق الانجيل، وقلما يهتمون بشهادة الأنبياء أو الرسل . وما لم تكن الخدمة الدينية من النو ع العاطفي فهي لا تجذبهم . فالرسالة التي تستنجد بالعقل الرزين لا توقظ فيهم استجابة ولا تجد لديهم قبولا . وهم لا يكترثون لإنذارات كلمة الله الصريحة التي تتناول مباشرة مصالحهم الأبدية.

أتباع أمناء للمسيح

وبالنسبة الى كل نفس مهتدية حقاً ستكون الصلة بينها وبين الله والأمور الابدية هي مدار الحياة كلها وموضوعه . ولكن في أيّ كنيسة من الكنائس المشهورة في هذه الايام نجد روح تكريس الذات لله ؟ فالمتجددون لا ينبذون كبرياءهم ولا حبهم للعالم، ولا عادوا راغبين في انكار الذات وحمل الصليب واتباع يسوع الوديع المتواضع أكثر مما كانوا قبل تجديدهم . لقد صار الدين موضوع سخرية الملحدين والمتشككين لان كثيرين جدا ممن يحملون اسم الدين [506] يجهلون مبادئه . فقوة التقوى تكاد تهجر كثيرا من الكنائس . والنزهات في الهواء الطلق ومسرحيات الكنائس، والاسواق التي تقام فيها، والبيوت الفخمة، والتف اخر الشخصي والمباهاة قد أبعدت عن الناس التفكير في الله . لقد انشغلت العقول بالاملاك والامتعة والاشغال العالمية، أما الامور التي لها مساس بصالح النفس الابدي فلا تكاد تظفر بنظرة عابرة.

ولكن على رغم انحطاط الايمان الشائع وضعف التقوى المتفشي يوجد في هذه الكنائس أتباع أمناء للمسيح . فقبلما يفتقد الله الارض بضرباته الاخيرة سيحدث بين شعب الرب انتعاش في التقوى والقداسة على غرار ما حدث في عصر الرسل . فسينسكب روح الله وقوته على أولاده . وفي ذلك الوقت سسينسحب كثيرون من تلك الكنائس التي فيها احتلت محبة العالم مكان محبة الله وكلمته . وكثيرون من الخدام والشعب سيقبلون بكل سرور تلك الحقائق العظيمة التي أمر الله بأن ينادى بها في هذا الوقت لاعداد شعب لمجيء الرب ثانية. ان عدو النفوس يرغب في تعطيل هذا العمل . وقبل مجيء الوقت لمثل هذه النهضة سيحاول الشيطان أن يمنعها بتقديم شيء زائف بدلا منه ا. وفي تلك الكنائس التي يستطيع أن يجعلها تحت سلطانه الخادع سيجعل الامر يبدو للناس وكأن بركة الله الخاصة قد فاضت، وسيظهر ما يُظن

بأنه اهتمام ديني عظيم. وسيفرح جماهير من الناس لان الله يعمل عملا عجيبا لاجلهم . في حين أن ذلك العمل هو عمل روح آخر . فتحت ثوب الدين سيحاول الشيطان أن يمد تأثيره على العالم المسيحي.

وفي كثير من الانتعاشات التي حدثت في نصف القرن الاخير كانت المؤثرات نفسها تعمل عملها الى حد كبير أو صغير، وهي التي ستكون ظاهرة في الحركات الاكثر شمولا واتساعا في المستقبل . فثمة اهتياج عاطفي هو مزيج من الحقيقي والزائف يساعد على التضليل . ولكن لا حاجة الى أن ينخدع أحد. ففي نور كلمة الله ليس من الصعب على الانسان أن يحكم على طبيعة هذه الحركات . فعندما يهمل الناس شهادة الكتاب مبتعدين عن تلك الحقائق [507] الواضحة الفاحصة للنفس والتي تتطلب انكار الذات ونبذ العالم تُحجب عنهم بالتأكيد بركة الله . وبموجب القانون الذي وضعه المسيح نفسه والقائل: "من ثمارهم تعرفونهم" (متى ٧ : ١٦) فمن الواضح أن هذه الحركات ليست من عمل روح الله.

لقد قدم الله الى الناس في حقائق كلمته اعلانا عن نفسه، وهي ترس لكل من يقبلونها يقيهم غوائل غوايات الشيطان . واهمال هذه الحقائق هو ما فتح الباب لكل الشرور التي تفاقمت وانتشرت في كل العالم المتديِّن . لقد غابت عن انظار الناس طبيعة شريعة الله وأهميتها الى حد كبير . وساق الفهمُ الخاطئ لطبيعة شريعة الله ودوامها وحقها الناسَ الى الاخطاء الخاصة بالهداية والتقديس، ونتج من ذلك خفض مقياس التقوى في الكنيسة . هنا نجد السر في افتقارنا الى روح الله وقوته في الانتعاشات التي تحصل في عصرنا الحاضر.

في الطوائف المتعددة رجال اشتهروا بتقواهم يعترفون بهذه الحقيقة ويأسفون له ا. ان البروفيسور ادواردز بارك، وهو يعدد المخاطر الدينية الشائعة، قال: "من بين مصادر الخطر اهمال المنبر في الزام الناس حفظ شريعة الله . في العصور القديمة كان المنبر صدى لصوت الضمير ... ان أشهر وعاظنا أضفوا على عظاتهم جلالا مدهشا باتباعهم مثال السيد واعطائهم شريعةَ الله ووصاياها ووعيده ا السمو والرفعة اللائقين به ا. لقد رددوا المبدأين العظيمين المقررين، وهما أن الشريعة هي صورة لكمالات الله وان من لا يحب الناموس لا يحب الانجيل، لان الناموس كالانجيل مرآة تعكس صفات الله الحقيقية . وهذا الخطر يقود الى خطر آخر الا وهو التقليل من شر الخطيئة ومداها وانحطاطه ا. فعلى قدر صواب الوصية يكون خطأ عصيانها ...

"ومن بين المخاطر التي اوردناها خطر بخس عدالة الله . فالمنبر العصري يميل الى اخراج عدل الله من دائرة احسانه مع الحط من شأن هذا الاخير ا لى حد جعله عاطفة بدلا من رفعه الى سدة المبد أ. ان النظرية اللاهوتية الجديدة [508] تفرق ما قد جمعه الله . هل شريعة الله خير أم شر ؟ انها صالحة، اذاً فالعدل صالح لانه يميل الى تنفيذ القانون . فمن عادة التقليل من شأن شريعة الله وعدله، ومدى العصيان البشري وعيبه، ان الن اس ينزلقون بسهولة الى بخس النعمة التي قد أعدت كفارة عن الخطيئة والتقليل من قيمتها"، وهكذا يفقد الانجيل قيمته وأهميته في عقول الناس، وسرعان ما يكونون مستعدين فعلا لطرح الكتاب المقدس نفسه جانبا.

ناموس الحرية

يؤكد كثيرون من معلمي الدين ان المسيح ابطل بموته الناموس فتحرر الناس من مطالبه. وبعض الناس يصورونه نيرا مكدرا محزنا، وعلى نقيض عبوديته يقدمون الحرية التي يمتعهم بها الانجيل.

لكنّ هذه لم تكن النظرة التي كان الانبياء والرسل ينظرون بها الى شريعة الله المقدسة . فلقد قال داود:

”أتمشى في رحب لاني طلبت وصاياك“ (مزمور ١١٩ : ٤٥) .والرسول يعقوب الذي كتب رسالته بعد موت المسيح يشير الى الوصايا العشر على أنها ”الناموس الملوكي“ و ”الناموس الكامل ناموس الحرية“ (يعقوب ٢ : ٨ ؛ ١ : ٢٥). والرائي الذي كتب بعد الصلب بنصف قرن ينطق بالبركة والطوبى على ”الذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة“ (رؤيا ٢٢ : ١٤).

ان الادعاء القائل ان المسيح بموته قد ألغى وأبطل شريعة أبيه هو ادعاء لا أساس له من الصحة . فلو كان من الممكن تغيير الشريعة أو طرحها جانبا لما كان من حاجة الى ان يموت المسيح لينقذ الانسان من قصاص الخطيئة . ان موت المسيح لا يلغي الشريعة بل يبرهن ثباتها وعدم تغييره ا. وابن الله قد أتى لكي ”يعظم الشريعة ويكرمها“ [509] (اشعياء ٤٢ : ٢١) وهو الذ ي قال: ”لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس“. ”الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس“ (متى ٥ : ١٧ و ١٨). أما عن نفسه فيعلن قائلا: ”أن أفعل مشيئتك يا الهي سررت وشريعتك في وسط أحشائي“ (مزمور ٤٠ : ٨).

شريعة الله لا تتغير

لا تتغير شريعة الله بطبيعته ا. انها اعلان ارادة وصفات مبدعه ا. الله محبة، وشريعته محبة . والمبدآن العظيمان اللذان يلخصانها هما المحبة لله والمحبة للناس. ”المحبة هي تكميل الناموس“ (رومية ١٣ : ١٠). ان صفات الله هي البر والحق، وكذا طبيعة شريعته . يقول صاحب المزامير: ”شريعتك حق“، ”كل وصاياك عدل“ (مزمور ١١٩ : ١٤٢ و ١٧٢). وبولس الرسول يعلن قائلا: ”الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة“ (رومية ٧ : ١٢). مثل هذه الشريعة اذ هي تعبير عن فكر الله وارادتة ينبغي ان تكون ثابتة وباقية كمبدعها.

ان عمل التجديد والتقديس هو إصلاح ذات البين بين الناس والله بجعلهم في حالة وفاق مع مبادئ شريعته . في البدء خلق الله الانسان على صورته . كان الانسان في حالة و فاق كامل مع طبيعة الله وشريعته، وكانت مبادئ البر مكتوبة على قلبه . لكنّ الخطيئة فصلت بينه وبين خالقه، فما عاد بعد ذلك يعكس الصورة الالهية . ونشبت حرب في قلبه ضد مبادئ شريعة الله، ”لان اهتمام الجسد هو عداوة لله اذ ليس هو خاضع ا لناموس الله لانه ايضا لا يستطيع ” (رومية ٨ : ٧). ولكن “ هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد“ لكي يتاح للانسان أن يتصالح مع الله . فبواسطة استحقاقات المسيح يمكنه ان يعود الى حالة الوفاق مع جابله . ينبغي أن يتجدد قلبه بنعمة الله وأن تكون له حياة جديدة من فوق . هذا التغيير هو [510] الولادة الثانية التي من دونها ”لا يقدر أن يرى ملكوت الله“، كما يقول يسوع.

اولى خطوات المصالحة مع الله هي الاقتناع بالخطيئة. ”الخطيئة هي التعدي“ على شريعة الله. ”بالناموس معرفة الخطيئة“ (١ يوحنا ٣ : ٤؛ رومية ٣ : ٢٠). فلكي يرى الخاطئ خطيئته عليه أن يقيس اخلاقه ويمتحنها بمقياس البر العظيم (الشريعة). انه مرآة يُري الانسان كمال الصفات البارة ويقدره على اكتشاف النقص في اخلاقه.

يكشف الناموس للانسان عن خطاياه لكنّه لا يقد م علاجا لذلك . ففي حين يعد الطائعين بالحياة يعلن أن الموت هو نصيب العصاة . انما انجيل المسيح وحده هو الذي يستطيع أن يحرر الانسان من دينونة الخطيئة ولوثاته ا. لذا ينبغي له أن يتوب الى الله الذي قد تعدى على شريعته ويؤمن بالمسيح الذي هو

ذبيحته الكفارية. وهكذا ين ال "غفراناً لخطاياه السالفة" ويصير من شركاء الطبيعة الالهية. يغدو ابنا لله لاخذه روح التبني الذي به يصرخ "يا أب ا الآب" (غلاطية ٤ : ٦).

فهل هو حر الآن ليتعدى شريعة الله ؟ يقول بولس: "أفنبطل الناموس بالايمان ؟ حاشا بل نثبت الناموس". "نحن الذين متنا عن الخطيئة كيف نعيش بعد فيها". ويوحنا يعلن قائلا: "هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه ووصاياه ليست ثقيلة" (رومية ٣ : ٣١ ؛ ٦ : ٢ ؛ ١ يوحنا ٥ : ٣). عندما يولد الانسان ثانية يصير القلب في حالة توافق مع الله ومع شريعته . فعندما يحدث هذا التبدل العظيم في قلب الخاطئ ينتقل من الموت الى الحياة ومن الخطيئة الى القداسة ومن التعدي والعصيان الى الطاعة والولاء . لقد انتهت حياته القديمة، حياة البعد والانفصال، وبدأت الحياة الجديدة، حياة المصالحة والايمان والمحبة . حينئذ "يتم حكم (بر) الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رومية ٨ : ٤). وحينئذ ستكون [511] لغة النفس هي هذه: "كم أحببت شريعتك . اليوم كله هو لهجي" (مزمور ١١٩ : ٩٧).

"ناموس الرب كامل يرد النفس" (مزمور ٩١ : ٧). من دونه لا يدرك الناس طه ارة الله وقداسته ادراكا عادلا كاملا، ولا يدركون خطاياهم ونجاستهم . لا يكون عندهم اقتناع حقيقي بالخطيئة ولا يحسون بحاجتهم الى التوبة . واذ لا يرون حالة الهلاك التي هم فيها لتعديهم شريعة الله فهم لا يدركون حاجتهم الى دم المسيح المكفر . والانسان يقبل رجاء الخلاص من دون تغيير جوهري في القلب أو اصلاح للحياة . وهكذا تكثر هدايات سطحية وتنضم جماهير غفيرة ممن لم يرتبطوا بالمسيح ابدا الى الكنيسة.

تحتل النظريات الخاطئة عن التقديس، التي تنشأ من اهمال شريعة الله أو نبذها، مكانا رفيعا مرموقا في الحركات والنهضات الدينية في ه ذه الايام . هذه النظريات زائفة وكاذبة في العقيدة وخطرة في عواقبها العملية . وحقيقة كونها تحظى برضا الجميع تحتم على الجميع تحتيما جوهريا مضاعفا ان يدركوا ادراكا واضحا ما تعلم به الكتب المقدسة حول الموضوع.

ما هو التقديس ؟

التقديس الصحيح عقيدة كتابية . فالرسول بولس يعلن في رسالته الىتسالونيكي قائلا: "هذه هي ارادة الله قداستكم". ويصلي قائلا: "واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام" (١ تسالونيكي ٤ : ٣ ؛ ٥ : ٢٣). ويعلمنا الكتاب تعليما واضحا ماهية التقديس وكيفية الوصول اليه . لقد صلى المخلص لاجل تلاميذه قا ئلا: "قدسهم في حقك . كلامك هو حق (يوحنا ١٧ : ١٧). وبولس يعلمنا قائلا ان على المؤمن أن يكون "مقدسا بالروح القدس" (رومية ١٥ : ١٦) .وما هو عمل الروح القدس ؟ لقد اخبر يسوع تلاميذه قائلا: "ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق" (يوحنا ١٦ : [512] ١٣). وصاحب المزامير : يقول: "شريعتك حق" (مزمور ١١٩ : ١٤٢) فبواسطة كلمة الله وروحه تُكشَف للناس مبادئ البر العظيمة المشتمَلة في شريعته . وبما أن شريعة الله "مقدسة وعادلة وصالحة" (رومية ٧ : ١٢) وصورة طبق الاصل عن كم اله الالهي فان الاخلاق التي تتكون بالطاعة لتلك الشريعة لا بد أن تكون ايضا مقدسة . والمسيح هو المثال الكامل لتلك الاخلاق، فهو يقول: "اني أنا قد حفظت وصايا أبي"، "في كل حين أفعل ما يرضيه" (يوحنا ١٥ : ١٠ ؛ ٨ : ٢٩). وعلى اتباع المسيح أن يكونوا مثله، وبنعمة الله أن تكون لهم صفات متفقة مع مبادئ شريعته المقدسة. وهذا هو التقديس حسب تعليم الكتاب المقدس.

بالايمان فقط

ويمكن انجاز هذا العمل بواسطة الايمان بالمسيح فقط وبواسطة قوة روح الله الساكن في القلب . ان بولس يوصي المؤمنين بقوله: ”تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لان الله هو العامل فيكم ان تريدوا وان تعملوا من أجل المسرة“ (فيلبي ٢ : ١٢ و ١٣). سيحس المسيحي بنوازع الخطيئة لكنه سيثير عليها حربا دائمة لا هوادة فيه ا. هذا هو الوقت الذي فيه يحتاج المؤمن الى معونة المسيح، فيتحد الضعف البشري بالقوة الالهية ويهتف الايمان قائلا : ”شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح“ (١ كورنثوس ١٥ : ٥٧).

يعلمنا الكتاب بكل وضوح أن عمل التقديس متدرج . فاذ يجد الخاطئ في التجديد سلاما مع الله بدم الكفارة تكون الحياة المسيحية قد بدأت. وعليه الآن أن يتقدم ”الى الكمال“ (عبرانيين ٦ : ١) وينمو ”الى قياس قامة ملء المسيح“. يقول بولس الرسول: ”أفعل شيئا واحدا اذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لاجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع“ (فيلبي ٣ : ١٣ و ١٤). وبطرس يضع أمامنا الخطوات التي بواسطته ا يمكننا الوصول الى حالة التقديس كما رسمه الكتاب فيقول: [513] ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا في ايمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعففا وفي التع فف صبرا وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودة أخوية وفي المودة الاخوية محبة ... لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا“ (٢ بطرس ١ : ٥ — ١٠).

ان الذين يختبرون التقديس الكتابي لا بد أن يظهروا روح الوداعة . فهم كموسى قد رأوا عظمة جلال القداسة ويرون عدم است حقاقهم على نقيض طهارة الاله السرمدي وكماله السامي.

كان النبي دانيال مثالا للتقديس الحقيقي . لقد قضى حياته الطويلة في الخدمة النبيلة لسيده . كان ”الرجل المحبوب“ لدى السماء (دانيال ١٠ : ١١). ومع ذلك فبدلا من أن يدعي لنفسه الطهارة والقداسة اعتبر نفسه واحدا من بني اسرائيل الخطأة في الحقيقة عندما كان يتوسل لاجل شعبه أمام الله فيقول : ”لا لاجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لاجل مراحمك العظيمة“، ”أخطأنا عملنا شرا“، ثم يعلن قائلا: ”وبينما أنا أتكلم وأصلي وأعترف بخطيئتي وخطيئة شعبي“. وبعد ذلك عندما ظهر له ابن الله ليعلمه ويقدم اليه ارشادا يقول دانيال: ”ونضارتي تحولت فيَّ الى فساد ولم أضبط قوة“ (دانيال ٩ : ١٨ و ١٥ و ٢٠ ؛ ١٠ : ٨).

لا تمجيد للذات

وعندما سمع أيوب صوت الرب من العاصفة صاح قائلا: ”أرفض (نفسي) وأندم في التراب والرماد“ (أيوب ٤٢ : ٦). وعندما رأى اشعياء مجد الرب وسمع الكروبيم ينادون قائلين: ”قدوس قدوس قدوس رب الجنود“ صرخ قائلا: ”ويل لي اني هلكت“ (اشعياء ٦ : ٣ و ٥). وبولس بعدما اختطف الى السماء الثالثة وسمع أشياء لا يجوز لانسان أن ينطق بها يتحدث عن نفسه على أنه ”أصغر جميع القديسين“ (٢ كورنثوس ١٢ : ٢ ؛٤ [514] أفسس ٣: ٨). ويوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر يسوع ورأى مجده سقط كميت أمام رجلي الملاك (رؤيا ١ : ١٧).

لا يمكن للذين يسيرون في ظل الصليب أن يمجدوا أنفسهم أو يدعوا أنهم قد تحرروا من الخطيئة . فهم

يحسون بأن خط يئتهم هي التي تسببت في الآلام والعذابات التي سحقت قلب ابن الله، وهذا الفكر يقودهم الى التذلل والانسحاق. والذين هم أقرب الناس الى يسوع يدركون كل الادراك ضعف البشرية وشرها، وان رجاءهم الوحيد هو في استحقاق مخلصهم المصلوب والمقام.

ان التقديس المشهور الآن في ع الم الدين يحمل معه روح تمجيد الذات والاستخفاف بشريعة الله مما يجعله يختلف عن ديانة الكتاب . والذين يدافعون عنه يعلِّمون الناس قائلين ان التقديس هو عمل لحظة بواسطته يحصلون على القداسة الكاملة بالايمان وحده . وهم يقولون: "آمن فقط فتحصل على البركة". ويظنون أنه لا يُطلب ممن ينال هذه البركة أن يبذل أي مجهود بعد ذلك . وهم في الوقت نفسه ينكرون سلطان شريعة الله ويحتجون قائلين انهم قد تحرروا من التزام حفظ الوصاي ا. ولكن أيمكن للناس أن يكونوا قديسين طبقا لمشيئة الله وصفاته من دون أن يكونوا في حالة وفاق مع المبادئ التي ه ي تعبير عن طبيعته ومشيئته والتي ترينا ما الذي يرضيه ؟

دين سهل

ان رغبة الناس في الحصول على دين سهل لا يتطلب جهدا ولا انكارا للذات ولا انفصالا عن جهالات العالم جعلت تعليم الايمان والايمان وحده عقيدة شائعة. ولكن ما الذي تقوله كلمة الله ؟ يقول يعقوب الرسول: "ما المنفعة يا أخوتي ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال هل يقدر الايمان أن يخلصه ... هل تريد أن تعلم ايها الانسان الباطل ان الايمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر [515] ابراهيم أبونا بالاعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح . فترى ان الايمان عمل مع أعماله وبالاعمال أكمل الايمان ... ترون اذاً انه بالاعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده" (يعقوب ٢: ١٤ — ٢٤).

ان شهادة كلمة الله هي ضد هذا التعليم المعرقل تعليم الايمان من دون أعمال. فليس الايمان هو الذي يطالب برضى السماء من دون الامتثال للشروط التي على أساسها تُمنح الرحمة، بل هي الغطرسة . لان الايمان الحقيقي له أساسه في المواعيد والشروط التي يقدمها الكتاب.

لا يخدعنَّ أحد نفسه بالاعتقاد أنه يمكنه أن يكون قديسا في حين أنه يتعمد التعدي على مطلب واحد من مطالب الله . فارتكاب خطيئة معروفة يُسكت صوت الروح الشاهد ويفصل النفس عن الله . "الخطيئة هي التعدي". و "كل من يخطئ (أي يتعدى على الشريعة) لم يبصره ولا عرفه" (١يوحنا ٣ : ٦). ان يوحنا مع أنه يتكلم كثيرا عن المحبة في رسائله فانه لا يتردد في الكشف عن الصفة الحق يقية لتلك الفئة من الناس الذين يدعون أنهم قد تقدسوا في حين أنهم عائشون في حال التعدي على شريعة الله . فيقول: "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه . وأما من حفظ كلمته فحقا في هذا قد تكملت محبة الله" (١ يوحنا ٢ : ٤ و ٥). هنا اختبار لاعتراف كل واحد . لا يمكننا أن ننسب القداسة الى أي انسان من دون أن نأتي به الى مقياس الله الوحيد للقداسة في السماء وعلى الارض . فاذا استخف الناس بالشريعة الابدية وحقروا من شأن وصايا الله ونقضوا احدى هذه الوصايا الصغرى وع لموا الناس هكذا فلن يكون لهم أي اعتبار في نظر السماء. ونعرف نحن أن ادعاءاتهم كانت على غير أساس.

وادعاء الانسان انه بلا خطيئة هو في حد ذاته برهان على أن من يقدم هذا الادعاء بعيد كل البعد من القداسة . فلأنه لا يدرك ادراكا حقيقيا طهارة الله وقداسته غير المحدو دة، ولا ما يجب أن يصير اليه الذين يريدون أن يكونوا على وفاق مع صفاته، ولانه لا يدرك ادراكا صحيحا طهارة يسوع وسمو جماله وخبث [516] الخطيئة وشرها، لاجل هذا يعتبر ذلك الانسان نفسه قديس ا. وكلما زاد ابتعاده عن المسيح ونقص

ادراكه لصفات الله ومطالبه كلما بدا بارا ج دا في عيني نفسه.

ذبيحة حية

يتناول التقديس المقدم الينا في الكتاب كيان الانسان كله، في الروح والنفس والجسد . لقد صلى بولس لاجل أهل تسالونيكي قائلا : "لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تسالونيكي ٥ : ٢٣). ومرة اخرى يكتب للمؤمنين قائلا: "اطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله" (رومية ١٢ : ١). وفي عهد اسرائيل قديما كانت كل ذبيحة تقدم تُفحص جيدا. فاذا اكتشف أي عيب في الحيوان المقدم كان يُرفض لان الله أمر أن يكون كل قربان "بلا عيب". فكذلك المسيحيون يُطلب منهم أن يقدموا أجسادهم "ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله". فلكي يفعلوا هذا ينبغي أن تُحفظ كل قواهم في أفضل حالة ممكنة . فكل عمل من شأنه أن يضعف قوى الجسد أو العقل يجعل الانسان غير أهل لخدمة الله خالقه . وهل يرضى الله بشيء أقل من أفضل ما في وسعنا أن نقدمه ؟ لقد قال المسيح: "تحب الرب الهك من كل قلبك". فالذين يحبون الله من كل القلب سيكونون راغبين في أن يسدوا اليه أفضل خدمة في حياتهم، ويطلبون على الدوام أن يجعلوا كل قوى كيانهم في حالة وفاق مع القوانين التي تزيد من قدرتهم على عمل ارادته . انهم لن يجعلوا الانغماس في الشهية أو الشهوات وسيلة اضعاف أو تدنيس للقربان الذي يريدون تقديمه الى أبيهم السماوي.

يقول بطرس: "أطلب اليكم ... أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس" (١ بطرس ٢: ١١). فكل تمتُّع خاطئ يعمل على تخدير القوى وإماتة الاحاسيس الذهنية والروحية، فلا تستطيع كلمة الله أو روحه أن تؤثر في [517] القلب الا بقدر ضئيل جد ا. وبولس كتب يقول لاهل كورنثوس: "لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله" (٢ كورنثوس ٧: ١). ومع ثمر الروح الذي هو "محبة، فرح، سلام، طول اناة، لطف، صلاح، ايمان، وداعة" يدرج الرسول "التعفف" (غلاطية ٥: ٢٢ و ٢٣).

ولكن على رغم كل هذه الاعلانات الموحى بها ما أكثر المعترفين بالمسيحية الذين يوهنون قواهم بالركض في أثر الربح أو عبادة الزي والاناقة، وما أكثر من يحطون من قدر انسانيتهم الجليلة المجيدة بالانغماس في النهم والشراهة وشرب الخمر أو التمتع بالمسرات المحرمة. والكنيسة بدلا من أن توبخ هذه الشرور فانها في غالب الاحيان تشجع الشر بالالتجاء الى الشاهية وطلب الربح أو حب الملذات لكي تملأ بالمال خزانتها، لأن محبتها للمسيح هي أضعف من أن تملأه ا. ولو قُيِّض ليسوع أن يدخل كنائس اليوم ويرى الولائم والتجارة النجسة التي تدار باسم الدين أما كان يطرد اولئك المنجسين كما قد طرد الصيارفة من الهيكل ؟

طهارة الانجيل

يعلن الرسول يعقوب ان الحكمة التي من فوق هي "اولا طاهرة". ولو جابه الرسول اولئك الذين ينطقون باسم يسوع العزيز بشفاههم التي قد نجسها التبغ، اولئك الذين انفاسُهم واشخاصُهم ملوثة برائحته الكريهة والذين يفسدون هواء السماء ويرغمون كل من حولهم على استنشاق سمومه، ولو جرى في

حضوره مثل هذا العمل المضاد كليا لطهارة الانجيل، أما كان يشهّر به على أنه "ارضي نفساني شيطاني" ؟ ان عبيد التبغ الذين يدعون أن عندهم بركة التقديس الكامل يتحدثون عن رجائهم في السماء، لكنّ كلمة الله تعلن بكل صراحة أنه "لن يدخلها شيء دنس" (رؤيا ٢١ : ٢٧). [518]

"أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله . وانكم لستم لانفسكم . لانكم قد اشتريتم بثمن . فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١ كورنثوس ٦ : ١٩ و ٢٠). ان ذاك الذي جسده هيكل للروح القدس لن تستعبده عادة وبيلة . فكل قواه هي للمسيح الذي اشتراه بدمه واملاكه هي للرب . وكيف يكون مبَّررا وهو يبذر رأس المال هذا المودَع امانة بين يديه ؟ ان المعترفين بالمسيح ينفقون كل عام مبلغا ضخما على الملاذ العديمة النفع والوبيلة بينما توجد نفوس تهلك وليس من يقدم اليها كلمة الحياة . لقد سلَبْنا الله في العشور والتقدمة بينما نحن نحرق على مذبح الشهوة المهلِكة أكثر مما نقدم لاسعاف المساكين أو لنشر رسالة الانجيل . لو كان كل المعترفين بأنهم أتباع المسيح مقدَّسين بالحق لكانت أموالهم، بدلا من أن تصرف في تمتعات باطلة لا داعي لها بل وضارة، تتحول الى خزانة الرب، ولكان المسيحيون يضربون أروع الامثلة على التعفف وانكار الذات والتضحية. وحينئذ يصبحون نورا للعالم.

لقد أسلم العالم نفسه للشهوات والملذات، "شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة" التي تتحكم في جماهير الناس وتسيطر عليهم . أما أتباع المسيح فلهم دعوة أقدس: "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا". وفي نور كلمة الله يسوغ لنا أن نعلن أن التقديس الذي لا يكون من نتائجه هذا الاقلاع التام عن كل ممارسات العالم ومسراته الخاطئة لا يمكن أن يكون تقديسا حقيقيا.

أما الذين يمتثلون لهذه الشروط وهي: "اخرجوا م ن وسطهم واعتزلوا... ولا تمسوا نجسا" فالرب يقدم اليهم هذا الوعد: "فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء" (٢ كورنثوس ٦: ١٧ و ١٨). انه امتياز وواجب على كل مسيحي أن يكون له اختبار غني ووفير في أمور الله . قال يسوع: "أنا هو نور العالم . من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" [519] (يوحنا ٨ : ١٢). "أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير الى النهار الكامل" (أمثال ٤: ١٨). ان كل خطوة من خطوات الايمان والطاعة تُدخل النفس الى ارتباط أقرب وأوثق بنور العالم الذي "ليس فيه ظلمة البتة". ان أشعة شمس البر المتألقة تشرق على عبيد الله، وعليهم هم أن يعكسوا أشعة نوره . فكما تخبرنا النجوم أن هنالك في السماء نورا عظيما تستنير هي و تنير بنوره، كذلك يجب على المسيحيين أن يجعلوا الامر واضحا وجليا انه يوجد اله على عرش الكون تستحق صفاته أن يمجدها الناس ويتمثّلوا به ا. ان شمائل روحه وطهارة صفاته وقداستها ستبدو جلية واضحة في حياة شهوده.

اولاد الله

يعدد بولس في رسالته الى كولوسي البركات الممنوحة لاولاد الله . فيقول: "لم نزل مصلين وطالبين لاجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي . لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله . متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح" (كولوسي ١: ٩ — ١١).

ومرة أخرى يكتب عن اشتياقه الى أن يدرك الاخوة في أفسس سمو امتياز المسيحي . فهو يكشف لهم في أروع لغة شاملة عن القوة والمعرفة العجيبتين اللتين يمكنهم امتلاكهم ا كأبناء العلي وبناته . لقد كان من

حقهم ان يتأيدوا "بالقوة بروحه في الانسان الباطن" وأن يكونوا متأصلين ومتأسسين في المحبة، وأن يدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ويعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة . لكنّ صلاة الرسول تصل الى ذروة الامتياز عندما يطلب "أن تمتلئوا الى كل ملء الله" (أفسس ٣ : ١٦ — ١٩). [520]

هنا تُعلَن أعالي الاشياء التي نستطيع أن ندركها وننالها ونبلغها بالايمان بوعود أبينا السماوي عندما نتمم مطالبه . ان لن ا في استحقاقات المسيح دخولا الى عرش القدرة الازلي . فذاك "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا أجمعين كيف لا يهبنا ايضا معه كل شيء" (رومية ٨ : ٣٢). لقد أعطى الآب لابنه الروح من دون كيل ولنا نحن أن نأخذ من ملئه . يقول يسوع: "ان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا اولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه" (لوقا ١١ : ١٣) "ان سألتم شيئا باسمي فاني أفعله". "اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا" (يوحنا ١٤ : ١٤ ؛ ١٦ : ٤ ٬

وفي حين أن حياة المسيحي تمتاز بالوداعة ينبغي الا تتّسم بطابع الحزن والحط من قدر الانسان نفسَه . انه لامتياز ان يحيا كل انسان بحيث يرضى الله عنه ويباركه . فالآب السماوي لا يريد أن نقع تحت الدينونة والظلمة. وليس من دلائل الوداعة الحقة أنْ يسير الانسان مطأطئ الرأسِ وقلبه ممتلئ بافكار ذاتية . يمكننا أن نذهب الى يسوع ونتطهر ونقف أمام الشريعة بلا عار أو حزن . "اذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رومية ٨ : ١).

في المسيح يمكن لابناء آدم الساقطين أن يصيروا "أبناء الله". "لان المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم اخوة" (عبرانيين ٢ : ١١). ينبغي أن تكون حياة المسيحي حياة الايمان والنصرة والفرح في الرب. "كل من وُلد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: ايماننا (١ يوحنا ٥ : ٤). ونعمًّا تكلم خادم الرب نحميا حين قال: "فرح الرب هو قوتكم" (نحميا ٨ : ١٠). وبولس يقو ل: "افرحوا في الرب كل حين وأقول ايضا افرحوا"؛ "افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع . اشكروا في كل شيء لان هذه هي مشيئة الله [521] في المسيح يسوع من جهتكم" (فيلبي ٤ : ٤ ؛ ١ تسالونيكي ٥ : ١٦ — ١٨).

هذه هي ثمار التجديد والتقديس كما هي واردة في ا لكتاب، ولكن نادرا ما تُشاهَد ثمارها لان مبادئ البر العظيمة المقدمة في شريعة الله تقابل من العالم المسيحي بعدم اكتراث وباهمال معيب . وهذا هو السبب الذي لاجله لا يظهر الا القليل جدا من ذلك العمل العميق الباقي، عمل روح الله الذي كان طابع الانتعاشات التي حدثت في السنين السالفة.

اننا نتغير بالنظر والمشاهدة . وبما ان تلك الوصايا المقدسة التي فيها كشف الله للناس عن كمال صفاته وقداستها قد أهملت، بينما التعاليم والنظريات البشرية اجتذبت عقول الناس، فلا غرابة أن يتبع ذلك تدهور في التقوى الحيوية في الكنيسة . لقد قال الرب: "تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لانفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء" (إرميا ٢: ١٣).

"طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الاشرار ... لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا . فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح" (مزمور ١ : ١ — ٣). اننا عندما نعيد لشريعة الله كرامتها ونضعها في مركزها الشرعي اللائق بها ينتعش الايمان القديم والتقوى القديمة بين المعترفين بأنهم شعب الله. "هكذا قال الرب قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم" (إرميا ٦: ١٦). [522]

الفصل الثامن و العشرون ـــ الدينونة الاستقصائية (التحقيقية)

”كنت أرى انه وضعت عروش وجلس القديم الايام . لباسه ابيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة . نهر نار جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه . فجلس الدين وفتحت الاسفار“ (دانيال ٧: ٩ و ١٠).

لقد انكشفت لعيني النبي رؤيا اليوم العظيم المهيب عندما تُعرض أمام عيني ديان كل الارض اخلاق الناس وحياتهم لاجل فحصها فيُجازي كل واحد ”كما يكون عمله“. ان القديم الايام هو الله الآب . يقول المرنم: ”من قبل أن تولد الجبال أو أبدأتَ الارضَ والمسكونةَ منذ الازل الى الابد أنت الله“ (مزمور ٩٠ : ٢). انه هو، علة وجود كل الكائنات ونبع كل شريعة، الذي سيترأس في الدينونة . وسيكون حاضراً في تلك المحاكمة العظيمة ”ربوات ربوات وألوف ألوف“ من الملائكة كخدام وشهود.

”كنت أرى في رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لاينقرض“ (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤). ان مجيء المسيح الموصوف هنا ليس هو مجيئه الث اني الى الارض . فهو يأتي الى القديم الايام في السماء ليأخذ سلطانا [523] ومجدا وملكوتا يُعطاها في ختام عمله كوسيط . هذا المجيء، لا مجيئه الثاني الى الارض، هو الذي أنبئ عنه في النبوة ويحدث في نهاية ال ٢٣٠٠ يوم في عام ١٨٤٤ . ان رئيس كهنتنا العظيم يدخل الى قدس الاقداس تحف به ملائكة السماء،وهناك يظهر في حضرة الله ليقوم بآخر اعمال خدمته لاجل الانسان: انجاز عمل الدينونة الاستقصائية وصُنع كفارة عن كل من يتبرهن استحقاقهم فوائدها.

في الخدمة الرمزية لم يكن من نصيب في خدمة يوم الكفارة الا لمن أتى أمام الله معترفاً وتائباً وغُفرت خطاياه بواسطة دم ذبيحة الخطيئة ونقلت الى القدس. وكذلك في اليوم العظيم، يوم الكفارة النهائية والدينونة الاستقصائية، فالقضايا التي يُنظر فيها هي وحدها التي تخص المعتَبرين شعبَ الله . أما دينونة الاشرار فمنفصلة، وهي عمل منفرد بذاته وتحدث في وقت متأخر بعد هذ ا. ”لانه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله . فان كان أولا منا فما هي نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله“ (١ بطرس ٤ : ١٧).

ان الاسفار الموجودة في السماء المسجل فيها أسماء الناس واعمالهم هي التي ستقرر أحكام الدينونة . يقول دانيال النبي: ”فجلس الدين وفتح ت الاسفار“. والرائي اذ يصف المنظر نفسه يضيف هذا القول: ”وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الاموات مما هو مكتوب في الاسفار بحسب اعمالهم“ (رؤيا ٢٠ : ١٢).

يحتوي سفر الحياة على أسماء كل من دخلوا خدمة الله . وقد أمر يسوع تلاميذه قائلا: ”افرحوا ... ان اسماءكم كتبت في السموات“ (لوقا ١٠ : ٢٠). وبولس يتكلم عن زملائه الامناء ”الذين اسماؤهم في سفر الحياة“ (فيلبي ٤ : ٣). واذ نظر دانيال عبر السنين ورأى ”زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة“ أعلن أن

شعب الله سينجَّى، "كل من يوجد مكتوبا في السفر". والرائي يقول ان الذين سيدخلون مدينة الله سيكونون "المكتوبين في سفر حياة الخروف" (دانيال ١٢ : ١ ؛ رؤيا ٢١ : ٢٧) وحدهم من دون سواهم. [524]

وقد كُتب أمام الله "سفر تذكرة" وسُجلت فيه الاعمال الصالحة التي هي من عمل "الذين اتقوا الرب والمفكرين في اسمه" (ملاخي ٣ : ١٦). ان كلام الايمان الذي نطقوا به وأعمال المحبة التي قاموا بها مسجلة في أسفار السماء . ويشير نحميا الى ذلك عندما يقول: "اذكرني يا الهي ... ولا تمحُ حسناتي التي عملتها نحو بيت الهي" (نحميا ١٣ : ١٤). ففي سفر تذكرة الله يُخلَّد كل عمل من أعمل البر . وفيه يدوَّن بكل أمانة كل تجربة يقاومها المؤمن وكل شر ينتصر عليه وكل كلمة تعبِّر عن الرأفة والرحمة . كما يسجل فيه أيضا كل أعمال التضحية وكل ألم وحزن احتمله عبيد الرب لاجل المسيح . وصاحب المزامير يقول: "تَيَهَاني راقبت اجعل أنت دموعي في زقك . أما هي في سفرك" (مزمور ٥٦ : ٨).

وكذلك يوجد سجل بخطايا الناس . "لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة على كل خفي ان كان خيرا أو شرا". "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا في يوم الدين". والمخلص يقول "بكلامك تتبرر وبكلامك تدان" (جامعة ١٢ : ١٤ ؛ متى ١٢ : ٣٦ و ٣٧). وتظهر نوايا الانسان الخفية وبواعثه في السجل الذي لا يخطئ لان الله "سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب" (١ كورنثوس ٤ : ٥): "ها قد كتب أمامي ... آثامكم وآثام آبائكم معا قال الرب" (إشعياء ٦٥ : ٦ و ٧).

لا بد أن يمر عمل كل انسان أمام عين الله الفاحصة ويسجل اما في خانة الامانة واما في خانة الخيانة . وأمام كل اسم يكتب في أسفار السماء كل كلمة بطالة وكل عمل أناني وكل واجب لم يتم وكل خطيئة سرية وكل تصنع ماكر بدقة عظيمة ومخيفة . والانذارات المرسلة من السماء والتي أهملت واللحظات التي ضاعت والفرص التي لم يحسن الناس استخدامها والتأثيرات التي حدثت ان للخير أو للشر بنتائجها البعيدة المدى، كل ذلك يدونه الملاك المسجِّل. [525]

مقياس الدينونة

ان شريعة الله هي المقياس الذي بموجبه تقاس وتمتحن اخلاق الناس وحياتهم في يوم الدين . يقول الحكيم: "اتق الله واحفظ وصاياه لان هذا هو [واجب] الانسان كله . لان الله يحضر كل عمل الى الدينونة" (جامعة ١٢ : ١٣ و ١٤). ويعقوب الرسول يوصي اخوته قائلا: "هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين ان تحاكموا بناموس الحرية" (يعقوب ٢ : ١٢).

سيكون للذين، في يوم الدينونة، "حُسبوا اهلا" نصيب في قيامة الابرار. فلقد قال يسوع: "الذين حسبوا اهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات ... لانهم مثل الملائكة وهم ابناء الله اذ هم ابناء القيامة" (لوقا ٢٠ : ٣٥ و ٣٦). ثم هو يعلن ايضا قائلا: "يخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة" (يوحنا ٥ : ٢٩). ولن يقوم الاموات الابرار الا بعدما تتم الدينونة التي فيها يحسبون اهلا "لقيامة الحياة". ولهذا فهم لن يكونوا حاضرين بأشخاصهم في المحكمة عندما تفحص اسفارهم ويحكم في قضاياهم.

وسيظهر يسوع كشفيع لهم ليترافع لاجلهم أمام الله. "ان اخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار" (١ يوحنا ٢ : ١). "لان المسيح لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لاجلنا"، "فمن ثم يقدر أن يخلص ايضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عبرانيين ٩: ٢٤ ؛ ٧ : ٢٥).

فتح الاسفار

وعندما تفتح الاسفار في الدينونة تستعرض أمام الله حياة كل من قد آمنوا بيسوع . فاذ يبدأ شفيعنا بحياة من قد عاشوا اولا على الارض فهو [526] يستعرض قضايا كل جيل بالتتابع ويختتم ذلك بالاحياء . كل اسم يذكر وكل قضية تفحص بتدقيق . فتقبل بعض الاسماء وترفض اسماء أخرى . ومتى وجد في الاسفار خطايا البعض باقية اذ لم يتوبوا عنها ولم تغفر فاسماؤهم تمحى من سفر الحياة . وكل ما كتب لهم من أعمال صالحة في سفر تذكرة الله يمحى. لقد أعلن الله قائلا لموسى: "من أخطأ اليَّ امحوه من كتابي" (خروج ٣٢ : ٣٣). والنبي حزقيال يقول: "واذا رجع البار عن بره وعمل اثما ... كل بره الذي عمله لا يذكر" (حزقيال ١٨ : ٢٤).

فكل من قد تابوا عن الخطيئة توبة صادقة وبالايمان صار لهم الحق في دم المسيح كذبيحتهم الكفارية كُتب أمام أسمائهم في أسفار السماء الغفران اذ قد صاروا شركاء في بر المسيح ووُجد ان صفاتهم على وفاق مع شريعة الله . هؤلاء تُمحى خطاياهم ويُحسبون اهلا للحياة الابدية . والرب يعلن على لسان اشعياء النبي قائلا: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لاجل نفسي وخطاياك لا أذكرها" (اشعياء ٤٣ : ٢٥). ولقد قال يسوع: "من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا ولن أمحو اسمه من سفر ا لحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته"، "فكل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السموات . ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السموات" (رؤيا ٣ : ٥ ؛ متى ١٠ : ٣٢ و ٣٣).

ان اعظم اهتمام يبديه الناس باحك ام المحاكم الارضية انما يمثل على نحو باهت الاهتمام الذي يبدو في محاكم السماء عندما تستعرض الاسماء المكتوبة في سفر الحياة أمام ديان كل الارض . وسيقدم الوسيط الالهي التماسا بأن كل من قد انتصروا بالايمان بدمه تغفر لهم معاصيهم ليعودوا الى وطنهم في جنة عدن، ويكللون كمن هم وارثون معه "الحكم الاول" (ميخا ٤ : ٨). ان الشيطان اذ بذل جهوده ليخدع جنسنا ويجربنا كان يفكر في احباط الخطة الالهية في خلق الانسان ولكن ها المسيح الآن يسأل ان تنفذ هذه الخطة كما لو لم يكن الانسان قط أخطأ قط أو سقط. انه لا يسأل الغفران والتبرير [527] [528] التام الشامل لشعبه فحسب، بل ايضا ان يشاركوه في مجده ويجلسوا معه في عرشه.

يتوسل لاجل رعايا نعمته

وفيما يسوع يتوسل لاجل رعايا نعمته يشكوهم الشيطان أمام الله كعصاة ومتعدين. لقد حاول المخادع الاعظم أن يسوقهم الى الشكوك ويجعلهم يخسرون ثقتهم في الله ويحيدون عن محبته وينقضون شريعته . والآن ها هو يشير الى سجل حياتهم والنقائص البادية في اخلاقهم وعدم مشابهتهم للمسيح، مما جلب العار على فاديهم، والى كل الخطايا التي قد جربهم ليرتكبوها، وبسبب هذا كله فهو يدَّعي انهم رعاياه.

لا ينت حل يسوع عذرا لخطاياهم لكنه يظهر توبتهم وايمانهم، واذ يطالب بحقهم في الغفران يرفع يديه المثقوبتين أمام الآب والملائكة القديسين قائلا: "اني أعرفهم باسمائهم . لقد نقشتهم على كفَّي. "ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره""" (مزمور ٥١ : ١٧). ثم يعلن قائلا للمشتكي على شعبه. "لينتهرك الرب يا شيطان . لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم أفليس هذا شعلة منتشلة من النار" (زكريا ٣ : ٢). ان المسيح سيُلبس عبيده الامناء ثوب بره ليحضرهم أمام أبيه" كنيسة

مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك" (أفسس ٥ : ٢٧). وستظل أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة، وقد قيل عنهم: "سيمشون معي في ثياب بيض لانهم مستحقون" (رؤيا ٣ : ٤). [529] للناجين من اسرائيل . ويكون ان الذي يبقى في صهيون والذي يُترك في اورشليم يسمى قدوسا. كل من كتب للحياة في اورشليم" (اشعياء ٤ : ٢ و ٣).

محو الخطايا

لا بد أن يتم عمل الدينونة الاستقصائية ومحو الخطايا قبل مجيء الرب ثانية . وبما أن الاموات سيدانون مما هو مكتوب في الاسفار فانه من المستحيل ان تمحى خطايا الناس الا بعد الدينونة التي فيها تفحص قضاياهم. لكنّ بطرس الرسول يعلن بكل وضوح ان خطايا المؤمنين ستمحى "عندما تأتي اوقات الفرج من وجه الرب ويرسل يسوع المسيح" (أعمال ٣ : ١٩ و ٢٠). وفي نهاية الدينونة الاستقصائية سيأتي المسيح واجرته معه ليجازي كل واحد كما يكون عمله.

في الخدمة الرمزية كان رئيس الكهنة بعدما يكفر عن اسرائيل يخرج ويبارك الجماعة . فكذلك المسيح في نهاية عمله كوسيط سيظهر "بلا خطيئة للخلاص" (عبرانيين ٩ : ٢٨) ليبارك شعبه المنتظر بالحياة الابدية. وكما ان الكاهن وهو يزيل الخطايا ويطهر منها القدس كان يعترف بها على رأس تيس عزازيل كذلك المسيح سيضع كل هذه الخطايا على الشيطان الذي هو أصل الخطيئة والمحرض عليه ا. ثم ان تيس عزازيل وهو حامل خطايا اسرائيل كان يرسل بعيدا الى ارض مقفرة (لاويين ٦ : ٢٢). فكذلك الشيطان اذ يحمل كل الخطايا التي جعل شعب الله يرتكبونها سيظل محبوساً في الأرض ألف سنة والتي تكون آنذاك مقفرة وخربة بلا ساكن، واخيرا سيقع عليه قصاص الخطيئة الكامل في النار التي ستلاشي الاشرار . وهكذا سيصل تد بير الفداء العظيم الى إتمامه الكامل في استئصال الخطيئة النهائي وخلاص كل من يرغبون في الابتعاد عن الشر. [530]

في الزمن المحدد

وفي الزمن المحدد للدينونة ـــ اي نهاية ال ٢٣٠٠ يوم في عام ١٨٤٤ ـــ بدأت عملية الفحص والتحقيق والاستقصاء ومحو الخطايا . وكل م ن قد اتخذوا لانفسهم اسم المسيح لا بد أن يمروا في امتحانها الفاحص . وسيُدان الاحياء والأموات "مما هو مكتوب في الاسفار حسب اعمالهم".

والخطايا التي لم يتب عنها مرتكبوها ولا تركوها لن تغفر او تمحى من الاسفار بل ستقف شاهدة ضد الخاطئ في يوم الله. ربما يكون هذا قد ارتكب اعماله الشريرة في نور النهار أو في دجى الليل ولكنها ظاهرة ومكشوفة أمام عيني ذاك الذي معه أمرُنا . فملائكة الله رأوا كل خطيئة وسجلوها في الاسفار التي لا تخطئ . قد تُخفى الخطيئة أو ينكرها مرتكبها وتُستر عن عيني الاب أو الام أو ال زوجة أو الاولاد أو الرفاق، وربما لا يشتبه أحد أقل اشتباه في مرتكب الشر ولا يعرفه أحد سواه ولكنه مكشوف لدى أجناد السماء . ان أشد الليالي حلوكة والتكتم الشديد والحيل الخادعة، كل ذلك لا يكفي ليخفي فكرا واحدا شريرا عن علم الاله السرمدي . فعند الله سجل دقيق لكل بيان غير عادل ولكل معاملة ظالمة . لا يخدعه التظاهر بالتقوى ولا يخطئ في تقدير الخُلُق . قد ينخدع الناس بالنسبة الى الفاسدي القلوب لكنّ عيني الله تخترقان

كل الحجب والاقنعة وتكتشفان أعماق الحياة.

يا له من فكر مهيب ! فاذ تمر الا يام أحدها في أثر الآخر عابرة الى الابدية فهي تحمل اثقال سجلاتها لتدون في أسفار السماء . فالكلام الذي قيل والاعمال التي أُنجزت لا يمكن استردادها . لقد سجل الملائكة الخير والشر كليهما . ان أقوى الغزاة الفاتحين الذين عاشوا على الارض لا يمكنه استرجاع ما سُجل عليه حتى في يوم واحد . فأعمالنا وأقوالنا وحتى بواعثنا الخفية لها وزنها في تقرير مصيرنا الذي فيه سعادتنا أو شقاؤنا. ومع أننا قد ننساها فانها تحمل شهادتها إما لتبريرنا واما لإدانتنا. [531]

ومثلما تنطبع تقاطيع الوجه بدقة لا تخطئ على لوحة الفنان المصقولة كذلك يُرسم الخُلُق بكل أمانة في أسفار السماء . ومع ذلك فما أقل ما يحس الانسان بالجزع من ذلك السجل الذي ستطّلع عليه الخلائق السماوية ! ولو أمكن أن يزاح الستار الذي يفصل بين الع الم المنظور والعالم غير المنظور ويرى بنو الانسان ملاكا يسجل عليهم كل كلمة وكل عمل، وانهم لا بد سيواجهون بما قد سجل عليهم مرة اخرى في يوم الدين، فما أكثر الكلام الذي يمتنع الناس عن النطق به مثلما يفعلون يوميا، وما أكثر الاعمال التي كان اصحابها يكفون عن عملها.

وفي الدينونة سيُفحص استخدام كل وزنة . كيف استخدمنا وشغلنا رأس المال الذي أقرضتنا اياه السماء . وهل الرب في مجيئه سيأخذ ما له مع رباً ؟ هل احسنا استخدام القوى المودعة بين أيدينا وقلوبنا وعقولنا لمجد الله وخير العالم ؟ وكيف استخدمنا اوقاتنا واقلامنا واصواتنا واموالنا وتأثيرنا ؟ وماذا فعلنا لاجل المسيح في اشخاص الفقراء والمجربين واليتيم والارملة ؟ لقد ائتمننا الله على كلمته المقدسة فماذا فعلنا بالنور والحق اللذ ين اعطيا لن ا لجعل الناس يطّلعون على الخلاص ؟ لا قيمة لمجرد الاعتراف بالايمان بالمسيح، انما المحبة التي تبرهن عليها الاعمال هي وحدها الاصيلة . فالمحبة وحدها هي في نظر السماء ذات قيمة، وكل ما نفعله مدفوعين بها، مهما بدا صغيرا في تقدير الناس ،يقبله الله ويكافئ عليه.

تبدو انانية الناس الخفية ظاهرة في اسفار السماء . ففيها سجل الواجبات التي لم يتمموها تجاه بني جنسهم، وكذلك نسيان مطالب المخلص . وفيها ايضا سيرون كم مرة أعطي للشيطان الوقت والفكر والقوة التي هي من حق المسيح. انه سجل م بكٍ ومحزن ذاك الذي يحمله الملائكة الى السماء . فالخلائق العاقلة والمعترفون بانهم أتباع المسيح ينشغلون باحراز ممتلكات العالم أو بالتمتع بالمسرات الارضية . والمال والوقت والقوة تقدم على مذبح التباهي [532] واطلاق العنان للاهواء . ولكن ما أقل الدقائق التي تكرس للصلاة و تفتيش الكتب وتذلل النفس والاعتراف بالخطيئة.

يخترع الشيطان مكايد لا حصر لها ليشغل عقولنا ويصرفها عن التأمل في العمل نفسه الذي ينبغي أن نعرفه معرفة جيدة . فالمخادع الاعظم يبغض الحقائق العظيمة التي تكشف لنا عن الذبيحة الكفارية والوسيط القدير . وهو يعلم انه بالنسبة اليه كل شيء يتوقف على صرف عقول الناس عن يسوع وحقه

طريق القداسة

ينبغي للذين يريدون ان يشتركوا في بركات وساطة المخلص الا يسمحوا لاي شيء بأن يتدخل في قيامهم بالواجب في تكميل القداسة بخوف الله . فالساعات الثمينة بدلا من صرفها في الملذات أو العناية بالمظاهر أو جمع المال ينبغي أن تقضي في درس كلمة الحق بروح الغيرة والصلاة . وينبغي لشعب الله ان يفهموا موضوع القدس والدينونة الاستقصائية فهما واضح ا. فالجميع يحتاجون الى أن يعرفوا لانفسهم مركز رئيس كهنتهم العظيم وعمله، وإلا فسوف يستحيل عليهم ان يدربوا ايمانهم، الذي ه و جوهري في

هذا الوقت، او ان يملأوا المركز الذي يقصد الله ان يملأوه . فلكل فرد نفس وله أن يخلصها أو يخسره ا. ولكل واحد قضية معلقة في محكمة الله، وعلى كل واحد أن يقف أمام الديان العظيم وجها لوجه. اذاً فكم هو مهم جدا ان يتأمل كل واحد ويفكر كثيرا في ذلك المنظر الخطير عندما تبدأ الدينونة وتفتح الاسفار وعندما يقوم كل انسان مع دانيال لقرعته في نهاية الايام.

وعلى كل من قد حصلوا على النور في هذه المواضيع أن يشهدوا بالحقائق العظيمة التي سلمهم الله اياه ا. ان القدس في السماء هو المركز الفعلي لعمل ا لمسيح من اجل الناس . وهو يهم كل نفس حية على الارض ويكشف لانظار الناس عن تدبير الفداء ويأتي بنا الى نهاية الزمن نفسها [533] ويعلن لنا النتيجة الظافرة للصراع بين البر والخطيئة . انه لامر في غاية الاهمية ان يفحص الجميع هذه المواضيع فحصا جيدا كاملاً حتى يكونوا قادرين ع لى أن يجاوبوا فرديًّا عن سبب الرجاء الذي فيهم.

شفاعة المسيح

ان شفاعة المسيح في القدس الأعلى لاجل الانسان امر جوهري جدا لتدبير الخلاص كما كان موته على الصليب . فبموته بدأ ذلك العمل الذي بعد قيامته صعد ليكمله في السماء . وينبغي لنا أن ندخل بالايمان الى ما داخل الحجاب: ”حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا“ (عبرانيين ٦ : ٢٠). فنور صليب جلجثة ينعكس على ذلك المكان، وفيه نحصل على ادراك اوضح لاسرار الفداء . وخلاص الانسان قد اكمل بعدما دفعت السماء كلفة باهظة غير محدودة. والذبيحة التي قُدمت كافية لسد كل مطالب الشريعة التي انتهكت على اوسع مدى . لقد فتح يسوع الطريق الى عرش أبيه، وبواسطته تُقدَّم امام الله كل الرغبات المخلصة التي تجيش في قلب كل من يأتون اليه بايمان.

”من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم“ (امثال ٢٨ : ١٣). لو عرف الذين يكتمون اخطاءهم وينتحلون لها الاعذار ورأوا كم يفرح الشيطان بهم وكيف يعيِّر المسيحَ والملائكةَ القديسين بمسلك هؤلاء الناس لكانوا اسرعوا في الاعتراف بخطاياهم وطرحها بعيدا عنهم . فعن طريق النقائص الاخلاقية يحاول الشيطان ان يسيطر على كل ا لعقل، وهو يعلم انه سينجح لو تعلق المرء به ا. لذلك يعمل الشيطان دائما على تضليل تابعي المسيح بمغالطته المميتة القائلة انه يستحيل عليهم ان ينتصروا. لكنّ يسوع يتوسل لاجلهم بحق يديه المثقوبتين وجسده المسحوق، ويعلن لكل من يرغب في اتِّباعه قائلا: ”تكفيك نعمتي“ (٢كورنثوس ١٢ : ٩). ”احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لان نيري هين وحملي خفيف“ [534]

(متى ١١ : ٢٩ و ٣٠). فلا يعتبرنَّ احدنا أن نقائصه تس تعصى على العلاج، فالله سيعطي ايمانا ونعمة للانتصار عليها.

اننا الآن عائشون في يوم الكفارة العظيم . في أثناء الخدمة الرمزية لما كان رئيس الكهنة يقوم بعملية التكفير عن اسرائيل كان يُطلب من الجميع ان يذللوا أنفسهم بالتوبة عن الخطيئة والاتضاع أمام ا لرب لئلا يُقطعوا من بين الشعب . وكذلك كل من يرغبون في أن تبقى اسماؤهم في سفر الحياة، عليهم الآن في الايام القليلة الباقية من أيام الامتحان ان يذللوا أنفسهم أمام الله بالحزن على الخطيئة والتوبة الصادقة . ينبغي لهم أن يفحصوا قلوبهم فحصا عميقا بكل امانة . ان تلك الروح المستخفة المستهترة التي انغمس فيها كثيرون من المعترفين بالمسيح ينبغي طرحها بعيد ا. فثمة حرب جادة صارمة أمام كل من يرغبون في قهر ميولهم الشريرة التي تحاول السيطرة عليهم . وعملية الاستعداد هي عمل فردي، فلسنا نخلص كجماعات .

وطهارة انسان لا تعوِّض عن نقص آخر . فمع ان كل الامم ستقف أمام الله للدينونة فهو سيمتحن قضية كل فرد بكل دقة واختبار فاحص كما لو لم يكن انسان آخر عائشا على الارض . ينبغي ان يمتحن كل انسان ويوجد بلا دنس أو غضن أو شيء من مثل ذلك.

ان المشاهد المتصلة بعمل الكفارة الختامي خطيرة ومقدسة . والمصالح المشتملة عليه مهمة جد ا. والدينونة جارية الآن في المقدس السماوي . وقد ظل هذا العمل متقدما سنين طويلة . وستمر تلك الدينونة سريعا الى قضايا الاحياء، وليس من يعرف مقدار تلك السرعة . وفي محضر الله الر هيب ستراجع حياتنا. وفي هذا الوقت أكثر من كل وقت آخر يليق بكل نفس ان تلتفت الى انذار المخلص القائل: ”اسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الوقت“ (مرقس ١٣ : ٣٣). ”فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك“ (رؤيا ٣ : ٣). [535]

تقرير مصير الجميع

وعندما ينتهي عمل دينونة الفحص سيكون قد تقرر مصير الجميع للحياة أو للموت. وتنتهي فرصة الاختبار قبل ظهور الرب في سحب السماء بوقت قصير. والمسيح اذ سبق ونظر الى ذلك الوقت في الرؤيا أعلن قائلا: ”من يظلم فليظلم بعد ومن هو نجس فليتنجس بعد ومن هو بار فليتبرر بعد ومن هو مقدس فليتقدس بعد . وها أنا آتي سريعا واجرتي معي لاجازي كل واحد كما يكون عمله“ (رؤيا ٢٢ : ١١ و ١٢).

سيظل الابرار والاشرار عائشين على الارض في حالة الجسد الفاني، والناس سيغرسون ويبنون ويأكلون ويشربون . غير شاعرين كلهم ان الحك م الذي لا يُرد قد نُطق به في المقدس السماوي . قبل الطوفان وبعدما دخل نوح الفلك أغلقه الرب عليه وأبقى الفجار خارجا، ولكن لمدى سبعة أيام اذ لم يكن الناس يعلمون انه قد قضي عليهم بالهلاك ظلوا سادرين في عدم الاكتراث وحياة حب الملذات وكانوا يسخرون بنذر الدينونة الوشيكة الوقوع . وقد قال المخلص: ”كذلك يكون ايضا مجيء ابن الانسان“ (متى ٢٤ : ٣٩). فتلك الساعة الحاسمة التي فيها سيتقرر مصير كل انسان وسحب عرض الرحمة المقدمة للأثمة تلك الساعة ستأتي بسكون كلص في منتصف الليل لا يلحظها أحد.

”اسهروا اذاً ... لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياما“ (مرقس ١٣ : ٣٥ و ٣٦). ان الذين يملون من السهر فيرتدون الى جواذب العالم ستكون حالتهم خطرة جد ا. فعندما يكون رجل الاعمال مشغولا وهو يركض في طلب الربح، ومحب السرور واللذة يسعى في طلب ملذاته لينغمس فيها، والفتاة المتأنقة ترتب زينتها ق د يحدث انه في تلك الساعة ينطق ديان كل الارض بحكمه: ”وزنت بالموازين فوجدت ناقصا“ (دانيال ٥ : ٢٧). [536]

الفصل التاسع و العشرون — اصل الشر

ان أصل الخطيئة وسبب وجودها هما مصدر ارتباك لعقول الكثيرين . انهم يرون عمل الشر بعواقبه المرعبة، وهي الشقاء والخراب، فيتساءلون كيف يمكن أن يوجد كل هذا تحت سيادة ذاك الذي هو كلي الحكمة والقدرة والمحبة . هنا سر لا يجدون له ا يضاحا. وفي حال عدم التثبت والشك هذين يعمون عن الحقائق المعلنة بوضوح في كلمة الله التي هي جوهرية للخلاص . ثمة أولئك الذين في تساؤلهم عن وجود الخطيئة يريدون ويحاولون التغلغل في اعماق ما لم يعلنه الله قط، ولذلك لا يجدون حلا لمشاكلهم، وعلى غرار المدفوعين بدافع الميل الى الشك والمماحكة يتمسكون بهذا كعذر لرفض الكلمة المقدسة؛ ولكن ثمة آخرون ممن يخفقون في فهم مشكلة الشر العظيمة فهما مرضيا من حقيقة كون التقليد والتحريف قد لفّا بالغموض تعليم الكتاب المقدس عن صفات الله وطبيعة حكمه ومبادئ معاملته للخطيئة.

من المستحيل عل ينا أن نوضح أصل الخطيئة بحيث نقدم سببا لوجوده ا. ومع ذلك يمكن فهم أصل الخطيئة واتجاهها النهائي فهما كافيا لاعلان عدالة الله واحسانه في تعامله مع الشر . لا يوجد في الكتاب تعليم اوضح من ان الله لم يكن مسؤولا على الاطلاق عن دخول الخطيئة، وان النعمة الالهية [537] لم تسحب اعتباطيا، وانه لم يُسجَّل نقص في حكم الله افسح في المجال لظهور العصيان. الخطيئة دخيلة ولا يمكن تعليل وجودها، وهي سر لا مبرر له . فتبريرها هو دفاع عنه ا. ولو وجد عذر لها او سبب لوجودها لما اعتُبرت خطيئة . ان تعريفنا الوحيد للخطيئة هو ذ اك المقدم في شريعة الله وهو انها "التعدي" على الشريعة. انها نتيجة مبدإ يحارب شريعة المحبة العظيمة التي هي أساس حكم الله.

قبل دخول الشر كان يسود السلام والفرح ارجاء المسكونة . كان الجميع في حالة توافق تام مع ارادة الخالق . كانت المحبة لله سائدة، ومحبة كل واحد للآخر كانت غير مغرضة، فالمسيح الكلمة ابن الله الوحيد كان واحدا مع الآب السرمدي — واحدا في الطبيعة والصفات والقصد وكان هو الكائن الوحيد في الكون الذي استطاع ان يطلع على كل مشورات الله ومقاصده . وبالمسيح عمل الآب في خلق الكائنات السماوية. "فيه خلق الكل ما في السموات ... سواء كان عروشا ام سيادات أم رياسات أم سلاطين" (كولوسي ١ : ١٦) وللمسيح المعادل للآب قدم كل سكان السماء ولاءهم.

ولان ناموس المحبة هو أساس حكم الله فقد كانت سعادة كل الخلائق متوقفة على وفاقهم التام مع مبادئ البر العظيمة . فالله يرغب ان كل خ لائقه يقدمون اليه خدمة المحبة والولاء الذي ينبع من التقدير الواعي لصفاته . هو لا يسر باغتصاب الولاء، وهو يوفر للجميع حرية الارادة لكي يؤدّوا له الخدمة الطوعية.

لوسيفر، الكروب الاول

ولكن وجد كائن اختار ان يفسد هذه الحرية . وقد بدأت الخطيئة بالذي اذ لم يَفَقْهُ الا المسيحُ خالقَه حصل على كرامة عظيمة من الله، وكان في أسمى مراكز السلطان والمجد بين ساكني السماء . ان لوسيفر قبل [538] سقوطه كان هو أول كروب مظلل وكان مقدسا بلا عيب: "هكذا قال السيد الرب انت خاتم الكمال ملآن حكمة و كامل الجمال. كنت في عدن جنة الله. كل حجر كريم ستارتك"، "انت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك . على جبل الله المقدس كنت . بين حجارة النار تمشيت . انت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك اثم" (حزقيال ٢٨ : ١٢ — ١٥).

كان يمكن للوسيفر ان يظل متمتعا برضى الله و محبوبا ومكرما من كل اجناد الملائكة، ممارسا سلطاته النبيلة ليبارك بها الآخرين ويمجد صانعه . لكنّ النبي يقول: "قد ارتفع قلبك لبهجتك . أفسدت حكمتك لاجل بهائك" (حزقيال ٢٨ : ١٧). وشيئا فشيئا صار لوسيفر يحتضن رغبة لتمجيد نفسه: "جعلت قلبك كقلب الآلهة" "وأنت قلت ... ارفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع ... اصعد فوق مرتفعات السحاب . اصير مثل العلي" (حزقيال ٢٨ : ٦ ؛ اشعياء ١٤ : ١٣ و ١٤). فبدلا من أن يجعل الله هو الاعظم والاسمى في عواطف خلائقه وولائهم حاول لوسيفر أن يظفر بخدمتهم وولائهم لنفس ه. واذ كان يصبو الى الكرامة التي قد منحها الآب السرمدي لابنه طلب رئيس الملائكة هذا أن يحصل على السلطان الذي كان من حق المسيح وحده أن يستخدمه.

لقد ابتهج كل سكان السماء وتهللوا بأن يعكسوا مجد الخالق ويذيعوا تسابيحه. واذ كان الله يتمجد هكذا كان الجميع ينعمون بالسلام والفرح . لكنّ نغمة ناشزة أفسدت التناسق والانسجام بين السماويين . فخدمة الذات وتعظيمها، التي تناقض تدبير الخالق، أيقظت التشاؤم بالشر في العقول التي كان مجد الله هو أسمى مطلب له ا. لقد توسلت مجالس السماويين الى لوسيفر. واستعرض ابن الله أمامه ع ظمة الخالق وصلاحه وعدله، وطبيعة شريعته المقدسة غير المتغيرة .ان الله نفسه هو الذي أقر نظام السماء، فاذا خرج لوسيفر على ذلك النظام فسيهين صانعه ويجلب على نفسه الدمار . لكن الانذار المقدم بمحبة ورحمة لا متناهيتين لم يثر في نفسه سوى روح المقاومة . وقد سمح لوسيفر بأن تتفشى روح الحسد للمسيح، وبذلك صار أشد اصرارا. [539]

هذا وان افتخاره بمجده غذى شوقه الى السيادة . فالكرامات السامية التي أوتيها لوسيفر لم تقدر كهبة من الله ولم يُقدَّم لاجلها شكر الى الخالق .لقد افتخر ببهائه ورفعته وتاق الى أن يكون مساويا لله . كان جند السماء يحبونه ويوقرونه وكان الملائكة يسرون بتنفيذ اوامره وكان هو متسربلا بالحكمة والمجد أكثرر من جميعهم. ومع هذا فان ابن الله كان هو الملك المعترف به في السماء وواحدا في القدرة والسلطان مع الآب . وفي كل مشورات الله كان المسيح شريكا، في حين لم يُسمح للوسيفر بأن يطلع على مقاصد الله . وقد تساءل هذا الملاك العظيم قائلا: "لماذا تكون السيادة للمسيح؟ ولماذا يكرم هكذا ويتفوق على لوسيفر ؟"

تذمر بين الملائكة

فاذ ترك مكانه في محضر الله المباشر خرج لينشر روح التذمر بين الملائكة. كان يعمل بسرية عجيبة، وقد أخفى الى حين غرضه الحقيقي تحت مظهر التوقير لله محاولا ان يثير عدم الرضى عن الشرائع التي تحكم الخلائق السماوية، موعزا اليهم أنها تفرض عليهم روادع لا ضرورة له ا. ولما كانت طبائع الملائكة مقدسة أصرَّ هو على وجوب أن يطيعوا ما تمليه عليهم ارادتهم. وقد حاول أن يخلق فيهم عطفا على نفسه اذ صور لهم أن الله قد عامله بالظلم حين منح المسيح كرامة سامية . وادعى أنه اذ يصبو

الى سلطان اعظم فهو لا يستهدف تعظيم نفسه انما هو يريد أن يضمن الحرية لكل ساكني السماء حتى بهذه الوسيلة يبلغوا حالة وجود أسمى.

رحمة الله العظيمة

لكنّ الله في رحمته العظيمة احتمل لوسيفر وصبر عليه طويلا . فلم يحطَّه عن مركزه السامي حالما داخله روح التذمر ولا حتى عندما بدأ يتشدق بادعاءاته الكاذبة أمام الملائكة المخلصين . فلقد أبقي في السماء طويلا . وقُدِّم له [540] الغفران مرة بعد الاخرى على شرط التوبة والخضوع . ومثل هذه المساعي التي لا يمكن أن تبتكرها غير المحبة المحدودة والحكمة الالهية كان القصد منها اقناعه بخطئه . ان روح التذمر لم يسبق ان عرفتها السماء . ولم يكن لوسيفر نفسه يعرف في البدء الى أين كان منساقا كما لم يدرك طبيعة مشاعر ه على حقيقتها. ولكن بعد أن تبرهن انه لا يوجد مبرر لتبرمه اقتنع لوسيفر بخطئه، وان مطالب الله عادلة، وان عليه أن يعترف أمام كل سكان السماء بعدالتها، فلو فعل هذا لأنقذ نفسه وأنقذ كثيرين من الملائكة . لم يكن الى ذلك الحين قد طرح عنه الولاء لله كلية، ومع أنه قد ترك مركزه كالكروب المظلل فلو أنه كان راغبا في الرجوع الى الله معترفا بحكمة الخالق وقانعا بأن يشغل المركز المعين له في تدبير الله العظيم لكان قد تثبت في وظيفته. لكنّ كبرياءه منعته من الخضوع . وبكل اصرار دافع عن مس لكه وقال انه في غير حاجة الى التوبة وسلم نفسه تمام ليخوض غمار الصراع العظيم ضد صانعه.

وقد اتجهت كل قوى عقله الجبار الآن الى علم الخداع ليظفر بعطف الملائكة الذين كانوا تحت امرته . وحتى حقيقة كون المسيح قد سبق فأنذره ونصحه أفسدت بحيث تخدم نواياه الخائنة . وقد صوَّر الشيطان للملائكة الذين كانوا يحبونه ويثقون به أكثر من غيرهم أنه قد حُكم عليه ظلما وأن مركزه لم يُحترم وأن حريته ستغفل ويُستغنى عنه ا. ثم انتقل من تحريف أقوال المسيح الى المراوغة والكذب الصريح المباشر اذ اتهم ابن الله بأنه يقصد اذلاله أمام ساكني السماء . وقد حاول أيضا أن يربك الملائكة الامناء بضربه على وتر كاذب فاتهم الذين لم ينجح في اغوائهم وجذبهم الى طرقه بعدم الاكتراث لمصالح الخلائق السماوية . والعمل نفسه الذي كان يقوم هو به ألقى تبعته على الذين ظلوا أمناء لله . ولكي يدعم اتهامه الله بأنه قد ظلمه لجأ الى تحريف أقوال الخالق وتشويه أعماله . لقد كانت سياسته أن يربك الملائكة بحجج ماكرة بخصوص مقاصد الله . وكل ما كان بسيطا لفَّه هو في ستار من الغموض، وبتحريفه الماكر ألقى ظلال الشك على أبسط أقوال الرب . وكان مركزه [541] السامي ذو الارتباط الوثيق بتدبيرات الله قد أضفى قوة أعظم على ما صوره فأغوي كثيرون على الانضمام اليه في التمرد على سلطان السماء .

أضاليل الشيطان

والله في حكمته سمح للشيطان بالتقدم في عمله، وقد نضج روح النفور فصار ثورة ناشطة . كان من الضروري ان يكتمل نمو خططه تماما حتى يرى الجميع حقيقة طبيعتها واتجاهه ا. فلوسيفر الكروب المنبسط كان قد ارتفع الى مركز سام وقد احبته الخلائق السماوية حبا عظيما وكان تأثيره عليهم عظيما وقوي ا. وحكم الله لم يشمل سكان السَّماء وحدهم بل كل العوالم التي قد خلقها، وقد ظن الشيطان أنه لو

استطاع أن يُشرك ملائكة السماء معه في العصيان فسيكون قادرا ان يُشرك معه في ذلك سكان العوالم الاخرى . انه بكل دهاء عرض نظرته الى المشكلة مستخدما المغالطة والاحتيال للوصول الى أهدافه . وكانت قوته عل ى الخداع عظيمة جدا، وامتاز بتنكره في رداء الكذب . وحتى الملائكة المخلصون لم يدركوا كنه خلقه على حقيقته ولا رأوا في أي اتجاه كان عمله سائرا.

كان الشيطان قد أُكرم اكراما عظيما وكان يتستر ويتخفَّى في كل أعماله حتى صار من الصعب عليه أن يكشف للملائكة طب يعة عمله على حقيقتها. ولم تكن الخطيئة تظهر كما هي شريرة إلى أن اكتمل نموه ا. لم يكن للخطيئة مكان قبل ذلك في مسكونة الله، ولم يكن للخلائق المقدسة إدراك لطبيعتها وخبثها، كما لم يمكنهم أن يدركوا العواقب المرعبة التي ستنجم عن طرح شريعة الله جانب ا. وقد أخفى الشيطان عمله في البداءة تحت اعتراف مموَّه بولائه لله . وادعى أنه انما يعمل على زيادة كرامة الله وتوطيد دعائم حكمه وضمان الخير لكل سكان السماء . واذ كان يرسِّخ روح التذمر في اذهان الملائكة الذين تحت امرته كان يحاول بكل دهاء ان يوهمهم بأنه يح اول [542] ازالة أسباب التبرم . وعندما أصر على وجوب اجراء تعديلات في نظام حكم الله وشرائعه كان ذلك بحجة كونها لازمة لحفظ التوافق والانسجام في السماء.

لم يلجأ الله في تعامله مع الخطيئة الا الى البر والحق . أما الشيطان فكان يمكنه استخدام ما لم يستطع الله أن يستخدمه، أي المداهنة والخداع . لقد حاول تزييف كلمة الله وشوَّه خطته في الحكم أمام الملائكة مدعيا أن الله لم يكن عادلا في فرض شرائع وقوانين على سكان السماء، وانه اذ كان يطلب من خلائقه الخضوع والطاعة انما كان يطلب تمجيد نفسه فحسب . ولذلك ينبغي أن يثبت بالدليل أمام كل س كان السماء وكذلك جميع سكان العوالم كلها أن حكم الله عادل وناموسه كامل . فالشيطان قد أوهم من حوله أنه هو نفسه كان يعمل ما فيه خير الكون وسعادته، والصفة الحقيقية للمغتصب وغرضه الحقيقي ينبغي أن يفهمه الجميع. وينبغي أن يعطى وقتا فيه يُظهر نفسه بأعماله الشريرة.

افتضاح أضاليل الشيطان

ألقى الشيطان تبعة النزاع الذي أحدثه في السماء على شريعة الله وحكمه. وأعلن أن كل الشر هو نتيجة سياسة الله وحكمه . وادعى أنه كان يهدف الى اجراء تعديلات على وصايا الرب . ولذلك غدا من اللازم أن يظهر طبيعة ادعاءاته ويُري نتائج ا لتعديلات المقترحة في شريعة الله . فلا بد أن يدينه عمله نفسه. وكان الشيطان قد ادعى من البدء انه ليس متمردا ولا عاصيا، فكان يجب أن ترى المسكونة كلها ذلك المخادع بعد اماطة اللثام عنه.

لم تُهلك حكمة الله اللامتناهية الشيطان حتى بعدما تقرر انه لا يستطيع أن يبقى في السماء . ذلك ان خدمة المحبة هي وحدها المقبولة لدى الله، وولاء خلائقه ينبغي أن يرتكز على الاقتناع بعدالته ورحمته واحسانه . ان سكان السماء والعوالم الاخرى اذ لم يكونوا مستعدين بعد لادراك طبيعة الخطيئة أو عواقبها لم يكونوا يستطيعو ن أن يفهموا [543] حينئذ عدالة الله ورحمته في اهلاك الشيطان . فلو كان قد مُحي من الوجود في الحال لكانوا هم يخدمون الله مدفوعين بدافع الخوف لا بدافع المحبة . ولما أمكن ملاشاة تأثير ذلك المخادع تماما واستئصال روح التمردكلية . وكان لا بد م ن أن يصل الشر الى حالة النضوج . فلأجل خير المسكونة كلها مدى اجيال التاريخ كان لا بد للشيطان من أن ينشر مبادئه حتى يمكن للخلائق أن ترى اتهاماته التي وجهها الى حكم الله على حقيقتها لكي تكون عدالة الله ورحمته وثبات شريعته فوق متن اول كل شك أو تساؤل.

كان لا بد أن يكون تمرد الشيطان درسا لكل المسكونة في الدهور التالية وشهادة دائمة على طبيعة الخطيئة ونتائجها المريعة . فنتيجة حكم الشيطان وتأثيره على الناس والملائكة ستُري النتائج المحتومة لطرح سلطان الله جانب ا. وهي ستشهد ان سعادة كل الخلائق التي قد صنعها مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود حكم الله وشريعته . وهكذا سيكون تاريخ اختبار هذا العصيان المرعب حارسا دائما للاجناد السماويين يحفظهم من أن ينخدعوا بالنسبة الى طبيعة العصيان ويجنبهم ارتكاب الخطيئة ويقيهم شر قصاصها.

يجاهر بازدرائه بالشريعة

وقد ظل ذلك المغتصب العظيم يبرر نفسه حتى نهاية ذلك الصراع الذي حدث في السماء . وعندما أُعلن أنه هو وكل مؤيديه لا بد أن يُطردوا من موطن السعادة جاهر حينئذ رئيس العصاة ذاك بازدرائه شريعة الخالق بكل جرأة. وقد ردد ادعاءاته بأن الملائكة في غير حاجة الى من يسيطر عليهم بل ينبغي تركهم ليفعلوا ما يريدون لانهم دائما يفعلون الصواب . وقد شهَّر بوصايا الله قائلا انها تحد من حريتهم وأعلن انه يقصد ان يلاشي الشريعة، فاذ [544] يتحرر اجناد السماء من هذا ا لرادع يمكنهم أن يدخلوا الى حالة وجود أسمى وأمجد.

وقد أجمع الشيطان وجنوده على أن يلقوا تبعة تمردهم كلها على المسيح، وأعلنوا أنهم ما كانوا ليتمردوا لولا التوبيخ الذي وُجه اليهم . وهكذا اذ ظل رئيس العصاة ومؤيدوه عنيدين ومُتحدِّين في خيانتهم، وهم يحاولون عبثا أن يهدموا حكم الله، وعلى رغم تجديفهم كانوا يدعون انهم ضحايا السلطة التعسفية، طردوا أخيرا من السماء.

هذه الروح نفسها التي أوعزت بالتمرد في السماء لا تزال توحي بالعصيان على الارض . لقد ظل الشيطان يعامل الناس وفق السياسة ذاتها التي اتبعها مع الملائكة . وروحه تملك الآن على أبناء المعصية . فهم مثله يحاولون أن يهدموا روادع شريعة الله ويعدون الناس بالحرية عن طريق التعدي على وصايا الرب . هذا، وان توبيخ الخطيئة ما زال يثير روح العداء والمقاومة . فعندما تمس رسائل الانذار التي يرسلها الله ضمائر الناس فالشيطان يجعلهم يبررون أنفسهم ويطلبون عطف الآخرين ورضاهم عن طريق الخطيئة الذي هم فيه سائرون . وبدلا من تقويم سلوكهم واصلاح اخطائهم يثيرون الغضب على من يوبخهم كما لو كان هو سبب المتاعب الوحيد . فمنذ أيام هابيل البار الى يومنا هذا نجد هذه الروح نفسها سائدة ضد من يجرؤون على إدانة الخطيئة.

ومثلما شوّه الشيطان صفات الله في السماء اذ جعله يبدو صارما ومستبدا أغوى الناس على ارتكاب الخطيئة . ولما بلغ هذا الحد من النجاح أعلن أن نواهي الله غير العادلة هي التي ادت الى سقوط الانسان مثلما ساق ته هو الى العصيان. [545]

لكنّ الاله السرمدي نفسه أعلن عن صفاته قائلا: ”الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء . حافظ الاحسان الى الوف غافر الاثم والمعصية والخطيئة ولكنه لن يبرئ ابراء“ (خروج ٣٤ : ٦ و ٧).

ان الله بطرده الشيط ان من السماء أعلن عدله وأبقى على كرامة عرشه . ولكن عندما اخطأ الانسان بانصياعه الى غوايات هذا الروح المرتد قدم الله البرهان على محبته اذ بذل ابنه الوحيد ليموت لاجل جنسنا الساقط . ففي الكفارة انكشفت صفات الله . ان حجة الصليب القوية تعلن لكل المسكونة ان طريق الخطيئة الذي قد اختاره لوسيفر لم تكن تبعته لتقع على حكم الله.

وفي النضال بين المسيح والشيطان في أثناء خدمة المخلص على الارض فضحت صفات المخادع العظيم . ولم يكن هنالك شيء أفعل في اقتلاع الشيطان من عواطف ملائكة السماء وكل المسكونة الا مينة من الحرب القاسية التي شنها على فادي العالم . ان تجديفه الجريء عندما طلب من المسيح ان يسجد له، وجرأته المتغطرسة اذ حمله الى الجبل العالي والى جناح الهيكل، ونيته الخبيثة التي فُضحت عندما ألح عليه أن يطرح نفسه الى أسفل من ذلك العلو الشاهق، وحقده الذي لا يهجع الذي جعله يتعقبه من مكان الى مكان، وايغاره صدور الكهنة والشعب ضده حتى رفضوا محبته وأخيراً صرخوا ضده قائلين: "اصلبه اصلبه"، كل هذا أثار دهشة المسكونة وحنقها.

ان الشيطان هو الذي أوعز الى العالم بأن يرفض المسيح . لقد بذل سلطان الشر قصارى جهده وق وته ودهائه لاهلاك يسوع، لانه رأى أن رحمة المخلص ومحبته وحنانه واحشاء رأفته كانت تصور للعالم صفات الله . وقد قاوم الشيطان كل مطلب قدمه ابن الله واستخدم الناس وسائل في يده ليملأ حياة المخلص بالآلام والاحزان . والمغالطات والاكاذيب التي حاول بواسطتها أن يعطل عم ل يسوع، والعداوة التي أظهرها عن طريق أبناء المعصية واتهاماته القاسية لذاك الذي كانت حياته حياة الصلاح الذي لا يُبارى، كل ذلك كان باعثه الانتقام المتأصل [546] في نفسه . فنيران الحسد والخبث المحتبسة والكراهية وحب الانتقام اندلعت ألسنتها عند صليب جلجثة ضد ابن الله بينما كان السماويون يشخصون الى هذا المنظر في رعب صامت .

وعندما أكملت الذبيحة العظيمة صعد المسيح الى الاعالي وقد رفض قبول تمجيد الملائكة حتى قدم هذا الطلب: "اريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا" (يوحنا ١٧ : ٢٤). فحينئذ بمحبة وسلطان لا يعبر عنهما خرج الجواب من عرش الآب يقول: "لتسجد له كل ملائكة الله" (عبرانيين ١ : ٦). لم تكن في حياة يسوع أي لطخة . لقد انتهى اتضاعه وكملت ذبيحته وأعطي له اسم فوق كل اسم.

أما الآن فها اثم الشيطان يبدو بلا عذر . لقد ظهر في صفته الحقيقية ككاذب وقاتل. وقد رؤ ي ان الروح نفسها التي بها تسلط على بني الانسان الذين كانوا تحت سيطرته كان يريد أن يظهرها لو سُمح له بالتسلط على سكان السماء . لقد ادعى أن التعدي على شريعة الله سيجيء بالحرية والرفعة ولكن وُجد أن من نتائجه العبودية والانحطاط.

وظهرت اتهامات الشيطان الكاذبة ض د صفات الله وحكمه على حقيقته ا. لقد اتهم الله بأنه انما يطلب مجد نفسه فقط حين يطلب من خلائقه أن يقدموا اليه الخضوع والطاعة، كما أعلن أنه في حين فرض الخالق على الجميع أن ينكروا ذواتهم فانه هو نفسه لم يمارس انكار الذات ولم يُقدم أي تضحية . وقد رؤي الآن أنه في سبيل خلاص الجنس الساقط الخاطئ أقدم حاكم الكون على أعظم تضحية يمكن للمحبة أن تقوم بها: "لان الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه" (٢ كورنثوس ٥ : ١٩). كما رؤي أيضا أنه في حين فتح لوسيفر الباب لدخول الخطيئة بتلهفه على الكرامة والسيادة فان المسيح لكي يبي د الخطيئة وضع نفسه وأطاع حتى الموت. [547]

لاجل الانسان

لقد اظهر الله مقته مبادئ العصيان ولقد رأت السماء كلها اعلان عدله في ادانة الشيطان وفي فداء الانسان . كان لوسيفر قد أعلن أنه اذا كانت شريعة الله لا تتغير وقصاص التعدي عليها لا يمكن ان يغتفر أو يبطل فلا بد للمتعدي أن يُحرم الى الابد من رضى الخالق . وقد ادعى أن الجنس الخاطئ هم بعيدون

عن متناول الفداء ولذلك فقد صاروا فرائسه شرع ا. لكنّ موت المسيح كان حجة لا تُدحض في صالح الانسان . لذا وقع قصاص الشريعة على ذلك الذي كان معادلا لله، وكان للانسان مطلق الحرية لقبول بر المسيح وبحياة التوبة والتذلل ينتصر كما قد انتصر ابن الله على قوة الشيطان . وهكذا نرى أن الله بار ويبرر كل من هو من الايمان بيسوع .

لكنّ مجيء المسيح الى العالم ليتألم ويموت لم يكن لمجرد اتمام الفداء . فلقد أتى "ليعظم الشريعة ويكرمه ا". ليس فقط لكي يعتبر سكان ه ذا العالم الشر كما يجب أن يعتبروه وانما ليعلن لسكان العوالم جميعا في كل المسكونة ان شريعة الله لا تتغير . فلو أمكن أن تغفل مطالبها لما مسَّتْ الحاجة الى أن يسلم ابن الله حياته للتكفير عن التعدي عليه ا. فموت المسيح برهان على ثباتها وعدم تغيره ا. وتلك الذبيحة التي قد أوجبتها المحبة غير المحدودة على الآب والابن لاجل فداء الخطأة تعلن لكل المسكونة ان العدل والرحمة هما أساس شريعة الله وحكمه، وهو ما لم يكن يكفي لتقريره شيء أقل من تدبير الكفارة هذا.

وعندما تنفذ الدينونة أخيراً سيُرى أنه لا يوجد سبب للخطيئة وعندما يقد م ديان كل الارض هذا السؤال الى الشيطان قائلا: "لماذا عصيت عليَّ وسلبتني رعايا ملكوتي ؟" فلن يكون هنالك عذر لمبتدع الشر . سيستد كل فم ولن يستطيع أجناد العصيان الكلام. [548]

ان صليب جلجثة، فضلا عن كونه يعلن عن ثبات الشريعة، يعلن أيضا أن أجرة الخطيئة موت . ففي صرخة المخلص وهو يسلم الروح "قد أكمل" دق جرس موت الشيطان . فذلك الصراع الهائل الذي كان محتدماً أمدا طويلا بُتَّ فيه حينئذ وصار استئصال الشر نهائيا امرا مؤكد ا. لقد اجتاز ابن الله في باب القبر "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي ابلي س" (عبرانيين ٢ : ١٤). ان شوق لوسيفر الى تمجيد نفسه جعله يقول: "ارفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصير مثل العلي". لكنّ الله يعلن قائلا له: "أصيرك رمادا على الارض ... ولا توجد بعد الى الابد" (اشعياء ١٤ : ١٣ و ١٤ ؛ حزقيال ٢٨ : ١٨ و ١٩). فعندما "يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم اصلا ولا فرعا" (ملاخي ٤ : ١).

وسيكون كل سكان المسكونة شهودا على طبيعة الخطيئة وعواقبه ا. ثم ان استئصالها النهائي الكامل الذي قد يسبب لل ملائكة الخوف ويهين الله في بادئ الامر سيزكي محبته ويوطد كرامته أمام خلائق الكون الذين يسرون بعمل ارادته والذين شريعته في قلوبهم . ولن يعود الشر للظهور في ما بعد . وكلمة الله تقول: "لا يقوم الضيق مرتين" (ناحوم ١ : ٩). وشريعة الله التي ذمها الشيطان قائلا ع نها انها نير عبودية ستكرم على أنها ناموس الحرية . والخليقة الممحصة المزكاة لن ترتد ثانية عن ولائها لذاك الذي قد ظهرت صفاته على أنها المحبة التي لا يُسبر غورها والحكمة غير المحدودة أمام عيون الجميع. [549]

الفصل الثلاثون ـــ العداوة بين الانسان و الشيطان

”وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه“ (تكوين ٣ : ١٥). ان حكم الله الصادر ضد الشيطان بعد سقوط الانسان كان ايضا نبوة تمتد عبر كل الاجيال الى انقضاء الدهر وترمز الى الصراع العظيم الذي ستشتبك فيه كل اجناس البشر التي ستعيش على الارض.

يصرِّح الله قائلا: ”وأضع عداوة“. هذه العداوة لا يرحب بها الناس عادة . فعندما تعدى الانسان على شريعة الله صارت طبيعته شريرة . ولم يعد هنالك نفور أو خلاف بينه وبين الشيطان بل ساد بينهما الوفاق والوئام. وفي العادة لا يوجد أي عداء بين الانسان الخاطئ ومبتدع الخطيئة . فلقد صار كل منهما شريرا بسبب الارتداد . والمرتد لا يجد ابدا راحة الا اذا حصل على العطف والمعاضدة باغواء الآخرين على التمثل به . ولهذا السبب يتحد الملائكة الساقطون والناس الاشرار في زمالة مستيئسة . ولو لم يتدخل الله على نحو خاص لكان الشيطان قد تحالف مع الانسان لمحاربة السماء ولكانت الاسرة البشرية كلها تُجمع على مقاومة الله بدلا من أن تُضمر العداء للشيطان.

جرب الشيطان الانسان لكي يخطئ كما سبق له أن جعل الملائكة يتمردون حتى يظفر با لتعاون في محاربته السماء . ولم يقم خلاف بينه [550] وبين الملائكة الساقطين في ما يختص بكراهيتهم للمسيح، ففي حين أنه كان يوجد شقاق في كل الامور الاخرى اتحدوا اتحادا وثيقا في مقاومة الشيطان حاكم الكون . ولكن عندما سمع الشيطان بأنه ستكون هنالك عداوة بينه وبين المرأة و بين نسله ونسلها علم أن مساعيه لافساد الطبيعة البشرية ستتوقف، وانه بوسيلة ما سيكون الانسان قادرا على مقاومة سلطانه.

وقد اضطرمت نار العداء في قلب الشيطان ضد الجنس البشري لانهم بواسطة المسيح صاروا موضوع محبة الله ورحمته . انه يرغب في عرقلة تدبير الله لاجل فداء الانسان والقاء العار والهوان على الله بكونه يشوه وينجس عمل يديه، وكان يريد أن يسبب الحزن لسكان السماء وان يملأ الارض شقاءً وخرابا . وهو يشير الى هذا كله كنتيجة عمل الله في خلقه الانسان.

ان النعمة التي يغرسها المسيح في النفس هي التي تخلق في الانسان عداوة ضد الشيطان . وبدون هذه النعمة المجددة والقوة المغيرة يرغب الانسان في أن يظل أسيرا للشيطان وعبدا له على استعداد دائم لتنفيذ أوامره . ولكن المبدأ الجديد الذي خُلق في النفس يخلق صراعا في الميادين التي كان فيها سلام من قبل . والقوة التي يمنحها المسيح تعين الانسان ع لى مقاومة الطاغية المغتصب. فأي انسان يُرى أنه يبغض الخطيئة بدلا من أن يحبها، وأي من يقاوم ويغلب تلك الاهواء التي قد تسلطت على قلبه يُظهر عملية المبدأ الذي هو من فوق اولا وآخرا.

غضب الشيطان

ظهر العداء المستحكم بين روح المسيح وروح الشيطان بشكل مدهش جدا في استقبال العالم يسوع . فما دعا اليهود الى رفض المسيح لم يكن ما بدا عليه من الافتقار الى غنى العالم والفخامة والجلال. لقد رأوا أنه يملك سلطانا هو أكثر من أن يعوض عن افتقاره الى تلك [551] الميزات الظاهرية . لكنّ طهارة المسيح وقداسته أثا رتا عليه عداوة الاشرار . فحياة انكار الذات التي عاشها وتكريسه المنزه عن كل خطيئة كانا توبيخا دائما للشعب الشهواني المتكبر . هذا ما أثار العداء ضد ابن الله . لقد تحالف ضده الشيطان والملائكة الاشرار مع الناس الاشرار. تآمرت كل قوى الارتداد ضد بطل الحق.

هذا العد اء نفسه الذي ظهر ضد المسيح يظهر ضد تابعيه، فأي انسان يرى الخطيئة في شناعتها، وبالقوة التي تأتيه من فوق يقاوم التجربة، يثير على نفسه غضب الشيطان ورعاياه . ان كراهية الناس لمبادئ الحق الطاهرة، والتعيير والاضطهاد اللذين يحلان بمناصريه، ستظل باقية طالما بقيت الخ طيئة والخطأة . وتابعو المسيح لا يمكن التوفيق بينهم وبين عبيد الشيطان . فعثرة الصليب لم تبطل بعد. "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢ تيموثاوس ٣ : ١٢).

ان أعوان الشيطان هم دائبون ابدا تحت توجيهاته في توطيد سيادته وبناء ملكوته لم قاومة حكم الله . ولهذه الغاية يحاولون اغراء أتباع المسيح واغواءهم حتى يبعدوهم عن ولائهم له . وهم كزعيمهم يسيئون فهم الكتب المقدسة ويحرفونها للوصول الى أهدافهم . وكما حاول الشيطان أن يوقع العار بالمسيح كذلك يحاول أعوانه أن يعيبوا في حق شعب الله . ان الروح التي أماتت المسيح تحرض الاشرار على اهلاك تلاميذه . كل هذا كان مرموزا اليه في النبوة الاولى القائلة: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها". وستظل الحال كذلك الى انقضاء الدهر.

يحشد الشيطان كل جيوشه ويلقي بكل قوته في المعركة . ولكن لماذا لا يواجه مقاومة أعظم ؟ ولماذا يتغلب النعاس وعدم المبالاة على جنود المسيح ؟ السبب هو أن صلتهم الحقيقية بالمسيح ضئيلة جدا، كما انهم خالون من روحه الى حد كبير . والخطيئة في نظرهم ليست منفرة ولا كريهة كما كانت في نظر سيدهم . وهم لا يواجهونها كما قد فعل المسيح بكل مقاومة وإصرار . وهم غير متحققين من شر الخطيئة [552] وشناعتها العظيمين ولا يرون صفات سلطان الظلمة ولا قوته . ان عداوة المسيحيين للشيطان وأعماله ضئيلة وذلك بسبب جهلهم العظيم لقوته وخبثه وبسبب اتساع مدى حربه ضد المسيح وكنيسته . ان كثيرين ينخدعون هنا . انهم لا يدرون ان عدوهم قائد عظيم وجبار يسيطر على عقول الملائكة الاشرار وأنه بخططه الناضجة المدروسة وتحركاته الماكرة يحارب المسيح ليمنعه من تخليص النفوس . فبين المعترفي ن بالمسيحية وحتى بين خدام الانجيل قلما يشير أحد الى الشيطان الا في عبارات عابرة من المنبر، فهم يغفلون البراهين على نشاطه الدائم ونجاحه، ويهملون الانذارات العديدة عن مكره ودهائه، ويبدو أنهم يتجاهلون وجوده نفسه.

عدو يقظ

وفي حين أن الناس يتجاهلون مكايد هذا العدو اليقظ فانه يتعقبهم في كل لحظة. يقحم وجوده في كل مصالح العائلة وفي كل شوارع مدننا وفي الكنائس وفي مجالس الامم وفي دور القضاء فيربك ويخدع ويموِّه . وفي كل مكان يهلك ارواح الرجال والنساء والاطفال وأجسادهم ويشتت شمل العائلات ويبذر بذار البغضاء والتنافس والمنازعات والفتن وجرائم القتل . ويبدو أن المسيحيين في أرجاء العالم يعتبرون أن الله هو الذي قد حكم بكل هذه المآسي ولا بد من حدوثها.

الشيطان دائما أن ينتصر على شعب الله بهدمه الحواجز التي تفصل بينهم وبين العالم . لقد أغوي اسرائيل قديما لارتكاب الخطيئة عندما تجرأوا على الاندماج بين عشراء وثنيين كان الله قد حرم عليهم الاختلاط بهم . وبالطريقة نفسها يضل اسرائيل العصر الحاضر: "اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله" (٢ كورنثوس ٤ : ٤) .كل من ليسوا اتباعا أمناء للمسيح هم عبيد [553] للشيطان. ففي القلب غير المتجدد توجد محبة للخطيئة والميل الى احتضانها والتساهل معها . أما في القلب المتجدد فتوجد كراهية للخطيئة ومقاومتها بكل اصرار . فعندما يختار المسيحيون معاشرة الاشرار وغير المؤمنين فهم يعرضون أنفسهم للتجربة . والشيطان يتخفَّى بعيدا من الانظار ويسدل ستارا على عيون الناس خلسة . ولا يمكنهم أن يروا أن في صحبة اولئك الاشرار ضررا، واذ يشاكلون العالم طول الوقت في اخلاقهم واقوالهم وأفعالهم انما يزيد عماهم شدة يوما بعد يوم.

ان مشاكلة العالم في عاداته تجعل الكنيسة شبيهة بالعالم ولا تهدي العالم الى الكنيسة . وتعوُّد الخطيئة والتآلف معها لا بد أن يقللا من النفور منها وكراهيتها. فمن يختار معاشرة عبيد الشيطان لن يخاف سيدهم . واذ كنا ونحن نقوم بواجباتنا نجرَّب كما قد جُرب دانيال وهو في بلاط الملك فلنا أن نتحقق من أن الله سيحرسنا، أما اذا ألقينا بأنفسنا في التجربة فسنسقط عاجلا أو آجلا.

يعمل المجرب غالبا بنجاح منقطع النظير عبر الذين قلما يُشتبه في أنهم تحت سيطرته . فذوو المواهب والثقافة يعجب بهم الناس ويكرمونهم، كما لو أن هذه الصفات تكفر عن عدم وجود خوف الله في قلوبهم أو تؤهلهم للظفر برضاه. ان المواهب والثقافة في حد ذاتها هي هبات من الله، ولكن اذا احتلت هذه الامور مكان التقوى وبدلا من أن تقرب النفس الى الله تبعدها منه فانها تم سي حينئذ لعنة وشركا . هنالك رأي سائد بين كثيرين وهو أن كل ما يبدو لطفا أو كياسة أو أناقة لا بد أن يكون نوعا ما خاصا بالمسيح. لا توجد غلطة أضخم من هذه . فهذه الصفات ينبغي أن تجمِّل خُلق كل مسيحي لان لها تأثيرا كبيرا في صالح الدين الحقيقي ولكن ينبغي تكريسها لله والا فهي ايضا تصير قوة في جانب الشر . كثيرا ما يكون هنالك انسان مهذب في عقله وممتاز في عاداته ولا يتدنَّى ليعمل ما يعتبره الجميع عملا نجسا وفاسدا، ومع ذلك فهو آلة مصقولة في يد الشيطان . [554] ان الصفة الغادرة الغاشة لتأثيره ومثاله تجعله عدوا لعمل المسيح وملكوته اخطر من الجهلة وغير المثقفين.

استطاع سليمان بالصلاة الحارة والاعتماد على الله أن يحصل على الحكمة التي أثارت دهشة العالم وإعجابه . ولكن عندما ارتد عن مصدر قوته وتقدم مستندا الى نفسه سقط فريسة التجربة . وحينئذ فتلك المواهب العجيبة التي منحت لذاك الذي كان أحكم الملوك جعلت منه اداة أشد فتكا في يد عدو النفوس.

في حين يحاول الشيطان بلا انقطاع أن يُظلم عقول المسيحيين حتى تغيب عنهم الحقيقة عليهم ألا ينسوا أن "مصارعتهم ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولا ة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية في السماويات" (أفسس ٦ : ١٢). فان الانذار الالهي يدوي عبر الاجيال الى يومنا هذا قائلا: "اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم أسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو" (١ بطرس ٥ : ٨). "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس" (أفسس ٦ : ١١).

فمنذ عهد آدم الى يومنا الحاضر يبذل عدونا العظيم الجبار قصارى جهده ليضايق ويظلم ويهلك . وهو الآن يتأهب للقيام بحملته الاخيرة ضد الكنيسة . وكل من يريدون اتباع يسوع لا بد لهم من منازلة هذا العدو الذي لا يرحم . وكلما كان المسيحي أقرب تمثلا بالمثال الالهي ازداد تأكُّدا انه سيصير هدفا لهجمات الشيطان. وكل من هم دائبون باجتهاد في عمل الله ويحاولون أن يكشفوا مخادعات الشرير ويقدموا المسيح الى الناس سيكونون قادرين على مشاركة بولس شهادته التي يقول فيها أنه يخدم الرب بكل تو اضع ودموع كثيرة وتجارب.

لقد هاجم الشيطان المسيح بأعنف تجاربه وأشدها مكرا وخبثا لكنه انهزم وارتد بعد كل معركة . ولقد حارب السيد في تلك المعارك لاجلنا، وانتصاراته تجعل [555] انتصارنا أمرا ممكنا . والمسيح سيمنح القوة لكل طالبيها . ولن ينهزم أحد أمام الشيطان ما لم يرض هو بالهزيمة . فليس للمجرِّب قوة بها يسيطر على الإرادة أو يرغم النفس على ارتكاب الخطيئة . قد يضايق النفس لكنه لا يستطيع أن يلوثها . وقد يسبب للقلب حزنا لكنه لا يستطيع أن يفسده قسرا . ان حقيقة كون المسيح قد انتصر ينبغي أن تلهم اتباعه الشجاعة لكي يحاربوا بك ل قوة وشدة بأس وهم ينازلون الخطيئة والشيطان. [556]

الفصل الحادي و الثلاثون ـــ اعمال الارواح

ان ارتباط العالم المنظور بالعالم غير المنظور، وخدمة ملائكة الله وقوة الارواح الشريرة، كل هذا معلن بكل وضوح في الكتب المقدسة ومتداخل ومحبوك في التاريخ البشري . يزداد الميل الى عدم التصديق بوجود الارواح الشريرة ، في حين أن الملائكة القديسين الذين يخدمون "العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبرانيين ١ : ١٤) يعتبرهم الكثيرون أرواح الاموات . لكن الكتب المقدسة فضلا عن كونها تعلِّم بوجود الملائكة، الابرار منهم والاشرار، تقدم برهانا لا يتطرق اليه الشك على أن هذه ليست أرواح الاموات متحررة من الاجساد.

لقد كان الملائكة موجودين قبل خلق الانسان لانه عندما وُضعت أساسات الارض "ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله" (أيوب ٣٨ : ٧). وبعد سقوط الانسان أُرسل الملائكة لحراسة شجرة الحياة، وكان هذا قبل أن مات أي انسان. ان الملائكة هم أسمى من الناس في طبيعتهم لان المرنم يقول عن الانسان: "وتنقصه قليلا عن الملائكة" (مزمور ٨ : ٥).

والكتاب يخبرنا عن عدد الخلائق السماويين وقوتهم ومجدهم وعن علاقتهم وارتباطهم بحكم الله وعن صلتهم بعمل الفداء. "الرب في السموات ثبت كرسيه ومملكته على الكل تسود". ثم هوذا النبي يقول: "وسمعت صوت ملائكة [557] كثيرين حول العرش" وهم ينتظرون في مقصورة ملك الملوك ـــ "ملائكته المقتدرون قوة"، "خدامه العاملين مرضاته"، "عند سماع صوت كلامه" (مزمور ١٠٣ : ١٩ ـــ ٢١ ؛ رؤيا ٥ : ١١). لقد رأى النبي دانيال ربوات وألوف ألوف من الرسل السماويين . والرسول بولس يعلن عنهم أنهم "ربوات هم محفل ملائكة" (دانيال ٧ : ١٠ ؛ عبرانيين ١٢ : ٢٢). وكرسل الله هم يخرجون "كمنظر البرق" (حزقيال ١ : ١٤). يكاد نورهم يخطف الابصار وهم يسرعون في طيرانهم. فالملاك الذي ظهر عند قبر المخلص، وكان منظره "كالبرق ولباسه ابيض كالثلج"، اخاف الحراس فارتعدوا "وصاروا كأموات" (متى ٢٨ : ٣ و ٤). والعاهل الاشوري المتعجرف سنحاريب عندما عيَّر الله وجدَّف عليه وهدد شعبه بالهلاك "كان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا" "أباد كل جبار بأس ورئيس وقائد" من جيشه . "فرجع بخزي الوجه الى أرضه" (٢ ملوك ١٩ : ٣٥ ؛ ٢ أخبار ٣٢ : ٢١).

يُرسَل الملائكة في مأموريات الرحمة الى أولاد الله . فقد ذهبوا الى ابراهيم وقدموا اليه وعودا بالبركة، والى أبواب سدوم لانقاذ لوط البار حتى لا يهلك بالنار . وأُرسل ملاك الى ايليا عندما كان موشكا على الموت من فرط الاعياء والجوع في البرية، والى اليشع ارسلت مركبات نار وخيل لتحيط بالمدينة الصغيرة التي كان اعداؤه قد حبسوه فيها، والى دانيال عندما طلب الحكمة الالهية في بلاط ملك وثني وعندما طرح في الجب ليكون فريسة الاسود، والى بطرس وهو محكوم عليه بالموت حين كان سجينا في سجن هيرودس، والى السجينين اللذين كانا في فيلبي، والى بولس ورفاقه في ابان العاصفة الهائلة التي ثارت عليهم في تلك الليلة وهم في عرض البحر، والى كرنيليوس ليفتح ذهنه فيقبل الإنج يل والى بطرس ليزوده برسالة الخلاص لذلك الاممي الغريب وهكذا في كل العصور خدم الملائكة القديسون شعب الله.

[558]

حراسة الملائكة

ويوجد ملاك معين لحراسة كل تابع للمسيح . فهؤلاء الحراس السماويون يصدون عن الابرار سهام الشرير . وهذا ما اعترف به الشيطان نفسه حين قال: "هل مجانا يتقي أيوب الله . أليس انك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية" (أيوب ١ : ٩ و ١٠). وترد الوسيلة التي بها يحرس الله شعبه في كلمات المرنم: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مزمور ٣٤ : ٧). والمخلص في معرض كلامه عمن آمنوا به قال: "انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لاني أقول لكم ان ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات" (متى ١٨ : ١٠). فالملائكة المعينون لخدمة اولاد الله لهم حق دخول محضره في كل وقت.

وهكذا اذ يتعرض شعب الله لقوة الشيطان الخادعة وخبث سلطان الظلمة الذي لا يكل ولا ينعس، ويصارعون كل قوات الشر، لهم أن يتأكدوا من حراسة ملائكة السماء الدائمة . وهذا التأكيد لا يعطي من دون حاجة اليه . فاذا كان الله قد وعد شعبه بالنعمة والحماية فذلك بسبب وجود قوات الشر الجبارة التي عليهم أن ينازلوها، قوات كثيرة وعنيدة لا تكلّ ولا يمكن لاحد أن يأمن على نفسه اذا لم يتحفظ من خبثها وقوتها.

ان الارواح الشريرة التي خُلقت في البدء بلا خطية كانت على قدم المساواة مع الخلائق المقدسة الذين هم الآن رسل الله، في طبيعتهم وقوتهم ومجدهم. ولكن لانهم سقطوا اذ أخطأوا فقد تعاهدوا معا على اهانة الله واهلاك بني الانسان . واذ اتحدوا مع الشيطان في العصيان وطُردوا مثله من السماء فقد تعاونوا معه مدى كل العصور المتعاقبة في حربه ضد سلطان الله . والكتاب يخبرنا عن تحالفهم وحكمهم وأنظمتهم المتعددة وذكائهم ودهائهم ونواياهم السيئة ضد سلامة الناس وسعادتهم. [559] [560]

ويذكر تاريخ العهد القديم وجودهم ووسيلتهم في معرض بعض الحوادث، ولكن في وقت وجود المسيح على الارض اظهرت الارواح الشريرة قوتها بطريقة مدهشة جدا. كان المسيح قد أتى ليبدأ في تنفيذ التدبير الخلاصي لاجل فداء الانسان فأصر الشيطان على اثبات حقه في السيطرة على العالم . لقد نجح في توطيد دعائم الوثنية في كل اقطار الارض عدا ارض فلسطين . وقد أتى المسيح الى ذلك القطر الوحيد الذي لم يكن قد خضع تماما لسلطان المجرب لكي يشرق على الشعب نور السماء. وهنا كانت سلطتان تتنازعان السيادة . كان يسوع باسطا ذراعي محبته وهو يدعو اليه كل من يريد أن يجد في الغفران والسلام . وقد رأى أجناد الظلام أنهم لم يُعطَوْا السيادة المطلقة، وأدركوا أنه لو نجحت رسالة المسيح فسينقضي سلطانهم ويزول . فثار الشيطان واهتاج كما لو كان أسدا مقيَّدا، وفي تحديه أعلن سلطانه على أجساد الناس ونفوسهم.

وجود الشياطين وعملهم

يبين العهد الجديد بكل جلاء حقيقة كون الناس قد سيطرت عليهم الشياطين. والاشخاص الذين ابتُلوا بتلك البلوى لم يكونوا يقاسون فقط امراضا لاسباب طبيعية . وقد كان المسيح يدرك ادراكا كاملا مَن كان

يتعامل معه واعترف بوجود الارواح الشريرة وفاعليتها.

والحادثة التي يذكرها الكتاب عن شفاء المجنونين في جدرة تقدم لنا مثلا مدهشا عن عدد الشياطين وقوتهم وخبثهم كما تقدم لنا برهانا رائعا على قدرة المسيح ورحمته . اذ ذينك المجنونين البائسين اذ ابعدا عنهما كل رادع وهما يتلويان والزبد يخرج من افواههما وهما ثائران كانا يملآن الجو بصرخاتهم ا. كانا يقسوان على نفسيهما ويعرضان حياة كل من يقترب منهما للخطر . ان جسميهما الداميين المشوهين وأفكارهما المشتتة قدمت صورة يهتز لها قلب سلطان الظلمة طرب ا. وقد أعلن أحد الشياطين [561] التي كانت مسيطرة على ذينك الرجلين المعذبين قائلا: "اسمي لجئون لاننا كثيرون" (مرقس ٥ : ٩). ان كلمة "لجئون" كانت عند الجيش الروماني تعني فرقة من الجنود يتراوح عدد رجالها ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف رجل . ان جيوش الشيطان تصطف هي ايضا في فرق . والفرقة الواحدة التي كانت هذه الشياطين تنتمي اليها لم يكن عددها يقل عن لجئون.

وبأمر يسوع خرجت تلك الارواح الشريرة من ذينك الرجلين المعذبين تاركة اياهما عاقلين وجالسين عند قدمي المخلص، وقد أخضعا وعاد اليهما ذكاؤهما ورقتهما. ولكن الشياطين سُمح لها بأن تكتسح قطيعا من الخنازير الى البحر . وقد رجحت هذه الخسارة في نظر سكان كورة الجدريين على كل البركات التي قد منحها المسيح . فتوسلوا الى هذا الشافي الالهي بأن ين صرف من تخومهم. وقد كانت هذه هي النتيجة التي كان الشيطان يقصد أن يصل اليه ا. فاذ ألقى تبعة هذه الخسارة على يسوع أثار مخاوف الشعب الانانية وحال بينهم وبين الاستماع الى اقواله . ان الشيطان يشتكي ضد المسيحيين دائما على انهم علة الخسارة ونكد الطالع والآلام، بدلا من أن يجعل اللوم يقع على مصدره الاصلي : عليه هو نفسه وعلى أعوانه.

لكنّ مقاصد المسيح لم تتعطل . فقد سمح للارواح الشريرة أن تغرق قطيع الخنازير توبيخا لاولئك اليهود الذين كانوا يربون تلك الحيوانات النجسة طمعا في الربح . فلو لم يردع المسيح الشياطين لكانوا قد أغرقوا في البحر ليس الخنازير وحدها بل أيضا رعاتها وأصحابه ا. ان الابقاء على رعاة الخنازير وأصحابها كان مرجعه فقط الى قدرته التي استخدمها في انقاذهم رحمة بهم . وزد على ذلك فانه قد سُمح بوقوع هذه الحادثة حتى يشهد التلاميذ قوة الشيطان القاسية على الانسان والحيوان . وقد رغب المخلص في أن يكون تابعوه على علم بالعدو الذي عليهم أن ينازلوه حتى لا يخدعهم بمكايده ثم يهزمهم، كما كان يريد أن يرى شعب تلك الكورة قدرته على تحطيم عبودية الشيطان واطلاق [562] اسراه احرار ا. ومع أن يسوع نفسه قد رحل فان ذينك الرجلين اللذين خلصا بكيفية معجزية بقيا ليعلنا عن رحمة من قد أحسن اليهما.

وتوجد في الكتاب المقدس حوادث مسجلة من أمثال هذه الحادثة . فقد كانت ابنة المرأة الفينيقية السورية معذبة من روح شرير لكنّ يسوع اخرجه منها بكلمة (مرقس ٧ : ٢٦ — ٣٠). وفي متى ١٢ : ٢٢ يخبرنا البشير عن "مجنون أعمى وأخرس". وكان هنالك شاب به روح أخرس "كثيرا ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه" (مرقس ٩ : ١٧ — ٢٧). والرجل المجنون الذي اذ كان يعذبه "روح شيطان نجس" (لوقا ٤ : ٣٣ — ٣٦) أزعج العابدين في مجمع كفرناحوم في سكون يوم السبت . كل هؤلاء شفاهم المخلص الر حيم. وفي كل حالة من هذه الحالات تقريبا كان المسيح يخاطب الشيطان ككائن عاقل آمرا اياه أن يخرج من الانسان ولا يعود يعذبه . فاذ رأى العابدون في مجمع كفرناحوم قدرة المسيح العظيمة "وقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين ما هذه الكلمة لانه بسلطان وقوة يأمر الارواح النجسة فتخرج" (لوقا ٤ : ٣٦).

عادة ما يوصف المسكونون بالشياطين بانهم يقاسون آلاماً شديدة . لكنّ لهذه القاعدة شواذا . فبعض الناس كانوا يرحبون بالتأثير الشيطاني طمعا في امتلاك قوة فائقة . هؤلاء لم يكونوا بطبيعة الحال في حالة

حرب مع الشياطين . فمن هذه الفئة كان الذين بهم روح عرافة، مثل سيمون الساحر وعليم الساحر والفتاة التي تبعت بولس وسيلا في فيلبي.

لا أحد معرَّضاً لتأثير الارواح الشريرة أكثر من الذين على رغم شهادة الكتب المقدسة الصريحة الوافية ينكرون وجود الشيطان وملائكته وتأثيرهم . وطالما نجهل مك ايدهم نوفر لهم ميزة لا تُصدَّق . وكثيرون يعملون بمقترحاتهم في حين يظنون أنهم انما يتبعون ما تمليه عليهم حكمتهم . هذا هو السبب الذي يجعل الشيطان مع اقتراب نهاية الزمن الذي فيه يعمل باعظم قوة ليضل الناس ويهلكهم، يذيع في كل مكان الاعتقاد بأنْ ليس له وجود . فسياسته تبنى على كونه يخفي نفسه وطريقة عمله. [563]

لا شيء يخافه ذلك المضل العظيم أكثر من اطِّلاعنا على حيله . فلكي يخفي صفته الحقيقية ونواياه جعل الناس يصورونه على أنه لا يثير انفعالاً أعظم من السخرية او الاحتقار . انه يسر جداً عندما يصوَّر ككائن مضحك أو كريه أو مشوه، نصفه حيوان ونصفه الآخر انسان . وهو يسر عندما يسمع اسمه يستعمل في معرض اللهو أو السخرية على أفواه الذين يظنون أنفسهم على درجة كبيرة من الذكاء والدراية.

فلكونه قد تنكر بدهاء ومهارة كاملين يُثار هذا السؤال: "هل لمثل ذلك المخلوق وجود حقا ؟" من ادلة نجاحه ان النظريات التي تكذب أوضح الشهادات الكتابية تجد قبولا وتسليما في العالم الديني . ولان الشيطان يستطيع بكل سرعة وسهولة أن يتحكم في عقول الذين لا يدرون عن تأثيره شيئا فان كلمة الله تقدم الينا أمثلة كثيرة عن عمله المؤذي الخبيث وتكشف عن قواته الخفية، وهكذا تجعلنا نتيقظ ونتحفظ من هجماته.

كان يمكن أن تخيفنا حقا قوة الشيطان وجنوده وحقدهم وخبثهم لو لم يكن في وسعنا أن نجد الحماية والخلاص في قدرة فادينا الفائقة . اننا بكل حرص نوصد ابواب بيوتنا بالمزالج والاقفال لحفظ ممتلكاتنا وأرواحنا من الناس الاشرار، ولكننا قلما نفكر في الملائكة الاشرار الذين يحاولون دائما الوصول الينا ولا حيلة لنا في دفعهم عنا بقوتنا الذاتية . إن نسمح لهم بالدخول يشوشوا عقولنا ويربكوها ويصيبوا أجسامنا بالاضطراب والعذاب ويتلفوا أملاكنا وحياتن ا. فمسرتهم الوحيدة هي في جلب الشقاء والهلاك للناس . ان الذين يقاومون مطالب الله ويسلمون لتجارب الشيطان هم في حالة مخيفة، الى أن يسلمهم الله لسلطان الارواح الشريرة. أما الذين يتبعون المسيح فهم أبدا في سلام وأمان تحت حراسته ورعايته. فالملائكة المقتدرون قوة يرسلون من السماء لحفظهم . والشرير لا يمكنه أن يشق لنفسه ط ريقا في وسط صفوف الحراس الذين قد أقامهم الله حول شعبه. [564]

الفصل الثاني و الثلاثون ـــ مكايد العدو

ان الصراع الهائل بين المسيح والشيطان والذي دارت رحاه وسار قدما مدة تقرب من ستة آلاف سنة صار قريبا من نهايته، والشرير يضاعف جهوده ليقضي على عمل المسيح لاجل الانسان ويقيد النفوس بأحابيله . ان غرضه الذي يريد أن يحققه هو أن يبقي الناس في الظلمة وصلابة القلب حتى تنقضي مدة وساطة المخلص ولا تبقى بعد ذلك ذبيحة عن الخطيئة.

عندما لا يُبذل مجهود جدي خاص لمقاومة سلطان الشيطان، وعندما يسود في الكنيسة وفي العالم الاهمال وعدم المبالاة فهو لا يهتم كثيرا لانه لا خطر عليه من خسارة الذين قد استأسرهم وهم يسيرون في ركابه مكبلين بالاغلال وخاضعين لارادته . ولكن عندما يبدأ الناس بالالتفات الى الامور الابدية وتسأل النفوس قائلة: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" عند ذلك ينبري الى ساحة القتال محاولا أن يستخدم قوته ضد قوة المسيح ويوقف تأثير الروح القدس.

والكتاب المقدس يعلن أنه عندما جاء الملائكة ذات مرة ليمثلوا أمام الرب جاء الشيطان أيضا في وسطهم (أيوب ١ : ٦) لا ليسجد أمام الملك السرمدي بل ليخدم غاياته الخبيثة ضد الابرار . وعندما يجتمع الناس ليعبدوا الله يجيء هو في وسطهم لهذا الغرض نفسه و يعمل بخفاء طالبا السيطرة على أفكار [565] العابدين. وكالقائد المحنك يرسم خططه مقدما. واذ يرى رسول الله وهو يفتش الكتب يأخذ هو مذكرة بالموضوع الذي سيعرض على الشعب وحينئذ يستخدم كل دهائه ومكره لكي يسيطر على الظروف بحيث لا تصل الرسالة الى الذين يغرر بهم في ذلك الموضوع بالذات . والشخص الذي هو احوج الناس الى الانذار تُلزمه الظروف بأن يخرج ليشترك في صفقة تجارية تقتضي حضوره، أو بوسيلة أخرى يُمنع من سماع الاقوال التي كان يمكن أن تُضفي نكهة حياة على حياته.

ثم ان الشيطان يرى عبيد الرب واذا هم مثقلو القلوب بسبب الظلام الروحي الذي يكتنف الناس . وهو يسمع صلواتهم الحارة في طلب النعمة والقوة الالهيتين للقضاء على سحر عدم الاكتراث والاهمال والكسل . حينئذ يحبك هو مؤامراته بغيرة مجددة . فهو يجرب الناس لينغمسوا في شهوة الطعام أو أي صورة من صور ارضاء شهوات النفس، وهكذا يخدر حس اسيتهم بحيث يخيبون من سماع الحقائق نفسها التي هم في أمس الحاجة الى سماعها وتعلمها.

والشيطان يعرف جيدا ان كل من يستطيع أن يسوقهم الى اهمال الصلاة وتفتيش الكتب سينهزمون أمام هجماته . لذلك هو يبتكر كل حيلة ممكنة ليشغل العقل. وقد وُجد في كل العصور فئة من الناس يعترفون بالتقوى، الذين بدلا من التقدم لمعرفة الحق يجعلون ديانتهم منحصرة في البحث عن خطإ في اخلاق الذين يخالفونهم الرأي أو عن ضلال في عقيدتهم . هؤلاء هم أعظم معاضدي الشيطان. ان المشتكين على الاخوة ليسوا قليلين، وهم يكونون دائما نشيطين عندما يرون الله يعمل و عندما يقدم اليه عبيده ولاءهم الحقيقي . انهم يصبغون أقوال الذين يحبون الحق وأعمالهم بصبغة كاذبة، ويصورون أعظم خدام المسيح حرارة وغيرة وانكارا للذات على أنهم مخدوعون أو خادعون . فعملهم هو تشويه البواعث على كل عمل حقيقي ونبيل ونشر الوشايات واثارة الشبهات في عقول البسطاء، وفي كل حالة محسوسة

يحاولون أن يمسخوا كل ما هو طاهر وعادل بحيث يراه الناس فاسدا وخادعا. [566]

ولكن لا حاجة بأحد الى أن ينخدع بهؤلاء. فقد يُرى سريعا أبناء من هم، وأي مثال يتبعون، وعمل مَنْ يقومون به. "من ثمارهم تعرفونهم" (متى ٧ : ١٦). ان تصرفهم يش به تصرف الشيطان الواشي الذي يوغر الصدور: "المشتكي على اخوتنا" (رؤيا ١٢ : ١٠).

الحق يقدس

للمضل العظيم أعوان كثيرون على تمام الاهبة لتقديم كل أنواع الضلالات لاصطياد النفوس، وهي معدة بحيث تناسب الاذواق والكفاءات المختلفة للذين يريد أن يهلكهم. وخطته هي أن يضم الى الكنيسة عناصر غير مخلصة ولا متجددة تشجع على الشك وعدم الايمان، وان يعرقل من يرغبون في أن يروا عمل الله متقدما وفي المضي به الى الامام. فكثيرون ممن لا يوجد عندهم ايمان حقيقي بالله أو بكلمته يقبلون بعض مبادئ الحق وين جحون في الامتحان ويُعتبرون مسيحيين، وبذلك يكونون قادرين على تقديم ضلالاتهم كتعاليم كتابية.

ان الرأي القائل بأن ما يعتقده الناس ليس أمرا عظيم الاهمية هو رأي من أنجح مكايد الشيطان. فهو يعرف أن الحق الذي يقبله الانسان حبا به يقدس نفس من يقبله، ولذلك يحاول الش يطان دائما ان يستبدل الحق بنظريات وخرافات كاذبة وبانجيل آخر. لقد ناضل عبيد الله منذ البدء ضد المعلمين الكذبة ليس فقط لمجرد كونهم قوما اشرارا بل لانهم يغرسون في اذهان الناس الضلالات والاكاذيب المهلكة للنفس. فايليا وارميا وبولس قاوموا بكل شجاعة اولئك الذين كانوا يحولون الناس عن كلمة الله. وذلك التساهل الذي يعتبر العقيدة الدينية السليمة عديمة الاهمية لم يجد قبولا لدى هؤلاء القديسين المدافعين عن الحق

ان التفسير الخيالي الغامض للكتاب والنظريات الكثيرة المتضاربة الخاصة بالعقيدة الموجودة في العالم المسيحي هي من صنع خصمنا العظيم [567] لكي يربك العقول فلا تميز الحق. ثم ان النفور والشقاق الكائن بين الكنائس في العالم المسيحي يعزى الى حد كبير الى عادة تحريف الكتاب السائدة ليدعم نظرية محبوبة. فان كثيرين بدلا من أن يدرسوا كلمة الله باهتمام وبقلوب متواضعة ليحصلوا على معرفة مشيئته يحاولون اكتشاف شيء شاذ أو جديد.

فلكي يدعم البعضُ العقائد المغلوطة أو الممارسات التي لا صلة لها بالمسيحية يتشبثون بفصل من الكتاب منفصل عن سياقه وربما يقتبسون نصف آية للبرهان على صدق رأيهم، في حين أن باقي الآية قد تبرهن على عكس ذلك. فبدهاء الحية يحصِّنون أنفسهم خلف ألفاظ مفككة يفسِّرونها لتلائم رغباتهم الجسدية. وهكذا يحرف كثيرون كلمة الله في اصرار وعناد. وهناك آخرون لهم خيال وتصور نشيطان يتمسكون بصور الكتاب المقدس ورموزه ويفسرونها بحيث تناسب اوهامهم، مع التفات قليل الى شهادة الكتاب الذي هو مفسر نفسه، وحينئذ يقدمون أوهامهم على أنها تعاليم الكتاب.

الكتاب، المرشد الوحيد

وكلما شرعنا في درس الكلمة من دون روح الصلاة والاتضاع والاستعداد للتعلم فان أبسط فصول

الكتاب وأشدها تعقيدا عل السواء تُحرَّف عن معناها الصحيح . ان الرؤساء البابويين يخ تارون الفصول الكتابية التي تخدم أغراضهم ويفسرونها لتناسبهم ثم يقدمونها الى الشعب، في حين أنهم ينكرون عليهم حقهم في درس الكتاب وفهم حقائقه لانفسهم . ينبغي أن يعطى الكتاب كله للشعب كما هو على بساطته . وخير لهم الا يتلقوا تعاليم كتابية أو ارشادات اطلاقا من أن يحرف تعليم الكتاب بهذه الطريقة المخجلة.

لقد قُصد بالكتاب أن يكون مرشدا لكل من يرغبون في معرفة ارادة جابلهم . ولقد أعطى الله الناس كلمة النبوة الثابتة . أتى الملائكة بل حتى المسيح نفسه لإفهام دانيال ويوحنا ما لا بد أن يكون قريب ا. فتلك الامو ر المهمة [568] المختصة بخلاصنا لم تكن لتترك في حال الخفاء والغموض . وهي لم تعلن على نحو يربك الطالبين والباحثين الامناء عن الحق أو يضلهم . وقد قال الرب على لسان حبقوق النبي: ”اكتب الرؤيا وانقشها على ألواح لكي يركض قارئها“ (حبقوق ٢ : ٢). ان كلمة الله واضحة لكل من يدرسونها بقلوب مصلية. فكل نفس أمينة بالحق تأتي الى نور الحق، ”نور قد زرع للصديق“ (مزمور ٩٧ : ١١). ولا يمكن لكنيسة أن تتقدم في القداسة ما لم يبحث اعضاؤها عن الحق بكل غيرة كمن يبحثون عن كنوز مخبوءة.

صرخة التساهل

ان الناس اذ ين طقون بكلمة التساهل يتعامون عن مكايد العدو في حين انه طول الوقت يعمل بكل مثابرة لاتمام غرضه . واذ ينجح في ابدال الكتاب المقدس بالنظريات البشرية يُلقي بشريعة الله جانبا وترزح الكنائس تحت عبودية الخطيئة في حين أنهم يدَّعون أنهم أحرار.

لقد صار البحث العلمي لعنة لكثيرين . ان الله سمح أن ينسكب فيض من النور على العالم في الاستكشافات في العلوم والفنون . ولكن حتى أعظم العقول الجبارة ان لم تكن كلمة الله مرشدا لهم في بحثهم فسيرتبكون في محاولاتهم أن يفحصوا العلاقات بين العلم والوحي الالهي.

ان المعرفة البشرية للاشياء الم ادية والروحية هي معرفة جزئية ناقصة، ولذلك يعجز كثيرون عن التوفيق بين آرائهم العلمية وحقائق الكتاب . وكثيرون يقبلون النظريات والآراء المحضة كحقائق علمية ويظنون أن كلمة الله يجب أن تختبر بتعاليم ”العلم الكاذب الاسم“ (١ تيموثاوس ٦ : ٢٠). ان الخالق وأعماله فوق ادراكهم . ولكونهم لا يستطيعون ايضاح هذه الامور بالقوانين الطبيعية فهم يعتبرون تاريخ الكتاب مما لا يُركن اليه . والذين يشكّون في وثوق سجلات العهدين القديم والجديد وثباتها يتقدمون في غالب الاحيان خطوة جريئة اخرى فيشكون [569] في وجود الله وينسبون قوته غير المحدودة الى الطبيعة . فحيث قد افلتوا المرساة من ايديهم يُتركون ليصطدموا بصخور الالحاد.

وهكذا يضل كثيرون عن الايمان وينخدعون باكاذيب الشيطان . لقد حاول الناس أن يكونوا أحكم من خالقهم، وقد حاولت الفلسفة البشرية ان تكتشف وتفسر أسرارا لن يمكن اكتشافها أو اعلانها مدى دهو ر الابد . ولو بحث الناس وفهموا ما قد أعلنه الله عن نفسه ومقاصده لحصلوا على رؤيا عظيمة لمجد الله وجلاله وقدرته بحيث يتحققون من حقارتهم ويقنعون بما قد أعلن لهم ولأولادهم.

انها طُرفة من طرف مخادعات الشيطان كونه يجعل عقول الناس تبحث وتخمن ما لم يعلنه الله وما يقصد أن يبقيه طي الخفاء فلا يدركه أحد . على هذا النحو سقط لوسيفر من مركزه الذي كان له في السماء . لقد صار متبرما لانه لم يُستأمن على كل اسرار مقاصد الله واستخف تمام بما قد أعلن له عن عمله في المركز السامي الذي عُين فيه . واذ أثار التذمر نفسه في نفوس الملائكة الذين تحت أمرته تسبب بسقوطهم

. والآن هو يحاول أن يرسخ الروح نفسها في أذهان الناس وان يجعلهم يستخفون بأوامر الله الصريحة.

عمل الضلال المسر

ان الذين لا يرغبون في قبول حقائق الكتاب الواضحة المؤثرة يبحثون دوما عن الخرافات المسرة التي تهدئ ضمائرهم . وكلما كانت التعاليم المقدمة أقل روحانية وانكارا للذات واذلالا للنفس قبلها الناس بسرور . هؤلاء الناس يحطون من قدر القوى العقلية في سبيل خدمة شهواتهم الجسدية . واذ يدفعهم غرورهم الى اعتبار أنفسهم أحكم من أن يفتشوا الكت ب بنفوس منسحقة وبالصلوات الحارة في طلب الارشاد الالهي لا يجدون ترسا يقيهم من الضلال. والشيطان على استعداد لان يمنح القلب مشتهاه وهو يلصق أكاذيبه [570] في موضع الحق . لقد بسطت البابوية سلطانها على عقول الناس بهذه الطريقة، واذ يرفض البروتستانت الحق لانه يتطلب حمل الصليب فهم يسيرون في الطريق نفسه. فكل من يهملون كلمة الله ليدرسوا آداب اللياقة واللباقة والسياسة حتى لا يكونوا على خلاف مع العالم سيُتركون ليقبلوا الهرطقة اللعينة بدلا من الحق الديني. والذين بمحض اختيارهم يرفضون الحق سيقبلون كل أشكال الضلال التي تخطر على ا لبال .ومَن ينظر برعب الى أحد الضلالات سيقبل ضلالا آخر بسرعة. ان بولس الرسول، وهو يتكلم عن فئة من الناس الذين "لم يقبلوا معرفة الحق حتى يخلصوا"، يعلن قائلا: "ولاجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرو ا بالاثم" (٢ تسالونيكي ٢: ١٠ — ١٢). فحيال هذا الانذار ينبغي لنا أن نسهر ونكون على حذر بالنسبة الى التعاليم التي نقبلها.

اخطاء خطرة

من بين أنجح الوسائل التي يستخدمها المخادع الاكبر التعاليم المضلة والعجائب الكاذبة التي يقدمها من يعتقدون بمناجاة الارو اح .فاذ يتنكر في شبه ملاك نور فهو يلقي شباكه في الاماكن التي قلما يشتبه به ا. ولو درس الناس كتاب الله بصلاة حارة حتى يفهموه لما كانوا يُتركون في الظلام لقبول التعاليم الكاذبة. ولكن اذ يرفضون الحق يسقطون فريسة الضلال .

وهنالك ضلالة خطرة أخرى وهي العقيدة التي تنكر الوهية المسيح اذ تدَّعي أنه لم يكن له وجود قبل مجيئه الى العالم . هذه النظرية يقبلها بكل رضى فئة كبيرة من الناس الذين يعترفون بايمانهم بالكتاب . ومع ذلك فهذه العقيدة تناقض مناقضة صريحة أبسط التصريحات التي نطق بها مخلصنا عن علاقته بالآ ب ،وصفاته الالهية ووجوده من قبل . ولا يمكن قبول هذه العقيدة ما لم يحرف الناس الكتب المقدسة تحريفا غير مباح . وفضلا عن كونها تحط من ادراك الانسان لعمل الفداء فانها أيضا تقوض الايمان بالكتاب كاعلان من الله . وفي [571] حين أن هذا يجعلها أشد خطرا فهو يجعلها صعبة المواج هة. فاذا كان الناسيرفضون شهادة الكتاب الموحى به عن لاهوت المسيح فعبثا نجادلهم في ذلك لانه لا يمكن لأي حجة أن تقنعهم مهما تكن قوة اقناعها عظيمة. "الانسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لانه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لانه انما يحكم فيه روحيا" (١ كورنثوس ٢ : ١٤). وكل من يعتنقون هذه الضلالة لا يستطيعون ادراك صفات المسيح أو رسالته ادراكا حقيقيا، ولا يعرفون تدبير الله العظيم لفداء الانسان.

ثم هنالك ضلالة أخرى ماكرة وخبيثة وهي الاعتقاد السريع الانتشار بأن الشيطان لا وجود له ككائن شخصي، وان الاسم الذي قد أطلقه عليه الكتاب انما ذكر فقط لتصوير أفكار الناس ورغائبهم الشريرة.

والتعليم الذي يرن صداه في كل مكان من المنابر الشهيرة والقائل ان المجيء الثاني للمسيح هو مجيئه لكل فرد في ساعة الموت، انما هو ميكدة لتحويل أفكار الناس عن مجيئه بنفسهِ على سحاب السماء . لقد ظل الش يطان يقول عدة سنين: "ها هو في المخادع" (متى ٢٤ : ٢٣ — ٢٦). وقد هلكت نفوس كثيرة بسبب هذه الضلالة.

ثم ان الحكمة البشرية تعلِّم أن الصلاة ليست أمرا جوهري ا. ورجال العلم يدعون أنه لا يمكن أن تكون هنالك اجابة حقيقية للصلاة، وان ذلك يكون خرقا للن واميس، وانه معجزة، والمعجزات لا وجود له ا. ويقولون ان الكون تحكمه نواميس ثابتة والله نفسه لا يفعل شيئا مناقضا لهذه النواميس . وهكذا يصورون الله على أنه محكوم ومرتبط بنواميسه، كما لو أن عمل النواميس الالهية يحرِّم على الله التمتع بالحرية الالهية . مثل هذا التع ليم مضاد لشهادة الكتاب .أفلم يصنع المسيح وتلاميذه معجزات ؟ ان ذلك المخلص الرحيم نفسه حي اليوم وهو يرغب في الاستماع الى صلاة الايمان كما كان حين كان يسير بين الناس بهيئة منظورة . ان الطبيعي يتعاون مع ما هو فوق الطبيعة . انه جزء من تدبير الله [572] أن يمنحنا، إجابة لصلوات الايمان، ما لم يكن ليمنحنا اياه لو لم نطلبه.

مستندات أهل العالم

وكثيرة هي التعاليم المغلوطة والآراء الوهمية التي تتفشى في الكنائس في العالم المسيحي . ويستحيل علينا أن نقدر النتائج الوبيلة المضِّرة لإزالة أحد المعالم المثبتة في كلمة الله . أما الغالبية العظمى فيظلون يطرحون جانبا واحدا بعد الآخر مبادئ الحق حتى يصيروا ملحدين بالفعل.

قادت اخطاء اللاهوت الرائج شعبياً الى الشك نفوساً كثيرةً كان ممكنا ان تؤمنَ بالكتب المقدسة لولا هذه الاخطاء . ذلك انه يستحيل على المؤمن ان يتقبل عقائد تنتهك حسه بالعدالة والرحمة وحب الخير؛ ولان عقائد كهذه صُورت على انها تمثل الكتاب المقدس فقد رفضت هذه النفوس تقبُّلَه ككلمة الله.

وهذا هو الغرض الذي يسعى الشيطان لتحقيقه . فلا شيء يرغب في تدميره أكثر من الثقة بالله وبكلمته . يقف الشيطان في طليعة جيش المتشككين العظيم ويبذل قصار اه في اغراء النفوس للانضمام الى صفوفه . لقد صار الشك أمرا مألوفا ومتمشيا مع موضة العصر . فثمة فئة كبيرة من الناس ينظرون الى كلمة الله نظرة الشك للسبب نفسه الذي من أجله يشكون في مبدعها: لانها توبخ الخطيئة وتدينه ا. فالذين لا يرغبون في إطاعة متطلبا تها يحاولون أن يهدموا سلطانه ا. انهم يقرأون الكتاب أو يصغون الى تعاليمه كما هي مقدمة من المنبر المقدس لمجرد البحث عن غلطة في الكتاب أو في العظة . وكثيرون يصيرون ملحدين لكي يجدوا تبريرا أو عذرا لاهمال واجبهم . وآخرون يعتنقون مبادئ تشكيكية بسبب الكبر ياء أو البلادة . فاذ يفرطون في حب الراحة بحيث لا يبرزون أنفسهم بانجاز أي عمل خليق بالكرامة ويتطلب بذل المجهود وانكار الذات فهم يهدفون الى الاشتهار بحكمة سامية بانتقادهم الكتاب المقدس. ثمة شيء كثير يعجز العقل المحدود غير المستنير بالحكمة الالهية [573] عن أن يدركه ، وهكذا يجدون مجالا للانتقاد . ويوجد الكثيرون ممن يبدو أنهم يحسون أن الفضيلة هي في الوقوف الى جانب عدم الايمان والشكوك والالحاد . ولكن تحت مظهر الاخلاص سيُرى أن مثل أولئك الناس مدفوعون بدافع الثقة بالنفس والكبرياء . كثيرون يسرون لو وجدوا في الكتاب المقدس شيئ ا يربك عقول الآخرين ويحيرهم . بعض

الناس في بادئ الامر ينتقدون ويتحاجون على الجانب المخطئ لمجرد حب الجدال . وهم لا يفطنون الى أنهم يوقعون أنفسهم في فخ الصياد . ولكن بما أنهم جاهروا بعدم الايمان فهم يحسون أنه ينبغي أن يثبتوا على موقفهم . وهكذا يتحدون مع الاشرار ويغلقون أبواب الفردوس بينما هم في خارجه .

أساس متين

لقد أعطى الله في كلمته البرهان الكافي على صفتها الالهية . فالحقائق العظيمة الخاصة بفدائنا مقدمة فيها بكل وضوح . وبمساعدة الروح القدس، التي وُعد بها كل من يطلبونها باخلاص، يستطيع كل انسان أن يفهم هذه الحقائق لنفسه. لقد منح الله الانسان أساسا راسخا يمكن أن يضع عليه ايمانه.

ومع ذلك فعقول الناس محدودة قاصرة عن أن تدرك ادراكا كاملا تدابير الله غير المحدودة ومقاصده . اننا لا نستطيع بالبحث والاستقصاء أن نجد الله . وينبغي الا نحاول أن نرفع بايدينا الوقحة الستار الذي يخفي الله جلاله خلفه . ان الرسول يهتف قائلا: "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!" (رومية ١١ : ٣٣). ففي وسعنا أن ندرك معاملاته معنا والبواعث التي تدفعه الى ذلك بحيث يمكننا أن نرى محبته ورحمته اللامحدودتين والمرتبطتين بالقدرة غير المتناهية. ان أبانا السماوي يدبر كل شيء بحكمة وعدل وعلينا ألا نتذمر أو نشك بل أن نسجد أمام الله في خضوع واحترام . انه سيعلن لنا مقاصده بقدر ما هو من صالحنا أن نعرفه، ولكن أكثر من هذا علينا أن نثق بيد الله القدير وقلبه المفعم بالمحبة. [574]

وفي حين أن الله أعطى البرهان الكافي للايمان فهو لن يلغي كل عذر لعدم الايمان . فكل من يبحثون عن خطاطيف يعلقون عليها شكوكهم سيجدونها . والذين يرفضون قبول كلمة الله واطاعته الى أن يُزال كل اعتراض ولا يعود بعد مجال للشك فلن يأتوا الى النور.

ان الشك في الله هو النتاج الطبيعي للقلب غير المتجدد الذي هو عداوة لله. أما الايمان فهو ما يلهمه الروح القدس، وهو سيزهر وينمو على قدر ما يتغذى. ولا يستطيع انسان أن يصير قويا في الايمان من دون أن يبذل جهدا وعزما. ان عدم الايمان يتقوى على قدر ما يجد تشجيعا، واذا كان الناس بدلا من التعويل على البراهين التي أعطاها لهم الله لاسناد ايمانهم يعمدون الى التساؤل والمماحكة فسيجدون أن شكوكهم تزداد رسوخا على الدوام.

لكنّ الذين يشكون في مواعيد الله ولا يثقون بيقين نعمته انما يهينونه، وهم بدلا من أن يجتذبوا الآخرين الى المسيح فهم يبعدونهم عنه. انهم أشجار عقيمة تنشر ظلالها القاتمة في كل مكان وتحجب نور الشمس عن النباتات الاخرى وتجعلها تذوي وتموت تحت ظلها القارس البرد . وسيظهر عمل اولئك الناس مدى الحياة شهادة ضدهم تبقى على الدوام . انهم يزرعون بذار الشك والالحاد الذي سينتج حصادا لا ينضب.

ليس أمام الذين يرغبون بكل اخلاص أن يتحرروا من الشكوك غير طريق واحد يسلكونه . فبدلا من التساؤل والمماحكة في ما لا يفهمونه ليلتفتوا الى النور الذي قد أشرق عليهم وحينئذ سيحصلون على نور أعظم . عليهم القيام بكل واجب اتضح أمام افهامهم وحينئذ سيكونون قادرين على فهم الواجبات التي يشكون فيها الآن وعلى القيام بها.

يستطيع الشيطان أن يقدم تقليدا للحق قريب الشبه به جدا بحيث يخدع الذين يرغبون في أن ينخدعوا والذين لا يرغبون في انكار الذات في التضحية اللذين يطلبهما الحق . ولكن يستحيل عليه أن يُبقي تحت

سيطرته نفسا واحدة [575] ترغب مخلصة في معرفة الحق مهما تكن الكلفة . ان المسيح هو الحق وهو "النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم" (يوحنا ١ : ٩). وروح الحق قد أرسل ليرشد الناس الى جميع الحق . وقد أعلن بناء على سلطان ابن الله هذا الوعد: "اطلبوا تجدوا" "ان شاء احد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم" (متى ٧: ٧ ؛ يوحنا ٧ : ١٧).

لا يعرف أتباع المسيح الا القليل عن المؤامرات التي يحيكها الشيطان وجنوده ضدهم . لكنّ الساكن في السموات سيسيطر على كل هذه المؤامرات لاتمام مقاصده العميقة . ان الرب يسمح أن يجتاز شعبه في بلوى التجربة المحرقة لا لانه يسر بوقوع الضيق أو البلوى عليهم بل لان هذه العملية لازمة وجوهرية لنصرتهم النهائية . انه لم يستطع، بما يتفق مع مجده، أن يقيهم من التجربة لان غاية التجربة هي اعدادهم لمقاومة كل مغريات الشر.

ولكنْ لا الناس الأشرار ولا الشياطين يستطيعون تعطيل عمل الله أو حجب وجهه عن شعبه اذا كانوا بقلوب خاضعة منسحقة يعترفون بخطاياهم ويتركونها، وبالايمان يتمسكون بمواعيده ويطالبونه به ا. فكل تجربة وكل تأثير معاكس سواء في السر أو العلانية يمكن مقاومته بنجاح "لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود" (زكريا ٤ : ٦).

قوة المهلك

"عينا الرب على الابرار واذناه الى طلبتهم ... فمن يؤذيكم ان كنتم متمثلين بالخير" (١ بطرس ٣ : ١٢ و ١٣). ان بلعام عندما بهره الوعد بمكافآت غنية سخية حاول استخدام عرافته ضد العبرانيين، واذ قدم محرقات الى الرب حاول أن يستنزل لعنة على شعبه، لكنّ روح الله منع الشر الذي تاق بلعام الى النطق به فأرغم على أن يصرخ قائلا: "كيف ألعن من لم يلعنه الله وكيف أشتم من لم يشتمه الرب ؟" "لتمت نفسي موت الابرار ولتكن [576] آخرتي كآخرتهم". وعندما قُدمت المحرقة مرة أخرى أعلن ذلك النبي الشرير قائلا : "اني قد أمرت أن أبارك فانه قد بارك فلا أرده . لم يبصر اثما في يعقوب ولا رأى تعبا في اسرائيل . الرب الهه معه وهتاف ملك فيه". "انه ليس عيافة على يعقوب ولا عرافة على اسرائيل . في الوقت يقال عن يعقوب وعن اسرائيل ما فعل الله". وللمرة الثالثة أق يمت المذابح وحاول بلعام مرة أخرى أن يستنزل لعنة . ولكن من بين شفتي ذلك النبي الكارهتين أعلن روح الله نجاح مختاريه ووبخ جهالة أعدائهم وخبثهم فقال : "مباركك مبارك ولاعنك ملعون" (سفر العدد ٢٣ : ٨ و ١٠ و ٢٠ و ٢١ و ٢٣ ؛ ٢٤ : ٩).

كان العب رانيون مخلصين في ولائهم لله في ذلك الوقت، وطالما كانوا مطيعين شريعته لم يكن في مستطاع قوة في الارض أو في الجحيم أن تقوى عليهم لكنّ بلعام الذي لم يُسمح له أن ينطق باللعنة على شعب الله نجح أخيراً في صبها عليهم عن طريق اغرائهم بارتكاب الخطيئة . فلما تعدوا وصا يا الله انفصلوا حينئذ عنه وتُركوا ليقاسوا قوة المهلك.

يعلم الشيطان جيدا أن أضعف نفس تثبت في المسيح هي أكثر من ند لجنود الظلمة، وانه لو أظهر نفسه جهارا سيجابَه ويقاوَم . ولذلك هو يحاول أن يستدرج جنود الصليب بعيدا من معاقلهم وحصونهم بينما يكمن لهم مع جنوده وهو على استعداد لاهلاك كل من يجرؤ على الاقتراب من أرضه . ونحن يمكننا بالاتكال المتواضع على الله وإطاعة وصاياه أن نكون في أمان.

لن يكون أي انسان في أمان يوما واحدا أو ساعة واحدة من دون صلاة . وينبغي لنا ع لى الخصوص أن نتوسل الى الرب في طلب الحكمة لفهم كلامه . ففي كلمة الله تُعلن مكايد المجرب ووسائل مقاومتها

بنجاح . ان الشيطان خبير في اقتباس الآيات الكتابية وهو يقدم تفسيره الخاص للفصول التي يؤمل أننا سنعثر فيه ا. فعلينا أن ندرس الكتاب بقلب متواضع ولا نغفل عن الا عتماد على [577] الله. ففي حين يجب علينا أن نكون على حذر دائما من مكايد الشيطان علين ا أن نصلي دائما بايمان قائلين: ”لا تدخلنا في تجربة“. [578]

الفصل الثالث و الثلاثون ـــ الخدعة الاولى العظيمة

منذ بدء تاريخ الانسان شرع الشيطان يبذل محاولاته ليخدع جنسن ا. فذاك الذي حرَّض ساكني السماء على الثورة اراد ان يجعل سكان الارض يشتركون معه في حربه ضد حكم الله وسلطانه . لقد كان آدم وحواء في منتهى السعادة وهما يطيعان شريعة الله، وكانت هذه الحقيقة شهادة دائمة ضد الادعاء الذي اشاعه الشيطان في السماء، والقائل بأن شريعة الله ظالمة وصارمة وهي تتعارض مع خير خلائقه . وفضلا عن هذا فإن الشيطان ثار حسده وهو يرى ذلك البيت الجميل الذي قد أعد لذينك الزوجين البارين، فعقد العزم على اسقاطهما، حتى اذا فصل بينهما وبين الله واخضعهما لسلطانه يمكنه ان يمتلك الارض، وفيها يوطد مملكته، ومنها يقاوم حكم الله العلي.

ولو كان الشيطان قد اظهر نفسه على حقيقتها لطرد في الحال لان آدم وحواء كانا قد أنذرا بالحذر من هذا العدو الخطر، لكنّه كان يحيك مؤامراته في الظلام مخفيا نواياه ليتمم غرضه ويصل الى هدفه بطريقة فعالة . واذ اتخذ الحية وسيلة ومطية له، وكانت آنذاك مخلوقة ساحرة في منظرها، تقدم من حواء فقال: ”أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟“ (تكوين ٣ : ١). ولو كفَّت حواء عن الدخول في جدال مع المجر ب لسلمت منه ،ولكنها خاطرت بنفسها بمناقشته فسقطت فريسة مكايده . وهكذا ينهزم كثيرون . فهم يشكون ويجادلون [579] في مطالب الله وبدلا من اطاعة الاوامر الالهية يقبلون النظريات البشرية التي تختفي تحتها مكايد الشيطان.

”فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجر ة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموت ا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح عينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر“ (تكوين ٣: ٢ ـــ ٥). لقد أعلن الشيطان انهما سيكونان كالله، اكثر حكمة وتأهلا لحالة وجود اسمى . وقد خضعت حواء للتجربة وبواسطة تأثيرها سقط آدم في الخطيئة. قبلا أقوال الحية ان الله لم يكن يعني ما قال . شكًّا في خالقهما وتصورا انه يحد من حريتهما وانهما قد يحصلان على حكمة عظيمة ورفعة وسمو لو تعديا شريعته.

ولكن ما المعنى الذي اكتشفه آدم بعد س قوطه للقول: ”يوم تأكل منه موتا تموت“؟ هل وجده يعني انه سيدخل حالة وجود اسمى كما قد جعله الشيطان يعتقد ؟ فلو كان الامر كذلك لكان في التعدي والعصيان فائدة وغُنم عظيمان ولتبرهن ان الشيطان محسن للجنس البشري ذو أياد بيض . لكنّ آدم لم يجد أن هذا هو معنى قول الله. وقد اعلن الرب لآدم انه لا بد ان يعود الى الارض التي منها أخذ قصاصا له على خطيئته. ”لأنك تراب والى تراب تعود“ (تكوين ٣ : ١٩). وقد تبرهن صدق قول الشيطان ”تنفتح اعينكما“ بهذا المعنى فقط . فبعدما عصى آدم وحواء الله انفتحت اعينهما ليريا جهالتهما ويفطنا الى غبائهم ا . لقد عرفا الشر وذاقا مرارة ثمار العصيان.

وفي وسط جنة عدن كانت توجد شجرة الحياة التي في ثمارها قوة على اطالة العمر . فلو ظل آدم مطيعا لله لكان قد بقي ينعم بالوصول بكل حرية الى هذه الشجرة ولكان يحيا الى الابد . ولكن عندما اخطأ حُرِّم عليه الاكل من شجرة الحياة فصار عرضة للموت . ان قول الله: ”انك تراب والى تراب تعود“ يشير

الى القضاء على الحياة قضاء مبرماً. [580]

ان الخلود الذي كان الانسان قد وُعد به لقاء الطاعة اضاعه بعصيانه . ولم يكن آدم يستطيع ان ينقل الى ذريته شيئا لم يكن هو يمتلكه، ولم يكن هنالك رجاء لجنسنا الساقط لولا ان الله جعل الخلود في متناول ايدينا اذ بذل ابنه لأجلن ا. ففي حين "اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع" فان المسيح "أنار الحياة والخلود بواسطة الانجيل" (رومية ٥ : ١٢ ؛ ٢ تيموثاوس ١ : ١٠). ولا يمكن الحصول على الخلود الا بواسطة المس يح وحده . وقد قال يسوع: "الذي يؤمن بالابن له حياة ابدية . والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة" (يوحنا ٣ : ٣٦). ويمكن لكل انسان ان يحصل على هذه البركة التي لا تقدر بثمن اذا تمم الشروط. كل "الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء" فسيحصلون على "الحياة الابدية" (رومية ٢ : ٧).

والشخص الوحيد الذي وعد آدم بالحياة مع العصيان هو المخادع العظيم . إن اعلان الحية لحواء في جنة عدن — "لن تموتا" — كان اول عظة القيت عن خلود النفس . لكنّ هذا الاعلان الذي يستند الى سلطان الشيطان لا سواه تردد صداه الم نابر في كل العالم المسيحي وغالبية بني الانسان يقبلونه بالسرعة نفسها التي قبله بها ابوانا الاولان . وان حكم الله القائل: "النفس التي تخطئ هي تموت" (حزقيال ١٨ : ٢٠) صار يعني ان النفس التي تخطئ لن تموت بل تحيا الى الابد . ولا يسعنا الا ان ندهش من الولع الغر يـ الذي يجعل الناس سذجا جدا بالنسبة الى اقوال الشيطان وعديمي الايمان جدا في ما يختص بأقوال الله.

ولو سمح للانسان بعد سقوطه بالتناول من ثمر شجرة الحياة لكان يحيا الى الابد، وهكذا كانت الخطية تبقى خالدة الى الابد . لكنّ الكروبيم ولهيب السيف المتقلب حرسا "طريق شجرة الحياة" (تكوين ٣ : ٢٤). ولم يسمح لأي واحد من بني آدم بتجاوز ذلك السياج ليتناول من الثمرة الواهبة الحياة . ولذلك فلا خاطئ خالداً. [581]

لكنّ الشيطان أمر ملائكته بعد السقوط ان يبذلوا جهدا خاصا في تلقين الناس عقيدة خلود النفس، واذ أغري الناس بقبول هذه الضلا لة كان عليهم ان يجعلوهم يستنتجون ان الخاطئ سيحيا في شقاء ابدي . والآن فها سلطان الظلمة وهو يعمل عبر اعوانه يصور الله طاغية محبا للانتقام، ويعلن انه تعالى يطرح في اعماق الجحيم جميع الذين لا يرضونه ويجعلهم يحسون بشدة وطأة غضبه مدى اجيال الابد، وفيما هم يقاسو ن اهوال العذاب الذي لا يوصف ويتلوون في النار الابدية فان خالقهم يشرف عليهم من عليائه بلذة ورضى وسرور.

الشيطان يسيء تمثيل الله

وهكذا يخلع العدو الاعظم (رئيس الشياطين) صفاته على خالق الشر والمحسن اليهم . ان القسوة هي من صفات الشيطان . لكنّ الله محبة، وقد كان كل ما خلقه طاهرا ومقدسا وجميلا الى ان دخلت الخطيئة الىالعالم بفعل العاصي الاول الاكبر . والشيطان نفسه هو العدو الذييجرب الانسان ليرتكب الخطيئة، وحينئذ يهلكه لو استطاع ذلك، وعندما يتمكن من فريسته فهو يبتهج بسبب الهلاك الذي قد صنعه . ولو سمح له فهو سيأخذ جنسنا كله في شبكته. فلولا تدخل قدرة الله لما نجا ابن أو ابنة من اولاد آدم.

يحاول الشيطان اليوم ان ينتصر على الناس كما قد انتصر على أبونا من قبل بزعزعة ثقتهم بخالقهم ودفعهم الى الشك في حكمته في الحكم وفي عدالة شرائعه . ويصور الشيطان وأعوانه الله على نحو اسوأ حتى منهم هم انفسهم لكي يبرروا خبثهم وتمردهم . ويحاول المخادع العظيم ان يلقي قسوته المريعة وتبعة

شر صفاته على ابينا السماوي لكي يبدو هو كمن قد ظلم ظلما صارخا عندما طرد من السماء لأنه رفض الخضوع لمثل ذلك الحاكم الظالم. وهو يعرض أمام العالم الحرية التي يمكنهم ان ينعموا بها تحت سلطانه الهادئ، على نقيض العبودية التي تفرضها أوامر الرب الصارمة . وهكذا ينجح في خداع النفوس وابعادها من الولاء لله. [582]

تعليم شائع

وكم هو ممقوت لكل من يحس بالمحبة والرحمة، وحتى لشعورنا بالعدالة، اعتقادنا ان الاموات الاشرار سيعذبون بالنار والكبريت في لهيب الجحيم الى الابد، وانهم لأجل الخطايا التي ارتكبوها مدى حياتهم القصيرة على الارض سيقاسون اهوال العذاب مدى اجيال أبدية الله . ومع ذلك فقد لُقن الناس هذه العقيدة التي انتشرت الى مدى بعيد ولا تزال مثبتة في عقائد العالم المسيحي . وقد قال احد دكاترة اللاهوت العلماء: "ان منظر عذابات الجحيم سيزيد من غبطة القديسين الى الابد . فعندما يرون غيرهم ممن لهم طبيعتهم نفسها ووُلدوا في ظروف شبيهة بظروفهم وقد غمرهم ذلك البؤس، أما هم فقد امتازوا عن اولئك التعساء ،فهذا سيجعل هم يحسون بعظمة سعادتهم". وقد نطق آخر بهذا القول: "عندما يُنفَّذ حكم الطرد والرفض على آنية الغضب فان دخان عذابهم سيصعد الى الابد أمام عيون أواني الرحمة الذين بدلا من مشاطرة اولئك الاشقياء في شقائهم سيقولون: آمين، هللويا ! سبحاً للرب!".

أين يوجد هذا التعليم على صفحات كلمة الله ؟ وهل المفتدون في السماء سيكونون مجردين من عواطف الرأفة والرحمة وحتى المشاعر البشرية التي يشترك فيها جميع بني الانسان ؟ وهل هذه ستُستبدل بعدم اكتراث الرواقيين او قسوة المتوحشين ؟ كلا، أبدا، فهذا ليس ما يعلم به كتاب الله . فأولئك الذين يقدمون الآراء المعبر عنها في الاقتباسات السابقة قد يكونون قوما علماء ومخلصين لكنهم مخدوعون بمغالطات الشيطان . فهو يجعلهم يسيئون فهم التعبيرات القوية الواردة في الكتاب اذ يصبغ لغة الكتاب بصبغة المرارة والخبث التي هي من خصائصه ولكن لا صلة لها بخالقنا، فهو الذي قال: "حي أنا يقول السيد الرب أني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون" (حزقيال ٣٣ : ١١).

أي كسب يناله الله لو أننا سلمنا بأنه يسر بمشاهدة خلائقه يعذبون عذابا ابديا، وأنه ينتعش وهو يسمع آهات خلائقه وصرخاتهم ولعناتهم وهم يتعذبون [583] محبوسين في نار الجحيم؟ وهل يمكن أن تكون هذه الصرخات المفزعة نغمات موسيقية في أذني المحبة السرمدية ؟ وقد قيل ان ايقاع الشقاء الابدي على العالم الشرير سيبرهن على كراهة الله للخطيئة كشر مدمر لسلام الكون ونظامه . يا لهذا من تجديف مخيف ! كما لو أن كراهية الله للخطيئة هي سبب دوامه ا. لأنه بناء على تعاليم هؤلاء اللاهوتيين فالعذابات التي لا تنقطع بلا رجاء في الرحمة مستقبلا تصيب اولئك الضحايا الاشقياء بالجنون، و اذ يعبرون عن اهتياجهم وغضبهم باللعنات والتجاديف يزيدون على مدى أجيال الابد من أحمال ذنوبهم اثقالا فوق أثقال . ان مجد الله لا يتحقق بالاستمرار في تكويم الخطايا مدى اجيال الابد.

شر ينجم عن الهرطقة

ليس في مقدور العقل البشري ان يقدر الشر العظيم الذي حدث بسبب ضلالة العذاب الابدي . ان دين الكتاب المقدس، المفعم بالحب والصلاح والفائض بالرحمة، يكتنفه ظلام الخرافات ويحاط بالرعب . وعندما نتأمل في أي من الالوان الخادعة التي صور بها الشيطان صفات الله فهل نستغرب اذا كان الناس يخشون من الخالق الرحيم ويرهبون جانبه ويرتعبون منه بل يبغضونه ؟ إن الآراء المرعبة عن الله، التي تُفهم من التعاليم التي تلقى من على المنابر في كل انحاء العالم، قد خلقت آلافا بل ملايين من المتشككين والملحدين.

ان نظرية العذاب الابدي هي احدى العقائد الكاذبة التي منها تتكون خمر رجس بابل التي تجعل كل الامم تشرب منها (رؤيا ١٤ : ٨ ؛ ١٧ : ٢). ان كون خدام المسيح قد قبلوا هذه الضلالة وجاهروا بها من المنابر المقدسة هو سر يعسر فهمه . لقد اخذوها عن روما كما قد أخذوا السبت الزائف . نحن لا ننكر ان الذين قد علّموا بها هم عظماء واخيار، لكنّ النور الخاص بهذا الموضوع لم يصل اليهم كما قد وصل الين ا. لقد كانوا مسؤولين عن النور الذي أشرق في أيامهم من دون سواه، أما نحن فمسؤولون عن النور الذي ينير في أيامن ا. فاذا [584] ارتددنا عن شهادة كلمة الله وقبلنا التعاليم الكاذبة لأن آباءنا علّموا بها فاننا نقع تحت الدينونة التي نطق بها الرب ضد بابل اذ نحن نشرب من خمر رجاساتها.

ينساق فريق كبير ممن تثيرهم وتنفرهم عقيدة العذاب الابدي الى الضلالة المضادة له ا. فهم يرون ان الكتاب المقدس يصور الله ككائن محب رحيم، ولذلك فلا يمكنهم ان يعتقدوا ان الله سيحبس خلائقه في نيران الجحيم المتقد ة الى الابد. ولكن لكونهم يعتقدون ان النفس خالدة بالطبع، فهم لا يرون بديلا سوى ان يستنتجوا ان كل بني الانسان سيخلصون اخير ا. وكثيرون يعتبرون ان التهديدات المذكورة في الكتاب قُصد بها اخافة الناس لتسوقهم الى الطاعة ولم يكن المقصود تنفيذها حرفي ا. وهكذا يمكن للخ اطئ ان يعيش في المسرات النفسانية مزدريا بمطالب الله ومع ذلك ينتظر ان يتلقّاه الله في النهاية بالرضى والقبول. مثل هذا التعليم الذي يجترئ على رحمة الله ويتجاهل عدالته في الوقت نفسه يسر القلب البشري ويشجع الاشرار على السير في طريق الاثم.

ولكي نبرهن كيف يحرف المعتنقون عقيدة الخلاص العام كلمة الله لتأييد عقائدهم المهلكة لنفوسهم يلزمنا فقط ان نقتبس اقوالهم . ففي حفل تأبين شاب غير متدين كان قد قُتل في حادث في التو والساعة اختار احد معتنقي عقيدة الخلاص العام هذه الآية الواردة عن داود: "تعزى عن أمنون حيث أنه مات" (٢ صموئيل ١٣ : ٣٩).

قال الخطيب: "كثيرا ما أسأل هذا السؤال: ما هو مصير اولئك الذين يتركون العالم وهم في خطاياهم ويموتون ربما وهم في حالة السكر ومخمورون، ويموتون وايديهم ملوثة بدماء ضحايا جرائهم، ولم يغسلوا ثيابهم، أو يموتون كما قد مات هذا الشاب الذي لم يقدم اعترافا ولا مرة واحدة او تمتع باختبار ديني ؟ اننا مكتفون بما ورد في الكتاب فجوابه فيه حل للمشكلة الخطيرة . لقد كان أمنون شريرا جدا ولم يتب عن خطاياه وكان قد سكر، وهو في حالة السكر قُتل . وكان داود نبيا لله، ولا بد أن يكون قد عرف ما اذا كان سيصيب أمنون خير أو شر [585] في العالم الآتي . فماذا كانت خلجات قلبه؟ "وكان داود يتوق الى الخروج الى أبشالوم لأنه تعزى عن أمنون حيث أنه مات" (٢ صموئيل ١٣ : ٣٩).

"وما هي النتيجة التي نخرج بها من هذا الكلام ؟ الا نفهم من هذا أن العذاب اللانهائي لم يكن ضمن عقيدته الدينية ؟ وهكذا نحن ندرك وهنا نكتشف حجة ظافرة لتأييد نظرية الطهارة والسلام النهائيين الشاملين، تلك النظرية الاعظم سرورا ونورا وتسامحا وحبا واحسان ا. لقد تعزى حيث أن ابنه مات . ولماذا هذا ؟ لأنه أمكنه بعين النبوة ان يرى ما سيحدث فيما بعد، يرى المستقبل المجيد، ويرى ذلك الابن بعيدا عن متناول كل التجارب ومتحررا من العبودية ومطهرا من مفاسد الخطيئة، وبعدما صار مقدسا ومستنيرا بالكفاية سُمح له بالانضمام الى محفل الارواح الصاعدة المتهللة . كان عزاءه الوحيد انه اذ نُقل

ابنه الحبيب من حال الخطيئة والالم تُسكب اسمى أشواق الروح القدس على نفسه المكتنفة بالظلام حيث ينكشف لعقله حكمة السماء وفرط السرور العذب الذي للمحبة الخالدة، وهكذا يؤهل بطبيعته المقدسة ليتمتع براحة الميراث السماوي وعشرة الابرار.

"ونحن بهذه الافكار نريد أن يُفهم عنا أننا نعتقد أن خلاص السماء لا يتوقف على أي شيء نفعله في هذه الحياة، لا على تغيير حالي في القلب ولا على عقيدة حالية او اعتراف حالي بالدين".

وهكذا نحن نسمع احد المدعوين خدام المسيح يردد الاكذوبة نفسها التي نطقت بها الحية في عدن حين قالت: "لن تموتا"، "وم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله". وهو يعلن ان انجس الخطاة، سواء كان قاتلا أو لصا او زانيا، سيكون بعد الموت مستعدا للدخول الى السعادة الابدية.

ولكن من اين يستنبط هذا المحرف لأقوال الله استنتاجاته هذه ؟ من عبارة واحدة نطق بها داود معبرا بها عن خضوعه لتصاريف العناية: "كان داود يتوق الى الخروج الى أبشالوم لانه تعزى عن أمنون حيث انه مات". فبما ان شدة [586] حزنه كانت قد خفت بمرور الوقت اتجهت افكاره من ابنه الميت الى ابنه الحي الذي قد نفى نفسه خوفا من قصاص جريمته العادل. وهذا هو البرهان على ان امنون، الذي كان قد ارتكب الفحشاء مع اخته والذي كان مخموراً، نقل ح ال موته الى مواطن الغبطة والسعادة حيث يتطهر ويؤهل لمعاشرة الملائكة الاطهار ! هذه خرافة لذيذة حقا كفيلة بأن تشبع القلب البشري. وهذه هي عقيدة الشيطان نفسها، وهي تنجز عمله بكل نجاح. فهل نستغرب انه مع وجود هذا التعليم يكثر الشر ويتفاقم ؟

ان الطريق الذي يسلك في ه هذا المعلم المحتكر الكاذب هو مثال لما يفعله كثيرون غيره. فبعض اقوال الكتاب تُفصل عن قرينتها التي في حالات كثيرة تبرهن على ان المعنى هو على عكس ما قد فُسر به تماما، ومثل هذه الفصول المفككة تُحرَّف وتستخدم كبرهان لاثبات تعاليم لا أساس لها في كلمة الله. ان الشهادة المقتبسة على أن أمنون الذي كان سكرانا هو في السماء انما هي اشارة تناقض على خط مستقيم التصريح الكتابي الايجابي القائل بأن السكيرين لا يرثون ملكوت الله (١ كورنثوس ٦ : ١٠). وبهذه الطريقة يحوِّل المتشككون وغير المؤمنين والملحدون حق الله الى كذب. وقد انخدع كثيرون بمغالطاتهم وهُزهزوا ليناموا في مهد الطمأنينة الشهوانية.

فلو كان حقا ان ارواح كثيرين من الناس تنتقل الى السماء مباشرة في ساعة الموت لكان لنا ان نشتهي الموت ونفضله على الحياة. لقد ساق هذا الاعتقاد كثيرين من الناس الى القضاء على حياتهم بالانتحار. فعندما تغمرهم الضيقات والمتاعب والارتباك والخيبة فانه يبدو امرا سهلا ان يفصموا ربط الحياة الواهنة ويصعدوا الى السعادة في دنيا الابد.

برهان ناصع

لقد قدم الله في كتابه البرهان الناصع الحاسم على انه لا بد ان يعاقب كل من يتعدون شريعته. فاولئك الذين يخدعون ا نفسهم بالقول ان الله أرحم من أن [587] ينفذ عدالته في الخاطئ عليهم فقط ان ينظروا الى صليب جلجثة. ان موت ابن الله الذي بلا عيب هو شهادة صريحة على ان "أجرة الخطيئة هي موت"، وان كل انتهاك لشريعة الله لا بد ان يوقع بالخاطئ الجزاء العادل. ان المسيح الذي بلا خطيئة صار خطيئة لأجل الانسان. لقد حمل جرم الخطيئة واحتجاب وجه الآب عنه حتى لقد انسحق قلبه وازهقت روحه. وقد قُدمت كل هذه التضحية لكي يُفتدى الخطاة. ولم تكن هنالك طريقة اخرى يتحرر بها الانسان من قصاص الخطيئة. فكل نفس ترفض الاستفادة من الكفارة التي قد أعدت بهذه الكلفة العظيمة لا

بد من ان يتحمل صاحبها بنفسه جريمة التعدي وقصاصه.

لنتأمل مليا في ما يعلم به الكتاب ايضا عن الأشرار وغير التائبين الذين يحاول الذين يعتقدون بالخلاص لجميع الناس اخيرا أن يجعلوهم في السماء كالملائكة القديسين المغبوطين.

"أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا" (رؤيا ٢١ : ٦). هذا الوعد مقدم الى العطاش وحدهم . ولا يمكن ان يُعطى الا لمن يحسون بحاجتهم الى ماء الحياة ويطلبونه حتى لو خسروا كل ما عداه. "من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً" (رؤيا ٢١ : ٧). هنا ايضا يحدد الرب الشروط . فلكي نرث كل شيء علينا اولا ان نقاوم الخطيئة وننتصر عليها.

اعلان صفات الله

ثم ان الرب يعلن على لسان اشعياء النبي قائلا: "قولوا للصديق خير"، "ويل للشرير شر لان مجازاة يديه تُعمل به" (اشعياء ٣ : ١٠ و ١١). والحكيم يقول: "الخاطئ وان عمل شرا مئ ة مرة وطالت أيامه الا اني أعلم انه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه . ولا يكون خير للشرير" (جامعة ٨ : ١٢ و ١٣). وبولس يشهد بأن الخاطئ يَذخَر لنفسه "غضبا في يوم الغضب واستعلان [588] دينونة الله العادلة الذ سيجازي كل واحد حسب اعماله"، "شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر" (رومية ٢: ٥ و ٦ و ٩).

"كل زانٍ أو نجس أو طماع، الذي هو عابد للاوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله" (افسس ٥ : ٥). "اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى احد الرب" (عبرانيين ١٢ : ١٤). "طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة. لأن خارجا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذبا" (رؤيا ٢٢ : ١٤ و ١٥).

لقد أعطى الله الناس اعلانا عن صفاته وطريقته في معاملة الخطيئة: "الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء حافظ الاحسان الى ألوف . غافر الاثم والمعصية والخطيئة ولكنه لن يبرئ ابراء" (خروج ٣٤ : ٦ و ٧). "يهلك جميع الاشرار". "أما الاشرار فيبادون جميع ا. عقب الاشرار ينقطع" (مزمور ١٤٥ : ٢٠ ؛ ٣٧ : ٣٨). ان قوة حكم الله وسلطانه سيستخدم ان في قمع كل عصيان، ومع ذلك فكل مظاهر عدالة الله في توقيع الجزاء متوافقة تماما مع صفات الله كالاله الرحيم والمحسن والطويل الاناة.

لا يرغم الله ارادة اي انسان او اختياره ولا يُسر بطاعة العبيد . فهو يرغب في أن الذين هم صنعة يديه يحبونه لأنه يستحق ان يُحب . وهو يريدهم أن يطيعوه لأن عندهم تقديرا ذكيا واعيا لحكمته وعدله واحسانه وحبه . وكل من يدركون هذه الصفات سيحبونه لأن إعجابهم بصفاته يجذبهم نحوه.

ان مبادئ الرفق والرحمة والمحبة التي علم بها مخلصنا وقدم عنها أمثالا وكان هو مثالنا فيها انما هي نسخة عن ارادة الله وصف اته. لقد أعلن المسيح انه لم يعلِّم الا ما قبله من أبيه . ومبادئ حكم الله متوافقة تمام مع وصية المسيح القائلة: "احبوا اعدائكم". والله يوقع احكام عدله على الاشرار لأجل خير المسكونة، بل حتى لأجل خير الذين يوقع عليهم احكامه . فهو يريد أن [589] يسعدهم اذا كان ذلك لا يتعارض مع شرائع حكمه وعدالة صفاته . وهو يحيطهم بدلائل محبته ويمنحهم معرفة شريعته ويسير وراءهم ليقدم اليهم هبات رحمته، ولكنهم يزدرون بمحبته ويستخفون بشريعته ويحتقرون رحمته . ومع انهم دائما يتقبلون هباته فانهم يهينون الواهب . وهم يبغضون الله لأنهم يعلم ون انه يمقت خطاياهم . والرب يحتمل فسادهم ويصبر على ذلك طويلا . لكنّ الساعة الحاسمة ستجيء اخيرا عندما يتقرر مصيرهم . فهل سيقبل

اولئك العصاة ويبقيهم الى جانبه؟ وهل يرغمهم على عمل ارادته ؟

ان الذين اختاروا الشيطان قائدا لهم فسيطر عليهم بقوته هم غير مستعدين للمثول في حضرة الله . فالكبرياء والمخاتلة والفجور والخلاعة والقسوة قد ثبتت في اخلاقهم . فهل يستطيعون دخول السماء ليعيشوا الى الابد مع الذين قد ازدروا بهم وابغضوهم وهم على الارض؟ ان الكذاب لا يمكنه ان يستسيغ الصدق او يرضى به، والوداعة لن تشبع نفس من يعظم نفسه او يسلك بالكبرياء، والطهارة غير مقبولة لدى الانسان الفاسد، والمحبة النزيهة لا تبدو جذابة للرجل الاناني . أي نبع للتمتع يمكن أن تقدمه السماء الى اولئك الناس المشغولين في مصالحهم الارضية الانانية ؟

هل يمكن للذين قضوا حياتهم في التمرد على الله ان ينتقلوا فجأة الى السماء ويشاهدوا الحالة السامية، حالة الكمال المقدسة الدائمة هناك — حيث كل نفس ممتلئة محبة وكل وجه مشرق بانوار الفرح، وحيث أنغام الموسيقى العذبة المفرحة تُسمع في تمجيد الله والحمل، وحيث أنهار النور الدائمة الجريان تفيض على المفتد ين من وجه الجالس على العرش — فهل يمكن للذين قلوبهم مفعمة بالكراهية لله وللحق والقداسة ان يندمجوا بين جموع السماويين ويشاركوهم في ترديد اناشيد الحمد ؟ وهل يستطيعون احتمال مجد الله والخروف ؟ كلا مطلقا، فلقد قدمت اليهم سنو الاختبار لعلهم يشكلون اخلاقهم لتكو ن كأخلاق السماويين . ولكنهم لم يدربوا عقولهم قط على حب الطهارة ولا تعلموا لغة السماء . والآن قد مضى الوقت . ان حياة العصيان لله التي عاشوها لم تؤهلهم للسماء . ان طهارتها وقداستها وسلامها تعذبهم، ومجد الله هو نار آكلة لهم . انهم يتوقون للهروب من ذلك الم كان المقدس . يرحبون بالهلاك ليستطيعوا [590] الاختباء من وجه ذاك الذي قد مات لكي يفتديهم . فمصير الاشرار يقرره اختيارهم نفسه . انهم يطردون انفسهم من السماء بمحض اختيارهم وهذا عدل من الله ورحمة.

رحمة الله

على غرار مياه الطوفان ستعلن نيران ذلك اليوم العظيم حكم الله بأن الاشرار لا يمكن اصلاحهم . فلا يوجد عندهم ميلا الى الخضوع لسلطان الله . لقد تدربت ارادتهم على التمرد والثورة، وعندما تنقضي الحياة سيكون قد مضى الوقت لتحويل مجرى تفكيرهم نحو الاتجاه المعاكس، سيكون قد مضى الوقت للرجوع من العصيان الى الطاعة ومن الكراهية الى المحبة.

ان الله اذ ابقى على حياة قايين القاتل قدم الى العالم مثالا لما كان يمكن ان ينتج لو سُمح للخاطئ ان يعيش ليظل سائرا في طريق الاثم الجامح . وبتأثير تعليم قايين ومثاله انساقت جماهير من نسله في طريق الخطيئة حتى ان "شر الانسان قد كثر في الارض"، "وكل تصو ر افكار قلبه انما هو شرير كل يوم" "فسدت الارض امام الله وامتلأت الارض ظلما" (تكوين ٦ : ٥ و ١١).

ان الله رحمة منه بالعالم محا كل سكانه الاشرار في ايام نوح . ورحمة منه ايضا أهلك سكان سدوم الفاسدين . وبسبب قوة الشيطان الخادعة يظفر فَعَلَةُ الاثم بالعطف والاعجاب، ولذلك فهم على الدوام يطوِّحون بالآخرين في طريق العصيان والتمرد . هذا ما حدث في ايام قايين ونوح وفي ايام ابراهيم ولوط، وهذا ما يحدث في ايامنا هذه. والله رحمة منه بالعالم سيهلك من يرفضون رحمته. [591]

اجرة الخطيئة

”اجرة الخطيئة هي موت واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع ربنا“ (رومية ٦ : ٢٣). ففي حين ان الحياة هي ميراث الابرار فالموت هو نصيب الاشرار. لقد أعلن موسى قائلا لاسرائيل: ”قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر“ (تثنية ٣٠ : ١٥). ان الموت المشار اليه في هذه الآية ليس هو الموت الذي حكم به على آدم لان كل بني الانسان يقاسون قصاص تعديه، ولكنه ”الموت الثاني“ الذي وضع على نقيض الحياة الأبدية.

وقد كان من نتائج خطيئة آدم ان الموت اجتاز الى الجنس البشري كله. فالجميع ينحدرون الى الهاوية على السواء. وعبر تدبير الخلاص سيخرج الجميع من قبورهم. ”سوف تكون قيامة للاموات الابرار والاثمة“، ”لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع“ (اعمال ٢٤ : ٢٥ ؛ ١كورنثوس ١٥ : ٢٢). ولكن سيكون هنالك فرق بين الذين سيخرجون من قبورهم من الفريقين: ”يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلو ا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة“ (يوحنا ٥ : ٢٨ و ٢٩). فالذين ”حسبوا اهلا“ لقيامة الحياة هم ”مباركون ومقدسون“، ”هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم“ (رؤيا ٢٠ : ٦). اما الذين لم يحصلوا على الغفران بواسطة التوبة والايمان فلا بد ان ينالوا قصاص تعدياتهم: ”اجرة الخطيئة“. وهم يقاسون قصاصا يختلف في مدته وشدته ”حسب اعمالهم“، ولكن اخيرا سينتهي امرهم بالموت الثاني. وحيث انه يستحيل على الله في حالة التوافق بين العدل والرحمة ان يخلص الشرير من خطاياه فسيحرمه من الوجود الذ ي قد خسره بسبب عصيانه والذي قد برهن هو على عدم استحقاقه اياه. وقد كتب كاتب ملهم يقول: ”بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع في مكانه فلا يكون“ (مزمور ٣٧ : ١٠) وهنالك آخر يعلن قائلا: ”ويكونون كأنهم لم يكونوا“ (عوبديا ١٦). فاذ يكونون مجللين بالعار يهبطون يائسين الى اعماق النسيان الابدي. [592]

نهاية الخطيئة

وهكذا تنتهي الخطيئة بكل ما نجم عنها من ويل وهلاك ودمار. يقول كاتب المزامير: ”اهلكت الشرير. محوت اسمهم الى الدهر والابد. العدو تم خرابه الى الابد“ (مزمور ٩ : ٥ و ٦). ويوحنا في رؤياه اذ نظر مستشفا المصير الا بدي سمع تسبيحة شكر لا يعكرها أو يفسدها أي تنافر في الاصوات. فكل خليقة في السماء والارض سُمعت وهي تنسب المجد الى الله (رؤيا ٥ : ١٣). وحينئذ لن تكون هناك نفوس هالكة لتجدف على الله وهي تتلوى من هول العذاب الذي لا ينتهي، ولن تكون في الجحيم ارواح شقية تختلط صرخاتها بأغاني المخلصين.

وعلى أساس ضلالة خلود النفس الطبيعي ترتكز عقيدة الوعي عند الموت، وهي عقيدة مناقضة لتعاليم الكتاب وما يمليه العقل ومشاعرنا البشرية، مثل عقيدة العذاب الابدي. وطبقا للاعتقاد الشائع يكون المفتدون في السماء على علم بكل ما يحدث على الارض، وعلى الخصوص ما له علاقة بحياة اصدقائهم الذين قد تركوهم خلفهم. ولكن كيف يمكن ان يكون نبع سعادة وفرح للاموات كونهم يعلمون بضيقات الاحياء ومتاعبهم، وكونهم يشاهدون الخطايا التي يرتكبها احباؤهم ويرونهم يقاسون الآلام والاحزان والخيبة والعذاب في حياتهم؟ وما مقدار ما يتمتع به في السماء من سعادة اولئك الذين كانوا يحومون حول اصدقائهم على الارض ؟ كم هو اعتقاد ممقوت ان يظن الانسان انه حالما تنطلق النسمة من الجسد تُحبس نَفْسُ الخاطئ في نيران الجحيم ! وما أعمق هوة العذاب التي ينحدر اليها اولئك الذين يرون اصدقاءهم ينحدر ون الى الهاوية وهم غير مستعدين ليدخلوا الى أبدية الويل والخطيئة ! ان كثيرين قد ساقهم هذا

الفكر المدمر الى الجنون.

ولكن ما الذي يقوله الكتاب عن هذه الامور ؟ أعلن داود أن الانسان يكون عديم الشعور عند موته اذ يقول: ”تخرج روحه فيعود الى ترابه في ذلك اليوم نفسه تهلك افكاره“ (مزمور ١٤٦ : ٤). وهذا هو ما يشهد به ايضا سليمان فيقول: ”لأن الاحياء يعلمون انهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئا“، [593] ”ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد الى الابد في كل ما عمل تحت الشمس“، ”ليس من عمل ولا اخت راع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب اليها“ (جامعة ٩ : ٥ و ٦ و ١٠).

عندما أضيفت الى حياة الملك حزقيا خمس عشرة سنة اجابة لصلاته قدم هذا الملك الشاكر ضريبة حمد وتسبيح لله لأجل رحمته العظيمة . وفي أغنيته هذه يخبرنا عن سبب ذلك الفرح فيقول: ”لأن اله اوية لا تحمدك الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون الى الجب امانتك . الحي الحي هو يحمدك كما انا اليوم“ (اشعياء ٣٨ : ١٨ و ١٩). ان علم اللاهوت المألوف يصور الابرار الموتى كمن هم في السماء وقد دخلوا الى السعادة وهم يسبِّحون الله بألسنة خالدة، ولكن حزقيا لم يمكنه ان يرى في الموت مثل هذا الانتظار المجيد . وشهادة المرنم تتفق مع كلامه اذ تقول: ”لأنه ليس في الموت ذكرك . في الهاوية من يحمدك“، ”ليس الاموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى أرض السكوت“ (مزمور ٦ : ٥؛ ١١٥ : ١٧).

صوت الرسل

وفي يوم الخمسين أعلن بطرس عن رئيس الآباء داود: ”انه مات ودُفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم“، ”لأن داود لم يصعد الى السموات“ (أعمال ٢ : ٢٩ و ٣٤). ان حقيقة كون داود باقٍ في القبر الى يوم القيامة هي برهان على كون الابرار لا يذهبون الى السماء عند الموت . انما فقط بواسطة القيامة وبفضل حقيقة ان المسيح قد قام يمكن لداود ان يجلس اخيرا عن يمين الله . وقد قال بولس: ”لأنه ان كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وان لم يكن المسيح قد قام فباطل ايمانكم . انتم بعد في خطاياكم . اذاً الذين رقدوا في المسيح ايضا هلكوا (١ كورنثوس ١٥ : ١٦ — ١٨). فاذا كان الابرار قد ذهبوا تواً الى السماء لمدة اربعة آلاف سنة حال موتهم فكيف أمكن لبولس ان يقول انه اذا لم تكن قيامة ”فالذين رقدوا في المسيح ايضا هلكوا“ ؟ اذاً فلم تكن ثمة ضرورة للقيامة. [594]

انٍ تندل الشهيد وهو يشير الى حالة الموتى أعلن قائلا: ”انني اعترف جهارا انني غير مقتنع انهم الآن في ملْءِ المجد الذي يوجد فيه المسيح او المجد الذي فيه الملائكة المختارون . وليس هو من مواد ايماني. لأنه ان كان الامر كذلك فأنا لا أرى الا ان الكرازة بقيامة الجسد امر عبث“ (٣٥٤).

انها حقيقة لا تنكر ان رجاء الخلود في السعادة عند الموت قد ادى الى تفشي اهمال عقيدة القيامة في الكتاب . وقد أبدى الدكتور آدم كلارك ملاحظة حول هذا الانحراف فقال: ”يبدو ان عقيدة القيامة كان المسيحيون الاولون يظنون أن لها قيمة وأهمية أعظم مما هي الآن ! وكيف هذا ؟ لقد كان الرسل يشددون عليها باستمرار وكانوا يحضون شعب الله على الاجتهاد والطاعة والفرح عن طريقه ا. لكنّ تابعيهم في هذه الايام قلما يذكرونها ! هكذا كرز الرسل وهكذا آمن المسيحيون الاولون، وهكذا نحن نكرز وهكذا يؤمن سامعون ا. ولا توجد في الكتاب عقيدة زاد التشديد عليها اكثر من ه ذه، ولا يوجد تعليم في نظام كرازتنا الحاضر يعامل باهمال اكثر من هذا التعليم !“ (٣٥٥).

وقد ظل الحال هكذا الى ان كاد حق القيامة يخفى ويغيب عن أنظار العالم المسيحي. ان كاتبا دينيا

مشهورا وهو يعلق على قول بولس الوارد في ١تسالونيكي ٤ : ١٣ — ١٨ قال: "لكل اغراض العزاء العملية نجد ان عقيدة خلود الابرار المبارك تتخذ بالنسبة الينا مكان عقيدة مجيء الرب الثاني المشكوك فيه ا. ففي موتنا يجيء الرب لأجلن ا. وهذا ما يجب ان ننتظره ونسهر لأجله . لقد انتقل الاموات الى المجد من قبل . وهم لا ينتظرو ن البوق لأجل محاكمتهم وسعادتهم". [595]

كلمات عزاء وتشجيع

لكنّ يسوع اذ كان موشكا ان يترك تلاميذه لم يقل لهم انهم سيأتون اليه سريع ا. فقد قال لهم: "انا امضي لاعد لكم مكان ا. وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتي ايضا وآخذكم اليَّ" (يوحنا ١٤ : ٢ و ٣). ثم ان بولس يخبرنا فوق ذلك ان "الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات في المسيح سيقومون اولا. ثم نحن الاحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذ ا نكون كل حين مع الرب". ثم يضيف قائلاً: "لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام" (١ تسالونيكي ٤: ١٦ — ١٨). ما أبعد الفرق الشاسع بين اقوال العزاء هذه وبين تلك الاقوال السالفة الذكر التي نطق بها ذلك الخادم الذي كان يعتنق عق يدة الخلاص العام ! ان ذلك الخادم عزى الاصدقاء المحزونين بأن اكد لهم انه مهما كان الشخص الذي مات خاطئا وشريرا فعندما اسلم حياته في هذا العالم قُبل من السماء واستقبلته الملائكة. لقد وجه بولس انظار اخوته الى مجيء الرب في المستقبل عندما تتحطم قيود القبر ويقوم "الاموات في المسيح" للحياة الابدية.

ولكن قبل دخول الناس منازل السعداء لا بد من فحص قضاياهم ولا بد من ان تمر اخلاقهم واعمالهم أمام عين الله الفاحصة . وسيدان الجميع كما هو مكتوب في الاسفار وسيجازى كل واحد بحسب اعماله . هذه الدينونة لا تت م عند الموت. لاحظوا ما يقوله بولس: "لانه أقام يوما هو فيه مزمع ان يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع ايمانا اذ اقامه من الاموات" (أعمال ١٧ : ٣١). هنا يبين الرسول بكل وضوح انه قد تعين وقت، كان مستقبلا حينئذ لدينونة العالم.

ويهوذا يشير الى ذ لك الوقت نفسه اذ يقول: "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام". ثم يقتبس اقوال اخنوخ فيقول: "هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه [596] ليصنع دينونة على الجميع" (يهوذا ٦ و ١٤ و ١٥). ويوحنا يعلن انه قد رأى "الاموات كبارا وصغارا واقفين أمام الله وانفتحت اسفار ... ودين الاموات مما هو مكتوب في الاسفار" (رؤيا ٢٠ : ١٢).

ولكن اذا كان الاموات قد قاموا وهم يتمتعون بسعادة السماء او يتلوون من أهوال نيران الجحيم فما الداعي لاقامة الدينونة في المستقبل ؟ ان تعاليم كلمة الله عن هذه الامور المهمة ليست غامضة ولا متناقضة، ويمكن للاذهان العادية ان تفهمه ا. ولكن اي عقل مخلص يمكنه ان يرى حكمة او عدلا في النظرية المألوفة ؟ فهل الابرار بعد فحص قضاياهم في الدينونة سيحصلون على هذا الثناء القائل: "نعما ايها العبد الص الح والامين ... ادخل الى فرح سيدك" في الوقت الذي يكونون فيه ساكنين في محضره ربما منذ اجيال طويلة ؟ وهل الاشرار يستدعون من موضع العذاب ليسمعوا الحكم عليهم من ديان كل الارض اذ يقول لهم : "اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية"؟ (متى ٢٥ : ٢١ و ٤١) يا لها من سخرية جسيمة ! ويا لها من تهمة معيبة ضد حكمة الله وعدالته!

ان نظرية خلود النفس كانت احدى تلك العقائد المغلوطة التي اذ اخذتها روما عن الوثنية ادخلتها في

دين العالم المسيحي . لقد اعتبرها مارتن لوثر ضمن "الخرافات الفظيعة التي تكوّن جزءا من كومة احكام روما البابوية" (٣٥٦). واذ كان ذلك المصلح يعلق على ما قاله سليمان في سفر الجامعة من ان الاموات لا يعلمون شيئا قال: "يوجد مكان آخر يبرهن ان الموتى "لا شعور عندهم" ثم قال : " لا يوجد هناك واجب او علم او معرفة او حكمة . ان سليمان يحكم بأن الأموات نيام ولا يحسون بشيء ابدا. لان الاموات يرقدون هناك غير حاسبين حسابا للايام او السنين، ولكن عندما يوقظون سيبدو وكأنهم لم يناموا أكثر من لحظة واحدة" (٣٥٧).

وليس في أي موضع في الكتب المقدسة تصريح بأن الابرار يذهبون الى ثوابهم او الاشرار الى عقابهم عند الموت . فلا احد من الآباء او الانبياء ترك مثل [597] ذلك اليقين. ولا المسيح او رسله قدموا اي تصريح في هذا الشأن . والكتاب يعلمنا بكل وضوح ان الاموات لا يذهبون تواً الى السماء . وهو يصورهم على انهم راقدون الى يوم القيامة. (١ تسالونيكي ٤ : ١٤ ؛ أيوب ١٤ : ١٠ ١٢). ففي اليوم نفس الذي فيه ينفصم حبل الفضة وينسحق كوز الذهب (جامعة ١٢ : ٦) تهلك افكار الانسان. واولئك الذين ينزلون الى الهاوية هم في حالة السكوت. انهم لم يعودوا يعرفون شيئا مما يعمل تحت الشمس (ايوب ١٤ : ٢١). ما أعظمها من راحة مباركة للابرار المتعبين ! فالزمن طال او قصر يشبه في تقديرهم لحظة عابرة، انهم ينامون ثم يستيقظون على صوت بوق الله الى خلود مجيد: "فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير ... ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٢ ٥٤). فاذ يُدعون ليستيقظوا من نومهم العميق يبدأون يفكرون من حيث كفوا عن التفكير. لقد كانت آخر الاحاسيس هي شوكة الموت، وآخر فكر كان هو انهم قد سقطوا تحت سلطان الهاوية . فعندما يخرجون من القبر فأول فكر مبهج لهم سيرن صداه في صيحة الانتصار القائلة: "اين شوكتك يا موت اين غلبتك يا هاوية ؟" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٥). [598]

الفصل الرابع و الثلاثون — مناجاة الارواح

ان خدمة الملائكة القديسين كما هي مقدمة في الكتب المقدسة هي حق معزٍ وثمين جدا لكل اتباع المسيح . الا ان تعليم الكتاب المقدس عن هذا الموضوع قد افسدته وحرفته التعاليم المغلوطة للاهوت المألوف . ان تعليم الخلود الطبيعي للنفس، الذي أخذ اولا عن الفلسفة الوثنية وفي ظلمة الارتداد العظيم أدخل الى العقيدة المسيحية قد احتل مكان الحق الذي علم به الكتاب بكل وضوح والقائل ان "الموتى لا يعلمون شيئاً". فجماهير كثيرة من الناس بدأوا يعتقدون أن أرواح الموتى هي "الارواح الخادمة المرسلة للخدمة لأجل العتيدين ان يرثوا الخلاص". وهذا على رغم شهادة الكتاب لوجود ملائكة السماء وارتباطهم بالتاريخ البشري قبل موت اي انسان.

ان عقيدة وعي الانسان بعد الموت وعلى الخصوص الاعتقاد القائل ان أرواح الموتى تعود لتخدم الاحياء قد مهدًّا الطريق أمام عقيدة مناجاة الارواح العصرية . فاذا كان يُسمح للموتى بأن يمثلوا أمام الله والملائكة القديسين ويمتازوا بمعرفة تفوق كثيرا ما كان لهم من قبل فلماذا اذاً لا يعودون الى الارض لانارة الاحياء وتعليمهم ؟ واذا كانت ارواح الموتى، كما يعلّم رجال اللاهوت المشهورون، تحوم حول اصدقائهم على الارض فلماذا لا يسمح لها بالاتصال بهم لتحذرهم من الشر [599] او تعزّيهم في احزانهم ؟ وكيف يستطيع الذين يعتقدون باحساس الانسان عند الموت ان يرفضوا ما يأتيهم على انه نور الهي اذ يصل اليهم بواسطة الارواح الممجدة ؟ هنا قناة تعتبر مقدسة، لكن الشيطان يتوس لها لاتمام اغراضه . فالملائكة الساقطون الذين ينفذون امره يبدو كأنهم رسل قادمون من عالم الارواح. ففي حين انهم يعترفون بوجود اتصال بين الاحياء والموتى فان سلطان الشر يستخدم تأثيره الساحر على عقولهم.

ان للشيطان سلطانا أن يُرى الناس أشباه اصدقائهم الراحلين . وان التزييف او التقليد كامل الاتقان، فالنظرة المألوفة والكلام والنغمة التي ينطق بها تنسخ وتمثل بدقة عجيبة . وكثيرون يتعزون بيقين كون احبائهم متمتعون بسعادة السماء، ومن دون ان يشكوا في وجود خطر يصغون الى "ارواح مضلة وتعاليم شياطين".

ومتى وصلوا إلى الاعتقاد بأن الموتى يعودون بالفعل للاتصال بهم فالشيطان يجعل الذين نزلوا الى قبورهم وهم غير مستعدين — يجعلهم يظهرون فيدعون بأنهم سعداء في السماء وان لهم مراكز سامية هناك، وهكذا ينتشر تعليم الضلالة أن لا فرق بين الابرار والاشرار . ان اولئك الادعياء القادمين من عالم الارواح ينطقون احيانا بانذارات وتحذيرات يتبرهن انها صحيحة . فمتى وثق بهم مشاهدوهم فهم حينئذ يقدمون تعاليم تقوض الايمان بالكتاب على نحو مباشر . فاذ يتظاهرون بأنهم يهتمون اهتماما عميقا بخير اصدقائهم الذين على الارض يدسون في عقولهم اخطر الضلالات . وحقيقة كونهم يق ررون بعض الحقائق ويستطيعون احيانا إنباءهم بحوادث عتيدة تضفي على تصريحاتهم مظهر الوثوق واليقين.
وكثيرون من الناس يقبلون تعاليمهم الكاذبة بسرعة ويصدقونها بثقة كما لو كانت هي اقدس حقائق الكتاب . وهكذا يلقي الناس بشريعة الله جانبا ويزدرون بروح النعمة ويحسبون دم العهد دنس ا. ان الارواح تنكر ألوهة المسيح بل تجعل الخالق نفسه في مستواه ا. وهكذا تحت قناع جديد لم يزل العاصي الاكبر يشهر

حربه ضد الله، تلك الحرب التي بدأت في السماء وظلت على الارض ردحا [600] من الزمن يقرب من ستة آلاف سنة.

مظاهر قوة فوق الطبيعة

يحاول كثيرون ان يعللوا ظهور الارواح فينسبونه الى الخداع وخفة اليد من جانب الوسطاء . ولكن مع حقيقة كون نتائج الاحتيال هذه كثيرا ما صورت على انها ظهورات حقيقية لوحظت ايضا بعض مظاهر قوة فائقة الطبيعة . ان القرع الغامض العجيب الذي بدئ به في عملية مناجاة الارواح الحديثة لم يكن نتيجة احتيال او دهاء بشري، بل كان عمل الملائكة الاشرار المباشر الذين ادخلوا ضلالة من انجح الضلالات لاهلاك النفوس . ان كثيرين سيؤخذون في الشرك بسبب الاعتقاد ان مناجاة الارواح هي مجرد خدعة بشرية، فمتى وقفوا وجها لوجه أمام ظهورات لم يسعهم الا ان يعتبروها مظاهر خارقة فسينخدعون وسينتهون الى الاعتقاد انها قوة الله العظيمة.

هؤلاء الناس يغفلون شهادة الكتاب المقدس عن العجائب التي صنعها الشيطان وأعوانه . فبمساعدة الشيطان استطاع سحرة فرعون ان يزيفوا عمل الله. وها هو بولس يعلن انه قبل المجيء الثاني للمسيح ستكون هنالك مظاهر مماثلة لقوة الشيطان . فسيسبق عمل الرب ”عمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة . وبكل خديعة الاثم“ (٢ تسالونيكي ٢ : ٩ و ١٠). والرسول يوحنا وهو يصف قوة صنع المعجزات التي ستظهر في الايام الاخيرة يعلن قائلا: ”ويصنع آيات عظيمة حتى انه يجعل نارا تنزل من السماء على الارض قدام الناس. ويضل الساكنين على الارض بالآيات التي اعطي ان يصنعها“ (رؤيا ١٣ : ١٣ و ١٤). فالذي انبئ به هنا ليس هو مجرد احتيال . فالناس ينخدعون بالآيات التي يستطيع أعوان الشيطان ان يصنعوها لا بما يتظاهرون بعمله. [601] [602]

سلطان الظلمة

ان سلطان الظلمة الذي قد ظل طويلا يستخدم قوى عقله الجبار في عمل التضليل يكيِّف تجاربه بكل مهارة مع الناس من كل الطبقات والحالات . فرجال العلم والثقافة والتهذيب يقدم اليهم ضلالة مناجاة الارواح في مظاهرها العقلية والعلمية المهذبة، وهكذا ينجح في ايقاع كثيرين في اشراكه . ان الحكمة التي تمنحها مناجاة الارواح يصفها يعقوب الرسول قائلا: انها ليست ”نازلة من فوق بل هي ارضية نفسانية شيطانية“ (يعقوب ٣ : ١٥). ومع ذلك فان المخادع العظيم يحاول ان يخفي هذا ويستره عن الناس طالما يخدم التستر اغراضه على احسن وجه . فذاك الذي أمكنه ان يبدو متسربلا بثياب احد السرافيم السماويين البهية اللامعة امام المسيح في برية التجربة يأتي الى الناس بمظهر جذاب جدا كملاك نور. انه يناشد العقل بتقديم مواضيع تسمو بالذهن، وهو يبهج المخيلة بمناظر مذهلة ويحث العواطف بتصويراته المنطقية البليغة للمحبة والاحسان. وهو يثير الخيال الى نزوات عالية جاعلا الناس يفتخرون بحكمتهم اذ انهم في اعماق قلوبهم يحتقرون الاله السرمدي. فذلك الكائن القوي الذي استطاع ان يأخذ فادي العالم الى جبل عظيم الارتفاع ويريه جميع ممالك الارض ومجدها سيقدم تجاربه الى الناس على نحو يفسد حواس كل من هم غير محتمين بقدرة الله.

يغوي الشيطان الناس الآن كما قد أغوى حواء في عدن بتملقاته، باشعال الرغبة في الحصول على المعرفة المحرمة، وباثارة الطموح نحو تعظيم الذات . ان احتضان الشيطان لهذه الشرور هو الذي تسبب في سقوطه وهو يهدف عن طريقها الى اهلاك الناس . وقد أعلن قائلا : "تكونان كالله عارفين الخير والشر" (تكوين ٣ : ٥). ان مناجاة الارواح تعلم ان "الانسان هو خليقة التقدم، وانه قدر له منذ ولادته ان يتقدم حتى الى الابدية نحو الالوهة". ثم يقولون ايضا: "كل عقل سيحاكم نفسه وليس آخر"، "والحكم سيكون صائبا لانه حكم الذات ... ان العرش هو في داخلك". وقد قال معلم روحاني اذ استيقظ "الوعي الروحي" في داخله: "ان بني جنسي كانوا جميعا انصاف آلهة غير ساقطين". كما يعلن آخر قائلا: "أي كائن عادل كامل فهو المسيح". [603]

وهكذا ففي موضع بر الاله السر مدي وكماله الذي هو موضوع العبادة الحقيقي، وفي موضع بر شريعته الكامل الذي هو نموذج الادراك البشري وضع الشيطان طبيعة الانسان نفسه، الشريرة المخطئة، كالموضوع الوحيد للعبادة والسجود والقانون الوحيد للحكم او نموذج الخُلق . هذا هو التقدم الى اسفل لا الى علُ.

نتغير بالرؤية

إن قانون الطبيعة العقلية والروحية كلتيهما أن الانسان يتغير بالرؤية . والعقل يكيّف نفسه بالتدريج مع المواضيع التي يُسمح له بالتأمل فيه ا. وهو يصير مشاكلا لما يعتاد ان يحبه ويوقره . والانسان لن يستطيع ان يرتفع او يسمو فوق النموذج الذي اتخذه لنفسه لل طهارة او الصلاح او الحق . فاذا كانت الذات هي مثله الاعلى فلن يبلغ الى ما هو اسمى من ذلك . بل سينحدر بالحري الى الدرك الأسفل . لكنّ نعمة الله وحدها هي التي تستطيع بأن تسمو بالانسان . اما اذا ترك وشأنه فلا بد من ان ينحدر الى الدرك الاسفل.

تقدم عقيدة مناجاة الار واح نفسها الى المنغمس في الملذات ومحب المسرات والشهواني متخفيَّة تحت قناع أقل احتيالا ودهاء من ذاك الذي تغشي ذاتها به امام من هم أكثر تهذيبا وثقافة، وفي اشكالها الاكثر سماجة يجدون ما يتفق مع ميلهم . ان الشيطان يدرس كل دليل على الضعف في الطبيعة البشرية ويلاحظ الخطايا التي يميل كل فرد الى ارتكابها، وحينئذ يحرص على توفير الفرص لاشباع ذلك الميل الى الشر . وهو يجرب الناس للافراط في ما هو مشروع في ذاته، وبذلك يُضعف قواهم الجسمانية والعقلية والادبية . لقد أهلك وما زال يهلك آلافا من الناس بواسطة الانغماس في الشهوات، و هكذا يجعل كل طبيعة الانسان بهيمية . ولكي يتمم عمله يعلن عبر الارواح ان "المعرفة الحقيقية تجعل [604] الانسان في وضع ارفع من كل الشرائع"، وان "ما يكون هو صواب" وان "الله لا يدين" وان "كل الخطايا التي ترتكب هي بريئة". وعندما ينساق الناس الى الاعتقاد ان الرغبة هي اسمى قانون، وان الحرية هي الإباحية وان الانسان مسؤول امام نفسه فقط فمن ذا الذي يستغرب عندما يتكاثر الفساد والانحطاط في كل مكان ؟ ان جماهير كثيرة من الناس يتقبلون بكل شغف التعاليم التي تترك لهم حرية إطاعة ايحاءات قلوبهم الشهوانية . فحبل التعفف وضبط النفس يلقى على غارب الشهوة، وتخضع قوى العقل والنفس للنوازع الحيوانية، وهكذا يطرب الشيطان ويفرح عندما يوقع في شبكته آلافا ممن يعترفون بأنهم أتباع المسيح.

ولكن لا حاجة بأحد الى ان ينخدع بالادعاءات الكاذبة التي يتشدق بها المتصلون بالارواح . لقد أعطى الله العالم نور ا كافيا به يستطيع الناس ان يكتشفوا الشرك. وكما قد برهنا من قبل نقول الآن ان النظرية التي هي اساس مناجاة الارواح هي في حال حرب مع أبسط اقوال الكتاب . فالكتاب يعلن ان الموتى لا

يعلمون شيئا وان افكارهم قد هلكت وان لا نصيب لهم في كل ما عمل تحت الشمس، وانهم لا يع لمون شيئا عن افراح الذين كانوا أعز الناس عليهم على الارض، ولا عن احزانهم.

الاتصال الممنوع

وأكثر من هذا فقد نهى الله نهيا صريحا عن كل ادعاء بالاتصال بأرواح الراحلين. وقد كان في أيام العبرانيين فريق من الناس يدعون ان لهم اتصالا بالموتى كما يدعي المتصلون بالارواح اليوم . لكنّ "ارواح العرافة"، كما كان يُدعى القادمون من العوالم الاخرى، يصفها الكتاب ب "ارواح شياطين" (قارن ما ورد في سفر العدد ٢٥: ١ — ٣ ؛ مزمور ١٠٦ : ٢٨ ؛ ١ كورنثوس ١٠ : ٢٠ ؛ رؤيا ١٦ : ١٤). ان عمل التعاطي مع ارواح العرافة حكم ع ليه بانه رجس امام الرب وقد نهي عنه نهيا علنيا قاطعا تحت قصاص الموت (لاويين ١٩ : [605] ٣١ ؛ ٢٠ : ٢٧) واسم العرافة او السحر نفسه يقابل اليوم بكل ازدراء. والادعاء بأن الناس يمكنهم ان يتصلوا بالارواح الشريرة يعتبر خرافة من خرافات العصور المظلمة . لكنّ مناجاة الارواح التي يبلغ عدد معتنقيها مئات الالوف بل الملايين والتي شقت لنفسها طريقا في الاوساط العلمية وغزت الكنائس ووجدت قبولا من الهيئات التشريعية وحتى في بلاط الملوك، هذه الخدعة الهائلة إن هي الا انتعاش في زي جديد للعرافة المحكوم عليها والمنهي عنه ا منذ القدم.

واذا لم يكن هناك بيّنة اخرى على الصفة الحقيقية لمناجاة الارواح فيكفي المسيحي ان يعلم ان الارواح لا تفرق بين البر والخطيئة وبين أنبل رسل المسيح واطهرهم وأنجس عبيد الشيطان . فاذ يصورون ارذل الناس على انهم في السماء ولهم فيها مكانة رفيعة فالشيط ان يقول للعالم: "مهما كنتم اشرارا جدا وسواء أكنتم تؤمنون بالله والكتاب ام كنتم تكذبونهما فذلك ليس بالامر الخطير . عيشوا كما يحلو لكم فالسماء هي موطنكم". ان المعلمين الروحانيين يعلنون في الواقع قائلين: "كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم . او اين اله العدل" (ملاخي ٢ : ١٧). وقد قالت كلمة الله: "ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما" (اشعياء ٥ : ٢٠).

يصوَّر الرسل الذين تقلدهم هذه الارواح الكاذبة كمناقضين لما قد كتبوه بوحي الروح القدس حين كانوا عائشين على الارض، وناكرين ان مصدر الكتاب هو الله، وهكذا يقوضون اساس الرجاء المسيحي ويطفئون النور الذي يكشف عن طريق السماء . ويوعز الشيطان الى العالم بأن الكتاب المقدس مجرد اوهام، او على الاقل لا يصلح للجنس البشري الا في ايام طفولته الاولى، اما الآن فيجب ان يستخف به او يلقى به جانبا كما لو كان شيئا مهملا . وفي مكان كلمة الله يعرض الشيطان الظهورات الروحانية، وهي سبيل للتعبير تحت سيطرته الكاملة، بها يستطيع ان يجعل العالم يعتقد بما يريد هو . فيضع في الظل الكت اب الذي سيدينه وتابعيه واعوانه، محققا بذلك رغبته . وهو يجعل مخلص العالم لا يزيد عن انسان عادي . وكما ان [606] عساكر الرومان الذين كانوا يحرسون قبر يسوع نشروا الخبر الكاذب الذي لقنهم اياه الكهنة والشيوخ ليكذبوا نبأ قيامته كذلك يحاول من يؤمنون بالاعلانات الروحانية ان يجعلوا الامر يبدو كما لو انه لا يوجد شيء عجائبي في ظروف حياة مخلصنا. فبعدما يحاولون بهذه الطريقة ان يضعوا يسوع في المؤخرة يوجهون انظار الناس الى معجزاتهم هم ويعلنون انها تفوق معجزات المسيح بمراحل.

مناجاة الارواح تغير شكلها

نعم،ان مناجاة الارواح تغير الآن شكلها، واذ تخفي بعضا من معالمها غير المقبولة تبدو في هيئة مسيحية . لكنّ تصريحاتها من المنبر والمنصة والصحف ظلت امام الجماهير سنين طويلة، وفي هذه كلها انكشفت صفتها الحقيقية للجميع، وهذه التعاليم لا يمكن اخفاؤها او انكارها.

وحتى في شكلها الحاضر هي أبعد من أن تكون محتملة أو متسامحا معها بالقياس الى ماضيها، بل هي اشد خطرا لكونها اعظم خبثا وخداعا. ففي حين انها كانت في البدء تشهِّر بالمسيح وبالكتاب المقدس فهي الآن تعترف بقبول الاثنين، لكنّ الكتاب يُفسر بطريقة تسر القلب غير المتجدد وترضيه في حين ان حقائقه الخطيرة الحيوية صارت عديمة التأثير . فالمحبة تعتبر اعظم صفات الله لكنها تنحط لتصبح رقة وعواطف ضعيفة لا تفرق كثيرا بين الخير والشر . ثم ان عدل الله، وذمَّة الخطيئة، ومطالب شريعته المقدسة كلها تقصى بعيدا عن الأنظار. والشعب يتعلم ان الوصايا العشر خطاب حرف ميت . والخرافات المسرة التي تخلب الألباب تأسر المشاعر وتجعل الناس يرفضون الكتاب كأساس لايمانهم. وفي الواقع يُنكر المسيح كما من قبل، لكنّ الشيطان قد أعمى أذهان الناس وعيونهم بحيث لا يفطن أحد الى الخدعة.

قليلون هم الذين لديهم اي ادراك عادل لقوة بدعة مناجاة الارواح الخادعة وخطر الوقوع تحت تأثيرها. وكثيرون يتحرشون بها لمجرد اشباع فضولهم . انهم لا يؤمنون بها ايمانا حقيقيا وهم يمتلأون فزعا ورعبا لمجرد فكرة اخضاع انفسهم [607] لسيطرة الروح . لكنهم يجازفون بالدخول الى الارض الحرام . وهنا يستخدم المهلك الجبار قوته وسلطانه معهم على رغم ارادتهم. فلو أمكن استمالتهم مرة لاخضاع عقولهم لتوجيهه فهو سيأسرهم ويستحيل عليهم بقوتهم الذاتية ان يتخلصوا من رقيته الخادعة المغرية الساحرة . ولا شيء غير قدرة الله التي تمنح اجابة لصلاة الايمان الحارة يستطيع ان ينقذ هذه النفوس التي علقت في الفخ.

ان كل من لهم نوازع خاطئة في اخلاقهم او يحتضنون خطيئة معروفة في اصرار يرحبون بتجارب الشيطان . فهم يفصلون انفسهم عن الله ورعاية ملائكته وحراستهم. واذ يقدم اليهم الشرير ضلالاته فلكونهم مجردين من كل وسائل الدفاع يسقطون بين يديه غنيمة باردة . والذين يضعون أنفسهم هكذا تحت سلطانه قلما يعرفون الى اين ينتهي بهم المطاف . فاذ يسقطهم المجرب سقوطا كاملا فهو يستخدمهم آلات في يده لتضليل الآخرين وايقاعهم في الهلاك.

”الى الشريعة والى الشهادة“

يقول اشعياء النبي: ”واذا قالوا لكم اطلبوا الى اصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين الا يسأل شعب الهه ؟ أيسأل الموتى لأجل الاحياء ؟ الى الشريعة والى الشهادة ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر“ (اشعياء ٨ : ١٩ و ٢٠). فلو كان الناس راغبين في قبول الحق المبين بكل وضوح في الكتب المقدسة عن طبيعة الانسان وحالة الموتى لرأوا في ادعاءات بدعة مناجاة الارواح واعلاناتها عمل الشيطان بقوة وبآيات وعجائب كاذبة . ولكن بدلا من التسليم بالحرية التي هي مقبولة جدا لدى القلب الشهواني، وبدلا من ان ينفضوا ايديهم من الخطايا التي يحبونها فان جماهير كثيرة من الناس يغمضون عيونهم كي لا يروا النور، ويتقدمون في طريقهم الى الامام غير مكترثين للانذارات، في حين ان الشيطان ينسج اشراكه حولهم وهكذا يصيرون فريسة له: ”لانهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولاجل [608] هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب“ (٢ تسالونيكي ٢: ١٠ و ١١).

ان الذين يقاومون تعاليم عقيدة مناجاة الارواح لا يهاجمون الناس وحدهم بل يهاجمون الشيطان

وملائكته . لقد اشتبكوا في حرب مع الرياسات والسلاطين وأجناد الشر الروحية اصحاب المقامات العلي ا. ولن يتخلى الشيطان عن موقع قدم من أرضه الا اذا كانت قوة رسل السماء تصده وتطرده . وينبغي لشعب الله ان يكونوا قادرين على منازلته كما قد فعل المخلص، بقولهم " مكتوب ". والشيطان يستطيع ان يقتبس الآيات الكتابية الآن كما في أيام المسيح، وهو سيحرِّف تعاليم الكتاب ليدعم بها ضلالاته . فالذين يريدون الثبات والصمود في هذا الوقت الخطِر ينبغي لهم أن يفهموا شهادة الكتاب لانفسهم.

سيُواجَه كثيرون بأرواح الشياطين وهي تقلد أقرباءهم أو أصدقاءهم الاحباء وتنطق بأخطر الضلالات . هؤلاء الزوار سيلجأون الى أرق عواطفنا ويصنعون عجائب لدعم ادعاءاتهم . فعلينا ان نتأهب للصمود أمامهم بقوة الحق الكتابي القائل ان الموتى لا يعلمو ن شيئا، وان الذين يظهرون هكذا إن هم الا أرواح شياطين.

ان أمامنا الآن "ساعة التجربة العتيدة ان تأتي على العالم كله لتجرب الساكنين على الارض" (رؤيا ٣ : ١٠). فكل الذين ليس ايمانهم ثابتا ولا مؤسَّسا على كلمة الله سينخدعون ويُغلبون. فالشيطان يعمل "بكل خديع ة الاثم" لكي يسيطر على بني الانسان وستزيد مخاتلاته باستمرار. ولكنه لا يستطيع ان يصل الى غرضه الا اذا خضع الناس لتجاربه بمحض اختيارهم. فالذين بكل غيرة يطلبون معرفة الحق ويجتهدون في تطهير انفسهم بالطاعة، وهكذا يفعلون ما في مقدورهم للتأهب للصراع، سيجدون في اله الحق حصنا قويا وملاذا أمين ا. "لانك حفظت كلمة صبري أنا أيضا سأحفظك" (رؤيا ٣ : ١٠). هذا ما وعد به المخلص . انه يسرع بارسال كل ملاك من [609] ملائكة السماء لحراسة شعبه ولا يترك نفسا واحدة متكلة عليه تنهزم أمام الشيطان.

يرينا النبي اشعياء الخدعة المخيفة التي ستأتي على الاشرار فتجعلهم يحسبون انفسهم في أمان من أحكام الله وعقوباته . فيقولون: "قد عقدنا عهدا مع الموت وصنعنا ميثاقا مع الهاوية . السوط الجارف اذا عبر لا يأتينا لاننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا" (اشعياء ٢٨ : ١٥). ويشمل هذا الوصف ايضا اولئك الذين في قساوتهم وعنادهم وصلابة قلوبهم يعزون انفسهم بيقين كاذب بأنه لن يكون هنالك قصاص يقع على الخاطئ، وان كل بني الانسان مهما بلغ فسادهم سيُمجَّدون في السماء ويكونون كملائكة الله . لكن الذين عقدوا عهدا مع الموت وص نعوا ميثاقا مع الهاوية بكل اصرار وقوة يرفضون الحقائق التي اعدتها السماء لتكون حصنا للابرار في يوم الضيق ويقبلون ملجأ الاكاذيب الذي يقدمه اليهم الشيطان بدلا منه، اي ادعاءات مناجاة الارواح الكاذبة.

ان عمى الناس في عصرنا هذا هو أمر مدهش يعجز المرء عن التعبير عنه . فآلاف الناس يرفضون كلمة الله كأنها غير جديرة بالثقة . وبثقة ولهفة يقبلون مخادعات الشيطان . والمتشككون والساخرون يذمون تعصب من يحاربون لأجل ايمان الانبياء والرسل ويهزؤون بالاعلانات الخطيرة التي في كتاب الله عن المسيح وتدبير الخلاص والجزاء الع ادل الذي سيحل بكل من يرفضون الحق . انهم يتصنعون الاشفاق العظيم على العقول الضيقة الضعيفة المتعلقة بالخرافات الى حد الاعتراف بمطالب الله وإطاعة مقتضيات الشريعة . ويظهرون يقينا عظيما كما لو أنهم حقا قد عقدوا عهدا مع الموت وصنعوا ميثاقا مع الهاوية، كما لو كانوا قد أقاموا حاجزا لا يمكن تخطيه أو اختراقه بينهم وبين انتقام الله . ولا شيء يمكن ان يثير مخاوفهم . لقد سلموا للمجرب تسليماً كاملا واتحدوا معه اتحادا وثيقا، وقد تشربوا روحه تماما وبكل اتقان بحيث لم تبق فيهم قوة ولا ميل عندهم للتخلص من أشراكه. [610] لقد ظل الشيطان يتأهب طويلا لصراعه الاخير لتضليل العالم . وكان اساس عمله التأكيد الذي قدمه الى حواء : "لن تموتا"، "يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تكوين ٣ : ٤ و ٥). وشيئا فشيئا اعد الطريق لطرفة مخا تلاته في نشر مناجاة الارواح . انه لم يصل بعد الى تحقيق اغراضه كاملة لكنه سيصل الى ذلك في الوقت الباقي . والنبي يقول: "رأيت ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع فانهم أرواح شياطين صانعة

آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء“ (رؤيا ١٦ : ١٣ و ١٤). وباستثناء المحفوظين بقوة الله وبالايمان بكلمته فالعالم كله سينساق وينحاز الى صفوف هذا الضلال . والناس يركنون بسرعة الى طمأنينة كاذبة ليوقظهم غضب الله الذي ينسكب عليهم.

يقول الرب الاله: ”واجعل الحق خيطا والعدل مطمارا فيخطف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة . ويمحى عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية. السوط الجارف اذا عبر تكونون له للدوس“ (اشعياء ٢٨ : ١٧ و ١٨). [611]

الفصل الخامس و الثلاثون ــــ حرية الضمير في خطر

يقابل البروتستانتُ في هذه الايام الكنيسة الكاثوليكية برضى وقبول أعظم مما في السنين الماضية . ففي البلدان ذات الاكثرية البروتستانتية، حيث يلجأ البابويون الى الطرق السلمية والحبية لكي يكون لهم النفوذ، ثمة جانب كب ير من عدم الاكترات بالنسبة الى العقائد التي تفصل الكنائس المصلحة عن النظم البابوية، ورأي يرسخ في الاذهان وهو اننا لا نختلف عن الفريق الآخر اختلافا حيويا كما كان يظن، وأن قليلا من الاذعان من جانبنا سيجعلنا في حالة تفاهم افضل مع روم ا. جاء على البروتستانت وقت كانوا فيه يقدرون حرية الضمير تقديرا عظيما، تلك الحرية التي قد اشتروها بثمن غال جد ا. لقد علموا اولادهّم ان يمقتوا البابوية، وكانوا يعتقدون ان محاولة الاتفاق مع روما انما هي خيانة لله . ولكن ما أبعد الفرق الآن بين هذا والمشاعر والعواطف التي يعبر عنها!

أما المدافعون عن البابوية فيعلنون أن الكنيسة قد أسيء اليه ا. والمسيحيون في العالم البروتستانتي يميلون الى قبول هذا التصريح . وكثيرون يلحون قائلين انه ليس من الانصاف الحكم على كنيسة اليوم بالرجاسات والسخافات التي اتصف بها حكمها في عصور الجهالة والظلام . وهم يعتذرو ن عن [612] قسوتها الرهيبة كنتيجة وحشية العصور السالفة ويقولون ان تأثير المدنية الحديثة قد غير من أفكارها ومشاعرها.

فهل نسي هؤلاء الناس ادعاء العصمة الذي ظل هذا السلطان المتعجرف يتشدق به لمدى ثماني مئة سنة ؟ وبدلا من التخلي عن هذا الادعاء فقد تثبت في القرن التاسع عشر بتأكيد اعظم مما سبق . وبما ان روما تصرح بأن الكنيسة "لم تخطئ وانها، بشهادة الكتاب، لن تخطئ ابدا" (٣٥٨) فكيف يمكنها ان تنبذ المبادئ التي اختطت لها الطريق في العصور السالفة ؟

لن تتنحى الكنيسة البابوية ابدا عن ادعائها العصمة . وكل ما فعلته باضطهادها الذ ين رفضوا تعاليمها تعتبره عين الصواب . فهل لن تكرر هذه الافعال نفسها لو اتيحت لها الفرصة ؟ فلو أزيلت الروادع التي تفرضها الحكومات الدنيوية وعادت روما الى قوتها وسلطانها السابقين فسرعان ما ينتعش طغيانها وتتكرر اضطهاداتها.

يتحدث كاتب مشهور عن موقف الحكومة البا بوية حيال حرية الضمير والمخاطر التي تتهدد الولايات المتحدة بنوع خاص من نجاح سياستها فيقول: "كثيرون يميلون الى ان ينسبوا أي خوف من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الى التعصب او الطياشة . مثل هؤلاء لا يرون شيئا في صفات الكاثوليكية واتجاهاتها معاديا لدساتيرنا و تشريعاتنا الحرة، ولا يرون ما ينذر بالشؤم من نموها وتقدمه ا. اذاً فلنقارن اولا بين بعض مبادئ حكومتنا الاساسية ومبادئ الكنيسة الكاثوليكية.

يكفل دستور الولايات المتحدة حرية الضمير، ولا شيء أعز ولا أثبت من ذلك. ويعلق البابا بيوس التاسع في براءته المؤرخة في ١٥ آب (اغسطس) من عام ١٨٥٤ قائلا: "ان التعاليم السخيفة المخطئة

والهذيان الذي به يدافعون عن حرية الضمير إنما هي ضلالة وبيلة وهي ضربة أخطر من كل ما عداها في أية دولة" . وهذا البابا نفسه في براءته الصادرة في ٨ كانون الاول (ديسمبر) عام [613] ١٨٦٤، لعن "اولئك الذين يؤكدون حرية الضميرة وحرية العبادة الدينية" وكذلك "كل من يصرحون بأن الكنيسة ينبغي الا تلجأ الى القسوة والعنف".

"لا تدل نغمة روما السلمية في الولايات المتحدة على تغيير القلب . انها تُظهر التسامح في الاماكن التي تكون فيها عاجزة لا حول لها ولا قوة . والاسقف اكونر يقول: "ان الحرية الدينية تُحتمل فقط الى الوقت الذي فيه يمكن تنفيذ القهر والارغام من دون أن يكون هنالك خطر على العالم الكاثوليكي"... وقال رئيس اساقفة سانت لويس مرة: "ان الهرطقة وعدم الايمان جريمتان، وفي الممالك المسيحية كما في ايطاليا واسبانيا مث لا حيث الشعب كله كاثوليكي وحيث الدين الكاثوليكي هو جزء جوهري من قانون البلاد تعاقب تانك الجريمتان كغيرهما من الجرائم".

"وكل كردينال ورئيس اساقفة واسقف في الكنيسة الكاثوليكية يحلف يمين الولاء للبابا، وفي تلك اليمين المقدسة ترد هذه العبارة: "اني سأضطهد وأقاوم بكل قوتي الهراطقة والمنشقين والعصاة على سيدنا الذي يدعى البابا وخلفائه""" (٣٥٩).

نحن لا ننكر أنه يوجد مسيحيون حقيقيون في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. فان آلافا من الناس في تلك الكنيسة يخدمون الله بحسب افضل نور معطى لهم . غير انه لا يسمح لهم بقراءة كل مة الله ولذلك لا يميزون الحق . وهم لم يروا قط الفرق بين الخدمة القلبية الحية وروتين الممارسات والطقوس . ان الله ينظر الى هذه النفوس باشفاق ورقة عظيمين اذ انها قد نشأت على ايمان لا يشبع النفس بل يغرر بها ويخدعه ا. وهو سيجعل أشعة النور تخترق الظلمات الكثيفة الت ي تكتنفهم . وهو سيعلن لهم الحق كما هو في يسوع، وكثيرون منهم سينضمون الى شعب الله.

لكن الكاثوليكية كنظام ليست متوافقة الآن مع انجيل المسيح كما كان الامر في اي حقبة من تاريخها الماضي . والكنائس البروتستانتية هي في ظلام [614] دامس والا لكانت تميز علامات الأزمنة . والكنيسة الكاثوليكية بعيدة المدى وواسعة الافق في خططها وفي أساليب عمله ا. انها تستخدم كل حيلة في سبيل نشر نفوذها ومضاعفة سلطانها استعدادا لحرب رهيبة في اصرار شديد لاسترداد سيادتها على العالم والعودة الى الاضطهاد وإبطال كل ما قد عملته البروتستانتية وهدمه . والكاثوليكية تستعيد ميادينها واراضيها في كل مكان . انظروا الى تزايد عدد كنائسها وأمكنة اجتماعاتها في الممالك البروتستانتية . انظروا الى شهرة كلياتها ومعاهد لاهوتها في الولايات المتحدة حيث يعضدها البروتستانت على اوسع مدى . ثم انظروا ايضا الى نمو الانظمة الطقسية في انجلترا وكثرة الارتداد الى صفوف الكاثوليك . هذه الامور يجب ان توقظ الجزع والخوف في قلوب كل من يقدرون مبادئ الانجيل النقية.

تواطؤ وتراخ

لقد هادن البروتستانت البابوية وناصروه ا. قبلوا بتسويات وقدموا تنازلات فوجئ البابويون انفسهم برؤيتها وعجزوا عن فهمه ا. فالناس يغمضون عيونهم من دون معرفة الصفة الحقيقية للكاثوليكية والمخاطر التي يُخشى منها بسبب سيادتها. فعليهم ان يستيقظوا لمقاومة زحف هذا العدو الاشد خطرا على الحرية المدنية والدينية.

يظن كثير من البروتستانت ان الدين الكاثوليكي غير جذاب وان العبادة فيه كئيبة والط قوس تمارس

على وتيرة رتيبة خرقاء . ولكنهم مخطئون في هذ ا. ففي حين ان الكاثوليكية مبنية على الخداع فهي ليست حيلة فظة سمجة . ان الخدمة الدينية في الكنيسة الكاثوليكية هي طقس مؤثر جد ا. فعرضها الجميل وطقوسها المهيبة تخلب وتسحر الناس وتسكت صوت العقل والضمير . والكنائس الفخمة والاحتفالات الفاخرة والمذابح الذهبية والهياكل المزينة بالجواهر والزخارف الغالية النادرة والتماثيل الرائعة كلها تؤثر في نفوس محبي الجمال. والاذن تؤسر كذلك . فالموسيقى لا تبارى ونغمات الارغن العذبة العميقة [615] التي تمتزج بترانيم الجوقات المتعددة الاصوات العذبة والتي ترتفع في أجواء القباب العالية ومماشي الكاتدرائيات الفخمة لا بد انها تملأ العقل بالهيبة والوقار

هذا الجمال الخارجي والفخامة والطقوس التي تسخر من أشواق النفس التي اسقمتها الخطيئة انما هي برهان على الفساد الداخلي . فدين المسيح في غير حاجة الى مثل هذه الجواذب للترويج له . ففي النور الذي ينبثق من الصليب تبدو المسيحية الحقيقية طاهرة وجميلة جدا بحيث انه لا توجد زينات خارجية ترفع من قيمتها الحقيقية . ان الزينة المقدسة التي هي زينة الروح الوديع الهادئ هي قدام الله كثيرة الثمن.

ليس أسلوب الانسان الم تأنق في كلامه دليلا اكيدا على سمو تفكيره وطهارته. فكثيرا ما يوجد الفكر الغني السامي والذوق المهذب الرقيق المتأنق في العقول الارضية الشهوانية . وكثيرا ما يستخدمها الشيطان ليسوق الناس الى نسيان حاجات النفس الضرورية حتى تغيب عنها الابدية وحياة الخلود لينصرف الناس عن معينهم السرمدي ويعيشوا لهذا العالم وحده.

ان الديانة السطحية تجذب القلب غير المتجدد . والفخامة والرسميات التي تُرى في العبادة الكاثوليكية لها قوة مضللة ساحرة ينخدع بها كثيرون ويبدأون ينظرون الى الكنيسة الكاثوليكية على أنها باب السماء نفسه . وليس من بره ان ضد تأثيرها غير اولئك الذين قد ثبتوا اقدامهم على أساس الحق وتجددت قلوبهم بقوة روح الله . وان آلافاً ممن لا توجد عندهم معرفة اختبارية للمسيح سيقبلون صورة التقوى من دون قوته ا. مثل هذا الدين هو ما تشتاق اليه جماهير غفيرة من الناس.

اجازة لفعل الشر

ادعاء ا لكنيسة بحقها في الغفران يجعل الكاثوليك يظنون ان لهم الحرية في ان يخطئوا، وفريضة الاعتراف التي من دونها لا يمكنها ان تمنح الغفران تقود [616] ايضا الى اباحة ارتكاب الشر . ان من يجثو امام انسان ساقط وبالاعتراف يكشف له عن مكنونات قلبه وافكاره انما يحقِّر رجولته ويحط م ن شأن كل قوة نبيلة في نفسه. واذ يكشف عن خطايا حياته للكاهن ــــ الذي هو انسان خاطئ مذنب، وغالبا ما تكون قد افسدته الخمر والخلاعة ــــ فان مقياس اخلاقه ينخفض ويكون من نتائج ذلك انه يتنجس . وينحط مفهومه الى شبه البشرية الساقطة لان الكاهن هو في نظره ممثل الله . ف هذا الاعتراف المذِل من انسان لانسان هو النبع الخفي الذي انبعث منه وفاض كثير من الشر الذي ينجس العالم ويعده للهلاك النهائي. ومع ذلك فان من يحب الانغماس في الخطيئة يفضل الاعتراف لانسان ساقط من ان يكشف خفايا قلبه ونفسه لله . انه أمر مقبول اكثر للطبيعة البشرية ان يقدم الانسان تكفيرا من ان يترك خطاياه . ويسهل على المرء ان يميت الجسد بالمسوح والاشواك والاغلال المزعجة ولا يسهل عليه أن يصلب شهوات الجسد . ان النير الذي يرغب القلب الجسداني ان يحمله لهو نير ثقيل ومع ذلك فهو يفضله على الانحناء تحت نير المسيح.

مشابهة مدهشة

توجد مشابهة مدهشة بين كنيسة روما والكنيسة اليهودية في ايام المجيء الاول للمسيح . ففي حين كان اليهود يدوسون في الخفاء على كل مبادئ شريعة الله كانوا في الظاهر مدققين جدا في حفظ وصاياها وكانوا يثقلونها بفروض وتقاليد جعلت اطاعتها امرا مؤلما وثقيلا . وكما كان اليهود يعترفون بانهم يوقرون الشريعة فكذلك يدعي الكاثوليك انهم يكرمون الصليب . فهم يرفعون رمز آلام المسيح هذا عاليا في حين انهم في حياتهم ينكرون ذاك الذي يرمز اليه.

يقيم البابويون الصلبان فوق كنائسهم وعلى مذابحهم وثيابهم . وفي كل مكان ترى علامات الص ليب مكرَّمة ومرفوعة حسب الظاهر . لكنّ تعاليم المسيح تدفن تحت اكوام من التقاليد العديمة المعنى والتفاسير الكاذبة والفرائض الصارمة . وتنطبق اقوال المخلص عن اليهود المتعصبين بقوة اعظم على قادة كنيسة روما: "انهم يحزمون احمالا ثقيلة عسرة [617] الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم" (متى ٢٣ : ٤). ان النفوس المستقيمة تظل دائما في رعب مستمر اذ تخشى غضب الله وسخطه بينما كثيرون من احبار الكنيسة يعيشون حياة التنعم والملذات الشهوانية.

ان عبادة التماثيل وذخائر القد يسين والتوسل الى القديسين وتمجيد البابا كلها من حيل الشيطان لكي يجتذب افكار الناس بعيدا من الله وابنه . ولكي يتمم هلاكهم يسعى الى تحويل انتباههم بعيدا عن ذاك الذي فيه من دون سواه يجدون الخلاص . انه سيوجههم الى اي شخص آخر يمكن ان يستعاض به عن ذاك الذي قال: "تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا اريحكم" (متى ١١ : ٢٨).

يحاول الشيطان دائما تشويه صفات الله وطبيعة الخطيئة والنتائج الحقيقية المستهدفة للخطر في الصراع الهائل . وتقلل مغالطاته من التزام حفظ شريعة الله وتبيح للناس ارتكاب الخطيئة . وهو في الوقت نفسه يجعلهم يفكرون افكارا كاذبة عن الله بحيث يخافونه ويبغضونه بدلا من ان يحبوه . فالقسوة التي هي غريزية فيه ينسبها الى الخالق، وهي تُجسَّم في النظم الدينية ويُعبَّر عنها في طرق العبادة . وهكذا تعمى اذهان الناس، ويبقيهم الشيطان تحت سيادته ويستخدمهم و سائل في يده لمحاربة الله . ان الامم الوثنية بتصوراتهم الفاسدة لصفات الله انساقوا الى الاعتقاد بلزوم تقديم الذبائح البشرية للحصول على رضى الله، وما كان ارهب ضروب القسوة التي ارتكبت في اثناء ممارسة الطقوس الوثنية المختلفة!

لجأت كنيسة روما الكاثوليكية، التي ضمت الطقوس الوثنية الى الطقوس المسيحية وتشبهت بالوثنية في تشويه صفات الله، لجأت الى ضروب ليست أقل قسوة او اثارة مما كان يمارسه الوثنيون . ففي أيام سيادة روما تعددت أساليب تعذيب الناس وارغامهم على قبول تعاليمه ا. منها الاعمدة التي كان يربط اليها من يُحرقون لر فضهم قبول ادعاءاتها وإجابة مطالبه ا. ومنها ايضا مذابح قتل كثيرة [618] شديدة الهول . ولن تعرف هذه الفظائع حتى تتكشف في يوم الدين . ان احبار الكنيسة تعلموا من الشيطان، معلمهم، كيف يبتكرون وسائل لايقاع اقسى التعذيبات الممكنة من دون أن يقضوا على حياة ضحاياهم . وفي حالات كثيرة كانت تلك العملية الجهنمية تتكرر الى اقصى حدود الاحتمال البشري، الى ان استسلمت الطبيعة في صراعها وكان المعَّذبون يرحبون بالموت كراحتهم العذبة المشتهاة.

تدريب الكنيسة

كان هذا هو مصير خصوم روم ا. اما مشايعوها واتباعها فكان من ضروب تدريبهم وترويضهم ا لجلد والتجويع الى حد الموت وضروب القسوة المختلفة على الجسد في مختلف اشكالها المحزنة للقلب التي يمكن تصوره ا. فلكي يظفر التائبون برضى السماء كانوا ينتهكون شرائع الله بانتهاك نواميس الطبيعة . لقد تعلموا ان يفصموا الاواصر التي كانت قد تكونت لتبارك الانسان وتسع ده في ارض غربته . ان المقابر الملحقة بالكنائس تحتضن ملايين الضحايا الذين قضوا حياتهم في محاولات فاشلة لاخضاع عواطفهم الطبيعية وكبت كل فكر واحساس بالعطف على بني جنسهم على اعتبار انه مغيظ لله.

واذا كنا نرغب في ادراك قسوة الشيطان المتعمدة التي اظهرها مدى مئات السنين ليس فقط نحو من لم يسبق لهم ان سمعوا عن الله بل ايضا في كل انحاء العالم المسيحي فعلينا فقط ان نطلع على تاريخ الكنيسة البابوية . فمن خلال نظام الخداع الهائل هذا يحقق سلطان الشر اغراضه لجلب العار على الله والشقاء على الانسان . واذ نرى كيف ينجح في التنكر وانجاز عمله بواسطة قادة الكنيسة يمكننا ان ندرك ادراكا أكمل لماذا هو ينفر من الكتاب المقدس هذا النفور العظيم . فلو قرأ الناس هذا الكتاب لاعلن لهم رحمة الله ومحبته وانه لا يحملهم ايًّا من تلك الاحمال الثقيلة، بل كل ما يطلبه منهم هو القلب المنكسر والمنسحق والروح المتواضعة المطيعة. [619]

قلب المخلص المحب

والمسيح لا يقدم نفسه مثالا للناس، الرجال منهم او النساء، ليحبسوا انفسهم في الاديرة فيصيروا اهلا للسماء . وهو لم يعلم ابدا ان المحبة والعطف ينبغي كبتهم ا. لقد كان قلب المخلص يفيض بالحب . وكلما كان الانسان اقرب الى الكم ال الاخلاقي صارت مشاعره اشد حساسية وزادت حدة شعوره بالخطيئة وتعمَّق عطفه على المجرَّبين . ان البابا يدعي انه نائب المسيح ، ولكن كيف تستطيع اخلاقه ان تحتمل المقارنة بصفات مخلصنا ؟ فهل سُمع عن المسيح انه قد القى بانسان في السجن او طرحه على آلة التعذيب لانه لم يقدم اليه الولاء كملك السماء ؟ وهل سمعه احد يحكم بالموت على من لم يقبلوه ؟ وعندما أهانه شعب قرية من قرى السامريين امتلأ يوحنا الرسول غضبا وسأله قائلا: "يا رب أتريد ان نقول ان تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل ايليا ايضا"؟ فنظر المسيح الى تلميذه في اش فاق ووبخ روحه الجافية بقوله: "لان ابن الانسان لم يأت ليهلك انفس الناس بل ليخلص" (لوقا ٩ : ٥٤ و ٥٦). فما أبعد الفرق بين هذه الروح التي اظهرها المسيح وذاك الذي يعتبر بأنه خليفته!

اما الآن فان كنيسة روما تقدم الى العالم جبهة حسنة وجميلة اذ تحاول باعتذاراتها ان تغطي اعمال الوحشية والقسوة التي ارتكبته ا. لقد تسربلت بثوب يشبه ثوب المسيح ولكنها هي هي لم تتغير . فكل مبدأ من مبادئ البابوية التي كانت في العصور السالفة، لا تزال باقية الى اليوم . والتعاليم التي ابتكرت في أظلم العصور ما زالوا متمسكين به ا. فلا يخدع ن احد نفسه . ان البابوية التي يميل البروتستانت اليوم الى اكرامها هي هي التي حكمت على العالم في ايام الاصلاح عندما وقف رجال الله مخاطرين بحياتهم ليفضحوا آثامه ا. ان لها الكبرياء والادعاء المتعجرف نفسيهما اللذين دفعاها الى الاستبداد بالملوك والامراء والى الادعاء بامتيازات الهية . وروحها ليس اقل قسوة او طغيانا الآن مما كانت عندما سحقت الحرية البشرية وذبحت قديسي العلي. [620]

ان البابوية هي كما قد انبأت عنها النبوات أنها ستكون، اي الارتداد في الايام الاخيرة (٢ تسالونيكي ٢ : ٣ و ٤). ويُعتبر جزءاً من سياستها انتحال الصفة التي تخدم اغراضها اجلّ خدمة . وتحت مظهر

الحرباء السريع التلون تخفي سم الحية الناقع الاكيد المفعول الذي لا يتغير . انها تعلن قائلة: "ينبغي الا يبقى الايمان محفوظا عند الهراطقة او من يتهمون بالهرطقة" (٣٦٠). فهل هذه القوة او هذا السلطان الذي قد كتب تاريخه لمدى الف عام بدم القديسين يُعترف به الآن على انه جزء من كنيسة المسيح؟

تغيير في البروتستانتية

ان التصريح الذي أدلت به بعض البلدان البروتستانتية بان الاختلاف بينها وبين الكاثوليكية اقل الآن مما كان قبلا لم يكن بلا سبب . فلقد حدث تغيير ولكنه لم يتناول البابوية. وفي الواقع تشبه الكاثوليكية الى حد كبير الكثير من الطوائف البروتستانتية المعاصرة بعدما انحطت البروتستانتية كثيرا جدا عما كانت في أيام المصلحين.

فاذ كانت الكنائس البروتستانتية تخطب ود العالم فقد أعمت المحبة الكاذبة عيون شعوبها. انهم لا يرون الا انه من الصواب ان يعتقدوا بالخير في كل شر، والنتيجة المحتومة هي انهم في النهاية سيعتقدون بالشر في كل خير . فبدلا من ان يقفوا للدفاع عن الايمان المسلم مرة للقديسين تراهم الآن كما لو كانوا يعتذرون الى روما عن موقف الجفاء الذي اتخذوه منها ويطلبون الصفح عن تصلبهم . ان فريقا كبيرا من الناس، حتى من الذين لا ينظرون الى كنيسة روما بعين الرضا، لا يوجسون خوفا من خطر جسيم من قوتها ونفوذها. وكثيرون يدافعون عنها قائلين ان الظلمة العقلية والاخلاقية التي كانت سائدة في العصور الوسطى اعانت على نشر تعاليمها وخرافاتها وظلمها، وان الذكاء والمعرفة المتزايدة في العصر الحديث وانتشار المعرفة وزيادة التساهل في أمور الدين تحرِّم انتعاش التعصب والطغيان . ان مجرَّد التفكير في ان مثل هذه الحالة ستوجد في هذا العصر المستنير هو امر يسخر منه الناس . نحن لا [621] ننكر ان نورا ثقافيا وأدبيا ودينيا عظيما يشرق على هذا الجيل . فمن كلمة الله المقدسة المفتوحة أشرق على العالم نور من السماء . ولكن لنذكر انه كلما زاد النور المعطى كلما زادت ظلمة الذين يحورونه ويرفضونه.

درس الكتاب بروح الصلاة

ولو درس البروتستانت الكتاب بروح الصلاة لرأوا الصفة الحقيقية للبابوية ولجعلهم ذلك يمقتونها وينبذونها. لكنّ كثيرين هم حكماء في غرورهم بحيث لا يحسون بحاجتهم الى طلب وجه الله بتذلل ليرشدهم الى الحق . ومع انهم يفاخرون بالنور الذي عندهم فانهم لا يعرفون الكتب ولا قوة الله . ينبغي لهم ان يجدوا وسيلة لتهدئة ضمائرهم ولذلك يطلبون الوسيلة الاقل روحانية والتي ليس فيها اذلال كبير لهم . فما يرغبون فيه هو وسيلة بها ينسون الله وتظهر للناس كأنها تذكرهم به . والبابوية تصلح تماما لسد حاجة امثال هؤلاء الناس جميعا. فهي معدة لفريقين من بني الانسان يشملان العالم كله تقريبا : اولئك الذين يريدون ان يخلصوا باستحقاقهم واولئك الذين يريدون ان يخلصوا في خطاياهم. هنا سر قوة البابوية.

جاءت على البابوية ايام كانت فيها الظلمة العقلية العظيمة عاملة على تقدمها ونجاحها. وسيظهر مع ذلك ان ايام الاستنارة العقلية العظيمة تعمل ايضا بالقدر نفسه على نجاحها. ففي العصور السالفة عندما كان الناس محرومين من كلمة الله ومن معرفة الحق كانوا معصوبي الاعين، وقد وقع آلاف منهم في الشرك اذ لم يروا الفخاخ والشباك المنصوبة لا رجلهم. اما في هذا العصر فيوجد كثيرون ممن قد بهرهم

لمعان نور الآراء البشرية، "العلم الكاذب الاسم"، فلا يرون الشبكة، ويسقطون فيها بسرعة كما لو كانت عيونهم معصوبة . لقد قصد الله ان يعتبر الانسان القوى العقلية هبة مقدمة اليه من جابله وان تستخدم في خدمة الحق والبر، ولكن متى احتضن الناس الكبرياء والطموح واعتبروا آراءهم ونظرياتهم ارفع من كلمة الله فحينئذ يكون الذكاء ابلغ ضررا من الجهل . وهكذا فالعلم الكاذب في [622] هذه الايام، الذي يقوض ايمان الناس بالكتاب، سيبره ن على نجاحه في تمهيد الطريق لقبول البابوية بطقوسها المسرة كما قد نجح حبس المعرفة والنور عن الناس في فتح الطريق لتعظيم البابوية في عصور الظلام.

في الحركات الجارية في الولايات المتحدة في هذه الايام لكي تظفر مؤسسات الكنيسة وممارساتها بمعاضدة الدولة نرى البرو تستانت سائرين في اثر خطوات البابويين . بل اكثر من هذا فانهم يفتحون الباب على مصراعيه لتسترد البابوية في امريكا البروتستانتية، السيادة التي كانت قد خسرتها في العالم القديم. والذي يضفي على هذه الحركة أهمية اعظم هو حقيقة كون الغرض الاهم الذي فكروا فيه هو ارغام الشعب على حفظ يوم الاحد، وهذه عادة صدرت اصلا من روما التي تعتبرها سمة ورمزا لسلطانه ا. انها روح البابوية، اي روح الامتثال للعادات العالمية واكرام تقاليد الناس اكثر من وصايا الله، ما يتسرب الآن الى الكنائس البروتستانتية ويسوقهم الى تعظيم يوم الاحد نفسه، الام ر الذي سبقتهم البابوية الى عمله.

القوة الزمنية تسند الكنيسة

اذا اراد القارئ ان يفهم ويعرف العوامل التي ستستخدم في الصراع الوشيك الوقوع فما عليه الا ان يتتبع تاريخ الوسائل التي قد استخدمتها كنيسة روم للغرض نفسه في العصور السالفة . ولو اراد ان يعرف كيف سيت عامل البابويون والبروتستانت متحدين معا مع من يخالفون او يرفضون تعاليمهم فلينظر الى الروح التي اظهرتها روما نحو السبت والمدافعين عنه.

ان المنشورات الملكية والمجامع العامة وفرائض الكنيسة التي يعضدها السلطان الدنيوي كانت هي الخطوات التي بواسطتها وصل العيد الوثني الى مركز الكرامة في العالم المسيحي . فاول اجراء عام لفرض حفظ يوم الاحد كان القانون الذي اصدره قسطنطين في عام ٣٢١ للميلاد (انظر التذييل) وطلب فيه من سكان المدن ان يستريحوا في "يوم الشمس الوقور"، الا انه سمح [623] للفلاحين بأن يواصلوا ممارسة اعمالهم الزراع ية. فمع انه كان في الواقع قانونا وثنيا فقد فرضه الامبراطور عقب قبوله المسيحية قبولااسميا.

عقيدة تلاقي رواجاً

ان المنشور الملكي إذ لم يبرهن على انه بديل كافٍ للسلطة الالهية فان اوسابيوس، الذي كان اسقفا يطلب رضى الامراء وكان صديق قسطنطين الخاص ومتملِّقه ايضا، تقدم بادعاء كون المسيح قد ابدل السبت بالاحد . ولكن لم تقدم شهادة من الكتاب المقدس واحدة كبرهان على صدق العقيدة الجديدة . ثم ان اوسابيوس نفسه يعترف سهوا بكذب ادعائه ويشير الى المتسببين الاصليين في التغيير، فيقول: "كل الاشياء التي يقتضي الواجب عملها في يوم السبت قد حولناها الى يوم الرب" (٣٦١). لكنّ حجة يوم الاحد، مع انها على غير اساس، جرأت الناس على أن يطأوا سبت الرب تحت اقدامهم . فكل من كانوا

يرغبون في الكرامة العالمية قبلوا العيد الشائع.

فلما ثبّتت البابوية قدمها استمر تمجيد يوم الاحد . وقد ظل الناس مشغولين بعض الوقت باعمالهم الزراعية عندما لم يذهبوا الى الكنيسة، وظل يوم السبت معتبرا يوم الراحة . و لكن حدث تغيير تدريجي، فالذين كانوا يشغلون وظائف مقدسة حرم عليهم ان يصدروا حكما في اي خصومة مدنية يوم الاحد . وبعد ذلك بقليل امر كل الناس من جميع الطبقات ان يكفو ا عن مزاولة عملهم العادي والا فرضت غرامة على الاحرار والجلد على العبيد . وبعد ذلك صدر أمر بحرمان الاغنياء الذين ينتهكون كرامة يوم الاحد من نصف املاكهم، واخيرا اذا ظلوا مصرين على عنادهم ينبغي بيعهم كعبيد . اما الطبقات الدنيا فكان عقابهم هو النفي مدى الحياة.

وفي هذا ايضا استندوا الى العجائب، ومنها ان احد الفلاحين كان مزمعا ان يحرث حقله يوم الاحد، وفيما كان ينظف محراثه بقطعة حديد لصقت بكفه وظلت [624] عالقة بيده سنتين كاملتين، "الامر الذي زاد من آلامه وخزيه" (٣٦٢).

وبعد ذلك اصدر البابا توجيهاته بان يُنذر كاهن الا برشية مَن يدنسون يوم الاحد ويطلب منهم الذهاب الى الكنيسة لتلاوة صلواتهم لئلا تحل كوارث عظيمة بهم وبجيرانهم . وان مجمعا اكليريكيا قدم حجة استخدمت منذ ذلك الحين على نطاق واسع، حتى بواسطة البروتستانت، تقول انه لكون بعض الاشخاص قد صُعقوا بالبرق وهم يشتغلون يوم الاحد فلا بد ان يكون هو يوم الرب . وقد قال الاساقفة: "يظهر ان غضب الله كان عظيما عليهم جدا بسبب اهمالهم هذا اليوم". وقد قدم طلب يقول ان الكهنة والخدام والملوك والامراء وكل الناس الامناء "عليهم ان يبذلوا قصارى جهدهم واهتمامهم حتى تعود الى هذا اليوم كرامته، ولاجل كرامة المسيحية يجب حفظه بكل خشوع وورع في الايام المقبلة" (٣٦٣).

لا سلطان كتابياً

وإذ تبين ان احكام المجامع لا تكفي استعين بالسلطات الدنيوية على اصدار منشور يوقع الرعب في قلوب الشعب ويرغمهم على الامتناع عن العمل يوم الاحد . ففي مجمع عقد في روما اثبتت القرارات السالفة على نحو رسمي حازم. وقد أدمجت ايضا ضمن القانون الاكليريكي ـــ الحق القانوني ـــ ونفذتها السلطات المدنية في كل انحاء العالم المسيحي تقريبا (٣٦٤).

ولكن عدم وجود سلطان كتابي يأمر بحفظ يوم الاحد تسبب في كثير من الحيرة والارتباك . وقد تس اءل الشعب عن حق معلميهم الذي يخولهم ان يلقوا جانبا اعلان الرب القاطع الذي يقول: "اما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك" لكي يكرموا يوم الشمس ويحفظوه . فلكي يُسدّ النقص في الشهادة الكتابية كان لا بد من ايجاد وسائل اخرى . وكان احد الناس الغيورين على انتصار يوم الاحد قد زار كنائس انجلترا في اواخر القرن الثاني عشر فقاومه شهود الحق الامناء، وقد كانت جهوده عبثا بحيث رحل عن تلك البلاد بعض الوقت،وكان يفكر [625]

في بعض الوسائل لفرض تعاليمه على الناس . وعندما عاد سُدت الحاجة وكللت اعماله بعد ذلك بنجاح اعظم : فقد احضر معه سفرا يدل على انه من الله نفسه، فيه الامر المطلوب لحفظ يوم الاحد مع تهديدات رهيبة ليرعب بها العصاة . فهذه الوثيقة الثمينة التي هي تقليد دنيء كالوصية التي تؤيدها ـــ قيل انها سقطت من السماء ووجدت في اورشليم على مذبح القديس سمعان في جلجثة. لكنّ الحقيقة هي ان ق صر البابا في روما كان هو المصدر الذي خرجت منه. ان الاحتيال والتزوير لأجل نجاح قوة الكنيسة

وتقدمها وازدهارها اعتبرا في كل العصور مشروعين في نظر السلطة البابوية .

وقد نهى ذلك السفر عن العمل من الساعة التاسعة اي الثالثة بعد ظهر يوم السبت الى شروق شمس يوم الا ثنين، واعلن ان سلطانه قد ثبت بمعجزات كثيرة. وأشيع ان الناس الذين اشتغلوا اكثر من الساعة المحددة ضُربوا بالفالج . وان طحانا حاول ان يطحن حنطته فرأى بدلا من الدقيق سيلا من الدم يخرج من الطاحون، ثم وقفت عجلة الطاحون برغم قوة اندفاع الماء الذي يديره ا. وان امرأة وضعت عجينا في الفرن ليصير خبزا فلما اخرجته وجدته عجينا كما كان على رغم شدة حرارة النار في الفرن . ثم ان امرأة اخرى كان معها عجين لتخبزه في الساعة التاسعة، لكنها وضعته جانبا الى يوم الاثنين فوجدته في اليوم التالي مصنوعا في هيئة ارغفة ومخبوزا بقوة الله . وان ر جلا خبز خبزا بعد الساعة التاسعة في يوم السبت لما كسر رغيفا منه في اليوم التالي وجد دما يخرج منه، بمثل هذه الخزعبلات والاختلاقات السخيفة حاول المدافعون عن يوم الاحد ان يثبتوا قدسيته (٣٦٥).

وفي اسكوتلانده كما في انجلترا امكن حفظ يوم الاحد على نحو افعل بكونهم ضموا اليه جزءا من يوم السبت القديم . لكنّ اختلافا حصل حول بداية اليوم المقدس . وقد صدر منشور من قبل ملك اسكوتلانده يقول: "يوم السبت من الساعة الثانية عشرة ظهرا ينبغي اعتباره مقدسا"، وكان يجب الا يزاول اي انسان عملا عالميا من تلك الساعة الى صباح يوم الاثنين (٣٦٦). [626]

ولكن على رغم كل المحاولات لتقديس يوم الاحد اعترف البابويون انفسهم جهارا بالسلطان الالهي ليوم السبت وبأن البشر هم الذين سنوا قانونا بابداله بالاحد. ففي القرن السادس عشر اعلن مجمع بابوي قائلا بكل وضوح: "ليذكر المسيحيون ان اليوم السابع يوم قدسه الله وقد قبله وحفظه لا اليهود وحدهم بل ايضا جميع الذين يقولون انهم يعبدون الله، مع اننا نحن المسيحيين قد ابدلنا سبتهم بيوم الرب" (٣٦٧). وكل الذين كانوا يعبثون بشريعة الله لم يكونوا يجهلون صفة عملهم. لقد تعمدوا ان يجعلوا انفسهم فوق الله.

مثال مدهش

وقد قُدم الينا مثال مدهش عن سياسة روما تجاه من خالفوها في اضطهادها الدامي الطويل الامد للولدنسيين الذين كان بعض منهم يقدسون السبت. وقد قاسى غيرهم مثل تلك الآلام بسبب ولائهم للوصية الرابعة . ان تاريخ أثيوبيا (الحبشة) له معناه الخاص وأهميته العظيمة .ففي وس ط قتام العصور المظلمة الحالك أغفل المسيحيون العائشون في أواسط افريقيا وغابوا عن أنظار العالم الذي نسيهم، ولمدى قرون طويلة ظلوا ينعمون بالحرية في ممارسة ايمانهم . ولكن اخيرا علمت روما بوجودهم وسرعان ما تحايلت على امبراطور الحبشة ليعترف بالبابا على انه نائب المسيح. وقد تلت ذلك تصريحات اخرى. فقد صدر مرسوم يحرِّم حفظ يوم السبت تحت اقسى العقوبات (٣٦٨). ولكن سرعان ما صار طغيان البابا نيرا مراً وثقيلا حتى عول الاحباش على كسره عن اعناقهم . فبعد صراع رهيب نفوا البابويين من ارضهم واستعادوا عقيدتهم القديمة. وقد تهللت الكنائس بحريتها ولم ينسوا قط الدرس الذي تعلموه عن مخاتلات سلطان روما وتعصبها واستبداده ا. وقد قنعوا بالبقاء في داخل دائرتهم مجهولين من باقي العالم المسيحي.

لقد كانت كنائس افريقيا تحفظ السبت كما كانت تفعل الكنيسة البابوية قبلما ارتدت تمام ا. ففي حين كانوا يحف ظون السبت اطاعة لوصية الله امتنعوا عن مزاولة اعمالهم في يوم الاحد تمشيا مع عادة الكنيسة . فلما اشتد ساعد [627] كنيسة روما وقويت شوكتها داست على سبت الله لترفع من شأن يومه ا. لكنّ كنائس افريقيا التي ظلت في الظل قرابة الف سنة لم تشاركها في هذا الارتداد، فلما خضعت تل ك

الكنائس لسيادة روما ارغمت على القاء السبت الحقيقي جانبا وتمجيد السبت الزائف وحفظه، ولكن ما ان استعادت استقلالها حتى عادت الى اطاعة الوصية الرابعة (انظر التذييل).

تعلن سجلات الماضي هذه بكل جلاء عداء روما للسبت الحقيقي والمدافعين عنه والوسائل التي تستخدمها لتكرم القانون الذي هو من ابتكاره ا. ان كلمة الله تعلن ان هذه المشاهد ستتكرر عندما تجتمع كلمة الكاثوليك والبروتستانت لتعظيم يوم الاحد واكرامه.

الوحش بقرني خروف

تعلن النبوة المذكورة في رؤيا ١٣ ان القوة التي يرمز اليها الوحش الذي له قرنان شبه خروف ستجعل "الارض والساكنين فيها" يسجدون للبابوية، المرموز اليها هناك بالوحش الذي هو "شبه نمر". والوحش الذي له القرنان ايضا سيقول "للساكنين على الارض ان يصنعوا صورة للوحش". وزد على ذلك فانه سيأمر الجميع "الصغار و الكبار والاغنياء والفقراء والاحرار والعبيد" ان يقبلوا سمة الوحش (رؤيا ١٣ : ١١ — ١٦). لقد تبرهن ان الولايات المتحدة هي القوة المرموز اليها بالوحش الذي له قرنان شبه خروف وان هذه النبوة ستتم عندما ترغم الولايات المتحدة الناس على حفظ يوم الاحد الذي تدعي روما انه اعتراف خاص بسيادته ا. لكنّ الولايات المتحدةّ لن تكون هي الوحيدة في تقديم ولائها الى البابوية . فنفوذ روما في الممالك التي كانت قبلا تعترف بسيادتها لم يبطل بعد . والنبوة تنبئ بأنها ستسترد سلطانه ا. "ورأيت واحدا من رؤوس ه كأنه مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شفي وتعجبت كل الارض وراء الوحش" (رؤيا ١٣ : ٣). ان ايقاع هذا الجرح المميت بالوحش يشير الى سقوط البابوية في عام ١٧٩٨ . وبعد هذا يقول النبي: "جرحه المميت قد شُفي وتعجبت كل الارض وراء [628] الوحش". وبولس يعل ن بكل وضوح ان "انسان الخطيئة" سيبقى الى المجيء الثاني (٢ تسالونيكي ٢: ٣ — ٨). وسيظل قائما باعمال الخداع وبنشرها الى انقضاء الدهر . والرائي يعلن مشيرا ايضا الى البابوية قائلا: "فسيسجد له جميع الساكنين على الارض الذين ليست اسماؤهم مكتوبة ... في سفر حياة الخروف" (رؤيا ١٣ : ٨). ففي الدنيا القديمة والدنيا الجديدة ستقبل البابوية السجود في الاكرام الذي يكنّه الناس لشريعة يوم الاحد التي تستند استنادا كليا الى سلطة كنيسة روما.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قدم تلاميذ النبوة في الولايات المتحدة هذه الشهادة الى العا لم. ونحن نرى في الاحداث الجارية اليوم تقدما سريعا نحو اتمام هذه النبوة . فلدى المعلمين البروتستانت ادعاء السلطة الالهية نفسه لحفظ يوم الاحد والنقص ذاته في البرهان الكتابي كما هي الحال مع القادة البابويين الذين قد اخترعوا قصة المعجزات لتشغل مكان أمر الله . ان التصريح بان ضربات الله تحل بالناس جزاء تدنيسهم لكرامة يوم الاحد سيتكرر . وقد بدئ بالتشديد عليها من فوق المنابر . وتوجد حركة لارغام الناس على حفظ يوم الاحد وهي سريعة الانتشار.

ان كنيسة روما عجيبة في مكرها ودهائه ا. فهي تستطيع ان تقرأ ما سيكون. وتنتظر وقتها اذ ترى ان الكنائس البروتستانتية تقدم اليها الولاء بقبولها سبتا زائفا وانها تتأهب لفرضه بذات الوسائل التي استخدمتها هي نفسها في الأيام السالفة . والذين يرفضون نور الحق سيستعينون بهذا السلطان الذي يدعي لنفسه العصمة ليمجدوا قانونا صدر منه . وما اسرع م ا تخف الى معو نة البروتستانت في هذا العمل، اذ ليس من الصعب ان يخمن الانسان ذلك . من يفهم افضل من الرؤساء البابويين كيف يتعامل مع من يعصون اوامر الكنيسة؟

تكوِّن كنيسة روما الكاثوليكية بكل فروعها الممتدة في انحاء العالم نظاما واحدا متسعا تحت سيادة الكرسي البابوي، والقصد منه خدمة مصالحه . ويتعلم ملايين المنتمين اليها في كل قطر على سطح الارض ان يعتبروا انفسهم [629] مرتبطين بالولاء للباب ا. واياً تكن قوميتهم او حكومتهم فانه يطلب منهم ان يعتبروا سلطة الكنيسة فوق كل سلطة اخرى . ومع انهم يُقسمون يمين الولاء للدولة، فان خلف هذا يوجد النذ ر بالطاعة لروما الذي يحلهم من كل عهد آخر يضر بمصالحها.

والتاريخ خير شاهد على محاولاتها الماكرة الثابتة للتدخل في شؤون الامم، فمتى وجدت موطئا لقدمها تناصر اهدافها وتروج لها حتى ولو كان في ذلك القضاء على الامراء والشعب . ففي عام ١٢٠٤ استكتب البابا انوسنت الث الث بطرس ملك الاراغون هذا التعهد التالي غير العادي وهو يقول: "انا بطرس ملك الاراغون أقر وأتعهد أن أظل أمينا ومطيعا لسيدي البابا انوسنت ولخلفائه الكاثوليك ولكنيسة روما وبكل أمانة أجعل مملكتي مطيعة له وادافع عن الايمان الكاثوليكي وأقمع كل انحراف نحو الهرطقة" (٣٦٩). هذا يتفق مع الادعاءات الخاصة بسلطان بابا روما في "أن له الحق الشرعي في خلع الاباطرة" و "انه يستطيع ان يحل الرعايا من ولائهم لحكامهم الاشرار" (٣٧٠).

وليتذكر الجميع ان روما تفخر بانها لا تتغير ابد ا. ان مبادئ غريغوريوس السابع وانوسنت الثالث لا تزال هي مبادئ الكنيسة الرومانية . ولو كان لها السلطان لكانت تضعها في موضع التنفيذ الآن بالنشاط والعزم نفسيهما اللذين كانا لها في القرون السالفة . والبروتستانت لا يعلمون ما هم صانعون عندما يقترحون قبول مساعدة روما في أمر تمجيد يوم الاحد وحفظه . ففيما يكونون منكبِّين على اتمام غرضهم تهدف روما الى اعادة تثبيت سلطانها لتسترد سيادتها الضائعة . فلو ثبت في الولايات المتحدة المبدأ القائل ان الكنيسة يمكنها ان تستخدم او تسيطر على سلطان الدولة، وان الممارسات الدينية يجب ان يساق الناس اليها بقوة القانون الدنيوي، وبالاختصار لو أن سلطة الكنيسة والدولة تتحكم في ضمائر الشعب فلا بد من ان يتحقق انتصار روما في تلك البلاد. [630]

ان كلمة الله قدمت الانذار بالخطر المحدق، فاذا لم يُلتفت الى هذا الانذار فسيعلم العالم البروتستانتي ما هي اغراض روما الحقيقية ولكن بعد فوات الاوان للنجاة من الش رك. انها تتقوى ويشتد ساعدها بكل هدوء . وتعاليمها تُقحم نفوذها في دور التشريع وفي الكنائس وفي قلوب الناس . انها تقيم مبانيها الهائلة الشامخة التي في مخابئها السرية ستتكرر اضطهاداتها السابقة . انها تشدد قواها خفية وفي غير شبهة لتتمم غاياتها عندما يأتي الوقت الذ ي فيه تضرب ضربته ا. كل ما تصبو اليه هو المركز الممتاز وهذا قد اعطي لها الآن . وبعد قليل سنرى ونحس بماهية غرض العنصر الكاثوليكي . فأي من يؤمن بكلمة الله ويطيعها هو بذلك يجلب على نفسه العار والاضطهاد. [631]

الفصل السادس و الثلاثون ـــ المعركة المقبلة

لقد كان قصد الشيطان منذ بدء الصراع الهائل في السماء ان يهدم شريعة الله. فلكي يحقق هذا شرع في العصيان على الخالق، ومع انه طُرد من السماء فقد واصل الحرب نفسها على الارض . ولقد جعل خداع الناس وسوقهم الى التعدي على ش ريعة الله الهدف الذي لم يحد عنه . وسواء تم له هذا بطرح الشريعة بجملتها جانبا أو برفض احدى وصاياها فالنتيجة اخيرا واحدة . فمن عثر في "واحدة" يظهر احتقاره للشريعة كلها، وتأثيره ومثاله هما الى جانب التعدي، وهكذا يصير "مجرما في الكل" (يعقوب ٢ : ١٠).

ان الشي طان في محاولته ان يلقي الاحتقار على وصايا الله أفسد تعاليم الكتاب وحرّفها، وهكذا اندست الضلالات في إيمان آلاف ممن يعترفون بايمانهم بالكتب المقدسة . والحرب الاخيرة العظيمة بين الحق والضلال انما هي النضال الاخير للصراع الطويل الامد حول شريعة الله . واننا الآن داخلون هذه المعركة بين وصايا الناس ووصايا الله، بين ديانة الكتاب وديانة الخرافات والتقاليد.

ان الاعوان الذين سيتحدون ضد الحق والبر في هذا النضال دائبون في عملهم الآن بكل نشاط . وكلمة الله المقدسة التي سُلمت الينا بهذا الثمن [632] الغالي من الآلام والدماء قلَّ من يقدرها قدره ا. والكتاب المقدس هو في متناول ايدي الجميع، ولكن قليلون هم الذين يقبلونه حقا كمرشد للحياة . فقد تفشى الالحاد بدرجة مريعة مفزعة ليس في العالم وحده بل أيضا في الكنيسة . وكثيرون بلغوا حد انكار العقائد التي هي ذات الاعمدة التي يرتكز عليها الايمان المسيحي. فحقائق الخلق العظيمة كما قد أوردها الكتبة الملهمون، وسقوط الانسان، والكفارة، وثبات شريعة الله ودوامها قد رفضها الناس عمليا سواء جملة أو جزئيا، رفضها جمع كبير ممن يعترفون بالمسيح في العالم المسيحي . ان آلافا من الناس الذين يفخرون بحكمتهم واستقلالهم يعت برون دليلا من دلائل الضعف كونهم يضعون ثقتهم التامة في الكتاب ويحسبونه برهانا على المواهب الفذة والعلم الغزير، فهم يماحكون في الكتاب المقدس ويحرفونه ويشوهون حقائقه الشديدة الاهمية . وكثيرون من الخدام يعلّمون شعبهم، وكثيرون من الاساتذة يعلمون تلاميذهم ان شر يعة الله قد تغيرت أو نُسخت . والذين يعتبرون مطالبها ثابتة وانه ينبغي اطاعتها طاعة حرفية يُظن أنهم يستحقون السخرية أو الاحتقار.

فالناس اذ يرفضون الحق انما يرفضون معطيه ومبدعه . واذ يدوسون على شريعة الله فهم ينكرون سلطان المشترع . من السهل أن نصوغ صنما من العق ائد الكاذبة والنظريات الخاطئة مثلما ننحت صنما من الخشب أو الحجر . ان الشيطان بتشويهه صفات الله يسوق الناس الى ان يتصوروه في صفة كاذبة . فبالنسبة الى كثيرين صارت الفلسفة صنما متربعا في مكان الرب، بينما الذين يعبدون الله الحي كما هو معلن في كلمته وفي المسيح وفي اعمال الخلق قليلون . وآلاف من الناس يؤلهون الطبيعة في حين انهم ينكرون اله الطبيعة . الوثنية موجودة اليوم في العالم المسيحي كما قد وجدت بين الاسرائيليين قديما في ايام ايليا، وان يكن في هيئة مختلفة . واله كثيرين ممن يجاهرون بحكمتهم، والفلاسفة، والشعراء والساس ة ورجال الصحافة ـــ الاله الذي تتعبد له الاوساط العصرية المثقفة في كثير من الكليات والجامعات، بل

حتى في بعض معاهد اللاهوت ـــ هو أفضل قليلا من بعل، اله الشمس الذي كان يتعبد له الفينيقيون. [633]

أساس كل حكم

لا ضلالة يقبلها المسيحيون تستطيع أن توجه ضرباتها الجر يئة ضد سلطان السماء وتناقض مباشرة أحكام العقل وتتمخض عن نتائج وبيلة اكثر من العقيدة العصرية التي قد رسخت قدمها بسرعة والقائلة بان شريعة الله ما عادت ملزمة للناس. لكل دولة شرائعها التي تأمر بالاكرام والطاعة، ولا يمكن لحكومة أن يكون لها وجود من دونها، فهل يُع قل ان خالق السموات والارض لا تكون لديه شريعة بها يحكم الخلائق التي صنعها ؟ هب ان الخدام المشهورين يعلمون جهارا بان الشرائع التي تحكم بلادهم وتصون حقوق المواطنين ليست ملزمة للناس وانها قيدت حريات الشعب فينبغي الا تطاع، فكم من الوقت يظل الناس متسامحين معهم ويسمحون لهم بالبقاء في منابرهم ؟ ولكن هل الاستخفاف بقوانين الدول والامم اهانة اعظم من الدوس على الوصايا الالهية التي هي أساس كل حكومة ؟

قد يكون اكثر مناسبة ان تلغي الامم قوانينها وتسمح لشعوبها بان يفعلوا ما يحلو لهم من أن يلغي حاكم الكون شريعته و يترك العالم من دون قانون يدين المذنب أو يبرر المطيع . فهل نريد أن نعرف نتيجة إبطال شريعة الله ؟ لقد اجريت هذه التجربة، فكانت المشاهد التي حدثت في فرنسا مرعبة عندما صار الالحاد هو القوة الحاكمة . حينئذ اتضح للعالم ان طرح الروادع التي قد فرضها الله جانبا معناه قبول حكم أقسى الطغاة . فعندما يلقي مقياس البر جانبا يفسح المجال لسلطان الشر ليوطد سلطانه في الارض.

وأينما يرفض الناس وصايا الله لا تعود الخطيئة تبدو خاطئة ولا البر مقبولا . وأولئك الذين يرفضون الخضوع لحكم الله ليسوا أهلا لحكم أنفسهم اطلاق ا. وعن طريق تعاليمه م الوبيلة تتأصل روح التمرد في قلوب الصغار والشباب الذين هم بطبعهم متبرمون بكل سيادة تفرض عليهم، وينتج من ذلك ان تصير حالة المجتمع حالة تمرد وتهور . ان جماهير الناس فيما هم يسخرون من سلامة نية [634] من يطيعون مطالب الله انما يقبلون ضلالات الشيطان بتلهُّف . انهم يطل قون لشهواتهم العنان ويرتكبون الخطايا التي أوقعت الدينونة على الوثنيين.

يحصدون الزوبعة

ان الذين يعلمون الناس الاستخفاف والاستهانة بوصايا الله يبذرون بذار العصيان ليحصدوا ثماره نفسه ا. فاذا طرح الناس جانبا كل الروادع التي تفرضها شريعة الله فلا بد أن يستخفوا بالقوانين الانسانية . وبما ان الله ينهي عن أعمال الخيانة والطمع والكذب والغش فالناس يوشكون ان يدوسوا وصاياه كأنها حائل بينهم وبين النجاح العالمي . لكنّ نتائج إهمال هذه الوصايا ستكون عكس ما كانوا يقدرونه. فاذا لم تكن الشريعة ملزمة فلماذا يخشى الناس التعدي وا لعصيان ؟ لا يعود أحد يأمن على أملاكه، والناس يغتصبون أملاك جيرانهم . وأقوى الناس يصير اغناهم. والحياة نفسها لا تعود لها حرمة . وعهد الزواج لا يعود يقف حصنا مقدسا يحمي العائلة . والرجل المقتدر يمكنه اذا أراد أن يغتصب زوجة قريبه بالقوة . والوصية الخامسة يمكن ايض ا طرحها جانبا مع الرابعة . والاولاد لا يعودون يتورعون عن اغتيال آبائهم

اذا كانوا بذلك يحصلون على رغبات قلوبهم الفاسدة . والعالم المتمدن يمسي قبيلة من اللصوص والسفاحين، وينتفي من الارض السلام والراحة والسعادة.

ان التعليم القائل بان الناس قد أحِلوا من اطاعة مط الب الله قد اضعف قوة الالتزام الادبي فاكتسحت العالم سيول الاثم . فالتمرد والاسراف والفساد قد غمرتنا كسيول عنيفة جارفة . فالشيطان يعمل في العائلة، ورايته ترفرف حتى في البيوت التي تدَّعي المسيحية . هناك الحسد والظنون الرديئة والرياء والنفور والمنافسة والخصومات وخيانة الامانات المقدسة والانغماس في الشهوات . فكل نظام المبادئ والتعاليم الدينية، الذي ينبغي أن يكون أساس الحياة الاجتماعية ودعامتها، يبدو أنه قد صار كتلة مترنحة توشك أن تنهار وتصير حطام ا. ان احط المجرمين عندما يلقى بهم في السجن لاجل جرائمهم تُرسل اليهم ا لهدايا [635] ويعاملون باللطف والرعاية كما لو كانوا قد حصلوا على رِفعة يُحسدون عليها وتضفى على أخلاقهم وجرائمهم شهرة عظيمة . والصحافة تنشر التفاصيل المنفِّرة للرذيلة، وهكذا تدرب الآخرين على ممارسة الاحتيال والسرقة وجرائم القتل، والشيطان يبتهج لنجاح خططه الجهنمية . ان سحر الرذيلة وحياة البطر والخلاعة، وتفشي الدعارة والسكر على نحو مرعب وحياة الاثم في كل اشكاله ينبغي ان توقظ كل من يخافون الله حتى يسألوا عما يجب عمله لايقاف تيار الشر.

النتيجة الطبيعية

وقد فسدت دور العدل والقضاء . فالحكام يعملون بدافع حب الكسب وحب الملذات الشهوانية . ثم ان الافراط في شرب الخمر قد أظلم عقول كثيرين حتى كاد ان يسيطر الشيطان عليهم سيطرة تامة . والمحامون قد فسدوا وهم يقبلون الرشوة ويُغرر بهم . والسكر والعربدة والغضب والحسد والخيانة من كل نوع تُرى بين الذين يسنون القوانين وينفذونها: "العدل يقف بع يدا. لان الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول" (إشعياء ٥٩ : ١٤).

ان الاثم والظلام الروحي اللذين سادا تحت سيادة روما كانا النتيجة الطبيعية لكبت الكتاب المقدس وإبطاله، ولكن أين السبب في انتشار الالحاد ورفض شريعة الله وما ينتج عن ذلك من فساد تحت النور الكامل الوهاج في عصر الحرية الدينية ؟ الآن اذ يعجز الشيطان عن إبقاء العالم تحت سيادته بابعاد الكتاب المقدس يلجأ الى وسائل اخرى لاتمام ذلك الغرض نفسه . فملاشاة الايمان بالكتاب تخدم غرضه تماما كملاشاة الكتاب نفسه . واذ يرسِّخ الاعتقاد بان شريعة الله ليست ملزمة يسوق الناس الى التعدي بقوة فعالة كما لو كانوا يجهلون الله تماما ولا يعرفون وصاياه. والآن كما في العصور السالفة استخدم الكنيسة في تعضيد خططه وأغراضه. فالتنظيمات الدينية في هذا العصر قد رفضت الاصغاء الى الحقائق [636] غير الشعبية المبيّنة في الكتاب، واذ جادلوا فيها فقد قدموا تفسيرات واتخذوا مواقف كان من آثارها بذر بذار الشكوك والالحاد . واذ تعلقوا بالضلالة البابوية الخاصة بخلود النفس الطبيعي ووعي المرء عند الموت رفضوا الحصن الوحيد ضد خدعة مناجاة الارواح . وعقيدة العذاب الابدي قادت كثيرين الى الشك في الكتاب . واذ طولب الناس بحفظ الوصية الرابعة وجدوا ان اليوم السابع مفروض على الشعب، فلكي يحرروا انفسهم من واجب لا يرغبون في اتمامه كانت الوسيلة الوحيدة لذلك ان يعلن كثيرون من المعلمين المشهور ين ان شريعة الله ما عادت ملزمة. وهكذا القوا عنهم الشريعة والسبت مع ا. واذ ينتشر عمل اصلاح السبت فان رفض الشريعة الالهية هذا لتجنب مطالب الوصية الرابعة سيصير عاما تقريب ا. ان تعاليم القادة الدينيين قد فتحت الطريق للالحاد ولمناجاة الارواح واحتقار شريعة الله الم قدسة، وعلى

رؤوس هؤلاء القادة تستقر مسؤولية مخيفة عن الاثم المتفشي في العالم المسيحي.

ومع ذلك فان هذا الفريق من الناس قد ابرزوا الادعاء بان الفساد السريع الانتشار انما يُعزي بالاكثر الى انتهاك قدسية "السبت المسيحي" المزعوم، وبان التشدد في حفظ يوم الاحد ك فيل بان يحدث تحسنا كبيرا في آداب المجتمع. هذا الادعاء شائع بالاكثر في أمريكا حيث كرز في أماكن كثيرة بعقيدة السبت الحقيقي . وهنا نجد ان عمل الاعتدال (الامتناع عن المسكرات والمخدرات)، الذي هو من أشهر وأهم الاصلاحات الادبية، مرتبط في كثير من الاحيان بحركة يو م الاحد . والمدافعون عن يوم الاحد يصورون انفسهم كمن يعملون على ترقية أسمى مصالح المجتمع، والذين يرفضون الانضمام اليهم يُشهَّر بهم على انهم أعداء الاعتدال والاصلاح . بيد ان ارتباط حركة لترسيخ الضلالة بعمل حسن في حد ذاته ليس حجة تبرِّر الضلالة . فقد نخفي السم بطعام صحي لكنن ا لا نغير طبيعته أو مفعوله . بالعكس، فهو سيكون أشد خطرا اذ المرجح ان يتناوله الانسان في غفلة من أمره . ان من بين مكايد الشيطان كونه يمزج بالضلال قدرا كافيا من الحق يجعله مقبولا ومستساغ ا. قد يدافع دعاة حركة يوم الاحد عن اصلاحات يحتاج اليها الشعب وعن مبادئ تتفق وتعاليم الكتاب، [637] لكنّ اقترانها بمبدأ مناقض لشريعة الله يُبعد عنهم عبيده . فليس ما يبرر طرحهم وصية الله ليعتنقوا وصايا الناس.

عبر الضلالتين العظيمتين، وهما خلود النفس وتقديس يوم الاحد، سيوقع الشيطان الناس تحت سلطان مخ ادعاته. وفيما ترسي الضلالة الاولى اسس مناجاة الارواح تربطهم الضلالة الثانية بعجلة روم ا. وسيكون البروتستانت في الولايات المتحدة هم أول من يمدون أيديهم عبر الهوة ليمسكوا بيد مناجاة الارواح. وسيمدون أيديهم عبر الهوة لمصافحة السلطة الكاثوليكية، وتحت تأثير هذا الاتحاد الثلاثي ستسير هذه البلاد (الولايات المتحدة) في اثر خطوات روما في الدوس على حقوق الضمير.

وبما ان مناجاة الارواح تقلد المسيحية الاسمية اليوم بحيث تكاد تشبهها تماما فان لها قوة أعظم على التغرير بالنفوس واصطيادها في اشراكه ا. والشيطان نفسه يهتدي حسب ا لطريقة الشائعة اليوم . وسيظهر في شبه ملاك نور. وعن طريق وسيلة مناجاة الارواح ستجري آيات، فالمرضى سيُشفون وستجرى عجائب لا مجال لانكاره ا. واذ تعترف الارواح بالايمان بالكتاب المقدس وتبدي احترامها لقوانين الكنيسة فان عملها سيُقبل على انه اظهار لقدرة الله.

يصعب على المرء ان يتبين الآن الخط الفاصل بين المعترفين بالمسيحية والاشرار. فأعضاء الكنائس يحبون ما يحبه العالم، وهم على أتم استعداد للاندماج باهله، والشيطان مصمم على ان يضم الفريقين في هيئة واحدة، وهكذا يقوّي دعوته بجرفه الجميع مع معتنقي مناجاة الارواح . والبابويون الذين يفخرون بالمعجزات على انها العلامة الاكيدة للكنيسة الحقيقية سرعان ما سينخدعون بهذه القوة صانعة المعجزات، والبروتستانت بعدما يلقون عنهم ترس الحق سينخدعون هم أيض ا. فالبابويون والبروتستانت وأهل العلم سيقبلون جميعهم صورة التقوى من دون قوته ا. وسيرون في هذا الاتحاد حركة جليلة عظيمة لهداية العالم وابتداء حكم الالف سنة الذي ظلوا ينتظرونه طويلا. [638]

بواسطة مناجاة الارواح سيبدو الشيطان محسنا للجنس البشري، يشفي أمراض الناس ويتظاهر بتقديم نظام جديد سام الى العقيدة الدينية، ولكنه في الوقت نفسه يقوم بعمله المهلك الم دمر. فتجاربه تودي بجماهير كثيرة من الناس الى الهلاك . ان عدم الاعتدال يخلع العقل عن عرشه، والانغماس في الشهوات والخصومات وسفك الدماء تأتي في اثر ذلك . والشيطان يتبهج بالحروب لانها تثير أشر شهوات النفس، وحينئذ تكتسح الى الابدية ضحاياها الذين قد انحدروا الى اعماق هاوية الرذيلة وسفك الدماء .وغرضه هو اثارة الدول لتحارب بعضها بعضا، لانه بهذه الوسيلة يحول أفكار الناس عن الاستعداد للوقوف ثابتين في يوم الله.

السيطرة على العناصر

ثم ان الشيطان يعمل ايضا من خلال العناصر ليجمع حصاده من النفوس غير المتأهبة . لقد درس أسرار معامل الطبيعة، وهو يبذل كل ما في قدرته ليسيطر على العناصر بقدر ما يسمح له به الله . فعندما سُمح له بان يبتلي أيوب سرعان ما اكتسح قطعانه ومواشيه وعبيده وبيوته واولاده في بلايا متتابعة . ان الله هو الذي يحمي خلائقه ويسيج حولهم حتى لا يهلكهم المهلك . لكنّ العالم المسيحي برهن على احتقاره شريعة الرب، والرب سيفعل ما أعلن انه سيفعله: "يمنع بركاته عن الأرض ويرفع رعايته الحافظة بعيدا عمّن يتمردون على شريعته ويعلّمون غيرهم ويرغمونهم ع لى ذلك التمرد . ثم ان للشيطان سلطانا على كل من لا يحرسهم الله حراسة خاصة . وهو سيرضى عن البعض وينجحهم لكي يعضد مكايده، وسيوقع المتاعب والآلام بآخرين ويُقنع الناس بان الله هو من يفعل ذلك.

فاذ يُظهر الشيطان نفسه لبني الانسان كالطبي ب العظيم الذي يستطيع ابراء كل اسقامهم فهو سيأتي بالامراض والكوارث الى ان تصير المدن العظيمة العامرة بالناس خرابا يبابا . وحتى الآن هو يعمل . ففي الكوارث والفواجع التي [639] تحدث في البحار وعلى اليابسة وفي الحرائق الهائلة والاعاصير العظيمة والمطر والبَرد المخيف وا لزوابع والسيول والعواصف وأمواج المد والزلازل في كل مكان وبآلاف الاشكال، في هذه كلها يستخدم الشيطان قوته وسلطانه . انه يكتسح المحاصيل الناضجة للحصاد فتجيء في اذيال ذلك المجاعات والضيقات والكروب . وهو يطلق في الجو روائح عفنة قاتلة فيهلك آلاف الناس بالوباء . وهذه الكوارث ستصير أكثر واكثر في وتيرة حدوثها وفي شدة النوائب التي ستحدثه ا. وسيحل الهلاك بالانسان والحيوان: "ناحت ذبلت الارض". "حزن مرتفعو شعب الارض . والارض تدنست تحت سكانها لانهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة . نكثوا العهد الابدي" (اشعياء ٢٤ : ٤ ، ٥).

وحينئذ سيقنع ذلك المخادع الاعظم الناس بان من يخدمون الله هم مسببو كل هذه الشرور . والناس الذين قد اثاروا غضب السماء سيوقعون تبعة متاعبهم ومصائبهم على الذين طاعتهم لوصايا الله هي توبيخ دائم لشرور أولئك العصاة. وسيُعلن ان الناس يغيظون الله بتعديهم شريعة يوم الاحد، وان هذه الخطيئة قد جلبت كل تلك المصائب التي لن تكف حتى يعود الناس الى حفظ يوم الاحد وينفذون ذلك بكل دقة، وان الذين يطالبون بحفظ الوصية الرابعة وبذلك يقوضون إكرام يوم الاحد ويدنسونه هم مكدرو الشعب، اذ يمنعونهم من استرداد رضى الله ونجاحهم المادي . وهكذا فتلك التهمة التي وقعت في القديم على خادم الله ستتكرر على الاسس نفسها التي بُني عليها الاتهام الاول، "ولما رأى أخآب ايليا قال له أخآب أأنت هو مكدر اسرائيل . فقال لم أكدر اسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم" (١ ملوك ٨١ : ٧١ ، ٨١). واذ تثير التهم الكاذبة غضب الناس فسيتخذون ضد سفراء الله إجراء كثير الشبه بذاك الذي اتخذه اسرائيل المرتد ضد ايليا. [640]

القوة الصانعة المعجزات

ان القوة صانعة المعجزات التي تظهر عن طريق مناجاة الارواح سيبدو تأثيرها ضد الذين يختارون اطاعة الله اكثر من الناس . والاتصالات بالارواح ستعلن ان الله قد أرسلها لاقناع رافضي يوم الاحد بخطئهم وضلالهم، مؤكدة لهم ان قوانين البلاد ينبغي اطاعتها كما لو كانت هي شريعة الله . وستندب شر

العالم العظيم وتدعم شهادة معلمي الدين بان انحطاط الاخلاق سببه تدنيس يوم الاحد. وسيثور غضب عظيم ضد كل من يرفضون قبول شهادتهم.

ان سياسة الشيطان في حربه الاخيرة هذه ضد شعب الله هي السياسة نفسها التي اتخذها عند بدء الصراع الهائل في السماء . لقد ادعى انه انما يحاول توطيد حكم الله بينما هو في الخفاء يبذل كل جهد لتقويضه . العمل ذاته الذي كان يحاول إنجازه اتُّهم به الملائكة الامناء . وسياسة الخداع اياها هي الطابع الذي يتميز به تاريخ كنيسة روما. لقد اعترفت بانها تقوم بدور نائب السماء، في حين انها كانت تحاول أن ترفع نفسها فوق الله وان تغيِّر شريعته . وتحت حكم روما اتهم الذين ذاقوا الموت لاجل ولائهم للانجيل بانهم فـ اعلو شر متحالفون مع الشيطان ،وقد استخدمت كل الوسائل لالحاق العار بهم لكي يظهروا أمام عيون الشعب وحتى أمام أنفسهم أنهم شر المجرمين . وهكذا ستكون الحال الآن . ففيما يحاول الشيطان اهلاك الذين يكرمون شريعة الله سيجعلهم يُتهمون بانهم يكسرون الشريعة ويهينون الله ويجلبون الضربات على العالم.

ان الله لا يرغم الارادة أو الضمير على عمل شيء . لكنّ الشيطان يدأب دائما في الارغام بواسطة القسوة لكي يسيطر على الذين لا يستطيع أن يخدعهم بغير ذلك . فعن طريق الخوف أو العنف يحاول التحكم في الضمير ليظفر بالولاء لنفسه . فلكي يتم له هذا يقوم بعمله عن طريق السلطات الدينية والدنيوية اذ يحرضهم على تنفيذ الشرائع البشرية متحدِّين في ذلك شريعة الله. [641]

ان من يكرمون السبت كما هو وارد في الكتاب المقدس سيعيَّرون كأعداء للقانون والنظام، وكمن يهدمون الروادع الأدبية للمجتمع ويسببون الفوضى والفساد، ويستمطرون دينونة الله على الارض . وسيُعتبَر تحفُّظهم المنبعث من ضمير حي عنادا وصلابة رأي واحتقارا للسلطات . وسيتهمون باضمار الكراهية للحكومة. والخدام الذين ينكرون حق شريعة الله سيقدمون من على المنبر نصائح تحث الشعب على اطاعة السلطات كترتيب الهي . وفي دور التشريع ودور القضاء ستشوه اخلاق حافظي الوصية ويدانون . وستفسر أقوالهم تفسيرا كاذبا، وستُنعت بواعثهم بأسوإ النعوت.

واذ ترفض الكنائس البروتستانتية الحجة الكتابية الواضحة في الدفاع عن شريعة الله فسيتوقون الى إسكات الذين لا يمكنهم هدم ايمانهم بالكتاب . ومع انهم يتعامون عن الحقيقة فانهم الآن يتخذون اجراء يؤدي الى اضطهاد أولئك الذين بسلامة نية يرفضون عمل ما يعمله باقي الناس في العالم المسيحي الذين يعترفون بمطالب السبت البابوي.

سيتحد أحبار الكنيسة والدولة معا في ارشاء كل الطبقات أو اقناعها وإرغامها على اكرام يوم الاحد . والافتقار الى سلطة الهية ستقوم مقامه التشريعات الجائرة . والفساد السياسي يلاشي محبة الحق والعدل والاعتبار للحق، وحتى في أمريكا الحرة لكي يحصل الحكام والمشرعون على رضى الجمهور يخضعون لمطلب الجماهير باصدار تشريع يلزم الناس حفظ يوم الاحد. ولن تحترم بعد الآن حرية الضمير التي كلفت أصحابها تضحيات هائلة . وفي الصراع الوشيك الوقوع سنرى كلمات النبي ممثلة أمامنا اذ يقول:
”فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حربا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح“ (رؤيا ١٢ : ١٧). [642]

الفصل السابع و الثلاثون ــــ الكتاب المقدس خير حافظ

”الى الشريعة والى الشهادة . ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر“ (اشعياء ٨ : ٢٠). يُوجَّه شعب الله الى الكتاب كحافظ لهم من تأثير المعلمين الكذبة وقوة أرواح الظلمة المضلة . ويستخدم الشيطان كل حيلة ممكن ة ليحول بين الناس وحصولهم على معرفة الكتاب، لان أقواله الصريحة تفضح مخاتلاته. وفي كل انتعاش لعمل الله ينهض سلطان الشر ليبذل جهدا اعظم ونشاطا أوفر . وهو الآن يبذل قصارى جهده لحرب أخيرة يثيرها ضد المسيح وتابعيه. والخدعة الاخيرة ستظهر أمامنا عن قريب . فالمسيح الدجال سيمارس اعماله العجيبة أمام أنظارن ا. وسيكون تقليده دقيقا جدا بحيث يشبه الحقيقي، وهكذا يستحيل التمييز بين الاثنين الا بواسطة الكتاب المقدس . فبواسطة شهادته ينبغي فحص كل بيان وكل معجزة.

سيتعرض الذين يحاولون اطاعة كل وصايا الله للمقاومة والسخرية . لكنهم يستطيعون الثبات في الله وحده . ولكي يحتملوا التجربة المقبلة عليهم يجب ان يفهموا ارادة الله كما هي معلنة في كلمته، ويستطيعون اكرامه فقط بقدر ما يكون عندهم ادراك صحيح لصفاته وحكمه ومقاصده ويعملون طبقا له ا. وليس غير الذين قد حصنوا عقولهم بحقائق الكتاب يثبتون في هذا الصراع الاخير العظيم . [643] هذا الاختبار الفاحص ستمر به كل نفس: هل أطيع الله أكثر من الناس؟ الساعة الحاسمة قريبة الآن . فهل اقدامنا راسخة على صخرة كلمة الله الثابتة؟ وهل نحن متأهبون لان نقف ثابتين دفاعا عن وصايا الله وايمان يسوع؟

أوضح المخلص لتلاميذه قبل صلبه انه سيُقتل ويقوم ثانية من القبر، وكان الملائكة حاضرين ليرسخوا هذه الاقوال في عقولهم وقلوبهم . لكنّ التلاميذ كانوا ينتظرون الخلاص الزمني من نير الرومان فلم يستطيعوا احتمال فكرة كون ذلك الذي قد تركزت فيه كل آمالهم ينبغي ان يقاسي موتا مشين ا. والاقوال الت ي كانوا في حاجة الى ان يذكروها غابت عن اذهانهم، وعندما جاء وقت التجربة وجدتهم على غير استعداد . ان موت يسوع قد حطم آمالهم بالتمام كما لو لم يكن قد سبق فأنذرهم . كذلك في النبوات نجد المستقبل واضحا أمامنا بكل جلاء كما كان واضحا أمام التلاميذ بواسطة أقوال المسي ح. فالحوادث المتصلة بانتهاء زمن النعمة وعمل الاستعداد لزمان الضيق معروضة بوضوح . لكن جماهير من الناس لا يدركون من هذه الحقائق المهمة أكثر مما لو لم تكن قد أعلنت . فالشيطان ينتظر ليختطف بعيدا كل تأثير يمكن أن يجعلهم حكماء في شأن الخلاص، وسيجدهم زمان الضيق غير مستعدين.

عندما يرسل الله الى العالم انذارات مهمة جدا بحيث تُصوَّر على انها معلنة بواسطة الملائكة القديسين وهم طائرون في وسط السماء فانه يطلب من كل انسان موهوب بقوى التفكير والتعقل ان يلتفت الى الرسالة ويعيه ا. ان الضربات المخيفة المقضي بها ضد عبادة الوحش وصورته (رؤيا ١٤ : ٩ ــــ ١١) ينبغي ان تقود الكل لدرس النبوات باجتهاد ليتعلموا ما هي سمة الوحش وكيف يمكنهم تجنب قبوله ا. لكن جموع الناس يحولون آذانهم عن سماع الحق فيميلون الى الخرافات. فالرسول بولس وهو ينظر الى الامام

الى الايام الاخيرة يعلن قائلا: ”لانه سي كون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح“ (٢ تيموثاوس ٤ : ٣). وها قد جاء ذلك الوقت . فجماهير الناس لا يريدون الحق الكتابي لانه يتدخل في رغبات القلب الخاطئ المحب للعالم، والشيطان يقدم اليهم المخاتلات والمخادعات [644] التي يحبونها.

شعب الكتاب

لكنّ الله سيكون له على الارض شعب يحفظون الكتاب المقدس والكتاب المقدس وحده، كمقياس لكل التعاليم وأساس كل الاصلاحات . فلا آراء العلماء أو استنتاجات العلم ولا عقائد المجامع الكنسية أو قراراتها، التي هي كثيرة ومختلفة بنسبة الكنائس التي تمثلها، وصوت الاغلبية — كل هذه لا ينبغي اعتبارها، منفردة أو مجتمعة، برهانا في جانب أي فقرة من العقيدة الدينية أو ضدها. فقبل قبول أي تعليم أو وصية ينبغي أن نسأل ما اذا كان مستندا الى قول الرب أم لا. وهل هو يتفق مع: ”هكذا قال الرب“.

يحاول الشيطان دائما أن يوجه الانظار الى الانسان بدلا من توجيهها الى الله. ويجعل الناس يتطلعون الى الاساقفة والرعاة وأساتذة اللاهوت كمرشدين لهم بدلا من ان يفتشوا الكتب ليعرفوا واجبهم نحو انفسهم . وحينئذ اذ يسيطر على عقول هؤلاء القادة يمكنه أن يؤثر في الجماهير حسب ارادته.

عندما جاء المسيح ليتكلم بكلام الحياة سمعه عامة الشعب بسرور، وكثيرون حتى من الكهنة والرؤساء آمنوا به . لكنّ رئيس الكهنة وقادة الامة عقدوا العزم على ادانته ورفض تعاليمه . ومع انهم اخفقوا في كل محاولاتهم في ان يجدوا شكاية ضده، ولم يسعهم إلا أن يحسوا بتأثير القوة الالهية والحكمة المصاحبة لاقواله، فقد حبسوا انفسهم في نطاق التعصب ورفضوا انصع البراهين على كونه مسيا لئلا يضطروا الى ان يصيروا له تلاميذ . كان خصوم يسوع هؤلاء قوما تعلم الشعب منذ نعومة اظفارهم ان يكرموهم، واعتادوا الانحناء أمام سلطانهم بكل ثقة . وقد تساءل الناس قائلين: ”كيف لا يؤمن رؤساؤنا وكتبتنا العلماء بيسوع ؟ أما كان هؤلاء القوم الاتقياء يقبلونه لو كان هو المسيح؟“ ان نفوذ مثل هؤلاء المعلمين هو الذي قاد الامة اليهودية الى رفض فاديها. [645] [646]

وتلك الروح التي حرّضت أولئك الكهنة والرؤساء لا يزال يظهرهاكثيرون ممن يدعون التقوى والقداسة . انهم يرفضون فحص شهادة الكتاب المقدس الخاصة بالحقائق المتعلقة بهذه الايام . يشيرون الى كثرة عددهم ووفرة غناهم وذيوع شهرتهم، وينظرون بازدراء الى دعاة الحق ومناصريه على انهم قليلو العدد فقراء وخاملو الذكر ويعتنقون عقيدة تفصل بينهم وبين العالم.

تمجيد السلطة البشرية

وقد سبق المسيح فرأى ان ادعاء السلطان غير اللائق الذي يتمسك به الكتبة والفريسيون لن ينتهي بشتات اليهود . لقد كانت له بصيرة النبي فرأى عمل تعظيم السلطة البشرية للسيطرة على الضمائر، الامر الذي كان لعنة رهيبة للكنيسة في كل العصور . وان الويلات المخيفة التي نطق بها ضد الكتبة والفريسيين، وانذاراته التي وجهها الى الشعب حتى لا يتبعوا أولئك القادة العميان، انما سجلت لانذار الاجيال المقبلة.

تحتفظ كنيسة روما للاكليروس بحق تفسير الكتاب المقدس . فعلى أساس كون الاكليروس هم وحدهم

أكفاء لشرح كلمة الله من دون غيرهم من الناس فقد حُرم عامة الشعب من هذا الحق . ومع ان الاصلاح قدم الكتاب الى الجميع فان المبدأ نفسه الذي سارت عليه روما يمنع جموعا غفيرة في الكنائس البروتستانتية من تفتيش الكتاب لانفسهم . لقد تعلموا ان يقبلوا تعاليمها كما قد فسرتها الكنيسة، ويوجد آلاف ممن لا يجرؤون على قب ول شيء يناقض عقيدتهم أو تعليم كنيستهم الثابت، مهما كان ذلك الشيء واضحا في الكتاب.

وعلى رغم كون الكتاب مملوءا انذارات ضد المعلمين الكذبة فان كثيرين مستعدون هكذا لان يستودعوا حفظ أرواحهم بين أيدي رجال الاكليروس . ويوجد اليوم آلاف من المعترفين بالدين مم ن لا يمكنهم ان يقدموا سببا واحدا عن مواد ايمانهم الذي يعتنقونه أكثر من قولهم ان هذا هو ما قد تعلموه [647] من رؤسائهم الدينيين . انهم يمرون بتعاليم المخلص مر الكرام حتى يكادون لا يلاحظونها، ويضعون ثقتهم التامة في الخدام . ولكن هل الخدام معصومون ؟ و كيف نستأمنهم على ارشاد نفوسنا ما لم نعلم من كلمة الله انهم حاملو مشعل النور ؟ ان انعدام الشجاعة الادبية بحيث لا يميل الانسان عن الطريق المطروق الذي يسير فيه العالم يجعل كثيرين يسيرون في اثر خطوات العلماء، وبنفورهم من الفحص والاستقصاء بانفسهم ولانفسهم يصيرون مكبلين في سلاسل الضلال بلا أمل في الحرية . انهم يرون ان الحق الخاص بهذا العصر مكشوف للعيان بكل وضوح في الكتاب ويحسون بقوة الروح القدس مرافقا لاعلانه، الا انهم يسمحون لمقاومة الاكليروس بان تبعدهم عن النور . ومع ان عقولهم وضمائرهم مقتنعة فان هذه النفوس المخدوعة لا تجرؤ على أن تفكر تفكيرا يخالف ما يقوله الخادم، وحكمهم الشخصي وصالحهم الابدي يُضحَّى بهما على مذبح عدم الايمان والكبرياء والتعصب الذي يتمسك به شخص آخر.

خيوط المحبة الحريرية

كثيرة هي الطرق التي يعمل الشيطان بواسطتها من خلال المؤثرات البشرية في تعمية اسراه . انه يستحوذ على جماهير كثيرة لنفسه اذ يربطهم بخيوط حريرية، خيوط المحبة لمن هم أعداء صليب المسيح . وسواء كان هذا الارتباط ارتباط الآباء أو الابناء أو الازواج أو ارتباطا اجتماعيا فالتأثير هو هو لا يتغير، فمقاومو الحق يستخدمون سلطانهم في السيطرة على الضمير، والنفوس الممسَكة تحت سلطتهم ليست لديها الشجاعة الكافية أو الاستقلال لاطاعة اقتناعها بالواجب.

ان حق الله ومجده لا ينفصلان، ونحن يستحيل علينا، والكتاب في متناول أيدينا، ان نكرم الله بالآراء المغلوطة . كثيرون يدعون قائلين انه لا يهم ما الذي يعتقده الانسان اذا كانت حياته حياة مستقيمة . لكنّ العقيدة هي التي تشكل [648] الحياة. فاذا كان النور والحق في متناول ايدينا ونحن نهمل الاستفادة من ميزات استماعه ورؤيته فاننا في الواقع نرفضه، ونحن نختار الظلمة ونفضلها على النور.

”توجد طريق تظهر للانسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت“ (أمثال ١٦ : ٢٥) ليس الجهل عذرا عن الضلال أو الخطيئة فيما كل الفرص ماثلة أمام الانسان ليعرف ارادة الله . ها رجل مسافر يأتي الى مكان به طرق متشعبة كثيرة وتوجد عل ى جانب الطريق لافتة تشير الى نهاية كل طريق . فاذا هو أغفل تلك اللافتة واتخذ اي طريق يتراءى له انه صواب، فقد يكون مخلصا تمام الاخلاص ولكن من المرجح أن يجد نفسه سائرا في طريق مخطئ غير الذي يريده.

الواجب الاول والأهم

لقد اعطانا الله كلمته لنتعرف الى تعاليمه ا ونعرف لانفسنا ماذا يطلبه الله منا. عندما جاء الناموسي الى يسوع وطرح عليه هذا السؤال: "ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية" ؟ وجَّهه المخلص الى الكتاب قائلا له: "ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ" ؟ ان الجهل ليس عذرا يركن اليه الصغار أو الكبار ولا يعفيهم من القصاص الذي يستوجبه التعدي على شريعة الله، لان بين أيديهم عرضا أمينا لتلك الشريعة ومبادئها ومطالبه ا. لا يكفي ان تكون نوايا الانسان صالحة، ولا يكفي ان نفعل ما نظنه صوابا ولا ما يقول الخادم عنه انه صواب . ان خلاص نفس الانسان مهدد بالخطر وعليه ان يفتش الكتب لنفسه . مهماى تكن اقتنا عاته قوية ومهما يكن واثقا من ان الخادم يعرف الحق، فهذا لا يصلح اساسا يبني عليه ثقته . ان لديه خارطة تشير الى كل علامة من معالم الطريق في سياحته الى السماء ، وينبغي الا يخمن من جهة أي شيء.

ان أول واجب واعظمه على كل كائن عاقل هو ان يتعلم من الكتاب ما هو الحق ثم يسير في النور ويشجع الآخرين على التمثل به . علينا [649] ان ندرس الكتاب باجتهاد يوما بعد يوم فنزن كل فكر ونقارن بين آية واخرى . وبمساعدة الله نكوِّن آراءنا لانفسنا اذ ان علينا ان نجيب عن انفسنا امام الله.

ان الحقائق المعلنة جلياً في الكتاب قد أحاطها العلماء بالشكوك والظلمات، فلكونهم يدَّعون إدعاءات عظيمة بانهم علماء وحكماء فهم يعلمون الناس بان للكتاب معنى غامضاً خفياً روحياً لا يظهر في لغته الحالي ة. هؤلاء القوم معلمون كذبة. فلمثل تلك الفئة من الناس قال يسوع: "لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (مرقس ١٢ : ٢٤). ان لغة الكتاب ينبغي شرحها طبقاً لمعناها الواضح ما لم يكن هنالك رمز أو استعارة . لقد أعطى المسيح هذا الوعد: "ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم" (يوحنا ٧ : ١٧). فلو اخذ الناس الكتاب كما يُقرأ ولم يكن هنالك معلمون كذبة يضللون عقولهم ويربكونها لامكن انجاز عمل يُفرح قلوب الملائكة ويضم الى حظيرة المسيح آلافا فوق آلاف ممن يهيمون الآن في تيه الضلال.

وعلينا أن نجهد كل قوى عقولنا في درس الكتاب المقدس . علينا ان نجبر افهامنا على ادراك عوائص الله على قدر ما يستطيع بشر أن يفعل . ومع ذلك فلا ننسى ان مرونة الطفل وخضوعه هما الروح الحقيقية لكل من يتعلم. ولا يمكن التغلب على معضلات الكتاب بالوسائل نفسها المستخدمة في مكافحة المشكلات الفلسفية . ينبغي الا نشرع في دراسة الكتاب المقدس بروح الاعتماد على الذات التي بها يدخل كثيرون الى مناطق العلم، بل بالاعتماد على الله في روح الصلاة وبرغبة مخلصة في معرفة مشيئته . علينا ان نأتي بروح متواضعة قابلة للتعلُّم لنحصل على المعرفة من ذاك الذي اسمه أهيه العظيم، وإلا فالملائكة الاشرار سيطمسون اذهاننا ويقسون قلوبنا حتى لا نتأثر بالحق.

كثيرا ما يكون هنالك فصل من الكتاب يقول عنه العلماء انه غامض او يمرون به مرورا سريعا اذ يعتبرونه عديم الاهمية ولكنه يكون مملوءا بالعزاء والتعليم لمن قد تعلم في مدرسة المسيح. ومن بين الاسباب التيى لاجلها [650] ليس لكثيرين من رجال اللاهوت ادراك أوضح لكلمة الله هو انهم يغمضون عيونهم عن الحقائق التي لا يرغبون في ممارستها عملي ا. ان ادراك حق الكتاب لا يتوقف بالاكثر على قوة الذهن الذي يستخدم في البحث كم ا على توحيد القصد وبساطته، والرغبة والشوق الحار في طلب البر.

"يعلمكم كل شيء"

ينبغي الا ندرس الكتاب من دون صلاة . فالروح القدس وحده هو الذي يستطيع ان يجعلنا نشعر باهمية تلك الاشياء التي يسهل فهمها أو يمنعنا من تحريف الحقائق التي يصعب علين ا ادراكه ا. ان عمل ملائكة السماء هو اعداد القلب بحيث يفهم كلمة الله لكي يسحر جمالها قلوبنا فنتحذر بانذاراتها أو نحيا وننتعش ونتقوى بمواعيده ا. وعلينا ان نتخذ صلاة المرنم لانفسنا فنقول: "اكشف (يا رب) عن عينيَّ فارى عجائب من شريعتك" (مزمور ١١٩ : ١٨). فالتجارب في غالب الاحيان تبدو كأنها لا تُغلَب لان المجرَّب بسبب اهماله الصلاة ودرس الكتاب لا يستطيع ان يذكر مواعيد الله بسرعة ليقابل الشيطان بسلاح الكتاب . لكنّ الملائكة يعسكرون حول الذين يرغبون في تعلم امور الله، وفي وقت الحرج والحاجة العظمى يُنجدون ذاكرتهم بالحقائق ذاتها التي يحتاجون اليه ا. وهكذا "عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه" (اشعياء ٥٩ : ١٩).

وقد وعد يسوع تلاميذه قائلا: "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤ : ٢٦). ولكن ينبغي قبل ذلك ان ندخر تعاليم المسيح في اذهاننا حتى يذكرنا بها روح الله في وقت الخطر . وقد قال داود: "خبأت كلامك في قلبي لكي لا اخطئ اليك" (مزمور ١١٩ : ١١). [651]

على كل من يقدرون مصالحهم الابدية ان يكونوا يقظين وساهرين ضد غارات الالحاد . ان أعمدة الحق نفسها ستُهاجَم ويستحيل علينا ان نكون بعيدين عن متناول تهكمات الالحاد العصري ومغالطاته وتعاليمه المخاتلة والوبيلة. والشيطان يكيِّف تجاربه بحيث تناسب كل الطبقات . فهو يهاجم الاميين بنكتة أو سخرية، بينما هو يواجه الم ثقفين باعتراضات علمية ومحاجّة فلسفية، والغرض منها جميعا اثارة الشكوك أو احتقار الكتاب . بل حتى الشباب القليلو الاختبار يتجرَّأون على دس الشكوك في مبادئ المسيحية الاساسية. وإلحاد الشباب هذا مع انه ضحل قليل الغور فله تأثيره . وكثيرون من الشباب ينقادون الى السخ رية بايمان آبائهم والازدراء بروح النعمة (عبرانيين ١٠ : ٢٩). وكثيرا ما يحدث ان انسانا كان يُرجى ان تكون حياته مكرِّمة وممجِّدة لله وبركة للعالم ضربتها ريح الالحاد الفاسدة المحرقة . وكل من يركنون الى احكام العقول البشرية المتفاخرة ويتصورون انهم يستطيع ون شرح اسرار الله والوصول الى الحق من دون الاستعانة بحكمة الله تعلق ارجلهم في اشراك الشيطان.

اننا اليوم عائشون في اخطر فترة من فترات تاريخ العالم . ومصير الارض بمن يعيشون عليها والذين يتكاثرون كل يوم موشك ان يتقرر . وتتوقف سعادتنا العتي دة وكذلك خلاص النفوس الاخرى على سلوكنا وتصرفنا الحالي . فنحن في حاجة الى الاسترشاد بروح الحق . وعلى كل تابع للمسيح ان يسأل بكل غيرة قائلا: "ماذا تريد يا رب ان افعل ؟" علينا ان نتضع امام الرب بالصوم والصلاة وان نلهج بكلمت ه دائما وعلى الخصوص نتأمل في مشاهد الدينونة . علينا الآن ان نطلب اختبارا عميقا حيا لامور الله . لم يبق لدينا وقت نضيعه ولا برهة واحدة . فالحوادث ذات الخطورة الحيوية تحدث حولن ا. ونحن في أرض الشيطان المسحورة . فلا تناموا يا حراس الله ، فالعدو كامن قريبا منكم يتربص بكم، فاذا تراخيتم أو نمتم في أي لحظة فهو على اهبة الانقضاض عليكم لافتراسكم. [652]

كثيرون مخدوعون في ما يختص بحالتهم الحقيقية امام الله . انهم يهنئون انفسهم على الاخطاء التي لا يرتكبونها، ولكنهم ينسون احصاء الاعمال الصالحة والنبيلة التي يطلبها الله منهم ولكنهم اهملوا القيام بها . فلا يكفي ان يكونوا اشجارا في جنة الله بل عليهم ان يحققوا انتظاراته في الاتيان بثمر . وهو يعتبرهم مسؤولين عن اخفاقهم في اتمام كل الصلاح الذي كان يمكنهم ان يفعلوه بواسطة نعمته التي تقويهم . ففي اسفار السماء مسجل ضدهم انهم معطِّلون ومبطلون للأرض . ومع ذلك فحتى حالة هذه الفئة من الناس ليست ميئوساً منها . ان قلب المحبة المتأني الصبور لا يزال يتوسل الى الذين قد استهانوا برحمته واساءوا استخدام نعمته، "لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح . فانظروا كيف تسلكون

بالتدقيق ... مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة“ (أفسس ٥ : ١٤ ـــ ١٦).

عندما يأتي وقت الامتحان فأولئك الذين جعلوا كلمة الله دستور حياتهم سيظهرون . في الصيف لا يرى فرق ظاهر بين الاشجار الدائمة الاخضرار وغيرها من الاشجار، ولكن عندما تجيء زوابع الشتاء وبرده تبقى الاشجار الدائمة الاخضرار بلا تغيير بينما الاشجار الاخرى تتجرد من أوراقها. وهكذا المعترف بالمسيحية الكاذب القلب قد لا يمكن تمييزه الآن من المسيحي الحقيقي ولكن في وقت قريب سيظهر الفرق . فلو استيقظت المقاومة وساد التعصب واشتعلت نيران الاضطهاد فان الفاترين والمرائين سيترنحون ويسلمون في عقيدتهم، لكنّ المسيحي الامين سيظل ثابتا كالصخر وسيتقوى ايمانه ويلمع رجاؤه اكثر مما في ايام النجاح.

يقول المرنم: ”شهاداتك هي لهجي“. ”من وصاياك اتفطن لذلك ابغضت كل طريق كذب“ (مزمور ١١٩ : ٩٩ و ١٠٤). [653]

”طوبى للانسان الذي يجد الحكمة“، ”فانه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد اصولها ولا ترى اذا جاء الحر ويكون ورقها اخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الاثمار“ (امثال ٣: ١٣ ؛ ارميا ١٧ : ٨). [654]

الفصل الثامن و الثلاثون ـــ الانذار الاخير

"ثم بعد هذا رأيت ملاكا آخر نازلا من السماء له سلطان عظيم واستنارت الأرض من بهائه . وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت مسكناً للشياطين ومحرسا لكل روح نجس ومحرسا لكل طائر نجس وممقوت" "ثم سمعت صوتا آخر من السماء قائلا اخرجوا منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها" (رؤيا ١٨ : ١ و ٢ و ٤).

تشير هذه الآيات الى زمن آت فيه يتكرر الاعلان عن سقوط بابل كما نطق به الملاك الثاني المذكور في (رؤيا ١٤ : ٨). انما هذه المرة يضيف هذا الملاك ذكر المفاسد والنجاسات التي قد دخلت في كل النظم التي تتكون منها بابل، منذ ان قُدِّمت تلك الرسالة أولا في صيف عام ١٨٤٤ . وهنا وصف مخيف للعالم الديني . ففي كل مرة يرفض الناس الحق ستصير عقولهم اشد ظلاما وقلوبهم أشد صلابة وعنادا حتى يتحصنوا في وقاحة الحادية . ففي تحديهم الانذارات التي قدمها اليهم الله سيظلون على عنادهم في الدوس على احدى الوصايا العشر حتى ينتهي بهم الامر الى اضطهاد من يقدسونه ا. ان المسيح يُستخف به بسبب الاحتقار الذي يقع على كلمته وشعبه . فاذ تقبل الكنائس تعاليم مناجاة الارو اح فان الرادع الموضوع على القلب الجسداني يُزال [655] ويصير الاعتراف بالديانة قناعا يخفي تحته أحط الآثام . والاعتقاد في ظهور الارواح يُفسح المجال أمام الارواح المضلة وتعاليم الشياطين، وهكذا يترك تأثير الملائكة الاشرار ليعمل عمله المدمر في الكنائس .

اما با بل فاذ تبدو امام انظارنا في هذه النبوة يُعلن عنها أنّ "خطاياها لحقت السماء وتذكَّر الله آثامها" (رؤيا ١٨ : ٥). لقد ملأت مكيال اثمها والهلاك موشك ان ينصب عليه ا. لكنّ الله لا يزال له شعب في بابل، وقبلما يفتقدها بضرباته لا بد ان يُدعى هؤلاء الامناء للخروج ح تى "لا تشتركوا في خطاياها ولا تأخذوا من ضرباته ا". من هنا الحركة المرموز اليها بنزول الملاك من السماء منيراً الارض من بهائه صارخا بشدة بصوت عظيم معلنا عن خطايا بابل . وقد ارتبطت برسالته هذه الدعوة القائلة: "اخرجوا منها يا شعبي". هذه الاعلانات بارتباطها برسالة الملاك الثالث تكوِّن آخر انذار يقدم الى سكان الارض

ومخيفة هي الحالة التي ستكون فيها الارض . فاذ تتحد قواتها معا لمحاربة وصايا الله ستصدر امرا عاليا بان الجميع "الصغار والكبار والاغنياء والفقراء والاحرار والعبيد" (رؤيا ١٣ : ١٦) يمتثلون لعادات الكنيس ة بحفظ السبت الزائف . وكل الذين يرفضون الامتثال ستوقع بهم عقوبات مدنية وسيُعلن اخيرا انهم مستحقون الموت. ومن الناحية الاخرى فان شريعة الله التي تفرض يوم راحة الخالق تأمر بالطاعة وتتوعد بالغضب كل من يتعدون وصاياها.

فاذ توضع هذه النتيجة جلية واضحة امام الناس فكل من يمتهن شريعة الله ليطيع تشريعا بشريا يقبل سمة الوحش ويقبل الولاء للسلطان الذي يختاره ليطيعه من دون الله . ان الانذار الآتي من السماء هو هذا: "ان كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضا سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفا في كأس غضبه" (رؤيا ١٤ : ٩ و ١٠).

ولكن لن يقاسي أحد أهوال غضب الله الى ان يمس الحق عقله وضميره ثم يرفضه . فثمة كثيرون ممن لم تُتَحْ لهم الحقائق الخاصة بهذا [656] العصر. فعهد الوصية الرابعة لم يوضع ابدا امامهم في نوره الحقيقي . وذاك المطَّلِع على كل قلب ومختبر كل وازع لن يترك انسانا يرغب في معرفة الحق ينخدع في ما يختص بنتائج الصراع . والامر لن يُفرض على الناس من دون تبصر . فكل واحد سيعطى النور الكافي ليتخذ قراره عن فهم وتبصر.

محك الولاء

سيكون السبت الاختبار العظيم للولاء لانه نقطة الحق المختلف و المتنازع عليها بوجه خاص . فعندما يتضح الاختبار الاخير لدى الناس ويقولون كلمتهم حينئذ يوضع حد فاصل بين من يعبدون الله ومن لا يعبدونه . ففي حين ان حفظ السبت الزائف اطاعة لشريعة الدولة خلافا لما تأمر به الوصية الرابعة هو مجاهرة بالولاء لسلطان مضاد لسلطان الله ف ان حفظ السبت الحقيقي اطاعة لشريعة الله هو برهان الولاء للخالق . وفي حين ان فريقا بقبوله رمز الخضوع للسلطات الارضية يقبل سمة الوحش، فالفريق الآخر اذ يختار علامة الولاء لسلطان الله يقبل ختم الله.

ان الذين قدموا حقائق رسالة الملاك الثالث في ما مضى اعتُبروا مثي ري فتن وقلاقل . وتنبؤاتهم بأن التعصب الديني سيسود في الولايات المتحدة وان الكنيسة والدولة ستتحدان معا في اضطهاد الذين يحفظون وصايا الله حُكم عليها بالسخف المجاني . وقد أُعلن بكل ثقة ان تلك البلاد لا يمكن ان تكون غير ما هي، اي حامية الحرية الدينية . ولكن اذ ا ثيرت مشكلة فرض حفظ يوم الاحد أوشكت الحادثة التي ظلت طويلا مشكوكا فيها وغير قابلة للتصديق ان تحصل، والرسالة الثالثة ستحدث تأثيرا لم يكن يُظن حدوثه من قبل.

في كل عصر ارسل الله خدامه لتوبيخ الخطيئة في العالم وفي الكنيسة . لكنّ الناس يرغبون في ان يُقال لهم الكلام الناعم، أما الكلام النقي غير المدهون أو المصقول فهو غير مقبول . ان كثيرين من المصلحين اذ شرعوا في عملهم قرروا [657] ان يمارسوا حكمة عظيمة وضبط نفس في مهاجمة خطايا الكنيسة والامة . وقد كانوا يرجون، بفضل مثال حياتهم المسيحية النقية، ان يرجعوا الناس الى تعاليم الكتاب. لكنّ روح الله حل عليهم كما قد حل على ايليا اذ حركه لان يوبخ خطايا ملك شرير وشعب مرتد، ولذلك لم يستطيعوا الكف عن الكرازة باقوال الكتاب الصريحة والتعاليم التي كانوا ينفرون من تقديمه ا. لقد دُفعوا دفعا الى اعلان الحق والخطر الذي يهدد النفوس، وذلك بكل غيرة. ونطقوا بالكلام الذي أعطاهم اياه الرب من دون خوف من العواقب، وكان الناس مرغمين على الاصغاء الى الانذار.

اعلان الرسالة بقوة

وهكذا ستعلن رسالة الملاك الثالث . فعندما يجيء وقت اعلانها بأعظم قوة فالرب سيستخدم وسائل متواضعة اذ يرشد عقول الذين يكرسون ذواتهم لخدمته . وأولئك العمال س يؤهلون بالاحرى بمسحة روحه أكثر مما بتدريب معاهد العلم . فرجال الايمان والصلاة سيجدون انفسهم مدفوعين للخروج بغيرة مقدسة معلنين الكلام الذي يعطيهم الله اياه .ان خطايا بابل ستتكشف . والنتائج المخيف ة لارغام الناس على ممارسة فرائض الكنيسة بواسطة القوة المدنية، والتهافت على مناجاة الارواح، وتقدم السلطان البابوي

المستتر والسريع في الوقت نفسه كل هذا سيكون سافرا. بهذه الانذارات الخطيرة سيوقظ الناس . وآلاف فوق آلاف ممن لم يسبق لهم ان سمعوا كلاما كهذا سيسمعون في ذهول ان بابل هي الكنيسة التي سقطت بفعل ضلالاتها وخطاياها ورفضها الحق المرسل اليها من السماء . فاذ يعود الناس الى معلميهم السابقين يسألونهم في لهفة قائلين: هل هذه الامور هكذا ؟ فالخدام يقدمون اليهم خرافات ويتنبأون لهم بالناعمات لكي يسكّنوا مخاوفهم ويهدّئوا ضمائرهم التي استيقظت. ولكن بما ان كثيرين سيرفضون الاكتفاء بمجرد سلطان الناس ويطلبون توضيحا كتابيا صريحا كالقول "هكذا قال الرب" فالخدام المشهورون كالفريسيي ن قديما سيستشيطون غضبا عندما يُشك في سلطانهم [658] ويشجبون الرسالة قائلين انها من الشيطان ويثيرون جماهير الناس المحبين للخطيئة ليشتموا أولئك الذين يذيعونها ويضطهدوهم.

عندما يمتد الصراع

وعندما يمتد الصراع الى ميادين جديدة وتوجّه اذهان الناس الى شريعة الله الم دوسة تحت الاقدام فالشيطان يكون منهمك ا. ان القوة المصاحبة للرسالة ستصيب مقاوميها بالجنون . والاكليروس سيبذلون جهودا فوق الطبيعة لو استطاعوا ليمنعوا النور حتى لا يشرق على قطعانهم . وبكل وسيلة تحت سلطانهم سيحاولون اخماد المباحثة في هذه المسائل الحيوية . والكنيسة تلجأ الى ذراع القوة المدنية، وفي هذا العمل سيتحد البابويون والبروتستانت . واذ تشتد حركة ارغام الناس على حفظ يوم الاحد وتزيد جرأة واصرارا فسيُستنجد بالقانون ضد حافظي الوصية . وسيتوعدونهم بالغرامات والسجن والبعض منهم ستُعرض عليهم وظائف ذات نفوذ وغير ذ لك من المكافآت والميزات لاغرائهم بنبذ عقيدتهم . لكنّ جوابهم الثابت سيكون هكذا: "برهنوا لنا على خطئنا من كلمة الله" — وهذه هي الحجة نفسها التي قدمها لوثر عندما كان في ظروف مماثلة. وأولئك الذين يُستدعون للمثول امام المحاكم يؤيدون الحق ويزكونه تزكية قوية، وبعض من يسمعونهم سيقررون حفظ كل وصايا الله، وهكذا سينكشف النور أمام آلاف من الناس الذين لولا ذلك لما كانوا يعرفون شيئا عن تلك الحقائق.

ستعامل إطاعة كلمة الله في اخلاص كما لو كانت تمردا وعصيان ا. فاذ يعمي الشيطان اذهان الآباء سيلجأون الى الفظاظة والقسوة في معاملة أولادهم المؤمنين، والسيد أو السيدة سيضطهدون خدامهم أو عبيدهم حافظي الوصية. وستُستبعد المحبة، والاولاد يُحرمون من الميراث ويُطردون من البيت . وسيتم كلام بولس حرفيا اذ قال: "جميع الذين يريدون ان يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢ تيموثاوس ٣ : ١٢).واذ يرفض المدافعون عن الحق تكريم يوم الاحد فالبعض منهم سيلقى بهم في السجون، والبعض [659] الآخر سيرسلون الى المنفى، والبعض سيعاملون معاملة العبيد . كل هذا يعتبر الآن امرا مستحيل الوقوع في نظر الحكمة البشرية، ولكن اذ ينسحب روح الله الرادع من بين الناس ويصيرون تحت سيطرة الشيطان الذي يبغض وصايا الله فستحدث تطورات غريبة . ان القلب يمكن ان يكون قاسيا جدا عندما يُطرد منه خوف الله ومحبته.

واذ تقترب العاصفة فان فريقا كبيرا ممن قد اعترفوا بايمانهم برسالة الملاك الثالث ولكنهم لم يتقدسوا بالطاعة للحق يتركون مركزهم وينضمون الى صفوف المقاومة. فاذ يتحدون مع العالم ويشتركون في روحه فهم يرون بالمنظار نفسه تقريبا، وعندما يجيء الامتحان يكونون مستعدين لاختيار الجانب السهل الشائع المشهور. واصحاب المواهب والخطابة المسرة الذين ك انوا قبلا يبتهجون بالحق يستخدمون قواهم في خداع النفوس وتضليله ا. ويصيرون ألد أعداء اخوتهم السابقين. وعندما يؤتى بحافظي السبت امام

المحاكم ليجاوبوا عن ايمانهم فان هؤلاء المرتدين يكونون افعل الوسائل في يد الشيطان لتشويه اخلاقهم والدس ضدهم واتهامهم، وبواسطة البلاغات الكاذبة والداسائس يثيرون الحكام ضدهم.

في وقت الاضطهاد هذا سيُمتحن ايمان عبيد الرب . لقد قدموا الانذار بكل امانة ناظرين الى الرب وكلمته فقط . ولان روح الله يرف على قلوبهم فانه ارغمهم على الكلام، واذ حرضتهم الغيرة المقدسة وبدافع قوي اله ي في نفوسهم شرعوا في القيام بواجباتهم من دون ان يحسبوا بفتور حساباً لعواقب مخاطبة الناس بكلمة الله التي سلمهم اياه ا. ولم يتدربوا امر مصالحهم المادية ولا ضنوا بسمعتهم أو حياتهم . ومع ذلك فعندما تهب عليهم عاصفة المقاومة والعار ويستولي الرعب على البعض منهم سيك ونون على اهبة الصراخ قائلين: "لو كنا قد علمنا من قبل عواقب كلامنا لكنا قد صمتنا". لقد احدقت بهم المتاعب والمشقات . والشيطان يهاجمهم بتجاربه العنيفة . ويبدو ان العمل الذي شرعوا فيه هو فوق طاقتهم ولا يستطيعون انجازه انهم مهددون بالهلاك . وقد زايلهم الحماس الذي كان قد انعشهم،ومع ذلك فهم لا يستطيعون ان يتراجعو ا. [660] وحينئذ اذ يحسون بعجزهم التام يهرعون الى الرب القدير في طلب القوة . وهم يذكرون ان الكلام الذي نطقوا به لم يكن كلامهم بل كلام ذاك الذي أمرهم بتبليغ الانذار . لقد وضع الله الحق في قلوبهم فلم يستطيعوا الاحجام عن اذاعته.

ان هذه المحن نفسها قد اختبرها رجال الله السابقون في العصور السالفة. فويكلف وهس ولوثر وتندل وباكستر ووسلي ألحوا بوجوب وضع كل التعاليم تحت اختبار الكتاب، واعلنوا عن استعدادهم لنبذ كل ما يدينه كتاب الله . وقد ثارت اضطهادات قاسية لا تلين ضد هؤلاء الناس ومع ذلك لم يكفوا عن اعلان الحق . لقد مرت الكنيسة في تاريخها بمراحل مختلفة تميزت كل منها بابراز حقيقة خاصة تتوافق واحتياجات شعب الله آنذاك . وكل حق جديد شق لنفسه طريقا ضد العداوة والمقاومة، وكل من قد تباركوا بنوره جُربوا وامتحنو ا. فالرب يعطي حقا خاصا للشعب في ظرف طارئ. فمن يجرؤ على رفض اذاعته ؟ انه يأمر عبيده ان يقدموا آخر دعوات الرحمة الى العالم . وهم لا يستطيعون البقاء صامتين ما لم يكن هنالك خطر على ارواحهم . ان سفراء المسيح لا شأن لهم بالعواقب . فعليهم القيام بواجبهم تاركين النتائج في يد الله.

تفاقم المقاومة

واذ تتفاقم المقاومة وتشتد فان عبيد الله يرتبكون مرة اخرى عندما يتراءى لهم انهم هم الذين أحدثوا الازمة . لكن ضمائرهم وكلمة الله تؤكد لهم انهم سائرون في طريق الصواب، ومع ان التجارب تبقى كما هي فانهم يتشددون لاحتماله ا. والنضال يقترب اليهم اكثر ويزيد عنفا وشدة لكنّ ايمانهم وشجاعتهم يزيدان بنسبة تلك الحالة الطارئة . وشهادتهم هي هذه: "اننا لا نجرؤ على العبث بكلمة الله بتقسي م كلمة الله وشريعته المقدسة فنعتبر جزءا منه جوهريا والجزء الآخر غير جوهري لكي نظفر برضى العالم . ان الرب الذي [661] نخدمه قادر على ان ينقذن ا. لقد غلب المسيح سلاطين الارض فهل نخشى من عالم منهزم من قبل؟".

ليس الاضطهاد في اشكاله المختلفة الا تطوراً لمبدإ سيظل باقي ا ما دام الشيطان باقيا وطالما توجد للمسيحية قوة حيوية . ولا يستطيع انسان ان يخدم الله من دون ان يسجل على نفسه مقاومة قوات الظلمة . فالملائكة الاشرار سيهاجمونه اذ يفزعهم الفكر بان تأثيره سينتزع الفريسة من ايديهم . والناس الاشرار اذ يوبخهم مثاله سيتحدون مع الشي اطين في محاولة ابعاده عن الله بالتجارب المغرية . فعندما لا ينجح هؤلاء فحينئذ ستُستخدم قوة قاهرة لارغام الضمير.

يسوع، شفيع الانسان

ولكن طالما كان يسوع هو شفيع الانسان في القدس السماوي فان تأثير الروح القدس الرادع سيحس به الحكام والناس . وهو لا يزال يسيطر على قوانين البلاد الى حد ما. ولولا هذه القوانين لأمست حالة العالم شرا مما هي الآن . ففي حين ان كثيرين من الحكام هم آلات فعالة في يد الشيطان فان لله أيضا وسائله ورجاله العاملين بين قادة الامة. والعدو يرف فوق عبيده لكي يقترحوا اجراءات من شأنها ان تعيق عمل الله كثيرا، لكن الساسة الذين يخافون الرب يؤثر عليهم الملائكة القديسون لمقاومة مثل تلك المقترحات بحجج لا تُرد . وهكذا سيوقف رجال قليلون تيار الشر الجارف عند حده . وستُردع مقاومة اعداء الحق حتى تتمم رسالة الملاك الثالث عملها. ومتى قُدم الانذار الاخير فسيسترعي انتباه هؤلاء القادة الذين يعمل الرب بواسطتهم الآن وبعض منهم سيقبلونه وسيقفون الى جانب شعب الله في اثناء وقت الضيق. [662]

والملاك الذي سيشترك في اذاعة رسالة الملاك الثالث ستستنير كل الارض ببهائه . وقد انبئ هنا بعمل يشمل العالم كله بقوة غير عادية . ان حركة المجيء التي حدثت في الاعوام ١٨٤٠ — ١٨٤٤ كانت اظهارا مجيدا لقدرة الله، فقد حُملت رسالة الملاك الاول الى كل مراكز المرسلين في العالم، وفي بعض البلدان حدث اعظم اهتمام ديني شوهد في أي بلد منذ عهد الاصلاح في القرن السادس عشر . لكن هذه الحركات ستفوقها الحركة العظيمة التي ستحدث نتيجة لانذار الملاك الثالث الاخير.

وسيكون هذا العمل شبيها بما حدث في يوم الخمسين . فكما اعطي "المطر المبكر" ليظهر البذار الثمين وينبت بانسكاب الروح القدس عند بدء ظهور الانجيل، فكذلك سيعطى "المطر المتأخر" في النهاية لاجل نضج الحصاد، "لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب . خروجه يقين كالفجر . يأتي الينا كالمطر . كمطر متأخر يسقي الارض" (هوشع ٦ : ٣) "ويا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب الهكم لانه يعطيكم المطر المبكر على حقه وينزل عليكم مطرا مبكرا ومتأخرا" (يوئيل ٢ : ٢٣) "يقول الله ويكون في الايام الاخيرة اني اسكب من روحي على كل بشر"، "ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (اعمال ٢: ١٧ و ٢١).

لن تظهر بشارة الانجيل العظيمة في ختامها قدرة الله على نحو اقل مما اظهرته في بدايتها. والنبوات التي تمت عند انسكاب المطر المبكر في بدء عصر الانجيل ستتم ايضا في انسكاب المطر المتأخر في نهايته. هنا "أوقات الفرج" التي كان الرسول بطرس ينتظرها في مستقبل الايام عندما قال: "فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي اوقات الفرج من وجه الرب ويرسل يسوع المسيح" (اعمال ٣ : ١٩ و ٢٠).

ان عبيد الله بوجوههم المشرقة والمتألقة بنور التكريس المقدس سيسرعون من مكان الى مكان ليذيعوا رسالة السماء . ففي كل الارض ستقدم الانذار آلاف الاصوات . وستجرى عجائب فيشفى المرضى، والآيات والعجائب [663] ستتبع المؤمنين . ثم ان الشيطان سيعمل ايضا بآيات كاذبة حتى ينزل نارا من السماء أمام عيون الناس (رؤيا ١٣ : ١٣). وهكذا سيؤتى بسكان الارض ليقفوا موقفهم.

ثم ان الرسالة لا تُحمل بالحجة بقدر ما تحمل باقناع روح الله العميق في القلب. لقد قُدمت الحجج . والقي البذار والآن هو سينبت ويحمل ثمرا. ان المنشورات التي قد وزعها الكارزون قد بذلت تأثيرها، ومع ذلك فكثيرون ممن قد تأثرت عقولهم مُنعوا من ادراك الحق كاملا ومن تقديم الطاعة . أما الآن فها اشعة النور تخترق كل مكان، والحق يُرى في كل وضوحه، وأولاد الله المؤمنون يفصمون الربط التي

كانت تقيدهم . فصلات القرابة العائلية والكنسية تعجز الآن عن ابقائهم اذ ان الحق اثمن من كل ما عداه . وعلى رغم كل القوات المتحدة ضد الحق فان عددا غفيرا يتخذون موقفهم الى جانب الرب . [664]

الفصل التاسع و الثلاثون ــــ زمان الضيق

”وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئىس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة الى ذلك الوقت . وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوبا في السفر“ (دانيال ١٢ : ١).

عندما تنتهي رسالة الملاك الثالث لا تعود الرحمة تتوسل لاجل سكان الارض الأثمة . أما شعب الله فقد انجزوا عملهم . لقد نزل عليهم ”المطر المتأخر“ ”أوقات الفرج من وجه الرب“، وهم يُعدون لساعة التجربة المقبلة عليهم. والملائكة يسرعون في سيرهم هنا وهناك في السماء . وان ملاكا عائدا من الارض يعلن ان عمله قد كمل وقد جيء بالامتحان النهائي على الارض وكل من قد برهنوا على ولائهم لوصايا الله قبلوا ”ختم الله الحي“. حينئذ يكف يسوع عن شفاعته في القدس السماوي . ثم يرفع يديه وبصوت عظيم يقول: ”قد تم“، وكل الاجناد السماويين يخلعون اكاليله م عندما يعلن اعلانه المقدس قائلا: ”من يظلم فليظلم بعد ومن هو نجس فليتنجس بعد ومن هو بار فليتبرر بعد ومن هو مقدس فليتقدس بعد“ (رؤيا ٢٢ : ١١). لقد حُكم في كل قضية للحياة أو للموت . لقد صنع المسيح كفارة عن شعبه ومحا خطاياه م ،وقد اكتمل عدد رعاياه . ”المملكة والسلطان وعظمة [665] المملكة تحت كل السماء“ مزمعة ان تعطى لورثة الخلاص وسيملك يسوع كملك الملوك ورب الأرباب.

وعندما يترك القدس يكتنف الظلام ساكني الارض . وفي ذلك الوقت المخيف ينبغي للأبرار ان يعيشوا أمام اله قدوس من دون شفيع. ويُرفع الرادع الذي كان موضوعاً على الأشرار ويكون للشيطان السيادة الكاملة على الذين اختاروا اخيرا عدم الطاعة . لقد انتهى امهال الله . ورفض العالم رحمته وازدرى بحبه وداس على شريعته، وتخطى الأشرار حد امتحانهم . ولكونهم قاوموا روح الله بكل اصرار فقد انسحب من بينهم اخير اً. واذ يكونون محرومين من حماية النعمة الالهية فلن يكون هنالك ما يقيهم شر غارات الشرير . وحينئذٍ يوقع الشيطان كل سكان الأرض في ضيقة نهائية عظيمة . واذ يكف ملائكة الله عن صد رياح شهوات الناس العنيفة وغضبهم الشديد فكل عناصر الخصومة والنزاع ستنطلق. وسيكتنف العالم كله خراب اشد هولاً من ذاك الذي حل بأورشليم في القديم.

ان ملاكاً واحداً أهلك كل أبكار المصريين وملأ البلاد بالنوح والعويل . وعندما اسخط داود الله لما أحصى الشعب فان ملاكاً واحداً أحدث ذلك الهلاك الرهيب الذي به عوقبت خطيئته . والقوة المدمرة نفس ها التي سيستخدمها الملائكة القديسون عندما يأمر الله سيستخدمها الملائكة الاشرار عندما يسمح الرب بذلك. توجد الآن قوى على تمام الاهبة، انما هي تنتظر فقط الاذن من الله لتنتشر الدمار في كل مكان.

ان الذين يكرمون شريعة الله قد اتهموا بإيقاع الدينونة على العالم، وسيُعتبرون مسببي الاهتزازات والانتفاضات الهائلة التي تحدث في الطبيعة والخصومات وسفك الدماء بين الناس التي قد ملأت الارض بالويل والشقاء . والسلطان المصاحب لآخر انذار قد اهاج الاشرار . واشعل غضبهم ضد كل من قد قبلوا الرسالة، والشيطان سيثير روح الكراهية والاضطهاد الى حدود اشد بعدا. [666]

انسحاب حضور الله

عندما انسحب حضور الله من الأمة اليهودية تاركا إياها أخيرا فالكهنة والشعب لم يعرفوا ذلك . ومع انهم كانوا تحت سلطان الشيطان وقد تحكمت فيهم ارهب الاهواء وأخبثها فقد ظلوا يعتبرون انفسهم مختاري الله . وظلت الخدمة في الهيكل كما كانت . وكانت الذبائح تقدم على مذابحهم المنجسة، وكان الكهنة كل يوم يبتهلون في طلب البركة على شعب مجرم أراق دم ابن الله الحبيب. وكان الشعب يطلب قتل خدامه ورسله . وهكذا عندما يُنطق بحكم القدس الذي لا يُرد ويتقرر مصير العالم الى الابد فسكان الارض لن يعرفوا ذ لك. وطقوس الديانة سيظل يمارسها ذلك الشعب الذي قد انسحب من بينه روح الله نهائيا، والغيرة الشيطانية التي سيضرمها في قلوبهم سلطان الشر لاتمام اغراضه الخبيثة ستتخذ مظهر الغيرة لله.

وبما ان السبت قد صار هو نقطة النزاع في كل العالم المسيحي، وقد اتحدت السلطات الد ينية والدنيوية معا على ارغام الناس على حفظ يوم الاحد، فان الرفض الثابت الذي تبديه أقلية صغيرة للخضوع للامر العام سيجعلهم عرضة وهدفا للعنات الجميع وشتائمهم . وسيلح الناس على عدم التساهل مع تلك الفئة القليلة التي تقف ضد تشريع الكنيسة وقانون الدولة، وإنه خير لهم ان يتألموا من ان تنساق أمم كاملة الى الارتباك والعصيان . ان هذه الحجة نفسها قدمها رؤساء الشعب منذ ١٨٠٠ سنة حين قال قيافا الماكر: ”خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة كلها“ (يوحنا ١١ : ٥٠). وهي ستبدو قاطعة فيصدر اخيرا منشور ضد الذين يقدسون سبت الوصية الرابعة يتهمهم بانهم يستحقون أقصى عقوبة، وبعد وقت تعطى للشعب الحرية لقتلهم . ان الكاثوليكية في الدنيا القديمة والبروتستانتية المرتدة في الدنيا الجديدة ستتخذان اجراء مماثل حيال من يحفظون كل وصايا الله. [667]

وستكتنف شعب الله حينئذ مشاهد البل لايا والضيقات تلك التي يصفها النبي بانها وقت ضيق يعقوب . فيقول ارميا: ”هكذا قال الرب صوت ارتعاد سمعنا خوف ولا سلام ... تحول كل وجه الى صفرة . آه لان ذلك اليوم عظيم وليس مثله وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه“ (ارميا ٣٠ : ٥ — ٧).

يعقوب يرتعد من الخوف

ان الليلة التي قضاها يعقوب في الكرب والعذاب عندما صارع في الصلاة في طلب الخلاص من يد عيسو (تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠). انما ترمز الى اختبار شعب الله في وقت الضيق . فبسبب خداعه الذي لجأ اليه ليظفر ببركة ابيه التي كان المقصود بها عي سو هرب يعقوب طالبا النجاة اذ كان خائفا من تهديدات اخيه له بالموت . وبعدما بقي متغربا سنين كثيرة خرج امتثالا لامر الله ليعود بزوجاته وأولاده وقطعانه ومواشيه الى ارض ميلاده . وعندما وصل الى تخوم البلاد امتلأ قلبه رعبا وهلعا عندما بلغته انباء قدوم عيسو اليه على رأس فرقة من المحاربين، وكان بلا شك قادما ليثأر لنفسه . وأما الجماعة التي كان يعقوب على رأسها فلم تكن مسلحة ولا تملك وسائل دفاع، فبدا اعضاؤها كأنهم موشكون ان يسقطوا غنيمة عاجزة للقسوة والقتل . وقد اضيف الى حمل الجزع والخوف حمل آخر ساحق هو لوم يعقوب نفسه لان خطيئته هي التي أوقعته في هذا الخطر . فكان رجاؤه الوحيد في رحمة الله، وينبغي ان تكون الصلاة ملاذه الوحيد . ومع ذلك فمن جانبه كان لا يهمل عمل شيء من شأنه ان يكفر عن ظلمه لأخيه لكي يحول بعيدا عنه الخطر الذي يتهدده . وهكذا يجب على اتباع المسيح عندما يقتربون من وق ت الضيق ان يبذلوا

كل ما في طوقهم حتى يضعوا انفسهم في نور لائق امام الشعب لكي يجردوا التعصب من سلاحه ويبعدوا عن انفسهم الخطر الذي يتهدد حرية الضمير. [668]

وحده مع الله

فبعدما أجاز يعقوب عائلته بعيدا حتى لا يشهدوا كربه بقي وحده ليتشفع امام الله . انه يعترف بخطيئ ته، وبكل شكر يعترف برحمة الله نحوه، بينما هو بكل تذلل يطالب بعهد الله مع آبائه ووعوده له هو بالذات في ليلة الرؤيا التي رآها في بيت ايل وفي ارض غربته . وقد حلت ساعة الازمة في حياته . فكل شيء معرض للخطر . ففي الظلمة والوحدة يظل مصلي ا متذللا أمام الله . وفجأة توضع يد على كتفه . فيظن ان عدوا ينوي اغتياله وبكل قوته اليائسة يصارع مهاجمه. وعندما يطلع الفجر يستخدم ذلك الغريب قوته التي تفوق قوة البشر. ويبدو ان قبضته شلت قوى الرجل القوي يعقوب الذي يسقط عاجزا باكيا متوسلا على عنق خصمه الغامض ويعرف حينئذ ان ذاك الذي كان في صراع معه انما هو ملاك العهد . ومع انه كان عاجزا ويحس بأقسى الآلام فانه لا يتراجع ولا يتنحَّى عن غرضه . وقد طال تحمله للحيرة والندامة والضيق لاجل خطيئته، أما الآن فلا بد له من الحصول على يقين الغفران. ويبدو على الزائر الالهي انه موشك ان يرحل لكن يعقوب يتعلق به متوسلا في طلب البركة. قال له ملاك العهد: "اطلقني لانه قد طلع الفجر"، لكنّ ذلك الشيخ يصرخ قائلا: "لا أطلقك ان لم تباركني" أيُّ ثقة هذه وأي ثبات ومواظبة نراها ممثلة أمامنا ! فلو كان هذا ادعاء وقحا فخورا لكان يعقوب قد هلك في الحال، لكنّ يقينه كان يقين انسان يعترف بضعفه وعدم استحقاقه ومع ذلك يثق برحمة الله، حافظ العهد.

"جاهد مع الملاك وغلب" (هوشع ١٢ : ٤). فبواسطة التذلل والتوبة وتسليم الذات انتصر هذا الانسان الفاني المذنب الخاطئ في جهاده مع جلال السماء . بيده المرتعشة تمسك بمواعيد الله فلم يستطع قلب المحبة غير المحدودة ان يصد توسل هذا الانسان الخاطئ . وكبرهان على انتصاره وتشجيعا للآخرين على التمثل به تغير اسمه الذي كان يذكر بخطيئته واستبدل باسم صار تذكارا لانتصاره . وحقيقة كون يعقوب قد انتصر في جهاده مع [669] الله كان ضمانا لانتصاره مع الناس فما عاد يخشى مواجهة غضب اخيه لان الرب كان حصنه.

لقد اشتكى الشيطان على يعقوب امام ملائكة الله مدعيا لنفسه الحق في اهلاكه بسبب خطيئته . وقد حرَّض ع يسو على التقدم لمحاربته، وفي اثناء تلك الليلة التي قضاها ذلك الرجل الشيخ في المصارعة والمجاهدة حاول الشيطان ان يهاجمه بالشعور بذنبه لكي يجعله يخور ويفلت يده من التشبث بالله . وكاد يعقوب يسقط في اليأس ولكنه علم انه إن لم يح صل على معونة سماوية فهو لا محالة هالك . لقد اعترف بخطيئته العظيمة بكل اخلاص وتوسل في طلب رحمة الله . ولم يرد ان يتحول عن غرضه بل تمسك بالملاك بكل قوته وقدم طلبته بصرخات الألم الحارة والعذاب النفسي الى ان غلب.

الشيطان عدو شعب الله

وكما أوعز الشيطان الى عيسو ان يخرج لمحاربة يعقوب كذلك سيثير الاشرار لاهلاك شعب الله في زمان الضيق . وكما اشتكى على يعقوب سيقدم اتهاماته ضد شعب الله . انه يعتبر سكان العالم رعايا له،

لكنّ الشرذمة القليلة الذين يحفظون وصايا الله يقاومون سلطانه . فلو امكنه ان يمحوهم من على وجه الارض لكان انتصاره كاملا . ولكنه يرى ان الملائكة القديسين يحرسونهم ويستنتج من ذلك ان خطاياهم قد غفرت ولكنه لا يعلم ان قضاياهم قد بُتَّ فيها في القدس السماوي . ان لديه معرفة دقيقة بالخطايا التي قد جربهم ليرتكبوها فيستعرض هذه الخطايا أمام الله في نور مبالغ فيه جدا، وهو يصور هذا الشعب على انه يستحق الطرد بعيدا عن رضى الله مثله هو تماما، ويعلن ان الله لا يكون عادلا اذا غفر خطاياهم و في الوقت نفسه يهلكه هو وملائكته . وهو يدعي انهم فريسته ويطلب تسليمهم اليه ليهلكهم. [670]

وكما يتهم الشيطان شعب الله بسبب خطاياهم فالرب يسمح له بان يجربهم الى أقصى الحدود . وستُمتحن ثقتهم بالله وايمانهم وثباتهم بكل دقة . واذ يراجعون الماضي تضعف آمالهم لانهم مدى حياتهم لا يرون الا قليلا من الخير . ويشعرون شعورا كاملا بضعفهم وعدم استحقاقهم . والشيطان يحاول ان يرعبهم بالفكر ان قضيتهم ميئوس منها وان لوثات نجاستهم لا يمكن ان تمحى . وهكذا يحاول ان يلاشي ايمانهم حتى يخضعوا لتجاربه وينفضوا ايديهم من الولاء لله.

ومع ان شعب الله سيكونون محاطين باعداء قد عقدوا العزم على اهلاكهم فان العذاب الذي يتألمون منه ليس الخوف من اضطهادهم لاجل الحق بل الخشية من ان لا يكونوا قد اعترفوا بكل خطيئة اقترفوها والاخفاق بسبب خطأ فيهم في التأكد من وعد المخلص القائل: ”سأحفظك من س اعة التجربة العتيدة ان تأتي على العالم كله“ (رؤيا ٣ : ١٠). فلو أمكنهم الحصول على يقين الغفران لما انكمشوا امام العذاب أو الموت، اما اذا برهنوا على عدم استحقاقهم وخسروا حياتهم بسبب نقص اخلاقهم فاسم الله القدوس سيلحقه العار بسببهم.

انهم من كل جانب يسمعون بمؤامرات الخيانة ويرون اعمال العصيان الناشطة، وفي أعماق نفوسهم توجد رغبة حارة وشوق قلبي شديد الى انتهاء الارتداد العظيم ووضع حد لشر الاشرار . ولكن فيما هم يجاهدون مع الله حتى يوقف عمل العصيان فانهم يحسون احساسا جارحا اذ يلومون انفسهم لانه لا قوة عندهم تكفي للمقاومة وصد تيار الشر القوي . وهم يحسون انهم لو استخدموا كل قواهم في خدمة المسيح وتقدموا من قوة الى قوة لكانت كل قوات الشيطان تمسي أضعف من أن تنتصر عليهم .

انهم يذللون انفسهم امام الله ويشيرون الى توبتهم الماضية عن خطاياهم الكثيرة، متوسلين الى المخلص ان يت مم لهم هذا الوعد: ”يتمسك بحصني فيصنع صلحا معي . صلحا يصنع معي“ (اشعياء ٢٧ : ٥). ان ايمانهم لا يضعف لانهم لم يتلقوا اجابة سريعة لصلواتهم . ومع ان ذلك التأخير يوقعهم تحت طائلة [671] الجزع الشديد والرعب والضيق فانهم لا يكفون عن تقديم توسلاتهم . انهم يتمسكون بقوة الله كما قد تمسك يعقوب بالملاك، ولسان حال نفوسهم هو هذا: ”لا أطلقك ان لم تباركني“.

محو الخطايا

ولو لم يكن يعقوب قد سبق فتاب عن خطيئته في الحصول على البكورية بالمخاتلة لما سمع الله صلاته وبرحمته صان حياته . وكذا في وقت الضيق لو كانت قد بقيت عليهم خطايا لم يعترفوا بها وهم معذبون بالخوف والآلام لكانوا ينغلبون ويرتبكون، ولكان اليأس يقضي على ايمانهم ولما بقيت عندهم ثقة بها يتقدمون الى الله في طلب النجاة . ولكن في حين انهم يشعرون شعورا عميقا بعدم استحقاقهم فلا تبقى في قلوبهم خطايا مستت رة ليكشفوا عنها. لقد دينت خطاياهم من قبل ومُحيت، ولا يمكن ان تذكر بعد.

يجعل الشيطان كثيرين يعتقدون ان الله سيتغاضى عن عدم امانتهم في شؤون الحياة الصغرى، لكنّ

الرب يبرهن في معاملته ليعقوب انه لا يمكن ان يقر الشر او يتسامح معه . وكل من يحاولون الاعتذ ار عن خطاياهم او اخفاءها ويتركونها مسجلة في اسفار السماء من دون ان يعترفوا بها أو تغفر سينهزمون امام الشيطان . وكلما كان ادعاؤهم معظما ومركزهم محترما كان تصرفهم مغيظا ومكدرا لله وكان انتصار العدو العظيم موكدا. والذين يؤخرون الاستعداد ليوم الله لا يمكنهم الاستعداد في زمان الضيق أو أي زمن يأتي بعده . ان حالة امثال هؤلاء هي حالة ميئوس منها.

ان المعترفين بالمسيحية الذين يتقدمون الى ذلك الصراع الهائل وهم غير مستعدين ففي يأسهم سيعترفون بخطاياهم بكلمات مؤلمة ملتهبة في حين يبتهج الاشرار بالضيق الذي يحل بهم . هذه الاعترافات شبيهة [672] باعتراف عيسو او يهوذ ا. فالذين يقدمونها يندبون ليس جرم الخطيئة بل قصاصه ا. فهم لا يشعرون بانسحاق حقيقي أو كراهة للشر . انهم يعترفون بخطيئتهم خيفة القصاص، ولكن عن دما يكف العقاب يعودون الى تحديهم للسماء كما كانت الحال مع فرعون قديما.

ثم ان تاريخ يعقوب هو ايضا ضمان لحقيقة كون الله لن يطرح بعيدا أولئك الذين قد غُرر بهم وجُربوا وسقطوا في الخطيئة ولكنهم رجعوا اليه بتوبة صادقة . ففي حين ان الشيط ان يحاول اهلاك هذه الفئة من الناس فالله سيرسل ملائكته لتعزيتهم وحراستهم في وقت الخطر . ان الشيطان يقوم بهجماته بكل عنف واصرار . وضلالاته مرعبة، ولكن عين الرب هي على شعبه واذنه تصغي الى صرخاتهم . ضيقهم عظيم ويبدو كأن لهب الاتون موشكة ان تلتهمهم، ولكنّ الممحِّص سيخرجهم كالذهب المصفى بالنار. ولن تتغير محبة الله لاولاده عندما يجوزون في أقسى التجارب بل تظل كما كانت في وقتها ورقتها ايام الصفاء والنجاح . ولكن ينبغي ان يوضعوا في اتون النار حتى يحترق تعلقه م بما هو أرضي ويمكنهم ان يعكسوا صورة المسيح في كمال بهائها.

الايمان الثابت

يتطلب وقت الضيق والألم اللذين ينتظراننا ايمانا يتحمل الكلال والتأخير والجوع، ولا يهن ويضعف حتى ولو جُرِّب بكل شدة وصرامة . وتُمنح فترة الاختبار للجميع ليتأهبوا لذ لك الوقت . لقد غلب يعقوب بسبب مواظبته وتصميمه . ونصرته برهان على اقتدار الصلاة التي تقدَّم بلجاجة . وكل من يريدون التمسك بمواعيد الله كما قد فعل هو ويكونون حارين وجادين ومداومين على الصلاة مثله سينجحون كما قد نجح . اما الذين لا يرغبون في انكار الذات أو المكافحة والمجاهدة أمام الله، أو الصلاة وقتا طويلا وبكل غيرة وحرارة في طلب بركته، فلن ينالوه ا. المجاهدة مع الله — ما أقل من يعرفون ما هي ! [673] ما أقل الذين قد انجذبت نفوسهم نحو الله في شدة لهفتهم حتى وصلت كل قواهم الى أقصى حد ودها. عندما تكتسح المصليَ أمواج اليأس الذي لا يمكن التعبير عنه فما أقل من يتعلقون بمواعيد الله بايمان لا يكل ولا يسلِّم.

ان الذين يمارسون ايمانا قليلا الآن هم في اعظم خطر من السقوط تحت سلطان خدع الشيطان والامر بارغام الضمير . وحتى لو صمدوا للامتح ان فسيغمرهم حصر وألم عظيمان في زمان الضيق لانهم لم يتعودوا الاتكال على الرب. ودروس الايمان التي أهملوها سيضطرون الى تعلمها تحت الضغط المخيف الناتج من خور العزيمة والخوف.

علينا الآن ان نتعرَّف بالله بتكشف مواعيده . ان الملائكة يسجلون كل صلاة حارة مخلصة . وحريّ بنا ان نستغني عن المسرات الانانية فلا نهمل الشركة مع الله .فاعمق فقر واعظم انكار للذات مع رضى

الله واستحسانه أفضل من الغنى والكرامة والراحة والصداقة من دون رضاه . علينا ان نقضي وقتا في الصلاة . اننا اذا كنا نسمح لعقولنا بان تنشغل في المسرات العالمية والمصا لح الدنيوية فقد يعطينا الرب وقتا بنزعه من قلوبنا أصنام الذهب أو البيوت أو الارض الخصبة.

قد لا يُغوى الشباب على ارتكاب الخطيئة اذا كانوا يرفضون السير في طريق غير ذلك الذي يمكنهم فيه ان يسألوا بركة الله . اذا كان الرسل الذين يحملون الانذار الاخير الخطير ا لى العالم يصلّون طلبا لبركة الله ليس بطريقة باردة فاترة متكاسلة بل بحرارة وايمان كما قد فعل يعقوب فسيجدون اماكن كثيرة فيها يمكنهم ان يقولوا: "نظرت الله وجها لوجه ونُجيت نفسي" (تكوين ٣٢ : ٣٠). وسيُعتبرون في نظر السماء كأمراء اذ جاهدوا مع الله و الناس وقدروا.

"زمان الضيق الذي لم يكن مثله" قادم علينا سريعا وسنحتاج الى اختبار لا نملكه الآن ويتكاسل كثيرون في الحصول عليه . والواقع في غالب الاحيان هو [674] ان توقع حدوث الضيق اعظم منه في حقيقته، ولكن هذا لا يصدق على الازمنة التي أمامن ا. فأجلى عرض لا يمك نه تصوير جسامة التجربة كما يجب . ففي وقت التجربة ذاك على كل انسان ان يمثل بنفسه امام الله . "وفي وسطها نوح ودانيال وأيوب فحي انا يقول السيد الرب انهم لا يخلصون ابنا ولا ابنة. انما يخلصون انفسهم ببرهم" (حزقيال ١٤ : ٢٠).

كاملون في المسيح

فالآن حين يقدم رئيس كهنتنا العظيم الكفارة عنا ينبغي ان نجتهد لنكون كاملين في المسيح . ان مخلصنا لم يسلم لقوة التجربة ولو بمجرد الفكر . والشيطان يجد في قلوب الناس بعض نقاط الضعف التي يمكنه ان يجد فيها موضعا لقدمه، اذ يحتضن الانسان شهوة خاطئة يست طيع بواسطتها ان يزيد من قوة تجاربه . لكنّ المسيح أعلن قائلا عن نفسه: "رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء" (يوحنا ١٤ : ٣٠). فلم يستطع الشيطان ان يجد في ابن الله شيئا يجعله قادرا على احراز النصرة . لقد حفظ وصايا ابيه ولم توجد فيه خطيئة يمكن للشيطان استخ دامها لصالحه . هذه هي الحالة التي ينبغي ان يكون عليها الذين سيثبتون في زمان الضيق.

علينا ونحن في هذه الحياة ان نبعد عنا الخطيئة بالايمان بدم المسيح المكفر. ان مخلصنا العزيز يدعونا لان نتحد به فيرتبط ضعفنا بقدرته وجهلنا بحكمته وعدم استحقاقنا باستحقاقاته . وعناية الله هي المدرسة التي علينا ان نتعلم فيها وداعة يسوع وتواضعه . والرب يضع نصب عيوننا دائما ليس الطريق الذي نختاره، الطريق السهل علينا والمسر لنا، بل اهداف الحياة الحقيقية . ان الامر بين أيدينا في ان نتعاون مع القوات التي تستخدمها السماء في عملية جعل اخلاق نا على مثال النموذج الالهي . وكل الذين يهملون هذا العمل أو يؤخرونه يجلبون على انفسهم أرهب المخاطر . [675]

لقد سمع يوحنا الرسول في رؤياه صوتا عظيما في السماء يقول: "ويل لساكني الارض والبحر لان ابليس نزل اليكم وبه غضب عظيم عالما ان له زمانا قليلا" (رؤيا ١٢ : ١٢). ان المشاهد التي استوجبت صدور هذه الصرخة من الصوت السماوي هي مشاهد مخيفة، فغضب الشيطان يزيد بنسبة قصر مدته، وسيصل عمله الخدّاع المهلِك الى أقصى حدوده في زمان الضيق.

وستظهر في السموات مناظر مخيفة فائقة الطبيعة كعلامة وبرهان على قوة الشياطين الصانعة الآيات . وستخرج أرواح الشياطين الى ملوك الارض والى العالم كله لتثبّتهم في الخداع وتشدد عليهم في الاتحاد

مع الشيطان في معركته الاخيرة ضد حكم السماء . وبواسطة هذه القوات سيُغوى الحكام ورعاياهم في السوء . وسيقوم اشخاص يدّعون انهم المسيح نفسه وينتحلون الحق في الالقاب والعبادة التي هي من حق فادي العالم وحده . وسيصنعون معجزات شفاء عجيبة، وسيدعون انهم تلقوا اعلانات من السماء مناقضة لشهادة الكتاب.

أعظم حادث

وآخر فصل من فصول رواية الخداع هو ان الشيطان نفسه سيظهر في شكل المسيح . لقد اعترفت الكنيسة طويلا بانها تنتظر مجيء المخ لص كنهاية آمالها. فالآن سيجعل المخادع العظيم الامر يبدو كما لو ان المسيح قد جاء. ففي جهات مختلفة من العالم سيظهر الشيطان نفسه بين الناس ككائن مهيب ينبعث منه نور يبهر الابصار يشبه الوصف الذي أورده يوحنا في سفر الرؤيا عن ابن الله (رؤيا ١ : ١٣ — ١٥). والمجد الذي يحيط بالشيطان لن يفوقه مجد مما قد رأته عين بشر . وسيدوي في الهواء هتاف الانتصار قائلا : "قد أتى المسيح ! قد أتى المسيح !" والناس سينطرحون ساجدين امامه في حين يرفع هو يديه مباركا اياهم كما قد بارك المسيح تلاميذه حين كان على الارض . صوته رقيق ومنخفض ومع ذلك فهو مليء بالالحان. وبنغمات [676] رقيقة مشفقة يقدم بعضا من الحقائق الجميلة السماوية نفسها التي نطق بها المخلص، فهو يشفي امراض الناس، وبما انه قد اتخذ صفة المسيح وهيئته يَّدعي انه قد ابدل السبت بالاحد ويأمر الجميع بتقديس اليوم الذي باركه . ثم يعلن ان كل من يصرون على تقديس اليوم السابع يجدفون على اسمه برفضهم الاصغاء الى ملائكته الذين أرسلهم اليهم بالنور والحق . هذا هو الخداع القوي الذي يكاد يكون مسيطر ا. وكأهل السامرة الذين قد خدعهم سيمون الساحر فجماهير الناس من الادني اء الى العظماء يلتفتون الى اعمال السحر هذه قائلين هذا هو "قوة الله العظيمة" (اعمال ٨ : ١٠).

لكنّ شعب الله لن يمكن تضليلهم . ان تعاليم هذا المسيح الكذاب ليست متوافقة مع تعاليم الكتاب . ان البركة يُنطق بها على عابدي الوحش وصورته وهم الجماعة نفسها الذين يعلن الكتاب ان غضب الله سينصب صرفا عليهم.

وأكثر من هذا فان الشيطان لا يُسمح له بتزييف كيفية مجيء المسيح. لقد حذر المخلص شعبه من الضلال في هذا الامر وبكل وضوح أنبأهم بكيفية مجيئه الثاني اذ يقول: "لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ... فان قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجو ا. ها هو في المخادع فلا تصدقوا لانه كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان" (متى ٢٤ : ٢٤ ٢٧ و ٣١ ؛ ٢٥ : ٣١ ؛ رؤيا ١: ٧ ؛ ١ تسالونيكي ٤: ١٦ و ١٧). هذا المجيء لا يمكن تزييفه . فسيعرفه الجميع وسيراه العالم كله.

الحماية من الضلالة

وحدهم الذين كانوا دارسين بجدّ الكتاب المقدس وقبلوا محبة الحق هم الذين سيحصلون على الحماية من الضلالة ا لقوية التي ستأسر [677] العالم كله . فبواسطة شهادة الكتاب سيكتشف هؤلاء الناس المخادع في تنكره . وستجيء على الجميع أزمنة امتحان صعبة . فاذ تغربلهم التجربة سيُعرف المسيحي الحقيقي .

فهل شعب الله مبنيون بكل ثبات على كلمته بحيث لا يخضعون ولا يسلمون لبرهان حواسه م ؟ وهل في مثل هذه الحالة المتأزمة يتمسكون بالكتاب ولا شيء سواه ؟ ان الشيطان سيحاول لو امكنه ان يحول بينهم وبين الحصول على استعداد للثبات في ذلك اليوم . وسيرتب الامور بحيث يسيِّج طريقهم ويعرقلهم بكنوز الارض ويجعلهم يحملون عبئا ثقيلا متعبا حتى تثقل قلوبهم بهموم هذه الحياة ويُقدِم عليهم ذلك اليوم كلص.

واذ يصدر الأمرَ مختلف حكام العالم المسيحي ضد حافظي الوصية بحرمانهم من حماية الحكومة وتركهم تحت رحمة الذين يقصدون اهلاكهم، فان شعب الله سيهربون من المدن والقرى ويجتمعون معا في جماعات ويسكنون في الاماكن الموحشة المنعزلة . وكثيرون سيجدون لهم ملجأ في حصون الجبال . وكالمسيحيين الذين كانوا يعيشون في أودية بيدمونت سيجعل هؤلاء ايضا من مرتفعات الارض مقادس لهم وسيشكرون الله على "حصون الصخور" (اشعياء ٣٣ : ١٦). لكنّ كثيرين من كل الامم ومن ك ل الطبقات، العظماء والادنياء والاغنياء والفقراء والسود والبيض ،سيقعون في أشد عبودية قاسية ظالمة . وسيقضي أحباء الله اياما مضنية مكبلين بالقيود محبوسين في السجون ومحكوما عليهم بالقتل، والبعض منهم سيُتركون على ما يبدو ليموتوا جوعا في سجون مظلمة كريهة . لا اذن بشرية تصغي الى انينهم ولا يد بشرية تمتد بالعون لهم.

هل ينسى الرب شعبه ؟

فهل ينسى الرب شعبه في ساعة المحنة القاسية هذه ؟ وهل نسي نوحا الامين عندما افتقد بالدينونة العالمَ قبل الطوفان ؟ هل نسي لوطا عندما نزلت النار من السماء لتحرق مدن السهل ؟ وهل نسي يوسف وهو [678]

محاط بالوثنيين في مصر ؟ وهل نسي ايليا عندما هددته ايزابل بقسَم ان يكون مصيره كمصير انبياء البعل ؟ وهل نسي ارميا عندما القي في الجب المظلم الموحش في بيت سجنه ؟ وهل نسي الفتية الثلاثة في اتون النار ؟ أو دانيال في جب الاسود ؟

"وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني . هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتى هؤلاء ينسين وانا لا انساك . هوذا على كفَّي نقشتكِ" (اشعياء ٤٩ : ١٤ — ١٦). لقد قال رب الجنود: "من يمسُّكم يمس حدقة عينه" (زكريا ٢ : ٨).

ومع ان الاعداء قد يطرحو نهم في السجن فان أسوار السجن لا يمكنها ان تقطع صلة أرواحهم بالمسيح. ان ذاك الذي يرى كل ضعف فيهم والعليم بكل تجاربهم هو فوق كل سلاطين الارض . والملائكة سيزورونهم في غرف سجنهم الموحشة مقدمين اليهم نورا وسلاما من السماء . وسيكون السجن كالقصر لان الاغنياء في الا يمان حالّون فيه، وجدران السجن المظلمة سينيرها نور سماوي كما حدث عندما كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله في نصف الليل في سجن فيلبي.

ضربات الله

وستقع ضربات الله على الذين يحاولون مضايقة شعبه واهلاكهم . ان صبره الطويل الامد على

الاشرار يجرّئ الناس على الا معان في العصيان، ومع ذلك فان قصاصهم اكيد ومرعب لانه تأجل وقتا طويلا "لانه كما في جبل فراصيم يقوم الرب وكما في الوطاء عند جبعون يسخط ليفعل فعله فعله الغريب وليعمل عمله عمله الغريب" (اشعياء ٢٨ : ٢١). ان عمل القصاص هو في نظر الهنا الرحيم عمل غريب. "حي انا يقول السيد الرب اني لا أسر بموت الشرير" (حزقيال ٣٣ : ١١). الرب "اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان [679] والوفاء ... غافر الاثم والمعصية والخطيئة"، ومع ذلك فهو "لن يبرئ ابراء"، "الرب بطيء الغضب وعظيم القدرة ولكنه لا يبرئ البتة" (خروج ٣٤ : ٦ و ٧ ؛ ناحوم ١: ٣). وسيزكي الرب سلطان شريعته المدوسة بالاقدام برهبته وبره . فصرامة القصاص الذي ينتظر العصاة يمكن الحكم عليه من نفور الله في تنفيذ العدل. ان الامة التي يصبر عليها طويلا والتي لن يضربها حتى تملأ مكيال اثمها في تقدير الله ستشرب كأس الغضب غير الممزوج بالرحمة.

وعندما يكف المسيح عن الشفاعة في القدس ينسكب الغضب الصرف المهدد به أولئك الذين يسجدون للوحش ولصورته ويقبلون سمته (رؤيا ١٤ : ٩ و ١٠). فالضربات التي وقعت على مصر عندما كان الله مزمعا ان يخلص العبرانيين كانت شبيهة في نوعها بتلك الضربات الاشد هولا وشمولا التي ستنصب على العالم قبيل نجاة شعب الله تمام ا. يقول الرائي وهو يصف تلك الضربات المخيفة: "حدثت دمامل خبيثة ورديئة على الناس الذين بهم سمة الوحش والذين يسجدون لصورته". والبحر "صار كدم ميت وكل نفس حية ماتت في البحر". و "الانهار ... وينابيع المياه فصارت دما"، ومع ان هذه العقوبات رهيبة فان قضاء الله وعدله سيبقى مزكى بالتمام . ان ملاك الله يعلن قائلا: "عادل انت ايها الرب ... لانك حكمت هكذا لانهم سفكوا دم قديسين وانبياء فأعطيتهم دما ليشربوا لانهم مستحقون" (رؤيا ١٦ : ٢ — ٦). فاذ حكموا ا بالموت على شعب الله فقد جلبوا دم أولئك الابرار على انفسهم كما لو كانوا قد سفكوه بايديهم . وبمثل هذه الطريقة أعلن يسوع لليهود في عهده بانهم مجرمون سفكوا دم كل القديسين منذ ايام هابيل لان روح الاجرام نفسها كانت فيهم وكانوا يحاولون ان يعملوا ما عمله قتلة الانبياء أنفسهم. [680]

ضربة النار

وفي الضربة التالية أعطي للشمس السلطان "ان تحرق الناس بنار . فاحترق الناس احتراقا عظيم ا" (رؤيا ١٦ : ٨ و ٩). وهذا ما يصف به الانبياء حالة الارض في هذا الوقت المخيف: "ناحت الارض ... لانه قد تلف حصيد الحقل ... كل اشجار الحقل يبست . انه قد يبست البهجة من بني البشر". "عفنت الحبوب تحت مدرها خلت الاهراء ... كم تئن البهائم . هامت قطعان البقر لان ليس لها مرعى ... جداول المياه قد جفت والنار أكلت مراعي البرية" "تصير اغاني القصر ولاول في ذلك اليوم يقول السيد الرب . الجثث كثيرة يطرحونه ا في كل موضع بالسكوت" (يوئيل ١: ١٠ — ١٢ و ١٧ — ٢٠ ؛ عاموس ٨ : ٣).

هذه الضربات لا تشمل العالم بأسره والا لكان كل سكان الارض يبادون تماما. ومع ذلك فانها ستكون أرهب الضربات التي عرفها الناس . ان كل الضربات التي حلت بالناس قبل نهاية زمن النعمة كانت ممتزجة بالرحمة. فدم المسيح المتوسل قد حفظ الخاطئ من تحمل كل مكيال اثمه، أما في الدينونة الاخيرة فسينصب الغضب الصرف اي غير الممزوج بالرحمة.

وفي ذلك اليوم سيرغب الناس في الاحتماء برحمة الله التي قد ازدروا بها طويلا: "هوذا ايام تأتي يقول السيد الرب ارسل ج وعا في الارض لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء بل لاستماع كلمات الرب .

فيجولون من بحر الى بحر ومن الشمال الى المشرق يتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها" (عاموس ٨ : ١١ و ١٢).

يشبعون في زمن الجوع

لن يُعفى شعب الله من الآلام، لكنهم اذ يكونون مضطهدين ومتضايق ين يتحملون العوز ويتألمون لحاجتهم الى الطعام فلن يُتركوا ليهلكو ا. فذلك الاله الذي [681] اعتنى بايليا لن يُغضي عن اي واحد من أولاده المضحين بأنفسهم، ذاك الذي يحصي شعور رؤوسهم لا بد ان يرعاهم وفي زمن الجوع يشبعون . واذ يموت الاشرار جوعا وبسبب الوبإ فالملائكة سيحمون الابرار ويسدون اعوازهم . ان "السالك بالحق" يُقدم اليه هذا الوعد: "يعطى خبزه ومياهه مأمونة". "البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد . لسانهم من العطش قد يبس . انا الرب استجيب لهم . انا اله اسرائيل لا اتركهم" (اشعياء ٣٣ : ١٥ و ١٦ ؛ ٤١ : ١٧).

"فمع انه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاما، ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود" مع كل ذلك فيمكن لمن يخاف الرب ان يقول: "ابتهج بالرب وافرح بإله خلاصي" (حبقوق ٣: ١٧ و ١٨).

"الرب حافظك الرب ظل لك عن يدك اليمنى . لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في الليل . الرب يحفظك من كل شر يحفظ نفسك". "ينجيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر . بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي . ترس ومجن حقه . لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ولا من وباء يسلك في الدجى ولا من هلاك يفسد في الظهيرة . يسقط عن جانبك الف وربوات عن يمينك. اليك لا يقرب . انما بعينيك تنظر وترى مجازاة الاشرار . لانك قلت انت يا رب ملجإي جعلت العلي مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك" (مزمور ١٢١ : ٥ ــــ ٧ ؛ ٩١ : ٣ ــــ ١٠).

ومع ذلك فمن وجهة النظر البشرية سيظهر ان شعب الله لا بد من ان يختموا شهادتهم بدمهم سريعا كما فعل الشهداء من قبلهم . وهم انفسهم يبتدئون يخافون لئلا يكون الرب قد تركهم ليسقطوا بأيدي اعدائهم. انه وقت عذاب مخيف وكرب شديد . وهم يصرخون الى الله نهارا وليلا في طلب النجاة . أما الاشرار فسيتهللون ويبتهجون، وسينطقون بأقوال السخرية فيصيحون قائلين: "اين الآن ايمانكم ؟ ولماذا لا ينقذكم الله من ايدينا ان [682] كنتم شعبه حقا ؟". لكنّ أولئك المنتظرين يذكرون يسوع وهو يموت على صليب جلجثة عندما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يصرخون في سخرية قائلين: "خلص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصه ا. ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به" (متى ٢٧ : ٤٢). وهم جميعا يجاهدون مع الله كيعقوب. وجوههم تنم عن الصراع المحتدم في داخلهم وعقد علاها الاصفرار، ومع ذلك فهم لا يكفون عن توسلاتهم الجادة الغيورة .

الحراس السماويون

ولو أعطيت للناس عيون أهل السماء لرأو ا جماعات من الملائكة المقتدرين قوة حالين حول الذين قد حفظوا كلمة صبر المسيح . لقد شهد الملائكة ضيقهم وألمهم برقة وعطف وسمعوا صلوا تهم. وهم

ينتظرون أمرا من قائدهم ليختطفوهم من الخطر . ولكن عليهم ان ينتظروا قليلا ايض ا. على شعب الله ان يشربوا الكأس ويصطبغوا بالصبغة . ان التأخير نفسه مع انه مؤلم جدا لهم هو أفضل جواب على توسلاتهم . واذ يحاولون ان ينتظروا الر ب بثقة ليعمل فان الرب يقودهم الى ممارسة الايمان والرجاء والصبر التي لم يمارسوها الا قليلا جدا في خلال اختبارهم الديني . ولكن لاجل المختارين يقصر زمان الضيق . "أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا ... أقول لكم انه ينصفهم سريعا" (لوقا ١٨ : ٧ و ٨). ان النهاية ستأتي بأسرع مما يتوقع الناس . والحنطة ستُجمع وتحزم حزما لتوضع في مخزن الله، اما الزوان فيحزم كوقود لنار الهلاك.

ان الحراس السماويين اذ هم امناء على الودائع التي بين ايديهم يستمرون في عم لهم. ومع انه قد صدر قرار عام يحدد الوقت الذي فيه يمكن تنفيذ حكم الموت في حافظي الوصية، ففي بعض الحالات سينتظر اعداؤهم الامر وقبل الوقت المحدد سيحاولون قتلهم . ولكن لن يستطيع احد ان يجتاز بين الحراس الاشداء الحالين حول كل نفس أمينة . والبعض من أولئك الامناء س يهاجَمون في [683] اثناء فرارهم من المدن والقرى، لكنّ السيوف المشرعة ضدهم تتكسر وتسقط عاجزة كالعود اليابس. وآخرون سيدافع عنهم ملائكة في هيئة رجال حرب.

لقد عمل الله في كل العصور بواسطة الملائكة القديسين في اغاثة شعبه وانقاذهم. ان الكائنات السماوية قد لعبت دورا حي ويا هاما في حياة الناس وشؤونهم. لقد ظهروا متسربلين بثياب نورانية كالبرق، كما قد أتوا لابسين ثياب عابري الطريق .والملائكة قد ظهروا لرجال الله في هيئة بشرية . لقد جلسوا يستريحون تحت اشجار البلوط في وقت حر النهار كما لو كانوا متعبين، وقبلوا كرم الضي افة من بيوت الناس، وقاموا بدور المرشدين للمسافرين عندما دهمهم الظلام، وبأيديهم اشعلوا نار المذبح، وفتحوا أبواب السجن وأطلقوا عبيد الله احرار اً. واذ كانوا متسربلين بأبهة السماء أتوا ليدحرجوا الحجر عن قبر المخلص.

الملائكة يتكلمون

وكثيرا ما يُرى الملائكة في مجتمعات الابرار في هيئة البشر، وهم يزورون محافل الاشرار كما ذهبوا الى سدوم لكي يسجلوا اعمال اهلها ويقرروا ما اذا كانوا قد تخطوا صبر الله واحتماله . والرب يسر بالرحمة؛ فلاجل القليلين الذين يعبدونه حقا فهو يوقف الكوارث عند حدها ليطيل مدة سلام الجموع واطمئنا نهم. ان من يخطئون الى الله قلما يتحققون انهم مدينون بحياتهم للاقلية الامينة الذين يتسلون هم بظلمهم والسخرية بهم.

ومع ان رؤساء هذا العالم لا يعلمون ففي اغلب الاحيان يتكلم الملائكة في مجالسهم. لقد رآهم البشر بعيونهم، وبآذانهم أصغوا الى مرافعاتهم، وبشفاههم عارضوا مقترحاتهم وسخروا من مشوراتهم، وبأيديهم قابلوهم بالاعتداءات والشتائم والاهانات . وفي قاعة المجلس وفي دار القضاء برهن هؤلاء الرسل السماويون على معرفتهم الدقيقة للتاريخ البشري كما برهنوا على انهم أقدر [684] على الترافع في قضايا المظلومين من أقدر المحامين وأفصحه م. لقد هزموا النوايا وأوقفوا الشرور التي كان يمكن أن تعيق عمل الله الى حد كبير وأن تسبب آلاما هائلة لشعبه . وفي ساعة الضيق والشدة فان "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مزمور ٣٤ : ٧).

ينتظر شعب الله علامات مجيء مليكهم بشوق حار . وعندما يسأل الحراس: "ما من الليل" ؟ يجيء

الجواب في غير تلعثم قائلا: "أتى صباح وأيضا ليل" (اشعياء ٢١ : ١١ و ١٢). ان النور يسطع على السحاب فوق قمم الجبال. وسيكون ظهور مجده سريع ا. ان "شمس البر" مزمع ان يشرق . والصباح والليل كلاهما قريب : بدء النهار الابدي للابرار وقدوم الليل الابدي على الاشرار.

واذ يلح المجاهدون في تقديم توسلاتهم امام الله فالحجاب الفاصل بينهم وبين اللامنظور يكاد يُرفع . والسموات تتألق ببزوغ فجر النهار الابدي وتقع على الآذان هذه الكلمات كأغاني الملائكة العذبة قائلة: "أثبتوا على ولائكم فالعون آتٍ". ثم ان الم سيح المنتصر القدير يرفع امام عيون جنوده المتعبين اكليل مجد ابدي ثم يُسمع صوته آتيا من الابواب المفتوحة قائلا: "ها أنا معكم . لا تخافو ا. انا عالم بكل احزانكم وقد حملت أوجاعكم وغمومكم . انكم لا تحاربون اعداء غير مدربين. لقد خضت المعركة لاجلكم وباسمي يعظم انتصاركم".

ان المخلص العزيز سيرسل الينا العون في الساعة نفسها التي نكون في حاجة اليه . والطريق الى السماء قد تقدس بوقع خطواته . فكل الاشواك التي تجرح أقدامنا قد جرحته . وكل صليب نُدعى الى حمله هو قبلن ا. يسمح الرب بالمحاربات لكي يُعِدّ النفس للسلام . فزمان الضيق هو محنة مخيفة لشعب الله لكنه وقت فيه ينظر كل مؤمن حقيقي الى فوق ويمكنه بالايمان ان يرى قوس الوعد محيطة به. [685]

"ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم يهرب الحزن والتنهد انا انا هو معزيكم . من انتِ حتى تخافي من انسان يموت ومن ابن الانسان الذي يُجعل كالعشب وتنسى الرب صانعك ... وتفزع دائما كل يوم من غضب المضايق عندما هيأ للاهلاك. وأين غضب المضايق . سريعا يطلق المنحني ولا يموت في الجب ولا يُعدم خبزه . وأنا الرب اله مزعج البحر فتعج لجيه رب الجنود اسمه . وقد جعلت أقوالي في فمك وبظل يدي سترتك" (اشعياء ٥١ : ١١ — ١٦).

"لذلك اسمعي هذا ايتها البائسة والسكرى وليس بالخمر . هكذا قال سيدكِ الرب والهك الذي يحاكم لشعبه هأنذا قد اخذت من يدك كأس الترنح ثفل كأس غضبي لا تعودين تشربينه ا فيما بعد . وأضعها في يد معذبيك الذين قالوا لنفسك انحني لنعبر فوضعت كالارض ظهرك وكالزقاق للعابرين" (اشعياء ٥١ : ٢١ — ٢٣).

تتثبَّتُ عين الله وهي تتطلع عبر الاجيال على الازمة التي سيواجهها شعبه عندما تصطف ضدهم القوات الارضية، ومثل أسير غريب سيخافون من الموت جوعا أو اغتيالا . لكنّ القدوس الذي قد شق بحر سُوف امام العبرانيين سيُظهر قدرته العظيمة ويرد سبيهم، "ويكونون لي قال رب الجنود في ذلك اليوم الذي انا صانع خاصة (جواهري) واشفق عليهم كما يشفق الانسان على ابنه الذي يخدمه" (ملاخي ٣ : ١٧). فلو سفكت دماء شهود المسيح الامناء في هذا الوقت فلن تكون كدماء الشهداء بذارا تلقى ليجمع منها حصاد لله . فولاءهم لن يكون شهادة لاقناع الآخرين بالحق، لان القلب القاسي قد صد امواج الرحمة حتى لا تعود مرة اخرى . فلو تُرك الابرار حينئذ ليسقطوا فريسة لاعدائهم فسيكون ذلك انتصارا لسلطان الظلمة . والمرنم يقول: "لانه يخبئني في مظلته في يوم الشر يسترني بستر خيمته" (مزمور ٢٧ : ٥). لقد قال المسيح: "هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك اختبئ نحو لحيظة حتى يعبر الغضب . [686] لانه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الارض" (اشعياء ٢٦ : ٢٠ و ٢١). وستكون نجاة مجيدة تلك التي ستكون من نصيب الذين انتظروا، بصبر، مجيء الرب، والذين اسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة. [687]

الفصل الاربعون ـــ نجاة شعب الله

عندما تُسحب حماية القوانين البشرية من الذين يكرِّمون شريعة الله فستوجد في بلدان مختلفة وفي الوقت نفسه حركة ترمي الى اهلاكهم . واذ يقترب الوقت المعين في ذلك الامر العالي فالناس سيتآمرون على استئصال تلك الطائفة المكروهة والقضاء عليه ا. وسيتقرر ضربُهم ضربة حاسمة في ليلة واحدة تُسكت نهائيا صوت الانشقاق والتوبيخ.

اما شعب الله ـــ الذين يكون بعض منهم في السجون والبعض الآخر مختبئين في مخابئ سرية منعزلة في الغابات وبطون الجبال فسيواصلون التوسل في طلب الحماية الالهية، بينما توجد في كل حي فرق من الرجال المسلحين مسوقين بقوة اجناد الملائكة الاشرار، مستعدون للقتل والاغتيال . فالآن في ساعة الحاجة القصوى سيتدخل اله يعقوب لنجاة مختاريه . يقول الرب: "تكون لكم اغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر ... ليأتي الى جبل الرب الى صخر اسرائيل . ويُسمع الرب جلال صوته ويُرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد" (اشعياء ٣٠ : ٢٩ و ٣٠).

فبهتافات الانتصار والاستهزاء واللعنات توشك جموع من الناس الاشرار ان ينقضوا على فريستهم، واذا بظلمة داجية اشد من ظلمة الليل تسقط على الارض. وحينئذ يذرع السموات قوس قزح يسطع بمجد من عرش الله ويبدو كأنه [688] يحيط بكل جماعة مصلية . وحينئذ تتوقف تلك الجموع الغاضبة فجأة . وصرخاتهم الساخرة تتلاشى، ويُنسى أولئك الذين كانوا سبب هياجهم الاجرامي . وبتطيرات مخيفة يشخصون الى رمز عهد الله ويتوقون الى الاحتماء بعيدا من نور ه ولمعانه الباهر.

ثم يسمع شعب الله صوتا رائقا وصافيا وموسيقيا قائلا لهم: "انظروا فوقِ". فاذ يرنون بانظارهم الى السماء يرون قوس العهد . واذا بالسحب السود الغاضبة التي كانت تغطي جَلَد السماء تنقشع، ومثل استفانوس يثبِّتون انظارهم الى السماء فيرون مجد الله وابن الانسان جالسا على عرشه . وفي هيئته الالهية يميزون سمات اتضاعه، ومن بين شفتيه يسمعون الطلب الذي قدمه امام أبيه والملائكة القديسين القائل: "أريد ان هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا" (يوحنا ١٧ : ٢٤). ومرة اخرى يُسمع صوت موسيقى منتصر يقول: "ها هم آتون ! ها هم آتون ! قديسون وأمناء وبلا عيب. لقد حفظوا كلمة صبري، فسيمشون بين الملائكة". وحينئذ ستهتف تلك الشفاه الشاحبة المرتعشة، شفاه الذين قد ثبتوا على ايمانهم، هتاف الانتصار.

يكون الليل قد انتصف حينما يظهر الله قدرته لخلاص شعبه . والشمس تظهر مشرقة في قوته ا. وستتبع ذلك آيات ومعجزات في تلاحق سريع . وسينظر الاشرار الى ذلك المشهد برعب وذهول، في حين ينظر الابرار بفرح مقدس الى دلائل نجاتهم . وكل شيء في الطبيعة يبدو خارجا على مألوف نظامه . فالانهار تكف عن الجريان، ثم تظهر سحب ثقيلة سود ويصدم بعضها بعضا. وفي وسط السموات الغاضبة توجد رقعة واحدة صافية يظهر منها مجد يجل عن الوصف، ومنها يأتي صوت الله كصوت مياه كثيرة قائلا: "قد تم" (رؤيا ١٦ : ١٧). [689]

السموات والارض تهتزان

ذلك الصوت يهز السموات والارض . وتحدث زلزلة عظيمة "لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الارض زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا" (رؤيا ١٦ : ١٧ و ١٨). ويبدو كأن الجلد يُفتح ويُغلق، وكأن المجد الخارج من عرش الله يسطع من خلاله . والجبال تهتز كالقصبة امام الريح، والصخور الوعرة تتبعثر في كل مكان . ويُسمع زئير كما لو كان زئير عاصفة مقبلة . والبحر يثور ويه تاج. وتُسمع صرخة إعصار كصوت شيطان ساعٍ للاهلاك . والارض تلهث وتتمدد كأمواج البحر وينشق سطحها وتبدو اساساتها نفسها كأنها تنهار . وسلاسًل الجبال تغوص . والجزائر المأهولة بالسكان وموانئ البحر الشبيهة بسدوم في شرها تبتلعها المياه الغاضبة. لقد ذُكرت بابل العظيمة ام الله "ليعطيها كأس خمر سخط غضبه". وحجارة برد عظيمة كل واحد "نحو ثقل وزنه" تقوم بعملية التخريب (رؤيا ١٦ : ١٩ و ٢١). وأعظم المدن المتنافرة تتهدم . وقصور الامراء التي أغدق عظماء الارض ثرواتهم عليها لكي يمجدوا أنفسهم تتحطم وتصير انقاضا امام عيونهم . وأبواب السجون تنفتح بعنف فيُطلق سراح شعب الله الذين حُبسوا فيها لاجل ايمانهم.

والقبور تنفتح: "وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الابدية وهؤلاء الى العار للازدراء الابدي" (دانيال ١٢ : ٢). وكل الذين ماتوا على ايمان رسالة الملاك الثا لث سيخرجون من قبورهم ممجدين ليسمعوا عهد سلام الله مع الذين قد حفظوا شريعته . وكذلك "الذين طعنوه" (رؤيا ١ : ٧) والذين سخروا بالمسيح وهزأوا بعذاباته وأقسى المقاومين لحقه وشعبه يقامون ليرون في مجده ويروا الكرامة التي يضعها على المخلَّصين والطائعين.

ثم ان الغيوم الكثيفة كانت لا تزال تنتشر في السماء، ومع ذلك فالشمس تشرق بين حين وآخر وتبدو كأنها عين الرب الغاضب المنتقم . وتلمع في السماء بروق مخيفة تلف الارض في رداء من النار . وستُسمع أصوات غامضة ومخيفة [690] أعلى من صوت هزيم الرعد معلنة دينونة الاشرار . والاصوات التي تُقال لا يفهمها الجميع، لكنّ المعلمين الكذبة يفهمونها جيدا . فالذين كانوا منذ قليل متهورين وفخورين ومتحدِّين ومبتهجين بسبب قسوتهم على من قد حفظوا وصية الله يغمرهم الآن الرعب ويرتجفون من هول الخوف . وتُسمع اصوات عويلهم وولولتهم فوق اصوات عناصر الطبيعة . وستعترف الشياطين بألوهية المسيح وترتعب امام قدرته في حين ان الناس يتوسلون في طلب الرحمة ويتذللون في رعبهم الدنيء.

يوم الرب

ان انبياء القدم اذ رأوا في الرؤيا يوم الله قالوا: "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" (اشعياء ١٣ : ٦). "ادخل ا لى الصخرة واختبئ في التراب من امام هيبة الرب ومن بهاء عظمته . توضع عينا تشامخ الانسان وتخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم . فان لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال على كل مرتفع فيوضع". "في ذلك اليوم يطرح الانسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهب ية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من امام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الارض" (اشعياء ٢ : ١٠ — ١٢ و ٢٠ و ٢١).

ومن خلال فجوة بين السحاب يتألق نور نجم يزيد لألاء نوره أربعة أضعاف بالمقارنة مع الظلمة،

وهو يخاطب الامناء بكلام الرجاء والفرح . اما المتعدون على شريعة الله فهو يوجه اليهم كلام القسوة والغضب . والذين قد ضحوا بكل شيء في سبيل المسيح هم الآن في أمان اذ هم مستورون في ستر خيمة الرب . لقد اختُبروا فأثبتوا امام العالم وامام محتقري الحق ولاءهم لذاك الذي قد مات لاجلهم . ان تغييرا عجيبا قد حدث للذين قد تمسكوا باستقامتهم في مواجهة الموت نفسه . وقد نجوا فجأة من الطغيان القاتم المرعب الذي أوقعه بهم بشر استحالوا الى شياطين . ووجوههم التي كانت [691] منذ عهد قريب شاحبة وجزعة ومنه وكة صارت الان متأججة بالدهشة والايمان والمحبة. ثم ترتفع اصواتهم وهم ويرددون انشودة الانتصار قائلين "الله لنا ملجأ وقوة عونا في الضيقات وجد شديدا . لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الارض ولو انقلبت الجبال الى قلب البحار . تعج وتجيش مياهها . تتزعزع الجبال بطموها" (مزمور ٤٦ : ١ — ٣).

وعندما ترتفع الى الله كلمات الثقة المقدسة هذه تتراجع السحب وتُرى السموات الصافية تلمع فيها النجوم التي هي مجيدة جدا بالمقارنة مع الجلَد الداكن الغاضب على كلا الجانبين . ثم ان بهاء المدينة السماوية يشع من الابواب المفتوحة. حينئذ تُرى في الس ماء يد ممسكة بلوحين من حجر احدهما منطبق على الآخر . وقد قال النبي: "وتخبر السموات بعدله لان الله هو الديان" (مزمور ٥٠ : ٦). فتلك الشريعة المقدسة، بر الله الذي قد أعلن من سيناء كمرشد للحياة من وسط الرعد والنار، تُعلن الآن للناس كقانون الدينونة . تفتح تلك اليد اللوحين فتُرى الوصايا العشر وكأنها مكتوبة بقلم من نار . والكلام واضح بحيث يستطيع كل واحد ان يقرأه . فتستيقظ الذاكرة وتُكتسح ظلمة الخرافات والهرطقات من كل العقول وتُقدم امام عيون الجميع كلمات الله العشر مختصرة وشاملة وجازمة فيراها كل سكان الارض.

ويستحيل علينا ان نصف الرعب واليأس اللذين سيستوليان على الذين قد داسوا على مطالب الله المقدسة . لقد اعطاهم الرب شريعته وكان يمكنهم ان يقيسوا اخلاقهم عليها ويعرفوا نقائصهم عندما كانت لديهم فرصة للتوبة والاصلاح. ولكنهم في سبيل الظفر برضى العالم القوا بتلك ال وصايا جانبا وعلموا الآخرين التعدي عليها . لقد حاولوا ارغام شعب الله على تدنيس سبته . أما الان فالشريعة التي قد ازدروا بها تدينهم . وبدقة مخيفة يرون انهم بلا عذر . لقد اختاروا السيد الذي ارادوا ان يخدموه ويعبدوه: "فتعودون وتميزون بين الصديق والشرير بين من يعبد الله ومن لا يعبده" (ملاخي ٣ : ١٨). [692]

نتائج عدم الامانة

ويتكوَّن لدى اعداء شريعة الله، من الخدام الى الاصاغر، رأي جديد عن الحق والواجب . وسيرون في وقت متأخر جدا ان سبت الوصية الرابعة هو ختم الله الحي . ويرون في وقت متأخر جدا الصفة الحقيقية لسبتهم الزائف والاساس الرملي الذي كانوا يبنون عليه . ويرون انهم انما كانوا يحاربون الله . لقد ساقهم معلمو الدين الى الهلاك مع انهم كانوا يقرون بانهم يرشدونهم الى ابواب الفردوس. والى ان يجيء يوم الحساب الاخير لن يُعرف مقدار هول المسؤولية التي تقع على عاتق من يحتلون وظيفة مقدسة وهول النتائج المترتبة على عدم امانتهم . انما في الابدية فقط يمكننا ان نقدر تقديرا صائبا خسارة نفس واحدة. وستكون دينونة مخيفة على ذلك الانسان الذي سيقول له الله: اذهب عني ايها العبد الشرير.

يُسمع صوت الله من السماء معلنا اليوم والساعة التي يأتي فيها يسوع ويسلم شعبه العهد الابدي . وكهزيم اعلى الرعود سيرن صدى كلامه في كل انحاء الارض . وشعب الله سيقفون مصغين وانظارهم مثبتة في السماء، ووجوههم مستنيرة بمجده وهي تلمع كما كان وجه موسى يلمع عند نزوله من جبل سيناء

. ولا يستطيع الاشرار ان ينظروا اليهم . وعندما ينطق بالبركة على من قد اكرموا الله بحفظ سبته مقدسا يُسمع صوت هتاف انتصار عظيم.

وسرعان ما تظهر في الشرق سحابة صغيرة سوداء بقدر نصف كف انسان . وهي السحابة التي تحيط بالمخلص وتبدو من بُعد كأنها مستترة في الظلام . وشعب الله يعرفون ان هذه هي علامة ابن الانسان . فينظرون اليها في صمت مقدس وهي تقترب من الارض وتزيد نورا ومجدا حتى تصير سحابة عظيمة بيضاء ويكون اسفلها مجيدا كنار آكلة ومن فوقها قوس قزح الوعد، وفوقها يسوع كفاتح عظيم، فليس هو الآن "رجل أوجاع" ليشرب كأس العار والألم المرير، انه يأتي كمنتصر في السماء وعلى الارض ليدين الاحياء و الاموات، "امينا [693] [694] وصادقا"، "بالعدل يحكم ويحارب"، "والاجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه" (رؤيا ١٩ : ١١ و ١٤). فيحف به جمع كبير من الملائكة القديسين وهم ينشدون اناشيد الفرح السماوي ويكتنفونه في الطريق. ويبدو كأن جلَد السماء قد غص بجموع لا تحصى من الخلائق النورانية: "ربوات ربوات والوف ألوف". ولا يستطيع قلم انسان ان يصور ذلك المشهد، ولا يمكن لعقل بشري ان يدرك بهاءه وروعته: "جلاله غطى السموات . والارض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور" (حبقوق ٣ : ٣ و ٤). واذ تقترب السحابة الحية شيئا فشيئا فكل عين ترى رئيس الحياة . الآن لا اكليل شوك يشوه ذلك الرأس المقدس بل اكليل مجد على جبينه القدسي . ووجهه يسطع بنور اشد لمعانا من نور الشمس وهي تضيء في قوته ا. "وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب" (رؤيا ١٩ : ١٦).

وأمام حضرته "تحول كل وجه الى صفرة"، وكل من رفضوا رحمة الله يسقط عليهم رعب يأس ابدي . "قلب ذائب وارتخاء ركب ... وأوجه جميعهم تجمع حمرة" (ارميا ٣٠ : ٦ ؛ ناحوم ٢ : ١٠). وسيصرخ الابرار قائلين برعب: "من يستطيع الوقوف" ؟ و يتوقف الملائكة عن التسبيح ويرونُ صمت رهيب . ثم يُسمع صوت يسوع وهو يقول: "تكفيكم نعمتي". وحينئذ تلمع وجوه الابرار بالنور ويملأ الفرح كل قلب . وحينئذ يعزف الملائكة نغمة اعلى ويترنمون ثانية وهم يقتربون من الارض.

ظهور ملك الملوك

ينزل ملك الملوك على السحاب و حوله لهيب نار، حينئذ تلتف السموات كدرج وترتعد الارض قدامه، وكل الجبال والجزائر تتزحزح من مواضعه ا. "يأتي الهنا ولا يصمت . نار قدامه تأكل وحوله عاصف جد ا. يدعو السموات من فوق والارض الى مداينة شعبه" (مزمور ٥٠ : ٣ و ٤). [695]

"وملوك الارض والعظماء والاغنياء والامراء والاقوياء وكل عبد وكل حر اخفوا انفسهم في المغاير وفي صخور الجبال . وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف . لانه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف" (رؤيا ٦: ١٥ ـــ ١٧).

لقد انقطع المزاح الساخر . وشفاه الكذب قد صمتت . وصليلالاسلحة وضجيج الحرب و "سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء" (اشعياء ٩ : ٥). ولا يُسمع الآن صوت آخر غير صوت الصلاة وصوت البكاء والنوح. وستنفجر هذه الصرخة من الشفاه التي كانت تسخر منذ قليل، "لانه قد جاء يوم غضبه العظيم . ومن يستطيع الوقوف" (رؤيا ٦ : ١٧). وسيطلب الاشرار ان يدفنوا تحت صخور الجبال مفضِّلين ذلك على مقابلة وجه ذاك الذي قد ازدروا به ورفضوه.

انهم يعرفون ذلك الصوت الذي يخترق آذان الموتى . فكم مرة دعاهم ذلك الصوت الى التوبة بنغماته

الرقيقة . وكم مرة سُمع في توسلات مؤثرة من فم الصديق والأخ والفادي . فالذين رفضوا نعمته لن يسمعوا سوى ذلك الصوت المملوء دينونة المثقَل استنكاراً، ذلك الصوت الذي طالما توسل اليهم من قبل قائلا: "ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون" ؟ (حزقيال ٣٣ : ١١). آه، يا ليته كان بالنسبة لهم صوت شخص غريب ! يقول يسوع: "لاني دعوت فأبيتم ومددت يدي وليس من يبالي . بل رفضتم كل مشورتي ولم ترضوا توبيخي" (امثال ١ : ٢٤ و ٢٥). ذلك الصوت يوقظ فيهم ذكريات يودون من كل قلوبهم ان يلاشوها، فهي انذارات رُذلت ودعوات رُفضت وامتيازات احتُقرت.

هناك الذين قد سخروا بالمسيح في حالة اتضاعه . فبقوة مروعة تعود الى اذهانهم ذكريات أقوال المسيح المتألم عندما استحلفه رئيس الكهنة فأعلن قائلا له بكل وقار: "من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا [696] عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء" (متى ٢٦ : ٦٤) .والآن ها هم يرونه في مجده وسيرونه بعد ذلك جالسا عن يمين القوة.

والذين سخروا بتصريحه بانه ابن الله يبكون الآن . فها هيرودس المتعجرف الذي استهزأ بلقب المخلص الملوكي وأمر عساكره الهازئين بان يتوجوه ملكا . وها الرجال انفس هم الذين بأيدي الاثم ألبسوه الرداء الارجواني ووضعوا اكليلا من شوك على جبينه المقدس، وفي يده المستسلمة وضعوا قصبة زائفة، وكانوا يجثون قدامه في استهزاء تجديفي . فالرجال الذين ضربوا رئيس الحياة ولطموه وبصقوا عليه يريدون الآن ان يحولوا وجوههم عن نظراته الفاحصة ويحاولون الهرب من مجد حضوره القاهر . والذين ثقبوا يديه ورجليه بالمسامير والجندي الذي طعن جنبه يشاهدون هذه السمات برعب وحزن.

وها الكهنة والشيوخ يذكرون احداث جلجثة بدقائقها المخيفة . وبرعب وارتجاف يذكرون كيف انهم وهم يهزون رؤوسهم بتشامخ شيطاني صرخوا قائلين: "خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر ان يخلصه ا. ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . قد اتكل على الله فلينقذه الآن ان اراده" (متى ٢٧ : ٤٢ و ٤٣).

وبكل وضوح ذكروا مثل المخلص الذي أورده عن الكرامين الذين رفضوا ان يقدموا الى سيدهم من ثمر الكرم والذين اهانوا عبيده وقتلوا ابنه .ثم هم يذكرون ايضا الحكم الذي قد نطقوا به بأفواههم . قالوا: "أولئك الارديا يهلكهم (صاحب الكرم) هلاكا رديا ". ففي خطيئة أولئك الرجال الخونة وقصاصهم يرى الكهنة والشيوخ تصرفهم وقصاصهم ودينونتهم العادلة نفسه ا. أما الآن فان صرخة عذاب مميت تصدر من أفواههم أعلى من تلك التي نطقوا بها امام بيلاطس حين قالوا: "اصلبه اصلبه" والتي رددت صداها شوارع أورشليم، فترتفع صرخات العويل المخيف قائلة: "انه ابن الله ! انه مسيا الحقيقي !" ويحاولون الهروب من حضرة ملك الملوك . وفي كهوف الارض العمي قة التي قد انشقت بفعل العناصر المتحاربة يحاولون الاختباء، ولكن عبثا. [697]

الرب يدعو قديسيه

في حياة كل من يرفضون الحق لحظات يستيقظ فيها الضمير، وتستعرض الذاكرة تلك الذكرى المعذبة للنفس، ذكرى تلك الحياة التي لعب فيها النفاق دورا كبيرا. فتنزعج من الندامة غير الم جدية. ولكن ما هذه كلها اذ ا قيست بحسرة ذلك اليوم "اذا جاء خوفكم كعاصفة" وعندما "أتت بليتكم كالزوبعة" (أمثال ١ : ٢٧). ان الذين كانوا يتمنون لو يهلكون المسيح وشعبه الامناء يرون الآن المجد الذي يستقر عليهم . وفي غمرة رعبهم يسمعون اصوات القديسين وهم يترنمون ويهتفون هتاف الفرح قائلين: "هوذا هذا الهن ا.

انتظرناه فخلصنا" (اشعياء ٢٥ : ٩).

وفيما الارض تترنح، وفي وسط وميض البروق وهزيم الرعود، يدعو ابن الله بصوته القديسين الراقدين ليخرجوا من قبورهم . انه ينظر الى قبور الابرار، وحينئذ اذ يرفع يديه نحو السماء يصرخ ق ائلا: "استيقظوا استيقظو ا وقوموا يا سكان التراب !" وفي طول الارض وعرضها سيسمع الاموات ذلك الصوت . والسامعون يحيون وستهتز الارض كلها من دوس أقدام ذلك الجيش العظيم جدا من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب . وسيخرجون من بيت سجن الموت متسربلين بمجد لا يرذل صارخين وقائلي ن: "أين شوكتك يا موت . اين غلبتك يا هاوية" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٥). ثم يشترك الابرار الاحياء مع القديسين المقامين في هتاف انتصار عالٍ وطويل وبهيج.

وسيخرج الجميع من قبورهم وستكون لاجسامهم القامة نفسها كما كانت عند دخولهم القبر . وآدم الذي يقف في وسط ذلك الجم ع العظيم سيكون فارع الطول وهيئته هيئة الجلال، ولكنه سيكون أدنى قليلا في القامة من ابن الله. وسيكون الفرق كبيراً ملحوظاً بينه وبين من عاشوا في العصور الاخيرة . وفي هذا الاعتبار الواحد سيتبرهن الانحطاط العظيم لجنسن ا. لكن الجميع يقومون في حداثة ش بابهم ونشاطهم الابديين . لقد خلق الانسان في [698] البدء على صورة الله ليس فقط في الصفات بل في الهيئة ومعالم الوجه . لكن الخطيئة شوهت وكادت تمحو صورة الله، غير ان المسيح قد جاء ليعيد الينا ما قد خسرناه . وهو سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (فيلبي ٣ : ٢١). فالجسم الفاني الفاسد المجرد من الجمال والذي قد أفسدته الخطيئة مرة يصير كاملاً وجميلاً وخالد اً. وكل العيوب والتشويهات ستترك في القبر. واذ تُعاد الى المفتدين شجرة الحي اة في عدن بعدما حُرموا منها وخسروها طويلا فانهم "ينشأون" (ملاخي ٤ : ٢) الى ملء قامة جنسنا في حالته الاصلية . وآخر ما يتبقى من آثار لعنة الخطيئة سيُرفع، وسيبدوا اتباع المسيح الامناء في " بهاء الرب الهنا " في الذهن والنفس والجسد، ويعكسون صورة سيدهم الحقيقية . فيا له من فداء مجيد طال الحديث عنه وتمناه شعب الله طو يلا وتأملوا فيه بانتظارات متلهفة، ولكن لم يُفهم فهم ا كاملا!

يتغيرون في لحظة

والاحياء الابرار يتغيرون "في لحظة في طرفة عين". لقد تمجدوا لدى سماعهم صوت الله، أما الآن فقد صاروا خالدين، ومع القديسين المقامين يُخطفون لملاقاة الرب في الهواء . ان الملائكة "يجمعون مختاريه من الرياح الاربع من أقصى السموات الى أقصائها"، والاولاد الصغار سيحملهم الملائكة القديسون الى أذرع امهاتهم . والاصدقاء الذين قد فرَّق الموت بينهم طويلا يجتمعون معا ولن يفترقوا فيما بعد، وبأناشيد الفرح يرتفعون معا الى مدينة الله.

وعلى كل جانب من جوانب مركبة السحاب اجنحة وتحتها عجلات حية، واذ تصعد المركبة الى السماء تصرخ العجلات قائلة: "قدوس"، والاجنحة اذ تتحرك تصرخ قائلة "قدوس". وحاشية الملائكة سيهتفون قائلين "قدوس [699] قدوس قدوس الرب الاله القدير". والمفتدون يهتفون قائلين "هللويا" عندما تصعد المركبة الى اورشليم الجديدة.

وقبل الدخول إلى مدينة الله يمنح المخلص اتباعه رموز الانتصار ويُلبسهم أوسمة حالتهم الملكية . وتلك الصفوف المتألقة بالنور يرتفعون في هيئة ميدان فسيح ويلتقون حول مليكهم الذي يرتفع جسمه في جلال سامٍ فوق القديسين والملائكة ووجهه يشرق عليهم يملؤه الحب الرؤوف . وبين جموع المفتدين التي

لا تحصى تتجه كل الانظار اليه وكل عين سترى مجده هو الذي "كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم" (اشعياء ٥٢ : ١٤). وعلى رؤوس المنتصرين سيضع يسوع أكاليل المجد بيده اليمنى . ولكل واحد اكليله مكتوبا عليه "اسمه الجديد" (رؤيا ٢ : ١٧) وهذه الكتابة "قدس للرب".
وستعطى لكل المفتدين سعف النخل فيمسكونها بأيديهم كما يمسكون بالقيثارات اللامعة . وحينئذ اذ يعزف الملائكة القواد النغمة المطلو بة فكل يد تلامس أوتار القيثارة لمسات ماهرة مدربة، فتستيقظ النغمات الموسيقية العذبة ويهتز كل قلب طربا بفرح لا يُنطق به ويرتفع كل صوت مسبحا تسبيحة الشكر قائلا: "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان الى ا بد الآبدين آمين" (رؤيا ١ : ٥ و ٦).

وأمام جموع المفتدين تُرى المدينة المقدسة . فيفتح يسوع الابواب اللؤلؤية على سعتها فتدخل كل الامم التي قد حفظت الحق . وهناك يرون فردوس الله، البيت الذي كان يعيش فيه آدم وهو في حال البرارة . وحينئذ يُسمع ذلك الصوت الذي هو أقوى وأعمق من أي موسيقى سمعتها اذن انسان، قائلا: "لقد انتهت حربكم"، "تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم".

وحينئذ تجاب طلبة المخلص لاجل تلاميذه حين صلى قائلا: "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون انا". "ويوقفكم أمام مجده [700] بلا عيب في الابتهاج" (يهوذا ٢٤). والمسيح يقدم الى الآب مقتنى دمه معلنا وقائلا: "ها انا والاولاد الذين أعطيتنيهم". "الذين أعطيتني حفظتهم". آه ما أعجب معجزات المحبة الفادية ! وما أعظم الفرح، فرح تلك الساعة الت ي فيها عندما ينظر الآب السرمدي الى المفتدين يرى صورته، وعندما ينتهي تشويش الخطيئة ونزاعها يعود الانسان مرة أخرى الى الاتفاق والانسجام مع الله!

وبمحبة لا توصف يرحب يسوع بعبيده الامناء للدخول الى "فرح سيدهم". ففرح المخلص ينحصر في كونه يرى في ملك وت المجد النفوس التي قد خلصت بقوة آلامه واتضاعه . وسيشاركه المفتدون في فرحه اذ يرون بين أولئك المغبوطين أولئك الذين قد رُبحوا للمسيح عن طريق صلواتهم وجهودهم وتضحيات محبتهم . واذ يجتمعون حول العرش العظيم الابيض تمتلئ قلوبهم بفرح لا يُنطق به عندما يرون الذين ق د ربحوهم للمسيح ويرون ان واحدا قد ربح آخرين وهؤلاء ربحوا آخرين والجميع وصلوا الى ميناء الراحة وموطن السلام حيث يطرحون تيجانهم عند رجلي يسوع ويسبحونه مدى أجيال الابدية اللانهائية.

آدم الاول وآدم الثاني يلتقيان

واذ يُرحَّب بالمفديين في مدينة الله تُسم ع في الجو صرخة تمجيد فرِحة. ان آدم الاول وآدم الثاني مزمعان ان يتلاقي ا. فابن الله واقف باسطا ذراعيه لاستقبال أبي البشر، المخلوق الذي قد جبله فاخطأ الى صانعه وبسبب خطيئته يحمل المخلص في جسمه آثار الصليب . فاذ يرى آدم آثار المسامير القاسية لا يرتمي في حضن سيده ولكنه في اتضاع وتذلل وانكسار يرتمي عند قدميه صارخا: "مستحق مستحق هو الخروف المذبوح !". لكن المخلص يقيمه بكل رقة ويأمره بان ينظر مرة اخرى الى بيته في جنة عدن الذي كان قد نُفي منه كل تلك الحقبة الطويلة من الزمن. [701] ان آدم بعدما طُرد من عدن امتلأت حياته على الارض بالآلام والمتاعب . فكل ورقة يابسة وكل ذبيحة وكل ضربة وقعت على وجه الطبيعة الجميل وكل لطخة أصابت طهارة الانسان كانت مذكرا جديدا له بخطيئته . وقد كانت مرارة حزنه شديدة ورهيبة

وهو يرى الاثم يستشري و يتفاقم، وجوابا على انذاراته جعل الناس يعيرونه بانه هو سبب الخطيئة . فبوداعة وصبر احتمل قصاص تعديه قرابة الف سنة. فتاب عن خطيئته بكل أمانة واتكال على استحقاقات المخلص الموعود به، ثم مات على رجاء القيامة . لقد افتدى ابن الله الانسان من الفشل والسقوط، والآن فمن خلال الكفارة أعيد الى آدم سلطانه الاول.

واذ كان محمولا على اجنحة الفرح رأى الاشجار التي كان قبلا يسر بها، الاشجار نفسها التي كان يجمع اثمارها بنفسه في ايام برارته وفرحه . انه يرى اشجار الكرم التي غرسها والازهار نفسها التي كان يسر بالعناية به ا. ويستوعب عقله المنظر على حقيقته ويدرك ان هذه حقا هي عدن وقد اعيدت اليه، وهي الآن اجمل مما كانت عندما طُرد منه ا. وها المخلص يأخذه الى حيث توجد شجرة الحياة ويقطف من ثمارها المجيدة ويأمره بالاكل منه ا. فينظر آدم حواليه فيرى كثيرين من عائلته وقد افتدوا وهم واقفون في فردوس الله. ثم يطرح اكليله المتألق عند قدمي يسوع ويقع على صدر الفادي ويعانقه ثم يلمس أوتار قيثارته الذهبية فتدوي ارجاء السماء باصوات اغنية الانتصار القائلة: ”مستحق مستحق هو الخروف قد ذبح وعاش !“، فيشترك أفراد أسرة آدم في الأغنية ويطرحون أكاليلهم عند قدمي المخل ص وهم ينحنون أمامه ساجدين متعبدين ممجدين.

هذا الاتحاد من جديد يراه الملائكة الذين بكوا عندم ا سقط آدم وفرحوا عندما صعد يسوع الى السماء بعد قيامته، اذ فتح باب القبر لكل من يؤمنون باسمه. والآن ها هم يرون عمل الفداء وقد أكمل فيشتركون في انشودة الحمد باصواتهم العذبة . [702]

المئة والاربعة والاربعون ألفا

وعلى البحر البلوري أمام العرش، ذلك البحر من زجاج كأنه مختلط بنار والمتألق بمجد الله، يجتمع جمهور ”الغالبين على الوحش وصورته وعلى سمته وعدد اسمه“. ومع الخروف فوق جبل صهيون ”معهم قيثارات الله“ يقف المئة والاربعة والاربعون ألفا الذين قد افتدوا من بين الناس ويُسمع صوت كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم . ”كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم“، وهم يترنمون ”ترنيمة جديدة“ أمام العرش، ترنيمة لا يستطيع احد ان يتعلمها الا المئة والاربعة والاربعون ألف ا. وهي تر نيمة موسى والخروف، ترنيمة النجاة . وليس غير المئة والاربعة والاربعون ألفا يستطيع ان يتعلم تلك الترنيمة لانها ترنيمة اختبارهم، وهو اختبار لم يكن لجماعة اخرى سواهم، ”هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب“. هؤلاء اذ قد نُقلوا من الارض من بين الاحي اء فانهم يحسبون ”باكورة لله وللخروف“ (رؤيا ١٥ : ٢ و ٣ ؛ ١٤ : ١ — ٥). ”هؤلاء هم الذين أتو ا من الضيقة العظيمة“. لقد مروا في وقت ضيق لم يكن مثله منذ كانت امة . واحتملوا آلام وقت ضيق يعقوب . وثبتوا من دون شفيع في اثناء انصباب ضربات الله الاخيرة . لكنهم نجوا لانهم ”غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف“. ”وفي أفواههم لم يوجد غش لانهم بلا عيب قدام عرش الله“ (رؤيا ١٤ : ٥). ”من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم“. لقد رأوا الارض وقد ضُربت بالجوع والوبإ، والشمس وهي تحرق الناس بحرارتها العظيمة، وهم انفسهم قد احتملوا الألم والجوع والعطش . لكنهم ”لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر لان الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم“ (رؤيا ٧ : ١٤ — ١٧).

في كل العصور تعلّم مختارو المخلص وتدربوا في مدرسة التجربة . لقد ساروا في طرق ضيقة على الارض وتنقوا في اتون الألم والتجربة . فلأجل [703] يسوع احتملوا المقاومات والكراهية والوشايات . وقد اتبعوه في الحروب الحامية . احتملوا إنكار الذ ات والخيبة المريرة . وباختبارهم المؤلم تعلموا شر الخطيئة وسلطانها وجرمها وشقاءه ا. وهم ينظرو اليها بنفور واشمئزاز . ان احساسهم بالتضحية العظيمة المقدمة كعلاج للخطيئة يجعلهم يتضعون في أعين أنفسهم وتمتلئ قلوبهم بالشكر والتسبيح وهو ما لا يقدره أولئك الذين لم يسقطوا ابداً. انهم يحبون كثيرا لانه قد غُفر لهم كثير . واذ صاروا شركاء المسيح في آلامه فقد صاروا أهلا لمشاركته في مجده.

أتى ورثة الله من المساكن الحقيرة والمخابئ والسجون ومن آلات الاعدام ومن الجبال والبراري ومن شقوق الارض وكهوف البحار . عندما كانوا على الارض كانوا "معتازين مكروبين مذلين". وقد نزل ملايين منهم الى الهاوية مجللين بالعار لانهم بكل ثبات رفضوا الخضوع لمطالب الشيطان الخادعة . حكمت عليهم المحاكم البشرية بانهم أحط المجرمين، أما الآن فان "الله هو الديان" (مزمور ٥٠ : ٦). والآن قد عُكست احكام الارض، "ينزع عار شعبه" (اشعياء ٢٥ : ٨). "ويسمونهم شعبا مقدسا مفديي الرب ". لقد قرر ان "يعطيهم جمالا عوضا عن الرماد ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة" (اشعياء ٦٢ : ١٢ و ٦١ : ٣). لم يعودوا واهنين أو معذبين أو مشتتين أو مضطهدين . ومن الآن سيكونون مع الرب الى الابد . انهم يقفون امام العرش متسربلين بحلل أغلى من كل ما لبسه أكرم أهل الارض . وعلى رؤوسهم اكاليل أمجد من كل ما كُلل به الملوك الارضيون . لقد انتهت الى الابد أيام الألم والبكاء . وملك المجد قد مسح الدموع عن كل الوجوه، وقد ازيلت كل مسببات الحزن. وفيما هم يلوحون بسعوف النخل يترنمون بترنيمة الحمد وهي صافية عذبة منسجمة متناسقة، وكل صوت يلتقط اللحن الى ان ترتفع التسبيحة وتعلو في جو السماء اذ يقولون: "الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف". فيجيب كل سكان السماء قائلين: "آمين. البركة [704] ٧04

والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لالهنا الى ابد الآبدين" (رؤيا ٧ : ١٠ و ١٢).

اننا في هذه الحياة نستطيع ف قط ان نبدأ في ادراك موضوع الفداء العجيب . ويمكننا بأفهامنا القاصرة ان نتأمل بكل جد في العار والمجد والحياة والموت والعدل والرحمة التي تلتقي في الصليب، ولكن مع كل اجهادنا لقوى عقولنا لا نستطيع ادراك معناه ادراكا كاملا . فطول المحبة الفادية وعرضها وعمقها وعلو ها لا يمكننا ادراكها الا ادراكا غامض ا. وتدبير الفداء لن يفهم فهما كاملا حتى عندما يَرى المفتدون كما يُرون ويعرفون كما يُعرفون، ولكن مدى دهور الابد سينكشف امام الذهن المندهش المبتهج نور جديد على الدوام . ومع أن أحزان الارض وآلامها وتجاربه ا قد انتهت وأزيلت أسبابها فان شعب الله سيكون عندهم ادراك واضح واعٍ للكلفة التي دُفعت ثمنا لخلاصهم.

سيكون صليب المسيح نبع العلم واغنية الحمد للمفتدين مدى الابدية . ففي شخص المسيح الممجد سيرون ايضا المسيح المصلوب . ولن يُنسى ابدا ان ذاك الذي بقدرته خلق العوا لم التي لا تحصى ويدعمها في أقاليم الفضاء الواسعة، وحبيب الله وجلال السماء، الذي يسر الكروبيم والساروفيم المتألقون بالضياء بأن يسجدوا له، اتضع وأخلى نفسه ليرفع الانسان الخاطئ الساقط، وحمل جرم الخطيئة وعارها، واحتجاب وجه أبيه عنه الى أن كسرت قلبه ويلات العالم الهالك وسحقت حياته على صليب جلجثة . فكون خالق كل العوالم والحكَم في مصائر الجميع يطرح عنه مجده ويضع نفسه مدفوعا الى ذلك بدافع المحبة للانسان، هذا سيكون مبعث اندهاش المسكونة وتمجيدها اياه أبد الدهر . واذ ينظر شعوب المخلصين الى فاديهم ويرون مجد الآب السرمدي يشرق من وجهه، واذ يرون عرشه الذي هو من الازل والى الابد ويعرفون انه لن يكون لملكه انقضاء سيهتفون ويغنون اغنية الفرح المذهل للعقل قائلين: "مستحق هو الخروف الذي ذُبح واشترانا لله بدمه الكريم الثمين"! [705]

يفسر سر الصليب جميع الاسرار الاخرى . وفي النور ا لمنبعث من جلجثة تبدو صفات الله، التي كانت قبلا تملأ قلوبنا خوفا ورهبة، جميلة وجذابة . فالرحمة واللطف والمحبة الابوية تُرى ممتزجة بالقداسة والعدل والقدرة . وفيما نرى جلال عرشه مرتفعا وعاليا فاننا نتبين صفاته في اعلاناته الرحيمة وندرك، كما لم ندرك من قبل، معنى هذا اللقب الباقي الى الابد "ابانا".

وسيُرى ان ذاك الذي هو غير محدود في الحكمة لم يستطع ان يبتكر خطة لاجل خلاصنا الا ذبيحة ابنه . وان التعويض عن هذه الذبيحة هو فرح تعمير الارض بخلائق مفتداة مقدسة سعيدة وخالدة . وان نتائج حرب المخلص ضد قوات الظلمة هي للمفتد ين الفرح الذي يؤول الى تمجيد الله مدى الاجيال الابدية . وقيمة النفس عظيمة هكذا حتى ان الآب يرضى بالثمن الذي دُفع، والمسيح نفسه اذ يرى ثمار ذبيحته العظيمة سيكتفي ويشبع . [706]

الفصل الحادي و الاربعون — خراب الارض

"لان خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها ... في الكأس التي مزجت فيها امزجوا لها ضعف ا. بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا لانها تقول في قلبها انا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزن ا. من أجل ذلك في يو م واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لان الرب الاله الذي يدينها قوي . وسيبكي وينوح عليها ملوك الارض الذين زنوا وتنعموا معها ... قائلين ويل ويل المدينة العظيمة بابل المدينة القوية لانه في ساعة واحدة جاءت دينونتك" (رؤيا ١٨ : ٥ — ١٠).

"تجار الا رض" الذين قد "استغنوا من وفرة نعيمها" "سيقفون من بعيد من أجل خوف عذابها يبكون وينوحون . ويقولون ويل ويل المدينة العظيمة المتسربلة ببز وارجوان وقرمز والمتحلية بذهب وحجر كريم ولؤلؤ ! لانه في ساعة واحدة خرب غنى مثل هذا" (رؤيا ١٨ : ١١ و ٣ و ١٥ — ١٧).

مثل ه ذه هي الضربات التي ستسقط على بابل في يوم افتقاد غضب الله. لقد ملأت مكيال اثمها وقد اتى وقتها ونضجت للهلاك.

وعندما يرد صوت الله سبي شعبه ستكون يقظة مخيفة للذين قد خسروا كل شيء في معركة الحياة العظيمة . ففي اثناء زمن النعمة اعمتهم مخادعات [707] الشيطان وبرروا مسلك هم وهم سائرون في الخطيئة . فالأغنياء تفاخروا بتفوقهم على من كانوا أقل منهم في الغنى، لكنهم كانوا قد حصلوا على ثروتهم بانتهاك شريعة الله . لقد اهملوا إطعام الجياع وتقديم كساء للعراة والسلوك بالعدل ومحبة الرحمة. وحاولوا تعظيم انفسهم والظفر بولاء بني جنسهم . أما الآن فقد تجردوا من كل ما جعلهم عظماء وتُركوا معدمين وليس من يدافع عنهم . انهم ينظرون برعب الى الهلاك الذي حاق بالاوثان التي قد آثروها على صانعهم . لقد باعوا نفوسهم بغنى الارض وتنعماتها ولم يطلبوا ان يكونوا اغنياء في ما هو لله . والنتيجة هي ان حياتهم كانت فشلا ومسراتهم استحالت الآن الى مرارة وكنوزهم صارت فساد ا. وارباحهم التي جمعوها مدى الحياة اكتُسحت في لحظة . والاغنياء ينوحون على الدمار الذي يحل ببيوتهم الفخمة العظيمة وتبديد ذهبهم وفضتهم. لكن بكاءَهم ونوحهم سيسكته الخوف من انهم هم انفسهم سيهلكون مع أوثانهم.

تمتلئ قلوب الاشرار حسرة ليس بسبب اهمالهم الاثيم تجاه الله وبني جنسهم بل لان الله قد انتصر . انهم يحزنون بسبب ما صارت اليه الامور لكنهم لا يتوبون عن آثامهم. ولا يدعون وسيلة من دون ان يستخدموها لينتصروا ان امكن.

ينظر العالم الى الجماعة نفسها التي كان الناس يسخرون منها ويهزأون بها ويحاولون استئصالها وهي تعبر في وسط الوباء والعاصفة والزلزلة من دون أن يصاب أحد افرادها باذى . فذاك الذي هو نار آكلة لمن يعصون شريعته هو بالنسبة الى شعبه حصن أمين.

يتمردون على الله

والخادم الذي ضحى بالحق للظفر برضى الناس يكتشف الآن صفة تعاليمه وأثرها. ويبدو ان العين التي ترى وتعرف كل شيء كانت تراقبه وهو يقف في منبره أو يذرع الشوارع أو يختلط بالناس في مشاهد الحياة المختلفة . فكل انفعال [708] في النفس، وكل سطر كُتب، وكل كلمة قيلت، وكل عمل ساق الناس الى ان يستريحوا في ملجإ الاكاذيب، كل ذلك كان بم ثابة القاء البذار، والآن ففي كل نفس شقية هالكة حوله يرى الحصاد.

لقد قال الرب: ”يشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام“، ”لانكن احزنتنَّ قلب الصديق كذبا وانا لم أحزنه وشددتن ايدي الشرير حتى لا يرجع عن طريقه الرديئة فيحيا“ (ارميا ٨ : ١١ ؛ حزقيال ١٣ : ٢٢).

”ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي يقول الرب ! ... هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم“. ”ولولوا أيها الرعاة واصرخوا وترنموا يا رؤساء الغنم لان أيامكم قد كملت للذبح وأبددكم ... ويبيد المناص عن الرعاة والنجاة عن رؤساء الغنم“ (ارميا ٢٣ : ١ و ٢ ؛ ٢٥ : ٣٤ و ٣٥).

ويرى الخدام والشعب انهم لم يحتفظوا بعلاقتهم الصائبة بالله بل تمردوا على معطي كل شريعة عادلة بارة . وقد نشأ عن طرح الوصايا الالهية جانبا ظهورُ آلاف من منابع الشر والنزاع والخصومات والكراهية والاثم حتى لقد امست الارض ميدان حرب عظيمة واسعة النطاق وبؤرة للأثم . هذا هو المنظر الذي يبدو الآن لعيون من قد رفضوا الحق واختاروا الضلال واحتضنوه . ولا تستطيع لغة ان تصف الشوق الذي يحس به العصاة والخونة للحصول على ما قد خسروه الى الابد: الحياة الابدية . والناس الذين عبدهم العالم لاجل مواهبهم وفصاحتهم يرون هذه الاشياء على حقيقتها الآن . ويتحققون من طبيعة ما قد خسروه بعصيانهم وينطرحون تحت أقدام الذين قد احتقروا ولاءهم وسخروا باخلاصهم ويعترفون بان الله قد احبهم.

وسيرى الناس انه قد غُرر بهم، ويتهم احدهم الآخر بانه هو الذي قاده الى الهلاك، ولكنهم يتفقون جميعا على توجيه أمرَّ الأدانة واللوم الى الخدام . فالرعاة غير الأمناء قد تنبأوا لهم بالناعمات وجعلوا سامعيهم يستهينون بشريعة الله ويضطهدون الذين أرادوا ان يحفظوها مقدسة . فهؤلاء المعلمون، في يأسهم الآن، [709] يعترفون أمام العالم بان عملهم كان عمل الخداع فتمتلئ قلوب جماهير الناس بثورة غضب واهتياج ويصرخون قائلين: ”لقد هلكنا ! وانتم علة هلاكنا“، ثم يهجمون على الرعاة الكذبة . والناس انفسهم الذين اعجبوا بهم قبلا أعظم اعجاب سيقذفونهم بأرهب اللعنات . والايدي ذاتها التي كللتهم من قبل باكاليل الفخر ستمتد الآن لأهلاكهم . والسيوف التي كانت معدة لقتل شعب الله تُستخدم الآن لاهلاك أعدائهم. وفي كل مكان توجد الحروب وسفك الدماء.

”بلغ الضجيج الى أطراف الارض لان للرب خصومة مع الشعوب هو يحاكم كل ذي جسد . يدفع الاشرار للسيف يقول الرب“ (ارميا ٢٥ : ٣١). فعلى مدى ستة آلاف سنة ظل الصراع العظيم محتدما: ابن الله ورسله السماويون كانوا في حالة حرب مع قوة الشرير لكي ينذروا وينيروا ويخلصوا بني الانسان . والآن قد قر قرار الجميع واتحد الاشرار اتحادا كاملا مع الشيطان في حربه ضد الله . والآن جاء الوقت الذي فيه يزكي الله سلطان شريعته المدوسة بالاقدام . والآن لم يعد الصراع قاصرا على الشيطان بل صار صراعا مع الناس . ان ”للرب خصومة مع الشعوب“، ”يدفع الاشرار للسيف“.

وان سمة النجاة قد وُضعت على جباه ”الذين يئنون ويتنهدون على كل النجاسات المصنوعة“. والآن

فها ملاك الموت يخرج ويُرمز اليه في رؤيا حزقيال بالرجال الذين بايديهم عدتهم الساحقة والذين صدر اليهم الامر: ”الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك . ولا تقربوا من انسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي“. والنبي يقول: ”فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين امام البيت“ (حزقيال ٩: ١ — ٦). ان عملية الهلاك تبدأ بالذين اعترفوا بانهم حراس الشعب الروحيون . فالحراس الكذبة هم أول الهالكين . ولا يوجد من يشفق أو يبقي عليهم. فالرجال والنساء والعذارى والاطفال يهلكون معا.

”لانه هو الرب يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الارض فيهم فتكشف الارض دماءها ولا تغطي قتلاها في ما بعد“ (اشعياء ٢٦ : ٢١). ”وهذه تكون الضربة التي يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم. [710] لحمهم يذوب وهم واقفون على اقدامهم وعيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم . ويكون في ذلك اليوم ان اضطرابا عظيما من الرب يح دث فيهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه“ (زكريا ١٤ : ١٢ و ١٣). ففي الحرب الجنونية التي فيها تصطرع اهواؤهم العنيفة، وفي انسكاب غضب الله الصرف الرهيب يسقط سكان الارض الاشرار من الكهنة والحكام والشعب والاغنياء والفقر اء والعالي والدون، ”وتكون قتلى الرب في ذلك اليوم من أقصاء الارض الى اقصاء الارض لا يُندبون ولا يُضمون ولا يُدفنون“ (ارميا ٢٥ : ٣٣).

عند مجيء المسيح يُمحى الاشرار عن وجه كل الارض فيبيدهم بنفخة فمه ويهلكهم ببهاء مجده . وسيأخذ المسيح خاص ته الى مدينة الله، وتُفرغ الارض من سكانه ا. ”هوذا الرب يخلي الارض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها“، ”تفرغ الارض افراغا وتنهب نهبا لان الرب قد تكلم بهذا القول“، ”لانهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة نكثوا العهد الابدي . لذلك لعنة اكلت الارض وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق سكان الارض“ (اشعياء ٢٤ : ١ و ٣ و ٥ و ٦).

وتبدو الارض كلها كقفر خرب . فخرائب المدن والقرى التي دمرتها الزلزلة، والاشجار المقتلعة، والصخور الخشنة التي قذفها البحر أو اقتُلعت من الارض نفسها تتبعثر على سطحها، بينما توجد كهوف واس عة تبين الاماكن التي فيها اقتُلعت الجبال من اساساتها.

طرد الشيطان

والآن تقع الحادثة التي ترمز اليها آخر الخدمات المقدسة في يوم الكفارة . فبعدما كملت الخدمة في قدس الاقداس ورُفعت خطايا اسرائيل من القدس بفاعلية دم ذبيحة الخطيئة حينئذ قُدم تيس عزازيل حيا أم ام الرب، وفي محضر [711] الجماعة يقر رئيس الكهنة عليه ”بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس“ (لاويين ١٦ : ٢١). وبهذه الطريقة ذاتها عندما يكمل عمل الكفارة في القدس السماوي توضع في محضر الله وملائكة السماء وجموع المفتدين خطايا ش عب الله على الشيطان ويُعلن انه مجرم في كل الشر الذي ساقهم الى ارتكابه . وكما أرسل تيس عزازيل الى أرض مقفرة فالشيطان سيُطرد كذلك الى الارض الخربة التي هي برية مقفرة وموحشة.

ينبئ الرائي بطرد الشيطان وحالة التشويش والخراب التي ستحل بالارض، ويعلن ان هذه الحالة ستظل الف سنة . وبعدما يعرض مشاهد مجيء الرب ثانية وهلاك الاشرار يستمر في سرد النبوة فيقول: ”ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح وسلسلة عظيمة على يده . فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس والشيطان وقيده الف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الامم في ما بعد حتى تتم الالف السنة وبعد ذلك لا بد ان يحل زمانا يسيرا“ (رؤيا ٢٠ : ١ — ٣).

ويتضح من آيات اخرى ان عبارة "الهاوية" ترمز الى الارض في حالة التشويش والظلام . وفي ما يختص بحالة الارض "في البدء" فان الكتاب يقول انها "كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة". (ان الكلمة المترجمة هنا "غمر" هي الكلمة نفسها المترجمة في (رؤيا ٢٠ : ١ — ٣) الى كلمة "الهاوية") — (تكوين ١ : ٢). فالنبوة تعلمنا ان الارض ستعود الى حالتها الاولى جزئيا على الاقل . وارميا النبي اذ استشرف يوم الله العظيم أعلن قائلا: "نظرت الى الارض واذا هي خربة وخالية والى السموات فلا نور له ا. نظرت الى الجبال واذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقلت . نظرت واذا لا انسان وكل طيور السماء هر بت. نظرت واذا البستان برية وكل مدنها نُقضت" (ارميا ٤: ٢٣ — ٢٦).

هنا سيكون موطن الشيطان مع ملائكته الاشرار مدة الف سنة . واذ يكون محصوراً في الارض لن يمكنه الوصول الى عوالم اخرى ليجرب ويزعج أولئك الذين [712] لم يسقطوا قط . وبهذا المعنى يقال عنه انه مق يد، اذ لم يبق احد يمكنه ان يستخدم سلطانه ضده . لقد قُطع تمام من عمل الخداع والخراب الذي ظل مدى قرون عديدة موضوع مسرته الاوحد.

والنبي اشعياء اذ يستبق الاحداث الى زمن سقوط الشيطان يصيح قائلا: "كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح . كيف قُطعت الى الارض يا قاهر الامم. وأنت قلت في قلبك اصعد الى السموات ارفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصير مثل العلي . لكنك انحدرت الى الهاوية الى اسافل الجب . الذين يرونك يتطلعون اليك يتأملون فيك . أهذا هو الرجل الذي زلزل الارض وزعزع الممالك الذي جعل العالم كقفر وهدم مدنه الذي لم يطلق اسراه"؟ (اشعياء ١٤ : ١٢ ١٧).

فعلى مدى ستة آلاف سنة كان عمل الشيطان بعصيانه كفيلا بان "يزلزل الارض"، "جعل العالم كقفر وهدم مدنه"، "ولم يطلق اسراه". كان يحبس شعب الله في سجنه وكان يريد ابقاءهم في الاسر الى الابد . لكنّ المسيح حطم قيوده واطلق الاسرى احرارا.

بل حتى الاشرار هم الآن بعيدون عن متناول سلطان الشيطان . فاذ ينفرد بملائكته الاشرار يبقى حيث هو ليتحقق من أثر اللعنة التي قد جلبتها الخطيئة. "كل ملوك الامم باجمعهم اضطجعوا بالكرامة كل واحد في بيته (قبره). اما انت فقد طُرحت من قبرك كغصن اشنع ... لا تتحد بهم في القبر لانك اخربت ارضك قتلت شعبك" (اشعياء ١٤ : ١٨ — ٢٠).

وخلال الف سنة سيتجول الشيطان هنا وهناك في الارض الخربة ليرى نتائج عصيانه ضد شريعة الله . وفي هذه المدة ستكون آلامه هائلة . انه منذ سقوطه كانت حياته حياة النشاط الدا ئم الذي لا يكل حائلا بينه وبين التفكير . أما الآن فقد جُرد من سلطانه وتُرك ليتأمل مليا في الدور الذي قد لعبه منذ عصى أولا على حكم السماء ولينظر بخوف ورعب الى [713] المستقبل المخيف الذي فيه يجب ان يتألم لاجل كل الشر الذي فعله ويعاقب على كل الخطايا التي جعل الناس يرتكبونها.

اما بالنسبة الى شعب الله فان اسر الشيطان سيكون لهم سبب فرح وابتهاج . يقول النبي: "ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استعبدت بها انك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل (وهو هنا يرم ز الى الشيطان) وتقول كيف باد الظالم ... قد كسر الرب عصا الاشرار قضيب المتسلطين . الضارب الشعوب بسخط ضربة بلا فتور المتسلط بغضب على الامم باضطهاد بلا إمساك" (اشعياء ١٤ : ٣ — ٦).

وفي اثناء الالف السنة بين القيامة الاولى والثانية سيُدان الاشرار. وبولس الرسول يشير الى هذه الدينونة كحادث يعقب المجيء الثاني حين يقول: "اذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب" (١ كورنثوس ٤ : ٥). ودانيال يعلن انه عندما جاء القديم الايام "أعطى الدين لقديس ي العلي" (دانيال ٧ : ٢٢). وفي هذا الوقت يملك الابرار كملوك وكهنة لله . وفي

سفر الرؤيا يقول يوحنا: ”ورأيت عروشا فجلسوا عليها واعطوا حكم ا“ ”سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة“ (رؤيا ٢٠ : ٤ و ٦). وفي هذا الوقت كما قد انبأ بولس قائلا: ”ان القديسين سيدينون العالم“ (١ كورنثوس ٦: ٢) فاذ يكونون متحدين مع المسيح سيدينون الاشرار اذ يقيسون اعمالهم على كتاب الشريعة، الكتاب المقدس، ويحكمون في كل قضية بموجب الاعمال التي عملوها وهم في الجسد. وحينئذ يكال للاشرار النصيب الذي يجب ان يقاسوه بحسب اعمالهم وهو مسجل امام أسمائهم في سفر الموت.

والشيطان والملائكة الاشرار ايضا يدينهم المسيح وشعبه . يقول بولس: ”ألستم تعلمون اننا سندين ملائكة“. (١ كورنثوس ٦ : ٣). ويهوذا [714] يعلن قائلا: ”والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام“ (يهوذا ٦).

وفي نهاية الالف السنة تكون القيامة الثانية . وحينئذ يقام الاشرار من الاموات ليمثلوا أمام الله لاجل تنفيذ “ الحكم المكتوب ”. وهكذا بعدما وصف الرائي قيامة الابرار يقول: ”وأما بقية الاموات فلم تعش حت ى تتم الالف السنة“ (رؤيا ٢٠ : ٥). واشعياء يعلن قائلا عن الاشرار: ”ويُجمعون جمعا كأسارى في سجن ويغلق عليهم في حبس ثم بعد ايام كثيرة يتعهدون“ (اشعياء ٢٤ : ٢٢). [715]

الفصل الثاني و الاربعون ـــ النصرة النهائية

وفي ختام الالف السنة سيجيء المسيح الى الارض مرة اخرى . ويصحبه جموع المفتَدين وتحف به حاشية من الملائكة . فاذ ينزل في جلال مرهب يأمر الموتى الاشرار بأن يقوموا ليدانوا ويحكم عليهم . فيخرجون وهم جمع كبير جدا بلا عدد كرمل البحر . فيا له من فرق شاسع بين هؤلاء وأولئك الذين كان لهم نصيب في القيامة الاولى ! لقد كان الابرار متسربلين بالشباب الخالد الجميل، أما الاشرار فيحملون في أجسامهم آثار المرض والموت.

وكل عين في ذلك الجمع العظيم تلتفت لتشاهد مجد ابن الله . وبصوت واحد يصرخ الا شرار قائلين: ”مبارك الآتي باسم الرب“. ليست المحبة ليسوع هي التي تلهمهم هذا الكلام بل قوة الحق تنتزع الكلام من شفاههم الكارهة انتزاعا. فكما نزل الاشرار الى قبورهم كذلك خرجوا بالعداوة للمسيح وبروح العصيان نفسيهم ا. ولن يُعطَوا فرصة اختبار اخرى ليصلحوا نقا ئص حياتهم الماضية. ولن يجديهم هذا فتيلا . فحياتهم التي قضيت في العصيان لم تجعل قلوبهم أقل صلابة . ولو أعطوا زمنَ النعمة من جديد لكانوا يقضونه في التهرب من مطالب الله واثارة العصيان ضده.

والمسيح ينزل على جبل الزيتون الذي من فوقه صعد الى السماء بعد قيامته وحيث كرر الملاكان الوعد بمجيئه الثاني . والنبي يقول: ”أتي الرب [716] الهي وجميع القديسين معك“، ”وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه ... واديا عظيما جدا“، ”ويكون الرب ملكا على الارض . في ذلك اليوم يكون الر ب وحده واسمه وحده“ (زكريا ١٤ : ٥ و ٤ و ٩). واذ تنزل أورشليم الجديدة من السماء ببهائها الذي يخطف الأبصار فهي تستقر في الموضع الذي قد تطهر وأعد لاستقبالها، فيدخل إليها المسيح ومعه شعبه وملائكته ويحلون في تلك المدينة المقدسة.

أما الآن فالشيطان يتأهب لخوض معركة اخيرة عظيمة للسيادة . ان سلطان الشر اذ كان مجردا من سلطانه ومنقطعا عن عمل الخداع كان شقيا ومغموما، ولكن اذ يقام الموتى الاشرار ويرى هو ذلك الجمع العظيم الى جانبه تنتعش آماله ويصمم على عدم التسليم في ذلك الصراع الهائل . وحينئذ يصفّ كل جيوشه من الهالكين تحت رايته وبواسطتهم يحاول تنفيذ خططه. والاشرار هم أسرى الشيطان منذ رفضوا المسيح وقبلوا حكم ذلك القائد المتمرد . وهم على استعداد لقبول مقترحاته وتنفيذ أمره . ولكن تمشيا مع خداعه ومكره القديم فهو لا يعترف بانه الشيطان . ويدعي انه الملك والمالك الشرعي للعالم الذي اغتُصب منه ميراثه ظلم ا. وهو يصور نفسه لرعاياه المخدوعين بانه الفادي ويؤكد لهم ان قوته هي التي اخرجتهم من قبورهم وانه مزمع ان يخلصهم من أقسى طغيان. واذ يكون المسيح قد انسحب منهم فان الشيطان يجري آيات ليسند ادعاءاته. فيقوّي الضعفاء ويلهم الجميع بروحه ونشاطه وقوته . ويقترح ان يتقدمهم لمحاربة معسكر القديسين للاستيلاء على مدينة الله . وبفرح جهنمي يشير الى الملايين التي لا حصر لها الذين قد اقيموا من الاموات ويعلن انه بصفته قائدا لهم هو قادر على قلب المدينة واستعادة سلطانه وملكه.

وبين ذلك الجمع الغفير توجد جماهير من الجنس الذي كان يعيش منذ عصور القدم قبل الطوفان، رجال طوال القامة ذوو عقول جبارة خضعوا لسلطان الملائكة الساقطين فكرسوا كل ذكائهم ومعرفتهم

لتمجيد انفسهم، رجال قادت اعمالهم الفنية العجيبة العالم الى ان يعبد عبقريتهم ونبوغهم لكنّ [717] قسوتهم ومخترع اتهم الشريرة التي نجست الارض وشوهت صورة الله جعلته يمحوهم من على وجه الخليقة . يوجد ملوك وقواد قهروا الامم، وجبابرة بأس لم ينهزموا قط في معركة، رجال حرب متكبرون طامعون كانوا يرعبون الممالك التي يقتربون منه ا. والموت لم يُحدث تغييرا في هؤلاء القوم . فاذ يخر جون من قبورهم يستأنفون تفكيرهم السابق نفسه . والرغبة نفسها في الغزو والفتح تحفزهم مثلما كانت تفعل عندما سقطوا.

المعركة الاخيرة ضد الله

يتشاور الشيطان مع ملائكته ثم مع هؤلاء الملوك والفاتحين والجبابرة . وهم ينظرون الى القوة والجيوش العديدة التي في صفهم فيع لنون ان الجيش الذي في داخل أسوار المدينة صغير بالمقابلة مع جيوشهم وانه يمكن الانتصار عليه . ثم يرسمون خططهم للاستيلاء على غنى أورشليم الجديدة ومجده ا. ففي الحال يبدأ الجميع في التأهب للقتال . ويشرع الرجال المهرة في صنع اسلحة القتال. والقواد الحربيون الذين اشت هروا بنجاحهم يصفون جموع رجال الحرب في جماعات وأقسام.

وأخيرا يصدر الامر بالانطلاق فيتقدم الى الامام ذلك الجمع الذي لا يحصى عديده، جيش لم يسبق للفاتحين الارضيين ان عبأوه ولا تضارعه كل الجيوش في مختلف العصور مجتمعة معا منذ بدأت الحرب على الارض . والشيطان الذي هو أعظم المحاربين يتقدم الجيش وملائكته يضم ون قواتهم اليه لخوض هذه المعركة الاخيرة . والملوك الجبابرة هم ضمن حاشيته والجموع هائلة، وكل جماعة منها تحت قيادة قائدها الخاص . وبدقة حربية تتقدم تلك الصفوف المتماسكة الى الامام على سطح الارض المشقق الوعر نحو مدينة الله. وبناء على أمر يسوع تغلق أبواب أورشليم الجديدة فتحاصر جيوش الشيطان [718] المدينة ويستعدون للهجوم.

المسيح يظهر

ومرة اخرى يُظهر المسيح نفسه أمام عيون أعدائه . وفوق المدينة على ارتفاع شاهق يوجد عرش عالٍ ومرتفع على أساس من الذهب المصقول . وعلى هذا الع رش يجلس ابن الله وحوله رعايا ملكوته . ولا يمكن لافصح لسان ان يصف قدرة المسيح وجلاله، ولا يمكن لقلم كاتب ان يصوره . ان مجد الله السرمدي يحيط بابنه وبهاء حضوره يملأ مدينة الله ويفيض خارج الابواب ويملأ الارض كلها بلألائه.

واقرب الناس الى العرش هم أولئك الذين ك انوا قبلا متحمسين للشيطان، ولكن اذ كانوا كشعلات منتشلة من الحريق فقد اتّبعوا مخلصهم في تكريس عميق قوي . ويلي هؤلاء أولئك الذين قد كملوا الصفات المسيحية واحتفظوا بها في وسط الكذب والالحاد، أولئك الذين أكرموا شريعة الله في وقت اعتبرها العالم المسيحي باطلة، وملا يين من كل الاجيال الذين استشهدوا لاجل ايمانهم . وخلف هؤلاء يوجد ”جمع كثير لم يستطع أحد ان يعده من كل الامم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي ايديهم سعف النخل“ (رؤيا ٧: ٩). لقد انتهت حربهم وأحرزوا الانتصار . لقد اكملوا السعي وأخذوا الجعالة . وسعف النخل التي في أيديهم هي رمز الانتصار، والثياب البيض هي رمز

لبر المسيح الخالي من العيب الذي صار لهم الآن.

ثم ان المفتدين ينشدون ترنيمة حمد تعلو ويرن صداها في كل ابهاء السماء فيقولون: ”الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف“ (رؤيا ٧ : ١٠) .والملائكة والسرافيم يشتركون باصواتهم في هذا التمجيد . وكما قد رأى المفتدون قوة الشيطان وخبثه، فقد رأوا كما لم يروا قبلا انه لا توجد قوة غير قوة المسيح كان يمكن ان تمنحهم النصرة . وفي كل ذلك الج مع [719] المتألق بالنور لا يوجد احد ينسب الخلاص الى نفسه كما لو انه قد انتصر بقوته وصلاحه . ولا يذكر شيء عما قد فعلوه أو قاسوه، لكنّ عبء كل اغنية ومطلع كل انشودة هو: ”الخلاص لالهنا وللخروف.

اصدار الحكم على العصاة

وفي محضر سكان الارض و السماء المجتمعين يتوج ابن الله نهائي ا. والآن وقد زُوِّد الجلال والمجد الفائقين فان ملك الملوك ينطق بحكمه ضد العصاة على سلطانه وينفذ عدله على من قد عصوا عليه وتعدوا شريعته وضايقوا شعبه وظلموهم. يقول نبي الله: ”ثم رأيت عرشا عظيما أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الارض والسماء ولم يوجد لهما موضع . ورأيت الاموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الاسفار بحسب اعمالهم“ (رؤيا ٢٠ : ١١ و ١٢).

وحالما تفتح الاسفار وتقع عين يسوع على الأشرار يشعرون بكل خطيئة ارتكبوها. ويرون المكان نفسه الذي فيه انحرفت أرجلهم بعيدا عن طريق الطهارة والقداسة، والى أي مدى ساقتهم الكبرياء والتمرد للتعدي على شريعة الله، والتجارب الخادعة التي شجعوها على تضليلهم بانغماسهم في الخطيئة، والبركات التي عكسوها، ورسل الله الذ ين احتقروهم، والانذارات التي رفضوها، وأمواج الرحمة التي صدُّوها بقلوبهم العنيدة القاسية غير التائبة، كل هذه تظهر واضحة كما لو كانت مكتوبة بحروف من نار.

الصليب فوق العرش

وفوق العرش يُرى الصليب واضحا، وتظهر مشاهد تجربة آدم وسقوطه كما على شاشة بيضاء فسيحة، والخطوات المتتابعة في تدبير الفداء العظيم . فميلاد المخلص الوضيع، وحياته في صباه التي قضاها في بساطة وطاعة، وعماده في [720] الاردن، والصوم والتجربة في البرية، وخدمته الجهارية التي كشف فيها للناس عن اثمن بركات السماء، والايام التي ازدحمت باعم ال المحبة والرحمة، والليالي التي كان يقضيها ساهرا ومصليا معتزلا في الجبال، والجزاء الذي ناله من مؤامرات الحسد والكراهية والخبث في مقابل الخير العظيم الذي نالوه على يديه، والعذاب الأليم المخيف الغامض في جثسيماني تحت الثقل العظيم لخطايا العالم كله، وتسليمه لا يدي الرعاع المجرمين القتلة، والحوادث المخيفة التي حدثت في ليلة الرعب تلك، ـــ الاسير المستسلم وقد تركه تلاميذه الاحباء، وهو يساق بكل قسوة وعنف في شوارع أورشليم؛ ابن الله يوقَف بكل فرح وانتصار أمام حنان ويحاكَم في قصر رئيس الكهنة، وفي دار ولاية بيلاطس وأمام هيرودس الجبان القاسي، وقد سخروا به وأهانوه وعذبوه وحكم عليه بالموت، كل ذلك يصوَّر بكل وضوح.

والآن تعلن المشاهد النهائية أمام ذلك الجمع الحاشد : فالمتألم الصبور يسير في الطريق الى جلجثة، ملك السماء يُعلق على الصليب، الكهنة والسوقة يهزأون بآلام احتضاره، الظلمة غير الطبيعية تغشى الارض التي تزلزلت والصخور التي تشققت والقبور التي تفتحت محددة اللحظة التي فيها أسلم فادي العالم روحه.

يبدو المنظر المخيف كما كان تماما، فالشيطان وملائكته ورعاياه لا يستطيعون الابتعاد عن الصورة التي تصور عملهم . فكل ممثل يذكر الدور الذي مثّله: هيرودس الذي قتل أطفال بيت لحم الابرياء لكي يهلك ملك اسرائيل، وهيروديا السافلة التي يستقر على نفسها الآثمة دم يوحنا المعمدان، وبيلاطس الضعيف خادم الزمان، والجنود الساخرون، والكهنة والشيوخ والشعب المجنون الذي صرخ قائلا: "دمه علينا وعلى أولادنا" ... الجميع يرون هول جريمتهم . وعبثا يحاولون الاختباء من جلال وجه الله الذي يكسف بهاء الشمس، بينما المفتدون يطرحون أكاليلهم عند رجلي المخلص صارخين وقائلين : " لقد مات عني !. [721]

وبين جموع المفتدين يوجد رسل المسيح، بولس الشجاع وبطرس الغيور ويوحنا المحب والمحبوب واخوتهم المخلصون، ومعهم الجمهور الكبير من الشهداء، بينما يوجد في خارج الاسوار مع كل ما هو دنس ورجس أولئك الذين قد اضطهدوهم وسجنوهم وقتلوهم . فهناك يوجد نيرون ذلك الوحش الذي اشتهر بالقسوة والرذيلة وهو يرى فرح الذين قد عذبهم وتمجيدهم في ما كان يجد سروره الشيطاني وهو يراهم يقاسون أرهب العذابات . وأمه هناك لتشهد نتيجة عملها ولترى كيف ان طابع خلقها الشرير قد انتقل الى ابنها، والاهواء والشهوات التي تجرأ على السير فيها وتنميتها بقوة تأثيرها ومثالها قد آتت ثمارها في الجرائم التي جعلت العالم يرتعد من هولها.

وهناك يوجد كهنة وأساقفة بابويون ممن ادعوا انهم سفراء المسيح ومع ذلك فقد لجأوا الى آلات التعذيب والسجون والحرق بالنار ليتحكموا في ضمائر شعبه. وهناك الباباوات المتكبرون الذين رفعوا انفسهم فوق الله وتجرأوا على تغيير شريعة العلي . فآباء الكنيسة الادعياء أولئك عليهم حساب عسير يقدمونه الى الله، وهم يشتاقون الى ان يُعفوا من ذلك، ويرون في وقت متأخر جدا ان الله العليم بكل شيء يغار على شريعته وانه لا يبرر المذنب . وهم يعلمون الآن ان المسيح يقرن مصلحته بمصالح شعبه المتألمين ويحسون بقوة كلامه القائل: "بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم" (متى ٢٥ : ٤٠).

ان العالم الشرير كله يقف متهما امام محكمة الله بتهمة الخيانة العظمى ضد حكم السماء . ولا يجدون من يترافع عنهم في قضيتهم، فهم بلا عذر وقد صدر ضدهم الحكم بالموت الابدي.

لقد اتضح للجميع الآن ان أجرة الخطيئة ليست الاستقلال النبيل والحيا الابدية بل العبودية والدمار والموت . والاشرار يرون ما قد اضاعوه بحياة العصيان التي عاشوها. ان ثقل المجد الابدي الاستثنائي قد احتقر عندما قُدم اليهم، ولكن كم يبدو مرغوبا فيه الآن . تقول النفس الهالكة صارخة: "كان يمكنني امتلاك كل هذا ولكني ابعدت كل هذه الاشياء عني . آه يا له من [722] جنون غريب ! لقد استعضت عن السلام والسعادة والكرامة بالشقاء والعار واليأس". والجميع يرون ان طردهم من السماء عادل . ففي حياتهم أعلنوا قائلين: "لا نريد ان يسوع هذا يملك علينا".

لقد نظر الاشرار الى تتويج ابن الله وكأنهم ذاهلون . انهم يرون بين يديه لوحي الشريعة الالهية، الوصايا التي قد احتقروها أو عصوها. ويشهدون الدهشة المشبوبة والفرح الغامر والتمجيد الذي يقدمه المخلصون . واذ تكتسح موجة النغمات المطربة الجموع الذين خارج المدينة فالجميع يصرخون قائلين بصوت واحد: "عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الاله القادر على كل شيء . عادلة وحق هي طرقك

يا ملك القديسين" (رؤيا ١٥ : ٣)، واذ يسقطون على وجوههم يقدمون السجود لرئىس الحياة.

هزيمة الشيطان في النهاية

ثم ان الشيطان يبدو وكأنه قد شُلَّت قواه عندما يرى مجد المسيح وجلاله . فذاك الذي كان قبلا كروبا مظللا يذكر من اين سقط . ان الذي كان أحد السرافيم المتألقين بالنور و "ابن الصبح" كم تبدَّل وانحط ! لقد طُرد الى الابد من المجلس الذي كان قبلا مكرَّما فيه والآن يرى آخر غيره واقفا بالقرب م ن الابدي ساترا مجده . لقد رأى الاكليل يوضع على رأس المسيح بيد ملاك طويل القامة جليل المنظر، ويعرف ان المركز السامي الذي يشغله هذا الملاك كان يمكن ان يشغله هو.

ثم تستعيد الذاكرة وطن براراته وطهارته والسلام والقناعة اللذين كانا من صفاته الى ان انغمس ف ي التبرم والتذمر ضد الله والحسد للمسيح . فاتهاماته وتمرده ومخاتلاته في الحصول على السيادة وعطف الملائكة وتعضيدهم، وأصراره العنيد في عدم محاولة الرجوع عندما كان يمكن لله ان يمنحه الغفران، كل هذه ظهرت أمامه بكل جلاء . ثم يستعرض أعماله بين الناس ونتائجها: عداوة [723] الانسان لاخيه الانسان، وهلاك الحياة الرهيب وقيام الممالك وسقوطها وقلب العروش، وتوالي حوادث الشغب الطويلة والحروب والثورات . ثم يستعرض محاولاته المستمرة في مقاومة عمل المسيح وانحداره الى اسفل واسفل . وهو يرى ان مؤامراته الجهنمية كانت عاجزة عن اهلاك الذين وض عوا ثقتهم في يسوع .واذ ينظر الشيطان الى مملكته، ثمرة جهوده، لا يرى غير الفشل والخراب . لقد جعل جماهير من الناس يعتقدون ان مدينة الله ستكون غنيمة باردة ولكنه يعلم ان هذا كذب . ومرارا وتكرارا في سير الصراع الهائل انهزم وأرغم على التسليم. وهو يعرف تمام المعرفة قوة الاله السرمدي وجلاله.

افتضاح المضل الاكبر

لقد كان غرض المتمرد الاعظم دائما تبرير نفسه واقامة البرهان على ان سياسة الله هي المسؤولة عن العصيان . ولاجل هذه الغاية سخر كل قوى عقله الجبار . لقد عمل بترو ونظ ام وبنجاح مدهش اذ جعل جماهير كثيرة من الناس يقبلون تفسيره للصراع الهائل الذي ظل محتدماً هذا الامد الطويل . فعلى امتداد آلاف السنين ظل رئيس التآمر هذا يُلبس الباطل ثوب الحق . ولكن ها قد اتى الوقت الذي فيه يُهزم العصيان نهائي ا ويكشف الستار عن تاريخ الشيطان وصفاته . ان المخادع الاعظم في محاولته الاخيرة ان يخلع المسيح عن عرشه ويهلك شعبه ويستولي على مدينة الله انكشف القناع عن وجهه تمام ا. والذين اتحدوا معه يرون فشل قضيته اخيرا فشلا تام ا. واتباع المسيح والملائكة الامناء يرون مدى مكايد الشيطان ضد حكم الله . وقد صار الشيطان موضوع كراهية الجميع واشمئزازهم.

يرى الشيطان ان تمرده الذي أقدم عليه بمحض اختياره لا يؤهله للسماء . لقد درب قواه على محاربة الله . وطهارة السماء وسلامها وانسجامها ستكون سبب عذاب هائل له . لقد أسكتت الآن اتهاماته ضد رحمة الله وعدله . [724] والعار الذي حاول ان يلصقه بالرب يستقر كله عليه . والآن فها الشيطان ينحني معترفا بعدالة الحكم الذي صدر ضده.

"من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك ؟ لانك وحدك قدوس . لان جميع الامم سي أتون ويسجدون أمامك

لان احكامك قد اظهرت“ (رؤيا ١٥ : ٤). والآن قد اتضح كل شك أو تساؤل في ما يختص بالحق والضلال في الصراع الهائل الطويل الامد . ونتائج العصيان وثمار طرح شريعة الله جانبا اتضحت أمام انظار كل الخلائق العاقلة . وعُرضت نتائج حكم الشيطان، على نقيض حكم الله، أمام المسكونة كلها. فاعمال الشيطان قد دانته . بينما حكمة الله وعدله وصلاحه قد تزكت تماما. وقد رؤي ان كل معاملاته في الصراع الهائل قد دُبرت بحيث تؤول الى خير شعبه الابدي وخير كل العوالم التي خلقها. ”يحمدك يا رب كل أعمالك ويباركك أتقياؤك“ (مزمور ١٤٥ : ١٠). ان تاريخ الخطيئة سيظل الى الأبد شاهدا على ان سعادة كل خلائق الله مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود شريعته . ومع كل الحقائق الخاصة بالصراع الهائل الذي أمامنا فكل المسكونة ،المخلصون منهم والعصاة، يعلنون بفم واحد قائلين: ”عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين“.

وأمام المسكونة عُرضت بكل وضوح الذبيحة العظيمة التي قدمها الآب والابن لاجل انسان . وقد أتت الساعة التي يتبوأ فيها المسيح مركزه الشرعي ويتمجد فوق الرياسات والسلاطين وكل اسم يسمَّى . انه من أجل السرور الموضوع امامه لكي يأتي بأبناء كثيرين الى المجد — احتمل الصليب مستهينا بالخزي . ومع ان الحزن والآلام والعار كانت عظيمة جدا فان السرور والمجد أعظم . انه ينظر الى المفتدين وقد تجددوا فصاروا في شبه صورته، وكل قلب يحمل الطابع الالهي الكامل، وكل وجه يعكس صورة مليكه . انه يرى فيهم نتيجة تعب نفسه فتطيب نفسُه . وبصوت يصل الى اسماع الجماهير المجتمعة من الابرار والاشرار يعلن حينئذ قائلا: ”هوذا مقتنى دمي ! فلأجل هؤلاء تألمت [725] ولاجلهم مت لكي يسكنوا في حضرتي مدى دهور الابد“. وحينئذ ترتفع أنشودة الحمد من أفواه اللابسين الثياب البيض حول العرش قائلة: ”مستحق هو الخروف المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد و البركة“ (رؤيا ٥ : ١٢).

صراع اخير يائس

ولكن على الرغم من كون الشيطان قد أجبر على الاعتراف بعدالة الله والانحناء أمام سيادة المسيح فان صفاته تبقى كما هي من دون تغيير. فروح العصيان ترتد عليه كسيل جارف . واذ يمتلئ بالجنون يصمم على عدم الاستسلام في الصراع الهائل . لقد جاء الوقت الذي فيه يشتبك في صراع اخير يائس ضد ملك السماء . فيندفع في وسط رعاياه محاولا ان يلهمهم بما يعتمل في صدره من ثورة واهتياج ويثيرهم للاشتباك في الحرب في الحال . ولكن من بين الملايين التي لا تحصى الذين قد أغواهم على العصيان لا يوجد الآن ولا واحد يعترف بسيادته . لقد انتهى سلطانه . والاشرار تملأهم ذات الكراهية التي تعتمل في قلب الشيطان تجاه الله . لكنّهم يرون ان قضيتهم صارت ميئوسا منها وانهم لا يستطيعون الانتصار على الرب . فيثور غضبهم ضد الشيطان وضد الذين كانوا أعوانه في الخداع، فبغضب ابليسي يرتدُّون عليهم.

يقول الرب: ”من اجل انك جعلت قلبك كقلب الآلهة لذلك هأنذا أجلب عليك غرباء عتاة الامم فيجردون سيوفهم على بهجة حكمتك ويدنسون جمالك . ينزلونك الى الحفرة فتموت موت القتلى“، ”أبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار ... سأطرحك الى الارض وأجعلك أمام الملوك لينظروا اليك... وأصيرك رمادا على الارض امام عيني كل من يراك ... وتكون أهوالا ولا توجد بعد الى الابد“ (حزقيال ٢٨ : ٦ — ٨ و ١٦ — ١٩). [726]

”لان كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلا للنار“، ”لان

للرب سخطا على كل الامم وحموا على كل جيشهم . قد حرمهم دفعهم الى الذبح“، ”يمطر على الاشرار فخاخا نارا وكبريتاً وريح السموم نصيب كأسهم“ (اشعياء ٩ : ٥ ؛ ٣٤ : ٢ ؛ مزمور ١١ : ٦). ان النار تنزل من عند الله من السماء، والارض تتكسر والاسلحة المخفية في أعماقها تخرج . فتخرج من فجواتها نار محرقة ونفس الصخور تشتعل بالنار . لقد جاء اليوم المتقد كالتنور . والعناصر تذوب بحرارة متوقدة وتحترق أيضا الارض وكل المصنوعات الت ي فيها (ملاخي ٤ : ١ ؛ ٢ بطرس ٣ : ١٠). وسطح الارض يبدو كأنه كتلة واحدة ذائبة : بحيرة واسعة من النار تغلي. انه وقت الدينونة والهلاك للاشرار. ”لان للرب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون“ (اشعياء ٣٤ : ٨).

ان الاشرار ينالون جزاءهم في الارض (امثال ١١ : ٣١). ”يكونون قش ا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود“ (ملاخي ٤: ١). فالبعض يهلكون كما في لحظة، بينما آخرون يتعذبون أياما طويلة . والجميع سيعاقبون ”حسب أعمالهم“. وحيث ان خطايا الابرار قد وُضعت على الشيطان فهو سيتألم لا لاجل عصيانه فحسب بل لاجل كل الخطايا التي جعل شعب الله يرتكبونه ا. وسيكون قصاصه ارهب بكثير من قصاص الذين قد أضلهم . فبعد هلاك كل من قد غرر بهم سيظل حيا وسيقاسي الاهوال . ان الاشرار يهلكون أصلا وفرعا في النار المطهرة؛ فالشيطان هو الاصل واتباعه هم الفروع . لقد وقع قصاص التعدي على الناموس كاملا، وقد أجيبت كل مطالب العدل، والسماء والارض اذ تنظران ذلك تعلنان عدالة الرب.

ان عمل التخريب والهلاك الذي قام به الشيطان قد انتهى الى الابد . فخلال ستة آلاف سنة تمم الشيطان ارادته اذ ملأ الارض شقاء، وسبَّب الاحزان لكل خلائق المسكونة . فكل الخ ليقة تئن وتتمخض من فرط الألم . أما الآن فان خلائق الله سيتخلصون الى الابد من وجود الشيطان وتجاربه. ”استراحت [727] اطمأنت كل الارض . هتفوا (الابرار) ترنما“ (اشعياء ١٤ : ٧). وسترتفع هتافات حمد وانتصار من كل المسكونة الامينة: ”صوت جمع كثير“ ”كصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة“ يُسمع قائلا: ”هللويا فانه قد ملك الرب الاله القادر على كل شيء“ (رؤيا ١٩ : ٦).

”واذ تلتف الارض في رداء من النار المهلكة يكون الابرار ساكنين مطمئنين في المدينة المقدسة . وأولئك الذين كان لهم نصيب في القيامة الاولى ليس للموت الثاني سلطان عليهم . وفي حين ان الله هو نار آكلة للاشرار فهو لشعبه شمس ومجن (رؤيا ٢٠ : ٦ ؛ مزمور ٨٤ : ١١).

”ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى مضتا“ (رؤيا ٢١ : ١). ان النار التي تحرق الاشرار تطهر الارض. وكل اثر من آثار اللعنة يمحى . ولن تكون هنالك نار جحيم ابدية لتذكر الابرار المفديين بعواقب الخطيئة المخيفة.

مذكر واحد

ولكن يبقى مذكر واحد، ذلك ان فادينا سيظل حاملا في جسده سمات صلبه. ففي رأسه الجريح وجنبه ويديه ورجليه توجد الآثار الوحيدة للعمل القاس ي لذي قد احدثته الخطيئة . ان النبي اذ يرى المسيح في مجده يقول: ”وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته“ (حبقوق ٣ : ٤). فذلك الجنب المطعون الذي سال منه الدم القاني الذي صالح الانسان مع الله انما هو مجد المخلص و ”استتار قدرته“. انه ”العظيم للخلاص“ عن طريق ذبيحة الفداء، ولذلك كان قادرا على تنفيذ عدالته في من قد ازدروا برحمة الله. وسمات اتضاعه هي اسمى كرامة له، ومدى دهور الابد ستكون جروح جلجثة مبعث الحمد له

واعلانا لقدرته. [728]

”وأنت يا برج القطيع أكمة بنت صهيون اليك يأ تي ويجيء الحكم الاول“ (ميخا ٤ : ٨). لقد اتى الوقت الذي ظل القديسون يتطلعون اليه بشوق منذ سد لهيب السيف المتقلب طريق ابوينا الاولين الى عدن، وقت ”فداء المقتنى“ (أفسس ١ : ١٤). فالارض التي أعطيت للانسان أصلا على اعتبار انها مملكته والتي أسلمها هو للشيطان وظلت مدى هذه الحقبة الطويلة تحت سيطرة هذا العدو الجبار أعيدت عبر تدبير الفداء العظيم . وقد استرجع كل ما قد أضاعته الخطيئة. ”هكذا قال الرب ... مصوِّر الارض وصانعه ا. هو قرره ا. لم يخلقها باطلا . للسكن صورها“ (اشعياء ٤٥ : ١٨) ان غرض الله الاصلي من خلق الارض ق د تحقق اذ صارت موطن المفتدين الابدي . ”الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد“ (مزمور ٣٧ : ٢٩).

ان الخوف من جعل الميراث العتيد يبدو ماديا أكثر من اللازم جعل كثيرين يفسرون الحقائق التي تقودنا الى اعتباره وطننا تفسيرا روحيا يُفقدها معناه ا. لقد اكد المسيح لتلاميذه انه ماض ليعد لهم منازل في بيت الآب. فالذين يقبلون تعاليم كلمة الله لن يجهلوا جهلا تاما ما يختص بالمسكن السماوي . ومع ذلك فانه: ”ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه“ (١ كورنثوس ٢ : ٩). ان لغة البشر قاصرة عن وصف مكافأة الابرار. ولن يعرفها الا من يرونها. ولا يمكن لعقل محدود قاصر ان يدرك مجد فردوس الله. [729]

موطن المخلصين

يدعى ميراث المخلصين في الكتاب المقدس ”وطنا“ (عبرانيين ١١ : ١٤ — ١٦). فهناك يقود الراعي السماوي قطيعه الى ينابيع مياه حية . وشجرة الحياة تعطي كل شهر ثمرها وأوراق الشجرة لشفاء الامم . ويوجد دائما انهار جارية صافية ونقية كالبلور وعلى وجوانبها اشجار تلقي ظلالها الوارفة على الطرق المعدة لمفتدي الرب . وهناك ترتفع السهول الفسيحة فتصير تلالا آية في الجمال وجبال الله تعلو بقممها الشامخة . وفي تلك السهو ل الهادئة التي بجوار الينابيع الحية يجد شعب الله، الذين ظلوا أمدا طويلا غرباء وتائهين، وطنا ومستقرا.

”ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة“. ”لا يُسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا“، ”ويبنون بيوت ا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون اثمارها. لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل ... يستعمل مختاريَّ عمل ايديهم“ (اشعياء ٣٢ : ١٨ ؛ ٦٠ : ١٨ ؛ ٦٥ : ٢١ و ٢٢).

هناك ”تفرح البرية والارض اليابس ة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس“، ”عوضا عن الشوك ينبت سرو و عوضا عن القريس يطلع آس“، ”فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي ... وصبي صغير يسوقها“، ”لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي“ قال الرب (اشعياء ٣٥ : ١ ؛ ٥٥ : ١٣ ؛ ١١ : ٦ و ٩).

ليس للالم وجود في جو السماء . ولن تكون هناك دموع ولا مواكب جنازات ولا شارات حداد. ”والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ... لان الامور الاولى قد مضت“، ”ولا يقول ساكن انا مرضت . الشعب الساكن فيها مغفور الاثم“ (رؤيا ٢١ : ٤ ؛ اشعياء ٣٣ : ٢٤). [730]

وهناك أورشليم الجديدة قصبة الارض الجديدة المجيدة: ”اكليل جمال بيد الرب وت اجا ملكيا بكف

الهك". "لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري"، "وتمشي شعوب المخلصين بنورها وملوك الارض يجيئون بمجدهم وكرامتهم اليها". والرب يقول: "فابتهج باورشليم وافرح بشعبي"، "هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم" (اشعياء ٦٢ : ٣؛ رؤيا ٢١ : ١١ و ٢٤ ؛ اشعياء ٦٥ : ١٩ ؛ رؤيا ٢١ : ٣).

وفي مدينة الله "لا يكون ليل هناك". ولن يكون احد في حاجة الى الهجوع أو الراحة أو يرغب فيهم ا. ولن يشعر احد بالسأمة من عمل ارادة الله وتقديم الحمد لاسمه . وسنشعر د ائما بنضارة الصباح ولن نخشى من انتهائه ا. "ولا يحتاجون الى سراج أو نور شمس لان الرب الاله ينير عليهم" (رؤيا ٢٢ : ٥). ويفوق نورَ الشمس ضياءٌ لا يبهر الابصار أو يؤذيها ومع ذلك فهو يفوق نور منتصف النهار بما لا يقاس . ومجد الله والخروف يغمر المدينة المقدسة بنور لا يخبو . والمفتدون يسيرون في مجد النهار الابدي الذي لا شمس فيه.

"ولم أر فيها هيكلا لان الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها" (رؤيا ٢١ : ٢٢). ولشعب الله امتياز الشركة المباحة مع الآب والابن . "فاننا ننظر الان في مرآة في لغز" (١ كورنثوس ١٣ : ١٢). اننا نرى انعكاسا لصورة الله كما في مرآة في اعمال الطبيعة وفي معاملاته مع الناس، ولكننا سنراه حينئذ وجها لوجه من دون ان يكون هناك حجاب يحجب الرؤية . اننا سنمثل في حضرته ونرى مجد وجهه. [731]

انتصار محبة الله

وهناك سيعرف المفتدون كما قد عُرفوا (١ كورنثو س ١٣ : ١٢). وستجد المحبة والعطف اللذين غرسهما الله نفسه في القلب أصدق تدريب واعذبه، والشركة الطاهرة مع الخلائق المقدسة والحياة الاجتماعية المتناسقة مع الملائكة المغبوطين ومع الرجال الامناء في كل العصور، الذين غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف، والروابط الم قدسة التي توحِّد بين "كل عشيرة في السموات وعلى الارض" (أفسس ٣ : ١٥).

هناك ستتأمل العقول الخالدة، بسرور لا يكل، في عجائب القوة الخالقة وفي اسرار المحبة الفادية . ولن يكون هناك عدو قاس مخادع ليجرب الناس لنسيان الله . وستنمو وتتطور كل قوى النفس وتزداد مهارا تها، وتحصيل المعرفة لن يُتعب العقل ولن يرهق القوى . وهناك يمكن تنفيذ أجلِّ المشاريع . وأسمى الرغائب تتحقق وأرفع المطامع تُنال، ومع ذلك تظهر ذرى ليبلغها الانسان، وعجائب جديدة ليعجب بها، وحقائق جديدة عليه ليدركها، واغراض جديدة تتطلب بذل قوى العقل والنفس والجسد.

وكل كنوز المسكونة ستكون مباحة لدراسة مفتدي الله . ولكونهم غير مقيدين بقيود الفناء فسيرتفعون الى أعالي العوالم البعيدة، عوالم اختلجت قلوب أهلها بالحزن على شقاء بني الانسان وترنمت باغاني الفرح عندما علمت بانباء النفوس المفتداة . فبفرح لا ينطق به يدخل ابناء الارض فرحَ الخلائق غير الساقطين وحكمتهم . وهم يتقاسمون معهم كنوز المعرفة والعلم التي حصلوا عليها مدى أجيال بعد أجيال في التأمل في صنع الله . وبعيون صافية ينظرون الى مجد الخليقة : الشموس والكواكب والانظمة الكونية كل منها في مسارها المحيط بعرش الله . وعلى كل الا شياء من اصغرها الى أعظمها مكتوب اسم الخالق، وفي كل شيء يظهر غنى قدرته. [732]

واذ تمر سنو الابدية فستأتي باعلانات أغنى وأمجد عن الله والمسيح. وكما تتجدد المعرفة فكذلك

ستتجدد المحبة والوقار والسعادة وتزيد كذلك. وكلما عرف الناس أشياء أكثر عن الله زاد اعج ابهم بصفاته . واذ يكشف يسوع أمامهم غنى الفداء والاعمال العظيمة المدهشة في الصراع الهائل مع الشيطان فان قلوب المفتدين تختلج بتعبد حار عميق، وبفرح مذهل للعقل يضربون على قيثاراتهم الذهبية فتتحد ربوات ربوات وألوف ألوف من الاصوات في انشاد اغنية الحمد العظيمة.

”وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان الى أبد الآبدين“ (رؤيا ٥ : ١٣).

لقد انتهى الصراع العظيم . وما عاد للخطيئة أو للخطاة وجود . وقد صارتالمسكونة كلها ط اهرة. وفي عاطفة واحدة من الوفاق والفرح يشترك كل الخلائق. ومن ذاك الذي قد خلق الجميع تفيض الحياة والنور والبهجة في كل الاقاليم في الفضاء الذي لا حدود له . فمن أصغر ذرة الى أعظم كوكب، من حي الى جماد، بجمالها وكمالها ـــ كلها تشهد شهادة واحدة قائلة: **الله محبة** [733]

تذييل

[734] [735]

مذكرات عامة

صفحة ٥٨ ــــ الالقاب : في فصل يكوِّن جزءا من القانون الكهنوتي الروماني يعلن الباب ا انوسنت الثالث ان بابا روما هو "نائب على الارض، لا نائب الانسان فقط بل نائب الله نفسه". وفي تعليق على هذا الفصل فسر هذا الكلام بالقول ان ذلك هو لانه نائب المسيح الذي هو "اله حق وانسان حق". اما عن اللقب القائل "السيد الرب الباب ا" فانظر تعليق ا على اسراف البابا يوحنا الثاني والعشرين . وفي طبعة صدرت في انتورب عن الاسراف بتاريخ عام ١٥٨٤ ورد هذا القول: "سيدنا الرب الباب ا" في خانة ١٥٣ . وفي طبعة صدرت في باريس بتاريخ عام ١٦١٢ توجد هذه الاقوال في خانة ١٤٠ . وفي عدة طبعات صدرت منذ عام ١٦١٢ حذفت كلمة "الله".

صفحة ٥٩ ــــ عبادة التماثيل : ان عبادة التماثيل ... كانت احدى مفاسد المسيحية التي زحفت الى داخ الكنيسة خلسة، بدون ان يلاحظها او يلتفت اليه ا احد تقريب ا. وهذه المفسدة لم تكشف ع ن نفسها في الحال كغيرها لانها في هذه الحالة كانت تقابل بانتقاد صريح وتوبيخ صارم، ولكن اذ بدأت عملها تحت قناع جميل دخلت الممارسات الخاصة بها بالتدريج الواحدة في اثر الاخرى بحيث انحدرت الكنيسة الى اعماق الوثنية، ليس فقط بدون مقاومة كافية بل ايضا بدون اعتراض جازم. وبعد ذلك عند بذل مسعى لاستئصالها وجد ان الشر قد تأصل فيها بحيث لم يمكن ازالته ... فينبغي تتبعه الى ميل القلب البشري الى الوثنية ونزوعه الى عبادة المخلوق دون الخالق...

"لقد أدخلت التماثيل والصور الى الكنيسة اولا لا لتعبد ولكن إما ليستعاض بها عن الكتب لتعليم من لم يكونوا يعرفون القراءة او لتثير روح التعبد في الآخرين . اما الى اي حد حققت هذا الغرض فأمر مشكوك فيه، ولكن حتى لو سلمنا بان هذا كان الواقع الى حين، فسرعان ما كف عن أن يكون كذلك، وقد وجد ان الصور والتماثيل التي ادخلت الى الكنائس قد اظلمت عقول الجهلاء بدلا من أن تنيرها وجعلت عبادة الساجدين منحطة بدلا من ان تسمو بها، حتى انه مع كون القصد منها هو توجيه عقول الناس الى الله فقد كان من نتائجها تحويل العقول عنه الى عبادة المخلوق". (مقدمة كتاب المجمع السابع العام، والثاني بعد مجمع نيقية ــــ صفحة ٣ ــــ ٦).

وللحصول على بيان باجراءات وقرارات مجمع نيس الثاني في عام ٧٨٧ م الذي دعي لاقرار عبادة التماثيل، ما كتبه بارونيوس في كتاب التواريخ الاكليريكية في عام ١٦١٢ في انتورب المجلد التاسع صفحة ٣٩١ ــــ ٤٠٧، وم ا كتبه مندهام في كتاب المجمع السابع العام، مجمع نيقية الثا ني، وما كتبه

ستلنجفليت في كتاب الدفاع عن الحديث الخاص بالوثنية التي تمارس بالكنيسة البابوية (في لندن عام ١٦٨٦)، وكتاب مكتبة مختارة عن آباء مجمع نيقية ومن أتوا بعدهم — السلسلة الثانية، نيويورك عام ١٩٠٠ المجلد الرابع عشر صفحة ٥٢١ — ٥٨٧، وكتاب تاريخ "مجامع الكنيسة من الوثائق الاصلية" لمؤلفه هيفل الكتاب الثامن عشر الفصل الاول فقرة ٣٣٢ و ٣٣٣ والفصل الثاني فقرة ٣٤٥ — ٣٥٢ — (ت و ت كلارك الذي طبع في عام ١٨٩٦ المجلد الخامس صفحة ٢٦٠ — ٣٠٤ وصفحة ٣٤٢ — ٣٧٢).

صفحة ٦٠ — أمر قسطنطين: ان القانون الذي اصدره قسطنطين في اليوم السابع من آذار (مارس) ٣٢١ م عن يوم الراحة يقول:

"ليسترح كل القضاة وكل شعب المدن وكل التجار في يوم الشمس الموقر. اما العائشون في الارياف فلهم كامل الحرية في مواصلة زرع حقولهم، حيث انه يحدث مرارا كثيرة ان يكون هذا [736] اليوم انسب الايام لزرع الحبوب أو غرس الكروم، لهذا فينبغي الا يترك هذا الوقت الملائم يمر بلا عمل لئلا نخسر بركات السماء" (من كتاب تاريخ السبت والاحد لمؤلفه لويس صفحة ١٢٣ و ١٢٤) والكتاب الاصلي (في دستور يوستنيانوس) اقتبس منه الدكتور هسي في محاضراته في همبتون عن "يوم الاحد والدكتور فيليب ش اف في كتابه الذي موضوعه تاريخ الكنيسة المسيحية المجلد الثالث . انظر ايضا ما كتبه موشيم في قوانين التاريخ الاكليريكي ودائرة كتبه بيتر هيلين في تاريخ السبت الصادر في لندن في عام ١٦٣٦.

صفحة ٦٣ — التواريخ النبوية: انظر المذكرة عن صفحة ٣١

صفحة ٦٤ — الكتابات ا لمزورة: من بين الوثائق التي يعترف الجميع في الوقت الحاضر بانها تزويرات تعتبر هبة قسطنطين والاحكام البابوية المنسوبة كذبا الى ايزودور ذات اهمية اساسية وفي اقتباس الحقائق الخاصة بهذا السؤال: "من الذي زور هبة قسطنطين ومتى كان ذلك؟" يكتب جوسلين مدير كلية اللاهوت في سلبيس بباريس قائلا:

"مع ان هذه الوثيقة زائفة بلا جدال فمن الصعب الحكم في تاريخ اختلاقه ا. أن دي ماركا موراتوري وغيره من علماء النقاد يرون انه ا كتبت في القرن الثامن قبلما اعتلى شرلمان العرش. وزد على ذلك فأن موراتوري يعتقد انه من المرجح ان تكون قد اقنعت ذلك الملك وبيبين بان يكونا كريمين نحو الكرسي البابوي" — سلطان البابا في القرون الوسطى لمؤلفه مايثوكلي، كلية سان باتريك ماينوث، ومورفي وشركاه . بلتيمور عام ١٨٥٣ المجلد الاول صفحة ٣٢١.

وعن تاريخ الاحكام البابوية المنسوبة كذبا الى ايزودور — انظر ما كتبه موشي م في كتابه الذي عنوانه "قوانين التاريخ الاكليريكي". وأما الدكتور موردوك المترجم اذ يشير في حاشية الى م ا قاله لابيه فلوري المؤرخ الكاثوليكي العلامة في كتابه "التاريخ الاكليريكي" يقول عن هذه الاحكام: "لقد زحفت الى النور قرب نهاية القرن الثامن". واذ يكتب فلور ي قرب نهاية القرن السابع عشر يقول فوق ذلك ان هذه "الاحكام الكاذبة اعتبرت موثوقا به ا قرابة ثماني مئة سنة، وبكل صعوبة امكن هجرها والتخلص منها في القرن الاخير . نعم انه في الوقت الحاضر لا يكاد يوجد احد، حتى ولو كان تعليمه في هذه الامور قليلا ودنيئا، ممن لا يعت رفون بان هذه الاحكام زائفة" — التاريخ الاكليريكي "ترجمة آدمة بلندن عام" ١٧٣٢ انظر ايضا ما كتبه جيبون في كتابه "تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها" الفصل ٤ .

صفحة ٦٥ — احكام هلدبراند (جريجوري السابع): انظر ما كتبه بارونيوس في كتابه الذي عنوانه "التواريخ الاكليريكية" الذي طبع (في انتورب عام ١٦٠٨ الملحد الحادي عشر صفحة ٤٧٩) ويمكن الحصول على نسخة من هذه الوصايا من جنيريلر، موجز من التاريخ الاكليريكي تأليف كننجهام. وقد ترجم الى الانجليزية في كتاب لموشيم عنوانه "قوانين التاريخ الاكليريكي".

صفحة ٦٧ ــــ المطهر: أن الدكتور جوزف فادي برونو يقدم هذا التعريف للمطهر: "المطهر هو حالة ألم بعد هذه الحياة فيه ا تحبس تلك النفوس التي رحلت عن هذه الحياة بعدما غفرت خطاياها المميتة فيما يختص بلوثة الخطية وجرحها، وفيما يختص بالألم الابدي الذي تستحقه، ولكن بسبب تلك الخطاي ا بقي عليهم قصاص وقتي عليهم ان يفوه لزمن ما كما يحدث ايضا لتلك النفوس التي تترك هذا العالم مذنبة في بعض الخطايا البسيطة او المغتفرة" ــــ من كتاب العقيدة الكاثوليكية.

صفحة ١٩٦ (طبع في عام ١٨٨٤ بتصديق من اسقف نيويورك) انظر ايضا ما كتبه هاجنباك في كتابه الذي عنوانه "موجز تاريخ العقائد" وكلارك المجلد الاول.

صفحة ٢٣٤ ــــ ٢٣٧ و ٤٠٥ و ٤٠٨ والمجلد الثاني صفحة ١٣٥ ــــ ١٥٠ و ٣٠٨ و ٣٠٩ ، وما كتب اليوت في كتابه الذي عنوانه "تصوير الكاثوليكية الرومانية" الكتاب الثاني الفصل ١٢ ، ودائرة المعارف الكاثوليكية تحت بند "المطهر".

صفحة ٦٧ ــــ صكوك الغفران: لكي تحصل على تاريخ مسهب لعقيدة صكوك الغفران انظر كتاب دائرة المعارف الكاثوليكية، تحت بند "صكوك الغفران" (الذي كتبه كنت من بيزوتر بلندن)، وما [737] كتبه ألمان في كتاب عنوانه "المصلحون قبل عهد الاصلاح" المجلد الاول. الكتاب الثاني الفصل الثاني، وما كتبه كريتون في كتاب عنوانه "تاريخ البابوية" المجلد الخامس صفحة ٥٦ ــــ ٦٤ و ٦١ ، وم ا كتبه رانك في كتابه الذي عنوانه "تاريخ الاصلاح في الماني ا" الكتاب الثاني الفصل الاول فقرة ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٩ ــــ ١٤٢ و ١٥٣ ــــ ١٥٥ (الطبعة الثانية في لندن سنة ١٨٤٥ وترجمه أوسنن في المجلد الاول صفحة ٣٣١ و ٣٣٥ ــــ ٣٣٧ و ٣٤٣ ــــ ٣٤٦)، وما كتبه اليوت في كتابه الذي عنوانه "تصوير الكاثوليكية الرومانية الكتاب الثاني الفصل ١٣، وم ا كتبه لي في كتابه الذي عنوانه "تاريخ الاعتراف السمعي وصكوك الغفران" وما كتبه فيشر في كتابه الذي عنوانه "الاصلاح" الفصل الرابع أما عن ثمار عقيدة صكوك الغفران في اثناء عهد الاصلاح، فانظر نبذة كتبها لي عنوانها "صكوك الغفران في اسباني ا" وطبعت ونشرت في كتاب عنوانه "أوراق الجمعية الامريكية عن تاريخ الكنيسة" المجلد الاول صفحة ١٢٩ ــــ ١٧١ . ويقول الدكتور لي عن قيمة هذا النور الآتي من الجانب التاريخي، في الفصل الافتتاحي: اسبانيا التي لم تكن تزعجها المجادلات التي وقعت بين لوثر والدكتور إك وسلفستر برابرياس ظلت سائرة باطمئنان في الطريق القديم المطروق وتقدم لنا الوثائق الرسمية التي لا جدال فيها والتي تجعلنا قادرين على فحص المسألة في نور التاريخ النقي".

صفحة ٦٧ ــــ ذبيحة القداس: انظر ما كتبه الكاردينال وايزمان في كتابه الذي عنوان "حلول جسد ر يسوع المسيح ودمه الحقيقيين في القربان المقدس المبارك مبرهنا عليه من الكتاب، ثم انظر ايضا دائرة المعارف الكاثوليكية البند الذي عنوانه "القربان المقدس" (وقد كتبه بول من برسلو)، وانظر ايضا الكتاب الذي عنوان "قوانين واحكام مجمع ترنت" الفصول ١ ــــ ٨ الذي طبع في لندن في عام ١٨٥١ وترجمه بركلي في صفحة ٧٠ ــــ ٧٩ وكتاب هاجانباك الذي عنوانه موجز تاريخ العقائد المجلد الاول صفحة ٢١٤ ــــ ٢٢٣ و ٣٩٣ ــــ ٣٩٨ والمجلد الثاني صفحة ٨٨ ــــ ١١٤ ، وكتاب جون كلفن وعنوانه "القواذ الكتاب الرابع الفصل ١٧ و ١٨ ، وما كتبه هوكر في كتابه الذي عنوانه "النظام الاكليريكي"، وما كتبه أليوت في كتابه الذي عنوانه "تصوير الكاثوليكية الرومانية الكتاب الثاني الفصل ٤ و ٥.

صفحة ٧٤ ــــ ترجم ات الولدنسيين للكتاب: عن الترجمات الولدنسية الاولى لاجزاء من الكتاب الى لـ عامة الشعب انظر ما كتبه تاونلي في كتابه الذي عنوانه "شروح الادب الكتابي" المجلد الاول الفصل العاشر فقرة ١ ــــ ١٣ ، وما جاء في كتاب بثافيل الذي عنوانه "الكتاب في فرنسا" الذي طبع في باريس سنة ١٨٦٤ الفصل الثاني الفقرة ٣ و ٤ و ٨ ــــ ١٠ و ١٣ و ٢١ ، وما كتبه يتنام في كتابه الذي عنوانه "رقابة كنيسة روما" المجلد الثاني الفصل الثاني.

صفحة ٨٨ ـــ منشور ضد الولدنسيين: ان جزءا كبيرا من نص النشرة البابوية التي اصدرها انوسنت الثامن في عام ١٤٨٧ ضد الو لدنسيين (التي توجد النسخة الاصلية منها في مكتبة جامعة كمبردج) يوجد في ترجمة انجليزية في كتاب لدوالنج عنوانه "تاريخ البابوية" طبع في عام ١٨٧١ الكتاب السادس الفصل الخامس فقرة ٦٢.

صفحة ٩٥ ـــ صكوك الغفران انظر المذكرة على صفحة ٥٨.

صفحة ٩٨ ـــ ويكلف: لكي تحصل ع لى النص الاصلي للنشرات البابوية الصادرة ضد ويكلف مترجمة الى الانجليزية انظر ما كتبه فوكس في كتابه الذي عنوانه "اعمال وأنصاب"، برأت تاونسند الذي طبع في لندن عام ١٨٧٠ المجلد الثالث صفحة ٤ ـــ ١٣ ، وانظر ايضا م ا كتبه لويس في كتابه الذي عنوانه "تاريخ ويكلف وحيا ته وآلامه" الذي طبع في عام ١٨٢٠ صفحة ٤٩ ـــ ٥١ و ٣٠٣ ـــ ٣١٤ ، وما كتبه لتشلر في كتابه الذي عنوانه "جون ويكلف ومضطهدوه الانجليز" الفصل الخامس الفقرة ٢ (الذي طبع في لندن عام ١٨٨٤ وترجمة لوريمر صفحة ١٦٢ ـــ ١٦٤)، وما كتبه نياندر في كتابه الذي عنوانه: "التاريخ الع ام للديانة والكنيسة المسيحية" الفترة السادسة فقرة ٢.

صفحة ٩٨ ـــ العصمة: في عقيدة العصمة انظر ما جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية المقال الوارد تحت عنوان "العصمة" الذي كتبه تيرنر، وما كتبه جورج سالمون في كتابه الذي عنوانه "عصمة الكنيسة"، وم ا كتبه اليوت في ك تابه الذي عنوانه: صورة الكاثوليكية الرومانية الكتاب [738] الأول الفصل الرابع، وما كتبه الكاردينال جيبونز في كتابه الذي عنوانه: "ايمان آبائنا" الطبعة ٤٩ عام ١٨٩٧ الفصل السابع.

صفحة ١١٦ ـــ صكوك الغفران: انظر المذكرة على صفحة ٥٨

صفحة ١١٧ ـــ مجمع كونستانس: عن دعوة البابا يوحنا الثالث والعشرين مجمع كونستانس للانعقاد على التماس الامبراطور سجسموند انظر ما كتبه موشيم في كتابه الذي عنوانه "قوانين التاريخ الاكليريكي" الكتاب الثالث، وانظر كذلك ما كتبه داولنج في كتابه الذي عنوانه "تاريخ البابوية" الكتاب السادس الفصل ا لثاني الفقرة ١٣ ، وم ا كتبه باور في كتابه الذي عنوانه "تاريخ البابوات" طبعة لندن في عام ١٧٦٦ المجلد السابع صفحة ١٤١ ـــ ١٤٣ ، وما كتبه نياندر في كتابه الذي عنوانه "التاريخ العام للدين المسيحي والكنيسة" الفترة السادسة فقرة ١ (عام ١٨٥٤ ـــ ٥ مجلدات طبع وترجم بواسطة توري المجلد الخامس صفحة ٩٤ ـــ ١٠١).

صفحة ١٤٣ ـــ صكوك الغفران: انظر المذكرة على صفحة ٥٨.

صفحة ٢٥٩ ـــ الجزويت: لكي تعرف بيانا عن اصل "جمعية يسوع" ومبادئها واغراضها كما يلخصها اعضاء هذه الاخوية انظر كتابا عنوانه "عن الجزويت" طبعة القس جون جيرارد ونشر في لند ن عام ١٩٠٢ نشرته جمعية الحق الكاثوليكي . في هذا الكتاب نجد القول التالي "ان الباعث في كل نظام الجمعية هو روح الطاعة الكاملة . لقد كتب القديس اغناطيوس يقول: "ليقتنع كل واحد أن اولئك الذين يعيشون تحت الطاعة ينبغي ان يسمحوا لانفسهم ان يتحركوا ويوجِّهوا بواسطة العناية الالهية عن طريق رؤسائهم كما لو كانو ا جسما مائتا يسمح لنفسه بان يحمل الى أي مكان ويعامل بأي كيفية، او كعكاز الرجل الشيخ الذي يخدم من يحمله في يده في اي طريق يسير فيه" "هذا الخضوع التام يشرفه الباعث عليه . ثم يمضي المؤسس في حديثه فيقول: "وينبغي ان يكون متأهبا وفرح ا ومثابرا... أن الشخص المتدين المطيع يتمم بسرور ما قد حدده له رؤساؤه بفرح لاجل الخير العام وهو متأكد من انه بذلك يكون متمشيا حقا مع ارادة الله" هذا ما جاء في كتاب "عن الجزويت" صفحة ٦.

ثم انظر ايضا ما كتبه دوبين في كتاب "موجز تاريخ الكنيسة" الفصل ٣٣ (طبعة لندن سنة ١٧١٣

المجلد الرابع صفحة ١٣٢ ـــ ١٣٥) وموشيم في كتابه "قوانين التاريخ الاكليريكي" ودائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) بند "الجزويت"، وما كتبه برواسين في كتابه "مبادئ الجزويت، مكونا من مجموعة مقتطفات من نفس مؤلفيهم (لندن ١٨٦٠ ـــ وقد ظهرت قبل ذلك طبعة اخرى في عام ١٨٣٩ ، وكارترايت في كتابه "الجزويت، دستورهم وتعليمهم" (لندن ١٨٧٦) وتونتون في كاتبه "تاريخ الجزويت في انجلترا عام ١٥٨٠ ـــ ١٧٧٣ (لندن ١٩٠١).

صفحة ٢٥٩ ـــ محكمة التفتيش: انظر دائرة المعارف الكاثوليكية بند "محكمة التفتيش" (كتبه بلوتزر ميونيخ ولي في كتاب "تاريخ محاكم التفتيش في القرون الوسطى، وما كتبه ليمبورسن في كتاب" تاريخ محكمة التفتيش المجلد الاول الكتاب الاول الفصل ٢٥ و ٢٧ ـــ ٣١ (طبعة لندن في عام ١٧٣١ ترجمة شاندلر في المجلد الاول صفحة ١٣١ ـــ ١٤٢ و ١٤٤ ـــ ١٦١)، وما كتبه فون رانك في كتاب "تاريخ البابوات" الكتاب الثاني الفصل السادس.

صفحة ٢٩٥ ـــ اسباب الثورة الفرنسية. اذا اردت ان تعرف شيئا عن العواقب البعيدة لرفض الكتاب المقدس وديانة الكتاب الذي أقدم عليه شعب فرنسا انظر ما كتبه فون سبيل في كتاب "تاريخ الثورة الفرنسية" الكتاب الخامس الفصل الاول جزء ٣ ـــ ٧، وما كتبه بكل في كتاب "تاريخ المدنية في انجلترا" الفصل ٨ و ١٢ (طبعة نيويورك في عام ١٨٩٥ المجلد الاول صفحة ٣٦٤ ـــ ٣٦٦ و ٣٦٩ ـــ ٣٧١ و ٤٣٧ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٥٠)، "صحيفة بلا كوود" المجلد الرابع والثلاثون رقم ٢١٥ (نوفمبر ١٨٣٣ صفحة ٧٣٩)، وما كتبه لوريمر في كتاب "مختصر تاريخ الكنيسة البروتستانتية في فرنسا" الفصل الثامن جزء ٦ و ٧.

صفحة ٢٩٦ ـــ التواريخ النبوية: انظر المذكرة على صفحة ٣١٢.

صفحة ٢٩٦ ـــ محاولات لكبت الكتاب المقدس وملاشاته: بالاشارة الى المحاولات الطويلة الامد التي بذلت في فرنس ا لقمع الكتاب وكبته ـــ وعلى الخصوص الترجمات التي ظهرت في لغة عامة الشعب يقول جوس: "أن الامر العالي الذي صدر في تولوز في عام ١٢٢٩" الذي أقر [739] "محكمة التفتيش ضد كل من يقرأون الكتاب المقدس باللغة الدارجة .. كان أمرا بالالتجاء الى النار وسفك الدم والتدمير . انه في فصوله الثالث والرابع والخامس والسادس يأمر بتدمير البيوت واحقر اماكن الاختباء وحتى الملاجيء والمخابئ التي تحت الارض التي كان يلوذ بها اناس اتهموا باحرازهم للكتاب المقدس، وانه يجب مطاردتهم الى الغابات وكهوف الارض، وحتى الذين يتسترون عليهم يجب معاقبتهم بأقصى العقوبات . وكان من نتائج ذلك ان حرم الكتاب في كل مكان. وكأنما قد اختفى تحت الارض ونزل الى القبر". وهذه الاوامر "تبعتها مدى خمس مئة سنة عقوبات لا حصر لها، وفيها جرى دم القديسين كالماء" ـــ جوس في كتاب عنوانه "قانون الكتب المقدسة".

وعن الجهود الخاصة التي بذلت لملاشاة الكتاب في أبان حكم الارهاب، وفي اواخر عام ١٧٩٣ يقول الدكتور لوريمر: "اينما أمكن العثور على كتاب مقدس يمكن ان يقال انه اضطهد الى الموت الى حد أن عددا من المفسرين المحترمين يفسرون قتل الشاهدين الوارد ذكرهما في الاصحاح الحادي عشر من سفر الرؤيا على ا نه قمع بل وملاشاة العهدين القديم والجديد في فرنسا في تلك الحقبة" ـــ لوريمر في كتاب عنوانه "مختصر تاريخي للكنيسة البروتستانتية في فرنسا".

انظر ايضا ما كتبه فيشر في كتاب عنوانه "الاصلاح" وكذلك ما كتبه بيتافل في كتاب عنوانه "الكتاب المقدس في فرنسا" طبعة باريس عام ١٨٦٤، وما كتبه بوتنام في كتاب عنوانه "رقابة كنيسة روما" المجلد الاول الفصل الرابع (١٩٠٦)، والمجلد الثاني الفصل الثاني (صفحة ١٥ ـــ ١٩) وأيضا ما كتبه سمايلز في كتاب عنوانه "الهيجونوت، مستعمراتهم وكنائسهم وصناعتهم" الفصل ١ و ٢ و ٣ و ١٨

وسمايلز ايضًا في كت اب عنوانه "لالهجونوت في فرنسا بعد الثورة" ـــ فصل ٢ و ١٠ و ١٢ ، وكذلك ما كتبه وايلي في كتاب عنوانه "تاريخ البروتستانتية" الكتاب الثاني والعشرون الفصل السادس.

صفحة ٢٩٧ ـــ حكم الارهاب: عن مسؤولية القادة الضالين في الكنيسة والدولة وعلى الخصوص في الكنيسة عن مشاه د الثورة الفرنسية ـــ انظر ما كتبه سلون في كتاب عنوانه "الثورة الفرنسية والاصلاح الديني" المقدمة والفصل الثاني، وما كتبه تشاف في كتاب عنوانه "اوراق الجمعية الامريكية لتاريخ الكنيسة" المجلد الاول، وما كتبه سمايلز في كتاب عنوانه "الهيجونوت في فرنس ا بعد الثورة" الفصل ١٨، وما كتبه لوريمر في كتاب عنوانه "موجز تاريخ للكنيسة البروتستانتية في فرنس ا" الفصل الثامن، و كتبه جالتون في كتاب عنوانه "الكنيسة والدولة في فرنسا من سنة ١٣٠٠ الى سنة ١٩٠٧" طبعة لندن ١٩٠٧ الفصل الثالث، وما كتبه السير ستيفن في كتاب عنوانه "محاضرات عن تاريخ فرنسا، المحاضرة ٦

صفحة ٣٠٠ ـــ عامة الشعب والطبقات الممتازة : لكي تعرف شيئا عن الاحوال الاجتماعية السائدة ف فرنس ا قبل عهد الثورة انظر ما كتبه فون هولست في كتاب عنوانه "محاضرات لويل عن الثورة الفرنسية" ـــ المحاضرة الاولى، وايضا ما كتبه تاين في ك تاب عنوانه "الحكم القديم" وما كتبه يونج في كتاب عنوانه "سيجات في فرنسا".

صفحة ٣١٥ ـــ الجزاء: لكي تحصل على تفاصيل اكثر عن الصفة الجزائية للثورة الفرنسية انظر ما توماس جل في كتاب عنوانه "الدراما البابوية" الكتاب العاشر، وما كتبه دي بريسنسيه في كتاب عنوانه "الكنيسة والثورة الفرنسية" الكتاب الثالث الفصل الاول.

صفحة ٣١٦ ـــ فظائع حكم الارهاب: انظر ما كتبه تايرز في كتاب عنوانه "تاريخ الثورة الفرنسية د نيويورك وترجمة شوبرل المجلد الثالث صفحة ٤٢ ـــ ٤٤ و ٦٢ ـــ ٧٤ و ١٠٦ ، وما كتبه مجنت في كتاب عنوانه "تاريخ الثورة الفرنسية" طبعة بون عام ١٨٩٤ الفصل التاسع، وما كتبه السير ارشيبالد أليسون في كتاب عنوانه "تاريخ اوروبا منذ بدء الثورة الفرنسية الى ارجاع اسرة البوربون" المجلد الاول الفصل ١٤ (طبعة نيويورك عام ١٨٧٢ المجلد الاول صفحة ٣٩٣ ـــ ٣١٢).

صفحة ٣٢٠ ـــ نشر الكتب الم قدسة: في عام ١٨٠٤ طبقا لما قاله المستر وليم كانتون من رجال جم التوراة البريطانية والاجنبية، قال: "كل الكتب المقدسة الموجودة في العالم سواء. [740] أكانت مخطوطة او مطبوعة بما في ذلك كل ترجمة في كل بلد لم يتجاوز عددها أربعة ملايين نسخة... واللغات المختلفة التي به ا كتبت هذه الملايين الاربعة كتبت بما في ذلك الكلام القديم مثل القوطي الموبزو في ألفيلاس، والانجلو سكسون في بيدي مدونة بحيث يبلغ عددها الخمسين.

ما هي جمعية التوراة؟

وبعد ذلك بمئة سنة عند اول يوبيل مئوي لها امكن لجمعية التوراة البريطانية والاجنبية ان تقدم تقريرا عن جملة توزيعاتها للكتاب المقدس او العهد الجديد او اجزاء منه بواسطة تلك الجمعية وحدها فبلغ عددها ١٨٦،٦٨٠،١٠١ وفي ١٩١٠ زاد هذا المجموع حتى بلغ ٢٢٠،٠٠٠،٠٠٠ نسخة من حوالي اربع مئة لغة يضاف الى هذا العدد الضخم ملايين النسخ الكتابية او اجزاء منه ا في لغات كثيرة التي توزعها جمعيات التوراة الاخرى والوكالات التجارية المختلفة. وجمعية التوراة الامريكية التي هي كبرى بنات جمعية التوراة البريطانية الام في غضون الاربع وتسعين سنة الاولى من عملها اعلنت انها قد وزعت ما جملته ١٨٢ و ٢٩٦ و ٧٨ نسخة. (انظر سجل جمعي ة التوراة عن يونيو سنة ١٩١٠) .وطبقا للتقديرات المتحفظ تطبع البيوت التجارية ما يقرب من ستة ملايين نسخة من الكتاب التي اذا أضيفت الى ناتج ما توزعه جمعيات التوراة يجعل جملة ما يوزع سنويا تقفز الى ١٥ مليون نسخة ويزيد.

ان عدد ترجمات الكتاب المقدس كله او اجزاء منه المقدمة في النص كانت صحيحة عندما أعد

الكتاب. والان يزيد عددها على الألف.

صفحة ٣٢٠ ـــ المرسليات الاجنبية: ان الدكتور فيشر في أحد الفصول عن "المرسليات المسيحية" ، كتابه الذي عنوانه "تاريخ الكنيسة المسيحية" يلخص بداءات الحركة المرسلية التي في السنوات الا خيرة من القرن الثامن عشر، فتحت الباب لدخول عهد مشرق للنشاط المرسلي، عهد هو في تاريخ المرسليات لا يقل شهرة الا عن العصور المسيحية الاولى" وفي عام "١٧٩٢ تأسست الجمعية المعمدانية وكان كاري واحدا من اوائل مرسليه ا. وقد أبحر كاري الى الهند، وهناك بمساعدة غيره من اعضاء نفس الجمعية أسس مرسلية سيرامبور". وفي عام ١٧٩٥ تأسست جمعية لندن التبشيرية وفي عام ١٧٩٩ تأسست "المنظمة التي صارت في عام ١٨١٢ جمعية الكنيسة التبشيرية". وبعد ذلك بقليل تأسست الجمعية الوسلية التبشيرية" وفي حين كان النشاط التبشيري ينمو ويتقدم في بريطاني ا العظمى فان مسيحي أمريك ا كانوا قد بدأوا يتحمسون بغيرة مشابهة لتلك . ففي عام ١٨١٤ أسسوا الاتحاد الامريكي للمرسلين المعمدانيين . ثم ان ارونيرام جدسون الذي كان بين طليعة المرسلين للخروج من امريكا أبحر الى كلكتا في عام ١٨١٢ ووصل الى بورما في عام ١٨١٣ في شهر يوليو. انظر ما كتبه فيشر في كتاب "تاريخ الكنيسة المسيحية".

ثم ان الدكتور بيرسون يعلن في مقال نشر في مجلة الريفيو التبشيرية العالمية في عدد يناير من عام ١٩١٠ "انه منذ نصف قرن كانت الصين ومنشوريا واليابان وكوريا وتركيا وبلاد العرب وحتى قارة افريقيا المترامية الا طراف كانت نائمة .وفي عزلة وتباعد وانطواء على نفسها ومحبوسه. فأواسط آسيا لم يكن مكتشفا نسبيا كما كان أواسط افريقيا. وفي بلدان كثيرة كان احتلال الشيطان الطويل مما لا ينازعه فيه منازع ولم يكن من يزعج امبراطوريته . وقد كانت الممالك البابوية متعصبة كما كانت و ثنية. ففي ايطاليا وأسبانيا كان من يجرؤ على بيع كتاب مقدس يلقى في السجن وكذلك من يكرز بالانجيل . لقد كانت فرنسا ملحدة بالفعل، والمانيا تسلل اليها الدين العقلي . وكان الباب مغلقا في وجه جانب كبير واسع من الحقل التبشيري . فكانت تلك البلاد ممتنعة على المبشرين الى حد كبير او صغير . اما الان فالتطورات في كل مكان شهيرة وجوهرية ... وذاك الذي معه مفاتيح الابواب المغلقة بدأ يفتحها فبدأ في فتح كل البلدان لمرسل الصليب . وحتى في المدينة الدهرية حيث كان يلتزم من يزورها منذ نصف قرن ان يترك كتابه المقدس خارج أسوارها توجد كنائس بروتستانتية بالعشرات وتوجد حرية لنشر الكتاب المقدس".

صفحة ٣٦١ ـــ التواريخ النبوية: انظر المذكرة على صفحة ٣١٢. [741]

صفحة ٣١٢ ـــ التواريخ النبوية: ان الحقائق التاريخية والواقعية المتصلة بالحقبات النبوية المذكورة دانيال ٨ و ٩ والمشتملة على براهين كثيرة تشير اشارة لا تخطئ الى سنة ٤٥٧ ق. م على أنها الوقت الصحيح الذي به يبدأ حساب هذه الفترات، قد خططها كثيرون من تلاميذ النبوة. انظر ما كتبه ستانلي ليذس في كتاب "نبوة العهد القديم" محاضرة ١٠ و ١١ (محاضرات وربورتون عن السنوات ١٨٧٦ ـــ ١٨٨٠) و. جود في كتابه "النبوة التي تمت" العظة العاشرة المشتملة على مذكرة رقم (١) (محاضرات وربورتون عن السنوات ١٨٥٤ ـــ ١٨٥٨) وكتاب توماس الذي عنوانه " تاريخ النبوة " طبعة لندن عام ١٨٤٨ صفحة ٢٦ ـــ ١٠٦ ، وما كتبه أسحق نيوتن في كتاب عنوانه ملاحظات على نبوات دانيال ورؤيا الفصل العاشر طبعة لندن ١٧٣٣ صفحة ١٢٨ ـــ ١٤٣ ، وما كتبه اوريا سميث في كتاب عنوانه آراء عن دانيال والرؤيا الجزء الاول فصل ٨ و ٩. أما عن تاريخ الصلب فانظر ما كتبه هيلز في كتاب عنوانه تحليل التاريخ طبعة لندن الثانية عام ١٨٣٠ المجلد الاول صفحة ٩٤ ـــ ١٠١ والمجلد الثالث صفحة ١٦٤ ـــ ٢٥٨.

صفحة ٣٦٩ ـــ سقوط الامبراطورية العثمانية: لكي تحصل على مزيد من التفاصيل بالنسبة الى التنب عن سقوط الدولة العثمانية في غضون شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٤٠ أنظر ما كتبه لتسن في كتابه الذي

عنوانه ”أرجحية مجيء المسيح الثاني حوالي سنة ١٨٤٣ م“. (الذي نشر في حزيران (يونيو) سنة ١٨٣٨) وما كتبه لتسن ايضا في كتاب عنوانه ”خطاب الى الاكليروس“ (الذي نشر في ربيع سنة ١٨٤٠ ، ثانية بتقرير تاريخي لدعم التقديرات المضبوطة السابقة عن المدة النبوية الممتدة الى سقوط الامبراطورية العثمانية ونشر في عام (١٨٤١)، وكتاب ”المجيء ترس ومراجعة“ المجلد الاول (١٨٤٤)، وما كتبه لوفبورو في كتاب عنوانه ”حركة المجيء الثاني العظيمة“ طبعة ١٩٠٥ صفحة ١٢٩ — ١٣٢ ، والمقال الذي كتبه لتسن في صحيفة ”علامات الازمنة“، و ”مفسر النبوة“ في أول آب (اغسطس) سنة ١٨٤٠ وانظر مقالا آخر في صحيفة ”علامات الازمنة“ و ”مفسر الن بوة“ في اول شباط (فبراير) سنة ١٨٤١.

صفحة ٣٧٦ — منع الكتاب عن الشعب: اذا اردت معرفة شيء عن موقف الكنيسة الرومانية الكاثوليد من نشر الكتاب المقدس في اللغات الممعروفة للعلمانيين فانظر ما ورد في دائرة المعارف الكاثوليكية في بند ”الكتاب المقدس“، وانظر ايضا م ا كتبه فيشر في كتاب عنوانه ”الاصلاح“ فصل ١٥ (طبعة سنة ١٨٧٣ صفحة ٥٣٠ — ٥٣٢) وما كتبه الكاردينال جيبونز في كتاب عنوانه ”ايمان آبائن ا“ الفصل الثامن (الطبعة التاسعة والاربعين عام ١٨٩٧ صفحة ٩٨ — ١١٧)، وما كتبه داولنج في كتاب عنوانه ”تاريخ البابوية“ كتاب ٧ فصل ٢ وكتاب ٩ فصل ٣ (طبعة ١٨٧١ صفحة ٤٩١ — ٤٩٦ و ٦٢١ — ٦٢٥) وما كتبه تنجيز في كتاب عنوانه ”تاريخ مجمع ترنت — طبعة ثانية في ادنبره عام ١٨٥٣ وترجمة سكوت صفحة ١٠١ — ١١٠ ، وما كتبه بتنام في كتاب عنوانه“ الكتب ومؤلفوها في العصور الوسطى المجلد الاول الجزء الث اني الفصل الثاني.

صفحة ٤١٠ — ثياب الصعود: ان القصة القائلة ان المجيئيين صنعوا ثيابا لكي يصعدوا به ا ”لملاقاة الرب في الهواء“ كانت من اختراع الذين ارادوا تعيير تلك الحركة . وقد جهدوا في نشرها لكي يصدقها كثيرون، ولكن الاسئلة الحريصة التي وجهت اليهم برهنت على كذبها. ولمدى سنين طويلة قدمت جائزة كبيرة لمن يقدم البرهان على صدق هذه الحادثة ان كانت قد وقعت، ولكن لم يقم اي برهان . ولم يكن أي واحد ممن احبوا ظهور المخلص يجهل تعاليم الكتاب بحيث يظن ان الثياب التي من صنعه لازمة لتلك المناسبة . ولكن الثوب الوحيد الذي سيحتاجه القديسون ليقابلوا به الرب هو بر المسيح. انظر رؤيا ١٩ : ٨.

صفحة ٤١١ — تاريخ النبوة: ان الدكتور جورج بوسن استاذ الآداب العبرية والشرقية بجامعة مدينة نيويورك أرسل كتابا الى السيد ميلر نشر في مجلة بشير المجيء ويقرر علامات الازمنة“ في بوسطون في ٦ و ١٣ آذار (مارس) سنة ١٨٤٤ قدم أعترافات هامة في ذلك الكتاب متصلة بحسابه للازمنة النبوية . فكتب يقول: ”اني ارى انه لا اعتراض عليك ولا على اصدقائك لكونكم كرستم وقتا طويلا واهتماما كبيرا لدرس تاريخ النبوة وتعبتم كثيرا في تحديد [742] بداءة ونهاية تواريخ فتراتها العظيمة . فاذا كانت هذه الفترات قد أوردها الروح القدس قبلا في الاسفار النبوية فلا ريب ان الغرض منها هو ان تدرس وربما تفهم في النهاية. ولا يمكن ان يهتم اي انسان بالجهالة الجريئة لكونه بكل وقار يبذل جهدا في عمل هذا... اما حسبان اليوم بسنة في التعبير النبوي فانا اعتقد انك تتبع ش رحا سليما جدا، كما انك متحصن بهذه الشخصيات العظيمة مثل ميد والسير اسحق نيوتن وكربي وسكوت وكيث وكثيرين من امثالهم الذين وصلوا الى نفس مادة استنتاجاتك في هذا الموضوع. فجميعهم يجمعون على ان الفترات الهامة التي ذكرها كل من دانيال ويوحن ا تنتهي فعلا في هذا الجيل من تاريخ العالم . وانه يكون منطقا غريبا كونك تتهم بالهرطقة لتمسك بنفس الأراء التي نادى بها وكتب عنها اولئك الرجال العظام“. ”ان النتائج التي قد وصلت اليها في حقل الاستقراء هذا لا تدهشني ولا تخرج عن جادة الصواب ولا تؤثر في مبادئ الحق والواجب العظيمة“ ”وانا افهم ان غلطتك هي في ناحية اخرى بعيدة عن تواريخك“ ”لقد اخطأت كلية في فهم طبيعة الاحداث التي ستحدث عند نهاية هذه الفترات. هذا هو اهم ما في خطئك التفسيري“.

صفحة ٤٣٨ ـــ التواريخ النبوية: أنظر المذكرة على صفحة ٣١٢.

صفحة ٤٧٥ ـــ رسالة مثلثة: (رؤيا ١٤ : ٦ و ٧) هذان العددان ينبئان عن اذاعة رسالة الملاك الاول يستمر النبي في كلامه فيقول: "ثم تبعه ملاك آخر قائلا سقطت سقطت بابل ... وتبعه الملاك الثالث". ان كلمة "تبعه" المذكورة هن ا معناها في التركيب كالذي في هذه الآىة "يرافق". أن لديك وسكوت يقدمان الكلمة هكذ ا "اتباع واح د معناه السير وراءه او معه " وروبنسون يقول "الاتباع معناه السير مع اي انسان او مصاحبته". انها نفس الكلمة المستعملة في (مرقس ٥: ٢٤) حيث يقول "فذهب معه يسوع وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه". وهي تستعمل كذلك عن المفديين المئة والاربعة والاربعين الفا حيث يقال: "هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما يذهب" (رؤيا ١٤ : ٤). وفي كلا هذين الموضعين ان الفكر الذي يقصد الله اننا نفهمه هو السير مع ا. وكذلك م ا ورد في ١ كورنثوس ١٠ : ٤ حيث نقرأ عن بني اسرائىل انهم "كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم". وكلمة "تابعتهم" مترجمة عن نفس الكلمة اليونانية والحاشية في الكتاب المقدس الانجليزي بمعنى "سارت معهم". نفهم من هذا ان الفكرة الواردة في رؤيا ١٤ : ٨ و ٩ ليست تعني فقط ان الملاكين الثاني والثالث تبعا الاول من ناحية الزمن بل أنهم ا سارا معه . فالرسائل الثلاث إن هي الا رسالة واحدة مثلثة . وهي ثلاث فقط في ترتيب ظهورها. ولكن اذ ظهرت ذهبت معا ولا انفصال بينها

صفحة ٤٨٨ ـــ سيادة اساقفة روم ا: ان بعضا من الظروف الهامة المتصلة بادعاء اساقفة روما ان لـ السيادة ملخصة في كتاب موشيم الذي عنوانه "قوانين التاريخ الاكليريكي"، انظر ايضا ما كتبه فيشر في كتاب عنوانه "تاريخ الكنيسة المسيحية" (طبعة ١٨٩٠ صفحة ٥٦ ـــ ٥٨)، وما كتبه جليزير في كتاب "موجز التاريخ الاكليريكي"، طبعة نيويورك سنة ١٨٣٦ وترجمها كننجهام، وما كتبه اندروز في كتابه الذي عنوانه "تاريخ السبت" الطبعة الثالثة صفحة ٢٧٦ ٢٧٩.

صفحة ٦٢٣ ـــ حكم كونستانس: انظر المذكرة على صفحة ٥٢.

صفحة ٦٢٧ ـــ الكنيسة الحبشية: لكي تعرف شيئا عن حفظ اهل الحبشة ليوم السبت المنصوص عنه الكتاب أنظر ما كتبه دين ستانلي في كتابه "محاضرات في تاريخ الكنيسة الشرقية" ـــ المحاضرة الاولى الجزء (١٥ طبعة نيويورك سنة ١٨٦٢ صفحة ٩٦ و ٩٧)، وما كتبه ميشيل جديس في كتابه "تاريخ كنيسة اثيوبيا" صفحة ٨٧ و ٨٨ و ٣١١ و ٣١٢ ، وما كتبه جيبون في كتابه "تاريخ وانحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية" فصل ٤٧ اجزاء ٣٧ ـــ ٣٩ ، وما كتبه صموئيل جوبات في "صحيفة ثلاث سنين اقامة في الحبشة " طبعة نيويورك عام ١٨٥٠ صفحة ٥٥ ـــ ٥٨ و ٨٣ و ٩٣ و ٩٧ و ٩٨ ،وما كتبه لويس في كتاب "تاريخ نقدي للسبت والاحد في الكنيسة المسيحية" ـــ طبعة ثانية صفحة ٢٠٨ ـــ ٢١٥.